نهج الصناعة

في

شرح نهج البلاغة

تأليف

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري

من منشورات مكتبة الصدر

طهران شارع ناصر خسرو

بإسامة مجيدي

تلفن ٣٧٦٩٦

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

M. Tustari

منهج الصباغة

في

شرح نهج البلاغة

تأليف

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري

دام ظله

الجزء الرابع

من منشورات مكتبة تصدر

طهران شارع ناصر خسرو

١٣٩٧ هـ ق — تلفن ٥٣٢٦٩٦

مطبعة الحيدري

2264
.1067
.955
.2
juz' 4
(RECAP)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمّد وآله الطاهرين.

الفصل الثامن فى الامامة الخاصة يأتى فى ٣٢/ ٣٣/ ٣٤/ من الفصل التاسع كلامه عليه السلام فى المهدى عليه السلام

١/ فى ٢١/ ٢/ (ومنه) فَاِنَّهُ لَا سَوَاءَ اِمَامُ الْهُدىٰ وَاِمَامُ الرَّدىٰ وَوَلِيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَدُوُّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله وسلم اِنِّي لَا اَخَافُ عَلىٰ اُمَّتِي مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً اَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللّٰهُ بِاِيمَانِهِ وَاَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللّٰهُ بِشِرْكِهِ وَلٰكِنِّي اَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ.

قول المصنّف: ومنه: إنّما قال: «ومنه» لأنّ قبله (فإن استطعتم يا أهل مصر أن تصدّق أقوالكم أفعالكم، وأن يتوافق سرّكم وعلانيتكم، ولا يخالف ألسنتكم قلوبكم. فافعلوا عصمنا الله وإيّاكم، وسلك بنا وبكم المحجّة الوسطى، وإيّاكم ودعوة الكذّاب ابن هند، وتأمّلوا واعلموا.

قوله عليه السلام «فانّه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى»: أى الهلكة. قال (حد) يعنى عليه السلام بإمام الهدى نفسه، وبإمام الردى معاوية كما قال تعالى «وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار»[1].

قلت: إنّه عليه السلام وإن قال ذلك، وكان فى قباله معاوية فى ذلك الوقت إلّا أنّه عليه السلام أراد بإمام الردى غيره مطلقاً معاوية، والثلاثة المتقدّمة عليه، ففى رواية

(١) القصص ٤١.

الثقفي لعهده عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر الّذي هذا الكلام جزء منه ـ وقد نقله ـ (حد) نفسه عند قوله عليه السلام : «وقد اردت توليته مصرها شم بن عتبة .»

في ٦٥/ ١/ ـ (واعلموا عباد الله أنّكم إن اتقيتم ربّكم ، وحفظتم نبيّكم في اهل بيته ، فقد عبدتموه بأفضل ما عبد ، وذكرتموه بافضل ما ذكر ، وشكرتموه بافضل ما شكر ، واخذتم بافضل الصبر ، وجاهدتم بافضل الجهاد ، وان كان غيركم أطول صلوة منكم ، واكثر صياماً اذ كنتم اتقى لله وانصح لاولياء الله من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم واخشع)

وهل كان معاوية إلّا تابعا لهم ، وسالكاً سبيلهم ، وفي كتاب معاوية إلى محمّد بن أبي بكر ـ وكان ازرى على معاوية قيامه في قباله عليه السلام ـ (فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله ، وإن يك جوراً فأبوك أسّه ، ونحن شركاؤه وبهد به أخذنا ، وبفعله اقتدينا فعب أباك ما بدا لك أودع.

وفيه أيضاً ذكرت حق ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من نبي الله ونصرته له ومواساته إيّاه في كل خوف وهول ـ إلى أن قال ـ وقد كنا ـ وابوك معنا ـ في حيوة من نبيّنا نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا . فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده كان ابوك وفاروقه اوّل من ابتزّه وخالفه ، على ذلك اتّفقا واتّسقا ثم دعواه إلى أنفسهم فابطاعنهما وتلكا عليهما فهمّا به الهموم ، وأرادا به العظيم ، فبايع وسلّم لهما لا يشركانه ولا يطّلعانه على سرّهما حتّى قبضا ـ رواه المسعودي ونصر بن مزاحم وأشار إليه الطبري لكنّه كفّ عن نقله عناداً أو قال لا تحتمله العامة.

كما أنّ ما قاله من أنه عليه السلام أراد بامام الهدى نفسه صحيح لكن لم يرد نفسه بالخصوص بل مع عترته ، وكان عليه السلام ميزاناً في تميز المؤمنين من المنافقين من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي عترته (انّما انت منذر ولكلّ قوم هاد)[1]

(١) الرعد ٧.

«وولىّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم» قال تعالى «إنّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون[1]».

قال سبط ابن الجوزى فى تذكرته: ذكر الثعلبى فى تفسيره عن السدى، و عتبة بن أبى حكيم، و غالب بن عبد اللّه قالوا: انزلت آية (إنّما وليكم اللّه) فى على عليه السلام مرّ به سائل وهو فى المسجد راكع فأعطاه خاتمه.

وروى الثعلبى أيضاً مسنداً عن أبى ذر قال: صلّيت يوماً صلوة الظهر فى المسجد والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حاضر فقام سائل فسأل. فلم يعطه أحد شيئاً ـ إلى أن قال ـ فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم وأنا محمّد صفيك ونبيك فاشرح لى صدري، ويسّر لي أمري، و اجعل لى وزيراً من اهلى عليا اشدد به ازرى ـ قال أبوذر: فما استتم الكلام حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عند اللّه تعالى فقال يا محمّد اقرء «إنّما وليكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون».

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المتواتر «من كنت مولاه فعلى مولاه» قال سبط ابن الجوزى فى تذكرته: روى أحمد بن حنبل فى مسنده وفى فضائله، والترمذى فى سننه عن زاذان قال: سمعت علياً عليه السلام يقول فى الرحبة وهو ينشد الناس: انشد اللّه رجلاً سمع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى يوم غدير خم «من كنت مولاه فعلى مولاه» فقام ثلاثة عشر رجلا من الصحابه فشهدوا انّهم سمعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك

وروى فى فضائله عن رباح بن حارث قال: جاء رهط إلى على عليه السلام فقالوا: السلام عليك يا مولانا ـ وكان بالرحبة ـ فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ فقالوا: سمعنا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم «من كنت مولاه فعلى مولاه» ـ قال رباح: فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: نفر من الأنصار فيهم أبو ايوب الأنصارى صاحب النبىّ صلى الله عليه وآله.

وعن عبد الملك بن عطية العوفى قال: اتيت زيد بن ارقم فقلت له: ان ختناً

(١) المائدة ٥٥.

لی حدّثنی عنك بحديث فی شأن علی عليه السلام يوم الغدير وأنا أحبّ أن أسمعه منك فقال : إنّكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم فقلت : ليس عليك منّی بأس فقال : نعم كنّا بالجحفة ، فخرج النبی صلی الله عليه وآله وسلم علينا ظهرا وهو آخذ بعضد علی عليه السلام فقال : أيّها الناس ألستم تعلمون انّی اولی بالمؤمنين من أنفسهم فقالوا : بلی ، فقال « من كنت مولاه فعلی مولاه » قالها أربع مرات .

وعن البراء بن عازب قال : كنّا مع النبی صلی الله عليه وآله وسلم فنزلنا بغدير خم ، فنودی فينا الصلوة جامعة ، وكسح للنبی صلی الله عليه وآله وسلم بين شجرتين . فصلّی الظهر وأخذ بيد علی عليه السلام وقال « اللهم من كنت مولاه فهذا مولاه » قال : فلقيه عمر بعد ذلك فقال : هنيئا لك يا ابن ابی طالب اصبحت وامسيت مولای ومولی كلّ مؤمن ومؤمنة .

وفی تاريخ اعثم الكوفی — وهو من رجالهم أيضاً — أنّ ابن الزبير لمّا كان يحثّ خالته علی الخروج ، وانكر ان يكون النبی صلی الله عليه وآله وسلم قال : ان علياً ولی الناس قالت له أمّ سلمة : ان لم تكن سمعت ذلك فهذه خالتك عايشة سلها هل النبی صلی الله عليه وآله وسلم قال لعلی عليه السلام أنت خليفتی فی حياتی ، وبعد مماتی فقالت عايشة : نعم سمعت ذلك .

وفی استيعاب ابن عبد البر روی بريدة وابو هريره ، وجابر والبراء بن عازب ، وزيد بن ارقم كلّ واحد منهم عن النبی صلی الله عليه وآله وسلم قال يوم غدير خم : (من كنت مولاه فعلی مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) .

وفی اسد الغابة عن عبد الرحمن بن أبی ليلی قال : شهدت عليا فی الرحبة يناشد الناس انشد الله من سمع النبی صلی الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم : « من كنت مولاه فعلی مولاه » فاقام — قال عبد الرحمن : فقام اثنی عشر بدريا كأنی انظر الی احدهم عليه سراويل فقالوا : نشهد انّا سمعنا النبی صلی الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم « الست أولی بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجی أمهاتهم قلنا : بلی فقال : من كنت مولاه فعلی مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . »

« وعدوّ النبیّ صلی الله عليه وآله وسلم » قال (حد) جعل امير المؤمنين عليه السلام معاوية عدوّ

النبى صلى الله عليه وآله وسلم لكونه عدوه عليه السلام وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم له (ونيك وليى ، ووليى ولى الله ، و عدوك عدوى ، وعدوى عدو الله) ولان دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه ، ومن افعاله ، وقد قال اصحابنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة فلتطلب من كتبهم خصوصاً من كتب شيخنا أبى عبد الله وكتب أبى جعفر الاسكافى وأبى القاسم البلخى .

قلت : وان صح ما قاله من كون معاوية عدواً للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بما نكره من القياس الا انه كان عدواً له صلى الله عليه وآله وسلم بالاساس أيضاً روى المسعودى فى مروجه أن المغيرة بن شعبة قال لمعاوية : بلغت املك فلو اظهرت عدلاً . فقال له : انّ اخاها شم يصرح به فى كلّ يوم خمس مرات (اشهد ان محمداً رسول الله) فأىّ أمل يبقى مع هذا الا أمّ لك إلّا دفناً دفناً .

وفى الطبرى عن كتاب المأمون الذى امر بانشائه فى لعن معاوية (ومنه الحديث المرفوع المشهور عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن معاوية فى تابوت من نار فى اسفل درك منها ينادى يا حنان يا منان فيقال له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) .

وفى صفين نصر بن مزاحم مسنداً عن رجل شامى صحابى قال : سمعت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : شرّ خلق الله خمسة ابليس وابن آدم الذى قتل أخاه ، و فرعون والأوثاد ، ورجل من بنى اسرائيل ردّهم عن دينهم ، ورجل من هذه الامّة يبايع على كفره عند باب لدّ ـ قال الرجل : إنّى لمّا رأيت معاوية يبايع عند باب لدّ ذكرت قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلحقت بعلى عليه السلام فكنت معه .

« ولقد قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّى لا أخاف على امّتى مومناً ولا مشركاً أمّا المؤمن فيمنعه الله بايمانه ، وأمّا المشرك فيقمعه الله » : أى يقهره ويذلّه .

« بل ركه ، ولكنّى أخاف عليكم كلّ منافق الجنان[1] عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون » لقد صدق ـ صلوات الله عليه ـ فكن فتنة كانت فى الإسلام كانت من المسلمين الذين وصفهم عليه السلام حمل النبى صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر كصاحبه فى جيش أسامة لئلّا يوجب الفتنة بعد ذهاب تخلّف عنه مع تأكيداته حتّى لعن المتخلّف عن الجيش حتّى

(١) بالفتح : اى القلب .

ینال الامره ، ولما نال مرامه اراد التلبیس علی الناس بانه لا بد ان یجری امر النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی الجیش.

فروی کاتب الواقدی فی طبقاته عن ابن عمر أنّ النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم بعث سریة فیهم ابوبکر و عمر ، واستعمل علیهم أسامة . فکان الناس طعنوا فیه . فبلغ ذلک النبیّ صلی الله علیه وآله فصعد المنبر . فحمد الله واثنی علیه ، وقال : إنّ الناس طعنوا فی امارة ابیه من قبله ، وانهما لخلیقان لها — الخبر —

وفی الطبری نادی منادی أبی بکر من بعد الغد من متوفی النبی صلی الله علیه وآله وسلم لیتمّ بعث أسامة الا لا یبقین أحد من جند أسامة إلّا خرج إلی عسکره بالجرف.

وفیه ایضاً قال ابوبکر : لو خطفتنی الکلاب والذئاب لم أردّ قضاء قضی به النبیّ صلی الله علیه وآله .

وفیه أیضاً ان عمر قال له : ان الأنصار یطلبون إلیک ان تولّی أمرهم رجلاً اقدم سناً من أسامة . فوثب أبوبکر وکان جالساً فاخذ بلحیة عمر وقال له : ثکلتک امک وعدمتک یا ابن الخطاب استعمله النبی ، وتأمرنی أن انزعه .

وهذا عمر یقول النبی صلی الله علیه وآله وسلم : ایتونی بدواة وصحیفة اکتب لکم کتاباً لن تضلّوا بعده أبداً . فقال : دعوه انّه لیهجر .

وفی طبقات کاتب الواقدی عن ابن عباس قال : قال النبی صلی الله علیه وآله : هلّم اکتب لکم کتاباً لن تضلّوا بعده أبداً . فقال عمر : انّ رسول الله قد غلبه الوجع و عندکم القرآن حسبنا کتاب الله — إلی أن قال —

فکان ابن عباس یقول : ان الرزیة کل الرزیة ما حال بین رسول الله وبین أن یکتب لهم ذلک الکتاب من اختلافهم ولغطهم

ثم یقول ذلک الرجل من ولهه بزعمهم بعد قبض النبی صلی الله علیه وآله وسلم : انه ما مات ولکنّه غاب . ففی الطبری لما توفی النبی صلی الله علیه وآله وسلم قام عمر فقال : ان رجالاً من المنافقین

يزعمون ان رسول اللّه توفى ، وان رسول اللّه واللّه مامات ، ولكنّه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب أربعين ليلة . ثم رجع بعد ان قيل قد مات ، واللّه ليرجعن رسول اللّه . فليقطعن ايدى رجال ، وأرجلهم يزعمون ان رسول اللّه مات .

وانّما فعل ذلك ليصل اليه ابوبكر ـ وكان غائباً ـ حتى يدبّر امرا لسقيفة . وفى كتاب ابن عباس الى الحسن عليه السلام بعد أبيه (واعلم ان علياً اباك عليه السلام انّما رغّب الناس عنه إلى معوية انه آسى بينهم فى الفيئ ، وسوّى بينهم فى العطاء . فثقل عليهم واعلم أنّك تحارب من حارب اللّه ورسوله فى ابتداء الاسلام حتّى ظهر امر اللّه فلمّا وحّد الرب ومحق الشرك ، وعزّ الدين أظهروا الايمان وقرأوا القرآن مستهزئين بآياته ، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى ، وأدّوا الفرائض وهم كارهون فلمّا رأوا أنّه لا يعزّ فى الدين إلّا الأتقياء الأبرار توسّموا سيما الصالحين ليظنّ المسلمون بهم خيراً فما زالوا بذلك حتّى شركوهم فى أماناتهم ، وقالوا : حسابهم على اللّه فإن كانوا صادقين فإخواننا فى الدين ، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين ، وقد منيت بأولئك ، وبأبنائهم وبأشباههم ، واللّه ما زادهم طول العمر إلّا غيّاً ، ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلّا مقتاً .

٢/ فى ٣٢/ ١/ أَمَا وَاللّٰهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتّٰى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا عَجَزْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتّٰى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ مَالِي وَلِقُرَيْشٍ وَاللّٰهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ .

وفى ١٠٠/ ١/ وايمُ اللّٰهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتّٰى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا وَاسْتَوْثَقَتْ قِيَادُهَا مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ وَايمُ اللّٰهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتّٰى أُخْرِجَ

الْحَقّ مِنْ خاصرته

أقول: قاله عليه السلام في ذي قار لمّا أراد الجمل كما صرّح به في الأوّل.

«وايم الله» في الثاني بمعنى.

«أما والله» في الاول قال الجوهري: ايمن الله اسم وضع للقسم قال: و ربما حذفوا منه النون فقالوا: ايم الله و إيم الله أيضاً بكسر الهمزة

«إن كنت» في الأوّل بمعنى «لقد كنت» في الثاني لأنّ (ان) فيه مخففة من الثقيلة.

«لفي ساقتها» وفي الثاني «من ساقتها» كما في (حد، وثم) والخطية لا (في ساقتها) كما في المصرية، وساقه جمع سائق كقادة في قائد من ساقه الجيش، وفي الأساس رأيته يكرّ في سوق الحرب: أي في حومة القتال ووسطه.

«حتى ولت» هكذا في المصرية، والصواب (حتّى تولت) كما في (حد، وثم والخطية) وكما في الثاني: أي انقضت.

«بحذافيرها»: أي بأسرها وتمامها وجميع نواحيها.

قوله عليه السلام في الثاني «واستوثقت قيادها» هكذا في المصرية، والصواب، (واستوسقت في قيادها) كما في «حد، وثم، والخطية» وفي المصباح قال الخليل: القود أن يكون الرجل أمام الدابة آخذاً بقيادها ـ إلى أن قال ـ والمِقود بكسر الميم الحبل يقاد به والجمع مقاود، والقياد مثل المِقود ـ الخ ـ واستوسقت: اي اجتمعت و انتظمت.

قوله عليه السلام فيهما «ما ضعفت» هكذا في المصرية وفي (حد) ولكن في (ثم، والخطية) (ما عجزت) وكيف كان فالمراد انه عليه السلام لم يعجز ولم يضعف في سياقة غزوات الإسلام وسلطته كما عجز وضعف باقيهم.

وفي الارشاد روى أصحاب الآثار عن الحسن بن صالح عن الأعمش عن أبي عبد الله الجبلي قال: سمعت اميرالمؤمنين عليه السلام يقول: لمّا عالجت باب خيبر جعلته جنّاً

لى . فقاتلتهم به . فلمّا أخزاهم اللّه وضعت الباب على حصنهم طريقاً ثم رميت به فى خندقهم . فقال له رجل : لقد حملت منه ثقلاً . فقال : ما كان إلّا مثل جُنّتى الّتى فى يدى فى غير ذاك المقام ، وفيه يقول الشاعر :

انّ امرء حمل الرتاج بخيبر × يوم اليهود بقدرة لمؤيد
حمل الرتاج رتاج باب قموصها × والمسلمون و أهل خيبر حشّد
فرمى به ولقد تكلف ردّه × سبعون كلهم له يتشدّد
ردّوه بعد تكلّف و مشقّة × ومقال بعضهم لبعض اردد وا

«ولا جبنت» أى كما جبنوا ففى خيبر اخذ الراية اولا الأوّل ثمّ الثانى ورجعا منهزمين يجبّنان اصحابهما ويجبّنهما اصحابهما .

وفى الارشاد روى أبو محمّد الحسن بن محمّد بن جمهور قال : قرأت على أبى عثمان المازنى الشاعر :

بعث النبى برايه منصوره × عمر بن حنتمة الدلام الأدلما
فمضى بها حتى اذا برزوا له × دون القماص ثنى وهاب وأحجما
فاتى النبى برايه مردودة × الا تخوف عارها فتذمما
فكبى النبى له و انبّه بها × و دعا امرء حسن البصير مقدما
فغدا بها فى فيلق و دعا × له الا يصد بها وان لا يهزما
فزوى اليهود الى القموص وقد كسا × كبش الكتيبة ذا غرار مخذما
وثنى بناس بعدهم فقراهم × طلس الذئاب و كل نسر قشعما

«ولا خنت ولا وهنت» كما خان وو هن غيرى ، وفى السير لما انصرف النبىّ صلّى اللّه عليه وآله من احد إلى المدينة استقبلته فاطمة عليها السلام ومعها اناء فيه ماء فغسل به وجهه ولحقه على عليه السلام ـ وقد خضب الدم يده الى كتفه ومعه ذو الفقار فناوله فاطمة عليها السلام وقال لها خذى هذا السيف . فقد صدقنى اليوم وأنشأ يقول .

افاطم هاك السيف غير ذميم × فلست برعديد ولا بمليم

لعمري لقد اعذرت في نصر احمد × و طاعة رب بالعباد عليم
اميطي دماء القوم عنه فانّه × سقى آل عبد الدار كأس حميم

وقال لها النبي ص خذيه يا فاطمة فقد أدّى بعلك ما عليه ، وقد قتل اللّه بسيفه صناديد قريش ، فإذا كان النبيّ ص لمّا بعث اللّه تعالى كما قال قبل هذا الكلام ساق الناس حتّى بوّأهم محلّتهم ، وبلّغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم ، و اطمأنت صفاتهم وكان أميرالمؤمنين ع كما قال هنا معيناً له من أوّله إلى آخره ، و المتصدّي لغزواته ع بلا ضعف ولا جبن ، ولا خيانة ، ولا وهن كغيره ممّن ادعى الأمر في قباله كما ستعرف فلا بدّ بحكم العقل أن يكون هو خليفته وقائماً مقامه ، و من أنكر فقد كابر البداهة ، ومن قد خالف فقد خالف مقتضى العقول .

وقد صرّحت بذلك سيّدة النساء — صلوات اللّه عليها وعلى أبيها — فقالت في خطبتها يوم أبي بكر — كما في بلاغات أحمد بن أبي طاهر البغدادي من رجالهم (فانقذكم اللّه برسوله بعد اللتيا والّتي ، وبعد ما منى ببهم الرجال ، وذؤبان العرب ومَرَدة أهل الكتاب كلّما حشوا نارا للحرب اطفاها ، وكلما نجم قرن للضلال ، وفغرت ، فاغرة من المشركين قذف باخيه في لهواتها . فلا ينكفي حتّى يطأ صماخها بأخمصه ، ويخمد لهيبها بحدّه مكدوداً في ذات اللّه قريباً من رسول اللّه سيّداً في أولياء اللّه وأنتم في بلهنية وادعون آمنون حتّى اذا اختار اللّه لنبيّه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه ظهرت خلفة النفاق ، وسمل جلباب الدّين ، ونطق كاظم الغاوين — إلى آخرها .

وروى المصنّف في خصائصه باسناد مرفوع الى الأعمش عن عطية قال : لمّا خرج عمر لى الشام — وكان العباس معه يسايره — وكان من يستقبله ينزل . فيبدء بالعباس ، فيسلّم عليه يقدّر الناس أنّه الخليفة لجماله وبهائه وهيبته فقال له عمر : لعلك تقدّر أنّك أحق بهذا الأمر منّي . فقال له العبّاس : أحق به منّي ومنك من خلّفناه بالمدينة فقال عمر : من ذلك ، قال : من ضربنا بسيفه حتّى قادنا بالاسلام يعني علياً ع

و روى أبو بكر بن الأنباري في اماليه — ونقله (حد) في موضع آخر — أنّ علياً

عليه السلام جلس إلى عمر فى المسجد ، وعنده ناس . فلمّا قام عرّض واحد بذكره ، و نسبه إلى التيه والعجب . فقال عمر : حق لمثله أن يتيه ، واللّه لولا سيفه لما قام عمود الإسلام ، وهو بعد أقضى الأمّة ، وذو سابقتها وشرفها . فقال له ذلك القائل : فما منعكم عنه قال : كرهناه على حداثة السن وحبّه بنى عبد المطلب .

قلت : لقد أجابه ابن عباس عن حداثة سنّه بأنّ اللّه تعالى ما استحدث سنّ حيث انزل جبرئيل ليأخذ سورة براءة من صاحب أبى بكر ، وأما حبّه بنى عبد المطلب . فهل كان الّا حبّ أهل بيت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ومن قال تعالى فيهم « قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى[1] » كره الرجل منه عليه السلام حبّه لبنى عبد المطلب أقارب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وأحبّائه . فلم يدع يصل الأمر اليه ، ولم يكره من عثمان تهالكه وتفديته نفسه لبنى أُمية أعداء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وأعداء الإسلام فدبّر الأمر له ، والحكم اللّه تعالى .

و روى محمّد بن بابويه فى خصاله عن محمّد بن الحنفية ، أنّ رأس اليهود أتى إلى أمير المؤمنين عليه السلام عند منصرفه من وقعة النهروان ، وهو جالس فى مسجد الكوفة فقال له : انّى أُريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبىّ أو وصى نبىّ . قال : سل عمّا بدا لك يا أخا اليهود . قال : أنا نجد فى الكتب أنّ اللّه ـ عزّوجلّ ـ إذا بعث نبيّاً أوحى إليه أن يتّخذ من أهل بيته من يقوم بأمر أمّته من بعده ، وأن بعهد إليهم فيه عهداً يحتذى به ويعمل به فى أُمته من بعده ، وأنّ اللّه ـ عزّوجلّ ـ يمتحن الأوصياء فى حيوة الأنبياء ، ويمتحنهم بعد وفاتهم ـ إلى أن قال ـ

فقال له على عليه السلام : إنّ اللّه تعالى يمتحن الأوصياء فى حيوة الأنبياء فى سبعة مواطن ليبتلى طاعتهم . فإذا رضى طاعتهم ومحنتهم أمر الأنبياء أن يتّخذوهم أولياء فى حيوتهم ، وأوصياء بعد وفاتهم ـ إلى أن قال ـ

قال الرجل : صدقت . فأخبرنى كم امتحنك اللّه فى حيوة محمّد وكم امتحنك بعد وفاته وإلى ما يصير آخر أمرك ؟ فأخذ على بيده وقال : انهض انبّئك . فقام إليه

(١) الشورى ٢٣ .

جماعة من أصحابه . فقالوا : انبئنا بذلك معه . فقال : انى أخاف ألا تحتملقلوبكم قالوا : ولم قال : لأمور بدت من كثير منكم . فقام اليه الأشتر فقال له عليه السلام : انبئنا بذلك فوالله إنا لنعلم أنه ما على ظهر الأرض وصى نبى سواك ، وانا لنعلم أن الله تعالى لا يبعث بعد نبينا صلى الله عليه وآله نبياً ، وان طاعتك موصولة بطاعة نبينا . قال : فجلس على عليه السلام واقبل على اليهودى وقال له إن الله — عزوجل — امتحننى فى حيوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله فى سبعة مواطن فوجدنى فيهن — من غير تزكية لنفسى — بنعمة الله — مطيعاً قال : فيهو فيم .

قال : أما أولهن : فان الله — عزوجل — أوحى إلى نبينا وأنا أحدث أهل بيته سناً أخدمه فى بيته ، وأسعى فى قضاء حوائجه بين يديه فى أمره ، فدعا صغير بنى عبد المطلب وكبيرهم إلى شهادة ألا إله إلا الله ، وأنه رسوله فامتنعوا من ذلك ، وأنكروا عليه وهجروه ، ونابذوه ، واعتزلوا ، واجتنبوه ، وساير الناس متصبن له ، ومخالفين عليه قد استعظموا ما أورده عليهم مما لم تحتمله قلوبهم ، وتدركه عقولهم . فاجبته وحدى مسرعاً إلى ما دعا إليه مطيعاً موقناً لم يخالجنى شك فى ذلك ، فمكثنا بذلك ثلاث حجج ، وما على وجه الأرض خلق يصلى أو يشهد له بما أتاه غيرى وغير ابنة خويلد رحمها الله — وقد فعل .

— ثم أقبل على أصحابه فقال : أليس كذلك تالوا : بلى يا أمير المؤمنين .

فقال : وأما الثانية : فان قريشاً لم تزل تجيل الآراء ، وتعمل الحيل فى قتل النبى صلى الله عليه وآله حتى كان آخر ما اجتمعت فى ذلك يوم الدار دار الندوة بليس اللعين حاضر فى صورة أعور ثقيف ، فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتى اجتمعت آراءها على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجل ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ثم يأتى النبى صلى الله عليه وآله وهو نائم على فراشه . فيضربونه بأسيافهم ضربة رجل واحد فيقتلوه واذا قتلوه منعت قريش رجالها ، ولم تسلمها فيمنى دمه هدراً فهبط جبرئيل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وآله فأنبأه بذلك ، وأخبره بالليلة التى يجتمعون فيها والساعة التى

يأتون مراشموأمره بالحروج فى الوقت الّذى خرج فيه إلى الغار . فاخبرنى النبىّ صلّى اللّه عليه وآله بالخبر وأمرنى أن اضطجع فى مضجعه واقيه بنفسى . فاسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً بأن أقتل دونه فمضى النبىّ ﷺ لوجهه واضطجعت فى مضجعه ، وأقبلت رجالات قريش موقنة فى أنفسهما أن تقتل النبى ﷺ فلما استوى بى وبهم البيت الّذى أنا فيه ناهضتهم بسيفى ، فدفعتهم عن نفسى بما قد علمه اللّه

ثم أقبل عليه السلام على أصحابه فقال : أليس كذلك قالوا : بلى ـ

فقال عليه السلام : وأمّا الثالثة يا اخا اليهود فإنّ ابنى ربيعة والوليد بن عتبة ـ و كانوا فرسان قريش ـ دعوا إلى البراز يوم بدر فلم يبرز لهم خلق من قريش . فانهضنى مع صاحبَىّ ـ رضى اللّه عنهما ـ وقد فعل وأنا أحدث أصحابى سنّاً وأقلهم للحرب تجربة فقتل اللّه ـ عزّ وجلّ ـ بيدى وليداً وشيبة سوى من قتلت من حجاج قريش فى ذلك اليوم ، وسوى من أسرت وكان منّى أكثر ممّا كان من أصحابى واستشهد ابن عمى فى ذلك ـ رحمة اللّه عليه ـ

ـ ثم التفت إلى أصحابه فقال : أليس كذلك قالوا : بلى ـ

فقال وأمّا الرابعة : فإنّ أهل مكة أقبلوا إلينا على بكرة أبيهم قد استجابوا من يليهم من قبائل العرب طالبين بثار مشركى قريش فى يوم بدر . فهبط جبرئيل عليه السلام على النبىّ ﷺ فأنبأه بذلك . فذهب النبىّ ﷺ وعسكر بأصحابه فى سدّ احد ، وأقبل المشركون إلينا فحملوا علينا حملة رجل واحد ، و استشهد من المسلمين من استشهد ، وكان من بقى ، من المنهزمة ، وبقيت مع النبىّ ﷺ ، ومضى المهاجرون والأنصار إلى المدينة كلّ يقول قتل النبى وقتل أصحابه . ثم ضرب اللّه عزّ وجلّ ـ وجوه المشركين ، وقد جرحت بين يدى النبىّ ﷺ نيّفا وسبعين جرحة منها هدموهده ـ ثم ألقى عليه السلام ردائه وأمرّيد معلى جراحاته ـ وكان منّى فى ذلك ما على اللّه عزوجل ثوابه ، ثم التفت الى اصحابه ، فقال : اليس كذلك؟ قالوا : بلى

فقال : واما الخامسه يا اخا اليهود ، فان قريشا والعرب تجمعت وعقدت

المطلب

عقداً ، وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل النبى ص وتقتلنا معا شر بنى عبد معه ، ثم أقبلت بحدّها وحديدها حتى أناخت علينا بالمدينة واثقة بأنفسها فى ما توجّهت له ، فهبط جبرئيل ع على النبىّ ص فأنبأه بذلك فخندق على نفسه و من معه من المهاجرين والأنصار ، فقدمت قريش فأقامت على الخندق محاصرة لنا ترى فى أنفسهما القوّة وفينا الضعف ترعد وتبرق ، والنبىّ ص يدعوها إلى الله تعالى ويناشدها بالقرابة والرحم فتأبى ، ولا يزيدها ذلك إلّا عتواً ، وفارسها وفارس العرب يومئذٍ عمرو بن عبد ود يهدر كالبعير المغتلم ، يدعو إلى البراز ، ويرتجز ، ويحطم برمحه مرة ، وبسيفه مرة ، لا يقدم عليه مقدم ولا يطمع فيه طامع ، ولا حميّة تهيجه ، ولا بصيرة تشجّعه ، فأنهضنى إليه النبىّ ص وعمّمتنى بيده وأعطانى سيفه هذا وضرب بيده إلى ذى الفقار فخرجت إليه ، ونساء أهل المدينة توالى أشفاقاً علىّ من ابن عبد ود فقتله الله عزّ وجلّ بيدى ، والعرب لا تعدّ لها فارساً غيره ، وضربنى هذه الضربة فى أومىء بيده إلى هامته فهزم الله قريشاً والعرب بذلك وبما كان منى فيهم من النكاية

ـ ثم التفت عليه السلام إلى اصحابه فقال : أليس كذلك قالوا : بلى ـ

فقال : وأمّا السادسة : يا أخا اليهود فإنّا وردنا مع النبىّ صلى الله عليه وآله مدينة أصحابك خيبر على رجال من اليهود ، وفرسانها من قريش ، وغيرها ، فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح ، وهم فى أمنع واد ، وأكثر عدد كلّ ينادى ويدعو ، ويبادر الى القتال . فلم يبرز اليهم أحد من أصحابه إلّا قتلوه حتى اذا احمرّت الحدق ودعيت إلى النزال ، واهمّت كل امرئ نفسه ، والتفت بعض أصحابه إلى بعض ، وكل يقول : يا ابا الحسن انهض انهضنى النبىّ صلى الله عليه وآله إلى دارهم . فلم يبرز الىّ أحد منهم إلا قتلته ، ولا يثبت لى فارس إلّا طحنته ، ثم شددت عليهم شدّة الليث على فريسته حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مشدداً عليهم ، فاقتلعت باب حصنهم بيدى حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدى اقتل من بظهر فيها من رجالها ، واسبى من أجد من نسائها حتى أفتتحتها وحدى ، ولم يكن لى فيها معاون الّا الله وحده .

ثم التفت عليه السلام الى اصحابه فقال : أليس كذلك قالوا : بلى ـ

قال : وأما السابعة : فإن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا توجّه لفتح مكة أحب أن يعد راليهم ويدعوهم الى الله ـ عزّوجلّ ـ آخراً كما دعاهم أوّلاً فكتب إليهم كتاباً يحدّرهم فيه ، و ينذرهم عذاب الله ، ويعدهم الصفح ، ويمنّيهم مغفرة ربهم ـ ونسخ لهم فى آخره سورة براءة ليقرؤها عليهم ثمّ عرض على جميع أصحابه المضى به فكلهم يرى التثاقل فيهم فلمّا رأى ذلك ندب منهم رجلاً . فوجّهه به فأتاه جبرئيل فقال : يا محمّد لا يؤدّى عنك الّا أنت أو رجل منك . فأنبأنى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، ووجّهنى بكتابه ورسالته إلى أهل مكة ، وأهلها من قد عرفتم وليس أحد منهم الّا ولو قد رأن يضع كل جبل منى اربا لفعل ، ولو أن يبذل فى ذلك نفسه وأهله وولده وماله فبلّغتهم رسالة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وقرات عليهم كتابه ، فكلهم يلقانى بالتهدد والوعيد ويبدى لى البغضاء ، ويظهر الشحناء من رجالهم ، ونسائهم ، فكان منى فى ذلك ماقد رأيتم .

ـ ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال : اليس كذلك قالوا : بلى ـ الخبر .

وفى العقد الفريد عن الشعبى ـ فى وفود ام الخير بنت حريش على معاوية وسؤال معاويه اصحابه عن كلامها فى صفين فذكر له بعضهم كلامها ، و من جملته (فإلى أين تريدون ـ رحمكم الله ـ عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره ، وأبى سبطيه خلق من طينته ، وتفرع من نبعته . الّذى جعله باب دينه ، وأبان ببغضه المنافقين وهاهو ذا مفلق الهام ، ومكسّر الأصنام ، صلّى والناس مشركون ، وأطاع والناس كلهم كارهون . فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وافنى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرّق به جمع أهوائهم ، فيالها من وقايع زرعت فى قلوب نفاقاً وردّة وشقاقاً ، وزادت المؤمنين ايماناً) ـ الخبر ـ

وفى بلاغات نساء احمد بن ابى طاهر البغدادى فى قصة منع ابى بكر فدك من فاطمة عليها السلام ـ (لاثت خمارها على راسها ، وأقبلت فى لمة من حفدتها تطأ ذيولها ما تحرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً حتّى دخلت على أبى بكر وهو فى حشد من ـ

ج ٤ بهج الصباغة ـ ١ ـ

المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها ملاة. ثم انّت انّةً أجهش القوم لها بالبكاء، وارتجّ المجلس. فامهلت حتى سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم. فافتتحت الكلام بحمد اللّه والثناء عليه والصلوة على رسوله - فعاد القوم في البكاء. فلما امسكوا عادت فى كلامها. فقالت: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنّتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تعرفوه تجدوه أبى دون آباءكم وأخا ابن عمّى دون رجالكم فبلّغ النذارة صادعاً بالرسالة ماثلاً على مدرجة المشركين ضارباً لثبجهم آخذاً بكظمهم. يهشم الأصنام، وينكت الهام حتّى هزم الجمع وولّوا الدبر، وتفرى الليل عن صبحه، واسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين. وخرست شقاشق الشياطين وكنتم على شفا حفرة من النار. فانقذكم اللّه برسوله بعد اللتيا والتى، وبعد ما منى ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب كلّما حشوا ناراً للحرب اطفأها وكلّما فغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه فى لهواتها، فلا ينكفى حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحده مكدوداً فى ذات اللّه قريباً من رسول اللّه سيّداً فى أولياء اللّه، وأنتم فى بلهنيه وادعون آمنون - الخبر

وقال محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد فى ارشاده - فى ذكر غزوات النبىّ صلّى الله عليه واله وأنّ الفتح فيها كان على يد أمير المؤمنين عليه السلام - (غزاة بدر اول حرب كان به الامتحان، وملات رهبةً صدور المعدودين من المسلمين فى الشجعان، وراموا التأخر عنها لخوفهم منها، وكراهتهم لها على ما جاء به محكم الذكر فى التبيان حيث يقول جل اسمه «كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ وأنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كانّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» - إلى أن قال -

ولم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقتل واحداً بعد واحد حتّى أتى على شطر المقتولين - وكانوا سبعين رجلاً - تولّى كافة من حضر بدراً من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملئكة المسوّمين قتل الشطر منهم، وتولّى أمير المؤمنين عليه السلام قتل الشطر

الآخر وحده بمعونة الله تعالى له وتأييده وتوفيقه ونصره ، وكان الفتح له بذلك على يديه وقد أثبتت رواة العامة والخاصة أسماء الذين تولى عليه السلام قتلهم على اتفاق فى ما نقلوه ـ فكان ممن سموه :

١ ـ الوليد بن عتبة ، وكان شجاعاً جريئاً وقاحاً فاتكا تهابه الرجال .

٢ ـ والعاص بن سعيد وكان هولاً عظيماً تهابه الأبطال وهو الذى حاد عنه عمر

٣ ـ وطعيمة بن عدى بن نوفل ، وكان من رؤوس اهل الضلال .

٤ ـ ونوفل بن خويلد ، وكان من أشد المشركين عداوة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وكانت قريش تقدمه وتعظمه وتطيعه ـ وهو الذى قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة بمكة و اوثقهما بحبل وعذبهما يوماً إلى الليل حتى سئل فى أمرهما ولما عرف النبى صلى الله عليه وآله وسلم حضوره بدراً سأل الله تعالى أن يكفيه أمره فقال : اللهم اكفنى نوفل بن خويلد . فقتله أمير المؤمنين .

٥ ـ وزمعة بن الاسود . ٦ ـ وعقيل بن الأسود . ٧ ـ والحارث بن زمعة . ٨ ـ والنضر بن الحارث بن عبد الدار . ٩ ـ وعمير بن عثمان بن كعب ابن تيم ، عم طلحة . ١٠ / ـ ١١ / ـ وعثمان ومالك ابنا عبيد الله ، أخوا طلحة .

١٢ ـ ومسعود بن أبى أمية بن المغيرة . ١٣ ـ وحنظلة بن أبى سفيان . ١٤ ـ وعمرو بن مخزوم . ١٥ ـ وابو المنذر بن أبى رفاعة . ١٦ ـ ومنبه بن الحجاج ـ السهمى ١٧ ـ والعاص بن المنبه . ١٨ ـ وعلقمة بن كلده ١٩ ـ و ابو العاص بن قيس بن عدى . ٢٠ ـ ومعاوية بن المغيرة بن أبى العاص . ٢١ ـ ولوذان بن ربيعة . ٢٢ ـ وعبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة . ٢٣ ـ ومسعود بن اميّة بن المغيرة . ٢٤ ـ وحاجب بن السائب بن عويمر . ٢٥ ـ وأوس بن المغيرة ابن لوذان . ٢٦ ـ وزيد بن مليص . ٢٧ ـ وعاصم بن ابى عوف . ٢٨ ـ وسعيد ابن وهب حليف بنى عامر . ٢٩ ـ ومعاوية بن عبد القيس ٣٠ ـ وعبد الله ابن جميل بن زهير بن الحارث بن اسد . ٣١ ـ والسائب بن مالك . ٣٢ ـ وأبو

الحكم بن الاخنس. ۳۳ــ وهشام بن أبي امية بن المغيرة ، فذلك ثلاثة وثلاثون رجلاً . سوى من اختلف فيه أو شرك عليه السلام فيه غيره ، و هم أكثر من شطر المقتولين ببدر .

وفي ما صنعه عليه السلام ببدر وقال اسيد بن ابي أياس يحرّض مشركي قريش عليه :

في كلّ مجمع غاية اخزاكم × جذع ابتر على المذاكي القرح
لله دركم المّا تنكروا × قد ينكر الحر الكريم و يستحى
هذا ابن فاطمة الّذى افناكم × ذبحاً وقتلاً قعصة لم يذبح
اعطوه خرجا واتّقوا تضريبه × فعل الذليل وبيعة لم تربح
اين الكهول واين كل دعامة × في المعضلات واين زين الابطح
افناهم قعصاً و ضرباً يعترى × بالسيف يعمل حدّه لم يصفح

قال المفيد : ثم تلت بدراً غزاة اُحد ، وكان الفتح له في هذه الغزاة كما كان له ببدر سواء واختص بحسن البلاء فيها والصبر وثبوت القدم عند ما زلّت من غيره الاقدام ، وكان له من العناء بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يكن لسواه من اهل الإسلام ، و قتل الله بسيفه ورؤس أهل الشرك والضلال ، وفرّج الله به الكرب عن نبيّه ، و خطب بفضله عليه السلام في ذلك المقام جبرئيل عليه السلام في ملئكة الأرض والسماء وابان نبي الهدى عليه السلام من اختصاصه عليه السلام بما كان مستوراً عن عامة الناس ــ إلى أن قال ــ :

قال الراوي للحديث وهو زيد بن وهب : قلت لابن مسعود : انهزم الناس عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى لم يبق معه إلّا علىّ بن أبي طالب ، وأبو دجانة وسهل بن حنيف فقال : انهزم الناس إلّا علي بن أبي طالب وحده ، وثاب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نفر ، وكان أولهم عاصم بن ثابت ، وأبو دجانة ، وسهل بن حنيف ، ولحقهم طلحة بن عبيد الله فقلت له : واين كان أبوبكر و عمر؟ قال : كانا ممّن تنحى . قلت : واين كان عثمان؟ قال جاء بعد ثلاثة من الوقعة . فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لقد ذهبت فيها عريضة. فقلت له

واين كنت؟ قال : كنت ممّن تنحّى قلت : ان ثبوت على عليه السلام في ذلك المقام لعجب فقال : ان تعجبت من ذلك . فقد تعجبت منه الملئكة اما علمت انّ جبرئيل قال فى ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء : لا سيف إلّا ذو الفقار ، ولا فتى إلّا علىّ قلت : فمن أين علم ذلك من جبرئيل . فقال : سمع الناس صائحاً يصيح فى السماء بذلك . فسألوا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عنه . فقال : ذاك جبرئيل .

قال : وروى سلام بن مسكين عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : لو رأيت مقام على عليه السلام يوم أحد لوجدته قائماً على ميمنة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يذبّ عنه بالسيف ، و قد ولّى غيره الأدبار .

قال : وروى محمّد بن مروان عن عمارة عن عبد الله قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : لمّا انهزم الناس يوم أحد عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم — إلى أن قال — فنظر النبىّ صلّى الله عليه وآله الى كتيبة قد اقبلت إليه . فقال لى : ردّ عنّى ياعلى هذه الكتيبة . فحملت عليها بسيفى اضربها يميناً وشمالاً حتّى ولّوا الأدبار . فقال لي النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : اما تسمع مديحك فى السماء ان ملكاً يقال له : رضوان ينادى لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا على » فبكيت سروراً ، وحمدت الله تعالى على نعمته .

قال : وفى حديث عمران بن حصين لمّا تفرّق الناس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد جاء على عليه السلام متقلداً سيفه حتّى قام بين يديه فرفع النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأسه اليه فقال له : ما بالك لم تفرّ مع الناس . فقال : أرجع كافراً بعد اسلامى فأشار النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم له إلى قوم انحدروا من الجبل . فحمل عليهم فهزمهم . ثم أشار إلى قوم آخر فحمل عليهم فهزمهم . فجاء جبرئيل عليه السلام فقال للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : لقد عجبت الملئكة وعجبنا معها من حسن مواساة على عليه السلام لك بنفسه . فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : وما يمنعه من هذا وهو منّى وأنا منه . فقال جبرئيل له : وأنا منكما .

قال وقد ذكر أهل السير قتلى أحد من المشركين وكان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السلام . فروى عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله عن محمّد ابن

اسحق قال : كان صاحب لواء قريش يوم أحد طلحة بن أبى طلحة من عبد الدار قتله على بن أبى طالب ، وقتل ابنه أبا سعيد بن طلحة ، وقتل أخاه كلدة بن أبى طلحة وقتل عبد الله بن حميد من اسد بن عبد العزى ، وقتل ابا الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفى ، وقتل الوليد بن أبى حذيفة بن المغيرة ، وقتل أخاه أُميّة بن أبى حذيفة ، وقتل أرطاة بن شرحبيل ، وقتل هشام بن أُميّة ، و عمرو بن عبد الله الجمحى وبشر بن مالك ، وقتل ثواباً مولى بنى عبد الدار ، وكان الفتح له أولاً ، و رجوع الناس من هزيمتهم الى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى الآخر بمقامه يذبّ عنه دونهم ، وتوجّه العتاب من الله تعالى الى كافّتهم بهزيمتهم يومئذٍ سواه ، ومن ثبت معه من رجال الأنصار ، وكانوا ثلاثة ، وقيل : اربعة او خمسة — قال : وفى قتله عليه السلام من قتل يوم أُحد ، وعنائه فى الحرب ، وحسن بلائه يقول الحجاج بن علاط السلمى :

لله اى مذبّب عن حزبه × اعنى ابن فاطمة المعمّ المخولا
جادت يداك بعاجل طعنة × تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم × بالسفح اذ يهوون اسفل اسفلا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن × لتردّه حرّان حتى ينهلا

قال : ولمّا توجّه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى بنى النضير عمد على حصارهم فضرب قبّته فى اقصى بنى حطمة من البطحاء . فلما جنّ الليل رمى رجل منهم اليهم بسهم فاصاب القبّه ، فأمر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يحوّل قبّته الى السفح ، واحاط به المهاجرون والأنصار فلما فقد الظلام فقد وا أمير المؤمنين عليه السلام . فقالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : لا نرى علياً . فقال صلّى الله عليه وآله : أراه فى بعض ما يصلح شأنكم فلم يلبث أن جاء برأس اليهودى الّذى رمى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم — وكان يقال له عزوّر — فطرحه بين يدى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم — فقال له : كيف صنعت يا أبا الحسن . فقال عليه السلام : إنى رايت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً . فكمنت له وقلت : ما أجراه ان يخرج اذا اختلط الليل يطلب مغاورة . فاقبل مصلتاً بسيفه فى تسعة نفر من اليهود . فشددت عليه ، وعلته . فافلت أصحابه ، و لم

يبرحوا قريباً فابعث معى نفراً فاتّى أرجو أن أظفر بهم ، فبعث معه عشرة فيهم أبو دجانة وسهل بن حنيف . فادركوهم قبل أن يلجوا الحصن . فقتلوهم وجاءوا برؤسهم إليه . فأمر أن تطرح فى بعض آبار بنى حطمة ، وكان ذلك سبب فتح حصون بنى - النضير - وفى تلك اللّيلة قتل كعب بن أشرف ، واصطفى النبىّ ﷺ أموال بنى - النضير ، وكانت أول صافية قسّمها النبىّ ﷺ بين المهاجرين الاوّلين ، وأمر علياً عليه السلام فحاز ماله منها فجعله صدقة ، وكان فى يد ممدّ حياته عليه السلام ثم فى يد أمير المؤمنين عليه السلام بعده ، وهو فى يد ولد فاطمة عليها السلام حتى اليوم - وفى ما كان من أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الغزاة وقتله اليهودى ومجيئه إلى النبىّ ﷺ برؤوس النفر التسعة يقول حسان بن ثابت .

للّه اى كريهة ابليتها × ببنى قريظة والنفوس تطلّع

اودى رئيسهم وآب بتسعة × طوراً يشلّهم وطوراً يدفع

قال : وكانت غزوة الأحزاب بعد بنى النضير ، وذلك انّ جماعة من اليهود ، منهم سلام بن أبى الحقيق النضيرى ، وحىّ بن اخطب ، وكنانة بن الربيع ، و هودة بن قيس الوالبى ، وابو عمارة الوالبى فى نفر من بنى والبة خرجوا حتى قدموا مكّة . فصاروا إلى أبى سفيان لعلمهم بعداوته للنبىّ ﷺ وتسرّعه إلى قتاله فذكروا له ما نالهم منه وسألوه المعونة لهم على قتاله . فقال لهم : انا لكم حيث تحبّون . فاخرجوا إلى قريش فادعوهم الى حربه ، واضمنوا النصرة لهم والثبوت معهم حتى تستاصلوه فطافوا على وجوه قريش ، ودعوهم الى حرب النبىّ ﷺ وقالوا لهم : أيدينا مع أيديكم ، ونحن معكم حتى نستأصله - ثم خرجوا حتى جاؤا غطفان ، وقيس عيلان ، فدعوهم الى حربه ، و ضمنوا لهم النصرة والمعونة ، واخبروهم باتّباع قريش لهم على ذلك ، واجتمعوا - معهم - وخرجت قريش وقائدها اذ ذاك أبو سفيان ، وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن فى بنى فزارة ، والحرث بن عوف فى بنى مرّة ، ومرة بن طريف فى قومه من اشجع . فلما سمع النبىّ ﷺ باجتماع الاحزاب عليه ، وقوة عزيمتهم فى حربه

استشار أصحابه ، فاجتمع رأيهم على المقام بالمدينة ، وحرب القوم ان جاؤا إليهم على انقابها ، فاشار سلمان — رحمه الله — على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالخندق — إلى أن قال —

روى الواقدي عن عبد الله بن جعفر بن أبي عون عن الزهري قال: جاء عمرو بن عبد ود ، وعكرمة بن ابي جهل ، وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله ابن المغيرة ، وضرار بن الخطاب في يوم الخندق فجعلوا يطوفون به يطلبون مضيقا منه . فيعبرون حتى انتهوا الى مكان اكرهوا خيولهم فيه فعبرت ، وجعلوا يجيلون خيولهم في ما بين الخندق وسلع والمسلمون وقوف لا يقدم منهم احد عليهم - وجعل عمرو بن عبد ود يدعوا الى البراز ويعرّض بالمسلمين ويقول :

ولقد بححت من النداء × بجمعهم هل من مبارز

وفي كل ذلك يقوم علي بن أبي طالب عليه السلام ليبارزه فيأمره بالجلوس انتظارا منه ليتحرك غيره ، والمسلمون كأنّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو بن عبد ود ، والخوف منه ، وممّن معه ، ومن وراءه ، فلمّا طال نداء عمرو بالبراز ، وتتابع قيام علي عليه السلام قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ادن مني باعلى . فدنا منه . فنزع عمامته من رأسه ، وعممه بها ، وأعطاه سيفه ، وقال له : امض لشانك ثم قال : اللهم اعنه . فسعى نحو عمرو ومعه جابر الأنصاري لينظر ما يكون منه ، ومن عمرو . فلما انتهى عليه السلام إليه قال له يا عمرو انك كنت في الجاهلية تقول : لا يدعوني أحد الى ثلاث ، واللات والعزى الا قبلتها أو واحدة منها قال : اجل قال : فاني ادعوك الى شهادة ألا اله الا الله وأنّ محمداً رسوله ، وان تسلم لرب العالمين قال : يا ابن أخي أخّر هذه عنّي فقال عليه السلام : اما انها خير لك لو اخذتها — ثم قال : فهي لنا اخرى قال : وما هي ؟ قال : ترجع من حيث جئت . قال : لا تحدّث نساء قريش بهذا ابداً — قال : — فهي لنا اخرى . قال : وما هي ؟ قال : فتنزل وتقاتلني . فضحك عمرو وقال : انّ هذه الخصلة ما كنت أظنّ أنّ أحداً من العرب يرومني عليها إنّي لأكره أن أقتل الرجل الكريم

مثلك ، وقد كان ابوك لى نديماً قال عليه السلام : لكنى احبّ ان اقتلك . فانزل ان شئت فاسف عمرو ، ونزل وضرب وجه فرسه حتى رجع ـ قال جابر : فثارت بينهما قترة فما رأيتهما فسمعت التكبير تحتها . فعلمت أنّ علياً عليه السلام قد قتله . فانكشف أصحابه حتّى طفرت خيولهم الخندق ، وتبادر اصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حين سمعوا التكبير ينظرون ماصنع القوم . فوجدوا نوفل بن عبد الله فى جوف الخندق لم ينهض به فرسه . فجعلوا يرمونه بالحجارة . فقال لهم : قتلة اجمل من هذه ينزل إلىّ بعضكم اقاتله . فنزل اليه أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم . فضربه حتى قتله ، ولحق هبيرة فاعجزه ، وسقطت درع كانت له ، وفرّ عكرمة ، وهرب ضرار بن الخطاب ـ فقال جابر . فما شبّهت قتل على عليه السلام عمراً إلّا بما قصّ الله تعالى من قصّة داود وجالوت حيث يقول جل شأنه « فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت »[1] .

قال : وقد روى قيس بن الربيع قال : حدّثنا ابو هرون العبدى عن ربيعة السعدى قال : اتيت حذيفة بن اليمان . فقلت له : ياعبد الله انا لنتحدّث عن على ومناقبه . فيقول لنا اهل البصرة : إنّكم لتفرطون فى على فهل انت محدّثى بحديث فيه فقال حذيفة : يا ربيعة ، وما تسألنى عن علىّ فوالّذى نفسى بيده لو وضع جميع اعمال اصحاب محمّد فى كفة من الميزان منذ بعث الله محمّداً إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل على عليه السلام فى الكفة الأخرى لرجح عمل على عليه السلام على جميع اعمالهم . فقال ربيعة : هذا الّذى لا يقام له ، ولا يقعد فقال حذيفة : يالكع كيف لا تحمل وابن كان ابوبكر وعمر وحذيفة ، وجميع أصحاب محمّد يوم عمرو بن عبد ود ، وقد دعا إلى المبارزة . فاحجم الناس كلهم ماخلا علياً عليه السلام فإنّه برز إليه وقتله الله على يده ، والّذى نفس حذيفة لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل اصحاب محمّد إلى يوم القيمة .

قال : وروى عمر بن ابى الأزهر عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنّ علياً عليه السلام لمّا

(١) البقرة ٢٥١

قتل عمروبن عبد ود اجتزّرأسه وحمله فألقاه بين يدى النبىّ ﷺ فقام ابوبكر و عمر فقبّلا رأس على عليه السلام .

و روى على بن الحكم الاودى قال : سمعت أبا بكربن عياش يقول : لقد ضرب على عليه السلام ضربة ماكان فى الاسلام أعزّ منها ، ولقد ضرب عليه السلام ضربة ماضرب فى الاسلام أشأم منها يعنى ضربة ابن ملجم لعنه الله له .

قال : وفى الأحزاب أنزل تعالى (إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون زلزلوا زلزالاً شديداً واذ يقول المنافقون والّذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا اللّه و رسوله إلّا غرورا — إلى — وكفى اللّه المؤمنين القتال و كان اللّه قويّاً عزيزا (۱) فتوجّه العتب إليهم ، والتوبيخ والتفريع ، ولم ينج من ذلك أحد بالاتّفاق إلّا اميرالمؤمنين عليه السلام اذ كان الفتح له وعلى يديه ، وكان قتله عليه السلام عمراً ، ونوفل بن عبد اللّه سبب هزيمة المشركين وقال النبىّ ﷺ بعد قتله عليه السلام هؤلاء : الآن نغزوهم ولا يغزونا .

قال : وقد روى يوسف بن كليب ، عن سفيان بن زيد ، عن قرة و غيره ، عن عبد اللّه ابن مسعود انه كان يقرء « وكفى اللّه المؤمنين القتال بعلى وكان اللّه قويا عزيزاً — وفى قتل عمروبن عبد ود يقول حسّان بن ثابت :

امسى الفتى عمروبن عبد ود يبتغى × بجنوب يثرب غارة لم تنظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة × ولقد وجدت جيادنا لم تقصر

ويقال : انه لمّا بلغ شعر حسّان بنى عامر أجابه فتى منهم . فقال : يردّ عليه فى افتخاره بالأنصار :

كذبتم وبيت اللّه لا تقتلوننا × ولكن بسيف الها شميين فافخروا
بسيف ابن عبد اللّه احمد فى الوغى × كفّ على نلتم ذاك فاقصروا

(۱) الاحزاب: ۲۵

ولم تقتلوا عمرو بن عبد بباسكم × ولكنه الكفو الهزبر الخضنفر
على الّذى فى الفخر طال بناؤه × ولا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردّكم × شيوخ قريش جهرة و تأخّروا

إلى أن قال ـ

فجال على جولة هاشمية × فدمرّهم لمّا علوا و تكبّروا
فليس لكم فخر علينا بغبرنا × وليس لكم فخر يعدّو يذكر

وقالت أخته :

فاذهب على فما ظفرت بمثله × قول سديد ليس فيه تحامل
والثار عندى يا على فليتنى × ادركته والعقل منى كامل
ذلّت قريش بعد مقتل فارس × فالذل مهلكها وخزى شامل

ثم قالت : واللّه لا ثارت قريش بأخى ما حنّت النيب .

قال : ولما انهزم الأحزاب ، وولّوا عن المسلمين الدبر عمد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على قصد بنى قريظة ، وانفذ إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فى ثلاثين من الخزرج ـ إلى أن قال ـ قال عليه السلام : وسرت حتى دنوت من سورهم . فاشرفوا علىّ . فلمّا راونى صاح صائح منهم قد جاءكم قاتل عمرو ، وقال آخر : قد اقبل إليكم قاتل عمرو ، وجعل بعضهم يصيح ببعض ، ويقولون ذلك والقى اللّه فى قلوبهم الرعب ، و سمعت راجزاً يرتجز .

قتل على عمرا × صاد على صقرا
قصم على ظهرا × ابرم على امرا
هتك على سرّا

فقلت : الحمد للّه الّذى أظهر الاسلام ، وقمع الشرك ـ إلى أن قال ـ فأقام النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حاصراً لهم خمسا وعشرين حتّى سألوه النزول على حكم سعد بن معاذ فحكم بقتل الرجال ، وسبى الذرارى والنساء ، وقسمة الاموال . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ، وأمر بإنزال الرجال منهم ، و كانوا تسعمأة فجيئ بهم الى المدينة ، وقسّم الأموال ، واسترق الذراري والنسوان ، و لما جيئ بالأسارى إلى المدينة حبسوا فى دار من د وربنى النجار ، وخرج النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى موضع سوق اليوم فخندق فيه خنادق ، وحضر أمير المؤمنين عليه السلام ، و أمر بهم أن يخرجوا ، وتقدم إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن يضرب أعناقهم فى الخندق فاخرجوا ارسالاً ، وفيهم حىّ بن أخطب ، وكعب بن أسد ، وهما اذ ذاك رئيسا القوم — إلى أن قال —

ثم اقيم حى بن أخطب بين يدى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول : (قتلة شريفة بيد شريف) فقال عليه السلام : إنّ خيار الناس يقتلون شرارهم ، وشرارهم يقتلون خيارهم فالويل لمن قتله الأشراف الأخيار ، والسعادة لمن قتله الا رذال الكفار . فقال صدقت لا تسلبنى حلّتى فقال عليه السلام : هى أهون علىّ من ذاك . فقال : سترتنى ستر الله ، ومدّ عنقه فضربها علىّ عليه السلام ، ولم يسلبه من بينهم — قال : وكان الظفر بنى قريظة ، وفتح الله على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بأمير المؤمنين عليه السلام وما كان من قتله من قتل منهم وما ألقاه الله ، — عزّ وجلّ — فى قلوبهم من الرعب ، وماثلت هذه الفضيلة ما تقدمها من فضائله عليه السلام .

قال : وقد كان منه عليه السلام فى غزوة وادى الرمل — ويقال : ذات السلسلة — ما حفظه العلماء ، ودوّنه الفقهاء ، ونقله اصحاب الأثار ، ورواه نقلة الأخبار ممّا ينضاف إلى مناقبه عليه السلام فى الغزوات ، ويماثل فضائله فى الجهاد انّ أصحاب السير ذكروا أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم جالساً اذ جاء أعرابى فجثا بين يديه ، ثم قال : انّى جئت لانصحك قوم من العرب قد عمد واعلى أن يبيّتوك بالمدينة — ووصفهم له — فأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالصلوة جامعة . فاجتمعوا فصعد المنبر واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ان هذا عدوّ الله وعدوكم قد اقبل إليكم يزعم أنّه يبيّتكم بالمدينة . فمن للوادى

فقام رجل من المهاجرين . فقال : أنا فناوله اللواء ، وضمّ اليه سبعمأة رجل ، وقال له : امض . فمضى فوافى القوم ضحوة . فقالوا : من الرجل قال رسول للرسول صلى الله عليه وآله وسلم : اما ان تقولوا لا اله الا الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، اولأضربنكم بالسيف قالواله : ارجع إلى صاحبك فانّا فى جمع لا تقوم له . فرجع فأخبر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ـ فقال النبىّ صلّى الله عليه وآله من للوادى فقام رجل آخر من المهاجرين فقال : انا فدفع اليه الراية ومضى وعاد لمثل ما عاد صاحبه الأوّل ـ فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : أين على بن أبى طالب فقام عليه السلام فقال : أنا ذا قال : امض الى الوادى قال : نعم ـ وكانت له عصابة لا يعتصب بها حتى يبعثه فى وجه شديد . فمضى الى منزل فاطمة عليها السلام فالتمس العصابة منها ، فقالت : أين تريد ، وأين بعثك أبى قال : إلى وادى الرمل . فبكت اشفاقاً عليه . فدخل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وهى على تلك الحال . فقال لها : تبكين أتخافين أن يقتل بعلك كلّا ـ إن شاء الله تعالى ـ

فقال على عليه السلام للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : لا تنفس علىّ بالجنّة ، ثم خرج ومعه لواء النبىّ صلّى الله عليه وآله فمضى حتّى وافى القوم بسحر . فأقام حتّى أصبح ثمّ صلّى بأصحابه الغداة وعدّهم صفوفاً ، واتّكأ على سيفه مقبلاً على العدوّ . فقال : يا هؤلاء أنا رسول رسول الله إليكم أن تقولوا (لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله) وإلّا أضربنّكم بالسيف قالواله : ارجع كما رجع صاحباك قال : أنا لا أرجع لا والله حتّى تسلموا أو أضربكم بسيفى هذا انا على بن أبى طالب بن عبد المطلب) فاضطرب القوم لمّا عرفوه ثم اجتراوا على مواقعته . فواقعهم فقتل منهم ستّة أو سبعة وانهزم المشركون ، وظفر المسلمون . وحازوا الغنائم وتوجّه عليه السلام إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

فروى عن أمّ سلمة قالت : كان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً فى بيتى اذ انتبه فزعا من منامه فقلت له : الله جارك قال : صدقت الله جارى لكن هذا جبرئيل يخبرنى انّ علياً قادم ثم خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا علياً عليه السلام . فقام المسلمون لصفّين مع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم . فلما بصر عليه السلام بالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ترجل عن فرسه ، واهوى إلى قدميه

يقبّلها فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : اركب فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان ، فبكى عليه السلام وتسلّم المسلمون الغنائم . فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لبعض من كان معه في الجيش : كيف رايتم أميركم قالوا : لم ننكر منه شيئاً إلّا انّه لم يؤمّ بنا في صلوة إلّا قرء بنا فيها به (قل هو الله احد) فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : سأسأله عن ذلك . فلمّا جاء قال له : لِم لم تقرء بهم في فرائضك الّا بسورة الإخلاص . فقال عليه السلام : احببتها قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : فإنّ الله قد احبّك كما احببتها ـ . ثم قال له : ياعلي لولا اشفق ان تقول فيك طوائف من اُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالا لا تمرّ بملأ منهم الّا اخذوا التراب من تحت قدميك .

قال : فكان الفتح في هذه الغزاة لأمير المؤمنين عليه السلام خاصّة بعد ان كان من غيره فيها من الافساد ما كان ، واختصّ عليه السلام من مديح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بها بفضائل لم يحصل منها شئ لغيره .

قال : وقد ذكر كثير من أصحاب السير أنّ في هذه الغزاة نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (والعاديات ضبحاً ـ إلى آخر السورة فتضمنت ذكر الحال في ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام فيها

قال : ثم كان من بلائه عليه السلام ببني المصطلق ما اشتهر عند العلماء ، وكان الفتح له في هذه الغزاة بعد أن اصيب يومئذٍ ناس من بني عبد المطلب ، وقتل عليه السلام رجلين من القوم وهما مالك وابنه ، وأصاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم منهم سبياً كثيراً وقسّمه في المسلمين ، وكان ممّن اصيب يومئذٍ من السبايا جويرية بنت حارث ، فاعتقها النبي صلّى الله عليه وآله وجعلها في جملة أزواجه .

قال : ثم تلا ببني المصطلق الحديبيّة ، وكان اللواء يومئذٍ إلى أمير المؤمنين كما كان إليه في المشاهد قبلها ، وكان من بلائه في ذلك اليوم عند صفّ القوم في الحرب والقتال ما ظهر خبره ، واستفاض ذكره وذلك بعد البيعة التي اخذها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على اصحابه والعهود اليهم في الصبر ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام المبايع للنساء عن

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت بيعته لهن يومئذٍ ان طرح ثوباً بينهن وبينه ثم مسحه بيده ـ فكانت مبايعتهن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمسح الثوب ، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يمسح ثوب علىّ عليه السلام مما يليه ـ ، ولما رأى سهيل بن عمرو توجه الأمر عليهم ضرع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الصلح ونزل عليه الوحي بالاجابة إلى ذلك ، وان يجعل أمير المؤمنين عليه السلام كاتبه يومئذٍ والمتولي لعقد الصلح بخطه . فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام : اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل : وهذا الكتاب بيننا وبينك يا محمّد . فافتتحه بما نعرفه ، واكتب (باسمك اللهم) فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له : امح ما كتبت واكتب (باسمك اللهم فقال عليه السلام : لولا طاعتك ما محوت (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم محاها وكتب (باسمك اللهم) .

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اكتب (هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو) فقال سهيل : لو اجبتك في الكتاب الّذي بيننا إلى هذا لأقررت لك بالنبوّة فسواء شهدت على نفسي بالرضا بذلك او اطلقته من لساني امح هذا الاسم واكتب (هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله) فقال له علي عليه السلام : انّه والله رسول الله حقّاً على رغم انفك فقال سهيل اكتب : اسمه يمضي الشرط فقال عليه السلام : ويلك يا سهيل كفّ عن عنادك .

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : امحها . فقال : انّ يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوّة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فضع يدي عليها . فمحاها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال لعلي عليه السلام : (ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض) ثمّ تمّ الكتاب ولمّا تمّ الصلح نحر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هديه في مكانه ـ فكان نظام تدبير هذه الغزاة متعلقاً بأمير المؤمنين عليه السلام وكان ما جرى فيها من البيعة ، وصفّ الناس للحرب ثم الهدنة والكتاب كلّه لأمير المؤمنين عليه السلام ، وكان في ما هيّأه الله له من ذلك حقن الدماء ، وصلاح أمر الإسلام .

قال : وقد روى الناس له عليه السلام في هذه الغزاة ـ بعد الّذي ذكرناه ـ فضيلتين

اختص بهما وانضافتا إلى فضائله العظام، ومناقبه الجسام.

فروى ابرهيم بن عمر، عن رجاله، عن فايد مولى عبد الله بن سالم قال: لمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة الحديبية نزل الجحفة، فلم يجد فيها ماء، فبعث سعد ابن مالك بالروايا حتى اذا كان غير بعيد رجع وقال: ما استطيع أن أمضي لقد وفقت قدماي رعباً من القوم فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: اجلس ثم بعث آخر. فخرج بها حتى اذا كان بالمكان الذي انتهى اليه الأوّل رجع، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم رجعت قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما استطعت أن أمضي رعباً، فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام فارسله بها، وخرج السقاة، وهم لا يشكّون في رجوعه لما رأوا من جزع من تقدمه. فخرج عليه السلام بالروايا حتى ورد الحرار واستقى. ثم اقبل بها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولها زجل فلما دخل كبّر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له بخير.

قال: وفي هذه الغزاة أقبل سهيل بن عمرو الى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمّد ان ارقّائنا لحقوا بك فارددهم علينا، فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى تبين الغضب في وجهه ثم قال: لتنتهين يا معشر قريش او ليبعثن الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالايمان يضرب رقابكم على الدين.

فقال بعض من حضر ابوبكر: ذلك الرجل قال: لا قال: فعمر قال: لا ولكنّه خاصف النعل في الحجرة، فتبادر الناس الى الحجرة ينظرون من الرجل. فاذا هو علي بن ابي طالب عليه السلام.

قال: وقد روى هذا الحديث جماعة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقالوا فيه: انّ علياً عليه السلام قصّ هذه القصة ثم قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول (من كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار) ـ وكان الّذي أصلحه عليه السلام من نعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شسعها فإنّه كان انقطع فخصف موضعه وأصلحه.

قال: ثم تلت (الحديبية) (خيبر) وكان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السلام بلا ارتياب، وظهر من فضله في هذه الغزاة ما أجمع على نقله الرواة، وتفرد عليه السلام فيها

من المناقب بما لم يشركه فيها أحد من الناس. فروى محمّد بن يحيى الازدى عن مسعدة ابن اليسع، وعبد اللّه بن عبد الرحيم عن عبد الملك بن هشام ومحمّد بن اسحق، وغيرهما من اصحاب الآثار، قالوا: حاصر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم خيبر بضعاً وعشرين ليلة؛ و كانت الراية يومئذٍ لأمير المؤمنين عليه السلام. فلحقه رمد فمنعه من الحرب، وكان المسلمون يناوشون اليهود من بين أيدى حصونهم، وجنباتها، فلما كان ذات يوم فتحوا الباب وكانوا خندقوا على انفسهم خندقاً، وخرج مرحب برجله يتعرض للحرب. فدعا النبىّ صلّى اللّه عليه وآله ابا بكر. فقال له: خذ الراية. فاخذها فى جمع من المهاجرين فلم يغن شيئاً، فعاد يؤنب القوم الّذين اتبعوه ويؤنبونه فلما كان من الغد تعرض لها عمر فسار بها غير بعيد ثم رجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه فقال: ليست هذه الراية لمن حملها جيئونى بعلى بن أبيطالب. فقيل له: انه ارمد قال: «ارونيه ترونى رجلاً يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله يأخذها بحقّها ليس بفرّار» فجاؤا بعلى عليه السلام يقودونه إليه فقال له: ما تشتكى قال: «رمد ما ابصر معه وصداع برأسى» فقال له عليه السلام: «اجلس وضع راسك على فخذى» ففعل عليه السلام ذلك. فدعا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فتفل فى يده فمسح بها على عينه ورأسه. فانفتحت عيناه، وسكن ما يجده من الصداع ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم فى دعائه له: «اللهم قه الحر والبرد» واعطاه الراية ـ وكانت رأيته بيضاء ـ وقال: خذها وامض بها فجبرئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبثوث فى صدور القوم، واعلم انهم يجدون فى كتابهم انّ الّذي يدمر عليهم اسمه ايليا فإذا لقيتهم فقل: أنا على فإنّهم يخذلون إن شاء اللّه تعالى قال عليه السلام: فمضيت بها حتّى أتيت الحصن فخرج مرحب، وعليه مغفر وحرقد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر انى مرحب × شاكى السلاح بطل مجرب

فقلت:

انا الذى سمّتنى امى حيدرة × كليث غابات شديد قسوره

اكيلكم بالسيف كيل السندرة

و اختلفنا ضربتين فبدرته و ضربته . فقددت الحجر والمغفرورأسه حتّى وقع السيف فى أضراسه فخرّ صريعاً .

قال : وجاء فى الحديث انّه عليه السلام لما قال : أنا على بن أبيطالب قال حبر من أحبارهم : غلبتم و ما انزل على موسو . فدخل على قلوبهم من الرعب ما لم يمكنهم معه الاستيطان به ، ولما قتل عليه السلام مرحباً رجع من كان معه واغلقوا باب الحصن عليهم دونه عليه السلام ، فصار إليه ، فعالجه حتّى فتحه وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا معه ، فاخذ عليه السلام باب الحصن ، فجعله على الخندق جسراً لهم حتّى عبروا ، فظفروا بالحصن و نالوا الغنائم فلمّا انصرفوا من الحصن أخذ الباب بيمناه . فدحابه اذرعاً من الأرض وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً ، ولما فتح عليه السلام الحصن ، و قتل مرحباً ، و اغنم الله المسلمين أموالهم استأذن حسّان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول فيه عليه السلام شعراً فقال له : قل فانشأ يقول :

و كان على أرمد العين يبتغى × دواء فلما لم يحسّ مداوياً
شفاه رسول الله منه بتفله × فبورك مرقيا وبورك راقياً
وقال سأعطى الراية اليوم صارماً × كميّاً محبّاً للرسول مواليا
يحبّ إلهى و الإله يحبّه × به يفتح الله الحصون الأوابياً
فاصفى بها دون البرية كلها × علياً و سمّاه الوزير المواخياً

قلت : و لبروز تلك القوة الالهية منه عليه السلام فى خيبر ضلّ فيه جمع . **فزعموا** إلهيته . قال شاعرهم :

انّما خالق الخلايق من زعزع أركان خيبر جذبا
قد رضينا به إلهاً وسجدنا له مولى وربا

قال ثم تلا غزاة خيبر مواقف لم تجر مجرى ما تقدمها فنعمد لذكرها و

اكثرها كان بعوثاً لم يشهدها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا كان الاهتمام بها كالاهتمام بما سلف لضعف العدو ، وغناء بعض المسلمين عن غيرهم فيها فاضربنا عن تعدادها وان كان لأميرالمؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم فى جميعها حظ وافر من قول او عمل .

قال : ثم كانت غزوة الفتح ، وهى التى توطدت امر الإسلام ، وتمهدّت الدين بما منّ الله سبحانه على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فيها ، وكان الوعد بها تقدم فى قوله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجاً)[1] وقوله ـ عزّ و جلّ ـ قبلها بمدة طويلة « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلّقين رؤسكم ومقصّرين لا تخافون »[2] وكانت الاعين اليها ممتدة ، والرقاب إليها متطاولة ، ودبّر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الأمر فيها بكتمان مسيره إلى مكّة ، وسرّ عزيمته عن مراده بأهلها ، وسأل الله تعالى أن يطوى خبره عن أهلها حتى يبغتهم بدخولها ، وكان المؤتمن على هذا السرّ من بين الجماعة أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان الشريك للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فى الرأى ثم انماه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الى جماعة بعد ، واستتب الأمر فيه على احوال كان أمير المؤمنين عليه السلام فى جميعها متفرداً من الفضل بما لم يشركه فيه غيره من الناس .

قال : فمن ذلك انه لما كتب حاطب بن ابى بلتعة ـ وكان من أهل مكّة ، وقد شهد بدراً مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً إلى أهل مكّة يطّلعهم على سرّ رسول الله ٣٥ فى المسير اليهم . فجاء الوحى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بما صنع وبنفوذ كتاب حاطب إلى القوم فتلافى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بأمير المؤمنين عليه السلام ، ولو لم يتلافه به لفسد التدبير الذى بتمامه كان نصر المسلمين .

قال : ولما دخل ابوسفيان المدينة لتجديد العهد بينه ، وبين قريش عند ما كان من بنى بكر فى خزاعة ، وقتلهم من قتلوا منها فقصد أبوسفيان ليتلافى الفارط من القوم ، وقد خاف من نصرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لهم ، واشفق مما حلّ بهم يوم الفتح فأتى النبيّ

(١) النصر ٢ .
(٢) الفتح ٢٧ .

صلّى الله عليه وآله ، وكلّمه في ذلك . فلم يردّ عليه جواباً . فقام من عنده فلقيه أبو بكر فتشبث به ، فظن انه يوصله إلى بغيته من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : ما أنا بفاعل ذلك لعلمه بأنّ سؤاله في ذلك لا يغني شيئاً . فظنّ أبو سفيان بعمر ما ظنه بأبي بكر فكلّمه في ذلك . فدفعه بغلظة وفظاظة كاد أن يفسد الرأي على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم . فعدل إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام . فاستأذن عليه . فاذن له وعنده فاطمة و الحسن والحسين عليهم السلام . فقال له عليه السلام : إنّك امسّ القوم بي رحماً ، وأقربهم منّي قرابة . فلا ارجعن كما جئت خائباً اشفع لي في ما قصدته . فقال له : ويحك يا أبا سفيان لقد عزم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على أمر لا نستطيع أن نكلّمه فيه .

فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة عليها السلام فقال : يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنيك أن يجيرا بين الناس . فيكونا سيدي العرب إلى آخر الدهر . فقالت : ما بلغ بنيّاي أن يجيرا بين الناس ، وما يجير أحد على رسول الله ، فتحير أبو سفيان وسقط في يديه .

ثم اقبل على أمير المؤمنين فقال له : أرى الأمور التبست عليّ فانصح لي فقال عليه السلام له : ما أرى شيئاً يغني عنك ولكنّك سيد بني كنانة فقم واجر بين الناس ثم الحق بارضك قال : فترى ذلك مغنياً عنّي شيئاً قال : لا والله ما أظن ولكن ما أجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان في المسجد . فقال : أيّها الناس انّي قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره وانطلق فلمّا قدم على قريش قالوا : ما وراءك قال : جئت محمّداً فكلّمته فوالله ما ردّ عليّ شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة ، فلم أجد فيه خيراً . ثم لقيت ابن الخطّاب فوجدته فظّاً غليظاً لا خير فيه ، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم لي ، وأشار عليّ بشيء صنعته . فوالله ما أدري يغني عنّي شيئاً أم لا قالوا : بما أمرك؟ قال : أمرني أن اجير بين الناس ففعلت . فقالوا : هل أجاز ذلك محمّد قال : لا قالوا : ويلك فوالله ما زاد الرجل على أن لعب بك فما يغني عنك .

فقال أبوسفيان : لا واللّه ما وجدت غير ذلك ، وكان الّذى فعله أمير المؤمنين عليه السلام من أصوب رأى لتمام أمر المسلمين ، وأصحّ تدبير ، وتمّ به للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى القوم ما تم ألا ترى أنّه عليه السلام صدق أبا سفيان عن الحال ثم لان له بعض اللين حتّى خرج عن المدينة ، وهو يظنّ أنّه على شئ فانقطع بخروجه على تلك الحال موادّ كيده الّتى كان يتشعشب بها الأمر على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك انّه لو خرج آيسا حسب ما آيسه الرجلان لتجدد للقوم من الرأى فى حربه عليه السلام ، والتحرز منه ما لم يخطر لهم ببال مع مجيئ أبى سفيان إليهم بما جاء إذ كان يقيم بالمدينة على التمحل لتمام مراده بالاستشفاع إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيتجدّد بذلك أمر يصدّه عن قصد قريش ويثبّطهم تثبيطا يفوته معه المراد ، وكان التوفيق من اللّه تعالى لرأى أمير المؤمنين عليه السلام فى ما رآه من تدبير الأمر مع أبى سفيان حتّى انتظم بذلك للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من فتح مكّة ما أراد.

قال : ولمّا أمر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن عبادة بدخول مكّة بالراية غلظ على القوم وأظهر ما فى نفسه من الحنق عليهم فدخل وهو يقول « اليوم يوم الملحمة . اليوم تسبى الحرمة » فسمعها العباس . فقال للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : أما تسمع ما يقول سعد بن عبادة ، و انى لا آمن أن يكون له فى قريش صولة . فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام ادرك سعدا فخذ الراية منه ، وكن أنت الّذى تدخل بها مكّة . فادركه عليه السلام فأخذها منه ولم يمتنع عليه سعد من دفعها إليه ، وكان تلافى الفارط من سعد فى هذا الأمر بأمير المؤمنين عليه السلام ولم ير النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أحدا من المهاجرين والأنصار ، يصلح لأخذ الراية من سيد الأنصار سواه عليه السلام ، وعلم أنّه لو رام ذلك غيره لامتنع سعد عليه ، وكان فى امتناعه ، فساد التدبير واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين ، ولمّا لم يكن سعد يخفض جناحه لأحد من المسلمين ، وكافة الناس سوى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن وجه الرأى توليه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ الراية منه بنفسه ولّى ذلك من يقوم مقامه ، ولا يتميز عنه ، ولا يعظم أحد من المقربين بالمله عن طاعته له ، ولا يراه دونه فى الرتبة ، و فى هذا من الفضل الّذى يخصّه بالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يشركه فيه أحد ، ولا ساواه فى نظير

لهمساو ، وكان علم اللّه تعالى ورسوله فى تمام المصلحة بانفاذ أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ما كشف به عن اصطفائه لجسيم الامور كما كان علم اللّه تعالى فى من اختاره للنبوّة ، وكمال المصلحة ببعثه كاشفاً عن كونه أفضل الخلق أجمعين .

ثم ذكر فتح مكّة وما وقع وقال : وفى ما ذكرنا من أعمال أمير المؤمنين عليه السلام فى قتل من قتل من أعداء اللّه بمكّة واخافة من أخاف ، ومعونته النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على تطهير المسجد من الأصنام وشدّة بأسه فى اللّه ، وقطعه الأرحام فى اللّه — عزّ وجلّ — أدلّ دليل على تخصيصه من الفضل بما لم يكن لأحد منهم سهم فيه حسبما قدّمناه .

قال : ثم اتّصل بفتح مكّة انفاذ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة ابن عامر — وكانوا بالغميصاء — يدعوهم إلى اللّه ، وانّما أنفذه للترة التى كانت بينه وبينهم ، وذلك أنّهم كانوا أصابوا فى الجاهلية نسوة من بنى المغيرة ، وقتلوا الفاكه ابن المغيرة عم خالد بن الوليد ، وقتلوا عوفاً أبا عبد الرحمن بن عوف . فأنفذه لذلك ، وأنفذ معه عبد الرحمن بن عوف للترة الّتى كانت بينه وبينهم ، ولولا ذلك لما راى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم خالداً أهلاً للامارة على المسلمين ، وكان من أمره ما قدّم ذكره ، فخالف عهد اللّه ، وعهد رسوله ، وعمل فيه على سنّة الجاهلية ، واطرح حكم الاسلام وراء ظهره فبرء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من صنيعه وتلافى فارطه بأمير المؤمنين عليه السلام

قلت : وفى تاريخ احمد بن أبى يعقوب لمّا أصلح على عليه السلام ما أفسده خالد قال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : لما فعلت احبّ إلىّ من حمر النعم ، ويومئذ قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام : فداك أبواى) .

وفى الطبرى بعثه النبى صلى الله عليه وآله وسلم داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ، فلمّا رأوا خالداً أخذوا السلاح فقال لهم : ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا . فلمّا وضعوه أمر بهم فكتفوا

ثم عرضهم على السيف .

ثم ذكر ارشاد المفيد بعد ما مر غزوة حنين وقال : خرج النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى عشرة آلاف ، وأعجب أبا بكر الكثرة يومئذ فقال « لن نغلب اليوم من قلة » وكان الأمر فى ذلك

بخلاف ما ظن وفي ذلك أنزل تعالى « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم ولّيتم مدبرين ثم أنزل اللّه سكينته على رسوله و على المؤمنين » يعنى أمير المؤمنين (ع) ومن ثبت معه من بنى هاشم وهم يومئذٍ ثمانية .

قال : فانظر الى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الغزاة ، وتأملها ، وفكّر فى معانيها تجده عليه السلام قد تولى كل فضل كان فيها ، واختص من ذلك بما لم يشركه فيه أحد من الأمّة ، وذلك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ثبت مع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عند انهزام كافة الناس الّا النفر الّذين كان ثبوتهم بثبوته عليه السلام ، وذلك انا قد احطنا علما بتقدمه فى الشجاعة والباس ، والصبر والنجدة على العباس وابنه الفضل ، وأبى سفيان بن الحرث والنفر الباقين لظهور أمره فى المقامات الّتي لم يحضرها احد منهم واشتهار خبره فى منازلة الاقران ، وقتل الابطال ، ولم يعرف لاحد من هؤلاء مقام من مقاماته ولا قتيل عزى اليهم بالذكر فعلم بذلك ان ثبوتهم كان به عليه السلام ولولاه كانت الجناية على الدين لا تتلافى ، وان بمقامه ذلك المقام ، وصبره مع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كان رجوع المسلمين إلى الحرب ، وتشجعهم فى لقاء العدو .

ثم ما كان من قتله عليه السلام أبا جرول متقدم المشركين ما كان هو السبب فى هزيمة القوم وظفر المسلمين بهم .

وكان من بلية المتقدم عليه فى مقام الخلافة بعد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ان عاين المسلمين اعجابهم بالكثرة ، وكانت هزيمتهم بسبب ذلك أو كان أحد اسبابها .

ثم ما كان من صاحبه ـ اى عمر ـ من قتل الاسرى من القوم ، و قد نهى النبى صلّى اللّه عليه وآله عن قتلهم ما ارتكب به عظيم الخلاف للّه تعالى ولرسوله حتى اغضبه ذلك ، وآسفه فانكره واكبره ، وكان من صلاح امر الانصار بمعونة أمير المؤمنين للنبى فى جمعهم وخطابهم ما قوى به الدين ، وزال به الخوف من الفتنة التى اظلّت القوم بسبب القسمة . فساهم أمير المؤمنين عليه السلام النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى فضل ذلك ، وشركه فيه

(١) التوبة ٢٥.

دون من سواه ، وتولّى من امر العباس بن مرداس ما كان سبب استقرار الايمان في قلبه وزوال الريب في الدين من نفسه ، والانقياد إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الطاعة لامره ، والرضا بحكمه .

ثم جعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الحكم على المعترض في قضائه علماً على حق أمير المؤمنين عليه السلام في فعاله ، وصوابه في حروبه ، ونبّه صلى الله عليه وآله وسلم على وجوب طاعته عليه السلام ، وحظر معصيته ، وان الحق في حيّزه وجنبه ، وشهد له بانه خير الخليقة ، وهذا ايباين ما كان من خصومة الغاصبين لمقامه من الفعال ، ويضادّ ما كانوا عليه من الاعمال ويخرجهم من الفضل الى النقص الذى يوبق صاحبه ويكاد فضلاً عن سموّه على أعمال المخلصين في تلك الغزاة ، وقربهم بالجهاد الذى تولّوه ، فبانوا به ممّن ذكرناه بالتقصير الّذى وصفناه .

قال : ولما فضّ الله جمع المشركين بحنين تفرقوا فرقتين . فاخذت الاعراب ، ومن تبعهم الى اوطاس ، واخذت ثقيف ، ومن تبعها إلى الطائف ـ الى ان قال ـ

ثم سار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه الى الطائف فحاصرهم اياماً ثم انفذ أمير المؤمنين عليه السلام في خيل وأمره أن يطأ ما وجد ، ويكسر كلّ صنم وجده ، فخرج حتّى لقيته خيل خثعم في جمع كثير . فبرز لهم رجل من القوم يقال له شهاب في غبش الصبح فقال له : هل من مبارز فقال عليه السلام : من له فلم يقم اليه أحد فبرز عليه السلام إليه وهو يقول :

ان على كلّ رئيس حقا × أن يروى الصعدة او تدقّا

ثم ضربه فقتله ، ومضى في تلك الخيل حتى كسر الأصنام ، وعاد إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو محاصر أهل الطائف . فلمّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كبّر للفتح ، وأخذ بيده فخلا به ، وناجاه طويلا .

فروى عبد الرحمن بن سابة ، والاجلح جميعاً عن أبى الزبير عن جابر الانصارى ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا خلا بعلى عليه السلام يوم الطائف اتاه عمر بن الخطاب . فقال اتناجيه دوننا وتخلو به فقال يا عمر ما انا انتجيته بل الله انتجاه ، فاعرض عمر ، وهو يقول :

هذا كما قلت لنا قبل الحديبية لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين . فلم ندخله وصدّونا فناداه النبيّ صلى الله عليه وآله لم أقل لكم أنّكم تدخلونه فى ذلك العام ـ ثم خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان فى خيل من ثقيف فلقيه أمير المؤمنين ببطن وجّ فقتله ، وانهزم المشركون ، ولحق القوم الرعب . فنزل جماعة منهم الى النبيّ صلى الله عليه وآله فاسلموا ـ وكان حصار النبيّ صلى الله عليه وآله الطائف بضعة عشر يوماً ، وهذا الغزاة أيضاً ممّا خصّ الله سبحانه فيها أمير المؤمنين عليه السلام بما انفرد به من كافة الناس ، وكان الفتح فيها على يده وقتل من قتل من خثعم به دون من سواه ، وحصل له من المناجاة التى أضافها النبى صلّى الله عليه وآله إلى الله ـ عزّ اسمه ـ ما ظهر به من فضله ، وخصوصيته من الله تعالى بما بان به من كافة الخلق ، وكان من عدوّه فيها ما دلّ على باطنه ، وكشف الله عن حقيقة سرّه وضميره ، وفى ذلك عبرة لأولى الألباب .

قال (ثم كان غزوة تبوك) فأوحى الله ـ عزّ اسمه ـ إلى نبيّه صلى الله عليه وآله ان يسير إليها بنفسه ، ويستنفر الناس للخروج ، واعلمه أنّه لا يحتاج فيها إلى حرب ، ولا يمنى بقتال عدوّ ، وأنّ الأمور تنقاد له بغير سيف وتعبّده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم ليتميزوا بذلك ، وتظهر به سرائرهم فاستنفرهم الى بلاد الروم ، وقد اينعت ثمارهم ، واشتد القيظ عليهم . فبطأ أكثرهم عن طاعته رغبة فى العاجل وحرصاً على المعيشة واصلاحها وخوفاً من شدة القيظ ، وبعد المسافة ، ولقاء العدو . ثم نهض بعضهم على استثقال وتخلف آخرون ، ولمّا أراد الخروج استخلف أمير المؤمنين عليه السلام فى أهله وولده وازواجه ومهاجره وقال له : إنّ المدينة لا تصلح إلّا بى أو بك .

وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله علم من خبث نيات الأعراب ، وكثير من أهل مكّة ، ومن حولها ممّن غزاهم ، وسفك دماءهم . فاشفق أن يطلبوا المدينة عند نايه عنها ، وحصوله ببلاد الروم ونحوها فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يؤمن معرّتهم وايقاع الفساد فى دار هجرته ، والتخطى إلى ما يشين أهله ، ومخلّفيه ، وعلم أنّه لا يقوم مقامه

فى ارهاب العدو وحراسة دار الهجرة ، وحياطة من فيها إلّا أمير المؤمنين عليه السلام فاستخلفه استخلافاً ظاهراً ، ونصّ عليه بالامامة نصّاً جلياً .

وذلك فى ما تظاهرت به الرواية أنّ أهل النفاق لمّا علموا باستخلاف النبىّ صلّى الله عليه وآله له عليه السلام على المدينة حسدوه لذلك ، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه ، وعلموا أنّها تتحرّس به ، ولا يكون فيها للعدو مطمع . فساءهم ذلك وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الافساد ، والاختلاط عند نأى النبى صلّى الله عليه وآله ، وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها ، وغبطوه على الرفاهية والدعة بمقامه فى أهله ، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر ، فارجفوا بأمير المؤمنين عليه السلام وقالوا : لم يستخلفه النبىّ صلى الله عليه وآله اكراماً له ، واجلالاً ، ومودّة وانّما خلّفه استثقالاً له . فبهتوه بهذا الارجاف كبهت قريش للنبىّ صلى الله عليه وآله بالجنّة تارة ، وبالشعر أخرى ، وبالسحر مرة ، وبالكهانة أخرى ، وهم يعلمون ضدّ ذلك و نقيضه كما علم المنافقون ضدّ ما ارجفوا به على أمير المؤمنين وخلافه ، وأنّه كان أخصّ الناس به ، وأحبّ الناس إليه ، واسعدهم عنده ، واحظاهم وأقضاهم لديه ، فلمّا بلغه عليه السلام ارجاف المنافقين به أراد تكذيبهم ، واظهار فضيحتهم فلحق بالنبى فقال : إنّ المنافقين يزعمون انّك إنّما خلّفتنى استثقالا لى ومقتاً فقال له النبىّ صلّى الله عليه وآله : « ارجع يا أخى إلى مكانك . فانّ المدينة لا تصلح إلّا بى او بك . فأنت خليفتى فى أهل بيتى ودار هجرتى وقومى . اما ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى إلّا انّه لا نبى بعدى) .

فتضمن هذا القول من النبى صلى الله عليه وآله نصه على امير المؤمنين بالامامة ، وابانته من الكافة بالخلافة ، ودلّ به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه وأوجب له به جميع منازل هرون من موسى إلّا المستثنى منها لفظاً وعقلاً

وقد علم كل من تأمل معانى القرآن ، وتصفّح الروايات والأخبار أنّ هرون كان أخا موسى عليه السلام لأبيه وأمّه وشريكه ، ووزيره على نبوّته ، وتبليغ رسالات ربّه . وأنّ الله

سبحانه شدّ به أزره ، وأنّه كان خليفته على قومه ، وكان له من الامامة عليهم ، وفرض الطاعة كامامته ، وفرض طاعته ، وأنّه كان أحبّ قومه إليه ، وأفضلهم لديه قال ــ عزّوجل ــ حاكياً عن موسى «رب اشرح لى صدرى ويسّرلى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيراً من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى واشركه فى أمرى كى نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً»(١) . فأجاب اللّه مسألته واعطاه سؤله فى ذلك وامنيته حيث يقول ــ عزّوجل ــ «قد أوتيت سؤلك يا موسى»(٢) وقال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام «وقال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتّبع سبيل المفسدين»(٣) .

فلمّا جعل النبىّ صلى الله عليه وآله منه بمنزلة هرون من موسى أوجب له بذلك جميع ماعددناه إلّا ماخصّها لعرف من الاخوة ، واستثناه النبىّ صلى الله عليه وآله لفظاً من النبوّة وهذه فضيلة لم يشرك فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين عليه السلام ، ولا ساواه فى معنىً ولا قاربه فيها على حال ، ولو علم اللّه تعالى أنّ لنبيّه صلى الله عليه وآله فى هذه الغزاة حاجة إلى الحرب لما أذن له فى تخليفه عنه بالمدينة حسب ماقدّمناه بل علم أنّ المصلحة فى استخلافه ، وأنّ اقامته فى دار هجرته مقامه أفضل الأعمال فدبّر اللّه تعالى الخلق والدين بما قضاه فى ذلك ، وامضاه على ما بيّناه وشرحناه .

قال : ولما انصرف النبىّ صلى الله عليه وآله من تبوك قدم عليه عمرو بن معد يكرب . فآمن به وآمن معه من قومه ناس ، ورجعوا إلى قومهم ثمّ انّ عمراً نظر إلى أبىّ بن عثعث الخثعمى فأخذ برقبته ثم جاء به إلى النبىّ صلى الله عليه وآله فقال : اعدنى على هذا الفاجر الذى قتل أبى .

فقال النبى صلى الله عليه وآله : «اهدر الاسلام ما كان فى الجاهلية» فانصرف عمرو مرتدّا فاغار على قوم من بنى الحرث بن كعب ، ومضى إلى قومه فاستدعى النبىّ صلى الله عليه وآله أمير ــ

(١) طه ٣٠

(٢) طه ٣٦

(٣) الاعراف ١٤٢ .

المؤمنين عليه السلام ، وأمره على المهاجرين ، وانفذه إلى بنى زبيد وأرسل خالد بن الوليد فى طائفة من الاعراب ، وأمره أن يعمد لجعفى ، وإذ التقيا فأمير الناس علىّ عليه السلام فسار أمير المؤمنين عليه السلام ، واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص ، واستعمل خالد على مقدمته أبا موسى الأشعرى . فأمّا جعفى فانها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين فذهبت فرقة الى اليمن ، وانضمت الفرقة الأخرى إلى بنى زبيد . فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ، فكتب إلى خالد بن الوليد ان قف حيث ادركك رسولى . فلم يقف . فكتب إلى خالد بن سعيد تعرض له حتّى تحبسه فاعترض له حتّى حبسه ، وادركه أمير المؤمنين عليه السلام . فعنّفه على خلافه . ثمّ سار حتّى لقى بنى زبيد بواد يقال له : كسر .

فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو : كيف أنت إذ القيك هذا الغلام القرشى فاخذ منك الا تاوه قال : سيعلم ان لقينى ، وخرج عمرو فقال : من يبارز فنهض أمير المؤمنين عليه السلام إليه . فصاح به صيحة ، فانهزم عمرو وقتل اخوه ، وابن أخيه ، واخذت ، امرأته ركانة بنت سلامة ، وسبى منهم نسوان ، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام و خلّف عليهم خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم ، ويؤمّن من عاد إليه من هرّا بهم مسلما .

فرجع عمرو واستأذن على خالد ، فاذن له . فعاد إلى الاسلام ، فكلّمه فى امرأته وولده . فوهبهم له — وقد كان عمرو لمّا وقف بباب خالد وجد جزوراً قد نحرت فجمع قوائمها فضربها بسيفه فقطعها جميعاً — وكان يسمّى سيفه الصمصامة فوهبه لخالد .

قال : وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد اصطفى من السبى جارية فبعث خالد بن الوليد بريدة الاسلمى إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال له : تقدم الجيش اليه . فاعلمه بما فعل على من اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه ، وقع فيه فسار بريدة حتى انتهى إلى باب

النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فلقيه عمر . فسأله عن حال غزوتهم ، وعن الّذى أقدمه . فأخبره أنّه إنّما جاء ليقع فى على ـ وذكر له اصطفاء الجارية من الخمس لنفسه . فقال له عمر : امض لما جئت له فانه سيغضب لابنته ممّا صنع على . فدخل بريدة على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ومعه كتاب من خالد بن الوليد بما ارسل به بريدة . فجعل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ وجهه يتغيّر . فقال له بريدة : انّك إن رخّصت للناس فى مثل هذا اذهب فيئهم .

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ويحك يا بريدة احدثت نفاقاً ان علياً يحلّ له من الفيء ما يحلّ لى انّ علياً خير الناس لك ولقومك : وخير من أخلف من بعدى لكافة أمّتى يا بريدة احذر أن تبغض علياً فيبغضك الله . قال بريدة : فتمنيت أنّ الأرض انشقت لى فسخت فيها وقلت : أعوذ بالله من سخط الله ، وسخط رسوله يا رسول الله استغفر لى . فلن ابغض علياً أبدا ، ولا أقول فيه إلّا خيرا . فاستغفر له .

قال : وفى هذه الغزاة من المنقبة له عليه السلام ما لا يماثلها منقبة لاحد سواه والفتح فيها كان على يديه عليه السلام خاصّة ، وظهر من فضل أمير المؤمنين عليه السلام و مشاركته للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى ما احلّ الله له من الفيء واختصاصه من ذلك بما لم يكن لغيره من الناس وبان من مودّة النبى صلى الله عليه وآله وسلم له وتفضيله اياه ما كان خفياً على من لا علم له بذلك ، وكان من تحذير النبى صلى الله عليه وآله وسلم بريدة و غيره من بغضه وعداوته وحثّه له على مودّته وولايته وردّ كيد أعدائه فى نحورهم ما دل على انّه افضل البريّة عند الله تعالى وعند النبى صلى الله عليه وآله وسلم . وأحقهم بمقامه بعده وأخصّهم به فى نفسه وآثرهم عنده .

قال : فمن ذلك أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم جمع خاصّة أهله و عشيرته فى ابتداء الدعوة إلى الإسلام فعرض عليهم الايمان ، واستنصرهم على أهل الكفر والعدوان ، وضمن لهم على ذلك الحظوة فى الدنيا والشرف وثواب الجنان فلم يجبه احد منهم إلّا أمير المؤمنين . فنحله بذلك تحقيق الاُخوة والوزارة والوراثة والخلافة وأوجب له به الجنة ، وذلك فى حديث الدار الّذى أجمع على صحّته نقّاد الآثار حين جمع النبى بنى عبد المطّلب فى دار أبى طالب وهم أربعون رجلاً يومئذٍ يزيدون رجلاً وينقصون

رجلاً ـ فى ما ذكروه الرواة ـ وأمرأن يصنع لهم طعاماً فخذ شاة مع مدّ من برّ وان يعدّ لهم صاع من اللبن ، وقد كان الرجل منهم معروفاً باكل الجذعة فى مقام واحد ، و بشرب الفرق من الشراب فى ذلك المقعد فأراد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم باعداد قليل الطعام والشراب لجماعتهم اظهار الاية فى شبعهم وريّهم ممّا كان لا يشبع واحداً منهم ولا يرويه ثمّ أمر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بتقديمه لهم . فاكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى تملّوا منه ، ولم يبن ما اكلوه منه وشربوا فبهرهم بذلك ، وبيّن لهم آية نبوّته . و علامة صدقه ببرهان الله تعالى .

ثم قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورووا من الشراب : يا بنى عبد المطلب انّ الله بعثنى إلى الخلق كافّة ، وبعثنى اليكم خاصّة . فقال « وانذر عشيرتك الأقربين » وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين فى الميزان تملكون بهما العرب والعجم ، وتدخلون بهما الجنّة وتنجون بهما من النار (شهادة الّا إله الّا الله وأنّى رسول الله) . فمن يجيبنى إلى هذا الأمر ، ويوازرنى عليه ، وعلى القيام به يكن أخى ووصيى ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى . فلم يجبه أحد منهم .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقمت بين يديه من بينهم ، وأنا أصغرهم سنّاً ، و احمشهم ساقاً ، وأرمصهم عيناً . فقلت : أنا يا رسول الله أوازرك على هذا الأمر . فقال : اجلس .

ثم أعاد على القوم القول ثانية ، فاصمتوا . فقمت أنا وقلت مثل مقالتى الاولى فقال : اجلس . ثم أعاد على القوم ثالثة . فلم ينطق أحد منهم بحرف . فقمت وقلت : انا اوازرك يا رسول الله على هذا الأمر فقال : اجلس . فأنت أخى ، ووصيى ، ووزيرى ووارثى ، وخليفتى من بعدى . فنهض القوم ، وهم يقولون لأبى طالب : (ليهنأك اليوم ان دخلت فى دين ابن أخيك . فقد جعل ابنك أميراً عليك) .

وهذه منقبة جليلة اختصّ بها أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأولين ولا الأنصار ، ولا أحد من أهل الإسلام ، وليس لغيره عدل لها

من الفضل ولا مقارب على حال ، وفى الخبر بها ما يفيد أنّ بأمير المؤمنين عليه السلام تمكّن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من تبليغ الرسالة واظهارالدعوة والصدع بالإسلام ولولاه لم تثبت الملّة ، ولا استقرّت الشريعة ولا ظهرت الدعوة فهو ناصر الاسلام ، ووزير الداعى إلى الإسلام من قبل الله ـ عزّوجلّ ـ وبضمانه له النصرة تمّ له فى النبوّة ما أراد ، وفى ذلك من الفضل مالا يوازنه الجبال فضلاً ، ولا يعاد له الفضائل كلها محلاً وقدراً .

قال : ومن ذلك أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أمره بالهجرة عند اجتماع الملأ من قريش على قتله ، فلم يتمكن من مظاهرتهم بالخروج عن مكّة ، وأراد الاستسرار بذلك ، وتعمية خبره عنهم ليتم له الخروج على السلامة منهم ألقى خبره إلى أمير المؤمنين عليه السلام و استكتمه إيّاه ، وكلّفه الدفاع عنه بالمبيت على فراشه من حيث لا يعلمون انّه هو البائت على الفراش ، ويظنّون انّه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بائتاً على حاله الّتى كان يكون عليها فى ما سلف من اللّيالى . فوهب عليه السلام نفسه لله تعالى ، وشراها من الله تعالى فى طاعته ، وبذلها دون نبيّه عليه السلام لينجو به من كيد الأعداء ، ويتمّ له بذلك السلامة والبقاء ، وينتظم له به الغرض فى الدعاء إلى الملّة وإقامة الدين ، وإظهار الشريعة

فبات على فراشه متستراً بازاره ، وجاءه القوم الذين تمالاوا على قتله فأحدقوا به وعليهم السلاح يرصدونه طلوع الفجر ليقتلوه ظاهراً ، فيذهب دمه . فرغا بمشاهدة بنى هاشم قاتليه من جميع القبائل ولا يتم لهم الأخذ بثأره منهم لاشتراك الجماعة فى دمه ، وقعود كل قبيلة عن قتال رهطه ، ومباينة أهله فكان ذلك سبب نجاة النبى صلى الله عليه وآله وحفظ دمه ، وبقائه حتى صدع بأمر ربه .

ولولا أمير المؤمنين عليه السلام وما فعله من ذلك لما تم له التبليغ والأداء ولا استدام له العمر والبقاء ولظفر به الحسدة والأعداء . فلمّا أصبح القوم وأرادوا الفتك به ثار أمير المؤمنين عليه السلام إليهم فتفرّقوا عنه حين عرفوه ، وكان بذلك انتظام الايمان وارغام الشيطان ، وخذلان أهل الكفر والعدوان ، ولم يشاركه فى هذه المنقبة أحد من أهل الإسلام ، ولا احيط بنظير لها على حال ، ولا مقارب لها فى الفضل بصحيح الاعتبار .

وفي أمير المؤمنين عليه السلام ومبيته على الفراش أنزل سبحانه «ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد».

قال: ومن ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان أمين قريش على ودايعهم، فلمّا فجاءمن الكفار ما أحوجه إلى الهرب من مكّة لم يجد في قومه وأهله من يأتمنه على ما كان مؤتمناً عليه سوى أمير المؤمنين عليه السلام فاستخلفه في ردّ الودايع إلى أربابها، وقضاء ما كان عليه دين لمستحقيه، وجمع بناته ونساء أهله، وأزواجه والهجرة بهم اليه، ولم يرأنّ أحداً يقوم مقامه في ذلك من كافة الناس فوثق بأمانته وعوّل على نجدته وشجاعته، واعتمد في الدفاع عن أهله وحامّته على بأسه وقدرته واطمأن إلى ثقته على أهله وحرمه وعرف من ورعه وعصمته ما تسكن معه النفس إلى أمانته على ذلك فقام عليه السلام به أحسن القيام، وردّ كلّ وديعة إلى أهلها وأعطى كلّ ذي حقّ حقّه، وحفظ بنات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وحرمه، وهاجر بهم ما شيا على قدميه يحوطهم من الأعداء، ويكلأهم من الخصماء، ويرفق بهم في المسير حتّى أورد هم عليه عليه السلام المدينة على أتمّ صيانة وحراسة، ورفق ورأفة، وحسن تدبير فانزله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند ورود ه المدينة داره و أحلّه قراره، وخلطه بحرمه وأولاد ه، ولم يميّزه من خاصة نفسه، ولا احتشمه في باطن أمره وسرّه.

وهذه منقبة توحّد أمير المؤمنين عليه السلام بها من كافة أهل بيته وأصحابه، ولم يشركه فيها أحد من أشياعه وأتباعه، ولم يحصل لغيره من الخلق فضل سواها يعاد لها عند السبر، ولا يقاربها على الامتحان، وهي مضافة الى ما قدّمناه من مناقبه القاهر فضلها الباهرة بشرفها قلوب العقلاء. قال: ومن ذلك ما أجمع عليه السير أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم الى الاسلام وانفذ معه جماعة من المسلمين فيهم البراء بن عازب، وأقام خالد على القوم ستّة أشهر يدعوهم فلم يجبه أحد منهم، فساء ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فدعا أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يقفل خالداً ومن معه، وقال له: إن أراد ممّن مع خالد أن يعقب معك فاتركه قال البراء: فكنت في من عقب معه فلمّا انتهينا إلى أوايل أهل اليمن، و

بلغ القوم الخبر تجمّعوا له . فصلّى بنا الفجر ثم تقدم بين أيدينا ، فحمد الله تعالى و أثنى عليه ثم قرأ على القوم كتاب النبىّ صلى الله عليه وآله فاسلمت همدان كلها فى يوم واحد ـ و كتب عليه السلام بذلك إلى النبىّ صلى الله عليه وآله فاستبشر ، وابتهج ، وخرّ ساجداً شكراً لله تعالى ثم رفع رأسه وجلس وقال (السلام على همدان) ـ ثم تتابع بعد اسلام همدان ـ أهل اليمن على الاسلام .

وهذه أيضاً منقبة له عليه السلام ليس لأحد من الصحابة مثلها ولا مقاربها ، وذلك أنّه لما وقف الأمر فى ما بعث له خالد وخيف الفساد لم يوجد من يتلافى ذلك سواه فندب عليه السلام له فقام به أحسن قيام ، وجرى على عادة الله تعالى عنده فى التوفيق لما يلايم ايثار النبىّ صلى الله عليه وآله ، وكان بيمنه ورفقه وحسن تدبيره ، وخلوص نيّته فى طاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ هداية من اهتدى بهديه من الناس ، واجابة من أجاب إلى الإسلام وعمارة الدين ، وقوة الايمان وبلوغ النبىّ صلى الله عليه وآله ما آثره من المراد وانتظام الأمر على ما قرّت به عينه ، وظهر استبشاره به وسروره بتمامه لكافّة أهل الإسلام ، وقد ثبت أنّ الطاعة تعظم بتعاظم النفع فيها كما تعظم المعصية بتعاظم الضرر بها ، ولذلك صارت الأنبياء عليهم السلام أعظم الخلق ثواباً لتعاظم النفع بدعوتهم على سايرالمنافع بأعمال من سواهم من الناس .

قال : ومثل ذلك أيضاً ما جاء فى قصّة (براءة) وقد دفعها النبىّ صلى الله عليه وآله إلى أبى بكر لينبذ بها عهد المشركين . فلمّا سار غير بعيد نزل جبرئيل عليه السلام على النبىّ صلّى الله عليه وآله فقال : انّ الله يقرئك السلام ويقول : (لا يؤدى عنك إلّا أنت أو رجل منك) فاستدعى النبىّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال له : اركب ناقتى العضباء والحق أبا بكر فخذ (براءة) من يده وامض بها إلى مكّة ، وانبذ بها عهد المشركين إليهم وخيّر أبا بكر بين أن يسير مع ركابك أو يرجع إلىّ ، فركب عليه السلام ناقته العضباء ، وسار حتّى لحق أبا بكر . فلمّا رآه فزع من لحوقه به واستقبله وقال فيم جئت يا ابا الحسن أسائر أنت معى أم لغير ذلك . فقال عليه السلام له : أمرنى النبىّ صلى الله عليه وآله أن ألحقك . فاقبض منك

الآيات من (براءة) وانبذ بها عهد المشركين اليهم ، وأمرنى أن أخيرك بين أن تسير معى أو ترجع إليه . فقال : بل أرجع إليه ، وعاد إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقال له : إنك أهلتنى لأمر طالت الأعناق إلىّ فيه . فلمّا توجّهت له رددتنى عنه مالى انزل فىّ قرآن . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لا ولكنّ الأمين جبرئيل عليه السلام هبط إلىّ عن الله — عزّ وجل — بأنّه لا يؤدّى عنك إلّا أنت أو رجل منك ، وعلىّ منّى ولا يؤدى عنّى إلّا علىّ — فى حديث مشهور .

وكان نبذ العهد مختصاً بمن عقده او بمن يقوم مقامه فى فرض الطاعة وجلالة القدر ، وعلو الرتبة ، وشرف المقام ، ومن لا يرتاب بفعاله ، ولا يعترض عليه فى مقاله ومن هو كنفس العاقد وأمره أمره . فإذ احكم بحكم مضى واستقر ، وامن الاعتراض فيه ، وكان بنبذ العهد قوة الإسلام ، وكمال الدين ، وصلاح أمر المسلمين ، وفتح مكّة فاحبّ الله تعالى أن يجعل ذلك فى يد من ينوّه باسمه ، ويعلى ذكره ، وينبه على فضله ، ويدلّ على علو قدره ، ويُبينه به عمّن سواه .

قال : وأمثال ما عدّدناه كثير إن عمدنا إلى ايرادها طال الكتاب ، وفى ما أثبتناه كفاية لذوى الألباب

قلت : ولمّا قال عمر لابن عباس : إنّ قريشا قد موا أبا بكر وآخّروا صاحبك لأنّهم استصغروه فقال له ابن عباس : لكن الله لم يستصغره حيث أمره أن يأخذ (براءة) من صاحبك .

وقال هشام بن الحكم العجب من إخواننا نصبوا من عزله الله تعالى من السماء ، وعزلوا من نصبه من السماء .

قوله عليه السلام فى الأوّل « وإنّ مسيرى هذا لمثلها » : أى وإنّ مسيرى إلى أهل الجمل مثل مسيرى فى غزوات النبى صلى الله عليه وآله وسلم من بدر إلى حنين ، ويشهد لكون غزواته بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم مثل غزواته مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم قول عمّار فى صفين مشيراً إلى معاوية لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الرابعة ما هى بأبر وأتقى من تلك » .

هذا ، وجعل ارشاد المفيد هذه الفقرة بعد الفقرة الآتية (والله لقد قاتلتهم كافرين ، ولا قاتلنهم مفتونين) وفيه (وان مسيرى هذا عن عهد إلىّ فيه) .

ومسيره الأوّل كان على تنزيل القرآن ، ومسيره الأخير على تأويله وفى إرشاد محمّد بن محمّد بن النعمان روى اسمعيل بن على العمى ، عن نائل بن نجيح عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن يزيد ، عن أبى جعفر محمّد بن على ، عن أبيه عليه السلام قال : انقطع شسع نعل النبىّ صلى الله عليه وآله فدفعها إلى على عليه السلام يصلحها ثم مشى فى نعل واحد غلوة أو نحوها ، وأقبل على أصحابه ، وقال : إنّ منكم من يقاتل على التأويل كما يقاتل معى على التنزيل . فقال ابوبكر : أنا ذاك قال : لا فقال عمر : فأنا قال : لا قال : فامسك القوم ، ونظر بعضهم إلى بعض . فقال النبىّ صلى الله عليه وآله : لكنّه خاصف النعل ـ وأومئ بيده إلى على عليه السلام ـ فإنّه يقاتل على التأويل اذا تركت سنّتى ونبذت ، وحرّف كتاب الله ، وتكلّم فى الدين من ليس له ذلك . فيقاتلهم على إحياء دين الله .

« والله لقد قاتلتهم كافرين ولا قاتلنهم مفتونين » قال (حد) (هذا الكلام يؤكّد قول أصحابنا : انّ أصحاب صفّين والجمل ليسوا بكفّار خلافاً للامامية) .

قلت : إنّ الإماميّة لا يدّعون أنّهم كانوا كافرين ظاهراً بل باطناً ، وكونهم كافرين باطناً لا يمنع من اطلاق اسم المسلمين المفتونين عليهم ، و من مقابلتهم للكافرين الظاهرين .

ويشهد لقول الاماميّة بكفرهم باطنا قوله تعالى « فمنهم من آمن ومنهم من كفر »[1] روى نصر بن مزاحم ـ وهو من رجالهم ـ فى صفّينه عن يحيى عن على بن حزّور ، عن الاصبغ بن نباته قال : جاء رجل إلى على عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء القوم الّذين نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصلوة واحدة ، والحجّ

(١) البقرة ٢٥٣ .

واحد فبم نسميهم قال : نسميهم بما سمّاهم الله في كتابه قال : ما كل في الكتاب اعلمه قال : اما سمعت الله تعالى قال «تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض — إلى — ولو شاء الله ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعد ما جاءهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر» فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله ، وبالكتاب و بالنبيّ وبالحق . فنحن الّذين آمنوا ، وهم الّذين كفروا ، وشاء الله قتالهم فقاتلناهم هدى بمشية الله وارادته .

ثم ما يفعل بأهل النهروان فظاهر كلامه عليه السلام كونهم أيضاً من المفتونين لا الكافرين مع أنّ أصحابه أيضاً يقولون بكفرهم .

والإمامية لا يقتصرون على أصحاب الجمل وصفّين بل يطردون كلامه عليه السلام في معنى الآية في الثلاثة المتقدّمين عليه ويأتون في ذلك ببراهين كما مرّ نبذ مراراً ويأتي نبذ كراراً .

«وانّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم» إلى هنا العنوان الأول في نسخنا وزاد (حد) بعده : والله ما تنقم منّا قريش إلّا أنّ الله اختارنا عليهم . فادخلناهم في حيّزنا فكانوا كما قال الاول :

ادمت لعمري شربك المحض صابحا × واكلك بالزبد المقشر البجرا

ونحن رهبناك العلى ولم تكن × عليّا وحطناحولك الجرد والسمرا

و(ثم) أيضاً اقتصر على ما في نسخنا لكن قال : قد نقل في بعض النسخ في تمام هذه الخطبة «لتضجّ قريش ضجيجها ان تكن فينا النبوّة والله ما اتينا إليهم إلّا إنّا اخترنا عليهم) — الخ —

هذا ، وفي ارشاد المفيد (هذه الخطبة خطب عليه السلام بها لما نزل الربذة في توجهه إلى البصرة ، فلقيه بها آخر الحاج . فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه ، وهو في خبائه . قال ابن عباس : فاتيته فوجدته يخصف نعلاً فقلت له : نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج إلى ما تصنع . فلم يكلّمني حتى فرغ من نعله . ثم ضمّها إلى

صاحبتها ، وقال لى : قوّمهما . فقلت : ليس لهما قيمة . قال : على ذاك قلت : كسر درهم . قال : والله لهما أحبّ إلىّ من أمركم هذا إلّا أن أقيم حقّاً أو أدفع باطلاً قلت إنّ الحاجّ اجتمعوا ليسمعوا من كلامك . فتأذن لى فى أن أتكلم فإن كان حسناً كان منك وإن كان غير ذلك كان منّى قال : لا أنا أتكلّم ثم وضع يده على صدرى ـ و كان شثن الكفين ـ فآلمنى ثم قام فاخذت بثوبه ، وقلت : نشدتك الله والرحم قال : لا تنشدنى ثم خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنّ الله بعث محمّداً ، وليس فى العرب أحد يقرأ كتاباً ويدّعى نبوّة فساق الناس إلى منجاتهم اهوالله ما زلت فى ساقتها) ـ الى آخر ما مر .

قوله عليه السلام في الأوّل « فلا نقبن الباطل حتّى يخرج الحق من جنبه » و فى الثانى « وأيم الله لا بقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته » دال على أنّ المتقدّمين عليه لبسوا الحقّ بالباطل على حدّ بلّعوا الباطل الحق حتّى صار الحقّ فى جوف الباطل ، وأنّه عليه السلام يجدّ ويسعى فى أن ينقب الباطل ويبقر بطنه حتى يخرج الحق من جنبه وخاصرته .

وكان بلغ من لبسهم على الناس بتبليغاتهم الباطلة أنّ مسلم بن عقبه لما حضره الموت قال : اللهم انك تعلم انى لم اغشّ خليفة قط فى سرّ و علانية ، وان ازكى عمل عملته بعد شهادة ألّا اله إلّا الله قتلى اهل الحرّة ، ولئن دخلت النار بعد قتلهم انى لشقى ، وقال لطبيبه الّذى بعثه يزيد معه لمرضه اليك عنّى إنما كنت أحبّ أن أبقى حتّى اشتفى من قتلة عثمان ، وقد ادركت ما اردت فما شئ احبّ إلىّ من أن أموت على طهارتى قبل أن أحدث حدثاً فإنّ الله قد طهّرنى بقتل هؤلاء الأرجاس

وفى الصحاح (نقب البيطار سرّة الدابة ليخرج منها ما اصفر وتلك الحديدة منقب بالكسر ، والمكان منقب بالفتح قال « اقبّ لم ينقب البيطار سرّته » وقولهم (ابقرها عن جنينها) : اى شق بطنها عن ولدها ، والخصروسط الانسان .

٣/ ٣٦/ ١/ (ومن كلام له عليه السلام يجرى مجرى الخطبة) (فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا ، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا ، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللّٰهِ حِينَ وَقَفُوا وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً ، وَأَعْلاهُمْ فَوْتاً فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا ، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ رَضِينَا عَنِ اللّٰهِ قَضَائَهُ ، وَسَلَّمْنَا لِلّٰهِ أَمْرَهُ ، أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَاللّٰهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ . فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ . فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي . فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي

أقول : قال الصاحب بن عباد مخاطباً له عليه السلام مشيراً إلى نحو ما عدّده عليه السلام من صفاته :

ايا ابن عم رسول الله افضل من	×	ساد الأنام و ساس الهاشمينا
يا بدر قالدين يا فرد الزمان اصخ	×	لمدح مولى يرى تفضيلكم دينا
هل مثل سيفك فى الاسلام لو عرفوا	×	وهذه الخصلة الغراء تكفينا
هل مثل علمك ان زلّوا وان وهنوا	×	وقد هديت كما اصبحت تهدينا
هل مثل قولك اذ قالوا مجاهرة	×	لولا علىّ هلكنا فى فتاوينا
هل مثل جمعك للقرآن تعرفه	×	لفظا ومعنى و تاويلاً و تبيينا
هل مثل صبرك اذ خانوا واذ فشلوا	×	حتى جرى ماجرى فى يوم صفينا
هل مثل ذلك للعانى الاسير لد	×	طفل الصغير وقد اعطيت مسكينا

وفى مجالس المفيد سئل الفضل بن شاذان عن الدليل على امامة امير المؤمنين

عليه السلام فقال : الدليل عليه من كتاب الله تعالى ومن سنّة نبيّه ﷺ ، ومن اجماع المسلمين . فأما كتاب الله فقوله تعالى (يا أيّها الّذين آمنوا اطيعوا الله و اطيعوا الرسول وأُولى الأمر منكم)(١) فدعانا إلى طاعة أُولى الأمر كما دعانا إلى طاعة نفسه وطاعة رسوله ، فاحتجنا إلى معرفة أُولى الأمر كما يوجب علينا معرفة الله ، ومعرفة رسوله فنظرنا فى أقاويل الأمّة فوجدناهم قد اختلفوا ، وأجمعوا فى الآية على ما يوجب كونهما فى أمير المؤمنين ، فقال بعضهم : أُولوا الأمر هم أُمراء السرايا ، وقال بعضهم هم العلماء وقال بعضهم : هم القوّام على الناس ، والآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر وقال بعضهم : هم على بن أبى طالب ، والأئمة من ذريته .

فسألنا الفرقة الأُولى ، فقلنا لهم : اليس على بن أبى طالب من امراء السرايا . فقالوا بلى : وقلنا للثانية : الم يكن على من العلماء . فقالوا بلى ، وقلنا للثالثة : أليس (على) كان من القوّام على الناس بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر . فقالوا : بلى فصار أمير المؤمنين عليه السلام معنياً بالآية باتفاق الامة واجماعها ، وتيقّنا ذلك باقرار المخالف لنا فى امامته ، والموافق عليها ، فوجب أن يكون إماماً بهذه الآية لوجود الاتّفاق على أنّه معنىّ بها ، ولم يجز العدول الى غيره والاعتراف بامامة سواه لوجود الاختلاف فى ذلك ، وعدم الاتفاق ، وما يقوم مقامه فى البرهان ـ

وأما السنّة فإنّا وجدنا النبىّ ﷺ استقضى علياً عليه السلام على اليمن ، وأمّره على الجيوش ، وولّاه الأموال ، وأمره بأداءها إلى بنى جذيمة الّذين قتلهم خالد بن الوليد ظلماً ، واختار علياً عليه السلام لأداء رسالات الله ـ عزّوجلّ ـ ، والابلاغ عنه سورة (برائة) واستخلفه عند غيبته على من خلّف ، ولم نجد النبىّ ﷺ سنّ هذه السنن فى غيره ، ولا اجتمعت هذه السنن فى أحد بعد النبىّ ﷺ كما اجتمعت فى على عليه السلام ، وسنة النبىّ ﷺ واجبة بعد موته كوجوبها فى حيوته ، وانما تحتاج الأمّة لهذه الخصال الّتى ذكرناها . فإذا وجدناها فى رجل قد سنّها النبىّ ﷺ فيه

(١) النساء ٥٩ .

كان أولى بالامامة ممّن لم يسنّ النبيّ صلى الله عليه وآله فيه شيئاً من ذلك.

وأمّا الاجماع فإنّ امامته تثبت من وجوه منها أنّهم قد أجمعوا على أنّ علياً عليه السلام قد كان إماماً، ولو يوماً واحداً، ولم يختلف في ذلك أصناف أهل الملّة. ثم اختلفوا فقالت طائفة: كان إماماً في وقت كذا دون كذا، وقالت طائفة: كان إماماً بعد النبيّ صلى الله عليه وآله في جميع أوقاته، ولم تجتمع الأمّة على غيره إنّه كان إماماً في الحقيقة طرفة عين، والاجماع أحق أن يتّبع من الخلاف.

ومنها انهم أجمعوا جمعاً على انّ علياً عليه السلام كان يصلح للإمامة، وانّ الإمامة تصلح لبني هاشم، واختلفوا في غيره فقالت طائفة لم تكن تصلح لغير علي عليه السلام، و لا تصلح لغير بني هاشم، والاجماع حق لا شبهة فيه والإختلاف لا حجة فيه.

ومنها أنّهم أجمعوا على أنّ علياً عليه السلام كان بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ظاهر العدالة واجبة له الولاية. ثم اختلفوا فقال قوم: انّه كان مع ذلك معصوماً من الكبائر والضلال، وقال آخرون: لم يكن معصوماً ولكن كان عدلاً براً تقيّاً لا يشوب ظاهره الشوائب فحصل الاجماع على عدالته، واختلفوا في نفي العصمة عنه ثم أجمعوا كلّهم على أنّ أبا بكر لم يكن معصوماً واختلفوا في عدالته. فقالت طائفة: كان عدلاً وقالت أُخرى: لم يكن عدلاً لأنّه أخذ ما ليس له. فمن أجمعوا على عدالته واختلفوا في عصمته اولى بالامامة ممّن اختلفوا في عدالته، وأجمعوا على نفي العصمة عنه.

قول المصنّف «ومن كلامه عليه السلام يجرى مجرى الخطبة» قال (حد) هذه فصول أربعة لا يمتزج بعضها ببعض، وانّما الرضي التقطها من كلامه عليه السلام طويل منتشر قاله بعد النهروان ذكر فيه حاله منذ توفي النبيّ صلى الله عليه وآله إلى آخر وقته الفصل الأوّل: قوله عليه السلام (فقمت — إلى — واستبددت برهانها) يذكر فيه مقاماته في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ايّام احداث عثمان، وكون المهاجرين كلهم لم ينكروا ولم يواجهوه بما كان هو عليه السلام يواجهه به وينهاه عنه، والفصل الثاني: قوله عليه السلام (كالجبل — إلى — رضينا) ذكر فيه حاله عليه السلام بعد أيّام خلافته،

والفصل الثالث: من قوله عليه السلام (رضينا ـ إلى ـ فنظرت) قاله عليه السلام لما تفرّس من قوم فى عسكره أنّهم يتّهمونه فى ما يخبرهم به عن النبىّ صلى الله عليه وآله من الملاحم والغائبات والفصل الرابع، من قوله (فنظرت) الى آخره يذكر فيه حاله بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه وآله وأنّه كان معهوداً إليه أن لا ينازع فى الأمر.

فلت: قلنا فى اول الكتاب: ان ما ينسبه إلى الرضى عليه السلام انّه يسرد ما يلتقط من كلام واحد أو متعدد خلاف طريق المحاورة، ولا يناسب مع البلاغة الّتى جعلها الرضى موضوع كتابه، وانا رأينا الرضى ـ ره ـ يقول فى ما اذا ما حذف من خطبة أو كلام أو كتاب (ومنها) و (ومنه) فإن كان له هنا فى ما قاله سند فليأت به، وان كان قاله حدساً، فالظن لا يغنى من الحق شيئاً.

وممّا يدل على بطلان زعمه فى خصوص الفصلين الأولين، ورود مضمونيهما متصلين فى زيارته عليه السلام فى المبعث (وقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تعتعوا، ومضيت بنور الله اذ وقفوا، فمن اتّبعك فقد هدى. كنت أوّلهم كلاماً. و أشدّهم خصاماً، وأصوبهم منطقاً، وأسدّهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأكثرهم يقيناً وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمور، وكنت للمؤمنين أباً رحيماً. إذ صاروا عليك عيالاً تحملت اثقال ما عنه ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، و شمرت إذ سمنوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، كنت على الكافرين عذاباً صبّاً، وغلظة وغيظاً، وللمؤمنين غيثاً وخصباً، لم تفلل حجتك، ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك. كنت كالجبل لا تحرّكه العواصف، ولا تنزيله القواصف كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله قوياً فى دينك. متواضعاً فى نفسك، عظيماً عند الله كبيراً فى الأرض جليلاً فى السماء، لم يكن لاحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز، ولا لخلق فيك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، يؤجد الضعيف الذليل عندك قوياً عزيزاً حتى تأخذ له بحقه، والقوى العزيز عندك ضعيفاً ذليلاً حتّى تأخذ منه الحق القريب والبعيد عندك فى ذلك سواء شانك الحق، والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم

وأمرك حلم وعزم ، ورأيك علم وحزم . اعتدل بك الدين ، وسهل بك العسير ، و اطفئت بك النيران ، وقوى بك الايمان ، وثبت بك الاسلام) .

وما أنكر (حد) من اتصالهما مع كون كليهما وصف حاله وشرح صفاته ، ويشهد لاتصالهما أيضاً ما رواه محمد بن يعقوب الكليني في كافيه في (باب مولده عليه السلام) مسنداً عن أسيد الصحابي قال : لمّا كان اليوم الذي قبض فيه اميرالمؤمنين عليه السلام ارتج الموضع بالبكاء ، ودهش الناس كيوم قبض فيه النبي صلى الله عليه وآله ، وجاء رجل باكياً وهو يقول « اليوم انقطعت خلافة النبوّة » حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام فقال : (رحمك الله يا أبا الحسن كنت أوّل القوم إسلاماً ، وأخلصهم ايماناً ، وأشدّهم يقيناً ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم عناء ، وأحوطهم على رسول الله ، وآمنهم على أصحابه ، وأفضلهم مناقب ، وأكرهم سوابق وأرفعهم درجة ، وأقربهم من رسول الله ، وأشبههم به هدياً وخلقاً وسمتاً وفعلاً ، وأشرفهم منزلة ، وأكرمهم عليه . فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً . قويت حين ضعف أصحابه ، وبرزت حين استكانوا ، ونهضت حين وهنوا ، ولزمت منهاج رسول الله إذ همّ اصحابه ، كنت خليفته حقاً لم تنازع ، ولم تضرع برغم المنافقين وغيظ الكافرين ، وكره الحاسدين . وضغن الفاسقين . فقمت بالامر حين فشلوا ، ونطقت حين تعتعوا ، ومضيت بنور الله إذ وقفوا ، واتّبعوك فهد ، واكنت أخفضهم صوتاً ، و أعلاهم فنوتاً ، وأقلّهم كلاماً ، وأصوبهم نطقاً ، وأكبرهم رأياً وأشجعهم قلباً وأشدهم يقيناً ، وأحسنهم عملاً ، وأعرفهم بالأمور ، كنت والله يعسوب الدّين أوّلاً و آخراً : الأول حين تفرّق الناس ، والآخر حين فشلوا . كنت للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً . فحملت أثقال ماعنه ضعفوا . وحفظت ما أضاعوا ، ورعيت ما اهملوا ، و شمّرت إذ اجتمعوا ، وعلوت إذ هلعوا ، وصبرت إذ أسرعوا ، وأدركت أوتارما طلبوا ونالوا بك مالم يحتسبوا ، إلى أن قال : وبكى وبكى اصحاب النبي صلى الله عليه وآله ثم طلبوه فلم يجدوه .

ومن أين أنّ ماجعله الفصل الثالث والرابع لم يكن ربطهما بقرائن حاليه عرفها الشاهدون كأن يكون قوله ع (رضينا) إلى آخر كلامه جواباً لتعبير المنافقين له بقوده كالجمل المخشوش لبيعة أبى بكر ، وأنّ ما يدّعيه من أنّ النبىّ ص قال له : إنّ الأمّة تغدر به) افتراء منه ع عليه ص وأنّه ع كان مأموراً من قبله ص بالصبر على مايرى بعده منهم ، مع أنّه لو تجمد على ربط حاقّ اللفظ كان عليه أن يجعل كلامه ع فصولاً خمسة لأنّ قوله ع (أترانى أكذب على رسول اللّه ص) إلخ - أربط له بقوله ع (رضينا عن اللّه قضائه) - إلخ - وقد جعلهما كلاماً واحداً ، ثمّ على فرض كون كلامه (فصولاً من أين أنّ المراد بها ماقاله فهو رجم بالغيب وستعرف المراد بها مع الشواهد ، مع أنّ قوله (الفصل الأوّل يذكر ع فيه مقاماته فى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر أيّام احداث عثمان ، وكون المهاجرين كلّهم لم ينكروا ولم يواجهوه بما كان ع يواجهه) غلط فإنّ عثمان لم يكن له رفعة حتّى يفتخر ع بذلك ، والمهاجرون كلّهم أنكروا عليه مؤمنوهم ، ومنافقوهم حتّى عمرو بن العاص وكيف ومن رؤس المهاجرين عندهم طلحة ، والزبير وعايشة ، وهم سبّبوا قتله ، وأمر عثمان كان أمراً أنكره كلّ برّ وفاجر ، واشترك فى قتله المهاجرون والأنصار والتابعون وانكار جمع سيّرهم إلى الشام لانكارهم مذكور فى السير ، وانكارات أبى ذر حتّى سيّره أوّلاً إلى الشام ، ثمّ إلى الربذة معروفة ، وإنكارات عمّار حتّى داسوا بطنه لذلك ، وحدث به فتق وخيف هلاكه معلومة ، ولم نعلم فى المهاجرين من لم ينكر على عثمان ، اللّهمّ إلّا أن يريد بما قال أبا سفيان بن حرب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم ، وعبد اللّه بن أبى سرح أخا عثمان من الرضاعة ، وباقى بنى اُميّة وذويه ممّن قاموا معه يخضمون مال اللّه خضم الإبل نبتة الربيع ، نعم تصدى ع لأيّام عثمان ببعض الاُمور لم يجترء عليه غيره كمشايعته أبا ذر لمّا أخرجه عثمان إلى الربذة مظلماً وإقامته ع الحدّ على أخى عثمان لاُمّه الوليد بن عقبة لمّا سكر وصلّى الصبح بالناس أربعاً وغنّى فى

صلوته . « فقمت بالأمرحين فشلوا » بالكسر : أى جبنوا روى الطبرى أنّ يوم اُحد لمّا قتل على عليه السلام أصحاب الالوية أبصر النبىّ صلى الله عليه وآله جماعة من مشركى قريش

فقال لعلى عليه السلام : احمل عليهم ، فحمل عليهم ، ففرّق جماعتهم كرارا وقتل شيبة بن مالك ـ أحد بنى عامر بن لوى . فقال جبرئيل عليه السلام للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : انّ هذه للمواساة فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : انّه منّى وأنا منه ، فقال جبرئيل : وأنا منكما ، فسمعوا صوتاً : لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا على .

و روى أيضاً ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك انتهى إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد القوا بأيديهم . فقال لهم : مايجلسكم قالوا : قتل محمّد رسول الله . قال : فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله ، ثم استقبل القوم فقاتل ـ الى أن قال : وفشا أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل ، فقال بعض أصحابه : نبعث رسولاً إلى عبد الله بن ابىّ . فيأخذ لنا امنة من أبى سفيان ياقوم انّ محمّداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم . فيقتلوكم .

فقال أنس بن النضر : ياقوم إن كان محمّد قد قتل فانّ ربّ محمّد لم يقتل فقاتلوا على ماقاتل عليه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم اللّهم انّى أعتذر اليك ممّا يقول هؤلاء ، وأبرء إليك ممّا جاء به هؤلاء ثم شدّ بسيفه فقاتل حتّى قتل ـ إلى أن قال ـ فقال الله ـ عزّوجلّ ـ للّذين قالوا : انّ محمّداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم «وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئا»[1]

وهو وان اجمل فى الذيل إلّا انّ إفصاح الصدر يكفى لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد .

«وتطلّعت حين تقبّعوا» يقال (قبع القنفذ) إذا أدخل رأسه فى جلده .

قال القمى كانت راية قريش يوم أحد مع طلحة بن أبى طلحة من بنى عبد الدار فبرز ونادى يا محمّد تزعمون أنّكم تجهّزونا بأسيافكم إلى النار ، ونجهّزكم بأسيافنا

(۱) آل عمران ۱۴۴

إلى الجنة . فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز الىّ . فبرز اليه أمير المؤمنين عليه السلام . فقال له طلحة : من أنت ياغلام؟ قال : أنا علىّ بن أبيطالب ، قال : قد علمت ياقضيم أنه لا يجسر علىّ غيرك ـ إلى أن قال ـ

سئل أبوعبد الله عليه السلام عن معنى قول طلحة له عليه السلام : يا قضيم فقال : أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لمّا كان بمكّة ، ولم يجسروا عليه لمكان ابى طالب يغرون به صبيانهم . فكانت صبيانهم اذا خرج النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يرمونه بالحجارة والتراب . فشكا ذلك إلى على عليه السلام . فقال له : بأبى أنت وأمّى إذا خرجت فأخرجنى معك . فخرج معه ، وتعرض الصبيان للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كعادتهم ، فحمل عليهم على عليه السلام وكان يقضمهم فى وجوههم ، وآنافهم ، وآذانهم ، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ، ويقولون : قضمنا على . قضمنا على ، فسمّى لذلك القضيم .

وفى الطبرى فرّيوم اُحد عثمان بن عفان ، ورجلان من الأنصار ، حتى بلغوا الجلعب ـ جبل بناحية المدينة ـ فاقاموا به ثلاثاً ـ الخبر ـ

ولما كان يوم الأحزاب ، وبرز عمرو بن عبد ود وطلب المبارز مرّة بعد مرّة حتى بحّ صوته فتقبعوا وادخلوا رؤسهم فى اعناقهم كالقنفذ تطلع عليه السلام إليه و بادر الى حربه حتى قتله .

وممّا يدلّ على فشل صحابتهم الذين يبخبخون بهم ، وعلى تقبعهم ما رواه الطبرى فى الأحزاب عن محمّد بن كعب قال : قال ، فتى من أهل الكوفة لحذيفة . رايتم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وصحبتموه . فكيف كنتم تصنعون . فقال : يا ابن أخى والله لقد رأيتنا مع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بالخندق ، وصلّى هويّا من اللّيل ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ـ يشرط له رسول الله انّه يرجع ويدخله الله الجنّة ـ قال : فما قام منّا رجل قال : ثم صلّى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم هويّاً من اللّيل ثم التفت إلينا . فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم . ثم يرجع ويشرط له رسول الله الرجعة ، واسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة . قال : فما قام رجل من القوم

من شدّة الخوف وشدّة الجوع وشدّة البرد ، فلمّا لم يقم أحد دعانى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن لى بدّ من القوم حين دعانى — الخبر —

وما رواه الطبرى فى الحديبيّة عن المسور قال : لمّا فرغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قضيته قال لأصحابه : قوموا فانحروا ثم أحلقوا قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات . فلمّا لم يقم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس .

و روى عن ابن عباس قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصّر آخرون . فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : يرحم الله المحلّقين قالوا : والمقصّرين يا رسول الله . قال النبىّ — صلّى الله عليه وآله : يرحم الله المحلّقين ، قالوا : يا رسول الله والمقصّرين . قال : والمقصّرين قالوا له : فلم ظاهرت الترحم للمحلّقين دون المقصرين قال : لأنّهم لم يشكّوا .

قلت : وقصّة شك عمر ذاك اليوم وانكاره على النبى صلى الله عليه وآله وسلم معروفة قال الطبرى قال الزهرى : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بنى عمرو بن لوى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا له : ايت محمّداً فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلّا أن يرجع عنّا عامه هذا فوالله لا تحدّث العرب انّه دخل علينا عنوة أبداً قال : فأقبل سهيل . فلمّا انتهى إليه تكلّم . فأطال الكلام وتراجعا . ثم جرى بينهما الصلح . فلمّا التام الأمر ، ولم يبق إلّا الكتاب ، وثب عمر . فأتى أبا بكر . فقال : أليس برسول الله ؟ قال : بلى قال : أولسنا بالمسلمين . قال : بلى قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلى م نعطى الدنية فى ديننا ثم أتى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ألست برسول الله قال : بلى قال : أولسنا بالمسلمين قال : بلى قال : أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلى م نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى

وزاد فى خبر آخر فقام عمر مغضباً وقال : والله لم أجد أعواناً ما أعطيت الدنيّة أبداً — إلى أن قال — .

فلما كان يوم الفتح وأخذ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مفتاح الكعبة قال : ادعوا لى عمر

فجاء فقال هذا الذى كنت وعدتكم به .

«ونطقت حين تمنعوا» هكذا فى المصرية ، والصواب (تعتعوا) كما فى (حد ، وثم) والتعتعة التردد فى الكلام من حصر أو عىّ ، وقال الشاعر :

اخاطب جهراً اذ لهن تخافت × وشتّان بين الجهر والمنطق الخفت

وفى الآثار أنّ رجلين اختصما إلى النبىّ صلّى الله عليه وآله فى بقرة قتلت حماراً ، فقال أحدهما بقرة هذا قتلت حمارى . فقال : اذهبا إلى أبى بكر فاسالاه عن ذلك فجاءا إليه ، وقصا عليه قصّتهما . قال : كيف تركتما النبىّ وجئتمانى قالا : هو أمرنا بذلك . فقال لهما : بهيمة قتلت بهيمة لا شئ على ربّها . فعادا إلى النبىّ صلّى الله عليه وآله فاخبراه فقال لهما : امضيا إلى عمر فمضيا ، فقال لهما : كيف تركتما النبى وجئتمانى فقالا إنّه أمرنا ، قال : كيف لم يأمركما بالمصير إلى أبى بكر ، قالا : قد أمرنا وصرنا إليه ، قال : فما الّذى قال ، قالا : كيت وكيت قال : ما أرى إلّا رأى ابوبكر فعادا إلى النبىّ

فقال لهما : اذهبا إلى علىّ بن أبى طالب ، فمضيا إليه . فقال عليه السلام : إن كانت البقرة دخلت على الحمار فى مأمنه . فعلى ربها قيمة الحمار لصاحبه ، وإن كان الحمار دخل على البقرة فى مأمنها فقتلته فلا غرم على صاحبها . فعادا إلى النبىّ صلّى الله عليه وآله ، فأخبراه بقضيّته . فقال عليه السلام : لقد قضى علىّ بن أبى طالب بينكما بقضاء الله تعالى — ثم قال : الحمد لله الّذى جعل فينا أهل البيت من يقضى على سنن داود فى القضاء .

«ومضيت بنور الله حين وقفوا» لما كان خاطب بن أبى بلتعة كتب إلى أهل مكّة يخبرهم بعزيمة النبىّ صلّى الله عليه وآله على فتح مكّة ، واعطى الكتاب امرئة سوداء كانت وردت المدينة لتستميح الناس ، وجعل لها جعلا ان توصله إلى قوم سمّاهم لها من أهل مكّة ، وأمرها أن تأخذ على غير الطريق ، فنزل الوحى بذلك . فاستدعى النبى صلّى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام وقال له : انّ بعض أصحابى قد كتب إلى أهل مكّة يخبرهم بخبرنا ، وقد كنت سألت الله تعالى أن يعمى أخبارنا عليهم ، والكتاب

مع امرئة سوداء قد اخذت على غير الطريق فخذ سيفك والحقها ، وانزع الكتاب منها وخلّها . ثم استدعى النبى صلى الله عليه وآله وسلم الزبير ، وقال : له امض مع على فى هذا الوجه ، فمضيا ، وأخذا على غير الطريق ، فأدركا المرئة ، فسبق إليها الزبير ، فسألها عن الكتاب الّذى معها . فأنكرته ، وحلفت أنّه لا شئ معها ، وبكت . فقال الزبير : ما أرى يا أبا الحسن معها كتاباً . فارجع بنا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم لنخبره ببرائة ساحتها . فقال عليه السلام : يخبرنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّ معها كتاباً ، ويأمرنى بأخذه منها ، وتقول : أنت لا كتاب معها ، ثم اخترط سيفه ، وتقدم إليها فقال : أما والله لئن لم تخرجى الكتاب لأكشفنك . ثم لأضربن عنقك . فقالت : إذا كان لا بد من ذلك . فاعرض بوجهك عنّى . فاعرض عليه السلام فكشفت قناعها ، وأخرجت الكتاب من قبيصتها فأخذه ، وصار به إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

«وكنت أخفضهم صوتاً» خفض الصوت من ممدوح الصفات وضدّه من مذمومها قال تعالى حاكياً عن لقمان لابنه «واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير»[1] .

«وأعلاهم فوتاً» : أى من أن يفوت منه شئ ويسبق عليه ، وفى النهاية (فاتنى فلان بكذا) اى سبقنى به .

وفى تفسير القمى كانت هند بنت عتبة قد اعطت فى غزوة أحد ، وحشياً عهد ألئن قتلت محمّداً أو علياً أو حمزة لأعطيتك — وكان وحشى عبد الجبير بن مطعم حبشياً فقال لها : أمّا محمّد فلا أقدر عليه ، وأمّا على فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات ، فلم أطمع فيه ، ولكن أكمن لحمزة — إلخ —

«فطرت» الكلمة مركبة من فاء التعقيب ، والمتكلم وحده من طار .

«بعنانها» : أى طرت بعنان فرس السبق . فقالوا فى المضمار يستحق من سبق ولو بعنق فرسه من السبقة وما وقع عليه الراهنة ، ويمكن أن تكون السبقة مشتركة

(١) لقمان ١٩ .

بين المجلى والمصلى والتالى والبارع والمرتاع والخطى والعاطف والموئل واللطيم والسكيت دون الفسكل وهو الأخير لا نه يصدّق فى كل من سواه التقدم على الآخر فى الجملة ، ولكن من كان سبقه كمن طار بعنان فرسه لا بد أن يستقل بالرهان ، ولا يكون له فيه شريك من باقى المرسان .

«كالجبل لا تحرّكه القواصف» : أى الرياح الكاسرة للأشجار .

«ولا تزيله العواصف» : أى الرياح الشديدة الناقلة للأشياء من محلّ إلى محلّ آخر .

ولما بعثه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لقبض ما صالح عليه أهل نجران ، ففعل ورجع ، وقد كان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم توجّه وساق البدن ، واشركه عليه السلام فى هديه تقدم عليه السلام على الجيش للقاء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم . ثم عاد إليهم ، ووجدهم قد لبسوا الحلل الّتى كانت معهم فانكرذ لك عليهم ، وانتزعها منهم ، وشدّها فى الاعدال فاضطغنوا ذلك عليه فلمّا دخلوا مكّة على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أكثروا الشكاية منه عليه السلام . فأمر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم منادياً ينادى في الناس «ارفعوا ألسنتكم عن على بن أبى طالب فإنّه خشن فى ذات الله ـ عزّ وجلّ ـ غير مداهن فى دينه فكفّوا .

«لم يكن لأحد فى مهمز» : أى محل عيب قيل للصادق عليه السلام : إنّ قوماً ههنا ينتقصون علياً عليه السلام قال : بم ينتقصونه لا أبا لهم ، وهل فيه موضع نقيصة والله ما عرض لعلى عليه السلام أمران قط كلاهما لله طاعة إلّا عمل بأشدّهما عليه وأشقهما ولقد كان يعمل العمل كانّه قائم بين الجنّة والنار ، وأنّه كان ليقوم الى الصلوة . فإذا قال «وجّهت وجهى» تغيّر وجهه حتّى يعرف ذلك فى لونه ، ولقد اعتق ألف عبد من كدّ يده يعرق فيه جبينه ويجفر فيه كفّه ، ولقد بشّر بعين نبعت فى ماله مثل عنق الجزور . فقال : «بشّر الوارث» ثم جعلها صدقة على الفقراء والمساكين وابن ـ السبيل ـ الخبر ـ

«ولا لقائل فى مغمز» : أى موضع طعن .

وإنما أراد عمر الغمز فيه عليه السلام كباقي ستة الشورى فلم يجد شيئاً فاضطر إلى أن يستهجن فضائله عليه السلام فاخرج حسن خلقه عليه السلام في لباس سوء ، فسماه دعابة وتبعه عمرو بن العاص، وأراد معاوية همزه عليه السلام . ففضح نفسه ، والمؤسسين له فكتب إليه عليه السلام (انك كنت تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى بايعت أبا بكر) فأجابه عليه السلام «لقد أردت أن تذم فمدحت ، وأن تفضح فافتضحت ، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه .

«الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له» روى ابن عبد ربه في عِقده والبغدادي في بلاغاته في وفود سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية قالت له لا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ، ويبطش بسلطانك ، فيحصدنا حصد السنبل ، ويدوسنا دوس البقر ، ويسومنا الخسيسة ، ويسلبنا الجليلة ، هذا بسر بن أرطاة قد علينا من قبلك . فقتل رجالي ، وأخذ مالي يقول لي فوهي بما استعصم الله منه ، ولولا الطاعة لكان فينا عزومنعة ، فأما عزلته عنا فشكرناك ، وأما لا فعرفناك فقال لها معاوية : أتهدد ديني بقومك لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فاردك إليه حتى ينفذ فيك حكمه قال : فاطرقت تبكي ثم أنشأت تقول :

صلى الاله على جسم تضمنه × قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا × فصار بالحق والايمان مقرونا

فقال لها : ومن ذاك؟ قال : علي بن أبي طالب . قال : وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟ قالت : قدمت عليه في رجل ولاه صدقاتنا ، وكان بيني وبين الرجل ما بين الغث والسمين ، فاتيت علياً لا شكوا اليه . فوجدته قائماً يصلي . فلما نظر الي انفتل من صلوته . ثم قال لي برأفة وتعطف ألك حاجة فاخبرته الخبر . فبكى ثم قال « اللهم انك أنت الشاهد علي وعليهم . اني لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا بترك حقك »

ثم اخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب ، فكتب فيها « بسم الله

الرحمن الرحيم قد جائتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا فى الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ» إذ اقرات كتابى فاحتفظ بما فى يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك» قالت: فاخذ تهمنوا الله ماختمه بطين، ولا خزمه بخزام فقراته. فقال لها معاوية، فقال لقد لمظكم ابن أبيطالب الجرأة على السلطان فبطيئا ما تفطمون الخبز

والمراد بقول سودة «فوهى بما استعصم الله منه»: أى سبّى علياً، واستعيذ بالله من ذلك.

«والقوى عندى ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه» فى المناقب أخذ على عليه السلام رجلاً من بنى أسد فى حدّ. فاجتمع قومه ليكلّموه فيه، وطلبوا إلى الحسن عليه السلام أن يصحبهم. فقال: ايتوه فهو اعلى بكم عيناً. فدخلوا عليه وسألوه فقال: لا تسألونى شيئاً املكه إلّا اعطيتكم. قال: فخرجوا يرون انّهم قد انجحوا، فسألهم الحسن عليه السلام فقالوا: اتينا خيرما تىّ ـ وحكوا لهقوله ـ فقال «ماكنتم فاعلين إذ اجلد صاحبكم فاصنعوه» قال: فاخرجه على عليه السلام فحدّه ثم قال: هذا والله لست أملكه.

هذا ورووا ـ وقد نقله (حد) فى موضع آخر عن أسلم أبى زيد بن أسلم قال: خلا عمر لبعض شأنه وقال: امسك علىّ الباب. فطلع الزبير. فكرهته حين رايته فاراد ان يدخل. فقلت: هو على حاجة قال: فلم يلتفت إلىّ، وأهوى ليدخل فوضعت يدى فى صدره. فضرب أنفى. فأدماه. ثم رجع فدخلت على عمر فقال: من فعل بك هذا قلت: الزبير. فارسل إليه، فلما دخل جئت لانظر ما يقول له. فقال له: ما حملك على ما صنعت اد ميتنى للناس، فقال الزبير ـ: يحكيه ويمطّط فى كلامه ـ اد ميتنى اتحتجب عنّا يا ابن الخطاب. فقال عمر كالمعتذر: انّى كنت فى بعض شأنى ـ قال اسلم فلمّا سمعته يعتذر اليه يأست من أن يأخذ لى بحقى، وخرج الزبير. فقال لى عمر انّه الزبير وآثار ما تعلم.

وفي عيون ابن قتيبة تنازع إثنان: أحدهما سلطانى والآخر سوقى فضربه السلطانى

فصاح واعمراه ، ورفع خبره إلى المأمون ، فأمر بإدخاله عليه قال: من أين أنت قال : من أهل فامية ، قال : إنّ عمركان يقول: من كان جاره نبطياً واحتاج إلى ثمنه فليبعه فإن كنت تطلب سيرة عمر فهذا حكمه.

« رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره » يمكن ربط هذا بما قبله انّه لمّا بيّن عليه السلام مقاماته ، ورفعه على الباقين كرفع السموات على الأرضين كان عليه السلام بمقتضى بداهة العقول مستحقاً لمقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : أي لسلطانه ، وإلّا فمقام إمامته كان أمراً من عند الله تعالى وقد كان المتقدمون عليه حازوا سلطانه فسلّى نفسه بما قال (رضينا) — الخ —

« اترانى اكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلّم » هكذا في المصرية ، والصواب (صلّى الله عليه وآله وسلم) كما في (حد) وغيره .

« والله لأنا أوّل من صدّقه فلا أكون أوّل من كذب عليه » قد عرفت أنّ (حد) — قال : انه كلام قاله عليه السلام لمّا تفرّس من جمع انّهم يتّهمونه في ما يخبرهم به عن النبيّ صلّى الله عليه وآله من الملاحم والغائبات .

قلت : إذا كان يخبرهم عن النبيّ بالملاحم لم يكن لهم داع إلى تكذيبه ، وانّما كان عليه السلام يخبرهم بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عيّنه خليفته ووصيّه وقائماً مقامه ، وقد رووا أنفسهم ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الدار يوم جمع بني عبد المطلب ، وقال : أيّكم يوازرني على أن يكون خليفتي ، ويوم تبوك لما قال المنافقون : خلّفه على المدينة استثقالاً له ويوم غدير خم وقد رووه متواتراً ، ومواقع أُخرى فكان المنافقون إذا كان عليه السلام يخبرهم بذلك — وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله يشير اليه عليه السلام من يوم بعثته إلى ساعة رحلته صريحاً وتلويحاً وقولاً وعملاً — ينسبونه إلى الكذب على النبيّ صلى الله عليه وآله .

وفي خبر رواه الاحتجاج عن عبادة بن الصامت ان النبيّ صلى الله عليه وآله قال لأبي بكر وعمر : وكأنّي بكما قد اسلبتما ملكه وتحاربتما عليه ، وأعانكما على ذلك اعدائه و اعداء رسوله ، وكأنّي بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف

على الدنيا ، وكأنّى بأهل بيتى ، وهم المقهورون المشتّتون فى أقطارها ، وذلك لأمر قد قضى ـ ثم بكى ﷺ حتّى سالت دموعه ـ ثم قال : ياعلى الصبر الصبر حتّى ينزل الأمر .

وفى خبر سليم بن قيس انّ الأشعث قال لأميرالمؤمنين عليه السلام : ما منعك حين يويع أخوتيم ، وأخوعدى ، وأخواُميّة ، أن تقاتل وتضرب بسيفك ، وأنت لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلّا قلت فيها قبل أن تنزل عن المنبر ، والله إنّى لأولى الناس بالناس ، وما زلت مظلوماً منذ قبض النبى ﷺ » فقال عليه السلام : منعنى من ذلك امر النبى ﷺ ، وعهده الىّ ، أخبرنى بما الاُمّة صانعه بعده ، فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم به قبل ذلك .

قال عليه السلام : فقلت للنبى ﷺ : فما تعهد إلىّ إذا كان ذلك؟ قال : إن وجدت أعواناً فانبذ إليهم وجاهدهم وان لم تجد أعواناً . فكفّ يدك واحقن دمك .

و روى المدائنى منهم ، عن عبد اللّه بن جناد قال : قدمت من الحجاز اُريد العراق فى اول أمارة على عليه السلام . فمررت بمكّة فاعتمرت . ثم قدمت المدينة فدخلت المسجد إذ نودى الصلوة جامعة ، فاجتمع الناس ، وخرج على عليه السلام متقلداً سيفه فشخصت الأبصار نحوه . فحمد اللّه تعالى وصلّى على رسوله . ثم قال : « اما بعد فإنّ اللّه لمّا قبض نبيّه ﷺ قلنا نحن أهله وورثته ، و عترته وأوليائه . دون الناس لاينازعنا سلطانه منازع ، ولا يطمع فى حقّنا طامع إذ انبرى لنا قومنا . فغصبونا سلطان نبيّنا . فصارت الإمرة لغيرنا . وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل . فبكت الأعين منا لذلك ، وخشنت الصدور وجزعت النفوس ـ الخبر ـ

« فنظرت فى أمرى فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى ، واذا الميثاق فى عنقى لغيرى » قال (حد) أى وجوب طاعة النبى ﷺ . وامتثالى امره سابق على بيعتى للقوم . فلا سبيل لى إلى الامتناع من البيعة لأنّه أمرنى بها .

قلت : ما ذكره بلا محصّل وانّما معناه أنّ وجوب طاعته على جميع الناس كالنبىّ

صلّى الله عليه وآله بمقتضى قوله تعالى «انّما وليكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون[1]» المتفق على نزوله فيه عليه السلام ، و قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في المتواتر «ألست أولى بكم من أنفسكم فقالوا : بلى فقال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه» حتّى أنّه قال لابن الخطاب في ما رواه أئمّتهم «بخّ بخّ لك يا ابن ـ أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة» سبق على بيعته الاجبارية بالمقطوع للقوم ، وكيف لا وقد هدّدوه بضرب عنقه يوم أبي بكر ويوم عثمان وعمر لم يكن ذا بيعة بعد نصب أبي بكر له إلّا أنّ أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الميثاق منه بعدم التكلّم كان يمنعه عن قيامه لا تلك البيعة .

و روى الطبري أنّه عليه السلام قال يوم الشورى «فنحن بيت النبوّة ، ومعدن الحكم وأمان أهل الأرض ونجاة لمن طلب لنا حق أن نعطه نأخذه ، وأن نمنعه نركب أعجاز الابل ، ولو طال السرى . لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهدا لانفذنا عهده ، ولو قال لنا قولا لجاد لنا عليه حتّى نموت . لن يسرع قبلي أحد إلى دعوة حق» ـ الخبر ـ

وفي خبر المدايني المتقدم «وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين ، و ان يعود الكفر ويبور الدين لكنّا على غير ما كنّا لهم» ـ الخبر ـ

ثمّ انّ (حد) قال في هذا العنوان : فان قيل : فهذا تصريح بمذهب الإماميّة قيل : ليس الأمر كذلك بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا البغداديين لأنّهم يزعمون أنّه الأفضل ، والأحق بالامامة ، وانّه لولا ما يعلمه الله ورسوله من الاصلح للمكلّفين من تقديم المفضول عليه لكان من تقدم عليه هالكا . فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبره انّ الامامة حقه ، وانّه أولى بها من الناس أجمعين .

واعلم أنّ في تقديم غيره وصبره على التأخر عنها مصلحة للدين راجعة إلى المكلّفين ، وأنّه يجب عليه أن يمسك عن طلبها ، ويغضي عنها لمن هو دون مرتبته فامتثل ما أمره به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يخرجه تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى

(۱) المائدة ۵۵ .

والأحق ، وقد صرّح شيخنا أبو القاسم البلخى بهذا ، وصرّح به تلامذته ، وقالوا : لو نازع عقيب وفاة النبى ﷺ ، وسلّ سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه ، ولكنه مالك الأمر ، وصاحب الخلافة إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها ، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها ، وحكمه فى ذلك حكم النبى ﷺ لأنه قد ثبت عنه فى الأخبار الصحيحة أنه قال « على مع الحق ، والحق مع على يدور حيثما دار » وقال ﷺ له غير مرة « حربك حربى وسلمك سلمى » وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندى وبه أقول .

قلت : إنى لأستحيى للرجل ولأصحابه البغداديين من أهل العالم . فهل نزاعه عليه السلام مع الثلاثة أمر يلتبس بعد تواتر الأخبار به وملئ السير منه ، وما ذكره من عدم سلّه عليه السلام سيفه تخليط . فانما سلّ السيف لمن كان له سيف ، والنفر الواحد انى يكون له سيف فى قبال جميع الناس ، فهو نظير أن يقال : إن النبى ﷺ لم يكن فى مدة مقامه بمكة نبيّاً لأنه ما سلّ سيفاً وانما كان نبيّاً حين هاجر وسلّ سيفه .

وما نقله عن البلخى وأتباعه من قولهم بتفسيق من نازعهم كأهل الجمل وصفين ، وتعديل من أغضى عنهم كالثلاثة نظير أن يقول أحد أن المالك إذا لم يخف من الغاصب وادعى حقه . فالغاصب فاسق ، وان خاف منه وسكت ، فالغاصب عادل وتهديده له بالقتل يوم السقيفة ، ويوم الشورى مما اتفق عليه التاريخ .

وما ذكره من « أن تقدم الثلاثة عليه عليه السلام كان مصلحة للدين راجعة إلى المكلفين » أعجب من كل عجيب هل مصلحة الدين فى تبديل الشريعة ، والتسبب لايجاد الفرق الضالة ، والمذاهب الباطلة ، وشيوع البدع ، واذلال المؤمنين ، واعزاز المنافقين واستيصال عترة سيد المرسلين ، وانما كان فى املاء الله تعالى لهم حكمة ، وهى امتحان الأمة « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »[1] .

(١) العنكبوت ٣ .

کما أنّ فی قعوده علیه السلام وسکوته مصالح ، ومنها ما مر فی خبر المدایني في قوله علیه السلام « وأیم الله لولا مخافة الفرقة بین المسلمین ، وأن یعود الکفر ، ویبور الدین لکنّا لهم علی غیر ما کنّا لهم » .

وسأل الباقلانی المفید عن علة سکوته فقال له : أولا : إنّ الامام المعصوم من الخطا والزلل لا اعتراض علیه في قیامه وقعوده ، وثانیاً : نعلم فی الجملة أنّ فی قعوده لمصلحة ابیّن بعض وجوهها وهو أنّه علیه السلام علم أنّ في المخالفین من یرجع عن الباطل إلی الحق بعد مدة فکان ترک قتله مصلحة ، ویمکن أن یکون الله علم أنّ فی ظهورهم مؤمنین لا یجوز اجتیاحهم فکان فی ترک قتلهم مصلحة ، ویمکن أن یکون أنّه شفقة منه علی ولده وشیعته أن یصطلموا فینقطع نظام الامامة وتقدیم المفضول قبیح عقلی فکیف یرضا ما لله تعالی .

و روی نصر بن مزاحم فی صفّینه أنّ أمیر المؤمنین علیه السلام قام فی صفین فی الناس عشیة الثلثاء بعد العصر . فقال « الحمد لله الّذي لا یبرم ما نقض ، ولا ینقض ما أبرم ، ولو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمّة ، ولا من خلقه ، ولا تنازعت الأمة فی شئ من أمر ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله » ـ الخبر ـ

هذا ، ویناسب کلامه علیه السلام فی العنوان کلام ابنه الحسن علیه السلام لما أرسله علیه السلام مع عمار الی الکوفة لما أراد حرب البصرة روی ابومخنف عن عبد الرحمن بن أبی لیلی أنّ الحسن علیه السلام قال بعد حمد الله تعالی « أیّها الناس انّا جئنا ندعوکم إلی الله ، والی کتابه ، وسنة رسوله ، والی أفقه من تفقه من المسلمین ، وأعدل من تعدّلون ، وأفضل من تفضّلون وأوفی من تبایعون . من لم یعیه القرآن ، ولم تجهله السنة ، ولم تقعد به السابقة إلی من قرّبه الله تعالی إلی رسوله صلی الله علیه وآله قرابتین قرابة الدین ، وقرابة الرحم ، إلی من سبق الناس إلی کل مأثره ، إلی من کفی الله به رسوله والناس متخاذلون فقرب منه وهم متباعدون . وصلّی معه وهم مشرکون ، وقاتل معه وهم منهزمون ، وبارز معه وهم محجمون ، وصدّقه وهم مکذّبون . إلی من لم تردّ

رايه ، ولم تكافئ له سابقة وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحقّ » .

٤/ ١٩٢/ (ومن كلام له عليه السلام) : وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنِّي لَمْ أُرَدَّ عَلَى اللّٰهِ وَلا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللّٰهُ بِهَا ، وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي ، وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي ، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صلى الله عليه وآله وسلم وَالْمَلائِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالأَفْنِيَةُ مَلأٌ يَهْبِطُ ، وَمَلأٌ يَعْرُجُ ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتاً ، فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ ، فَوَالَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَاسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لِي وَلَكُمْ .

أقول : الخطبة من خطبه عليه السلام في صفين . روى نصر بن مزاحم فى صفينه مسنداً عن أبى سنان الأسلمى قال : لمّا أخبر على بخطبة معاوية ، و عمرو بن العاص ، وتحريضهما الناس عليه عليه السلام أمر بالناس . فجمعوا ـ قال أبو سنان : وكانّى أنظر إلى على عليه السلام متوكّئاً على قوسه ، وقد جمع أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عنده فهم يلونه فحمد اللّه و أثنى عليه . ثم قال : أيّها الناس (اسمعوا مقالتى ، وعوا كلامى . فإنّ الخيلاء من التجبر ، وأنّ النخوة من التكبر ، وانّ الشيطان عدوّ حاضر يعدكم الباطل ألا انّ المسلم أخو المسلم ـ إلى أن قال ـ ألا وان من أعجب العجايب انّ معاوية بن أبى سفيان الأموى ، و عمرو بن العاص السهمى أصحاب حرّضان الناس على

طلب الدين بزعمهما ، وقد علمتم أنّى لم أخالف رسول الله (ص) قطّ ، ولم أعصه فى أمر قط أقيه بنفسى فى المواطن الّتى تنكص فيها الأبطال وترعد الفرائص نجد قد أكرمنى الله بها فله الحمد ، ولقد قبض رسول الله وأنّ رأسه لفى حجرى ، ولقد ولّيت غسله بيدى تقلبه الملائكة المقرّبون معى ، وأيم الله ما اختلفت أمّة قط بعد نبيّها إلّا ظهر أهل باطلها على حقّها إلّا ما شاء الله .

فقال أبو سنان : فسمعت عمار بن ياسر يقول « أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد أعلمكم إنّ الأمّة لن تستقيم عليه قال : ثمّ تفرق الناس وقد نفذت بصائرهم ، ورواها الشيخان فى أماليهما مسنداً عن الاصبغ مثل ما رواه نصر مع تبديل قوله (نجدة) بقوله (بقوة) قول المصنّف « ومن كلام له عليه السلام » هكذا فى المصرية ، والصواب (ومن خطبة له عليه السلام) كما فى (حد ، وتم ، ه الخطبة) .

« ولقد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم » قد عرفت أنّ فى رواية صفين والامالى بدل الجملة (وقد علمتم) لانّه خاطب الصحابة الّذين كانوا معه واجتمعوا حوله ، ولفظ المصنّف أيضاً ورد فى مواضع اُخر . ففى غيبة النعمانى (قال أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبته المشهورة الّتى رواها الموافق والمخالف « ألا إنّ العلم الّذى هبط به آدم عليه السلام ـ إلى أن قال ـ وقال عليه السلام فى خطبته هذه « ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : (إنّى وأهل بيتى مطهرون) .

وفى خصال الصدوق مسنداً عن مكحول قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لقد علم المستحفظون من أصحاب النبىّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنّه ليس فيهم رجل له منقبة إلّا وقد شركته فيها وفضّلته ولى سبعون منقبة لم يشركنى فيها أحد منهم ـ الخبر ـ

قال (حد) يمكن أن يعنى عليه السلام بالمستحفظين الخلفاء الّذين تقدموا لأنّهم الّذين استحفظوا الاسلام أى جعلوا حافظين له ، وحارسين لشريعته ولحوزته ويجوز أن يعنى به العلماء والفضلاء من الصحابة لأنّهم استحفظوا الكتاب : اى كلّفوا حفظه وحراسته .

قلت: فيه أوّلاً أنّه واضح أنّ المراد (بالمستحفظين) هم الّذين وجدوا حافظين تذكراً للوقايع والاُمور ليكون مناسباً لقوله بعد «انّى لم أردّ على اللّه، ولا على رسوله ساعة قط» والاستفعال قد يجيئ لإصابة الشئ على صفة نحو «استعظمته» أى وجدته عظيماً وهنا كذلك، وإلّا فأىّ ربط لحفظ الاسلام، وحفظ الكتاب بكلامه عليه السلام ذاك.

وثانياً: إذا كان الاستفعال بمعنى الطلب من أين كان المتقدمون عليه عليه السلام حافظين للاسلام، وقد قتل المسلمون ثالثهم بكفره لقوله تعالى «ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الكافرون»[1].

وثالثاً: أنّ خلفائه الّذين قال: كيف يجعلهم أمير المؤمنين عليه السلام شهداء لما وصف به نفسه، وقد كانوا أجهد واغاية الجهد أن يوجد واعليه عليه السلام طعناً فى ردّه على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوماً. فروى الزبير بن بكار فى موفقياته عن ابن عباس قال: خرجت اُريد عمر فلقيته راكباً حماراً، وقد ارتسنه بحبل أسود إلى أن قال ـ

قال لى عمر: فلم لا تخطب الى ابن عمك ـ يعنى عليا عليه السلام ـ قلت: لم تسبقنى إليه قال: فالاخرى قلت: هى لابن أخيه قال: يا ابن عباس انّ صاحبكم ان ولى هذا الأمر أخشى عجبه بنفسه أن يذهب به. فليتنى أراكم بعدى قال: قلت: انّ صاحبنا ما قد علمت أنّه ماغيّر، ولا بدّل، ولا أسخط رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أيّام صحبته له. قال: فقطع علىّ الكلام. فقال ولا فى ابنة أبى جهل لما أراد أن يخطبها على فاطمة قال: قلت: قال ـ عزوجل ـ (ولم نجد له عزماً)[2] وصاحبنا لم يعزم على سخط رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ولكنّ الخواطر الّتى لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه، وربما كانت من الفقيه فى دين الله العالم العامل بأمر اللّه، فقال: يا ابن عباس من ظنّ أنّه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتّى يبلغ قعرها. فقد ظن عجزا استغفر اللّه لى، ولك، خذ فى

(١) المائدة ٤٤

(٢) طه ١١٥.

غيرهذا . ثم انشأيسألنى عن شئ من أمور الفتيا واجيبه . فيقول : اصبت أصاب الله بك أنت ، والله أحق أن تتبع .

قلت : وهذا من الرجل نظير سعيه على أن يوجد له عليه السلام صفة مذمومة . فسمّى حسن خلقه دعابة كما سمّى طلبه عليه السلام لحقه حرصاً ، وسمّى عزّة نفسه عجباً وكبراً .

ثم أصله بهتان ، ولو كان له حقيقة كيف يغضب النبى صلى الله عليه وآله وسلم من شئ أحلّه الله تعالى ، وجاء به نفسه من عنده تعالى ـ ولمّا اصطفى عليه السلام من سبى بنى زبيد جارية بعث خالد بن الوليد بريدة الأسلمى إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال له : تقدم الجيش إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاعلمه بما فعل على من اصطفاه الجارية من الخمس لنفسه وقع فيه . فسار بريدة حتى انتهى الى باب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم . فلقيه عمر فسأله عن حال غزوتهم ، وعن الّذى اقدمه . فاخبره انه انّما جاء ليقع فى على وذكر له اصطفاه الجارية من الخمس لنفسه . فقال له عمر : امض لما جئت له فانه سيغضب لابنته مما صنع . فدخل بريدة على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ومعه كتاب من خالد بما ارسل به . فجعل بريدة يقرأه ، ووجه النبىّ صلّى الله عليه وآله يتغير ، فقال بريدة للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : انّك ان رخّصت للناس فى مثل هذا ذهب فيئهم . فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ويحك يا بريدة احدثت نفاقاً إنّ على بن ابى طالب يحلّ له من الفئ ما يحلّ لى انّ علياً خير الناس لك ولقومك وخير من اخلف بعدى لكافة أمّتى . يا بريدة احذر أن تبغض علياً فيبغضك الله ـ

قال بريدة : فتمنّيت انّ الارض انشقّت فسخت فيها وقلت اعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله .

وقال النقيب ـ وقد نقله (حد) فى شرح قوله عليه السلام لما قيل له «كيف دفعكم قومكم عن هذا الأمر» فى جملة ما قال ممّا فعل عمر لدفع أمير المؤمنين عليه السلام عن الأمر وعاب علياً عليه السلام بخطبته بنت أبى جهل وأوهم أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كرهه لذلك ، ووجد عليه ، وارضاه عمرو بن العاص . فروى حديثاً افتعله واختلقه على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «ان آل ابى طالب ليسوا لى باولياء انما وليى الله وصالح المؤمنين» فجعلوا

ذلك كالناسخ لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيه «من كنت مولاه فعلى مولاه» .

قلت: قد عرفت أنّ أصل خبر الرجل وضع لمخالفته للكتاب كخبر صاحبه «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» وحينئذ فلو كان (حد) قال: إنّ المستحفظين غير خلفائه كان أحسن، وان كان خلفائه، وباقى مخالفيه عليهم السلام مقرين بفضائله، وأنّ الخلافة حقه حتى مثل عمرو بن العاص وسعد بن أبى وقاص.

ففى خلفاء ابن قتيبة ان عمرو بن العاص سئل عن خبر الولاية فقال انه حق وقال للسائل: ازيدك ليس احد من صحابة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لمناقب مثل مناقب على وفيه أنّ سعد بن أبى وقاص قال: إنّ علياً شاركنا فى محاسننا ولم نشاركه فى محاسنه، وكان أحقنا كلّنا بالخلافة.

«إنّى لم أرد على الله، ولا على رسوله ساعة قطّ» قال (حد) الظاهر أنّه عليه السلام يرمز إلى أمور وقعت من غيره كما جرى يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح فإنّ بعض الصحابة أنكر ذلك، وقال: ألسنا بالمسلمين؟ قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: بلى. قال: أو ليسوا بالكافرين؟ قال: بلى قال: فكيف نعطى الدنيّة فى ديننا. فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إنّما أعمل بما اومر به، وقال لقوم من الصحابة: ألم يكن وعدنا بدخول مكّة، ونحن قد صددناعنها. ثم ينصرف بعد أن أعطينا الدنية من ديننا، والله لو أجد أعواناً لم أعط الدنية أبداً. فقال أبو بكر له: ويحك الزم غرزه. فوالله انّه لرسول الله، وان الله لا يضيعه — ثم قال له: اقال لك: انّه سيدخلها هذا العام قال: لا قال: فسيدخلها فلما فتح النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مكّة، وأخذ مفاتيح الكعبة دعاه فقال: هذا الذى وعدتم به.

قلت: إذا كان الخبر صحيحاً، ورواه الناس كلهم كما اعترف به فى كلامه فلم نرمز عن عمر، وقد اتفقت التواريخ أيضاً سوى الآثار على انكار عمر فى الحديبية على النبىّ صلى الله عليه وآله وردّه عليه، ومن الغريب اعتذار (حد) عنه بأنّ سؤاله كان التماساً لطمأنينة النفس كإبراهيم، وان قول أبى بكر (الزم غرزه فوالله انه لرسوله) تثبيت على تيدته، ولا يدل على الشك كما قال تعالى «ولولا ان ثبّتناك لقد كدت

تركن اليهم شيئاً قليلا) .

فعلى قول (حد) اذا صار عمر بالاعتراض على النبى ﷺ نبياً مرسلاً كإبراهيم لم يعترض على الله حتى يصير عند (حد) إلهاً نعوذ بالله من العصبية الى أى درجة تصل ، وكيف يعتذر له بعدم الشك ، وقد ذكر الثعلبى عند ذكر سورة الفتح ، وغيره من الرواة أنّ عمر قال « ما شككت منذ أسلمت إلاّ يومئذٍ » .

ولنعم ما قال صاحب الطرائف فى قول عمر « فلم نعطى هذه الدنية فى ديننا هلا كانت هذه الشجاعة منه فى يوم حنين ، وخيبر وغيرهما من الغزوات التى هرب فيها وخالف الله ورسوله .

قال : ومن طريف ذلك انّ عمر بعد ما أخبره النبىّ ﷺ بالجواب عن سؤاله و اعتذر عن دخول مكّة لا يلتفت إلى جواب نبيّهم ، ولا اعتذاره ، ويأتى إلى أبى بكر فيعيد عليه تلك الكلمات وشكّه فى الاسلام ، ويلتمس من أبى بكر الجواب فأعاد عليه أبو بكر ما سمعه من النبىّ ﷺ .

قال : ومن طريف ذلك اقدامه على النبىّ ﷺ فى مثل تلك الحال من شدّة الحاجة إلى كون المسلمين عوناً لنبيهم بالقول والفعل . فكان ذلك الموقف موقف تعنيف ، وتخجيل ، وفتح لأبواب الشك فى النبوة ، وتقوية حجة سهيل بن عمرو والكفار ما يدل هذا على ضلال هائل وجهل خاذل .

قال : ومن طريف ذلك أنّ بعد قول النبى ﷺ لعمر « انّى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى يقول له عمر « أولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت ونطوف به قال : اما هذا تكذيب صريح للنبى ﷺ واستخفاف لنبوته ، وكسر لحرمته .

وقال (حد) أيضاً « وقد كانت وقعت من هذا القائل الموردون هذه القصّة كقوله « دعنى أضرب عنق أبى سفيان » وقوله « دعنى اضرب عنق عبد الله بن ابى » وقوله « دعنى أضرب عنق حاطب بن أبى بلتعة » ونهى النبىّ ﷺ عن التسرع الى ذلك ، وجذبه ثوب النبى ﷺ حين قام على جنازة ابن سلول يصلى وقوله له « كيف تستغفر

لرأس المنافقين» قال : وليس في جميع ذلك مايدلّ على وقوع القبيح منه ، وانما يتبه الرجل كان مطبوعاً على الشدة والشراسة ، وعلى أىّ حال كان ، فلقد نال الاسلام بولا وخلافته خيراً كثيراً .

قلت : اما فى قوله دعنى اضرب عنق فلان ، وفلان وفلان » فهو احق بما قيل فى الحجاج :

اسد علىّ وفى الحروب نعامه × جبناء تصفر من صفير الصافر

هلا برزت الى غزالة فى الوغى × بل كان قلبك فى جناحى طاير

وقد أمر عمر بقتل رجلين خلافاً للنبىّ ﷺ فأمر النبىّ ﷺ يوم حنين لما ارتفع النهار أن لا يقتل أسير من القوم ، وأسر ذاك اليوم ابن الأكوع . فمر به عمر فاقبل على رجل من الأنصار ، وقال : عد والله الذى كان عيناً علينا ها هو أسير . فاقتله فضرب الأنصارى عنقه . فبلغ ذلك النبىّ ﷺ فكرهه وقال : ألم آمركم أن لا تقتلوا أسيراً وقتل بعده جميل بن معمر بن زهير وهو أسير . فبعث النبىّ ﷺ وهو مغضب إلى الأنصار . فقال : ماحملكم على قتله ، وقد جاءكم الرسول أن لا تقتلوا أسيراً . فقالوا : انما قتلناه بقول عمر . فاعرض النبى ﷺ حتّى كلّمه عمير بن وهب فى الصفح عن ذلك

وممن ردّ على النبىّ ﷺ غير عمر أبو حذيفة بن عتبة روى محمّد بن اسحق أنّ النبىّ ﷺ قال لأصحابه : إنّى قد عرفت أنّ رجالاً من بنى هاشم و غيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لنا بقتلهم فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ـ أى فى بدر ـ و من لقى أبا البخترى . فلا يقتله فإنّه إنّما أخرج مكرها . فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل اباءنا ، وأبنائنا ، وإخواننا ، وعشايرنا ، ونترك العباس . والله لئن لقيته لالحمنه السيف ، فسمعها النبى ﷺ . فقال لعمر : يا اباحفص ـ يقول عمر : والله إنّه لأوّل يوم كنّانى فيه النبى بأبى حفص ـ أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال عمر : دعنى أضرب عنقه بالسيف . فوالله لقد نافق ـ فكان أبو حذيفة يقول : والله ما أنا بآمن من تلك الكلمة الّتى قلت أبداً ، ولا ازال خائفاً أبداً .

وقال محمد بن اسحاق أيضاً وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ في أمر الاُسارى غلظ عليهم عمر غلظة شديدة . فقال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : أطعنى فى ما اُشير عليك . فإنّى لا آلوك نصحاً قدّم عمك العباس . فاضرب عنقه بيدك ، و قدّم عقيلاً إلى أخيه على يضرب عنقه ، وقدّم كل أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله ، فكره ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعجبه .

قلت : من الغريب أنّه يحكم بنفاق أبى حذيفة لما أراد مخالفة النبيّ صلّى الله عليه وآله فى قتل عمّه ، ويستأذنه فى ضرب عنقه ثم بعد ذلك يشدّد بنفسه على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فى قتل عمه .

وأما قول (حد) وليس فى جميع ذلك ما يدلّ على وقوع القبيح منه فاعجب ولا بد أن يقول بأنّه لم يقع فى نسبته الهجر الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما قال آتونى بدواه أكتب لكم ما لن تضلوا بعدى أبداً ، ومنعه عن كتابه وصيته ، وفى اراده إحراق بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سيّدة نساء العالمين ، واحراق سيّدى شباب أهل الجنّة ، واحراق أمير المؤمنين عليه السلام الّذى كان بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن لانّه كان حلف أنّه يحرقهم لو لم يخرج للبيعة وكان يفعل — أيضاً منه قبيح .

واما قوله : فإنّما الرجل كان مطبوعاً على الشراسة — الخ — فلعمرى كان خاله أبو جهل أيضاً مطبوعاً على تلك الشراسة فكان لا يقدر أن يضبط نفسه فى عداوة النبيّ صلّى الله عليه وآله فان كان عمر معذوراً كان ذاك أيضاً معذوراً .

وأما قوله « فلقد نال الاسلام به » — الخ فعلى فرض التسليم فالخمر والميسر ايضا كان فيهما منافع للناس الّا أنّ إثمهما أكبر من نفعهما مع أنّ فتوحاته كانت بسط يد للجبّارين وكيف وقد هيئ أسباب تولية عثمان رئيس بنى اُمية أعداء الدين وأعداء الاسلام ولعمر الله ان من لم يكابر كان مسخه الاسلام واضحاً ، ولقد مرّ أبو سفيان أيّام عثمان على قبر حمزة فضربه برجله ، وقال : قم يا حمزة وانظر الدين الّذى تقتلوننا به فى يد فتياتنا يلعبون به .

ثم لم خصّ الردّ على النبىّ ﷺ بالثانى . فقد كان الأوّل أيضاً يردّ عليه . روى المبرد فى كامله ان النبىّ ﷺ نظر إلى رجل ساجد فقال (ألا رجل يقتله فحسر أبو بكر عن ذراعه ، وانتضى السيف ، وصمد نحوه . ثم رجع إلى النبىّ ﷺ وقال : « أقتل رجلاً يقول لا إله إلّا الله ـ فقال النبىّ ﷺ (الا رجل يفعل) ففعل عمر مثل ذلك فلما كان فى الثالثة قصد له على بن أبى طالب عليه السلام فلم يره . فقال النبىّ ﷺ : لو قتل هذا ما اختلف فى دين الله اثنان .

وقد خالفاه عملاً وردّا عليه قولاً فى تخلفهما عن جيش أسامة مع أنّ ردّ الثانى لم يكن منحصراً بما نقل . فقد روى الحميدى عن عروة عن عايشة من المتفق على صحّته أنّ النبىّ ﷺ اعتمّ بالعشاء حتى ناداه عمر للصلوة . فقال : نام الصبيان والنساء ـ وفى رواية ابن شبيب أنّ النبىّ ﷺ قال (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله على الصلوة) وذلك حين صاح عمر .

و روى الحميدى من صحيح مسلم عن أبى هريرة قال للنبىّ ﷺ : لقيت عمر . فأخبرته بالّذي بعثتنى به . فضرب بين يدى ضربة خررت لاستى ، و قال : ارجع . فقال النبىّ ﷺ له : ما حملك على ما صنعت . قال ابعثت اباهريرة بنعليك من لقى يشهد ألّا إله الّا الله مستقينا بها قلبه بشّره بالجنة ، قال : نعم قال : فلا تفعل فانى أخشى أن يتّكل الناس عليها فخلّهم يعملوا .

وفى الاستيعاب فى خالد بن ربعى فى قصّته مع القعقاع أنزل تعالى « لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » فى قول أبى بكر للنبىّ ﷺ : استعمل فلانا وقول عمر له : استعمل فلاناً .

و عدّ النقيب فى أسباب تجرى عمر على بيعة أبى بكر ، والعدول عن على عليه السلام انكاره أمر النبىّ ﷺ أصحابه بذبح النواضح .

« ولقد واسيته بنفسى فى المواطن التى تنكص » أى تحجم عنها يقال : نكص

(١) الحجرات ١ .

الرجل على عقبيه : اى رجع

« فيها الأبطال » جمع البطل : أى الشجاع.

« وتتأخّر فيها » هكذا فى المصرية ، والكلمة زائدة لعدم وجود (فيها) فى (حد ، وثم ، والخطية) .

« الأقدام » فلا تقدم ولا تتقدم .

قال (حد) هذا ممّا اختص بفضيلته غير مدافع ثبت معه يوم أُحد وفرّ الناس وثبت معه يوم حنين وفرّ الناس وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفرّ من كان بعث بها من قبله .

قال : و روى المحدّثون أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لما ارتثّ ، وقال الناس : قتل محمّد راته كتيبته من المشركين ، وهو صريع بين القتلى إلّا أنّه حىّ . فصمدت له فقال لعلى عليه السلام : اكفنى هذه فحمل فقتل رئيسها ثم صمدت له كتيبة ثانية . فكذلك . فكان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك يقول : قال لى جبرئيل انّ هذه للمواساة . فقلت : وما يمنعه وهو منّى ، وأنا منه ، فقال جبرئيل : وأنا منكما — قلت : ورواه الطبرى وروى ما بعده.

قال : و روى المحدثون أيضاً أنّ المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادى ، « لا سيف إلّا ذو الفقار ، ولا فتى إلّا على » فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لمن حضره ألا تسمعون هذا صوت جبرئيل .

قال : وأما يوم حنين . فثبت معه فى نفر يسير من بنى هاشم بعد أن ولّى المسلمون الأدبار ، وحامى عنه ، وقتل قوماً من هوازن بين يديه ، حتى ثابت إليه الأنصار ، وانهزمت هوازن ، و غنمت أموالها ، وأما يوم خيبر فقصّته مشهورة — الخ

قلت : لم خصّ تلك المواطن بأُحد وحنين وخيبر ، ولم لم يذكر يوم الأحزاب ، يوم عمرو بن عبد ود ، وقد كان الفتح فى جميع غزوات النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على يده ، و تقدم الكلام فيها فى الأوّل عند قوله عليه السلام « أما والله إن كنت لفى ساقتها حتّى ولت بحذافيرها ما ضعفت ولا جبنت » ولم تكن مواساته عليه السلام مختصة بغزواته لم لم يذكر

ليلة المبيت، وقد ذكر الثعلبى منهم فى قوله تعالى « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله »(١) إنّ النبىّ ﷺ لمّا أراد الهجرة خلّف علياً عليه السلام بمكّة لقضاء ديونه وردّ الودايع الّتى كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه ففعل فأوحى ـ عزّوجلّ ـ إلى جبرئيل و ميكائيل: إنّى قد آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر. فأيّكم يؤثر صاحبه بالحيوة، فاختار كلاهما الحيوة، فأوحى إليهما ألا كنتما مثل على آخيت بينه وبين محمّد. فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، فاهبطا إلى الارض. فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، فقال جبرئيل: بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب يباهى الله بك الملئكة. فأنزل الله تعالى على رسوله، وهو متوجّه إلى المدينه فى شأن على عليه السلام « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » ولم لم يذكر يوم (برائة).

« نجدة »: أي شجاعة جعله (حد) مفعولاً مطلقا حذف عامله، وجعله (خو) مفعولا له لقوله « ولقد واسيته » والصواب كونه خبرا: أى تلك المواساة نجدة أكرمنى الله بها.

رووا أنّه قيل لخلف الأحمر: أيّهما أشجع عنبسة وبسطام أم على. فقال: إنّما يذكران مع البشر لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة. فقيل له: فعلى كل حال. فقال: والله لوصاح فى وجوههما لما تماسكا أن يحمل عليهما.

« ولقد قبض رسول الله ﷺ وأنّ رأسه لعلى صدرى » قال الطبرى: وكان على عليه السلام يغسّله، وقد اسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلكه من وراءه.

وفى الارشاد، والنبى ﷺ لمّا قرب خروج نفسه قال له: ضع يا على رأسى فى حجرك. فقد جاء أمر الله تعالى. فإذا فاضت نفسى فتناولها بيدك، و امسح بها وجهك ثم وجّهنى. وتولّ أمرى، وصلّ علىّ أوّل الناس، ولا تفارقنى حتّى

(١) البقرة ٢٠٧.

توارينى فى رمسى ، واستعن بالله تعالى ـ فأخذ على عليه السلام رأسه فى حجره فاغمى عليه فاكبت فاطمة عليها السلام تنظر فى وجهه وتند به وتبكى وتقول :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه × ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عينه وقال بصوت ضئيل : يا بنيه هذا قول عمك أبى طالب لا تقوليه ، ولكن قولى « وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم »[1] فبكت طويلاً فأومئ إليها بالدنو منه ، فدنت منه فأسرّ إليها شيئاً تهلّل وجهها له .

و روى أحمد بن حنبل فى فضايله عن أم سلمة قالت : والّذى تحلف به أم سلمة أنّه كان آخر عهد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عليه السلام ، وكان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بعثه فى حاجة غداة قبض فكان يقول (اجاء على) ـ ثلاث مرات ـ فجاء على قبل طلوع الشمس فخرجنا من البيت لمّا عرفنا أنّ له إليه حاجة . فاكبّ عليه على عليه السلام فكان آخر الناس به عهداً وجعل يسارّه ويناجيه .

وعن الطبرى فى الولاية والدارقطنى فى الصحيح ، والسمعانى فى فضايله عن عايشه قالت قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى بيتها : ادعوا لى حبيبى فدعوت له أبا بكر فنظر إليه . ثم وضع رأسه . ثم قال : ادعوا لى حبيبى . فدعوا له عمر فلمّا نظر إليه قال : ادعوا لى حبيبى . فقلت : ويلكم ادعوا له علياً . فوالله ما يريد غيره . فلمّا رآه أفرج الثوب الّذى كان عليه ثم أدخله فيه ، ولم يزل يحتضنه حتّى قبض ويده عليه .

و روى أحمد بن حنبل فى مسنده عن ابن عباس قال : لمّا مرض النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مرضه الّذى مات فيه قال : ادعوا لى علياً قالت عايشة ندعوك أبا بكر وقالت حفصة : ندعوك عمر . وقالت أمّ الفضل ، ندعوك العباس . فلمّا اجتمعوا رفع رأسه فلم ير علياً عليه السلام ، فسكت فقال عمر : قوموا عنه .

و روى كاتب الواقدى فى طبقاته عن أبى غطفان قال : سألت ابن عباس

(١) آل عمران ١٢٣

أرأيت النبيّ صلى الله عليه وآله توفّى ورأسه فى حجر أحد ؟ قال : توفّى وهو مستند إلى صدر على عليه السلام . قلت : فإنّ عروة حدّثنى عن عايشة أنّها قالت توفى بين سحرى ونحرى فقال ابن عباس : اتعقل والله لتوفى النبيّ صلى الله عليه وآله وأنّه لمستند إلى صدر على عليه السلام وهو الّذى غسّله ، واخى الفضل ، وأبى أبى أن يحضر ، وقال : انّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يأمرنا أن نستتر فكان عند الستر .

ومن المضحك أنّ عايشة خطبت يوم الجمل ـ كما فى بلاغات أحمد بن أبى طاهر البغدادى ـ فقالت لقد قبض النبيّ بين سحرى ونحرى ، وأنا إحدى نسائه فى الجنّة له ادّخرنى ربى ، وخصّنى من كل بضع ، وبى ميّز مؤمنكم من منافقكم ، فقولها (قبض النبى بين سحرى ونحرى) كقولها « بى ميّز مؤمنكم من منافقكم » وعلى قولها يكون الله منافقاً حيث لم يرض خروجها وقال لها « وقرن فى بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الاولى »[1] فضلاً عن جبرئيل وأمير المؤمنين عليهما السلام حيث قال تعالى أيضاً ولصاحبتها « وان تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين »[2] ولزم أن يكون مروان بن الحكم مؤمناً حيث ساعدها فى الجمل .

قال (حد) قالت الشيعة : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله توفّى لليلتين بقيتا من صفر والاكثرون أنّه فى شهر ربيع الأوّل بعد مضى ايّام منه .

قلت : ما نسبه إلى الشيعة انّما هو قول بعضهم المفيد والطوسى وذهب الكلينى فى كافيه إلى كونه فى الثانى عشر من ربيع الأول ، وفى اثبات الوصية أيضاً انّه فى ربيع الاول .

« ولقد سالت نفسه فى كفّى فأمررتها على وجهى » روى ابن المغازلى فى مناقبه أنّ عايشة سئلت من كان أحبّ الناس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ؟ فقالت : فاطمة . فقيل لها : من الرجال ؟ قالت : زوجها وما يمنعه منه ، والله انّه كان صوّاماً وقوّاماً ، ولقد سالت نفس

---

(١) الاحزاب ٣٣ .

(٢) التحريم ٤

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فی يده فردّها إلی فيه ـ الخبر ـ

واختلاف قولها هذا مع قولها يوم الجمل المتقدم محمول علی اختلاف المقامات فی سخطها ورضاها ، وأيضاً قد يجری الله الحق علی لسان أهل الباطل فيقرّون بها اتماماً للحجة ومر خبر كاتب الواقدی فی تكذيب ابن عباس لها فی قولها الأوّل .

ثم اختلف فی المراد من سيلان نفسه صلّی الله عليه وآله فالمفهوم من (حد ، وثم) كون المراد به سيلان الدم من قولهم (ذو نفس سائلة) فقالا (يقال انّ النبیّ صلّی الله عليه وآله قاء دماً يسيراً وقت موته ، وأنّ عليا عليه السلام مسح بذلك الدم وجهه) والمفهوم من المفيد كون المراد به خروج روحه . ففی ارشاد مقبض النبیّ صلى الله عليه وآله وسلم و يد امير المؤمنين اليمنی تحت حنكه ففاضت نفسه فيها فرفعها الی وجهه فمسحه بها .

فعبر بفيضان نفسه وفی الصحاح (فاضت نفسه) : أی خرجت روحه قال ابو عبيدة والفراء هی لغة فی تميم ، ونقل عن الأصمعی عن ابی عمرو بن العلاء انه قال بدل « فاضت نفسه » « فاظت نفسه » .

فان قيل : فما المراد ؟ قلت : يمكن أن يكون المراد إمرار الكف الّتی تأثرت من خروج الروح فيها علی الوجه .

« ولقد وليت غسله والملئكة أعوانی » روی كاتب الواقدی فی طبقاته مسنداً عن يزيد بن بلال قال : قال علی عليه السلام : اوصی النبیّ صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يغسّله أحد غيری قال : فإنّه لا يری أحد عورتی إلّا طمست عيناه ـ قال علی عليه السلام : فكان الفضل و اُسامة يناولانی الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين ـ قال : فما تناولت عضواً إلّا كانّما يقلّبه ثلاثون رجلاً معی حتّی فرغت من غسله .

قال (حد) الغسل تولاه علی عليه السلام بيده ، وكان الفضل بن العباس يصبّ عليه الماء ، ويروی الشيعة أنّ علياً عليه السلام عصب عينی الفضل حين صبّ عليه الماء ، وانّ النبی صلى الله عليه وآله وسلم أوصاه بذلك ، وقال له : انّه لا يبصر عورتی أحد غيرك إلّا عمی .

قلت : لم يختص بذلك الشيعة . فقد عرفت رواية كاتب الواقدی له ، وهو من

نصّاب العامة ، ونقل عن ابن بطة وابن المغازلى ـ وهما أيضاً من العامة ـ روايتهما لذلك ـ وقال الحميرى مشيراً إلى ذلك :

هذا الّذى ولّيته عورتى ولو × رأى عورتى سواه عمى

ومر خبر ابن عباس خوف أبيه من حضور غسله ﷺ لذلك .

وفى تاريخ اليعقوبى كان بعض نساء النبىّ ﷺ اتين فاطمة عليها السلام فى مرضها فقلن : يا بنت رسول اللّه صيّرى لنا فى حضور غسلك حظّاً . قالت : أترون تقلن فى كما قلتن فى أبى لا حاجة لى فى حضوركن .

« فضجت الدار والأفنية » جمع الفناء ، وفناء الدار ما امتد من جوانبها .

« ملأ يهبط وملأ يعرج » قال (خو) روى البحار من البصاير (عن أحمد بن محمّد عن القاسم بن يحيى ، عن بعض أصحابنا عن الصادق ع) لمّا قبض النبى ﷺ هبط جبرئيل عليه السلام ومعه الملئكة والروح الّذين كانوا يهبطون فى ليلة القدر . ففتح لأمير المؤمنين عليه السلام بصره . فرآهم فى منتهى السموات إلى الأرض يغسّلون النبى ﷺ معه ، ويصلّون عليه ، ويحفرون له ، واللّه ما حفر له غيرهم حتّى إذا وضع فى قبره نزلوا مع من نزل فوضعوه) .

قلت : الخبر ليس بالسند الّذى ذكر ففى (باب ما يلقى إليهم عليهم السلام فى ليلة القدر) من البصاير روى أوّلاً خبراً بذاك السند . ثم روى خبراً (عن أحمد بن ـ الحسن ، عن أحمد بن محمّد ، عن العباس بن حريش عن الجواد عليه السلام) ثم قال (وبهذا الاسناد) و روى هذا الخبر ، وهو كما ترى إشارة إلى الخبر الأخير لا الأوّل

« وما فارقت سمعى هينمة » أى صوت خفى .

« منهم يصلّون عليه » روى الكافى عن امير المؤمنين عليه السلام سمعت النبى ﷺ فى صحته وسلامته يقول : انما انزلت آية « انّ اللّه وملئكته يصلّون على النبى ، يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً »[1] فى الصلوة علىّ بعد قبض اللّه تعالى لى .

(١) الاحزاب ٥٦ .

وفی کامل الجزری قال النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم : ضعونی علی سریری علی شفیر قبری ثم اخرجوا عنیّ ساعة لیصلّی علیّ جبرئیل و اسرافیل و میکائیل و ملك الموت مع الملئکة ورواه الطبری عن ابن مسعود وزاد « قال : قلنا فمن یدخلك قبرك؟ قال: أهلی مع ملئکة کثیرة یرونکم ولا ترونهم » .

وقال (حد) وصلّوا علیه إرسالاً لا یؤمّهم أحد، وقیل: إنّ علیاً علیه السلام أشار بذلك فقبلوه . قال : وأنا أعجب من ذلك لأنّ الصلوة علیه صلی الله علیه و آله و سلم کانت بعد بیعة أبی بکر فما الّذی منع من أن یتقدّم أبوبکر فیصلّی علیه إماماً .

قلت: کیف یصلّی علیه إماماً ، وقد أمر النبی صلی الله علیه و آله و سلم بصلوتهم علیه إرسالاً فقد رووا (أنّه صلی الله علیه و آله و سلم سئل عمّن یصلّی علیه . فقال : إذا غسّلتمونی ، وکفّنتمونی . فضعونی علی سریری فی بیتی هذا علی شفیر قبری . ثم اخرجوا عنیّ ساعة . فإنّ أوّل من یصلّی علیّ جلیسی وحبیبی وخلیلی جبرئیل ثم میکائیل . ثم ملك الموت مع جنوده من الملئکة . ثم أدخلوا علیّ فوجاً فوجاً فصلّوا علیّ وسلّموا — إلی أن قال — ولیبدء بالصلوة علیّ رجال أهل بیتی ثم نساءهم ثم أنتم بعد) وقد نقل الخبر (حد) نفسه فی موضع آخر .

و مع ذلك فعجبه فی محله فحیث تخلف أبوبکر عن جیش اُسامه ولم یقنع بذلك وتقدم إلی الصلوة فی مکان النبی صلی الله علیه و آله و سلم حتّی یجعل ذلك وسیلة لتصدیه الأمر حتّی خرج النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم مع شدّة مرضه و عدم استطاعته علی المشی مستقلاً وأخّره کیف لم یصلّ علیه بعد بیعتهم له إلّا أنّه یرفع العجب أنّه کان نال غرضه حینئذٍ ، ولم یبال بالصلوة علیه بعد ولئلا یطعن بمخالفته فی ذلك أیضاً .

و روی الکافی فی (باب مولد النبی صلی الله علیه و آله و سلم) عن الباقر علیه السلام قال : لمّا قبض النبی صلی الله علیه و آله و سلم بات آل محمّد بأطول لیلة حتّی ظنّوا أن لا سماء تظلّمهم ، ولا أرض تقلّهم لأنّ النبی صلی الله علیه و آله و سلم وترا الأقربین والأبعدین فی الله تعالی فبینما هم کذلك إذ أتاهم آت لا یرونه ویسمعون کلامه . فقال « السلام علیکم أهل البیت ورحمة الله و برکاته

إنّ فى الله عزاء من كلّ مصيبة ، ونجاة من كلّ هلكة ، ودركاً لما فات كلّ نفس ذائقه الموت ، وإنّما توفون أجوركم يوم القيمة ، فمن زحزح عن النار ، وأُدخل الجنّة فقد فاز ، وما الحيوة الدنيا إلّا متاع الغرور انّ الله اختاركم وفضّلكم وطهّركم ، وجعلكم أهل بيت نبيّه ، و استودعكم علمه ، وأورثكم كتابه ، وجعلكم تابوت علمه ، و عصا عزّه وضرب لكم مثلاً من نوره وعصمكم من الزلل ، وآمنكم من الفتن ، فتعزّوا بعزاء الله فإنّ الله تعالى لم ينزع منكم رحمته ، ولن يزيل عنكم نعمته ، فأنتم أهل الله الّذين بهم تمّت النعمة ـ إلى أن قال.

وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأكمل لكم الدين ، وبيّن لكم سبيل المخرج . فلم يترك للجاهل حجّة ، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسى أو تناسى فعلى الله حسابه ، والله من وراء حوائجكم ، واستودعكم الله ، والسلام عليكم) .

وسئل أبو جعفر عليه السلام ممّن أتاهم التعزية فقال : من الله تعالى .

«حتى وارينا ه فى ضريحه» فى مسند أحمد بن حنبل عن النبى صلى الله عليه وآله قال : أعطيت فى علىّ خمس خصال هى أحبّ إلىّ من الدنيا وما فيها ـ إلى أن قال: وأمّا الرابعة فعلى ساتر عورتى ، ومسلّمى إلى ربى .

وفى الارشاد دخل أمير المؤمنين عليه السلام والعباس ، وابنه الفضل ، واسامة بن زيد ليتولوا دفن النبىّ صلى الله عليه وآله فنادت الأنصار من وراء البيت يا على انّا نذكرك الله ، وحقنا اليوم من النبىّ صلى الله عليه وآله أن يذهب أحد منّا رجلاً يكون لنا به حظّ من مواراة النبىّ صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام : ليدخل أوس بن خولى ـ وكان بدريا فاضلاً من بنى عوف من الخزرج ـ فلمّا دخل قال عليه السلام : له انزل القبر فنزل ، ووضع عليه السلام النبىّ صلى الله عليه وآله على يديه ، وولّاه فى حفرته ، فلمّا حصل فى الأرض قال عليه السلام له : اخرج فخرج ، ونزل عليه السلام القبر . فكشف عن وجه النبىّ صلى الله عليه وآله ووضع خدّه على الأرض موجّها إلى القبلة على يمينه . ثم وضع عليه اللبن ، وأهال عليه التراب.

و روى (حد) عند عنوان ومن كلام له عليه السلام وهو يلى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم قريباً منه وقال : ومن تأمل هذه الأخبار علم ان علياً عليه السلام كان الاصل والجملة

والتفصيل فى أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وجهازه ألا ترى أنّ أوس بن خولى لا يخاطب أحداً من الجماعة غيره ، ولا سأل غيره فى حضوره الغسل أو النزول فى القبر . قال : ثم انظر إلى كرم على عليه السلام وسجاحة أخلاقه ، وطهارة شيمه كيف لم يضنّ بمثل هذه المقامات الشريفة عن أوس ، وهو رجل غريب ، من الأنصار . فعرف له حقه ، واطلبه بما طلبه فكم بين هذه السجية الشريفة وبين قول من قال : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسّله إلّا نسائه ـ ولو كان فى ذلك المقام غيره من أولى الطباع الخشنة ، وأرباب الفظاظة والغلظة وقد سأل أوس ذلك لزجر وانتهر ، ورجع خائبا .

قلت : هل تستوى الظلمات والنور .

وقال (حد) أيضاً ثمه نقلاً عن الطبرى روايته عن ابن مسعود فى خبر ـ بعد ذكر الغسل والصلوة ـ « قلنا فمن يدخلك قبرك يا رسول الله قال : أهلى مع ملئكة كثير تيرونكم ولا ترونهم » .

وقال (حد) العجب لهم كيف لم يقولوا له فى تلك الساعة « فمن يلى أمورنا بعدك » لأنّ ولاية الأمر أهمّ من السؤال عن الدفن وعن كيفية الصلوة .

قلت : بل عيّن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل من يلى أمورهم فى حجّة وداعه فى صحته ، وأراد تجديده وتأكيده ذاك الوقت فى مرضه فمنعه فاروقهم ، وقد نقل (حد) نفسه عن الطبرى عن سعيد بن جبير قال : كان ابن عباس يقول يوم الخميس : وما يوم الخميس ثم يبكى حتى تبل دموعه الحصباء . فقلنا له وما يوم الخميس قال : يوم اشتدّ بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وجعه فقال : آتونى باللوح والدواة ـ أو قال بالكتف والدواة اكتب لكم ما لا تضلّون بعدى فتنازعوا . فقال « اخرجوا عنّى ، ولا ينبغى عند نبى ان يتنازع قالوا : ما شانه اهجرا استفهموه فذهبوا يعيدون عليه . فقال : دعونى فما أنا فيه خير مما يدعونى إليه .

والطبرى وان أجمل القائل (اهجر) إلا انّ كاتب الواقدى وغيره صرحوا فى رواياتهم أنّ القائل (اهجر) عمر ورووا عنه اقراره بأنّه منع النبى صلى الله عليه وآله وسلم من

الوصية لأنّه علم أنّه يريد أن يعيّن علياً ولم يكن صلاحاً لاباء قريش عنه .

وقال (حد) ثمه أيضاً روت عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عايشة قالت : ماعلمنا بدفن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى سمعنا صوت المساحى فى جوف الليل ليلة الأربعاء) ـ وقال : من العجب كون عايشة والنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بيتها لا تعلم بدفنه حتّى سمعت صوت المساحى أتراها أين كانت . قال : وقد سألت عن هذا جماعة . فقالوا : لعلّها كانت فى بيت يجاور بيتها عندها نساء كما جرت عادة أهل الميت ويكون قد اعتزلت وسكنت ذلك البيت .

قلت : بل الظاهر أنّها كأبيها وصاحبه اشفقت من بقاء الأمّة بلاوال فخلّت جنازته وكانت فى تدبير ذلك معهما وكيف تصبر على أن لا تشاهد إلى مايصير أمر أبيها ، وقد كانت فى مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعثت إلى أبيها فى صلوته بالناس عوض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

« فمن ذا أحق به منى حيّاً وميّتاً » من أحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من أمير المؤمنين عليه السلام حياً وميتاً ، وقد قال ـ عزوجلّ ـ فى محكم كتابه فيه خصوصاً « إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون »[1] وقال ـ عزّوجلّ ـ « وأنفسنا وأنفسكم »[2] وفيه وفى أهل بيته المعصومين عموماً « إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً »[3] وقال تبارك اسمه « قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى »[4] ـ وقال رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى المتواتر عنه ـ بعد تقرير الناس بكونه أولى بهم من أنفسهم ـ « أيّها الناس من كنت مولاه فعلى مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

---

(١) المائدة ٥٥ .

(٢) آل عمران ٦١ .

(٣) الاحزاب ٣٣ .

(٤) الشورى ٢٣ .

ومن أحق به صلى الله عليه وآله حيّاً وميّتاً وقد قال سلمان — ونقله (حد) في موضع آخر — دخلت على النبي صلى الله عليه وآله صبيحة يوم قبل اليوم الذي مات فيه فقال: لا تسألني عمّا كابدته الليلة من الألم والسهر أنا وعلي. فقلت: ألا أسهر هذه الليلة معك بدله. فقال: لا هو أحق بذلك منك.

وقالت أم سلمة — كما رواه أحمد بن حنبل في مسنده — سمعت رسول الله — صلى الله عليه وآله يقول أجاء علي — مراراً — اظنه كان بعثه في حاجة فجاء بعد ذلك فظننت أنّ له إليه حاجة. فخرجنا من البيت. فقعدنا عند الباب فكنت أدنى إلى الباب. فاكبّ عليه علي عليه السلام فجعل يساره ويناجيه، ثم قبض النبيّ صلى الله عليه وآله في يومه ذلك.

وعن أربعين الخطيب — في خبر طويل — قال حذيفة: دخل علي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله، وهو مريض، فاذا راسه على حجر رجل أحسن الخلق، والنبي صلى الله عليه وآله نائم. فقال الرجل لعلي: ادن إلى ابن عمك. فانت أحق به منّي فوضع رأسه في حجره. فلمّا استيقظ النبي صلى الله عليه وآله سأله عن الرجل قال علي. كان كذا وكذا. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ذاك جبرئيل كان يحدّثني حتى خفّ عنّي وجعي.

وفي الطبري مسنداً عن أبي رافع قال: لما قتل علي عليه السلام يوم أحد أصحاب الألوية أبصر النبيّ صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش. فقال لعلي: أحمل عليهم فحمل عليهم، ففرّق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثم أبصر النبي صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لوي — فقال جبرئيل: يا رسول الله إنّ هذه للمواساة. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: انه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما. قال: فسمعوا صوتاً (لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي).

وروى المرزباني أنّ خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين — وقيل عبد الله بن سفيان الحرث بن عبد المطلب — قال:

ما كنت أحسب هذا الأمر منتقلاً × عن هاشم ثم منها عن أبى حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتهم × وأعرف الناس بالآثار والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبىّ ومن × جبرئيل عون له بالغسل والكفن
من فيه ما فيه أن لا تمترّن به × وليس فى القوم ما فيه من حسن
فما الّذى ردّكم عنه فتعلمه × هاإنّ بيعتكم فى أوّل الفتن

و فى لفظ ـ (هاإنّ بيعتكم من أغبن الغبن)

و قال الحميرى :

و كفاه تغسيله وحده أحمد × ميتا و وضعه فى اللحد

و قال :

و من ذا تشاغل بالنبى وغسله × و راى عن الدنيا بذاك عزاء

و قال العبدى :

من كان مثو النبى غير على × من غسّل الطهر ثم و اراه

و قال العوفى :

من غسّل المرسل ومن أنزله × فى لحده وعنه الدين قضى

و روى ابن سعد ـ وهو من نصّابهم ـ فى طبقاته عن جابر أنّ كعب الأحبار قام زمن عمر فقال : ونحن جلوس عند عمر ما كان آخر ما تكلم به النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم . فقال عمر : سل علياً : أين هو؟ قال : هو هنا . فسأله . فقال علىّ عليه السلام : أسنده إلى صدرى فوضع رأسه على منكبى . فقال : الصلوة الصلوة ، فقال كعب كذلك آخر عهد الأنبياء و به امروا و عليه يبعثون ـ قال كعب لعمر : فمن غسّله؟ قال : سل علياً . فقال : كنت أنا اغسّله ، وكان عباس جالساً ، وكان اُسامة وشقران يختلفان إلىّ بالماء .

و روى أيضاً عن مرة بن على قال قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى مرضه : ادعوا لى أخى . فدعى له على فقال : ادن منّى قال : فدنوت منه . فاستند الىّ . فلم يزل مستنداً إلىّ حتّى أنّ بعض ريق النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ليصيبنى ـ الخبر ـ

ومن أحق به صلى الله عليه وآله منه عليه السلام حيّاً وميّتاً ، وقد قال صلى الله عليه وآله في المستفيض: أنا مدينة العلم وعلي بابها . فمن أراد المدينة . فليأت من بابها ، وقد قال تعالى محيلاً إلى بداهة العقول « هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكر أولوا الالباب »[1].

ثم الغريب روايتهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر بالصلوة ، وجعلوا ذلك دليل امامته فاستند إليه عمر في نصب ابي بكر جاعلاً له فوق الامامة وخلافة الرسول ، فقال لأبي بكر، إنّ النبي اختارك لديننا بصلوتك بالناس. فكيف لا نرضاك لدنيانا بالامامة لنا ، وهذا مع روايتهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر بخروجه في جيش أسامة ، ولعن المتخلف، فكيف أمره بالصلوة بالناس ـ ومع روايتهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : ادعوا لي علياً فدعت عايشة وحفصة بأبويهما ، فأعرض عنهما ـ ومع روايتهم أنّ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله خرج بتلك الحال متّكئاً على رجلين وصلّى بهم قاعداً .

و رووا في صلوة أبي بكر بالناس ما يبطل صدره ذيله، ويكذّب آخره أوّله ، قال (حد) في عنوان (و من كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله) روى الأرقم ابن شرحبيل قال : سألت ابن عباس هل أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : لا قلت : فكيف كان فقال : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال في مرضه ، ابعثوا إلي علي فادعوه . فقالت عايشة : لو بعثت إلى أبي بكر ، وقالت حفصة : لو بعثت إلى عمر ، فاجتمعوا عنده ـ هكذا لفظ الخبر على ما أورده الطبري في التاريخ ولم يقل: فبعث النبيّ صلى الله عليه وآله إليهما .

قال ابن عباس فقال النبي صلى الله عليه وآله : انصرفوا فإن تكن لي حاجة ابعث اليكم فانصرفوا ، وقيل للنبيّ صلى الله عليه وآله الصلوة ، فقال : مروا أبا بكر أن يصلّي بالناس. فقالت عايشة : إنّ أبا بكر رجل رقيق فمر عمر . فقال ، مروا عمر . فقال : عمر ما كنت لا تقدم ، وأبو بكر شاهد ، فتقدم أبو بكر ، فوجد النبيّ صلى الله عليه وآله خفّة فخرج . فلمّا سمع أبو بكر حركته تاخر فجذب رسول الله صلى الله عليه وآله فاقامه مكانه وقعد النبي صلى الله عليه وآله فقرء حيث انتهى أبو بكر

---

(١) الزمر ٩ .

ثم قال (حد) عندي في هذه الواقعة كلام ويمترضني فيها شكوك واشتباه إذ كان قد أراد النبيّ ﷺ أن يبعث إلى علي ليوصي إليه فنفست عايشه · فسالت أن يحضر أبوها ، ونفست حفصة عليه ، فسالت ان يحضر أبوها ، ثم حضرا ولم يطلبا ، فلا شبهة أنّ ابنتيهما طلبتاهما ، هذا هو الظاهر وقول النبي ﷺ ـ وقد اجتمعوا عنده ـ (انصرفوا فإن تكن لي حاجة بعثت إليكم) قول من عنده ضجر وغضب باطن بحضورهما ، وتهمة للنساء في استدعائهما · فكيف يطابق هذا الفعل و هذا القول ما روى من انّ عايشة قالت: لمّا عيّن أبوها في الصلوة (إنّ أبي رجل رقيق فمروا عمر) وأين ذلك الحرص من هذا الاستعفاء والاستقالة وهذا يوهم صحّة ما تقوله الشيعة من أنّ صلوة أبي بكر كانت عن أمر عايشة ، وان كنت لا أقول بذلك ، ولا أذهب إليه إلّا أنّ من تأمّل هذا الخبر ولمح مضمونه يوهم ذلك فلعل هذا الخبر غير صحيح ·

قال (حد) فإن قلت : لم قلت في صدر كلامك هذا : انّه أراد أن يبعث إلى علي ليوصي إليه ولم لا يجوز أن يكون بعث إليه لحاجة له قلت: لأنّ مخرج كلام ابن عباس هذا المخرج ألا ترى أنّ أرقم بن شرحبيل الراوي لهذا الخبر قال: (سألت ابن عباس هل أوصى النبيّ ﷺ) · فقال : لا فقلت: فكيف كان فقال : إنّ النبيّ ﷺ قال في مرضه : ابعثوا إلى علي · فادعوه · فسألته المرأة أن يبعث إلى أبيها وسألته الأخرى أن يبعث إلى أبيها ـ · فلولا أنّ ابن عباس فهم من قوله ﷺ (ابعثوا إلى علي فادعوه) انّه يريد الوصية لما كان لأخبار الأرقم بذلك متّصلاً بسؤاله عن الوصية معنى

قلت: لقد اجاد في كلامه ثم أيّ معنى لقرائة النبيّ ﷺ من حيث انتهى أبوبكر بعد عدم اقتداء النبيّ ﷺ به كما تضمنه خبرهم · ثم أي استبعاد لصلوته بغير اذنه في مرضه مع صلوته بغير اذنه في صحته روى مسلم والبخاري في صحيحهما عن سهل الساعدي أنّ النبيّ ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم · فجائت الصلوة · فجاء المؤذن إلى أبي بكر · فقال : تصلي بالناس فاقيم فقال : نعم

قال : فصلّى أبوبكر . فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله فخرق الصفّ حتى قام عند ... أبوبكر القهقرى) ، ومن أين ان مبادرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المسجد ، وتأخر أبي بكر في الموضعين لا سيما في الأوّل الّذي كان في شدّة المرض للدلالة على عدم جواز الاقتداء به .

ومن الغريب أنّ الجزري قال : ولمّا اشتد مرضه آذنه بلال بالصلوة . فقال : مروا أبا بكر . فليصلّ بالناس قالت ، عايشة : فقلت : إنّه رجل رقيق ، وانّه متى يقم مقامك لا يطيق ذلك ، فقال : (مروا ابا بكر فليصلّ بالناس) فقلت مثل ذلك ، فغضب وقال (انكنّ صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصلّ بالناس) فتقدم أبوبكر . فلمّا دخل في الصلوة وجد النبيّ صلى الله عليه وآله خفّة فخرج بين رجلين . فلمّا دنا من أبي بكر تأخر أبوبكر فأشار اليه أن قم مقامك . فقعد النبيّ صلى الله عليه وآله يصلّي إلى جنب أبي بكر جالساً ، فكان أبوبكر يصلّي بصلوة النبي ، والناس يصلّون بصلوة أبي بكر ، وصلّى أبوبكر بالناس سبع عشرة صلوة ، وقيل : ثلاثة أيّام ـ ثمّ انّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج في اليوم الّذي توفّي فيه إلى الناس في صلوة الصبح . فكاد الناس يفتتنون في صلوتهم فرحاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله وتبسم النبيّ فرحاً لما رأى هيئتهم في الصلوة ثم رجع .

فان فيه مضافاً إلى ما تقدم انّه أيّ ربط لقول النبيّ صلى الله عليه وآله (انكن صواحبات يوسف) مع قول عايشة (إنّ أبا بكر رجل رقيق) وإنّما يناسب قول النبيّ صلى الله عليه وآله ذاك مع ما في الخبر الأوّل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر باحضار أمير المؤمنين عليه السلام فبعثتا إلى أبويهما واحضرتاهما .

وأيّ ربط لقوله (فوجد خفة) وبين قوله (فخرج بين رجلين) بل بينهما تضاد ثم كيف أمر كراراً بأن يصلّي أبوبكر بالناس ثم لم يدعه بأن يتمّ صلوة واحدة بل يخرج بدخوله في الصلوة حتّى يتفرق خياله في الصلوة إلى غير ذلك من المناقضات الّتي يفهمها كل من لم يكن ذا عصبيّة .

وإنّما الصحيح الّذي يشهد به أخبارهم بعد إسقاط متناقضاتها في تفصيل

صلوة أبى بكر فى مرض النبىّ ﷺ ما ذكره محمّد بن محمّد بن النعمان فى ارشاده فقال: وكان النبىّ ﷺ إذ ذاك فى بيت أمّ سلمة . فأقام به يوماً أو يومين . فجائت عايشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولى تعليله ، وسالت أزواج النبىّ ﷺ فى ذلك ، فاذنّ لها . فانتقل النبىّ ﷺ إلى البيت الّذى أسكنه عايشة ، واستمر به المرض فيه أيّاماً ، وثقل فجاء بلال عند صلوة الصبح ، والنبى ﷺ مغمور بالمرض فنادى « الصلوة رحمكم الله » فاوذن النبىّ ﷺ بندائه . فقال : يصلّى بالناس بعضهم فإنّى مشغول بنفسى . فقالت عايشة ، مروا أبا بكر ، وقالت حفصة : مروا عمر . فقال النبىّ ﷺ : حين سمع كلامهما ورأى ، حرص كل واحدة منهما على التنويه بأبيها وافتتنا نهما بذلك ، والنبى حىّ « اكففن فانّكن صويحبات يوسف » ثم قام ﷺ مباد راً خوفاً من تقدم أحد الرجلين ـ وقد كان أمرهما بالخروج مع أسامة ، ولم يكن عنده إنّهما قد تخلّفا ـ فلمّا سمع من عايشة وحفصة ما سمع علم أنّهما متأخران عن أمره فبد ر لكفّ الفتنة وازالة الشبهة ، فقام ﷺ وأنّه لا يستقلّ على الأرض من الضعف ، فأخذ بيده على بن أبى طالب عليه السلام والفضل بن العباس فاعتمد عليهما و رجلاه تخطّان الأرض من الضعف ، فلمّا خرج إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب فاومئ إليه بيده أن تأخّر . فتأخّر أبو بكر ، فكبّروا بتدء الصلوة الّتى كان قد ابتدء ها أبو بكر ، ولم يبن على ما مضى من فعاله ، فلمّا سلم انصرف إلى منزله ، واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة ممّن حضر المسجد ثم قال : ألم آمركم ان تنفذوا جيش أسامة . فقالوا بلى : قال فلم تأخّرتم عن أمرى؟ قال أبو بكر : إنّى كنت خرجت ثم رجعت لأجدّد بك عهداً ، وقال عمر : إنّى لم أخرج لأنّنى لم أحبّ أن أسأل عنك الركبان ، فقال النبىّ ﷺ : (نفّذ وا جيش أسامة . نفّذ وا جيش أسامة) ـ يكرّرها ثلاث مرّات ثم أغمى عليه من التعب الّذى لحقه ، والأسف الّذى ملكه ، فمكث هنيئة مغمى عليه وبكى المسلمون وارتفع النجيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين وجميع من حضر من المسلمين ، فأفاق النبى ﷺ فنظر إليهم ثم قال « ايتونى بدوا ة وكتف لأكتب

لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً» ثم أغمي عليه فقام بعض من حضره يلتمس دواة وكتفاً. فقال له عمر: «ارجع فإنه يهجر» فرجع وندم من حضر على ما كان منهم من المخالفة في احضار الدواة والكتف وتلاوموا بينهم، وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون لقد اشفقنا من خلاف النبي. فلما أفاق قال بعضهم: ألا نأتيك بدواة وكتف. فقال: أبعد الذي قلتم لا، ولكني أوصيكم بأهل بيتي خيراً. واعرض بوجهه عن القوم فنهضوا وبقي عنده العباس والفضل بن العباس وعلي بن ابي طالب عليه السلام واهل بيته خاصة

ومن الغريب أن الشهرستاني روى في ملله عن صحيح البخاري ممانعة عمر عن وصية النبي صلى الله عليه وآله وانه قال «قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وكثر اللغط، وان النبي صلى الله عليه وآله غضب وقال «قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع» وان ابن عباس قال «الرزية كل الرزية منع نبينا عن وصيته».

وروى فيه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله قال «جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنها» فقال قوم: «يجب علينا امتثال أمره» وقال قوم «اشتد مرضه» — ثم قال: وإنما اوردت هذين المتنازعين لان المخالفين ربما عدوا ذلك من المخالفات المؤثرة في أمر الدين — وهو كذلك وإن كان الغرض كله إقامة مراسم الشرع — الخ —

فتراه اعترف بأن منع النبي صلى الله عليه وآله عن الوصية، والتخلف عن جيش لعن النبي صلى الله عليه وآله المتخلف عنه موجبان لافساد الدين لكن اعتذر بما ذكره من الغرض فهل كان عمر أعرف من الله ورسوله الذي لا ينطق عن هوى بل بوحي من السماء فليقولوا بأنا ندين بدين أبي بكر وعمر لا بدين نبي الإسلام وكان الحطيئة يقول لما سمع بخلافة أبي بكر:

أطعنا رسول الله إذ كان حاضراً × فيالهفتا ما بال دين أبي بكر

وهؤلاء أهل سنة أبي بكر وعمر يقولون بلسان الحال وإن أنكروه في المقال:

عصينا رسول الله اذ كان حاضراً وانما × نطيع و نحضع لدين ابي بكر

ومن راجع في ما كتبوا في أمر السقيفة يعلم كما يعلم بالشمس في رابعة

النهار إنّ غرضهما لم يكن إلّا نيل الرياسة والسلطنة ، مثل معاوية إلّا أنّ معاوية لم ينافق وجهر بمراده ، وكون غرضه الإمرة وهما لبسا بارادة الدين كما عرفته من الشهرستانى قال سعيد بن سويد : صلّى بنا معاوية الجمعة فى الصحن ثم خطبنا فقال : إنّى والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا إنّكم تفعلون ذلك إنّما قاتلتكم لأ تأمّر عليكم ، وقد أعطانى الله ذلك و أنتم كارهون ــ قال شريك فى حديثه : هذا هو التهتّك .

قلت : ليت هذا التهتّك كان ممّن أسس لمعاوية ذلك ، وجعله بتدبير الامر لعثمان خليفة حتّى يغيّر دين النبىّ (ص) ويستأصل أهل بيته ويأسر بناته بيوم بدر على يد ابنه ، ويسنّ لعن النبىّ (ص) ولا تستوحش من تعبيرى فإنّ لعن على لعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه (ع) كان بنصّ الكتاب نفس النبىّ (ص) وقد مرّ ابن عباس على من يسبّه فقال : أيّكم سبّ الله ورسوله ، فقالوا : لم يكن ذلك ، فقال : أيّكم سبّ علياً ، فقالوا : كان ذلك ، فقال : سمعت النبىّ (ص) يقول «من سبّ علياً فقد سبّ الله ورسوله» .

وبالجملة هل هو عليه السلام مع اشتماله على تلك المكارم احق بمقام النبى صلّى الله عليه وآله بعده أم من هرب يوم خيبر و حنين ، وفى كثير من المواقف وقد قال تعالى «ومن يولّهم يومئذ دبره إلّا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله و مأواه جهنم و بئس المصير»[1] ــ ولم يصلح لتأديته آيات وعزل من السماء ــ ولعنه فى التخلف عن جيش أسامة ــ وقال فيه يوم خيبر معرّضاً أنّه لا يحبّ الله و رسوله ولا يحبّه الله و رسوله وإنّه فرّار غير كرّار حيث أثبت صلى الله عليه وآله اضداد ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام بعد فرار صدّيقهم و فاروقهم وأعرض النبى صلّى الله عليه وآله عنه فى صحته و مرضه .

فقد روى الحميدى عن صحيح مسلم من مسند أنس أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم شاور حين بلغه إقبال أبى سفيان فتكلّم أبو عمر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه

(١) الانفال ١٦ .

— الخبر — .

وفى معارف ابن قتيبة أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله فى يوم أحد أخذ سيفاً فهزّه وقال: من يأخذه بحقه فقال عمر: أنا فاعرض عنه وقال الزبير: أنا فاعرض عنه . فوجدا فى أنفسهما — الخبر — ومراعراضه عليه السلام عن الرجلين فى مرضه فى روايا تهم، وترك جنازة نبيّه صلى الله عليه وآله ونازع على الحطام الفانى قال ابن قتيبة فى خلفائه: إنّ الأنصار لمّا قالوا السيّدة النساء — صلوات الله عليها — لو أنّ زوجك وابن عمك سبق الينا قبل أبى بكر ما عدلنا به . فيقول على — كرّم الله وجهه — أفكنت أدع رسول الله صلّى الله عليه وآله فى بيته لم أدفنه واخرج أنازع الناس بسلطانه . فقالت فاطمة: ما صنع ابو الحسن إلّا ما كان ينبغى له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم، مضافاً إلى ما مر من منعه عن وصيته ونسبة الهجر إليه .

هذا، ونظير كلامه عليه السلام فى بيان اختصاصه عليه السلام بالنبىّ صلى الله عليه وآله حياً وميتاً لكونه متصدياً لأُموره وكافياً لمهماته . قول أحمد بن يوسف فى وصف الفضل بن سهل ذى الرياستين واختصاصه بالمأمون حياً وميتاً وكونه عماده ففى جملة كلامه فإنّه اعطاه رياسة الحرب، ورياسة التدبير، وعقد له على رأسهما علماً فى راية دعوته، وقلّده سيفهما، وختمه بخاتم الخلافة، وخاتم الدولة، وجعل صِلاته بين صاحب حرسه، وصاحب شرطته، وصيّر له الجلوس على الكرسى بحضرته فى صدر كل مجلس جلسه إلّا أن يؤثر به من أبناء الخلفاء، وقدّمه فى دخول داره راكباً إلى أقصى مكان ينتهى إليه أحد من بنى هاشم لأنّه منهم، وأعظمهم غناءً عنهم، فسمّاه صاحب دعوته، وسيفه على عدوه، وبابه الّذى يدخل إليه منه، وولّاه خيوله فى أقطار الأرض ومقدّمته بحضرته، وقلّده من الثغور ما قد علمتم بما أفرده فى عهده إلى ما أنفذه فى جميع سلطانه، وملكه من مشارق الأرض ومغاربها، وأين يأتى الوصف على ما فضّله به، وقدّمه، وشرّفه على الناس، ولكنا نخطر بذكره، ثم نكل السامعين الى ما يرجعون إليه من المعرفة الّتى لا يبلغها الصفة —

ثم لم يكن ما اكرمه به فى حياته بأعلى مما أكرمه به فى وفاته ـ أى أكرم المأمون الفضل ـ تولى غسله وتكفينه ومباشرته بجهازه إلى حفرته بيده وقاسى من الغصص وبرحاء الحزن واذراء العبرة واراقة الدمعة ما حال بينه وبين الكلام ، وكاد يمنعه من القول والدعاء فى صلوته عليه ، وحفظ أهل الحرمة به رعاية له فيهم ووفاء بعهده من بعده ، واقرّ خاصّته ، وقوّاده ، وعمّاله ، وكتّابه على مراتبهم وحمده بحمده ، وذمّ بذمّه ، وجند بجنده وشاكريته نظراً وعطفاً ، فلم يبق عليه فى احياء ذكره ، وبلوغ كل ما يحبّه فى حياته غاية إلّا أتى من وراءها وأمر بقرائة فتوحه بعده كما كانت تقرأ على عهده ، وأضاف كل ما حدث بعده إلى ما تقدم من سعيه واخبر انه كان من سببه .

«ولتصدق نيّاتكم فى جهاد عدوكم» فى الطبرى (قتل يوم الجمل من بنى ذهل خمسة وثلاثون رجلا فقال رجل لاخيه وهو يقاتل : ما أحسن قتالنا إن كنّا على الحق ـ قال : فإنّا على الحق إنّ الناس أخذوا يميناً وشمالاً وإنّما تمسّكنا بأهل بيت نبيّنا ـ قال : فقاتلا حتّى قتلا .

«فوالّذى لا إله إلّا هو أنّى لعلى جادّة الحق ، وأنّهم لعلى مزلّة الباطل» إنّما أقسم عليه السلام لأنّه عليه السلام أحس من عملهم معه عليه السلام ومع مخالفيه شكّهم ، وإلّا فكونه عليه السلام على الحق وكون مخالفيه على الباطل من البديهيات بعد تصديق العقل والنقل لما قاله عليه السلام .

ثم الغريب من بلادة واصل بن عطا انّه لم يفرّق بين النور والظلمة فقال كما فى ملل الشهرستانى ـ أن أحد الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين مخطئ لا بعينه ، وكذلك قوله فى عثمان وقاتليه وخاذليه : أنّ أحد الفريقين ، فاسق لا محالة كما أنّ أحد المتلاعنين فاسق لا بعينه .

قال واصل : وأقل درجات الفريقين أنّه لا تقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين ـ قال الشهرستانى : فلم يجوّز عطاء قبول شهادة على و

طلحة والزبير على باقة بقل وجوّز أن يكون عثمان وعلى على الخطا — قال الشهرستانى ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه .

قلت : قاتلهم الله أمّا تواتر عن النبىّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام « إنّك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين » أما رجع الزبير عن حربه عليه السلام باقراره بقول النبىّ صلى الله عليه وآله له « إنّك ظالم فى حرب على » أما تواتر عن النبىّ صلى الله عليه وآله « أنّ عمارا تقتله الفئة الباغية » وأنّ ذاك الخبر أوجب تزلزلاً فى أصحاب معاوية حتّى اضطر معاوية إلى أن يلبّس عليهم ويقول لهم : أنا ما قتلنا عماراً بل قتله على الّذى جاء به إلى حربنا .

قال الشهرستانى — بعد ما مر نقله طاعناً فيهم — هذا قول رئيس المعتزلة ومبدء الطريقة فى أعلام الصحابة وائمة العترة) .

قلت : ومع ذلك أنّهم أقرب إلى فطرة العقول من جمهور أهل السنّة والشهرستانى أحدهم — فإنّهم يجمعون بين الضدين ، وهو شئ يحكم ببطلانه جميع العقلاء ، وإن لم يكونوا ذوى دين فإن كان بطلان أمر المتقدّمين على امير المؤمنين عليه السلام معلوماً وأنّهم لم يكونوا من الاسلام على شئ فالأمر كما ذكر الشيعة وان لم يكن معلوماً فكما ذكر واصل ومن تبعه لكن واصل وان لم يجمع بين الضدين كجمهور السنة إلّا أنّه انكر البديهيات وتشكك فى الواضحات كيف لا وقد تواترت الأخبار من طريقهم بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام على الحقّ وأنّ الحق معه يدور حيثما دار .

وفى خلفاء ابن قتيبه ذكروا أن رجلاً من همدان يقال له برد قدم على معاوية فسمع عمرو بن العاص يقع فى على عليه السلام فقال له : يا عمرو إنّا أشياخنا سمعوا النبىّ صلى الله عليه وآله يقول « من كنت مولاه فعلى مولاه » فحقّ ذلك أم باطل ؟ فقال عمرو : حقّ وأنا أزيدك أنّه ليس أحد من صحابة النبىّ لمناقب مثل مناقب على ففزع الفتى . فقال عمرو : انه أفسدها بامر فى عثمان . فقال برد هل أمر أو فعل قال : لا ولكنّه آوى ومنع . قال : فهل بايعه الناس عليها ؟ قال : نعم قال : فما أخرجك من بيعته ؟ قال : انّها ولّياه

فى عثمان . قال له : وأنت أيضاً اتّهمت قال : صدقت فيها خرجت إلى فلسطين قال فرجع الفتى إلى قومه . فقال انا اتينا قوماً أخذنا الحجة عليهم من أفواههم ، على على الحق فانصروه .

« اقول ما تسمعون » : أى تعرفون أنّ الأمر كما أقول فعليكم العمل بمقتضاه .

« واستغفر الله لى ولكم » مّما صدر من التفريط فى جنب الله تعالى شارك عليه السلام نفسه معهم ليكونوا اسرع إلى قبول كلامه .

٥/ فى ٥/ ١/ فَوَاللّٰهِ مٰا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ اللّٰهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتّٰى يَوْمِ النّٰاسِ هٰذٰا .

أقول : هذا الكلام صريح فى بطلان أمر المتقدّمين عليه ، وكونهم غاصبين لحقّه ، وكونه عليه السلام مظلوماً فى تاخيرهم له .

وقال (حد) فى عنوان قوله عليه السلام « اما انه سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم » روى شيخنا أبو القاسم البلخى عن سلمة بن كهيل عن المسيب بن نجيه قال : بينا على عليه السلام يخطب إذ قام اعرابى فصاح « وا مظلمتاه » فاستدعاه على عليه السلام فلما دنا منه قال له (إنّما لك مظلمة واحدة وأنا قد ظلمت عدد المدر والوبر » ـ قال : وفى رواية عباد بن يعقوب أنّه دعاه ، فقال له : ويحك وأنا والله مظلوم أيضاً هات فلندع على من ظلمنا

قال : وروى سدير الصيرفى عن أبى جعفر محمّد بن على قال : اشتكى على شكوة ، فعاده أبو بكر و عمر وخرجا من عنده ، فأتيا النبىّ صلى الله عليه وآله فسألهما من أين جئتما قالا عدنا عليّاً قال : كيف رأيتماه قالا : رأيناه لما به ، قال : كلّا إنّه لن يموت حتّى يوسع غدراً وبغياً ، وليكوننّ فى هذه الأمّة عبرة يعتبر به الناس من بعد .

قال : و روى عثمان بن سعيد عن عبد الله الغنوى أنّ علياً عليه السلام خطب بالرحبة . فقال : ايّها الناس إنّكم قد أبيتم إلّا أن اقولها ، وربّ السماء والأرض انّ من

عهد النبيّ الامّي صلى الله عليه وآله وسلم إليّ أنّ الأُمة ستغدر بك ـ قال : و روى هشيم بن بشير عن اسمعيل بن سالم مثله ، وقال : وقد روى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه .

و روى أبو جعفر الاسكافي أيضاً أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة عليها السلام فوجد علياً عليه السلام نائماً فذهبت تنبّهه . فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : دعيه فربّ سهر له بعدي طويل ورب جفوة لأهل بيتي من أجلي شديدة . فبكت . فقال : لا تبكي فانكما معي ، و في موقف الكرامة عندي .

قال : و روى يونس بن خباب عن أنس بن مالك قال : كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب معنا . فمررنا بحديقة . فقال علي للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : ما أحسن هذه الحديقة فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ حديقتك في الجنّة أحسن منها ـ إلى أن قال ـ

ثم انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقف . فوقفنا فوضع رأسه على رأس علي وبكى . فقال علي له ما يبكيك قال : ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني فقال له : أفلا أضع سيفي على عاتقي . فأبيد خضراءهم قال : بل تصبر . قال : فان صبرت قال : تلاقي جهداً قال : أفي سلامة من ديني قال : نعم قال : فاذن لا أبالي .

قال : و روى جابر الجعفي عن محمّد بن علي قال : قال علي عليه السلام : ما رأيت منذ بعث الله محمداً رخاء لقد أخافتني قريش صغيراً ، وأنصبتني كبيراً حتى قبض الله رسوله . فكانت الطامّة الكبرى ، والله المستعان .

قلت : ولم يختصّ الشكاية ، والتصريح بالمظلومية به عليه السلام بل كان أهل بيته عليهم السلام أيضا يشكون ، وان كانوا يتّقون ، وكيف لا يتّقون ، وقد كان هو عليه السلام كما يفهم من الخبر المتقدم في خطبته عليه السلام في الرحبة من قوله عليه السلام « أيّها الناس إنكم أبيتم إلّا أن أقولها » ـ الخبر ـ أيضا يتّقي .

يشهد لما قلنا كتاب معاوية إلى الحسن عليه السلام في جواب كتاب به رواه أبو الفرج و غيره ، وفي الكتاب (ذكرت وفاه رسول الله وتنازع المسلمين الأمر من بعده

فرأيتك صرّحت بتهمة أبى بكر الصدّيق و عمر الفاروق ، وأبى عبيدة الأمين ، و حوارى رسول الله ، وصلحاء المهاجرين والأنصار . فكرهت ذلك لك . فإنّك امرؤ عندنا و عند الناس غير ظنين) ـ الخ ـ فترى انه عليه السلام لما شكا من شيخيهم فى تقدمهما على امير المؤمنين عليه السلام خوّفه معاوية بالتكفير أفّ لدين يكفّر من شهد القرآن بعصمته وطهارته والنبى صلى الله عليه وآله بعلو درجته .

وكان ظلمهم له عليه السلام فى التقديم عليه مع اتقائه عليه السلام واتقاء أهل بيته من الاجهار به أمراً مشتهراً غير قابل للانكار . روى أحمد بن أبى طاهر فى بلاغاته فى دخول أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية أنّ أروى قالت لمعاوية فى جملة كلامها « حتّى قبض الله نبيّه . فصرنا أهل البيت فيكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يذبّحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله بمنزلة هرون من موسى حيث يقول « يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى » ولم يجمع لنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله شمل ، ولم يسهل لنا وعر ، ولم غايتنا الجنة ، و غايتكم النار .

و روى البلاغات أيضاً فى خطبة سيّدة نساء العالمين عند منع أبى بكر ايّاها فدك « حتّى إذا اختار الله تعالى لنبيّه دار أنبيائه ظهرت خلة النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الآفلين ، وهدر فنيق المبطلين فخطر فى عرصاتكم ، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم . فوجد كم لدعائه مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحظين فاستنهضكم فوجد كم خفافاً ، وأحمشكم فالفاكم غضاباً . فوسمتم غير ابلكم ، وأوردتم غير شربكم هذا ، والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل بدا رزعمتم خوف الفتنة إلّا فى الفتنة سقطوا ، وأنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين فهيهات منكم ، وانّى بكم ، وانّى تؤفكون ، وهذا كتاب الله بين أظهركم ، وزواجره بيّنة ، وشواهده لائحة ، وأوامره واضحة . أرغبة تدبرون أم بغيره تحكمون

(١) الاعراف ١٥ .

بئس للظالمين بدلاً ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين . ثم لم تريثوا الا ريث ان تسكن نغرتها تشربون حسوا ، وتسرّون في ارتغاء ونصبر منكم إلى حزّ المدى — إلى أن قال — ثم انحرفت إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و هي تقول :

قد كان بعدك أنباء و هنبثة × لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها × واختلّ قومك فاشهد هم ولا تغب

قال : فما رأينا أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم .

وفي الطبري — بعد ذكر بيعة عبد الرحمن بن عوف لعثمان — قال على عليه السلام لابن عوف «ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون — إلى أن قال —

فقال المقداد : ما رأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم انّي لاعجب من قريش انّهم تركوا رجلاً ما أقول أنّ أحداً أعلم ، ولا أقضى منه أما والله لو اجد عليه اعواناً — إلى أن قال —

فقال رجل للمقداد رحمك الله من أهل هذا البيت ، ومن هذا الرجل قال : أهل البيت بنو عبد المطلب ، والرجل علىّ بن أبي طالب — فقال على عليه السلام : انّ الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر الى بيتها ، فتقول ان ولى عليكم بنوها شم لم تخرج منهم أبداً ، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم .

و روى الجوهري في سقيفته — وقد نقله (حد) في موضع آخر — انه نادى عمار يوم الشورى يا معشر قريش الى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم تحوّلونه هنا مرّة ، وهنا مرّة ما أنا أن ينزعه الله منكم ، ويضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ، ووضعتموه في غير أهله . فقال له هاشم بن الوليد بن المغيرة المخزومي : يا ابن سمية لقد عدوت طورك ، وما عرفت قدرك ما أنت وما رأت قريش لأنفسها انّك لست في شئ من امارتها وامرها فتنحّ عنها — قال : وتكلّمت قريش بأجمعها فصاحوا بعمار و

انتهروه فقال عمار «الحمد لله مازال أعوان الحق أذلاء» ثم قام فانصرف.

٦/ فى ١٨٧/ ١/ فى الخطبة القاصعة: وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ ـ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ـ إِلَى أَنْ قَالَ ـ:

وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالْاِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ. فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْاِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَا هٰذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ: هٰذَا الشَّيْطَانُ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلٰكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ ـ إلى أن قال ـ:

وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا ـ يَعْنُونَنِي ـ وَإِنِّي لِمَنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللّٰهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ. عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ

النَّهارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللّٰه ، وَسُنَنَ رَسُولِهِ . لا يَسْتَكْبِرُونَ وَلا يَعْلُونَ ، وَلا يَغُلُّونَ وَلا يُفْسِدُونَ . قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنانِ ، وَأَجْسادُهُمْ فِي الْعَمَلِ .

أقول: ورواه ابن طاووس فی طرائفه عن کتاب موفق بن أحمد المکی بأسناده إلی أبی ذر فی مناشداته علیه السلام لأهل الشوری مع زیادات قبله .

«وقد علمتم موضعی من رسول اللّه صلی الله علیه وآله وسلم بالقرابة القریبة» فکان علیه السلام ابن عم النبی صلی الله علیه وآله وسلم لأبویه ، ولم یکن فی رجال بنی هاشم من کان بقربه علیه السلام ، ولنعم ما قیل بالفارسیه .

د رملك وجود پادشاه است علی × جان وتن وعقل راپناه است علی
چشم همه کاینات ختم رسل است × د رمردم آن چشم نگاه است علی

«والمنزلة الخصیصة» روی الحلیة فی أحمد بن حنبل (عن أم سلمة قالت : کان النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم اذا غضب لم یجترء علیه أحد إلّا علی ـ کرم اللّه وجهه ـ

و رووا فی صحاحهم عن ابن عباس قال : لمّا نزل «قل لا أسألکم علیه أجراً إلّا المودّة فی القربی» قالوا : یا رسول اللّه من هؤلاء الّذین وجبت علینا مودّتهم قال : علی وفاطمة وابناهما .

وقال ابن طلحة الشافعی فی [مطالب سؤله] نقل عن علی الثقات ، والنقلة الاثبات أنّه قال :

محمّد النبی أخی و صنوی × وحمزة سیّد الشهداء عمّی
وجعفر الّذی یضحی ویمسی × یطیر مع الملئکة ابن أمّی
وبنت محمّد سکنی وعرسی × منوط لحمها بدمی ولحمی
وسبطا أحمد ولدای منها × فأیّکم له سهم کسهمی
سبقتکم إلی الاسلام طراً × غلاماً ما بلغت أوان حلمی

وأوجب لى ولايته عليكم × رسول الله يوم غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل × لمن يلقى الإله غداً بظلمى

و روى الكنجى الشافعى فى مناقبه مسنداً عن زيد بن على قال: كانت قريش فى حلقة · فتفاخروا ، وذكروا شيئاً من الشعر ، فقالوا : يا أبا الحسن قل فقال عليه السلام لقد قلتم فقالوا : نعم وأنت أيضاً فقل فقال عليه السلام :

الله أكرمنا بنص نبيّه × وبنا أقام دعائم الاسلام
وبنا أعزّ نبيّه و كتابه × و أعزنا بالنصر والاقدام
فى كلّ معركة تطير سيوفنا × فيها الجماجم عن فراخ الهام
ينتابنا جبريل فى أبياتنا × بفرائض الاسلام والأحكام
فنكون أوّل مستحلّ حلّه × و محرّم لله كلّ حرام
نحن الخيار من البرية كلّها × و نظامها وزمام كلّ زمام
الخائضو غمرات كلّ كريهة × والضامنون حوادث الأيام
والمبرمون قوى الأمور بعزمهم × والناقضون صرائم الابرام
انّا لنمنع من أردنا منعه × و نجود بالمعروف والانعام
وتردّ غائلة الخميس سيوفنا × وتقيم رأس الاصيد القمقام

و روى أيضاً عن ابن عباس أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر بسدّ الأبواب إلّا باب على بن أبى طالب وقال : وفى خصائص النسائى مسنداً عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم أبواب شارعة فى المسجد · فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : سدّوا هذه الأبواب إلّا باب على ، فتكلّم فى ذلك ناس. فقام النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ما سددته ولا فتحته ، ولكن أمرت بشىء فاتّبعته ·

«وضعنى فى حجره وانا ولد» هكذا فى المصرية ، والصواب (وليد) كما فى (حد ، وثم ، والخطية) ·

في مقاتل أبي الفرج كان النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ علياً عليه السلام من أبيه ، وهو صغير في سنة أصابت قريش قحط نالهم ، وأخذ حمزة جعفراً ، وأخذ العباس طالباً ليكفوا أباهم مؤنتهم ، ويخففوا عنه ثقلهم ، وأخذه وعقيلاً لميله إليه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله اخترت من اختار الله تعالى لي عليكم علياً) — قال : حدّثني بذلك أحمد بن الجعد الوشا ، عن عبد الرحمن بن صالح ، عن علي بن عابس عن هرون بن سعد عن زيد ابن علي .

« يضمّني إلى صدره » روى ابن المغازلي في مناقبه ، والمالكي في فصوله مسنداً عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال : كنت جالساً مع أبي ، ونحن نزور قبر جدنا وهناك نسوان كثيرة إذ أقبلت امرئة منهن فقلت لها : من أنت يرحمك الله؟ قالت : زبدة بنت العجلان من بني ساعدة . فقلت لها : فهل عندك شئ تحدثينا به؟ قالت أي والله حدثتني امّي أُم عمارة بنت فضل بن مالك بن العجلان الساعدي أنّها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً ، فقلت : ما شأنك يا أبا طالب ، فقال : إنّ فاطمة بنت اسد في شدة المخاض ، فبينا هو كذلك إذ أقبل محمّد صلى الله عليه وآله فقال : ما شانك ياعم؟ فقال : انّ فاطمة بنت اسد تشتكي المخاض . فاخذ بيده موجائا ، وقمن معه . فجاء بها إلى الكعبة . فأجلسها في الكعبة . ثم قال اجلسي على اسم الله . فطلقت طلقة ، فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً لم أر كحسن وجهه ، فسمّاه أبو طالب علياً ، وحمله النبي صلى الله عليه وآله حتّى إذا أدّاه إلى المنزل — الخبر —

وفي اثبات وصية المسعودي — بعد ذكر ولادته عليه السلام حنّكه النبي صلى الله عليه وآله ووضعه في حجره وقمّطه في حصير قبل كلّ أحد .

« ويكنفني إلى فراشه » رووا عن يزيد بن قعنب — في خبر ولادته عليه السلام في الكعبة — قال : ولدت فاطمة بنت أسد علياً عليه السلام وللنبيّ صلى الله عليه وآله ثلاثون سنة ، وأحبّه النبيّ صلى الله عليه وآله حبّاً شديداً وقال لها : اجعلي مهده بقرب فراشي ، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يلي أكثر تربيته ، وكان يطهّر علياً عليه السلام في وقت غسله ، ويوجره اللبن عند شربه ، ويحرّ

مهده عند نومه ، ويناغيه فى يقظته ، ويحمله على صدره ، ويقول : (هذا أخى وولىّ وناصرى ، وصفيّ وذخرى ، وكهفى ، وظهرى ، وظهيرى ووصيى ، وزوج كريمتى ، وأمينى على وصيتى ، وخليفتى) ، وكان يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها و أوديتها .

« ويشمّنى عرفه » بفتح العين : أى عرقه .

وفى مناقب السروى ، وفى حديث أبى بصير عن الصادق ع ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أخذ يمسح العرق عن وجه على عليه السلام ويمسح به وجهه .

« وكان يمضغ الشئ » : أى يليّنه بفمه .

« ثم يلقمنيه » قال (حد) روى الحسين بن زيد بن على بن الحسين عليه السلام عن أبيه قال : كان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يمضغ اللحم والتمرة حتّى تلين ، ويجعلها فى فم على عليه السلام و هو صغير فى حجره ، وكذلك كان أبى على بن الحسين عليه السلام يفعل بى ولقد كان يأخذ الشئ من الودك ، وهو شديد الحرارة . فيبرّده فى الهواء أو ينفخ عليه حتّى يبرد ثم يلقمنيه أفيشفق علىّ من حرارة لقمة ، ولا يشفق علىّ من النار لو كان أخى إماماً بوصيّة كما يزعم هؤلاء لكان أبى أفضى إلىّ من ذلك ، ووقانى من حرّ جهنّم .

قلت : ذيل الخبر لا ربط له بالمقام إلّا أنّه لمّا كان (حد) نقله ويمكن أن يولّد شبهة لا بدّ لنا من دفعها فنقول : إنّ الأخبار فى مسلك زيد مختلفة . ففى أخبار كثيرة انه كان معترفاً بامامة أخيه الباقر عليه السلام وابنه الصادق عليه السلام وهى أكثر من هذا الخبر وما من قبيل هذا الخبر ، فيسقط لشذوذه ، و فى بعضها مضمون هذا الخبر مع الجواب عمّا تضمنه من الشبهة .

روى الكشى مسنداً عن مؤمن الطاق قال : كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فدخل زيد بن على . فقال لى : أنت الّذى تزعم انّ فى آل محمّد اماماً مفترض الطاعة معروفاً بعينه قال : قلت : نعم أبوك أحدهم قال : ويحك وما يمنعه ان يقول لوفوا لله لقد كان يؤتى بالطعام الحار . فيقعدنى على فخذه ويتناول البضعة فيبرّدها ثم يلقمنيها

أفتراه يشفق على من حرّ الطعام، ولا يشفق على من حرّ النار. قال: قلت: كره أن يقول لك. فتكفر فيجب عليك من الله الوعيد، ولا يكون له فيك شفاعة، فتركك مرجئاً لله فيك المشية، وله فيك الشفاعة. فقال أبو عبد الله عليه السلام: أخذته من بين يديه، ومن خلفه، فما تركت له مخرجا.

و روى المناقب عن أبي العلاء العطار بأسناده عن عبد خير، عن علي — عليه السلام قال: أهدى إلى النبي صلى الله عليه وآله قنو موز فجعل يقشر الموزة، ويجعلها في فمي فقال له قائل: انك تحبّ عليا قال: أوما علمت أنّ عليا منّي وأنا منه.

هذا، وقال الفرزدق في شاعرين من قومه نزع اليهما:

هما نفثا في فيّ من فمويهما × على النابح العاوي أشد رجام

«وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة» في الصحاح أخطل: أي أفحش.

«في فعل» روى الكافي أنّ الصادق عليه السلام قال لأبي كهمش: إذا أتيت عبد — الله بن أبي يعفور فاقرئه السلام وقل له: إنّ جعفر بن محمّد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله ما بلغ. فإنّ عليّاً عليه السلام إنّما بلغ ما بلغ به عنده بصدق الحديث، وأداء الأمانة.

وفي تذكرة سبط ابن الجوزي، عن عكرمة، عن ابن عباس — في خبر — ولقد عاتب الله أصحاب رسوله في القرآن، ولم يذكر عليا عليه السلام إلّا بخير.

قلت: عاتبهم عموماً في قوله — جلّ وعلا — «أشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات»[1] فلم يعمل بقوله — عزّ وجلّ — «إذا أناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة»[2] غيره حتّى نسخ، و عاتب صدّيقهم خصوصاً في قوله تعالى «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا»[3]

(١) المجادلة ١٣.
(٢) المجادلة ١٢
(٣) التوبة ٢٥.

فروى كاتب الواقدى مع نصبه أنّ القائل يوم حنين «لن نغلب اليوم من قلة» هو أبو بكر ـ قلت: ويدل على فراره قوله تعالى متصلاً به «ثم ولّيتم مدبرين» كما يدلّ على عدم ايمانه قوله تعالى بعده «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين» ولو كان منهم لقال (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعليكم).

هذا، وقال (حد) روى سعيد بن جبير قال: سالت انس بن مالك. فقلت: أرايت قول عمر عن الستة «انّ النبىّ ﷺ مات وهو عنهم راض» ألم يكن راضياً عن غيرهم من أصحابه. فقال: بلى مات النبىّ ﷺ وهو راض عن كثير من المسلمين، و لكن عن هؤلاء كان أكثر رضا. فقلت: فأى الصحابة كان النبىّ ﷺ له أحمد قال: ما فيهم أحد إلّا وقد سخط منه فعلاً، وأنكر عليه أمراً إلّا اثنان على بن أبى طالب، و أبو بكر بن أبى قحافه. فانّهما لن يفترقا منذ أتى الله بالاسلام أمراً أسخطا فيه النبىّ».

قلت: أما أصل قول عمر فى موت النبىّ ﷺ راضياً عن أولئك الستة ففريةٌ بيّنة، ويشهد له تكذيبه نفسه قال الجاحظ: إنّ عمر بعد قوله «إنّ النبىّ مات وهو راض عن أولئك الستة» ذكر عيوب أولئك الستة، وبعد بيان عيب الزبير أنّه يوماً انسان ويوماً شيطان «أقبل على طلحة ـ وكان له مبغضاً منذ قال لأبى بكر يوم وفاته ما قال فى عمر ـ فقال له أقول أم أسكت قال: قل فإنّك لا تقول من الخير شيئاً قال «أما إنّى أعرفك بالباوالّذى حدث لك، ولقد مات النبىّ ساخطاً عليك للكلمة الّتى قلتها يوم أنزلت آية الحجاب». قال الجاحظ كلمة طلحة الّتى أشار إليها عمر هى أنّ طلحة لما أنزلت آية الحجاب قال بمحضر من نقل عنه إلى النبى ﷺ ما الّذى يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غداً فتنكحهن ـ قال الجاحظ: لو قال قائل لعمر أنت قلت: إنّ النبىّ مات وهو راض عن الستة فكيف تقول الآن لطلحة انّه مات ساخطاً عليك للكلمة الّتى قلتها لكان قد رماه بمشاقصه، ولكن من الّذى كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا فكيف هذا.

قلت: فلم جعلوه فاروقاً مع كذبهم و اتيانه بالتناقض. ثم لم خصّ طلحة بذاك

العيب وكان عثمان شريكه فيه . فكان طلحة يريد عايشة ، وكان عثمان يريد أم سلمة ، وقالا يجول بين خلاخيل نسائنا إذا متنا ونجول بين خلاخيل نسائه إذا مات إلّا أنّه خصّ طلحة لأنّ طلحة منع أبا بكر من استخلافه وعثمان لمّا أغمي على أبي بكر في احتضاره كتب من نفسه استخلافه عمر لما خاف أن لا يفيق .

ثم لو كان قائل يقول إنّ عمر لم يختص القول بتناقضه في مورد طلحة . فليقل له لم خلّفت نفسك عن جيش أسامة مع لعن النبيّ صلى الله عليه وآله للمتخلّف ، ولم نسبت الهجر إلى من قال تعالى في حقه «وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى[1]» ولم منعته عن وصيته وأوجدت هذا التشتت في الإسلام وصرت سبباً لضلال أكثر فرقهم إلّا أنّ إخواننا يجعلون عمر إلهاً وقوله فوق قول رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم إذ عرفت أصل الخبر لا تحتاج إلى البحث في فرعه مع أنّ اتّهام أنس بن مالك في حق أمير المؤمنين عليه السلام من ردّه له عن الدخول على النبيّ صلى الله عليه وآله مراراً ـ وكان حاجبه ـ في حديث الطير المتواتر حتّى أنكر النبيّ صلى الله عليه وآله عليه ذلك . فأجاب بأنّي احببت أن يكون قولك «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليّ» في أحد من قومي لا في علي وجحده لأمير المؤمنين عليه السلام كلام النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الغدير لما استشهده حتّى دعا عليه السلام عليه ببياض لا تواريه العمامه . فابتلي بالبرص في رأسه ووجهه أمر معلوم ، ولو كان قد رأى أن ينكر ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام لفعل ولكنّه لمّا لم يقدر أراد جعل شريك له حتّى لا يختص عليه السلام بهذه المزيّة .

مع أنّ قوله «منذ أتى الله بالإسلام» غلط فإنّه لم يقل أحد إنّ أبا بكر أسلم حين بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله بل اتّفقوا على أنّه كان بعد مدّة ، وإنّما غالط النصاب في كونه أقدم اسلاماً بكون أمير المؤمنين عليه السلام لمّا لم يكن بالغاً مبلغ الرجال وقت البعثة كان اسلامه بلا أثر مع أنّه طعن منهم على النبيّ صلى الله عليه وآله حيث قبل ايمانه بل جعله في ذلك الوقت وصيه ووزيره وخليفته حتّى استهزء بنو عبد المطلب بأبي طالب

(۱) النجم ۲ .

بأنّ ابن أخيك جعل ابنك أميراً عليك.

ثم اسخاط أبى بكر للنبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فى مقامات معلوم منها يوم الغار فى جزعه، و اضطرابه حتى قال له النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا تحزن، ومنها فى عدم قتله للخارجى الّذى أمره بقتله، ومنها تخلّفه عن جيش أُسامة مع لعنه المتخلّف وبحضوره عند النبى ـ صلّى الله عليه وآله لما دعا أمير المؤمنين عليه السلام فبعثت ابنته إليه، وباسخاطها سيّدة نساء العالمين حتى ماتت غضبى عليه وقالت له «لأدعون الله عليك بعد كلّ صلوة» وقد أقر لها أنّ النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: سخط فاطمة سخطى إلى غير ذلك ممّا ورد فى صحاحهم ونقلوه بأنفسهم فضلاً عما رواه الشيعة مع شواهد لصحة ما رووه.

«ولقد كنت أتّبعها اتّباع الفصيل» فى الصحاح الفصيل ولد الناقه إذا فصل عن امّه.

«أثر امّه» روى كاتب الواقدى فى طبقاته مسنداً عن جابر قال: قدم على عليه السلام من اليمن. فقال له النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: بما أهللت قال: بما أهلّ به النبىّ صلّى الله عليه وآله قال: فاهد وامكث حراماً كما أنت».

وفى فقيه ابن بابويه نزلت المتعة ـ أى حج التمتع ـ على النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عند المروة بعد فراغه من السعى فقال: أيّها الناس هذا جبرئيل ـ وأشار بيده إلى خلفه ـ يأمرنى أن آمر من لم يسق هدياً أن يحل ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم، ولكنّى سقت الهدى وليس لسائق الهدى أن يحلّ حتّى يبلغ الهدى محلّه ـ إلى أن قال بعد ذكر قدوم أمير المؤمنين عليه السلام من اليمن على النبىّ صلّى الله عليه وآله مكة قال له النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: فبم أهللت أنت يا على فقال: إهلالاً كإهلال النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال له: كن على إحرامك مثلى فأنت شريكى فى هديى، وكان النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ساق معه مأة بدنه فجعل لعلى عليه السلام منها أربعاً وثلاثين، و لنفسه ستّاً وستّين ونحرها كلّها بيده).

وروى طبقات كاتب الواقدى أنّ النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أمر من كلّ بدنة من بدنه بمضغة

فجعلت فى قد رفاكل هو ، و على من لحمها وشربا من مرقتها .

وفى خبر رواه الطبرى و غيره قال عمرلا بن عباس : كره قومكم أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا الناس جحفاً . فقال ابن عباس: لوكنا جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة ، ولكنّا قوم أخلاقنا مشتقّة من خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الّذى قال الله تعالى «وأنّك لعلى خلق عظيم»(١) وقال له صلى الله عليه وآله وسلم واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين» ـ الخبر ـ ولفظ عمروا بن عباس وان كان فى عامة بنى هاشم إلّا أنّ مغزاهما هو عليه السلام خاصّة كما لا يخفى .

«يرفع لى كل يوم من اخلاقه علماً» هكذا فى المصرية ، والصواب (يرفع لى كل يوم علماً من اخلاقه) كما فى (حد ، وثم ، والخطية) .

قال هشام بن عبد الملك لمحمّد بن على الباقر عليه السلام : من أين ورثتم ما ليس لغيركم ، وليس بعد محمّد نبى ، و ما أنتم أنبياء قال: من قوله تعالى « لا تحرّك به لسانك لتعجل به»(٢) فالّذى أبداه فهو للناس كافة ، والّذى لم يحرّك به لسانه أمره تعالى أن يخصّنا به دون غيرنا . فلذلك كان يناجى به أخاه علياً دون أصحابه ، وأنزل تعالى قرانا فقال « وتعيها اُذن واعية»(٣) . فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه : ياعلى سألت الله أن يجعلها اُذنك ، ولذلك قال على عليه السلام بالكوفة «علّمنى رسول الله ألف باب من العلم ينفتح من كل باب ألف باب» خصّه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من مكنون علمه ما خصّه الله به . فصار الينا وتوارثناه من دون قومنا ـ فقال له هشام : إنّ علياً كان يدّعى علم الغيب ، وأنّ الله لم يطّلع على غيبه أحدا . فكيف ادّعى ذلك . فقال عليه السلام له : إنّ الله تعالى أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً بيّن فيه ما كان ، وما يكون إلى يوم القيمة فى قوله تعالى « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين»(٤)

(١) العلم ٤ .
(٢) القيامة ١٦ .
(٣) الحاقه ١٢ .
(٤) النحل ٨٩ .

وفي قوله تعالى « وما فرّطنا في الكتاب من شئ »[1] وفي قوله تعالى « وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين »[2] وأوحى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ألّا يبقى في غيبه وسرّه ، ومكنون علمه شيئاً إلّا ناجى عليا به ـ وأمره أن يؤلف القرآن من بعده ، ويتولى غسله وتحنيطه وتكفينه من دون قومه ، وقال لأهله وأصحابه : حرام أن تنظروا إلى عورتي غير أخي على فهو منّي وأنا منه له مالي ، وعليه ما علي ، وهو قاضي ديني ومنجز وعدي ـ وقال لأصحابه « على يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلّا عند علي عليه السلام ولذلك قال لأصحابه : أقضاكم علي ـ وقال عمر بن الخطاب « لولا علي لهلك » أفيشهد له عمرو يجحد غيره .

وقال الصادق عليه السلام : عمّم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام بيده فسد لها من بين يديه وقصرها من خلفه فقد رأى ربه ، ثم قال ، اقبل فاقبل ، ثمّ قال : هكذا تيجان الملائكة .

« ويأمرني بالاقتداء به » قال الحسن بن علي عليه السلام : كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي نهاراً لم يمس حتّى يخبره به علياً وإذا نزل عليه ليلاً لم يصبح حتى يخبره به علياً .

وفي شرف الخركوشيّ جاء جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم باعلى مكّة وعلّمه الصلوة فانفجرت من الوادي عين حتّى توضأ جبرئيل بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتعلّم منه الطهارة ثم أمر به علياً عليه السلام .

« ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحِراء » في بلدان الحموى (حِراء) بالكسر ـ والتخفيف والمد جبل من جبال مكّة على ثلاثة أميال قال جرير :

ألسنا أكرم الثقلين طراً × وأعظمهم ببطن حراء نارا

قال : انّه ذهب به إلى البلدة الّتي حراء بها فلم يصرفه .

قال : وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل وفيه

(١) الانعام ٣٨ .

(٢) النحل ٧٥ .

آتاه جبرئيل عليه السلام

وفى كامل الجزرى ، و عبد المطلب أوّل من تحنث ـ أى أقام بحِراء ـ فكان إذا دخل شهر رمضان صعد حِراء وأطعم المساكين جميع الشهر .

«فارا مولا يراه غيرى» قال (حد) ورد فى الصحاح أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يجاور فى حراء من كل سنة شهراً وكان يطعم فى ذلك الشهر من جاءه من المساكين فإذا قضى جواره من حراء كان أوّل ما يبدء به إذا انصرف أن يأتى باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته حتّى جائت السنة الّتى أكرمه الله تعالى فيها بالرسالة فجاور فى حراء شهر رمضان ومعه أهله خديجة و على بن أبى طالب وخادم لهم فجائه جبرئيل بالرسالة .

قلت : كلامه عليه السلام متضمن أنّ فى مدّة مجاورته صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك الجبل لا يراه غيره وخبر متضمن أنّه يراه كل أحد فلا عبرة به .

«ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة و انا ثالثهما» روى أبو مخنف عن جابر بن تميم الناجى ـ وقد نقله (حد) فى شرح كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة ـ قال : قدم علينا الحسن بن على عليه السلام وعمار يستنفران الناس إلى على عليه السلام ومعهما كتابه . فلمّا فرغا من قرائة كتابه قام الحسن عليه السلام ـ وهو فتى حدث ووالله إنّى لا رثى له من حداثة سنّه وصعوبة مقامه ـ فرماه الناس بأبصارهم ـ إلى أن قال ـ

فقال : ولقد علمتم أنّ علياً عليه السلام صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده ، وانّه يوم صدّق به لفى عاشر من سنّه ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميع مشاهده ، وكان من اجتهاده فى مرضاة الله ، وطاعة رسوله ، وآثاره الحسنة فى الاسلام ما قد بلغكم ، و لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راضياً عنه حتّى غمّضه بيده ، و غسّله وحده ، والملئكة أعوانه ثم أدخله حفرته ، وأوصاه بقضاء دينه و عداته ، و غير ذلك من أموره كلّ ذلك منّ من الله تعالى عليه ـ الخبر ـ

وقال (حد) امّا حديث انّ الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد يومئذٍ إلّا النبىّ وهو عليه السلام، وخديجة فخبر عفيف الكندى المشهور، وقد ذكرناه من قبل وأنّ أبا طالب قال له: أتدرى من هذا قال: لا قال: هذا ابن اخى محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطلب، وهذا ابن على، وهذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد زوجة محمّد ابن اخى، وايم اللّه ما اعلم على الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. قلت: انما فى خبر عفيف الكندى ان العباس قال لعفيف: ما قال لا ابو طالب، وفى خبره (فقلت للعباس ومن هذا الفتى قال على بن أبى طالب ابن عمه قلت: فما هذا الّذى يصنع قال: يصلّى ويزعم انّه نبى ولم يتبعه على أمره الّا امرأته وابن عمّه هذا الفتى، وهو يزعم انه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر ـ قال: وكان عفيف يقول وقد أسلم ـ لو كان اللّه رزقنى الإسلام يومئذٍ كنت ثانياً.

رواه بأسانيد، ورواه بطريق آخر، وفيه فقال العبّاس: تدرى من هذا؟ قلت لا قال هذا محمّد بن عبد اللّه ابن أخى، وهذا على بن أبى طالب، هذا مخديجة بنت خويلد زوجة ابن أخى أنّ ابن أخى هذا حدّثنا أنّ ربّه ربّ السماوات والأرض أمره بهذا الدين الّذى هو عليه، ولا واللّه ما أعلم على وجه الأرض أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة وانما ابو طالب ورد فى خبر اسلام جعفر بن أبى طالب ففى اسد الغابة روى ان أبا طالب رأى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً يصليان، وعلى عن يمينه. فقال لجعفر: صلّ جناح ابن عمك وصلّ على يساره.

ثم لم عبر (حد) بماظاهره حصر الحديث فى عفيف، وقد روى الاسكافى رواية جمع فى ذلك، ومنهم ابن مسعود. فقال: روى شريك بن عبد اللّه، عن سليمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب، عن عبد اللّه بن مسعود انه قال: أوّل شىء علمته من أمر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم انّى قدمت مكّة مع عمومة لى وناس من قومى، وكان فى أنفسنا شراء عظر، فارشدنا إلى العباس بن عبد المطلب. فانتهينا إليه، وهو جالس إلى زمزم فبينا نحن عند مجلوساً إذ أقبل رجل من باب الصفا، وعليه ثوبان أبيضان وله

وفرقا الى انصاف اذنيه جعدة اشمّ اقنى ادعج العينين كثّ اللحية · برّاق الثنايا أبيض تعلوه حمرة كأنّه القمر ليلة البدر ، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم · حسن الوجه تقفوهم امرئة قد سترت محاسنها حتّى قصد وانحوا الحجر · فاستلمه واستلمه الغلام ثم استلمته المرئة · ثم طاف بالبيت سبعاً ، والغلام والمرئة يطوفان معه تم استقبل الحجر فقام ورفع يديه وكبّر · ؟ وقام الغلام الى جانبه ، وقامت المرئة خلفهما · فرفعت يديها ، وكبّرت فاطال القنوت ثم ركع ، وركع الغلام والمرئة ثم رفع رأسه فاطال ورفع الغلام والمرئة معه ثمّ سجد وسجد الغلام والمرئة معه يصنعان مثل ما يصنع فلمّا راينا شيئاً ننكره ولا نعرفه بمكّة اقبلنا على العباس ، فقلنا : يا أبا الفضل انّ هذا الدّين ماكنّا نعرفه فيكم قال : اجل والله قلنا فمن هذا ؟ قال : هذا ابن اخى هذا محمّد بن عبد الله ، وهذا الغلام أيضاً ابن أخى هذا على بن أبى طالب ، وهذه المرئة زوجة محمّد هذه خديجة بنت خويلد ، والله ماعلى الارض احد يدين بهذا الدّين إلّا هؤلاء الثلاثة — وقد نقله (حد) بعد أيضاً ·

ومنهم أبو أيّوب الأنصارى · فقال الاسكافى : و روى أبو أيوب الأنصارى عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال : لقد صلّت علىّ الملئكة وعلى على سبع سنين و ذلك انّه لم يصلّ معى رجل فيها غيره ·

ومنهم ابوذر · فقال الاسكافى : روى محمّد بن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه عن جده قال : اتيت اباذر بالربذة اودعه فلمّا أردت الانصراف قال لى ولا ناس معى : ستكون فتنة فاتقوا الله ، وعليكم بالشيخ على بن أبى طالب · فاتّبعوه فانى سمعت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول له : أنت أوّل من آمن بى ، وأول من يصافحنى يوم القيمة ، وأنت الصدّيق الاكبر ، وأنت الفاروق الّذى يفرق بين الحق والباطل وانت يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكافرين ، وأنت أخى ووزيرى و خير من اترك بعدى تقضى دينى وتنجز موعودى

ومنهم عباد الأسدى عنه عليه السلام فقال أيضاً : روى ابن أبى شيبة عن عبد الله

ابن نمير عن العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله الأسدى ، قال : سمعت على بن أبي طالب يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها غيرى إلّا كذّاب ، ولقد صلّيت قبل الناس سبع سنين .

ومنهم عمر بن الخطاب فقال أيضاً : روى ايمن بن محمّد بن أيمن ، عن أبى ـ حازم مولى ابن عباس عنه قال : سمعت عمر يقول : كفّوا عن على فانّى سمعت من النبىّ صلّى الله عليه وآله فيه خصالاً لو أنّ خصلة منها فى جميع آل الخطاب كان احبّ إلىّ مما طلعت عليه الشمس كنت ذات يوم وابو بكر و عثمان و عبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة مع نفر من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله نطلبه ـ إلى أن قال ـ فخرج النبىّ صلى الله عليه وآله فثرنا حوله فاتّكأ على على وضرب بيده على منكبه . فقال : ابشر يا علىّ بن أبي طالب انّك مخاصم وانّك تخصم الناس بسبع لا يجاريك احد فى واحدة منهن أنت أوّل الناس اسلاماً ، واعلمهم بايّام الله ـ الخبر ـ

ومنهم الشعبى والحسن البصرى فقال أيضاً : قد روى اسماعيل بن نصر الصفار عن محمّد بن ذكوان ، عن الشعبى قال : قال الحجّاج للحسن ، و عنده جماعة من التابعين ـ وذكر علياً عليه السلام ـ ما تقول أنت يا حسن ؟ فقال : (ما أقول هو أوّل من صلّى إلى القبلة ، واجاب دعوة الرسول ، وانّه لعلى منزلة من ربّه ، وقرابة من رسوله ، و قد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها احد » فغضب الحجّاج غضباً شديداً ، و قام عن سريره . فدخل بعض البيوت ، وأمر بصرفنا ـ قال الشعبى : وكنّا جماعة ما منّا احد الّا من نال من علىّ عليه السلام مقاربة للحجّاج غير الحسن ـ الخبر وقد صرّح به ابنه الحسن عليه السلام كما مر ، وابنه الحسين عليه السلام يوم الطف كما رواه الطبرى بل لا يحصى من رواه .

ولم نقف على ذكره لخبر عفيف قبل فى شرح الفقرات ، وانّما ذكر قبل عن الطبرى روايته عن محمّد بن اسحق قال : كان النبىّ صلى الله عليه وآله اذا حضرت الصلوة خرج الى شعاب مكّة ، وخرج معه على عليه السلام مستخفياً من عمه أبى طالب ، ر بن جميع اعمامه

وسایرقومه · فیصلیان الصلوات فیها ، فإذا امسیا رجعا ، فمکثا کذلک ماشاء اللّه ان یمکثا ، ثمّ انّ أباطالب عثر علیهما یوماً ، وهما یصلیان · فقال للنبیّ ﷺ : یا ابن أخی ماهذا الّذی أراک تدین به؟ قال: یاعم هذا دین اللّه ، ودین ملئکته ، و دین رسله ، ودین ابراهیم ـ أوکما قال ـ بعثنی به رسولاً إلی العباد ، وأنت یاعم أحقّ من بذلت له النصیحة ودعوته قال : یا ابن أخی إنّی لا استطیع أن أفارق دینی ودین آبائی ، ولکن واللّه لا یخلص إلیک شئ تکرهه ما بقیت ـ وقد روی هؤلاء المذکورون أنّ أباطالب قال لعلی ؑ : یا بنی ماهذا الّذی أنت علیه · فقال : یاأبه إنّی آمنت باللّه وبرسوله ، وصدّقته بماجاء به ، وصلّیت للّه معه ـ قال : فزعموا انّه قال له : اما انّه لا یدعو إلّا إلی خیر فالزمه ·

هذا ، ولا یکاد تعجبی ینقضی کیف تؤثّر التشکیکات حتی تصیّر البدیهیّات نظریات حتّی تحتاج إلی الاثبات وإلّا فالتزام أمیر المؤمنین ؑ بالإسلام ساعة بعث النبیّ ﷺ أمر ضروری کادعاء النبی ﷺ النبوّة ، وعمدة تشکیکهم انه علیه السلام لم یکن بالغاً مبلغ الرجال حین اسلامه · فلا یعتبر الّا بعد بلوغه ـ ونقتصر فی جواب تشکیکهم الرکیک بجواب المأمون الخلیفة العباسی ـ قال ابن عبد ربه فی عقده فی عنوان (احتجاج المأمون علی الفقهاء فی فضل علی ؑ) ـ قال المأمون لاسحق بن ابراهیم بن اسمعیل بن حماد بن زید : أی الأعمال کان أفضل یوم بعث اللّه رسوله أ لیس السبق الی الاسلام قال : نعم قال : اقرء ذلک فی کتاب اللّه « والسابقون السابقون اولئک المقرّبون » انّما عنی من سبق إلی الإسلام · فهل علمت احداً سبق علیاً ؑ إلی الإسلام · قال : ان علیاً اسلم وهو حدث السنّ لا یجوز علیه الحکم ، وابوبکر اسلم وهو مستکمل یجوز علیه الحکم · قال : اخبرنی ایّهما اسلم قبل ثم انا ناظرک بعد فی الحداثة والکمال : قال : علی اسلم قبل أبی بکر علی هذه الشریطة قال : فأخبرنی عن اسلام علی حین اسلم لا یخلو من ان یکون النبیّ ﷺ دعاه إلی الإسلام او یکون الهاماً من اللّه ـ قال اسحق : فاطرقت فقال لی : یا

إسحاق لا تقل إلهاماً فتقدّم على النبيّ ص لأنّ النبيّ ص لم يعرف الاسلام حتّى أتاه جبرئيل عن الله تعالى قلت: اجل بل دعاه النبى ﷺ قال: يا اسحق فهل يخلو النبى صلّى الله عليه وآله حين دعاه من ان يكون دعاه بامر الله تعالى او تكلّف ذلك من نفسه قال: فاطرقت. فقال: يا اسحق لا تنسب الى النبى ﷺ التكلف. فانّ الله تعالى يقول عنه «وما أنا من المتكلّفين[1]» قلت: أجل بل دعاه بأمر الله. قال: فهل من صفة الجبار ـ جلّ ذكره ـ ان يكلّف رسوله دعاء من لا يجوز عليه حكم قلت: اعوذ بالله. فقال: افتراه فى قياس قولك «انّ علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم» قد كلّف النبيّ صلّى الله عليه وآله من دعاء الصبيان ما لا يطيقون. فهل يدعوهم الساعة، ويرتدّون بعد ساعة. فلا يجب عليهم فى ارتدادهم شئ، ولا يجوز عليهم حكم النبيّ ﷺ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى النبيّ ﷺ قلت: اعوذ بالله. قال: يا اسحق فاراك انّما قصدت لفضيلة فضّل بها النبيّ ﷺ علياً عليه السلام على هذا الخلق ابانة بها منهم ليعرفوا فضله، ولو كان الله امره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا عليه السلام قلت: بلى قال: فهل بلغك ان النبيّ ﷺ دعا احداً من الصبيان من أهله وقرابته لئلا تقول ان علياً ابن عمه قلت: لا ادرى فعل ام لم يفعل قال: أرايت ما لم تدره هل تسئل عنه قلت: لا قال: فدع ما قد وضعه الله) ـ الخ ـ

ولقد اجاد ابن البيّع منهم فى معرفة اصول الحديث بان قال: ايمان على ـ عليه السلام فى صغره كان بمنزله عيسى وهو ابن ساعة يقول فى المهد «انّى عبد الله آتانى الكتاب» وبمنزلة يحيى عليه السلام يقول تعالى فيه «وآتيناه الحكم صبياً».

ثم انا لا نعبّر انّه عليه السلام أوّل من أسلم لانّه يوهم أن يكون مثل غيره أسلم عن كفر وعبادة صنم، وقد سئل بعضهم عن اسلامه عليه السلام متى أسلم. فقال: و متى كفر إلّا انّه جدّد الإسلام.

(١) ص ٨٦.

وعن تفسیرقتادة ،وکتاب الشیرازی قال ابن عباس: واللّه مامن عبد آمن باللّه إلّا وقدعبد الصنم فقال تعالی «وهوالغفور» لمن تاب من عبادة الأصنام الّا علیّ بن أبی طالب علیه السلام فانّه آمن باللّه من غیرأن یعبد صنماً فذلک قوله تعالی «وهو الغفورالودود» یعنی المحب لعلیّ بن أبی طالب علیه السلام إذآ من غیرشرک ۰

بل نعبّرنحن کماعبرنفسه علیه السلام لم یجمع بیت واحد في الاسلام غیرالنبی صلی الله علیه وآله وسلم وغیره علیه السلام. وغیرخدٍ یجه یومئذٍ ۰

و روی الخطیب مع نصبه فی «یحیی بن الحسین» مسنداً عن جابر قال: قال النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم : ثلاثة لم یکفروا بالوحی طرفة عین : مؤمن آل یس، وعلی بن أبی طالب ،وآسیة امرئة فرعون ۰

و روی أحمد بن حنبل فی فضائله ،والثعلبی فی تفسیره ،عن ابن ابی لیلی والخطیب فی اربعینه ، عن ابن عباس ۰قال النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم إنّ سبّاق الامم ثلاثة لم یکفروا طرفة عین : علی بن أبی طالب ،وصاحب (یس) ،ومؤمن آل فرعون ۰

«اری نورالوحی والرسالة» قال (حد) روی عن جعفربن محمّد الصادق قال کان علی علیه السلام یری مع النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم قبل الرسالة الضوء ویسمع الصوت وقال له: لولا انّی خاتم الانبیاء لکنت شریکاً فی النبوّة ۰فان لاتکن نبیاً فانک وصیّ نبیّ ووارثه بل أنت سید الأوصیاء وامام الأتقیاء ۰)

و روی ابن مردویه ،والمظفرالسمعانی ،وسهل المروزی فی امالیه ـ کمافی مناقب السروی ـ انّ النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم قال : انّ الملئکة صلّت علیّ وعلی علیّ سبع سنین قبل أن یسلم بشر ۰

وفیه عن القطان ، ووکیع ،والثوری ،والسدّی ومجاهد فی تفاسیرهم عن ابن عباس ـ فی خبر ـ قال : قال النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم : یاعلی ماکتبت حرفاً إلّا وجبرئیل ، ینظرالیک ،ویفرح و یستبشربک ۰

و روی أحمد بن حنبل فی فضائله عنه علیه السلام قال : لمّاکانت لیلة بدر قال ـ

النبيّ صلى الله عليه وآله من يستقى لنا من الماء . فاحجم الناس فقمت فاخترطت قربة ثم اتيت قليباً بعيد القعر مظلماً فانحدرت فيه . فاوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل و اسرافيل تاهبوا لنصرة محمّد وحزبه قال : فهبطوا من السماء لهم دوى يذهل من يسمعه فلمّا حاذوا القليب وقفوا وسلّموا من عند آخرهم اكراماً وتبجيلاً وتعظيماً .

قال سبط ابن الجوزى فى تذكرته بعد نقله الخبر عن فضائل أحمد بن حنبل وذكره ارباب المغازى أيضاً .

«واشمّ ريح النبوّة» قال سبط ابن الجوزى فى تذكرته : قال عكرمة سمع ابن عباس اقواماً يتناولون علياً عليه السلام فقال : ويحكم أتذكرون رجلاً كان يسمع وطأ جبرئيل فوق بيته .

«ولقد سمعت رنّة الشيطان» أى صيحته . قال الشاعر :

عمدا فعلت ذاك بيداني × اخال ان هلكت لم ترنّى

«حين نزل الوحى عليه صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله ما هذه الرنّة فقال : هذا الشيطان ايس» هكذا فى المصريه والصواب [قد ايس] كما فى (حد ، وثم ، والخطية)

«من عاداته» فى الخصال عن الصادق عليه السلام رنّ ابليس اربع رنّات : أوّلهنّ يوم لعن ، وحين اهبط إلى الأرض ، وحين بعث محمّد صلى الله عليه وآله ـ الخبر ـ

وقال (حد) روى احمد بن حنبل فى مسنده عن علىّ عليه السلام قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وآله صبيحة اللّيلة الّتي اسرى به فيها ، وهو بالحجر يصلّى . فلما قضى صلوته وقضيت صلوتى سمعت رنّة شديدة . فقلت له صلى الله عليه وآله : ما هذه قال : ألا تعلم هذه رنّة الشيطان علم انّى اسرى بى فى اللّيلة إلى السماء فآيس من أن يعبد فى هذه الأرض .

«إنّك تسمع ما أسمع» قال الصادق عليه السلام : لما هبط جبرئيل عليه السلام بالاذان على النبىّ صلى الله عليه وآله كان راسه فى حجر على عليه السلام . فاذّن جبرئيل ، واقام . فلمّا انتبه النبى صلى الله عليه وآله قال : ياعلى أسمعت قال : نعم قال : حفظت قال : نعم قال : ادع

بلالاً فعلّمه.

«وترى ما أرى إلا انك لست بنبيّ ولكنّك وزير» قال (حد) أمّا خبر الوزارة فقد ذكره الطبري عن ابن عباس عنه عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية «وانذر عشيرتك الأقربين»(١) — إلى أن قال — قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم. فاسمعوا له واطيعوا — إلى أن قال بعد ذكر قيامه عليه السلام وقوله: أنا أوازرك يا رسول الله، وقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له: أنت أخي ووصيّي وخليفتي فاسمعوا له واطيعوا — فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

وقال أيضاً وروى أيضاً أنّ رجلاً قال لعليّ عليه السلام: بم ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال علي عليه السلام: هاؤم — ثلاث مرات — حتى اشرأبّ الناس ونشروا آذانهم ثم قال: جمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب بمكّة وهم رهط كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق. فصنع مدّاً من طعام حتّى اكلوا وشبعوا، وبقي الطعام كما هو كأنّه لم يمسّ ثم دعا بغمر فشربوا وروّوا وبقي الشراب كأنه لم يشرب ثم قال: يا بني عبد المطلب — انّي بعثت اليكم خاصّة، والى الناس عامّة، فأيّكم يبايعني على أن يكون أخي، وصاحبي ووارثي. فلم يقم اليه أحد. فقمت إليه وكنت من أصغر القوم فقال: اجلس ثم قال: ذلك ثلاث مرّات كل ذلك أقوم إليه. فيقول: اجلس حتّى كان في الثالثة. فضرب بيده على يدي. فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي.

قلت: أيّ نص أصرح هذا، ولو لم يكن له عليه السلام الا هذا لكفاه مع أنّه صلى الله عليه وآله وسلم دلّ على استخلافه من حين بعثته الى حين وفاته عموماً، وفي غدير خم خصوصاً.

وقال (حد) أيضاً ويدلّ على أنّه وزير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نصّ الكتاب والسنّة قوله تعالى «واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشدد به أزري واشركه في امري»(٢)

(١) الشعراء ٢١٤.
(٢) طه ٣١.

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الخبر المجمع عليه روايته بين سايرفرق الاسلام « أنت منّى بمنزلة هرون من موسى إلّا أنّه لا نبى بعدى » فأثبت له جميع مراتب هرون ومنازله من موسى عليه السلام فاذن هو عليه السلام وزيررسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشادّ أزره ، ولولا ـ انّه خاتم النبيين لكان شريكاً فى أمره .

قلت : فاذا كان جميع مراتب هرون من موسى غير النبوة تكون له عليه السلام من النبى عليه السلام أىّ شئ بقى للرجلين حتّى قاما مقامه صلى الله عليه وآله وسلم واخّراه عليه السلام عن ذلك ، ومن مراتب هرون من موسى كونه خليفته فى قومه قال تعالى « وقال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتّبع سبيل المفسدين »[1] .

وفى العقد أنّ المأمون استدلّ على استخلافه بالآية مع الرواية فقال له اسحق بن ابراهيم من فقهاء العامة ، إنّ موسى خلّف هرون فى قومه وهو حىّ و مضى إلى ربه . وانّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم خلّف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته ، فقال له المأمون : ليس كما قلت أخبرنى عن موسى عليه السلام حين خلّف هرون هل كان معه حين ذهب الى ربه أحد من أصحابه أو أحد من بنى اسرائيل قال : لا قال : أوليس استخلفه على جماعتهم قال : نعم قال : فأخبرنى عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حين خرج إلى غزاة تبوك هل خلّف إلّا الضعفاء والنساء والصبيان . فأتى يكون مثل ذلك .

وقال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما ورد فى دعاء الندبة ـ (أشهد أنّ الايمان خالط لحمك ، ودمك ياعلى كما خالط لحمى ودمى) .

و روى ابن مردويه عن أمّ سلمة ، كان لها مولى لا يصلّى صلوة إلّا سبّ علياً ـ عليه السلام فقالت له : ماحملك على ذلك؟ قال : لانّه قتل عثمان وشرك فى دمه فقالت له : لولا انّك مولاى وانك عندى بمنزلة ولدى ماحدّثتك بسرّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل يوماً النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان يومى منه وانّما كان نصيبى من تسعة أيّام يوماً واحداً فدخل وهو يتخلخل أصابعه فى أصابع على عليه السلام واضعاً يده عليه فقال : ياأمّ سلمة

(٣) الاعراف ١٤٢ .

اخرجي من البيت واخليه لنا . فخرجت واقبلا يتناجيان ، واسمع الكلام ، ولا ادري مايقولان حتّى اثّاقلت ، وقد انتصف النهار . فاقبلت وقلت : السلام عليك ءالنج فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لا . فرجعت وجلست حتّى قلت قد زالت الشمس الآن تخرج إلى الصلوة . فتذهب يومي ، ولم أر يوماً قطّ أطول منه . فاقبلت امشي حتّى وقفت وقلت السلام عليك ءالج . فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : نعم فدخلت وعلي واضع يده على ركبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم . فدخلت وفم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على اذن علي يتسارّان وعلي عليه السلام معرض وجهه حتّى دخلت وخرج . فاخذني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حجره ، وأصاب منّي مايصيب الرجل من أهله من اللطف والاعتذار ، ثم قال : يا أُم سلمة لا تلومني . فانّ جبرئيل أتاني بما هو كائن بعدي ، وامرني أن أوصي به علياً من بعدي ، وكنت بين جبرئيل وعلي ، جبرئيل عن يميني ، وعلي عن شمالي . فأمرني جبرئيل ان آمر علياً بما هو كائن بعدي الى يوم القيامة . فاعذريني ، ولا تلوميني انّ الله — عزّوجلّ — اختار من كل أُمّة نبيّاً ، واختار لكلّ نبيّ وصياً ، وأنا نبي هذه الأُمة ، وعلي وصيي في عترتي ، وأهل بيتي وأُمتي من بعدي — قالت له : فهذا شهدت من علي عليه السلام الآن فسبّه اودعه قال : فاقبل مولاها يناجي الليل والنهار « اللهم اغفر لي ما جهلت من أمر علي عليه السلام »

و روى الخطيب في لاهز عن انس قال : بعثني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي برزة الاسلمي فاتى فقال له « وانا أسمعه يا أبا برزة ان رب العالمين تعالى عهد الىّ في علي بن أبي طالب عهداً فقال « علي راية الهدى ومنار الايمان ، وامام اوليائي ، ونور جميع من أطاعني يا ابا برزة علي معي غداً يوم القيمة على حوضي ، وصاحب لوائي ، ومعي غداً على مفاتيح خزائن جنّة ربّي .

و روى زرارة ، و محمّد بن مسلم عن محمد بن علي عليه السلام وحمران بن اعين . عن جعفر بن محمّد عليه السلام انّ جبرئيل أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم برمانتين ، فاكل النبيّ — صلّى الله عليه وآله احداهما وكسر الاخرى بنصفين ، فاكل نصفاً ، واطعم علياً عليه السلام نصفاً . ثم قال له : يا اخي هل تدري ما هاتان الرمانتان قال : لا . قال : اما الاولى —

فالنبوّة ليس لك فيها نصيب ، وأما الأُخرى ، فالعلم أنت شريكى فيه . فلم يعلم النبىّ صلّى اللّه عليه وآله حرفاً ممّا علّمه اللّه تعالى الّا علّمه علياً عليه السلام ـ الخبر ـ

و روى نصر بن مزاحم فى صفّينه عن عمرو بن سعد ، عن مسلم الملائى عن حبّة قال : لما نزل على عليه السلام الرقّة بمكان يقال له : بليخ على جانب الفرات نزل راهب من صومعته . فقال لعلى عليه السلام : انّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه عيسى بن مريم عليه السلام اعرضه عليك قال على عليه السلام : نعم قال الراهب : (بسم اللّه الرحمن الرحيم الّذى قضى فى ما قضى ، وسطر فى ما سطر انه باعث فى الأُميين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ـ إلى أن قال ـ

فيمرّ رجل من أُمّته بشاطئ هذا الفرات بأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، و يقضى بالحق ، ولا يرتشى فى الحكم والدنيا أهون عليه من الريح فى يوم عصفت ـ الريح ، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظما يخاف اللّه تعالى فى السرّ ، وينصح له فى العلانية ، ولا يخاف فى اللّه لومة لائم من أدرك ذلك النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من أهل هذه البلاد ، فآمن به كان ثوابه رضوانه والجنّة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فان القتل معه شهادة » ـ

وقال الراهب له عليه السلام « فانا مصاحبك غير مفارقك حتّى يصيبنى ما أصابك » فبكى على عليه السلام ثم قال : « الحمد للّه الّذى لم يجعلنى عنده منسياً . الحمد للّه الّذى ذكرنى فى كتب الأبرار » ـ

ومضى الراهب معه عليه السلام وكان فى ما ذكروا يتغذى معه عليه السلام ويتعشى حتّى اصيب يوم صفّين ، فلمّا خرج الناس يدفنون قتلاهم قال على عليه السلام : اطلبوه فلمّا وجدوه صلّى عليه ودفنه ، وقال : هذا منّا اهل البيت ، واستغفر له مراراً .

« وهل يصدّقك فى امرك إلّا مثل هذا يعنوننى » قال السروى فى رواية الحرث بن نوفل ، وأبى رافع ، وعباد بن عبد اللّه الاسدى عن على عليه السلام فى خبر طلب ـ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من بنى عبد المطلب معاضدته حتى يفوّض اليهم وزارته وخلافته فقلت

أنا يا رسول اللّه قال : أنت واد نانى إليه وتفل فى فىّ ، وقاموا يتضاحكون ، ويقولون : بئس ما حبا ابن عمه اذ اتّبعه وصدّقه .

«وانّى لمن قوم لا تأخذهم فى اللّه لومة لائم» روى الطبرى عن يزيد بن طلحة ابن يزيد بن ركانة قال : لمّا أقبل على عليه السلام من اليمن ليلقى النبىّ صلى الله عليه وآله بمكّة تعجّل واستخلف على جنده الّذين معه رجلاً من أصحابه . فعمد ذلك الرجل فكسا رجالا من القوم حللاً من البزّ الّذى كان مع على عليه السلام . فلمّا دنا جيشه خرج على عليه السلام ليلقاهم فاذا هم عليهم الحلل . فقال : ويحك ما هذا قال : كسوت القوم ليتجملوا به اذا قدموا فى الناس . فقال : ويلك انزع من قبل ان تنتهى إلى النبىّ صلى الله عليه وآله فانتزع الحلل من الناس ، وردّها فى البز ، واظهر الجيش شكايته لما صنع بهم ـ قال ابو سعيد الخدرى : شكا الناس علياً فقام النبى صلى الله عليه وآله فينا خطيباً . فسمعته يقول : أيّها الناس لا تشكوا علياً فواللّه انه لاخشن فى ذات اللّه .

«سيماهم سيما الصديقين ، وكلامهم كلام الأبرار» روى المسعودى فى مروجه فى قصة الجمل عن المنذر بن الجارود قال : لمّا قدم على عليه السلام البصرة دخل مما يلى الطف . فاتى الزاوية . فخرجت انظر اليه . فورد موكب نحو الف فارس يقدّمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفاً معه راية ، واذا تيجان القوم الاغلب عليها البياض والصفرة مدّججين فى الحديد والسلاح . فقلت : من هذا ؟ فقيل : ابو ايوب الأنصارى صاحب النبىّ صلى الله عليه وآله وهؤلاء الانصار .

ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء ، وثياب بيض متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية على فرس أشقر فى نحو الف فارس . فقلت : من هذا ؟ فقيل : خزيمة بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين .

ثم مرّ بنا فارس آخر على كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء ، و عليه قباء ابيض مصقول متقلد سيفاً متنكب قوساً فى نحو الف فارس . ومعه راية فقلت : من هذا ؟ فقيل : أبو قتادة بن ربعى .

ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض ، وعمامة سوداء قد سدل لها بين يديه ، ومن خلفه شديد الادمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفاً ، متنكب قوساً معه راية بيضاء فى ألف من الناس مختلفى التيجان حوله مشيخة وكهول وشبان كان قد أوقفوا للحساب عليهم أثر السجود قد أثر فى جباههم . فقلت : من هذا ؟ فقيل : عمار بن ياسر فى عدة من الصحابة من المهاجرين والانصار وابنائهم

ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض ، وقلنسوة بيضاء ، وعمامة صفراء متنكب قوساً متقلد سيفاً تخط رجلاه فى الارض فى الف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت : من هذا ؟ قيل : قيس بن سعد بن عباده فى الانصار وأبنائهم ، وغيرهم من قحطان .

ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا احسن منه عليه ثياب بيض ، وعمامة سوداء قد سدل لها بين يديه بلواء قلت : من هذا ؟ قيل : هو عبد الله بن عباس فى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم اقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً واشتبكت الرماح .

ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفوا الرايات فى اول راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسر وجبر نظره إلى الأرض اكثر من نظره إلى فوق كأنما على رؤوسهم الطير ، وعن ميمنته شاب حسن الوجه ، وعن ميسرته شاب حسن الوجه قلت : من هؤلاء ؟ قيل : هذا على بن أبى طالب : وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله ، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى ، وهذا الذى خلفه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وهؤلاء ولد عقيل ، وغيرهم من فتيان بنى هاشم ، وهؤلاء المشايخ اهل بدر من المهاجرين والانصار . فساروا حتى نزلوا المعروف بالزاوية . فصلى على عليه السلام أربع ركعات ، وعفر خديه على التراب وقد خالط ذلك دموعه . ثم رفع يديه يدعو « اللهم رب السموات وما اظلت ، والارضين وما اقلت ، ورب العرش العظيم . هذا مالبصرة أسألك من خيرها ، وأعوذ بك من شرها . اللهم انزلنا

فيها خير منزل ، وانت خير المنزلين ، اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتى ، وبغوا علىّ ونكثوا بيعتى . اللهم احقن دماء المسلمين » .

قال: وبعث اليهم من يناشدهم الله فى الدماء وقال : « على م تقاتلونى . فأبوا إلّا الحرب . فبعث رجلاً من اصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعوهم الى الله فرموه بسهم فقتل .

و فى مطالب سؤال ابن طلحة الشافعى ، عن تفسير الثعلبى ، عن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم « على قائد البررة ، وقاتل الكفرة منصور من نصره ، مخذول من خذله ـ الخبر ـ وهو فى تصدّقه فى الصلوة ونزول آية « انّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوه و هم راكعون »[1] فيه عليه السلام .

« عمّار الليل » رووا انّ رجلاً من التابعين سمع انس بن مالك يقول نزل قوله تعالى « امّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه »[2] فيه عليه السلام ، فاتاه لينظر الى عبادته فى ليلة فوجده كذلك ، فخرج وهو يقول : اشهد انّ الاية نزلت فيه .

و عن ابانة التلعكبرى ، عن سليمان بن المغيرة ، عن امّه قالت : سألت ام سعيد سريّة على عليه السلام عن صلوته فى شهر رمضان . فقالت : رمضان وشوال سواء يحيى الليل كله .

و عن مسند أبى يعلى عنه عليه السلام قال : ما تركت صلوة الليل منذ سمعت قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « صلوة الليل نور » فقال ابن الكوا : ولا ليلة الهرير قال : « ولا ليلة الهرير » « ومنار النهار » قال زاذان : كان على عليه السلام يمشى فى الاسواق وحده ، وهو فى ذاك يرشد الضالّ ، ويعين الضعيف ، ويمرّ بالبيّاع ، والبقّال . فيفتح عليه القرآن ويقرء « تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة

(۱) المائدة ۵۵ . (۲) الزمر ۹ .

للمتقيـــن»[1].

و روى محمد بن على بن بابويه فى اماليه ،عن ابى جعفر عليه السلام ،قال :كان على عليه السلام بكرة يطوف فى اسواق الكوفة سوقاً سوقاً ،ومعه الدرة على عاتقه ،وكان لها طرفان ،وكانت تسمّى السبيبة ،فيقف على سوق سوق ،فينادى : «يا معشر التجار (قدّموا الاستخارة وتبرّكوا بالسهولة ،واقتربوا من المبتاعين ،وتزيّنوا بالحلـــم ، و تناهوا عن الكذب ،وجانبوا اليمين ،وتجافوا عن الظلم ،وانصفوا المظلومين ،ولا تقربوا الربوا ،واوفوا الكيل والميزان ،ولا تبخسوا الناس اشياءهم ،ولا تعثوا فـــى الارض مفسدين» ـ يطوف فى جميع الاسواق يقول هذا ثم يقول :

تفنى اللذاذة ممّن نال صفوتها ✻ من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء فـــى مغبّتها ✻ لا خيـــر فى لذة بعدها النار

وكانوا اذا نظروا اليه عليه السلام قد اقبل اليهم «وقال ايا معشر التجار» امسكـــوا ايديهم ،واصغوا اليه بآذانهم ،ورمقوه باعينهم حتى يفرغ من كلامه ،فاذا فرغ قالوا: السمع والطاعة ثم يرجع فيقعد للناس.

وقال (حد) فى موضع آخر روى زرارة عن ابى جعفر عليه السلام قال :كان علـــى عليه السلام اذا صلّى الفجر لم يزل معقّباً الى ان تطلع الشمس. فاذا اطلعت اجتمع اليه الفقراء والمساكين ،فيعطيهم واجتمع غيرهم من الناس. فيعلّمهم الفقه والقرآن وكان له وقت يقوم من مجلسه ،فقام يوماً فمرّ برجل فرماه بكلمة هجر ، فرجع عوده على بدئه حتى صعد المنبر ،وامر فنودى (الصلوة جامعة) فحمد الله واثنى عليه ثم قال «أيّها الناس انّه ليس شئ احبّ الى الله تعالى ،ولا اعمّ نفعاً من حلم امام و فقهه ،ولا شئ ابغض الله تعالى ،ولا اعمّ ضرراً من جهل امام وخرقه الا و انه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله تعالى حافظ ،الا وانه من انصف من نفسه لم يزده الله الّا عزّا ،الا وان الذلّ فى طاعة الله أقرب الى الله من التعزّز فى معصيته

(١) القصص ٨٣ .

ثم قال : اين المتكلّم آنفاً . فلم يستطع الانكار . فقال: ها انا ذا يا اميرالمؤمنين فقال : «اما انّى لو شاء لقلت» فقال «ان تعف وتصفح فانت اهل لذلك فقال عليه السلام «عفوت وصفحت» ـ قال : فقيل لابى جعفر عليه السلام ما اراد ان يقول قال أراد ان ينسبه .

و فى المناقب عن الباقر عليه السلام قال : رجع على عليه السلام الى داره فى وقت القيظ . فاذا امرئة قائمة تقول : انّ زوجى ظلمنى ، واخافنى ، وتعدّى علىّ ، وحلف ليضربنى فقال : يا امة الله اصبرى حتى يبرد النهار ثم اذهب معك . فقال : يشتدّ غضبه وحرده علىّ . فطأطأ راسه ثم رفعه وهو يقول « اويؤخذ للمظلوم حقّه غير متعتع اين منزلك . فمضى الى بابه . فوقف وقال « السلام عليكم » فخرج شابّ . فقال عليه السلام له : «يا عبد الله اتّق الله . فانّك اخفتها ، واخرجتها» فقال الفتى: وما انت وذاك والله لاحرقنّها لكلامك . فقال عليه السلام مسلتاً سيفه «انهاك عن المنكر ، وتستقبلنى بالمنكر ، وتنكر المعروف» واقبل الناس من الطرق يقولون: السلام عليك يا اميرالمومنين فسقط الرجل فى يديه فقال : اقلنى عثرتى يا اميرالمؤمنين . فوالله لاكونن لها ارضا تطانى . فاغمد عليه السلام سيفه وقال : يا أمة الله ادخلى منزلك ، ولا تلجئى زوجك الى مثل هذا .

« متمسكون بحبل القران تواتر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال (انّ القرآن و عترتى لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، يحيون سنن الله وسنن رسوله» روى الشيخ فى اماليه مسنداً عن جابر الانصارى قال : لمّا فرغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم من هوازن سار حتى نزل الطايف . فسأله القوم ان يبرح عنهم حتى يقدم عليه ، وفدهم فيشترط له ، ويشترطون لانفسهم . فسار حتى نزل مكّة . فقدم عليه نفر منهم باسلام قومهم، ولم ينجع القوم له بالصلوة والزكوة . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : انّه لا خير فى دين لا ركوع فيه : ولا سجود أما والذى نفسى بيده لتقيمنّ الصلوة ، ولتؤتنّ الزكوة أو لابعثنّ اليكم رجلاً هو منّى كنفسى ، فليضربنّ اعناق مقاتليهم ، وليسبينّ نسائهم وذراريهم ، وهو هذا ـ واخذ بيد على

عليه السلام فاشالها - فلمّا صار الوفد الى قومهم اخبروهم بما سمعوا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاقرّوا له بالصلوة وما شرط عليهم . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم «ما استعصى علىّ اهل مملكة ولا أمّة الّا رميتهم بسهم الله» قالوا : وما سهم الله قال «على ما بعثته فى سرية الّا رايت جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وملكاً امامه ، وسحابة تظلّه حتّى يعطى الله حبيبى النصر والظفر»

«لا يستكبرون ولا يعلون ، ولا يغلّون» قال الجوهرى «غلّ من المغنم غلولا» اى خان ، واغل مثله .

«ولا يفسدون» كما قال تعالى «تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتّقين»[1] .

وعن الاصبغ بن نباته نزل قوله تعالى «وعباد الرحمن الّذين يمشون على الارض هوناً» فيه عليه السلام وعن زيد بن على انه عليه السلام كان يمشى فى خمسة مواضع حافياً ويعلّق نعله بيده اليسرى يوم الفطر ، ويوم النحر ، ويوم الجمعة ، وعند العيادة ، وتشييع الجنازة ، و يقول انها مواضع الله وأحبّ أن اكون فيها حافياً .

وفى كامل الجزرى قال الشعبى : وجد على عليه السلام درعاً له عند نصرانى فأقبل به الى شريح ، وجلس الى جانبه وقال : لو كان خصمى مسلماً لساويته ، وقال : هذه درعى فقال النصرانى : ما هى الّا درعى ، ولم يكذّب امير المؤمنين عليه السلام . فقال شريح له - عليه السلام : ألك بيّنة قال : لا وهو يضحك . فاخذ النصرانى الدرع ومشى يسيراً ثم عاد ، وقال «اشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء فأمير المؤمنين قدّمنى إلى قاضيه ، و قاضيه يقضى عليه» ثم اسلم ، واعترف أنّ الدرع سقطت منه عليه السلام عند مسيره الى صفين ففرح عليه السلام باسلامه ووهب له الدرع وفرسا وشهد معه قتال الخوارج .

وعن عاصم بن كليب عن ابيه قدم على على عليه السلام مال من اصبهان . فقسّمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفا ، وقسّمه على سبعة ، ودعا امراء الاسباع فاقرع بينهم

(١) القصص ٨٣ .

لينظر ايّهم يعطى اولا ۰

«قلوبهم فى الجنان ، واجسادهم فى العمل» روى الارشاد عن سعيد بن كلثوم قال: كنت عند جعفر بن محمّد الصادق ۰ فذكر اميرالمؤمنين عليا عليه السلام فاطراه ومدحه بما هو اهله ثم قال : واللّه ما اكل على من الدنيا حراماً قطّ حتى مضى لسبيله ، وما عرض له امران قطّ هما للّه رضى الّا اخذ باشدّهما عليه ۰ وما نزلت بالنبىّ صلى الله عليه وآله نازلة قطّ إلّا دعاه ثقة به ، وما أطاق عمل النبىّ صلى الله عليه وآله من هذه الامّة غيره ، وإن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنّة والنار يرجو ثواب هذه ، و يخاف عقاب هذه ، ولقد اعتق من ماله مأة ألف مملوك فى طلب وجه اللّه ، والنجاة من النار ممّا كدّ بيديه ، ورشح منه جبينه ، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة ، وما كان لباسه إلّا الكرابيس اذا فضل شىء عن يده من كمّه دعا بالحلم فقصّه ـ الخبر ـ

و روى سبط ابن الجوزى ، عن سويد بن غفلة ۰ قال : دخلت على على عليه السلام يوماً وليس فى داره سوى حصير رثّ ، وهو جالس عليه ۰ فقلت ۰ انت ملك المسلمين والحاكم عليهم ، و على بيت المال ، وتاتيك الوفود ، وليس فى بيتك سوى هذا الحصير ۰ قال « يا سويد إنّ اللبيب لا يتأثث فى دار النقلة ، وأمامنا دار المقامة ۰ قد نقلنا إليها متاعنا ونحن منتقلون إليها عن قريب » قال سويد : فابكانى واللّه كلامه ۰

۲/ ۱۵۷/ ۱/ (ومن كلام له عليه السلام لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ سَأَلَهُ (كَيْفَ دَفَعْكُمْ قَوْمُكُمْ عَنْ هٰذَا الْمَقَامِ ، وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ) ۰ فَقَالَ : يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ ، وَحَقُّ الْمَسْئَلَةِ ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَأُعْلِمْتَ ، أَمَّا الْاِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهٰذَا الْمَقَامِ ، وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً ، وَالْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَوْطاً ۰ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا

نُفُوسُ آخَرِينَ ، وَالْحَكَمُ اللّٰهُ ، وَالْمَعْوُدُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةُ ، وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ . فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ ، وَلَا غَرْوَ . فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللّٰهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَّارَهُ مِنْ يَنْبُوعِهِ ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً ، فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَىٰ ، أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَىٰ مَحْضِهِ ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَىٰ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ـ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ .

أقول : الأصل فيه رواية الصدوق فى علله وأماليه ، والمفيد فى ارشاده رواه الاول مسنداً عن طريق العامة . ففى العلل [باب العلة التى من أجلها ترك الناس عليا عليه السلام] وقال « أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى عن ابراهيم بن رغد العبشمى ، عن ثبيت بن محمد ، عن أبى الأحوص المصرى عمن حدثه ، عن أبى ـ محمد الحسن بن على عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال : بينا أمير المؤمنين عليه السلام فى أصعب موقف بصفين اذ قام إليه رجل من بنى دودان ، فقال له : لمدفعكم قومكم عن هذا الأمر ، وكنتم أفضل الناس علماً بالكتاب والسنة . فقال عليه السلام سألت يا أخا بنى دودان ، ولك حق المسألة ، وذمامة الصهر ، وانك لقلق الوضين ، ترسل عن غير ذى مسد انها كانت اثره شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ، و لنعم الحكم الله ، والزعيم محمد صلى الله عليه وآله ودع عنك نهبا صيح فى حجراته ، وهلم الخطب فى ابن أبى سفيان . فلقد اضحكنى الدهر بعد ابكائه ، ولا غروا لاجارتى وسؤالها . الا هل لنا اهل سالت كذلك بئس القوم من خفضنى ، وحاولوا الادهان فى دين الله فان ترفع عنا محن البلوى احملهم من الحق على محضه ، وان تكن الأخرى ، فلا تأس

على القوم الفاسقين اليك عنّى أخا بنى دودان .

وقال الثانى : روى نقله الآثار أنّ رجلاً من بنى أسد وقف على أمير المؤمنين عليه السلام فقال : العجب فيكم يا بنى هاشم كيف عدل بهذا الأمر عنكم ، وانتم الأعلون نسباً وسبباً ، ونوطاً بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وفهما للكتاب ، فقال عليه السلام : يا ابن دودان انّك لقلق الوضين ضيّق المخرم . ترسل غير ذى مسد لك ذمامة الصهر ، وحقّ المسألة ، وقد استعلمت فاعلم كانت اثره سخت بها نفوس قوم وشحّت عليها نفوس آخرين . فدع عنك نهباً صيح فى حجراته ، وهلّم الخطب فى امر ابن أبى سفيان فلقد أضحكنى الدهر ، ولا غرو بئس القوم والله من خفضنى وهينى ، وحاولوا الأدهان فى ذات الله ، وهيهات ذلك منّى ، وقد جدحوا بينى وبينهم شرباً وبيئاً فان تنحسر عنّا محن البلوى احملهم من الحق على محضه ، وان تكن الاُخرى ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ولا تأس على القوم الفاسقين) .

ونقل (خو) كلام الارشاد لكن فيه « من خفضنى وهيننى » ونقله المرتضى عن مجالس المفيد مثل ارشاده .

وقال (حد) بعد العنوان سالت اباجعفر يحيى بن محمد العلوى نقيب البصره وقت قراءتى عليه عن هذا الكلام ـ وكان على ما يذهب اليه من مذهب العلوية منصفاً وافر العقل ـ فقلت له « من يعنى بقوله » كانت اثره شحّت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين » ومن القوم الذين عناهم الأسدى بقوله « كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ، وأنتم أحقّ به هل المراد يوم السقيفة او يوم الشورى فقال : يوم السقيفة . فقلت : (ان نفسى لا تسامحنى ان انسب الى الصحابة عصيان الرسول صلى الله عليه وآله ودفع النص) فقال : وانا ايضا لا تسامحنى نفسى ان انسب الرسول صلّى الله عليه وآله الى اهمال امر الامّة ، وان يترك الناس فوضى سدى مهملين وكان لا يغيب عن المدينة إلّا ويؤمّر عليها اميراً ، وهو حى ليس بالبعيد عنها ، فكيف لا يؤمّر ، وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث .

ثم قال : لا يشكّ احد من الناس ان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كان عاقلاً كامل العقل أمّا المسلمون . فاعتقادهم فيه معلوم ، واما اليهود والنصارى والفلاسفة ، فيزعمون انّه حكيم تامّ الحكمة سديد الرأى اقام ملّة ، وشرع شريعة . فاستجدّ ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره ، وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب ، وغرائزهم وطلبهم بالثارات والذحول ، ولو بعد الأزمان المتطاولة ، ويقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر . فلا يزال أهل ذلك المقتول ، واقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا ثارهم منه فان لم يظفروا به قتلوا بعض اقاربه وأهله . فإن لم يظفروا بأحد منهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة ، وان لم يكونوا رهطه الادنين والا سلام لم يحل طبايعهم ، ولا غيّر هذه السجيّة المركوزة فى أخلاقهم ، والغرائز الغرائز بحالها لفكيف يتوهم لبيب انّ هذا العاقل وتر العرب ، وعلى الخصوص قريشاً ، وساعده على سفك الدماء ، وازهاق الانفس وتقلد الضغاين ابن عمه الادنى ، وصهره وهو يعلم انه سيموت كما يموت الناس ويتركه بعده ، وعنده ابنته ، وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنّوا عليهما ، ومحبّة لهما ثم يعدل عنه فى الامر بعده ، ولا ينصّ عليه ، ولا يستخلفه . فيحقن دمه ، ودم بنيه ، وأهله باستخلافه الا يعلم هذا العاقل الكامل انه اذا تركه وترك بنيه واهله سوقة ورعية فقد عرّض دماءهم للاراقة بعده بل يكون هو الذى قتلهم ، واشاط بدماءهم لانهم لا يعتصمون بعده بامر يحميهم ، وانّما يكونون مضغة للآكل ، وفريسة للمفترس يتخطّفهم الناس ، ويبلغ فيهم الاغراض . فامّا اذا جعل السلطان فيهم والامر اليهم . فانه يكون قد عصمهم وحقن دماءهم بالرياسة التى يصولون بها ، ويرتدع الناس عنهم لاجلها ، ومثل هذا معلوم بالتجربة ألا ترى أنّ ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس ووترهم وابقى فى نفوسهم الاحقاد العظيمة عليه ثم أهمل أمر ولده وذريته من بعده ، وفسّح للناس ان يقيموا ملكاً من عرضهم ، وجعل بنيه سوقة كبعض العامة لكان بنوه بعده قليلاً بقاءهم سريعاً هلاكهم ، ولوثب عليهم ذووا الاحقاد والترات من كل جهة يقتلونهم

ويشردونهم كل مشرّد ، ولوانّه عيّن واحداً من اولاده للملك ، وقام خواصّه و خدمه ، وخوله بامره بعده لحقنت دماء اهل بيته ، ولم تطل يد احد من الناس اليهم لناموس الملك ، وأبّهة السلطنة ، وقوّة الرياسة ، وحرمة الامارة فترى ذهب عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى اما احبّ ان يستاصل اهله وذرّيته من بعده ؟

واين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده الحبيبة إلى قلبه اتقول : انّه احبّ ان يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفف الناس ، وان يجعل علياً المكرّم العظيم عنده الذى كانت حاله معه معلومة كأبى هريرة الدوسى ، وأنس بن مالك الأنصارى يحكم الامراء فى دمه و عرضه ونفسه وولده ؟ فلايستطيع الامتناع ، وعلى رأسه مأءة ألف سيف مسلول يتلظى اكباد اصحابها عليه ، ويودّون ان يشربوا دمه بافواههم ، و ياكلوا لحمه بأسيافهم ؟ قد قتل أبناءهم واخوانهم وأباءهم ، واعمامهم ، والعهد لم يطل ، والقروح لم تتعرق ، والجروح لم تندمل ؟

قال : (فقلت : لقد احسنت فى ماقلت الّا أنّ لفظه عليه السلام يدل على انه لم يكن نصّ عليه ألا تراه يقول « ونحن الأعلون نسباً ، والاشدّون بالرسول نوطاً » فجعل الاحتجاج بالنسب ، وشدة القرب ؟ فلوكان عليه نصّ لقال عوض ذلك « وانا المنصوص علىّ والمخطوب باسمى » ؟

فقال ـ رحمه الله ـ انما اتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل ألا ترى انّه سأله فقال « كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به » اى باعتبار الهاشمية والقربى ؟ فاجابه بجواب اعاد قبله المعنى الّذى تعلّق به الأسدى تمهيداً للجواب فقال عليه السلام « انّما فعلوا ذلك مع انّا اقرب الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم من غيرنا لانهم استاثروا علينا » ولوقال له « انا المنصوص علىّ والمخطوب باسمى فى حيوة النبى صلى الله عليه وآله » لما كان قد اجابه لانه ما سأله « هل أنت منصوص عليك أم لا : وهل نصّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالخلافة على أحد أم لا » وانما قال « لم دفعكم قومكم عن الامر وانتم اقرب الى ينبوعه ومعدنه منهم » فاجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه ؟

وأيضاً فلو اخذ يصرّح له بالنصّ ، ويعرّفه تفاصيل باطن الامر لنفر عنه واتّهمه ، ولم ينجذب إلى تصديقه ، فكان اولى الاُمور فى حكم السياسة وتدبير الناس ان يجيب بما لا نفرة منه ، ولا مطعن عليه فيه .

وقال (حد) أيضاً فى ضمن شرح عنوان (لله بلاد فلان) .. بعد ذكر اخبار من طريقهم دالّة على النصّ كخبر ابن عباس قال : خرجت مع عمر الى الشام فى احدى خرجاته . فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتّبعته . فقال لى : يا ابن عباس اشكو اليك ابن عمّك سالته ان يخرج معى فلم يفعل ، ولا أزال أراه واجداً فى نفسه تظنّ موجدته قلت : انك لتعلم قال : اظنّه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة قلت هو ذاك انه يزعم انّ النبىّ صلّى الله عليه وآله أراد الأمر له . فقال : يا ابن عباس ، وأراد النبىّ الأمر له فكان ماذا إذ لم يرد الله ذلك ان النبى أراد أمراً وأراد الله غيره فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسوله او كلّ ما اراده النبى كان انه اراد اسلام عمّه ولم يرده الله فلم يسلم .

قال (حد) وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ وهو قوله « ان النبى أراد أن يذكره للأمر فى مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الاسلام فعلم النبى ما فى نفسى فامسك وأبى الله إلّا امضاء ما حتم » .

وكخبر الحسين بن محمّد السبتى انّ عمر نزلت به نازلة فقام لها وقعد وترنّح لها وتغطّر وقال لمن عنده : معشر الحاضرين ما تقولون فى هذا الامر ؟ قالوا : أنت المفزع والمنتزع . فغضب وقال « يا أيّها الّذين امنوا اتّقوا الله وقولوا قولا سديداً » ثم قال « اما والله انّى واياكم لنعلم ابن نجدتها والخبير بها قالوا « كأنّك اردت ابن أبى طالب » قال « وانّى يعدل عنه ، وهل طفحت خرة مثله قالوا : فلو دعوت به قال : « هيهات انّ هناك شمخاً من هاشم ، واثرة من علم ، ولحمه من رسول الله ، يؤتى ولا ياتى . فامضوا بنا اليه . فاقصفوا نحوه . فألفوه فى حايط له عليه تبّان وهو يتركّل على مسحاته ويقرء « ايحسب الانسان ان يترك سدى » الى آخر السورة وقد موعه تهمى على خدّيه . فاجهش الناس لبكائه ، ثم سكت وسكتوا . فسأله عمر عن تلك الواقعة فاصدر

جوابها. فقال عمر: اما والله لقد أرادك الحق، ولكن أبى قومك» فقال «يا باحفص خفض عليك من هنا وهنا ان يوم الفصل كان ميقاتا» فوضع عمر احدى يديه على الاخرى وأطرق إلى الأرض، وخرج كانما ينظر الى الرماد.

وكخبر ابن عباس قال: دخلت على عمر يوماً. فقال: يا ابن عباس «لقد أجهد هذا الرجل نفسه فى العبادة حتى نحلته رياء قلت: من هو؟ فقال: هذا ابن عمك ـ يعنى علياً عليه السلام ـ قلت: وما يقصد بالريا؟ قال: يرشح نفسه بين الناس للخلافة قلت: وما يصنع بالترشيح قد رشحه لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فصرفت عنه. قال: انه كان شاباً حدثاً. فاستصغرت العرب سنه، وقد كمل الآن ألم تعلم أن الله لم يبعث نبياً إلا بعد الأربعين، قلت: أما أهل الحجى والنهى فانهم ما زالوا يعدونه كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام، ولكنهم يعدونه محروماً محدوداً. فقال: اما انه سيليها بعد هياط ومياط ثم تزل فيها قدمه، ولا يقضى منها اربه، ولتكونن شاهداً ذلك يا عبد الله. ثم يتبين الصبح لذى عينين، وتعلم العرب صحة رأى المهاجرين الأولين الذين صرفوها عنه بادئ بدء فليتنى أراكم بعدى يا عبد الله ان الحرص محرمة، وان دنياك كظلك كلما هممت به ازداد عنك بعداً.

وكخبره أيضاً ـ كما فى امالى ابن حبيب ـ قال ابن عباس: تبرم عمر بالخلافة فى آخر ايامه، وخاف العجز، وضجر من سياسة الرعية. فكان لا يزال يدعو الله بان يتوفاه. فقال لكعب الأحبار يوماً وانا عنده: انى قد احببت أن أعهد إلى من يقوم بهذا الأمر، واظن وفاتى قد دنت. فما تقول فى على أشر على فى رايك، واذكر لى ما تجدونه عندكم. فإنكم تزعمون أن أمرنا هذا مسطور فى كتبكم.

فقال: امّا من طريق الرأى فانه لا يصلح انه رجل متين الدين. لا يغضى على عورة، ولا يحلم عن زلة، ولا يعمل باجتهاد رايه، وليس هذا من سياسة الرعية فى شىء، وامّا ما نجده فى كتبنا. فنجده لا يلى الا مرهوباً ولده، وان وليه كان

هرج شديد . قال : وكيف ذاك؟

قال : لانه أراق الدماء فحرمه الله الملك انّ داود لمّا اراد ان يبنى حيطان بيت المقدس أوحى الله اليه انّك لا تبنيه لانك أرقت الدماء ، وانّما يبنيه سليمان فقال عمر : أليس بحق أراقها ؟

قال كعب وداود بحقّ أراقها . قال : فالى من يفضى الأمر تجدونه عندكم .

قال : نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة واثنين من أصحابه إلى أعدائه الّذين حاربوه ، وحاربهم على الدين . فاسترجع عمر مرارا ، وقال : استمع يا ابن عباس اما والله لقد سمعت من النبى ما يشابه هذا سمعته يقول : ليصعدن بنو أمية على منبرى ، ولقد رأيتهم فى منامى ينزون عليه نزو القردة ، وفيهم انزل « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلّا فتنة للناس والشجرة الملعونه فى القرآن » .

وكخبر ما لى أبى بكر بن الانبارى ان عليا عليه السلام جلس الى عمر فى المسجد ، وعنده ناس . فلمّا قام عرّض واحد بذكره ، ونسبه الى التيه والعجب . فقال عمر : حق لمثله أن يتيه والله لولا سيفه لما قام عمود الاسلام ، وهو بعد اقضى الامّة وذو سابقتها وذو شرفها ـ فقال له ذلك القائل فما منعكم عنه قال : كرهناه على حداثة السن وحبّه بنى عبد المطلب .

[سألت النقيب أبا جعفر يحيى ، وقد قرأت عليه هذه الأخبار . فقلت له : ما أراها إلّا تكاد تكون دالة على النص ، ولكنّى استبعد أن تجتمع الصحابة على دفع نصّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة على ردّ نصّه على الكعبه ، وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدين] .

فقال : ليت إلّا ميلا الى المعتزلة . ثم قال : إنّ القوم لم يكونوا يذهبون الى أنها من معالم الدين ، وأنّها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصلوة والصوم ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الامور الدنيوية مثل تأمير الامراء ، وتدبير الحروب ، و سياسة الرعية ، وما كانوا بهذا الأمر ، وأمثاله من مخالفة نصوص النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأوا

المصلحة في غيرها ألا ترى كيف نصّ على اخراج أبي بكر، وعمر في جيش أسامة، ولم يخرجا لما رأيا أن في مقامهما مصلحة لله وله وللملّة، وحفظاً للبيضة، ودفعاً للفتنة وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يخالف وهو حي في امثال ذلك فلا ينكره، ولا يرى به بأساً ألست تعلم انه نزل في غزاة بدر منزلاً على أن يحارب قريشاً فيه. فخالفته الأنصار، وقالت له: ليس الرأي في نزولك هذا المنزل فاتركه، وانزل في منزل كذا فرجع الى آرائهم وهو الّذي قال للأنصار عام قدم المدينة (لا تؤبّروا النخل) فعملوا على قوله فحالت نخلهم في تلك السنة حتى قال لهم: انتم اعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر دينكم وهو الّذي أخذ الفداء من أُساري فخالفه عمر فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر، وخلص الأسرى، ورجعوا الى مكّة.

وهو الّذي أراد ان يصالح الأحزاب على ثلث تمر المدينة ليرجعوا عنه. فأبى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة ذلك، وخالفاه فرجع إلى قولهما، وقد كان قال لأبي هريرة: اخرج فناد في الناس «من قال لا إله إلّا الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنة» فخرج أبو هريرة. فأخبر عمر بذلك. فدفع في صدره حتّى وقع على الأرض. فقال «لا تقلها فانّك إن تقلها يتكلّموا عليها ويدعوا العمل» فأخبر أبو هريرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك. فقال «لا تقلها وخلّهم يعملون» فرجع الى قول عمر.

وقد اطبقت اطباقاً واحداً على ترك كثير من النصوص لمّا رأوا المصلحة في ذلك كاسقاط سهم ذوي القربى، واسقاطهم سهم المؤلّفة قلوبهم، وهذان الأمران في باب الدين أدخل منهما في باب الدنيا ـ وقد عملوا بآرائهم أموراً لم يكن لها ذكر في السنّة كحدّ الخمر. فإنّهم عملوه اجتهاداً، ولم يحدّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شاربي الخمر، وقد شربها الجم الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم.

ولقد كان أوصاهم في مرضه أن اخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب: فلم يخرجوهم حتّى مضى صدر من خلافة عمر، وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك واستصلاحهم.

وهم الّذين هدموا المسجد بالمدينة ، وحوّلوا المقام بمكّة ، وعملوا بمقتضى ما تغلب فى ظنونهم من المصلحة ، ولم يقفوا مع موارد النصوص حتّى اقتدى بهم الفقهاء . فرجّح كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعة ، وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة .

وأكثر ما كانوا يعملون بآرائهم فى ما يجرى مجرى الولايات والتأمير والتدبير ، وتقرير قواعد الدولة ، وما كانوا يقفون مع نصوص النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وتدبيراته إذا رأوا المصلحة فى خلافها كأنّهم كانوا يقيّدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظاً ، و كأنّهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله ، وتقديرذلك القيد « افعلوا كذا ان رأيتموه مصلحة » .

فامّا مخالفتهم له فى ما هو محض الشرع والدين ، وليس يتعلّق بأمور الدنيا وتدبيراتها فانّه يقلّ جداً نحو أن يقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم الوضوء شرط فى الصلوة فيجمعوا على ردّ ذلك ، ويجيزوا الصلوة من غير وضوء ، أو يقول صوم شهر رمضان واجب . فيطبقوا على مخالفة ذلك . ويجعلوا شوّالاً عوضاً عنه . فانه بعيد إذ لا غرض لهم فيه ولا يقدرون على اظهار مصلحة عثروا عليها خفيت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : والقوم الّذين كانوا قد غلب على ظنونهم أنّ العرب لا تطيع علياً عليه السلام فبعضها للحسد ، وبعضها للوتر والثار ، وبعضهم لاستحداثه سنّه ، و بعضهم لاستطالته عليه السلام عليهم ورفعه عنهم ، وبعضهم لكراهية اجتماع النبوة والخلافة فى بيت واحد ، وبعضهم للخوف من شدّة وطائه ، وشدّته فى دين الله ، وبعضهم لرجاء تداول قبائل العرب الخلافة اذا لم يقتصر بها على بيت واحد مخصوص . فيكون رجاء كل حى لوصولهم اليها ثابتاً مستمراً ، وبعضهم يبغضه لبغضهم من قرابة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهم المنافقون من الناس ، ومن فى قلبه زيغ من امر النبوة . فاصفق الكل اصفاقاً واحداً على صرف الأمر لغيره . فقال رؤساءهم : بأنّا خفنا الفتنة ، و علمنا انّ العرب لا تطيعه وتتركه ، وتأوّلوا عند انفسهم قالوا : ولا ننكر النص انه لنصّ ولكن يرى الحاضر ما لا يرى

لغائب - وأعانهم على ذلك مسارعة الأنصار إلى ادّعائهم الأمر، وإخراجهم سعد بن عبادة من بيته وهو مريض لينصبوه خليفة فى ما زعموا، واختلط الناس، وكثر الخبط، وكادت الفتنة أن يضطرم نارا فوثب رؤساء المهاجرين. فبايعوا ابا بكر، وكانت فلتة كما قال قائلهم، وزعموا انهم اطفأوا نائرة الانصار. فمن سكت من المسلمين، واغضى ولم يتعرض فقد كفاهم أمر نفسه — ومن قال سرّاً أو جهراً انّ فلانا قد ذكره النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونصّ عليه، أو أشار إليه اسكتوه فى الجواب بانّا بادرنا الى عقد البيعة مخافة الفتنة واعتذروا عنده ببعض ما تقدم امّا انه حديث السن او تبغضه العرب لانه وترها وسفك دماءها اولانه صاحب زهو وتيه أو كيف تجتمع النبوة والخلافة فى مغرس واحد بل قالوا فى العذر ما هو اقوى من هذا او أوكد قالوا: أبو بكر أقوى منه على هذا الأمر لا سيّما و عمر يقصده ويساعده، والعرب تحبّ أبا بكر، ويعجبها لينه ورفقه، وهو شيخ مجرّب للامور لا يحسده أحد، ولا يحقد عليه احد، ولا يبغضه احد، وليس بذى شرف فى النسب. فيشمخ على الناس بشرفه، ولا ذى قربى فيدلّ بقربه ودعذاكله فانه فضل مستغنى عنه قالوا: لو نصبنا عليّاً ارتد الناس عن الاسلام، وعادت الجاهلية كما كانت، فايّما أصلح فى الدين الوقوف مع النص المفضى الى ارتداد الخلق ورجوعهم الى الأصنام والجاهلية ام العمل بمقتضى الأصلح، واستبقاء الاسلام، واستدامة العمل بالدين وان كان فيه مخالفة النص.

قال — رحمه الله — وسكت الناس عن الانكار لانّهم كانوا متفرقين، فمنهم من هو مبغض شانئ لعلى عليه السلام فالّذى تمّ من صرف الأمر عنه قرّة عينه، وبرد فؤاده، ومنهم ذو الدين، وصحّة اليقين. الّا انه لما رأى كبراء الصحابة قد اتفقوا على صرف الأمر عنه ظنّ انّهم انما فعلوا ذلك خلاف النص من النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنسخ ما كان سمعه من النص على امير المؤمنين عليه السلام لا سيما ما رواه ابو بكر من قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « الائمة من قريش » فانّ كثيراً من الناس توهموا انه ناسخ للنص الخاص، وأنّ معنى الخبر أنّكم مباحون فى نصب اما م من قريش من اىّ بطون قريش كان فانّه يكون اماماً — وأكدّ

أيضاً فى نفوسهم رفض النص الخاص ما سمعوه من قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » وقوله « سألت الله ألّا يجمع أمّتى على ضلال فاعطانيها ، فاحسنوا الظن بعاقدى البيعة ، وقالوا : هؤلاء اعرف باغراض النبى صلى الله عليه وآله وسلم من كل احد . فامسكوا وكفّوا عن الانكار ، ومنهم فرقة أخرى وهم الأكثرون اعراب وجفاة وطغام اتباع كل ناعق . يميلون مع كل ريح . فهؤلاء مقلّدون لا يسألون ، ولا ينكرون ، ولا يبحثون ، وهم مع أمرائهم ، وولاتهم لو اسقطوا عنهم الصلوة الواجبة لتركوها . فلذلك امحق النص ، وخفى ، ودرس ، وقويت كلمة العاقدين لبيعة أبى بكر ، وقوّاها زيادة على ذلك اشتغال على عليه السلام . وبنى هاشم بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم واغلاق بابهم عليهم ، و تخليتهم الناس يعملون ما شاؤا واحبّوا من غير مشاركة لهم فى ما هم فيه لكنهم ارادوا استدراك ذلك بعد مافات وهيهات الفائت لا رجعة له ، وأراد على عليه السلام بعد ذلك نقض البيعة . فلم يتمّ له ذلك ، وكانت العرب لا ترى الغدر ، ولا تنقض البيعة صواباً كانت أو خطأً ، وقد قالت له الأنصار وغيرها : أيّها الرجل لو دعوتنا إلى نفسك قبل البيعة لما عدلنا بك أحداً ولكنّا بايعنا . فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها .

قال النقيب : ومما جرّأ عمر على بيعة أبى بكر ، والعدول عن على عليه السلام مع ما كان يسمعه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أمره أنّه أنكر مراراً على النبى صلى الله عليه وآله وسلم أموراً اعتمدها . فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم انكاره بل رجع فى كثير منها إليه ، وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته . فاطمعه ذلك فى الاقدام على اعتماد كثير من الامور الّتى كان يرى فيها المصلحة بما هى خلاف النص ، وذلك نحو انكاره فى الصلوة على عبد الله بن ابىّ المنافق ، وانكاره فداء اسارى بدر ، وانكاره عليه تبرّج نسائه للناس ، وانكاره قضيّة الحديبية ، وانكاره امان العباس لابى سفيان بن حرب ، وانكاره واقعة ابى حذيفة بن عتبة ، وانكاره أمره بالنداء « من قال لا إله إلّا الله دخل الجنّة » وانكاره أمر النبىّ صلى الله عليه وآله بذبح النواضح ، وانكاره على النساء بحضرة النبى صلى الله عليه

وآله هيبتهن له دون النبى صلى الله عليه وآله وسلم الى غير ذلك من امور كثيرة مشتمل عليها كتب الحديث ، ولولم يكن الّا انكار مقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مرضه «آتونى بدواة وكتاب اكتب لكم ما لا تضلّون بعدى» وقوله : ماقال وسكوت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عنه لكفى واعجب الاشياء انه قال : ذلك اليوم «حسبنا كتاب الله» فافترق الحاضرون من المسلمين فى الدار وبعضهم يقول «القول ماقال النبى» وبعضهم يقول «القول ماقال عمر» فقال النبىّ صلّى الله عليه وآله وقد كثر اللغط و علت الاصوات «قوموا عنّى فما ينبغى لنبى ان يكون عنده هذا التنازع» فهل بقى للنبوّة مزيّة أو فضل اذا كان الاختلاف ، وقع بين القولين ، ومثّل المسلمون بينهما . فرجّح قوم هذا وقوم هذا أفليس ذلك دالّا على انّ القوم سوّوا بينه وبين عمر وجعلوا القولين مسئلة خلاف ذهب كل فريق الى نصرة واحد منهما كما يختلف اثنان من عرض المسلمين فى بعض الاحكام فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون . فمن بلغت قوته وهمته الى هذا كيف ينكر منه ان يبايع ابا بكر لمصلحة رآها ، ويعدل عن النص ، ومن الذى كان ينكر عليه ذلك ، وهو فى القول الذى قاله للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وجهه غير خائف من الانصار ، ولا انكر عليه احد لا النبى ولا غيره وهو اشد من مخالفة النص فى الخلافة وأفظع وأشنع .

قال النقيب : على انّ الرجل ما اهمل امر نفسه بل اعدّ اعذاراً ، واجوبة وذلك لانه قال لقوم : عرّضوا له بحديث النص ان النبى رجع عن ذلك باقامة أبى بكر مقامه فى الصلوة ، وأوهمهم انّ ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافة ، وقال يوم السقيفة «ايّكم يطيب نفساً ان يتقدم قد مين قدّمهما النبى فى الصلوة» ثم أكّد ذلك بان قال لابى بكر — وقد عرض عليه البيعة — «انت صاحب رسول الله فى المواطن كلها شدّتها و رخاها رضيك لد يننا أفلا نرضاك لد نيانا» .

قال ثم عاب علياً عليه السلام بخطبة بنت أبى جهل . فأوهم أنّ النبىّ كرهه لذلك ووجد عليه وأرضاه عمرو بن العاص ، فروى حديثاً افتعله ، واختلعه على النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : سمعته يقول «انّ آل ابى طالب ليسوا لى بأولياء إنّما ولىّ الله ، و صالح

المؤمنين» فجعلوا ذلك كالناسخ لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم «من كنت مولاه فهذا مولاه» قلت للنقيب: ايصحّ النسخ فى مثل هذا أليس هذا نسخاً للشئ قبل تقضى وقت فعله. فقال: سبحان الله من أين تعرف العرب هذا وانّى لها ان يتصوّره فضلاً عن أن يحكم بعدم جوازه. فهل يفهم حذّاق الاصوليّين هذه المسئلة فضلاً عن حمقى العرب هؤلاء قوم ينخدعون بادنى شبهة ويستمالون بأضعف سبب ويبنى الأمور معهم على ظواهر النصوص، واوايل الادلّة، وهم اصحاب جمل وتقليد لا اصحاب تفصيل ونظر.

قال: ثمّ أكد حسن ظنّ الناس بهم أنّهم ظلفوا أنفسهم عن الأموال، وزهدوا فى متاع الدنيا وزخرفها، وسلكوا مسلك الرفض لزينتها والرغبة عنها والقناعة بالطفيف النزر منها، واكلوا الخشن، ولبسوا الكرابيس، ولمّا القت الدنيا اليهم أفلاذ كبدها وفرّوا الاموال على الناس، وقسّموها بينهم، ولم يتدنّسوا منها بقليل ولا كثير. فمالت اليهم القلوب، واحبّتهم النفوس، وحسنت فيهم الظنون، وقال: من كان فى نفسه شبهة منهم او وقفة فى امرهم لو كان هؤلاء قد خالفوا النص لهوى انفسهم لكانوا اهل الدنيا، ولغلب عليهم الميل اليها، والرغبة فيها، والاستيثار بها، وكيف يجمعون على انفسهم بين مخالفة النص، وترك لذات الدنيا فيخسروا الدنيا والاخرة، وهذا لا يفعله عاقل والقوم عقلاء ورالباب، وآراء صحيحة. فلم يبق عند احد شك فى امرهم ولا ارتياب لفعلهم، وثبتت العقايد على ولايتهم، وتصويب افعالهم، ونسوا الذمّة الرياسة، وانّ اصحاب الهمم العالية لا يلتفتون إلى المأكل والمشرب والمنكح، وانما يريدون الحكم والرياسة ونفوذ الامر كما قال الشاعر:

وقد رغبت عن لذة المال انفس + وما رغبت عن لذّة الامر والنهى

قال: والفرق بين الرجلين، وبين الثالث ما اُصيب الثالث، وقتل تلك القتلة وخلعه الناس، وحصروه، وضيّقوا عليه بعد ان توالى انكارهم افعاله فى وجهه، وفسّقوه، وذلك لانه استأثر هو واهله الاموال، وانغمسوا فيها واستبدّوا بها فكانت

طريقته وطريقتهم مخالفة لطريق الاولين فلم تصبر العرب على ذلك ، ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد وجمع الناس، وردع الامراء والولاة عن الأموال ، وتجنّب استعمال أهل بيته ، ووفّر اعراض الدنيا وملاذّها ، وشهواتها على الناس زاهداً فيها تاركاً لها معرضاً عنها لما ضرّه شئ قط ، ولا انكر عليه احد قطّ ، ولو حوّل الصلوة من الكعبة الى بيت المقدس بل لو اسقط عن الناس احدى الصلوات الخمس واقتنع منهم باربع ، وذلك لانّ همم اهل الدنيا مصروفة الى الدنيا والاموال . فاذا وجدوها سكتوا ، واذا فقدوها هاجوا واضطربوا الست ترى النبيّ صلى الله عليه وآله كيف قسّم غنائم هوازن على المنافقين ، وعلى اعدائه الّذين يتمنّون قتله وموته وزوال دولته . فلمّا اعطاهم احبّوه اما كلّهم ، واما اكثرهم ، ومن لم يحبّه منهم بقلبه جامله ، وداراه ، وكفّ عن اظهار عداوته ، والاجلاب عليه ، ولو أنّ علياً عليه السلام صانع اضحابه بالمال ، واعطى الوجوه والرؤساء المال لكان امره الى الانتظام والاطراد اقرب ، ولكنّه رفض جانب التدبير الدنيوى ، وآثر لزوم الدين ، وتمسّك باحكام الشريعة ، والملك أمر آخر غير الدين ، فاضطرب عليه اصحابه ، وهرب كثير منهم الى عدوّه — الخ —

نقلنا الكلامين بطولهما لكون الاول متكفلاً لبيان وجوب وجود النص في العقل والحكمة ، وكون الثانى متحمّلاً لبيان دفع الاستبعاد فى مخالفة الصحابة للنص على أمير المؤمنين عليه السلام كما تعلق به الخصم بما يقنع المنصف ، وان كان فى كلامه الثانى ، مخلّطاً بين الغثّ والسمين اما مما شاء وجد لا ، واما لما قاله (حد) من عدم كون الرجل اماماً ولا يبرء من السلف ، فذكر فى كلامه الثانى أحاديث موضوعة ، والبس لباس — المناقب وجعل القدح مدحاً ، فلنتكلّم على بعض فقراته دفعاً للالتباس .

أما قوله أولاً « انّ القوم لم يكونوا يذهبون الى أنها من معالم الدين » فنقول : انّ قول عمر يوم السقيفة لابى بكر « ابسط يدك ابايعك رضيك النبى لديننا فلا نرضاك لدنيانا » لفظه ، وان يدلّ على ما ذكر من كون الخلافة رياسة دنيوية الّا ان عملهم يضادّه حيث انّهم حكموا بارتداد من انكر خلافة أبى بكر ، وسوّوا بين المنكرين لخلافته وبين

المنكرين لاصل الإسلام كمسيلمة ، وطليحة والاسود العنسى . ففى تاريخ اعثم الكوفى ، وهو من رجالهم وقد ذكره كشف الظنون ـ «انّ فى يوم د باقتل عكرمة بن أبى جهل رجالهم وبعث بنسائهم واسراءهم الى أبى بكر فجعل نساءهم اماء ، واراد قتل الرجال فشفع اليه عمر بانهم يشهدون بالشهادتين ، ويقيمون الصلوة فحبسهم مدة خلافته ثم اطلقهم عمر فى ايّامه » .

وقال ابن الاثير فى تاريخه الكامل ـ فى قصة مالك بن نويرة ، وقتل خالد بن الوليد له ـ «وقيل : انّ المسلمين لمّا غشّوا مالكاً وأصحابه ليلاً أخذوا السلاح فقالوا : نحن المسلمون . فقال أصحاب مالك بن نويرة : ونحن المسلمون قالوا لهم : ضعوا السلاح . فوضعوه ثم قتلوا وكان خالد بن الوليد يعتذر فى قتله انه قال « ما اخال صاحبكم الّا قال كذا وكذا » فقال له « اوما تعدّه صاحبا لك ، ثم ضرب عنقه .

وكذلك اتباعهم هل يكفّرون شيعة امير المؤمنين عليه السلام الّذى هو من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هرون من موسى بل بمنزلة نفسه بنص الكتاب ، وشيعة أهل بيته الّذين هم بمنزلة سفينة نوح فى عدم النجاة إلّا بهم ، واحد الثقلين اللذين خلّفهما النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى امّته لئلا يضلّوا الّا لرفضهم شيخيهما ـ مع انه كان مغالطة من عمر نظير مغالطته فى قوله « حسبنا كتاب الله والرجل يهجر ولا نحتاج إلى وصيته » و مغالطته « ان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مامات وانه انّما غاب عن قومه كما غاب موسى عن قومه » غالط كل هذه المغالطات لاجراء اغراضه ـ

وكيف لا يكون قوله « رضيك النبى لديننا أفلا نرضاك لدنيانا » مغالطة وخليفة كل رجل لا بد ان يكون نظيره حتى يتمكّن من عمل اعماله ، وقد قال تعالى فى شموخ مقام النبوّة ـ وخليفته مثله ـ « الله اعلم حيث يجعل رسالته » .

واما قوله « الا ترى كيف نصّ على اخراج ابى بكر وعمر فى جيش اُسامة ، ولم يخرجا لما رايا انّ فى مقامهما مصلحة » فمن اعجب العجب « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون) فهل منشأ الاختلافات الواقعة فى الاسلام ، و

حدوث المذاهب الباطلة فيه ، وقتل النفوس ، ونهب الأموال ، وهتك الاعراض ، و عزّة المنافقين ، وذلّة المؤمنين كان إلّا من بقائهما فى المدينة ، وتصديهما لما تصدّيا وكيف يكون ان اعرف بالمصالح ممن قال تعالى فى حقه « وما ينطق عن الهوى ان هو إلّا وحى يوحى » وما يفعل بلعنه ﷺ للمتخلّف عن الجيش .

وكذلك انكار الثانى وصيته ﷺ فهل كان حدوث جميع المفاسد الحادثة فى الإسلام إلّا لذاك الانكار ، ولذا كان ابن عباس يبكى من تذكره بكاء الثكلى ، ويتأسّف تأسف الحرّى ، وما يفعل بنسبته الهجر اليه ﷺ .

واما نزوله ﷺ فى بدر منزلاً ، واستصلاح الانصار منزلاً آخر فلم يكن مخالفة لقوله كيف والأصل فيه أنّ الحباب بن المنذر — كما فى الطبرى — قال للنبىّ ﷺ أرايت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله فيه ليس لنا أن نتقدّمه ، ولا نتأخره أم هو الراى والحرب والمكيدة ، قال : بل هو الراى والحرب والمكيدة . فقال (فانّ هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتّى نأتى أدنى ماء من القوم فتنزله ثم تغوّر ما سواه من القُلب ، ثم تبنى عليه حوضاً فتملأه ماء . ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون » فقال النبى ﷺ لقد أشرت بالرأى .

فأين هذا الأدب والمعرفة والديانة من تلك الجلافة والجسارة ، وعدم الاكتراث بالله و رسوله .

واما قوله « وانّ النبى ﷺ قال « لا تؤبّروا النخل » — الخ — فمضمون حديث خبيث من أحاديثهم والنبى ﷺ يجب أن يكون أعرف بأمر الدين والدنيا من جميع الناس ، وعلى تسليم كون علم الدنيا خارجاً عن وظيفته . فالعاقل الحكيم لا يأمر بما لا يعرف والتعرض لمثل ذلك شأن المغفّلين ، ووضعوا ذلك لبيان انّ تخلف الرجلين عن الخروج فى جيش أسامة ، ومنع الثانى له عن الوصية ، ودفعه ودفع صاحبه . وصيّه عليه السلام عن مقامه ﷺ انما كان لكونهما أعرف من النبى ﷺ لكن لا يلزم ذلك كونهما أعرف من الله تعالى حيث أوحى إلى نبيّه ﷺ بتلك الأمور . والله سبحانه

يفضح المبطل والكاذب.

واما ماعدد من انكارات الثانى على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من صلوته على ابن ابّى، وفداء أسارى بدر، وقصّة الحديبية، وأمان أبى سفيان، وواقعة أبى حذيفة. فنشأت من حوزته الخشناء وكلها من مطاعنه، ولو كان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ما يراه الرجل لانفضوا من حوله، وما استقر للاسلام عمود.

وما ذكره من نزول القرآن بموافقته من مجعولاتهم الّتى أمر بوضعها معاوية كقوله بانكاره على النبى صلى الله عليه وآله وسلم تبرّج نسائه للناس.

مع أنّ فى جميع ذلك رووا خلافه بل رووا فى الأخير عكسه، فروى الحميدى فى الجمع بين الصحيحين من المتفق عليه (مسند عايشة قالت: كان ازواج النبى يخرجن ليلاً إلى قبل المصانع فخرجت سودة بنت زمعة. فرآها عمر وهو فى المجلس فقال: عرفتك يا سودة [وفى رواية فنزل الحجاب عقيب ذلك] وهو كما ترى دالّ على أنّ الحجاب نزل بسبب عمل عمر وهتكه، وانما النواصب بدّلوه بموافقته كما أنّ فى قضية الحديبية اتفقت الروايات على تصريح عمر بشكّه فى الدين وكفره.

ونزيد على ما قاله النقيب من تدليسه للناس بصلوة أبى بكر أنّ أصل اقامته للصلوة أيضاً كان تلبيساً. فلم يكن بأمر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وإلّا لم خرج النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه مع شدّة مرضه، وتأخيره أبا بكر كان عمله صلى الله عليه وآله وسلم نهياً عملياً غير قابل للانكار اتم به الحجّة ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حىّ عن بيّنة.

وأما ما قاله من أنّه عاب علياً عليه السلام بخطبته بنت ابى جهل، وأرضاه عمرو بن العاص بما افتعل له من الخبر. فاصل وقوع الخِطبة أيضاً كان افتعالاً منه ولو كان صحيحاً كان طعناً على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث أنكر حلال الله.

ثم لنتكلّم على الأخبار الّتى نقلها أمّا الخبر الأوّل، وقول عمر «انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم أراد أمراً وأراد الله غيره» فمغالطة، ولو كان ما قال عذراً لكان للناس فى كل جيل أن يقولوا لأنبيائهم أنتم تريدون ايماننا والله يريد كفرنا.

وفى عيون ابن قتيبة صاحب رجل من القدرية مجوسياً . فقال له : يا مجوسى مالك لا تسلم قال : حتّى يشاء اللّه قال : قد شاء اللّه ذلك ، ولكنّ الشيطان لا يدعك قال المجوسى : فأنا مع أقواهما .

وأما الخبر الثانى فناقش فيه (حد) وقال : اجد ربه أن يكون موضوعاً لتضمنه اتيان عمر علياً عليه السلام والأخبار الكثيرة متضمنة بأنّه ما زال يدعوه ، و لتضمنه تكنيته عليه السلام لعمر ، وكتب الحديث والسير متضمنة مخاطبته بأمير المؤمنين ، ولا نه لم يسند إلى كتاب معيّن ورا و معيّن .

قلت : اما انكاره اتيان عمر أمير المؤمنين عليه السلام فانكار منه لفضل لعمر ، فانّا لا ننكر له انصافاً فى بعض المقامات ، وانه كان لا تمنعه رياسته عن عمله بهذه القاعدة الفطرية انّ « فى بيته يؤتى الحكم » وفى اخبارنا انكاره على أبى بكر فى مقامات أراد احضار أمير المؤمنين عليه السلام لكشف معضلة لهم بهذه القاعدة .

واما ما قاله من انه عليه السلام دائماً يخاطب عمر بامير المؤمنين فلا نسلّم أصله ، وما قاله من الكتب لم نتحققه مع أنه غفل عن نكات قالوها فى علم المعانى من اختلاف المقتضيات باختلاف المقامات . فلمّا كان عمر قال له عليه السلام « واللّه ما رادك الحق ، ولكن أبى قومك » كان المناسب أن يقول فى جوابه « خفّض عليك أباحفص » لا « خفّض عليك أمير المؤمنين » فانه كان بارداً وفى غير مورد ، وقد رووا (أنّ عمر قال لعلى والعباس لما حاكما إليه فى ميراث النبى صلى الله عليه وآله وسلم « فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها » حتّى قال عبد الرزاق الصنعانى « ألا يقول الا نوك رسول اللّه » نقل الخبر الحموى فى بلدانه فى (صنعاء) .

واما عدم اسناده فرب مرسل صحيح بالشواهد ، ومسند باطل بالدلائل مع أنّه رواه على بن طاووس فى كتابه « التشريف بالمنن » عن « مجموع محمّد بن الحسين المرزبان » وفيه تفصيل تلك النازلة الّتى نزلت على عمر هكذا « قال شريح : كنت أقضى لعمر ، فاتانى يوماً رجل فقال : انّ رجلا أودعنى امرأتين أحدهما حرّة مهيرة

والأُخرى سرّية . فجعلتهما فى دار ، وقد ولد تا غلاماً وجارية ، وكلتاهما تدّعى الغلام وتنتفى من الجارية ـ إلى أن قال بعد ذكر اتيان عمر اليه عليه السلام لكشف الأمر كما فى ذاك الخبر ـ فأخذ عليه السلام بيد ممن الأرض شيئا ثم قال : الحكم فيها أهون من هذا . ثم استحضر المرأتين وأحضر قدحاً ثم دفعه إلى إحداهما فقال : احلبى فيه . فحلبت ثم وزن القدح ، ودفعه إلى الأُخرى . فقال : احلبى فيه . فحلبت ثم وزنه فقالت لصاحبة اللبن الخفيف خذى ابنتك ، ولصاحبة اللبن الثقيل : خذ ابنك ـ الخبر ـ

وأمّا الخبر الثالث فنسبة عمر إليه عليه السلام الريا مع وصف الله له بصالح المؤمنين فى تظاهر ابنته مع صاحبتها ابنة صاحبه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصفه له بولى المؤمنين بعده وبعد رسوله يكفيه خزياً .

ومن العجب قوله : ان الله لم يبعث نبياً إلّا بعد الأربعين أو ما قرأ قوله تعالى فى يحيى عليه السلام « وآتيناه الحكم صبيا »[1] وفى عيسى عليه السلام حكاية عنه فى المهد « قال انّى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيّا »[2] .

وقوله « وتعلم العرب صحة رأى المهاجرين الأوّلين » فرات بالعيان كون راى أُولئك المهاجرين موجباً لافساد الدين ، واذلال العرب ، وتحقير الانصار واستيصال أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فاتّخذوا عباد الله خولا ، ومال الله دولا وقد قتلوا سادات العرب عامة ألم يقتلوا سعد بن عبادة باسم الجن ألم يقتلوا مالك بن نويرة باسم الارتداد ألم يقتلوا حجر بن عدى باسم الاخلال فى الملك ، ولقت الأنصار أثرة خاصة فوسموا على أكفهم واذلّوهم كل اذلال ، وقد اعترف بما قلنا ابنه عبد الله بن عمر . فقال لما سمعت قول سلمان يوم السقيفة « كردند ونكردند » ابغضته لكن لمّا رايت بعد ذلك مروان على منبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم صدّقته أولم يكف فى فساد رأيهم وقعة

(١) مريم ١٢ .
(٢) مريم ٣٠ .

الطف، وقتلهم سيد شباب أهل الجنة عطشاناً وسبيهم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولم يكف فيه تبديل الشجرة الطيبة بالشجرة الخبيثة، وتبديل أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالشجرة الملعونة في القرآن.

وقد شرح في بعض زياراتهم بعض مفاسد عملهم ذاك، وهذا لفظه «يا رسول الله انّي بكم أتقرب إلى الله تعالى بالخلاف على الّذين غدروا بكم، ونكثوا بيعتكم، وجحدوا ولايتكم، وانكروا منزلتكم، وخلعوا ربقة طاعتكم، وهجروا أسباب مودّتكم، وتقربوا إلى فراعنتهم بالبرائة منكم، والاعراض عنكم، ومنعوكم من اقامة الحدود، و استيصال الجحود، وشعب الصدع، ولّم الشعث، وسدّ الخلل، وتثقيف الاود وامضاء الاحكام وتهذيب الاسلام، وقمع الآثام، وارهجوا عليكم نقع الحروب والفتن وانحوا عليكم سيوف الاحقاد والاحن، وهتكوا منكم الستور، وابتاعوا بخمسكم الخمور وصرفوا صدقات المساكين الى المضحكين والساخرين، وذلك بما طرّقت لهم الفسقة الغواة، والحسدة البغاة أهل النكث والغدر، والخلاف والمكر، والقلوب المنتنة من قذر الشرك والاجساد المشحنة من درن الكفر الّذين أضبّوا على النفاق، واكبّوا على علايق الشقاق، فلمّا مضى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم اختطفوا الغرّة، وانتهزوا الفرصة، وانتهكوا الحرمة، وغادروه على فراش الوفاة، وأسرعوا النقض البيعة، ومخالفة الموثيق المؤكّدة، وخيانة الامانة المعروضة على الجبال الراسية، وابت أن تحملها، حملها الإنسان الظلوم. ذو الشقاق والعزّة بالآثام المولمة، والانفة عن الانقياد لحميد العاقبة فحشر سفلة الأعراب، وبقايا الأحزاب إلى دار النبوّة والرسالة، و مهبط الوحي، والملئكة، ومستقر سلطان الولاية، ومعدن الوصية، والخلافة والامامة حتى نقضوا عهد المصطفى في أخيه علم الهدى والمبيّن طريق النجاة من طرق الردى، وجرحوا كبد خيرة الورى في ظلم ابنته، واضطهاد حبيبته واهتضام عزيزته بضعة لحمه، وفلذة كبده، وخذلوا بعلها، وصغّروا قدره، واستحلّوا محارمه وقطعوا رحمه، وانكروا اخوّته، وهجروا مودته، ونقضوا طاعته، وجحدوا ولايته، و

اطمعوا العبيد فى خلافته ، وقادوها الى بيعتهم · مصلتة سيوفها · مقذعة اسنّتها ، و هو ساخط القلب · هائج الغضب · شديد الصبر كاظم الغيظ · يدعونه إلى بيعتهم التى عمّ شومها الإسلام ، وزرعت فى قلوب أهلها الآثام ، وعنّفت سلمانها ، وطردت مقدادها ، ونفت جندبها ، وفتقت بطن عمّارها ، وحرّفت القرآن وبدّلت الاحكام ، وغيّرت المقام ، واباحت الخمس للطلقاء ، وسلّطت اولاد اللعناء على الفروج والدماء ، وخلطت الحلال بالحرام ، واستخفّت بالايمان والاسلام وهدمت الكعبة ، واغارت على دار الهجرة يوم الحرّة ، وابرزت بنات المهاجرين والأنصار للنكال والسوءة ، والبستهن ثوب العار والفضيحة ، ورخّصت لاهل الشبهة فى قتل اهل بيت الصفوة ، واباد ة نسله ، واستيصال شافته ، وسبى حرمه ، وقتل انصاره ، و كسر منبره ، وقلب مفخره ، واخفاء دينه ، وقطع ذكره يا موالىّ · فلو عاينكم المصطفى وسهام الامّة مغرقة فى أكباد كم ، ورماحهم مشرعة فى نحوركم ، وسيوفها مولعة فى دمائكم · يشفى ابناء العواهر غليل الفسق من ورعكم ، و غيظ الكفر من ايمانكم ، وانتم بين صريع فى المحراب · قد فلق السيف هامته ، وشهيد فوق الجنازة · قد شبّكت بالسهام اكفانه وقتيل بالعراء · قد رفع فوق القناة رأسه ، ومكبّل فى السجن · قد رضّت بالحديد اعضائه ، ومسموم قد قطّعت بجرع السمّ امعاءه ، وشملكم عباديد ، تفنيهم العبيد ، وابناء العبيد · فهل المحن يا ساداتى إلّا التى لزمتكم ـ الخ ـ

ولو لم يكن رأى اُولئك المهاجرين لكانت العرب لأهل بيت نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم فى غاية التمكين قال عبد الله بن جعفر لمعاوية لمّا أراد البيعة لابنه ـ كما فى خلفاء ابن قتيبة ـ « وايم الله لو ولّوا علياً بعد نبيّهم لوضعوا الأمر موضعه ، ولاطيع الرحمن وعصى الشيطان ، وما اختلف فى الامّة سيفان ·

واما الخبر الرابع وقول كعب الأحبار فيه « نجد ه ينتقل بعد صاحب الشريعة واثنين من أصحابه الى أعدائه » فهل كان السبب فى انتقال الأمر الى أعداء صاحب الشريعة إلّا هو وصاحبه ولا سيما فى تدبير الشورى ودستوره فى رجالها · فلما استرجع

هل كان استرجاعه إلّا استهزاء.

واما الخبر الرابع وقوله فيه «كرهناه على حداثة السنّ، وحبّه بني عبد المطلب فردّ منه ومنهم على اللّه ورسوله، ولم لم يكره عثمان، وعينه معيناً بعده مع علمه بانّه يولّي بني اُميّة، وهم يهدمون الدين، ويذلّون المؤمنين، ويعزّزون المنافقين، ولولا بغضه لأمير المؤمنين عليه السلام، وبهتانه عليه اىّ حبّ أظهر عليه السلام لبنىّ عبد المطلب وقد عمل مع أخيه لما طلب منه صاعاً من البر زائداً على حقه ما عمل من احراقه بحديدة محماة تعالوا أهل العالم ايصروا كلام هذا الرجل وفهم اتباعه

قول المصنف «ومن كلام له عليه السلام لبعض اصحابه، وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به» سأل ابو زيد النحوى خليل بن احمد العروضى لم هجر الناس عليا عليه السلام. وقربا من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قربا وموضعه من المسلمين موضعه، و عناه فى الاسلام عناه فقال «بهروا اللّه نورهم أنوارهم، و غلبهم على صفو كل منهل، والناس الى أشكالهم أميل أما سمعت قول الاول:

وكل شكل لشكله آلف × أما ترى الفيل يألف الفيلا

قال: وانشدنا الرياشى فى معناه عن العباس بن احنف:

وقائل كيف تهاجرتما × فقلت قولا فيه انصاف

لم يك من شكلى فهاجرته × والناس اشكال والّاف

وسأله أيضاً فى مقام آخر فقال: ما بال اصحاب النبىّ كانهم بنوأم واحدة، و على عليه السلام كأنه ابن علّة فقال: تقدّمهم اسلاماً، وبذّهم شرفاً، وفاقهم علماً، و رجحهم حلماً، وكثرهم هدى فحسدوه، والناس إلى أمثالهم وأشكالهم أميل.

وقيل للسجاد عليه السلام: ما أشدّ بغض قريش لجدّك على عليه السلام قال: لأنّه اورد اولهم النار، والزم آخرهم العار.

وسأل الحسن بن فضال الرضا عليه السلام: كيف مال الناس عن امير المؤمنين عليه السلام الى غيره وقد عرفوا فضله وسابقته، ومكانه من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: إنّما

مالوا عنه الى غيره ، وقد عرفوا فضله لانه كان قتل من آبائهم واجدادهم ، واخوانهم ، واعمامهم ، واخوالهم ، واقرباءهم المحاربين لله ورسوله عدداً كثيراً وكان حقدهم عليه لذلك فى قلوبهم فلم يحبّوا ان يتولّى عليهم ، ولم يكن فى قلوبهم على غيره مثل ذلك لانه لم يكن لغيره من الجهاد بين يدى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما كان له .

و روى الزبير بن بكار فى موفّقياته خبراً طويلاً ـ وقد نقله (حد) فى عنوان قوله عليه السلام للمغيرة بن اخنس « يا ابن اللعين الابتر » ـ وفيه انّ عثمان قال لابن عباس : ولقد علمت أنّ الأمر لكم ، ولكن قومكم دفعوكم عنه ، واختزلوه دونكم . فوالله ما أدرى أرفعوه عنكم أم رفعوكم عنه ـ إلى أن قال ـ فقال ابن عباس : فامّا صرف قومنا عنّا الأمر فعن حسد قد والله عرفته ، وبغى قد والله علمته . فالله بيننا وبين قومنا ، و اما قولك انك لا تدرى أرفعوه عنّا أم رفعونا عنه . فلعمرى انك لتعرف أنّه لو صار إلينا هذا الأمر مما ازدنا به فضلاً إلى فضلنا ، ولا قدراً إلى قدرنا ، وانّا لأهل الفضل وأهل القدر ما فضل فاضل الّا بفضلنا ، ولا سبق سابق الّا بسبقنا ، ولولا هدينا ما اهتدى أحد ، ولا أبصروا من عمى .

و روى الواقدى فى شوراه ـ وقد نقله (حد) أيضاً ثمة ـ عن ابن عباس ـ فى خبر ـ قال : فقال عثمان له : عليه السلام : فان كنت تزعم أنّ هذا الأمر جعله النبىّ لك . فقد رأيناك حين توفّى نازعت . ثم اقررت فان كانا لم يركبا من الأمر جدداً فكيف اذعنت لهما بالطاعة وبخعت بالاطاعة ـ إلى أن قال ـ فقال على عليه السلام : و اما عتيق ، وابن الخطاب . فان كانا أخذا ما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى فانت والمسلمون أعلم بذلك ، ومالى ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين ـ الخبر ـ

قلت : يكفيهم لاتمام الحجّة عليهم ادعاؤه ، ونزاعه أوّلاً ، وأما إقراره أخيراً فكان عن اضطرار لعدم حصول انصار له بعد تكرر الاستنصار منه .

و روى الجوهرى فى سقيفته ـ وقد نقله (حد) ثمة أيضاً ـ عن محمّد بن قيس الأسدى عن معروف بن سويد قال : كنت بالمدينة أيّام بويع عثمان . فرأيت

فى المسجد رجلاً جالساً . وهو يصفق باحدى يديه على الاُخرى والناس حوله وهو يقول : واعجبا من قريش واستيثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت معدن الفضل، ونجوم الارض ، ونور البلاد ، والله انّ فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله أولى منه بالحق ، ولا أقضى بالعدل ، ولا آمر بالمعروف ، ولا أنهى عن المنكر .

قال : فسألت عنه . فقيل لى : هذا المقداد . فقمت إليه ، وقلت : أصلحك الله من الرجل الّذى تذكر . قال ابن عم نبيّك على بن أبى طالب . قال : فلبثت ما شاء الله ثم لقيت اباذر فحدّثته ما قال المقداد . فقال : صدق قلت : فما يمنعكم أن تجعلوا الأمر فيهم قال : أبى ذلك قومهم ـ الخبر ـ

وقال ابن قتيبة فى خلفائه ـ بعد ذكر انّ عدىّ بن حاتم الطائى دعا طيا قومه إلى نصرته عليه السلام لما أراد حرب الجمل ، وقال لهم « قد أظلّكم على عليه السلام والناس معه من المهاجرين والبدريين والأنصار وكونوا أكثرهم عدداً فإنّ هذا سبيل للحىّ فيه الغنى والسرور ، وللقتيل فيه الحيوة والرزق » فصاحت طى (نعم) حتّى كاد أن يصمّ من صياحهم ـ « انه عليه السلام لمّا اقدم على طى أقبل شيخ من طى قد هرم من الكبر . فرفع له من حاجبيه ، فنظر الى على عليه السلام . فقال له ، أنت ابن أبى طالب قال : نعم قال : مرحباً بك ، وأهلاً قد جعلناك بيننا وبين الله ، وعدى بن حاتم بيننا وبينك ، ونحن بينه ، وبين الناس والله لو اتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك ـ لقرابتك من الرسول ، وايّامك الصالحة ، ولئن كان ما يقال فيك من الخبر حقّاً انّ فى أمرك وأمر قريش لعجباً إذ أخرجوك وقدّموا غيرك ، فوالله لا يتخلف عنك من طى إلّا عبد أو دعىّ .

وقال ابن عبد ربه فى عقده : قال ابن عباس ، ما شيت عمر بن الخطاب يوماً فقال لى : يا ابن عباس ما يمنعكم قومكم منكم ، وأنتم أهل البيت خاصّة ؟ قلت : لا أدرى . قال : لكنّى أدرى انّكم فضّلتموه بالنبوّة . فقال : إن فضّلوا بالخلافة لم يبقوا لنا شيئاً

وانّ أفضل النصيبين بأيديكم بل ما أخالها إلّا مجتمعة لكم ، وان نزلت على رغم أنف قريش .

وروى ابن ديزيل ـ وقد نقله (حد) عند قوله عليه السلام لمّا اشاروا عليه بالاستعداد للشام » مسنداً عن زيد بن ارقم قال : قال النبى صلى الله عليه وآله الا ادلكم على ما إن تسالمتم عليه لم تهلكوا إنّ وليّكم الله وامامكم على بن أبى طالب فناصحوه وصدّقوه فانّ جبرئيل أخبرنى بذلك .

وقال (حد) بعد نقله : فإن قلت : هذا نص صريح قلت : يجوز أن يريد أنّه إمامهم فى الفتاوى لا فى الخلافة ، وقال : انّ قول شيوخه البغداديين انّ الامامة كانت له ان نازع عليها ، وامير المؤمنين لم ينازع الأئمة الثلاثة ، ولا جرّد السيف فدل ذلك على اقراره لهم فلذلك تولينا هم .

قلت : فإن كان هذا الدين فالحق للملحدين ، وان كان هؤلاء عقلاء فأقوالهم ضحكة المجانين . فنازع يوم السقيفة حتّى أرادوا إحراقه مع امرأته وابنيه وكتب إليه معاوية « كنت تقاد لبيعة أبى بكر كما يقاد الجمل المخشوش » ونازع يوم الشورى حتّى هدّدوه بقتله بالسيف حسب دستور عمر فى من لم يقبل دستوره ، ولم يتكلّم يوم عمر لأنّه لم يقدر على التكلم فى قبال سلطنة مستقرة ، وهل يقدر رجل واحد أو بيت واحد أن يجرّد السيف فى وجه حكومة قاهرة إلّا أنّهم كما أنكروا النص المتواتر لا غرو أن ينكروا نزاعه ، وقد عرفت خبر كتاب شورى الواقدى أنّ عثمان قال له « فإن كنت تزعم أنّ هذا الأمر جعله النبىّ لك . فلقد رأيناك حين توفى نازعت ثم اقررت » ولمّا أراد عثمان اغراء العامة به بأن يقول عليه السلام فى أبى بكر وعمر شيئاً قال عليه السلام له « مالى ولهذا الأمر . وقد تركته مند حين » .

وروا أنّ عمر قال لابن عباس ـ وقد نقله (حد) عند شرح قوله عليه السلام (لله بلاد فلان) ـ أنتم أهل رسول الله وبنو عمّه . فما تقول ، منع قومكم منكم . قال « لا أدرى علّتها والله ما أضمرنا لهم إلّا خيراً » قال : اللّهم غفراً إنّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم

النبوّة ، والخلافة فتذهبوا فى السماء شمخاً وبذخاً ، ولعلكم تقولون انّ أبا بكر أوّل من اخّركم ما انّه لم يقصد ذلك ، ولكن حضره أمر لم يكن بحضرته أحزم منّا فعل ، ولو لا رأى أبى بكر فىّ لجعل لكم من الأمر نصيباً ، ولو فعل ما هنأكم مع قومكم أنّهم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره .

و روى ابرهيم الثقفى فى كتابه عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنّه لمّا كثر أقاويل الناس فى أمير المؤمنين عليه السلام وفى المتقدّمين عليه قال له عليه السلام : ما أدرى ما اقول إذا سئلت عن المتقدمين عليك . فإن قلت : إنّهم كانوا أولى منك . فعلام نصبك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حجّة الوداع ، وقال ما قال ، وان كنت أنت أولى فعلى م نتولى أولئك فقال عليه السلام : انّ اللّه تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّى بقميصى هذا ، وإنّه كان من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلىّ عهد لو خزمتمونى بأنفى لا قررت سمعاً وطاعة للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أن قال ـ فقال عبد الرحمن له عليه السلام أنت يا أمير المؤمنين كما قال الأول :

لعمرى لقد أيقظت من كان نائماً × و أسمعت من كانت له اذنان

« فقال يا اخا بنى اسد » كان الرجل من دودان بن أسد بن خزيمة . فقد عرفت أنّ المفيد نقله (يا ابن دودان) والصدوق نقله « يا أخا بنى دودان » وبنو أسد فى العرب اثنان : أحدهما من مضر وهو (اسد بن خزيمه بن مدركه بن الياس بن مضر) والآخر من ربيعة وهو (أسد بن ربيعة بن نزار) .

هذا ، وفى عيون ابن قتيبة . قال المساور ـ أى العبسى ـ للمرار ـ أى الأسدى :

ما سرّنى انّ امّى من بنى أسد × وإنّ ربّى ينجينى من النار
و إنّهم زوّجونى من بناتهم × وإنّ لى كلّ يوم ألف دينار

فأجابه المرار :

فلست للأم من عبس ومن أسد × و إنّما أنت دينار ابن دينار

وان تكن أنت من عبس وأمّهم × فإنّ امّكم من جارة الجار

قال (دينار ابن دينار) عبد ابن عبد و (جاره) الاست و (الجار) الفرج

«انّك لقلق الوضين» قال فى النهاية بعد نقل كلامه عليه السلام أراد أنّه سريع الحركة يصفه بالخفّة، وقلّة الثبات كالحزام إذا كان رخوا و (الوضين) بطان منسوج بعضه على بعض يشدّ به الرحل على البعير كالحزام للسرج.

«ترسل فى غير سدد» قالوا: أى تطلق الدابة فى غير استقامة، وقد عرفت أنّ الصدوق، والمعيد رويا ه (ترسل غير ذى مسد) والمسد حبل من ليف أو خوص، وقد يكون من جلود الابل أو أوبارها ـ أى تطلق مركبا غير ذى حبل فلا تقدر على أخذه إذا أردت أخذه ـ والمراد تتكلم فى موضع لا ينبغى التكلم فيه لعدم استطاعتك على جبران ما يحدث منه لانه عليه السلام كان فى أصعب موقف بصفين كما عرفت من رواية الصدوق، وأكثر أصحابه كانوا غير مستبصرين فيه، وكيف وكانت منهم الخوارج الّذين حدثوا فى آخره بمجرد رفع معاوية المصاحف على القناة. فأجبروه على التحكيم ثم كفّروه. فكيف امكنه عليه السلام الشكاية منهم، ونسبة الظلم الى صديقهم وفاروقهم.

ذاكر رجل مع الباقر عليه السلام شيئا من أمرهما فقال عليه السلام «ضربوكم على دم عثمان ثمانين سنة، وهم يعلمون أنه كان ظالما. فكيف إذا ذكرتم صنميهم.

«ولك بعد ذمامة»: أى حرمة.

«الصهر» قال (حد) ويروى (ماتّة الصهر) أى ووسيلته. قال (قال عليه السلام ذلك لأنّ زينب بنت جحش زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانت أسدية، وهى بنت (جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة) وأمّها اميمة بنت عبد المطلب فهى بنت عمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، والمصاهرة المشار اليها هى هذه، ولم يفهم الراوندى. فقال «كان عليه السلام تزوّج فى بنى اسد» ولم يصب فانّه عليه السلام لم يتزوج فيهم» ـ ثم ذكر (حد) أولاده عليه السلام وأمّهاتهم لبيان عدم

تزوجه فيهم.

قلت: إنّ مدّعاه وان كان صحيحاً الّا أنّ دليله أعم فللخصم أن يقول تزوج بأسدية لم تكن ذات ولد. ثم يمكن أن يريد عليه السلام بالمصاهرة ما ذكره من زينب زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهى أول من مات من أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم بعده، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه، ويمكن أن يريد عليه السلام بالمصاهرة أنّ جحشاً وهو أسدى تزوج عمته عليه السلام اميمه، و يمكن أن يريد عليه السلام بالمصاهرة كون أم كلاب الثالثة - وكلاب جدّ عبد مناف جدّ جدّه عليه السلام - هند بنت دودان بن أسد وامّ لوىّ بن غالب الثالثة - ولوىّ أبو جدّ كلاب - تماضر بنت الحارث بن تعلبة بن دودان بن أسد، وأم تلك رهم بنت كاهل بن أسد بن خزيمة كما صرّح به كاتب الواقدى فى طبقاته فى أمّهات آباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم، والصهر يعمّ أقرباء الزوجين قال الجوهرى «وكلّ شئ من قبل الزوج مثل الأب والأخ فهم الاحماء، وكلّ شئ من قبل المرئة فهم الاختان والصهر يجمع هذا كلّه.

و رعاية ذمامه الصهر كرعاية ذمامة الرحم قال تعالى «وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً»[1] و كانت عداوة يزيد بن عبد الملك مع يزيد بن المهلّب لانّه كان عذّب اصهاره آل أبى عقيل، فكانت عنده بنت محمّد بن يوسف أخى - الحجاج بن يوسف، و هى امّ ابنه الوليد. فعذّبهم أيّام سليمان بن عبد الملك بعداوة سليمان مع الحجاج لأنّه كان حمل الوليد أخاه على خلعه، فكان يزيد بن عبد الملك حلف لئن أمكن من يزيد بن المهلّب ليقطعنّ منه طابقاً. فكان ذلك سبباً لفراره من سجن عمر بن عبد العزيز، وخروجه حتّى قتل مع أهل بيته.

وفى الطبرى أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لمّا قسّم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث لثابت بن قيس أو لابن عمه، فكاتبته على نفسها وذكر أنّها جائت إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، واستعانت منه على كتابتها وانّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: فهل لك فى

(۱) الفرقان ۵۴.

خيرمن ذلك أقضى كتابتك ، وأتزوجك قالت : نعم قال : قد فعلت ، وخرج الخبر إلى الناس أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم تزوج جويرية بنت الحارث . فقال الناس : اصهار النبى (ص) . فارسلوا ما بأيديهم . فاعتق بتزوجه إيّاها مأة أهل بيت من بنى المصطلق . فما علم امرئة كانت أعظم بركة على قومها منها .

«وحق المسألة» روى الكافى عن الصادق عليه السلام قال : قرأت فى كتاب على عليه السلام أنّ الله تعالى لم يأخذ على الجهّال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء ببذل العلم للجهّال لأنّ العلم كان قبل الجهل .

«وقد استعلمت فاعلم ما الاستبداد» : أى التقدم .

«علينا بهذا المقام» : أى الخلافة والسلطنة .

«ونحن الأعلون نسبا» ممّن تقدم علينا قال الباقر عليه السلام : كان للنبى صلى الله عليه وآله وسلم صديقان يهوديان قد آمنا بموسى عليه السلام وأتيا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسمعا منه وكانا قد قرئا التوراة . وصحف إبرهيم وموسى عليهما السلام وعلما علم الكتب الأولى . فلمّا قبض الله تعالى رسوله أقبلا يسألان عن صاحب الأمر بعده ، وقالا : إنّه لم يمت نبى قط الّا وله خليفة يقوم بالأمر فى أمّته بعده قريب القرابة إليه من أهل بيته عظيم الخطر جليل الشأن فقال أحدهما لصاحبه : هل تعرف صاحب هذا الأمر من بعد النبى . قال الآخر : لا أعلمه إلّا بالصفة الّتى أجدها فى التوراة هو الأصلع المصفّر قال : فلمّا نظرا إلى أبى بكر قالا : ليس هذا صاحبنا ثم قالا له : ما قرابتك من النبىّ قال : انّى رجل من عشيرته وهو زوج ابنتى عايشة قالا : ليس غير هذا قال : لا قالا : ليست هذه بقرابة قالا : فأخبرنا أين ربك قال : فوق سبع سموات قالا : هل غير هذا . قال : لا قالا : دلّنا على من هو أعلم منك فارشدهما إلى عمر ـ إلى أن قال ـ

فأرشدهما عمر الى على عليه السلام فلمّا نظرا اليه قال أحدهما : انّه الرجل الّذى نجد صفته فى التوراة انّه وصى هذا النبىّ وخليفته وزوج ابنته وابو السبطين والقائم بالحق بعده ، فلمّا سألاه قالا : هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة ، وهذه الصفة الّتى نجدها

فى التورا وقال عليه السلام فى جواب سؤالهما إن شئتما أنبأتكما بالّذى كان على عهد نبيّكما ، وان شئتما أنبأتكما بالّذى كان على عهد نبيّنا ـ الخبر .

« والا شدّون بالرسول نوطا » : أى لصوقا ويكفى فى شدّة نوطهم بالنبىّ ـ صلّى اللّه عليه وآله قوله تعالى « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم » (۱) فجعل ـ عزّوجلّ ـ ابنى امير المؤمنين عليه السلام ابناء النبىّ صلّى اللّه عليه وآله ، وامرأة أمير المؤمنين عليه السلام نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونفس أمير المؤمنين عليه السلام نفس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

قال المأمون يوماً لأبى الحسن الرضا عليه السلام أخبرنى بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدلّ عليها القرآن .

فقال الرضا عليه السلام : هو فى المباهلة قال اللّه تعالى « فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللّه على الكاذبين » (۲) فدعا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه ، ودعا فاطمة عليها السلام فكانت فى هذا الموضع نساءه ، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم اللّه ـ عزّوجلّ ـ وقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق اللّه أجلّ من النبىّ وأفضل فوجب أن لا يكون أحد أفضل ممّن هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحكم اللّه ـ عزّوجلّ ـ

فقال المأمون : أليس اللّه قد ذكر الأبناء بلفظ الجمع ، وانما دعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابنيه خاصة ، وذكر النساء بلفظ الجمع وانما دعا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ابنته وحدها فلم لا جاز ان يذكر الدعاء لمن هو نفسه ، ويكون المراد نفسه فى الحقيقة دون غيره فلا يكون له ما ذكرت من الفضل .

فقال الرضا عليه السلام : ليس بصحيح ما ذكرت وذلك أنّ الداعى إنّما يكون ،

(۱ و ۲) آل عمران ۶۱

داعياً لغيره كما يكون الآمر آمراً لغيره واذ لم يدع النبى ﷺ رجلاً فى المباهلة إلّا امير المؤمنين عليه السلام ثبت أنّه نفسه الّتى عناها الله تعالى فى كتابه ، وجعل حكمه ذلك فى تنزيله .

فقال المأمون : اذا ورد الجواب سقط السؤال .

« فإنّها كانت اثرة شحّت عليها نفوس قوم » قال (حد) يعنى به على قولنا نفوس أهل الشورى ، وعلى قول الامامية نفوس أهل السقيفة .

قلت : يشهد لقول الامامية قوله عليه السلام فى كتابه إلى عثمان بن حنيف فى أمر فدك « فشحّت عليها نفوس قوم » فلاريب أنّ الآخذين لفدك إنّما كانوا أهل السقيفة وهل يوم الشورى إلّا فرع يوم السقيفة ، ولولا أثر يوم السقيفة لم يوجد يوم شورى ومؤسس يوم الشورى أيضاً كان رجال أهل السقيفة وهل كان يوم السقيفة يوماً لا يشكا منه ، وقد أرادوا إحراقه وإحراق أهل بيته ، وهل كان يوم السقيفة يوماً تخفى سوأته حتى يواريه ، ولقد أجاد أبوبكر بن قريعة القاضى فى أبياته فى ذاك اليوم وما ترتب عليه جيفه

يا من يسائل دائباً عن كلّ معضلة سخيفه × لا تكشفن مغطّى فلربما كشفت عن

ولرب مستور بدا كا لطبل من تحت القطيفه
انّ الجواب لحاضر لكنّنى أخاف خيفه
لولا اعتداء رعيه ألقى سياستها الخليفه
وسيوف أعداء بها ماتنا أبداً تقيفه
لنشرت من أسرار آل محمّد جملاً لطيفه
تغنيك عمّا رواه مالك وأبو حنيفه
وأريتكم أنّ الحسين أصيب يوم السقيفه
ولأىّ حال لحدّت بالليل فاطمة الشريفه

ولما حمت شيخيكم عن وطأ حجرتها الشريفة

اوه لبنت محمّد ماتت بغصّتها أسيفة

وهل شكايا ته عليه السلام عن أهل السقيفة أمر غير متحقق حتّى يتشكك فيه ، و مع تقيته عليه السلام عنهم أمر متواتر . روى ابن بكير الغنوى عن حكيم بن جبير قال: حدّثنا من شهد علياً عليه السلام بالرحبة يخطب فقال فى ما قال «أيّها الناس انكم قد أبيتم الّا أن أقول أما ورب السماء والأرض لقد عهد الىّ خليلى انّ الأمة ستغدر بك من بعدى

و روى اسمعيل بن سالم عن ابن أبى ادريس الأودى قال : سمعت علياً يقول: انّ فى ما عهد إلىّ النبىّ الامى صلى الله عليه وآله وسلم انّ الامّه ستغدر بك من بعدى .

وقد روى العباس بن عبد اللّه العبدى عن عمرو بن شمر عن رجاله عن على عليه السلام قال فى كلام « حتّى قبض اللّه تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فكانت الطامّة الكبرى - إلّا أنّ دأب إخواننا التشكيك فى البديهيات .

هذا ، ومن أسباب شحّ نفوس قوم وهم قريش عليه عليه السلام بنيل الأمر إليه أنّهم سموا أنّه لو صار الأمر إليه لا يرى غيره مستحقاً لكون الامامة عنده كالنبوة أمراً من قبل اللّه تعالى فلا يدع رجوع الأمر إليهم يوماً ، ولذا شحّوا عليه عليه السلام يوم الشورى أيضاً كالسقيفة فقال عليه السلام - كما فى خلفاء ابن قتيبة - «فما كانوا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولاية تى لأنّهم كانوا يسمعوننى ، وأنا احاجّ أبا بكر ، وأقول « يا معشر قريش أنّا احقّ بهذا الأمر منكم ما كان منّا من يقرء القرآن ويعرف السنة فخشوا إن وليت عليهم أن لا يكون لهم فى هذا الأمر نصيب» - إلى آخره .

والعجب أنّ بعض العامّة كانوا يقولون انّ مذهب الشيعة كان سياسة من بعض الملوك مع أنّ أصل اختيار قريش لأبى بكر كان سياسة منهم حتّى يحصل لهم شركة فى الأمر . فقال المغيرة بن شعبة لأبى بكر و عمر يوم السقيفة حاثّا لهما على ادعاء الأمر « أتريدون أن تنظروا خيل الحلبة من أهل هذا البيت وسعّوها فى قريش تتسع » .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام يوم السقيفة لعمر - كما فى الطبرى و غيره - « ما ترت

أبا بكر اليوم ليؤمّرك غدا» وقال عليه السلام لعبد الرحمن بن عوف يوم الشورى لما بايع عثمان مثل ذلك، ولما كان عما ريوم السقيفة يحضّ عليه عليه السلام انتهره بنو مخزوم وسبّوه، وقالوا له: ما أنت والد خالة فى أمر قريش ومرهنا قول المقداد يوم السقيفة صافقاً إحدى يديه على الأخرى واعجباً من قريش واستيثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت معدن الفضل ونجوم الأرض ـ إلخ ومرّ قول عمرو عثمان لابن عباس أتدرى ما منع قومكم منكم

وانّما مذهب لا يجامع السياسة مذهب الشيعة حيث لا يرون لغير أمير المؤمنين عليه السلام وأحد عشر من عترته حقّاً ولا أهل حق والسياسة ليست قائلة بحق فمذهب الشيعة بالضدّ ممّا قالوا لم يمنع من نشره الّا السياسة ـ ولمّا أنشأ المعتضد كتاباً بلعن معاوية مستدلّاً فيه بالكتاب والسنّة والحجج الجليّة وأراد نشره قال له قاضيه يوسف بن يعقوب: أخاف أن تضطرب العامّة. فقال المعتضد: ان تحرّكت العامة أو نطقت وضعت فيهم سيفى قال له «فما تصنع بالطالبيين الّذين هم فى كل ناحية يخرجون ويميل إليهم كثير من الناس بقرابتهم من النبىّ صلى الله عليه وآله وبمآثرهم، وفى هذا الكتاب اطراءهم واذا سمع الناس ذلك كانوا اليهم أميل وكانوا ابسط السنة واثبت حجّة منهم اليوم» ـ فامسك المعتضد عن جوابه ولم يردّ عليه شيئاً، ولم يأمر فى الكتاب بشئ.

وملوك آل بويه كانوا شيعة متدينين، وكانوا متمكنين من خلع العباسيين ونصب العلويين كالرضى والمرتضى، ولم يفعلوا ذلك سياسة.

وكيف لا يشحّون عليه عليه السلام فمع علمهم بأنّه لو صار الأمر إليه عليه السلام لم يدع صيرورته اليهم أبد اعلموا أنّهم لو صرفوا النظر عن وصول الأمر إليهم لم يدعهم إذا وصل الأمر اليه وهواهم لتنمره فى ذات الله كما أفصحت عنه سيّدة نساء العالمين. فقالت: ما نقموا منه عليه السلام إلّا تنمره فى ذات الله.

وقد كان عمر بن عبد العزيز مع انه انما كان صالحاً بالنسبة إلى بنى أميّة لا بالنسبة إلى الواقع لم يقدر سليمان بن عبد الملك على نصبه لهواه فيه حتّى دبّر

فى أمره بجعل أخيه يزيد بن عبد الملك بعده ، ولما أراد الحمل بالحق فى الجملة ، قتلوه .

قال الطبرى فى الخارجة التى خرجوا على عمر بن عبد العزيز فى سنة [١٠٠] وارسلوا رجلين لمناظرته . فقالا له : أخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك قال : صيره غيرى قالا : أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه أتراك كنت ، ادّيت الأمانة إلى من ائتمنك فقال : انظرانى ثلاثاً فخرجا من عنده وخاف بنو مروان أن يخرج ماعندهم ، وما فى أيديهم من الأموال ، وأن يخلع يزيد . فدسّوا إليه من سقاه سمّا . فلم يلبث بعد خروجهما من عنده إلّا ثلاثاً حتى مات .

وكما أنّ السياسة أخفت مذهب الشيعة مع كون حقيقته كالشمس فى رابعة النهار . فهل خليفة النبىّ الّا من كان مثله علماً وحلماً وفضلاً وتقوى أم بالضد نشرت وشهرت مذهب السنة مع كون بطلانه واضحاً لاشتماله على الجمع بين الضدين وانكار المتواترات ، وغير ذلك من خلاف مقتضى العقول قال الطبرى : قال الرشيد لعبد الله بن مصعب الزبيرى ، ما تقول فى الّذين طعنوا على عثمان ؟ قال : طعن عليه ناس ، وكان معه ناس ، فأمّا الّذين طعنوا عليه فتفرقوا عنه . فهم أنواع الشيع وأهل البدع ، وأنواع الخوارج ، وأمّا الّذين كانوا معه . فهم أهل الجماعة إلى اليوم . فقال له : ما احتاج أن أسأل بعد هذا اليوم عن هذا .

وسأله أيضاً عن منزلة أبى بكر وعمر من النبىّ ﷺ . فقال له : كانت منزلتهما فى حياته منه منزلتهما فى مماته . فقال له : كفيتنى ما احتاج إليه) .

أفلم يكن هرون عارفاً بحقيقة الأمر أكان عامياً يغفّل بمثل هذه الكلمات الا أنه لو كان لم يقبل قوله يقال له : وما أنت وهذا الأمر . فكان مضطراً الى قبول قوله .

ثم كيف سمّى المتفرقين عن عثمان أهل الشيع وأهل البدع وابوه ـ أى مصعب الزبيرى قائل الكلام ـ وهو حواريهم ، وصاحبه طلحة احد عشرتهم وستتهم كانا ممّن تفرق عنه بل من الملبّين عليه ، وابن عوف حكم عمر الذى نصبه مات متهاجراً له .

وكيف سمّاهم أهل البدع، وعمار المتّفق على جلاله حتّى من أعدائه أحد قتلته قال له عمرو بن العاص فى صفين: ما ترى فى قتل عثمان. فقال عمار: قتله فتح لكم باب كل سوء قال عمرو: فعلى قتله. قال عمار: بل الله رب على قتله، وعلى معه. قال له عمرو: اكنت فى من قتله قال: كنت مع من قتله وأنا اليوم اقاتل معهم قال له عمر: لم قتلتموه؟ قال عمار: اراد أن يغيّر دیننا. فقتلناه. فقال عمرو لأهل الشام ألا تسمعون قد اعترف بقتل عثمان قال عمار: وقد قالها قبالك فرعون لقومه «ألا تسمعون».

وكذلك استدلاله للأوّل والثانى، ومنزلتهما بقرب قبريهما الم يعلم هرون أنّ النبى صلى الله عليه وآله أمرنى مرضه باخراجهما من المدينة بتأكيده فى تجهيز جيش أسامة لئلا يشهد اموته فيحدث فتنة ـ ألم يمنعه الثانى من الوصية لئلا يضلّوا بعده، وقال انّه ليهجر، ولم يخرجا فى جيش أسامة مع لعنه المتخلّف واعراضه عنهما لما حضراه فى احتضاره.

«وسخت عنها نفوس آخرين» قال (حد) (سخت يعنى جادت) قلت (سخت به) بمعنى جادت، واما (سخا عنه) كما هنا فبمعنى تركه قال الجوهرى (سخيت نفسى عن الشئ) إذا تركته.

وقال (حد) أيضاً (يعنى عليه السلام بقوله (وسخت عنها نفوس آخرين نفسه) وتبعه (خو) أيضاً.

قلت: بل أراد عليه السلام بقوله «نفوس آخرين نفوس المهاجروالأنصار غير الشيخين، واتباعهما كما أنّ المراد بقوله عليه السلام» شحّت عليها نفوس قوم الشيخان وأتباعهما من قريش.

ونظير كلامه عليه السلام هذا قول زوجته سيّدة نساء العالمين عليها السلام لما انصرفت من مجلس أبى بكر هذا ابن أبى قحافة قد ابتزّنى نحلة أبى، وبلغة ابنىّ، والله لقد أجدّ فى ظلامتى، وألدّ فى خصامى حتّى منعتنى قيلة نصرها، والمهاجر

وصلها ، وغضّت الجماعة دونى طرفها فلا مأنع ولا دافع» والحكم بيننا و بين الشاحّين عليها والساخين عنها الله الذى يجزى كل نفس بما كسبت.

«والمعود إليه يوم القيمة» هكذا فى (حد) والمصرية ، ولكن فى (ثم) والخطية (والمعود إليه القيمة).

وفى كلام الصّديقة لأبى بكر فى فدك برواية أحمد بن أبى طاهر البغدادى فى بلاغاته «ابتزّ ارث أبى ، أفى الكتاب أن ترث أباك ، ولا أرث أبى لقد جئت شيئاً فرياً فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك . فنعم الحكم الله ، والزعيم محمّد ، والموعد القيمة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولكل نبا مستقر و سوف تعلمون .

«ودع عنك نهبا صيح في حجراته» اقتصر فى المصرية من هذا البيت ، وهو بيت امرئ القيس على صدره هذا ، وفيها سقط . فالنهج كان مشتملاً على عجزه و هو .

«لكن حديثاً ما حديث الرواحل» لاشتمال (حد ، وثم ، والخطية) عليه واما قول (حد) روى ان امير المؤمنين عليه السلام لم يستشهد إلّا بصدره واتمه الرواة فلم يدل إلا على أنّ النهج وان كان مشتملاً عليه إلّا أنّ أصل كلامه عليه السلام كان خالياً منه ، وانما زاده الرواة فأخذ منهم المصنف ، وقد عرفت أنّ رواية الصدوق كانت خالية منه ، و رواية المفيد كانت خالية من أصله .

قال (حد) وكان من قصّة هذا الشعر أنّ امرء القيس لمّا تنقّل فى احياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طى يقال له : طريف بن مل . فأجازه وأكرمه وأحسن اليه . فمدحه وأقام عنده ثم انه لم يوله نصيباً فى جبلى أجا وسلمى . فخاف الّا يكون له منعة . فتحول فنزل على خالد بن سدوس النبهانى . فاغارت بنو جديلة على امرئ القيس ، وهو فى جوار خالد بن سدوس . فذهبوا بابله وكان الّذى أغار عليه منهم باعث بن حويص . فلمّا أتى الخبر امرء القيس ذكر ذلك لجاره .

فقال له : اعطنى رواحلك الحق عليهم القوم . فاردّ عليك ابلك . ففعل فركب خالد فى اثر القوم حتى ادركهم . فقال : يا بنى جديلة أغرتم على إبل جارى قالوا : ماهو لك بجار . قال : بلى وهذه رواحلك . قالوا : كذلك قال : نعم . فرجعوا اليه فانزلوه عنهن ، وذهبوا بهن وبالابل ـ وقيل : بل انطوى خالد على الابل فذهب بها. فقال امرؤ القيس : دع عنك نهبا . البيت .

قلت : والذى رواه ابو الفرج فى الاغانى هكذا نزل امرؤ القيس فى ارض طى برجل من بنى جديلة يقال له المعلى بن تيم فقال فيه :

كأنّى إذ نزلت على المعلّى × نزلت على البواذخ من شمام

فما ملك العراق على المعلى × بمقتدر ولا ملك الشآم

فلبث عنده ، واتخذ إبلاً هناك فغدا قوم من بنى جديلة يقال لهم بنو زيد فطردوا الابل وكانت لامرئ القيس رواحل مقيّدة عند البيوت خوفا من ان يدهمه امر ليسبق عليهن . فخرج حينئذٍ فنزل ببنى نبهان من طى فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الابل فاخذتهن جديلة فرجعوا اليه بلا شىء ، فقال

عجبت لمشى الحزقة خالد × كمشى اتان حلئت بالمناهل

فدع عنك نهباً أصيح فى حجراته × ولكن حديثا ما حديثا الرواحل

ففرّقت عليه بنو نبهان فرقا من معزى يحلبها ـ الخبر

ورواه ابن الاثير فى كامله هكذا « نزل امرؤ القيس على المعلى بن تيم الطائى فاقام عنده واتّخذ إبلاً هناك . فغدا قوم من جديلة يقال لهم بنو زيد عليها . فاخذوها فاعطاه بنو نبهان معزى يحلبها . فقال:

إذا ما لم تكن إبل فمعزى × كأنّ قرون جلّتها العصىّ

وفى اشتقاق ابن دريد ، ومن رجال طى فى الجاهلية باعث بن حويص ، وهو الذى اغار على ابل امرئ القيس . فقال :

تلاعب باعث بدمة خالد × واودى دثار فى الخطوب الاوائل

و دثار راعي ابله .

وأمّا لغة البيت فحجرات بالفتح جمع حجرة مثل جمرة وجمرات ومعنى حجراته التي نواحيه وأما تركيبه فقال (حد) (ما) في (حد يثا ما) يحتمل أن تكون ابهامية ، وهي اذا اقترنت باسم نكرة زادته ابهاما وشياعا كقولك « اعطني كتابا ما تريد أيّ كتاب كان » ويحتمل ان تكون صلة مؤكدة كالّتي في قوله تعالى « فبما نقضهم ميثاقهم » وجاز ان تجعل موصولة : أي الّذي هو حديث الرواحل ، وان تجعل استفهامية بمعنى أيّ » .

وتبعه (خو) وقد اخذه (حد) من الزمخشري في قوله تعالى (مثلا ما) ـ والتحقيق أنّ (ما) هذه ابهامية لكنّها لا تزيد النكرة ابهاما بل تقلّل إبهامها حتّى تقرّبها إلى المعرفة لأنّها في المعنى الوصف لها والوصف امّا حقير كما في قوله تعالى « انّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » وامّا عظيم كما في المثل (لا مرما جدع قصيراً نفه » وكما هنا واما الصلة المؤكدة مثل (ما) في ما قال فلا وجه له لأنّ شرطه أن يستغني المعنى عنه . فيصح أن يقال في « فبما نقضهم ميثاقهم » « فبنقضهم ميثاقهم » وهنا لا يستغني عن (ما) لانه يفوت بفوتها الوصف المحتاج إليه ، واما الموصولة فلا يصحّ من حيث انّه معرفة فكيف يكون وصفاً للنكرة لأنّه في تقدير (حديثا الّذي) واما الاستفهامية فانما تصح لو كان قال أولا (حديث الرواحل) ثم يقول (ما حديث الرواحل) كقوله تعالى (الحاقة ما الحاقة) ـ ثم جميع ما أوردنا على (حد) يرد على الزمخشري الّذي هو الأصل لكلامه .

وقال (حد) أيضاً في (ولكن حديثاً) انتصب (حديثاً) باضمار فعل أي (هات حديثاً) أو (حدّثني حديثاً) ويروى (ولكن حديث) أي ولكن مرادي أو غرضي فحذف المبتدء) .

وتبعه (خو) أيضاً قلت : مع النصب يجوز أن يكون اسم (لكن) فقد جوّز يونس والأخفش عمل لكن مخفّفاً . فلا يحتاج إلى تقدير فعل ، ومع الرفع يجوز أن يكون مبتدء وسوّغ الابتداء به الوصف المقدر الّذي يفهم من (ما) كما عرفت ، و (حديث

الرواحل) خبره أو بالعكس ولا يحتاج إلى تقدير أيضاً .

وقال (حد) أيضاً بجواز نصب حديث الرواحل] بكونه بدلاً من «حديثاً ما» وهو كما ترى فانه يخرج الكلام عن كونه تاماً مع أنّ ظاهر السياق كون الاسناد بين الحديثين ، ويحوجه إلى تقدير مخالف للأصل

والرواحل : جمع الراحلة ، والراحلة الإبل المختصة بالركوب ، وعن النبى صلّى اللّه عليه وآله «الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة» .

«وهلّم» : أى تعال قال الجوهرى : قال الخليل : أصله (لمّ) من قولهم (لمّ اللّه شعثه) اى جمعه كأنّه أراد لمّ نفسك إلينا أى اقرب و (ها) للتنبيه و انّما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال جعلا اسماً واحداً يستوى فيه الواحد والجمع — والتانيث فى لغة اهل الحجاز قال تعالى « والقائلين لاخوانهم هلم الينا »[1] .

«الخطب» قالوا : الخطب سبب الأمر .

«فى ابن ابى سفيان» فى مقابلته لى مع كونه ممن حارب النبى صلى الله عليه وآله إلى أن أسره الاسلام بفتح مكة .

ونظير كلامه عليه السلام كلام ابنه الحسن عليه السلام ففى مقاتل أبى الفرج (كتب الحسن عليه السلام إلى معاوية — بعد ذكره عليه السلام محاجّة قريش العرب بأنّهم أقرب من العرب الى النبى صلى الله عليه وآله — فلمّا صرنا اهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله واوليائه الى محاجّتهم وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا فالموعد اللّه ، وهو الولى النصير ، وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا ، و سلطان نبينا ، وان كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الاسلام . فامسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والاحزاب مغمزاً يثلمونه به أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده — واليوم فليتعجب المتعجب من توثّبك يا معاوية على امر لست من اهله لا بفضل فى الدين معروف ولا أثر فى الاسلام محمود ، و أنت ابن حزب من الاحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول اللّه صلى الله عليه وآله ولكنّ اللّه حسيبك)

[1] الاحزاب ١٨ .

ويقال لأميرالمؤمنين عليه السلام أنّ الأمروان كان كما ذكرت من كون الخطب فى ابن أبى سفيان الّا انّ تصدّى تيم وعدى وتدبيرالثانى لابن أبى العاص هوالّذى أطمع ابن أبى سفيان فى الأمر كما قال الفرزدق فى ولاية ابن هبيرة :

ولقد علمت لئن فزارة امّرت × ان سوف تطمع فى الامارة اشجع
من خلق ربك ماهم ولمثلهم × فى مثل ما نالت فزارة يطمع

وكما قال دعبل فى تولى ابرهيم بن المهدى المغنّى للخلافة .

فلئن صلحت لابرهيم × فلتصلحن من بعده لمخارق

وقد كتب معاوية الى الحسن عليه السلام جواب كتابه بانّ مثلى مثل أبى بكر فى تقدمه عليكم بقوّته على هذا الأمر .

و قال (حد) فى موضع آخر ـ بعد نقل مكاتبات بينه عليه السلام وبين معاوية أعجب وأطرف ماجاء به الدهر وان كانت عجائبه وبدائعه جمّة ان يفضى الأمر بعلى عليه السلام الى أن يصير معاوية ندّاً له ونظيراً مماثلاً يتقارضان الكتاب والجواب فليت محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم كان شاهد ذلك ليرى عياناً لا خبراً أنّ الدعوة الّتى قام بها وقاسى اعظم المشاقّ فى تحمّلها ، وكابد الأمور فى الذبّ عنها ، وضرب بالسيوف عليها لمّا مهدّ دولتها وشيّد أركانها ، وملأ الآفاق بها خلصت صفواً عفواً الأعدائه الّذين كذّبوه لمّا دعا اليها ، وأخرجوه عن أوطانه لمّا حضّ عليها ، وادموا وجهه ، وقتلوا عمه واهله فكانّه كان يسعى لهم ، ويداب لراحتهم كما قال ابوسفيان فى ايام عثمان وقد مرّ بقبر حمزه فضربه برجله وقال : يا ابا عمارة انّ الأمر الّذى اجتلدنا عليه بالسيف ، امس اليوم فى يد غلماننا يتلعبون به ـ الخ ـ

قلت : الأمر كما ذكر (حد) لكن أىّ تعيير لمعاوية ؛

بابه اقتدى عدى فى الكرم × ومن يشابه أبه فماظلم

اقتدى معاوية بصدّيقهم وفاروقهم كما صرّح به معاوية نفسه فى جواب

كتابه الى محمد بن ابى بكر وافصح فيه عن الحقيقة قال فيه مخاطباً لمحمّد بن أبى بكر: « ذكرت حق ابن ابى طالب ، وقديم سوابقه ، وقرابته من النبى ، ونصرته لهوموا ساته اياه فى كل خوف وهول ـ إلى ان قال ـ

وقد كنّا ـ وابوك معنا فى حيوة من نبيّنا ـ نرى حقّ ابن أبى طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا فلمّا اختار الله لنبيه ماعنده ، واتمّ له ماوعده ، واظهر دعوته وافلج حجته قبضه اليه . فكان ابوك وفاروقه اول من ابتزّه ، وخالفه على ذلك اتفقا واتسقا ثم دعواه الى انفسهم فابطاعنهما ، وتلكّا عليهما فهمّا به الهموم ، واراد ابه العظيم فبايع وسلّم لهما لا يشركانه فى امرهما ، ولا يطّلعانه على سرّهما حتى قبضا ، وانقضى امرهما ـ الى ان قال فى قيامه بالامر فى قباله عليه السلام ـ

ابوك مهدّ مهاده ، وبنى ملكه وشاده ، فان يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك اوّله وان يكن جوراً فابوك اسّه ، ونحن شركائه ، وبهديه أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، ولولا ماسبقنا اليه ابوك ما خالفنا ابن ابى طالب واسلمناه ، ولكنّا راينا اباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله ، واقتدينا بفعاله . فعب اباك ما بدا لك اودع .

وكتاب معاوية فى جواب محمّد بن ابى بكر هو الكتاب الذى اعتذر الطبرى فى تاريخه عن نقله (بانه كتاب لا تحتمله العامة) و نقله غيره المسعودى و غيره ويقال للطبرى : ان هذا الكتاب لا يحتمله إلّا من انسلخ عن الانسانية .

ثم هل زمان ذى نوريهم الّذى قال فيه أبوسفيان ما قال كان أحسن من زمان معاوية بل يزيد أيضاً فكيف يقبل عثمان بالامامة ، ولا يقبل معاوية فهل السلطان فى زمان عثمان إلّا مروان وأبوسفيان و غلمان بنى امية ، ولم يصلّ عامل من عمال ـ معاوية ، ويزيد صلوة الفجر بالناس فى حال السكر أربعاً مع انشاد أبيات فى الحربده فيها .

ومن العجب أن عامّة العامة قتلوا النسائى أحد ائمة حديثهم ، و صاحب أحد صحاحهم الستة لانه أنكر فضل معاوية . قال ابن خلكان : سئل النسائى عن

معاوية وفضائله فقال : ما أعرف له فضيلة إلا قول النبى ﷺ فيه (لا أشبع الله بطنه) فما زال وايد فعون فى حضنيه وداسوه ثم حمل الى الرملة فمات بها .

ومما يضحك الثكلى ، ويبدّل البكاء بالضحك عجباً أنّ المتسمّين بالعلم منهم جعلوا من لم يكن فساد فى الارض إلا عمل به حتى كفّره من نصبه ، واستباحوا دمه ، وحرّموا تجهيزه أفضل ممّن قال رسول ربّ العالمين فى حقه « لولا أن تقول الناس فيك بالأُلوهية لقلت فيك ما ان لا تمرّ فى طريق إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك » .

فهل للجزاف حدّ ، وهل يتفوه أحد بافضليه الظلمات من النور ، وفى تاريخ بغداد قال ابو عبيد القاسم بن سلام : فعلت بالبصرة فعلتين أرجو بهما الجنّة أتيت يحيى القطّان وهو يقول أبو بكر وعمر و على . فقلت معى شاهد ان من أهل بدر يشهدا أنّ عثمان أفضل من على . قال : بمن قال : حدّثتنا (عن شعبة عن عبد الملك بن ميسرة بن النزال بن سبرة قال : خطبنا عبد الله بن مسعود فقال : أُميرنا خير من بقى ولم نال) — قال : ومن الآخر قلت « الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن ، عن المسور بن مخرمة عن عبد الرحمن بن عوف يقول : شاورت المهاجرين الاولين وأُمراء الاجناد وأصحاب النبى ﷺ فلم أر أحداً يعدل بعثمان » قال : فترك قوله وقال (ابو بكر و عمر و عثمان) .

قبّح الله دينا هذا أساسه مع أنّ شاهديه من أهل بدر ما رواه عنهما رواية لم تعلم صحتها ، والّذى نعلم بالدراية ان ذينك الشاهدين هجراه وفجّراه وكفّراه وقوله فى خبره الثانى « شاورت المهاجرين وأُمراء الأجناد » فلا بد أنّه أراد بالمهاجرين الاولين مثل المغيرة بن شعبة جعله فاروقهم من المهاجرين الاولين لما أراد منع زياد عن أداء شهادته فى زناه حتى يبطل حدّ الله فيه كما انه لا بد من ارادة معاوية بن أبى سفيان بأُمراء الأجناد

ومن الغريب أنّ امامهم الثالث وذا نوريهم يقول لاميرالمؤمنين عليه السلام ـ فى خبر اخراجه لأبى ذر من المدينة الى الربذة ومشايعته عليه السلام لابى ذر مع حظر عثمان عن مشايعته ، وأراد مروان منعه عليه السلام عن ذلك وشتمه له عليه السلام ـ (لم لا يشتمك مروان كانّك خير منه) فأنكر أن يكون من كان بمنزلة نفس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم خيرا من ذاك اللعين ابن اللعين على لسان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

ونقل ابن قتيبة فى مختلف أخباره فى جملة ما ذكره متكلّموهم فى محدّثيهم (أنّهم يقدحون فى الشيخ يسوّى بين على وعثمان أو يقدّم علياً عليه السلام عليه .

هذا ، ونظير كلامه عليه السلام فى الأدب أنه لمّا ولّى خالد بن عبد اللّه القسرى بعد ابن هبيرة الفزارى الّذى قال فيه الفرزدق مخاطباً ليزيد بن عبد الملك الّذى ولّاه :

اولّيت العراق ورافديه × فزاريا احذّ يد القميص

قال شاعر أسدى :

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى × عنها أمية بالمشارق تنزع
فلقد رأى عجباً وأحدث بعده × أمر تضجّ له القلوب وتفزع
بكت المنابر من فزارة شجوها × فاليوم من قسر تذوب وتجزع
وملوك خندف أسلمونا للعدى × للّه درّ ملوكنا ما تصنع
كانوا كتاركة بنيها جانبا × سفهاً وغيرهم تصون وترضع

«فلقد اضحكنى الدهر» فى قيام ابن أبى سفيان فى قبالى .

«بعد ابكاءه» بقيام الاولين .

ومما يبدّل البكاء بالضحك عجبا فى امر معاوية ان بعض النصّاب حرّف قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيه «اذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه» من القتل بقوله (فاقبلوه) من القبول أو لم يرا ان الحسن البصرى الّذى رواه قال بعد الخبر «فما فعلوا ولا افلحوا» و روى أيضاً بلفظ «اذا رأيتم معاوية على منبرى فاضربوا عنقه» .

وكيف وروى نصر بن مزاحم فى صفينه انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : انّ معاوية فى تابوت فى الدرك الاسفل من النار ولولا كلمة فرعون « انا ربكم الاعلى » ماكان احد اسفل من معاوية .

و روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً قال : شرخلق الله خمسة : ابليس، وابن آدم الّذى قتل أخاه ، و فرعون ذوالأوتاد ، ورجل من بنى إسرائيل ردّهم عن دينهم ورجل من هذه الامّة يبايع على كفره عند باب لدّ — ، وروى أنّ رجلاً شامياً سمع ذلك من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا رأى معاوية بويع عند باب لدّ ذكر قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فلحق بعلى عليه السلام .

« ولاغرو » : أى لاعجب .

« فياله خطبا » فى المصباح الخطب الأمر الشديد ينزل .

« يستفرغ العجب » قال (حد) أى يستنفذه ويفنيه يقول (قد صار العجب لاعجب لأنّ هذا الخطب استغرق التعجب فلم يبق منه مايطلق عليه لفظ التعجب ، وهذا من باب الاغراق والمبالغة فى المبالغة قال ابن هانى المغربى

قد سرت فى الميدان يوم طرادهم × فعجبت حتى كدت ان لا اعجبا

قلت لم يعلم استعمال الاستفراغ بمعنى الافراغ ، وماقاله ركيك ، وانما معنى (يستفرغ العجب) لا يدّخر منه شيئاً من قولهم (فرس مستفرغ) لا يدّخر من عَدْوِه قال الشاعر (مستفرغ كاهله اشمّ)

روى ابن عبد ربه فى عقده عن الشعبى قال : دخلت بكارة الهلالية على معاوية بالمدينة وكانت قد اسنّت وعشى بصرها ، وضعفت قوّتها فقال لها معاوية قد غيّرك الدهر قالت : (كذلك هو ذو غير من عاش كبر ، ومن مات فقد . فقال عمرو بن العاص : هى والله القائلة .

دونك فاحتفر من دارنا × سيفاً حساماً فى التراب دفينا

قد كنت ذخره ليوم كريهة × فاليوم أبرزه الزمان مصونا

فقال مروان و هى القائلة :

أترى ابن هند للخلافة مالكا × هيهات ذاك وان أراد بعيد

منّتك نفسك فى الخلاء ضلالة × أغراك عمرو للشقاء وسعيد

فقال سعيد بن العاص هى القائلة :

قد كنت اطمع أن اموت ولا ارى + فوق المنابر من أميّة خاطباً

فالله اخّر مدّتى و تطاولت × حتى رايت من الزمان عجائبا

فى كل يوم للزمان خطيبهم ×× بين الجميع لآل أحمد عائباً

و فى السير لمّا دخل المعتضد برأس صاحب الزنج بغداد دخل فى جيش لم يرمثله ، واشتق أسواق بغداد ، والرأس بين يديه . فلما صار بباب الطريق صاح قوم من دربٍ من تلك الدروب (رحم الله معاوية) وزاد حتى علت اصوات العامّة بذلك ، فتغير وجه المعتضد ، وقال للعلاء بن صاعد : ألا تسمع ما اعجب هذا ، وما الّذى اقتضى ذكر معاوية فى هذا الوقت والله لقد بلع أبى إلى الموت ، وما افلتّ أنا إلّا بعد مشارفته ، ولقينا كلّ جهد وبلاء حتى أنجينا هؤلاء الكلاب من عدوّهم وحصّنا حرمهم ، وأولادهم فتركوا أن يترحموا على العباس ، وعبد الله بن العباس ومن ولد من الخلفاء ، وتركوا الترحم على علىّ بن أبى طالب ، وحمزة وجعفر والحسن ـ والحسين ، والله لا برحت أو أوثّر فى تأديب هؤلاء أثراً لا يعادون بعد هذا اليوم لفعل مثله ـ

ثم أمر بجمع النفّاطين ليحرق الناحية . فقيل له أيّها الامير انّ هذا اليوم من أشرف أيّام الإسلام ، فلو تفسد ه بجهل عامةٍ لا خلاق لهم ولم يزل يداروه حتى سار

وقال الطبرى : وفى سنه (٢٨٤) تقدّم المعتضد إلى الشرّاب والّذين يسقون الماء فى الجامعين أن لا يترحموا على معاوية ، ولا يذكروه بخير ـ الى آخر ما ذكر ـ فمهل عجب فوق هذا هل كان السقاة والشرّاب يترحمون عليه لانّ جروه قتل سيد شباب اهل الجنة عطشاناً .

« ويكثر » من الاكثار .

« الاود » : اى الاعوجاج .

« حاول القوم » : أى أرادوا .

« اطفاء نور الله من مصباحه » : أى سراجه .

روى قرب اسناد الحميرى عن البزنطى قال : قال لى الرضا عليه السلام : ان الناس قد جهدوا على إطفاء نور الله حين قبض الله تعالى رسوله ، و أبى إلّا أن يتمّ نوره ، وقد جهد على بن أبى حمزة على إطفاء نور الله حين مضى أبو الحسن عليه السلام فأبى الله إلّا أن يتم نوره ، وقد هداكم لأمر جهله الناس ـ الخبر ـ

و روى أمالى محمّد بن محمّد بن النعمان عن أبى الحسن على بن محمد البصرى ، عن أبى بشر أحمد بن ابرهيم ، عن زكريا بن يحيى الساجى ، عن عبد الجبار عن سفيان ، عن الوليد بن كثير ، عن ابن الصياد ، عن سعيد بن المسيب قال لمّا قبض النبى صلى الله عليه وآله وسلم ارتجّت مكة بنعيه ، فقال أبو قحافة : ما هذا قالوا : قبض رسول الله ، قال : فمن ولى الناس بعده ؟ قالوا : ابنك . قال : فهل رضيت بنو عبد شمس وبنو المغيرة قالوا : نعم . قال : لا مانع لما اعطى ، ولا معطى لما منع . ما أعجب هذا الأمر تنازعون النبوة ، وتسلّمون الخلافة أنّ هذا الشئ يراد .

وفى مروج المسعودى عن موفقيات الزبير بن بكار الّذى صنّفه للموفق عن المدائنى قال : قال مطرف بن المغيرة بن شعبة : وفد تمع أبى إلى معاوية فكان أبى يأتيه فيحدّث عنده ثم ينصرف إلىّ فيذكر عقله ، ويعجب مما يرى منه إذ جاء ذات ليلة . فامسك عن العشاء فرأيته مغتماً فانتظرته ساعة وظننت أنّه لشئ حدث فينا أو فى عملنا فقلت له : ما أراك مغتمّاً منذ الليلة قال : يا بنى جئت من عند أخبث الناس قلت له : وما ذاك ؟ قال : قلت له ـ وقد خلوت به ـ انّك قد بلغت منا ك فلو اظهرت عدلا وبسطت خيرا فانك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوتك من بنى ـ هاشم فوصلت أرحامهم . فوالله ما عند هم اليوم شئ تخافه فقال لى : هيهات

هيهات ملك أخوتيم فعدل وفعل مافعل فوالله ماعدا ان هلك، فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل ابوبكر. ثم ملك أخو عدى فاجتهد و شمّر عشر سنين. فوالله ماعدا إن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل عمر ثم ملك أخونا عثمان فعمل ماعمل وعمل به. فوالله ماعدا إن هلك فهلك ذكره، وذكر مافعل به وانّ أخاها شم يصرخ به فى كل يوم خمس مرّات (أشهد أنّ محمّداً رسول الله) فأىّ عمل يبقى مع هذا ـ لاأمّ لك ـ والله إلّا دفناً دفناً.

و صرح فى كتابه إلى محمد بن ابى بكر أنّ المؤسس له ذلك، الصديق وفاروقه، ولم يكن المقام مقام افتراء، وإلّا لكذّبه محمّد بن أبى بكر مع أنّه يشهد له الاعتبار الّذى كالعيان.

«وسد فوّاره» مصدر (فار الماء) نبع و جرى.

«من ينبوعه» والينبوع عين الماء قال تعالى «حتى تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً».

روى أخطب خوارزم فى مناقبه انّ النبى ﷺ قال لعلى عليه السلام: اتّق الضغائن الّتى لك فى صدور من لا يظهرها إلّا بعد موتى أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ـ ثم بكى النبى ﷺ فقيل له ممّ بكائك قال: أخبرنى جبرئيل إنّهم يظلمونه، ويمنعونه حقّه، ويقاتلونه، ويقاتلون ولده ويظلمونهم بعده ـ الخبر

و فى عيون ابن قتيبة ـ بعد ذكر جعل معاوية جعالة لمن قتل العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ـ قال على عليه السلام (والله لودّ معاوية انه مابقى من هاشم نافخ ضرمة إلّا طعن فى نيطة إطفاء لنور الله، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولوكره الكافرون)

«وجد حوابينى وبينهم شربا وبيئاً» فى النهاية الجدح أن يحرّك السويق بالماء، ويخوض حتى يستوى، وكذلك اللبن و نحوه، والمجدح عود مجنح الرأس تساط به الأشربة ـ وربما يكون له ثلاث شعب و منه حديث على عليه

السلام «وجدحوا بيني ،وبينهم شرباً وبيئاً» .

وفي المصباح «الوباء بالهمزة مرض عام يمدّ و يقصر ،ويجمع الممدود على أوئبة مثل متاع وأمتعة ،والمقصور على أوباء مثل سبب وأسباب ،» وعن أبي عبيدة (الشَرب بالفتح مصدر وبالخفض والرفع اسمان من شربت) .

روى ابن بابويه عن النضر بن مالك قال :قلت للحسين عليه السلام حدّثني عن قوله تعالى «هذان خصمان اختصموا في ربهم»[1] قال :نحن و بنو اُمية اختصمنا في الله تعالى قلنا :صدق الله ،وقالوا :كذب الله فنحن ، و اياهم الخصمان يوم القيمة .

و روى الشيخ عن قيس بن سعد بن عبادة ،عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أنا أوّل من يجثو بين يدي الله ـ عزّوجلّ ـ للخصومة يوم القيمة .

«فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى» حسب سنة الله تعالى في امتحان عباده .

روى محمد بن بابويه في خصاله عن أبي اسحق ، عن الحارث ، عن محمد بن الحنفية قال :أتى رأس اليهود علي بن أبي طالب عليه السلام عند منصرفه من وقعة النهروان وهو جالس في مسجد الكوفة .فقال له :انّي اُريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبي أو وصي نبي . قال :سل عمّا بدا لك يا أخا اليهود قال : انّا نجد في الكتاب انّ الله ـ عزّوجلّ ـ إذا بعث نبياً أوحى إليه أن يتّخذ من أهل بيته من يقوم بأمر اُمّته بعده وأن يعهد إليهم فيه عهداً يحتذى عليه ـ وأنّ الله ـ عزّوجلّ ـ يمتحن الأوصياء في حيوة الأنبياء وبعد وفاتهم فأخبرني كم يمتحن الله الأوصياء في حيوة الأنبياء ،وكم يمتحنهم بعدهم ،وإلى ما يصير آخر أمر الأوصياء إذا رضي محنتهم . فقال عليه السلام : لئن اجبتك لتسلمنّ قال: نعم .فقال عليه السلام :له انّ الله يمتحن الأوصياء في حيوة الأنبياء في سبعة

(۱) الحج ۱۹ .

مواطن ليبتلى طاعتهم . فإذا رضى طاعتهم ومحنتهم أمر الأنبياء أن يتخذوهم أولياء فى حيوتهم ، و أوصياء بعد وفاتهم ، و يصيّروا طاعة الأوصياء فى أعناق الأمم ممن يقول بطاعة الأنبياء ، ثم يمتحن الأوصياء بعد وفاة الأنبياء فى سبعة مواطن ليبتلى صبرهم . فإذا رضى محنتهم ختم لهم بالسعادة ليلحقهم بالأنبيا وقد أكمل لهم السعادة قال : صدقت .

فأخبرنى كم امتحنك الله فى حيوة محمّد ، وكم امتحنك بعد وفاته ، وإلى ما يصير آخر أمرك ؟

قال : فأخذ على عليه السلام بيده وقال : انهض بنا أنبّئك بذلك ـ فقام إليه جماعة من أصحابه . فقالوا : انبئنا بذلك معه . فقال : إنّى أخاف أن لا تحتمله قلوبكم . قالوا : ولم . قال : لأمور بدت لى من كثير منكم . فقام إليه الأشتر فقال : انبئنا بذلك ، فوالله إنّا لنعلم ما على ظهر الأرض وصى نبى سواك وانّا لنعلم أنّ الله لا يبعث بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله نبيّاً سواه ، وانّ طاعتك فى أعناقنا موصولة بطاعة نبيّنا صلى الله عليه وآله ـ فجلس على عليه السلام وأقبل على اليهودى . فقال : يا أخا اليهود انّ الله ـ عزّوجلّ ـ امتحننى فى حيوة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم فى سبعة مواطن . فوجدنى فيهن ـ من غير تزكية لنفسى ـ بنعمة الله ، له مطيعاً أمّا أوّلهن فانّ الله تعالى أوحى إلى نبيّنا ـ وأنا أحدث أهل بيتى سنّاً أخدمه بين يديه وأسعى فى قضاء أمره ـ فدعا صغير بنى عبد المطلب وكبيرهم إلى شهادة أن لا إله إلّا الله ـ فامتنعوا من ذلك ، وهجروه ، ونابذوه ، واعتزلوه ، وساير الناس مقصين له ، ومخالفين عليه قد استعظموا ما أورده عليهم ممّا لم تحتمله قلوبهم ، ولم تدركه عقولهم . فأجبت نبيّنا وحدى إلى ما دعا إليه مسرعاً مطيعاً لم يتخالجنى فى ذلك شك ـ فمكثنا بذلك ثلاث حجج وما على وجه الأرض خلق يصلى أو يشهد المنبى صلى الله عليه وآله وسلم بما اتاه غيرى و غير ابنة خويلد ـ رحمها الله وقد فعل ـ ثم أقبل عليه السلام على اصحابه . فقال : أليس كذلك ؟ قالوا . بلى .

فقال عليه السلام : وأما الثالثة : فإنّ قريشاً لم تزل تجيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان آخر ما اجتمعت في ذلك يوم دار الندوة ، وابليس حاضر في صورة أعور ثقيف . فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كلّ فخذ من قريش رجل ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه . ثم يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم على فراشه ، فيضربونه بأسيافهم جميعاً ضربة واحد فيقتلوه وإذا اقتلوه منعت قريش رجالها ، ولم تسلمها فيمضي دمه هدراً فهبط جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنبأه بذلك ، وأخبره بالليلة التي يجتمعون فيها ، والساعة التي يأتون فراشه فيها وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار . فأخبرني النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخبر ، وأمرني أن اضطجع في مضجعه ، وأقيه بنفسي . فاسرعت الى ذلك مطيعاً له مسروراً بان أقتل دونه . فمضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجهه واضطجعت في مضجعه ، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبيّ صلى الله عليه وآله فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي فدفعتهم عن نفسي ، وقد علمه الله وعلمه الناس . ثم أقبل عليه السلام على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا : بلى .

فقال عليه السلام : (وأما الثالثة) : يا أخا اليهود فإنّ ابني ربيعة وابن عتبة وكانوا فرسان قريش دعوا إلى البراز يوم بدر فلم يبرز لهم خلق فانتهضني النبي صلى الله عليه وآله مع صاحبي — رضي الله عنهما وقد فعل — وأنا أحدث أصحابي سنّاً ، وأقلّهم للحرب تجربة . فقتل الله بيدي وليد أو شيبة سون سن قتلت من حجاجة قريش في ذلك اليوم ، وسوى من اسرت ، وكان منّي أكثر مما كان من أصحابي ، واستشهد ابن عمي — رحمه الله عليه — في ذلك اليوم — ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه . فقال : أليس كذلك ؟ قالوا : بلى .

فقال عليه السلام : وأما الرابعة : يا أخا اليهود فان أهل مكة اقبلوا إلينا على بكرة أبيهم قد استجلبوا من يليهم من قبائل العرب ، وقريش طالبين بثار مشركي قريش

فى يوم بدر ، فهبط جبرئيل على النبىّ صلى الله عليه وآله . فأنبأه بذلك ، فذهب النبى ـ صلى الله عليه وآله وعسكر بأصحابه فى سدّ أحد ، وأقبل المشركون إلينا فحملوا حملة رجل واحد ، واستشهد وامن المسلمين من استشهد ، وكان من بقى ، من المنهزمة ، وبقيت مع النبىّ صلى الله عليه وآله ، ومضى المهاجرون والأنصار الى منازلهم من المدينة كلّ يقول: قتل النبىّ ، وقتل أصحابه . ثم ضرب الله تعالى وجوه المشركين ، وقد جرحت بين يدى النبىّ صلى الله عليه وآله نيفاً وسبعين جُرحة منها هذه و هذه ـ ثم ألتى عليه السلام ردائه وامرّ يده على جراحاته ـ وكان منّى فى ذلك ما على الله ـ عزّوجلّ ـ ثوابه إن شاء ـ ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه . فقال: أليس كذلك؟ قالوا : بلى ـ

فقال عليه السلام : وأمّا الخامسة : يا أخا اليهود . فإنّ قريشاً والعرب تجمّعت وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتّى تقتل النبى صلى الله عليه وآله ، وتقتلنا معه معاشر بنى عبد المطلب ثم أقبلت بحدّها وحديدها حتّى أناخت علينا ـ بالمدينة ، واثقة بأنفسها فى ما توجّهت له . فهبط جبرئيل عليه السلام على النبىّ صلى الله عليه وآله فأنبأه بذلك . فخندق على نفسه ومن معه . فقدمت قريش . فأقامت على الخندق محاصرة لنا ترى فى أنفسها القوّة ، وفينا الضعف ترعد وتبرق ، والنبىّ صلى الله عليه وآله يدعوها إلى الله ـ عزّوجلّ ـ ويناشدها بالقرابة والرحم فتأبى ، ولا يزيدها ذلك إلّا عتوّاً وفارسها ، وفارس العرب يومئذٍ عمرو بن عبد ود يهدركا لبعير المغتلم . يدعو إلى البراز ويرتجز ويخطر برمحه مرّة ، وبسيفه مرّة لا يُقدم عليه مقدم ، ولا يطمع فيه طامع فانهضنى اليه النبىّ صلى الله عليه وآله وعمّمنى بيده ، وأعطانى سيفه هذا ـ وضرب بيده إلى ذى الفقار ـ فخرجت إليه ونساء أهل المدينة تانين إشفاقاً علىّ من ابن عبد ود فقتله الله بيدى ، والعرب لا تعدل بها فارساً غيره وضربنى هذه الضربة ـ وأومئ بيده إلى هامته ـ فهزم الله قريشاً والعرب بذلك وبما كان منّى فيهم من النكاية ـ ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه . فقال : أليس كذلك؟ قالوا : بلى .

فقال : وأما السادسة : يا أخا اليهود فإنّا ورد نا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مدينة أصحابك خيبر على رجال من اليهود وفرسانها . فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح كلّ ينادى ، ويباد رإلى القتال ، فلم يبرز اليهم من أصحابى أحد إلّا قتلوه حتّى إذا احمرّت الحدق ، ودعيت إلى النزال ، وأهمّت كلّ امرئ نفسه ، والتفت بعض أصحابى إلى بعض ، وكلّ يقول : يا أبا الحسن انهض فأنهضنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى دارهم . فلم يبرز الىّ أحد منهم إلّا قتلته ، ولا يثبت لى فارس إلّا طحنته . ثم شددت عليهم شدّة الليث على فريسته حتّى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدداً عليهم . فاقتلعت باب حصنهم بيدى حتّى دخلت عليهم مدينتهم وحدى أقتل من يظهر فيها من رجالها وأسبى من أجد من نسائها حتّى أفتتحتها وحدى ، ولم يكن لى فيها معاون إلّا الله وحده . ثمّ التفت عليه السلام إلى أصحابه . فقال : أليس كذلك ؟ قالوا : بلى .

فقال عليه السلام : وأما السابعة : يا أخا اليهود فإنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لما توجّه لفتح مكّة أحبّ أن يعذر اليهم ، ويدعوهم إلى الله — عزّوجلّ — آخراً كما دعاهم أوّلاً . فكتب إليهم كتاباً يحذّرهم فيه ، وينذرهم عذاب الله ، ويعدهم الصفح ، ويمنّيهم مغفرة ربّهم ، ونسخ لهم فى آخره سورة (برائة) ليقرءها عليهم . ثم عرض على جميع أصحابه المضىّ به . فكلّهم يرى التثاقل فيه ، فلمّا رأى ذلك ندب منهم رجلاً فوجّهه به . فأتاه جبرئيل . فقال : يا محمّد لا يؤدّى عنك إلّا أنت أو رجل منك فأنبأنى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، ووجّهنى بكتابه ورسالته إلى أهل مكّة فأتيت مكّة ، وأهلها من قد عرفتم ليس منهم أحدٌ إلّا ولوقد رأن يضع على كلّ جبل منّى إرباً لفعل ، ولو أن يبذل فى ذلك نفسه وأهله وولده وماله فبلّغتهم رسالة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وقرأت عليهم كتابه ، فكلّهم يلقانى بالتهديد والوعيد ، ويبدى لى البغضاء ، ويظهر الشحناء من رجالهم ونسائهم ، فكان منّى فى ذلك ما قد رأيتم . ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه . فقال : أليس كذلك قالوا ؟ بلى .

فقال عليه السلام : يا أخا اليهود هذه المواطن الّتى امتحننى فيه ربى ـ عزّ و جلّ ـ مع نبيّه صلى الله عليه وآله فوجدنى فيها كلّها بمنّه مطيعاً ليس لأحد فيها مثل الّذى لى ، ولوشئت لوصفت ذلك ، ولكن اللّه ـ عزّوجلّ ـ نهى عن التزكية فقالوا : صدقت والله يا أمير المؤمنين لقد أعطاك اللّه ـ عزّوجلّ ـ الفضيلة بالقرابة من نبيّنا صلى الله عليه وآله ، وأسعدك بأن جعلك أخاه تنزل منه بمنزلة هرون من موسى ، و فضّلك بالمواقف الّتي باشرتها ، والأهوال الّتى ركبتها ، وذخرلك الّذى ذكرت واكثر منه ممّا لم تذكره ممّا ليس لأحد من المسلمين مثله يقول ذلك من شهدك منّا مع نبيّنا صلى الله عليه وآله ، ومن شهدك بعده فأخبرا متحنك اللّه ـ عزّوجلّ ـ بعد نبيّنا صلى اللّه عليه وآله فاحتملته ، و صبرت فلوشئنا أن نصف ذلك لوصفناه علماً منّا به إلّا أنّا نحبّ أن نسمع منك ذلك كما سمعنا منك ما امتحنك اللّه به فى حيوته فأطعته فيه ـ

فقال عليه السلام : يا أخا اليهود إنّ اللّه ـ عزّوجلّ ـ امتحننى بعد وفاه نبيّه صلى اللّه عليه وآله فى سبعة مواطن فوجدنى فيهنّ من غير تزكية لنفسى بمنّه ونعمته صبوراً .

آما اوّلهنّ يا أخا اليهود : فإنّه لم يكن لى خاصّةً دون المسلمين عامةً أحد آنس به أو أعتمد عليه أو أستئيم إليه أو أتقرب به غير رسول اللّه صلى الله عليه وآله ربانّى صغيراً وبوّانى كبيراً ، وكفانى العيلة وجبرنى من اليتم ، وأغنانى عن الطلب ، ووقانى المكسب ، وعال لى النفس والولد والأهل هذا فى تصاريف أمر الدّنيا مع ما خصّنى به من الدرجات الّتى قادتنى إلى معالى الحقّ عند اللّه ـ عزّوجلّ ـ فنزل بى من وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما لم أكن أظنّ الجبال لوحملت عفوة كانت تنهض به فرأيت الناس من أهل بيتى بين جازع لا يملك جزعه ؟ ولا يضبط نفسه ، ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به قد أذهب الجزع صبره وأذهل عقله وحال بينه وبين الفهم والافهام والقول والاستماع وسايرالناس من غير بنى عبد المطلب بين معزّ يأمر

بالصبر وبين مساعد باك لبكاءهم جازع لجزعهم وحملت نفسي على الصبر عند وفاته بلزوم الصمت والاشتغال بما أمرني به من تجهيزه، وتغسيله وتحنيطه والصلوة عليه ووضعه في حفرته وجمع كتاب الله وعهده الى خلقه لا يشغلني عن ذلك بارزد معة ولا هائج زفرة ولا لاذع حرقة ولا جليل مصيبة حتّى أدّيت في ذلك الحقّ الواجب لله تعالى، ولرسوله عليّ، وبلّغت منه الذي أمرني به واحتملته، صابراً محتسباً — ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال أليس كذلك قالوا بلى فقال عليه السلام :

وأما الثانية يا أخا اليهود : فإنّ رسول الله أمرني في حيوته على جميع أمّته وأخذ على جميع من حضرة منهم البيعة، والسمع والطاعة لأمري، وأمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب ذلك. فكنت المؤدّي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمره انّي الأمير على من حضرني منهم إذ افارقته لا تختلج في نفسي منازعة أحد من الخلق لي في شئ من الأمر في حيوة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولا بعد وفاته. ثمّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بتوجيه الجيش الّذي وجّهه مع أسامة بن زيد عند الّذي أحدث الله به المرض الّذي توفّاه فيه فلم يدع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أحداً من أفناء العرب، ولا من الأوس والخزرج وغيرهم من سايرالناس ممّن يخاف على نقضه ومنازعته، ولا أحداً ممّن يراني بعين البغضاء ممّن قد وترته بقتل أبيه أو أخيه أو حميمه إلّا وجّهه في ذلك الجيش لتصفو قلوب من يبقى معي، ولئلّا يقول قائلٌ شيئاً ممّا اكرهه، ولا يدفعني دافع من الولاية، والقيام بأمر رعيّته من بعده — ثمّ كان آخر ما تكلّم به في شئ من أمر أمّته أن يمضي جيش أسامة، ولا يتخلّف عنه أحد ممّن انهض معه، وتقدّم في ذلك أشدّ التقدّم، و اوعز فيه أبلغ الايعاز، وأكّد فيه أكثر التأكيد. فلم أشعر بعد أن قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلّا برجال من بعث أسامة وأهل عسكره قد تركوا مراكزهم، وأخلوا مواضعهم، وخالفوا أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ما انهضهم له وأمرهم به، وتقدّم إليهم من ملازمة أميرهم، والسير معه تحت لوائه حتّى ينفذ لوجهه الّذي أنفذه إليه فخلّفوا أميرهم

مقيماً فى عسكره ، وأقبلوا يتبادرون على الخيل ركضاً إلى حلّ عقدة عقدها الله ـ عزّوجلّ ـ لى ولرسوله ﷺ فى أعناقهم فحلّوها ، ونبذ عهد عاهدوا الله ورسوله عليه . فنكثوه ، وعقدوا لأنفسهم عقداً ضجّت به أصواتهم ، واختصّت به آراؤهم من غيرمناظرة لأحد منّا بنى عبد المطّلب أومشاركة فى رأى أواستقالة لما فى أعناقهم من بيعتى ـ فعلواذلك وأنا بالنبىّ ﷺ مشغول وبتجهيزه عن سايرالأشياء مصدود فانّه كان أهمّها وأحقّ مابدئ به منها ، فكان هذا يا أخا اليهود أقرح ماورد على قلبى مع الّذى أنا فيه من عظيم الرزيّة ، وفاجع المصيبة وفقد من لاخلف منه إلّا الله تعالى ، فصبرت عليها إذ أتت بعد أختها على تقاربها ، وسرعة اتّصالها . ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه . فقال : أليس كذلك ؟ قالوا بلى :

فقال عليه السلام : ـ وأما الثالثة ياأخا اليهود : فإنّ القائم بعد النبىّ ﷺ كان يلقانى معتذراً فى كلّ أيّامه ، ويلوم غيره ماارتكبه من أخذ حقّى ، ونقض بيعتى ، ويسألنى تحليله ـ فكنت أقول : تنقضى أيّامه ثم يرجع إلىّ حقّى الّذى جعله الله لى عفواً هنيئاً من غيرأن أحدث فى الإسلام مع حدوثه ، وقرب عهده بالجاهليّة حدثاً فى طلب حقّى بمنازعة لعلّ فلاناً يقول فيها : نعم ، وفلاناً يقول فيها لا . فيؤول ذلك من القول إلى الفعل ـ وجماعة من خواصّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أعرفهم بالنصح لله ولرسوله ولكتابه ودينه يأتونى غدواً وبدءً وعلانية وسرّاً فيدعوننى إلى أخذ حقّى ، ويبذلون أنفسهم فى نصرتى ليؤدّوا إلىّ بذلك بيعتى فى أعناقهم . فأقول : رويداً وصراً قليلاً لعل الله يأتينى بذلك عفواً بلا منازعة ، ولا إراقة الدماء فقد ارتاب كثيرمن الناس بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه وآله ، وطمع فى الأمربعده من ليس له بأهل . فقال كلّ قوم : منّا أمير ، ولم يطمع القائلون فى ذلك إلّا لتناول غيرى الأمر ، فلمّا دنت وفاة القائم وانقضت ايامه صيّر الأمر بعده لصاحبه ، وكانت هذه اخت أختها ، ومحلّها

منّى مثل محلّها ،وأخذ امنّى ماجعله الله لى ، فاجتمع إلىّ من أصحاب محمّد ممّن مضى و ممّن بقى ممّن أخّره الله من اجتمع· فقالوا لي فيها مثل الّذي قالوا في اُختها ·فلم يعد قولى الثاني قولي الأوّل صبراً واحتساباً واشفاقاً من أن تفنى عصبة تألّفهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم باللّين مرّة ،وبالشدة اُخرى ،وبالانذار مرّة ،وبالسيف اُخرى حتّى لقد كان من تألّفه أحسن الناس في المسكن ،والشبع والرّى واللباس والوطاء والدثار ونحن أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لا سقوف لبيوتنا ،ولا أبواب ولا ستور إلّا الجرائد ،وما أشبهها ولا وطاء لنا ولا دثار علينا ،يتداول الثوب الواحد فى الصلوة أكثرنا ،ونطوى اللّيالى والأيّام عامّتنا ،وربما أتانا الشئ ممّا أفاءه الله علينا وصيّره لنا خاصّة دون غيرنا ونحن على ما وصفت من حالنا فيوثربه النبى صلى الله عليه وآله وسلم أرباب النعم والأموال تألّفاً منه لهم فكنت احقّ من لم يفرّق هذه العصبة الّتي ألّفها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ومن لم يحملها على الخطّة الّتي لا خلاص لها منها دون بلاغها اوفناء آجالها لأنّى لو نصبت نفسى فدعوتهم إلى نصرتى كانوا منّى ،وفى أمرى على احدى منزلتين: إمّا متبع مقاتل ،وامّا مقتول إن لم يتّبع الجميع ، وامّا خاذل يكفر بخذلانه إن قصّر فى نصرتى أو أمسك عن طاعتى ،وقد علم الله أنّى منه بمنزلة هرون من موسى يحلّ بهم مخالفتى والإمساك عن نصرتى ما أحلّ قوم موسى بأنفسهم فى مخالفة هرون وترك طاعته ·فرأيت تجرّع الغصص ، وردّ أنفاس الصعداء ولزوم الصبر حتّى يفتح الله لى أو يقضى بما أحبّ أزيد لى فى حظّى وارفق بالعصابة الّتي وصفت أمرهم ،وكان أمر الله قدراً مقدوراً ،ولولم أتّق هذه الحالة ثم طلبت حقّى لكنت أولى ممّن طلبه لعلم من مضى من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله ،ومن بحضرتك منهم بأنّى كنت أكثر عدداً ،وأعزّ عشيرة ،وأمنع رجالاً ،وأطوع أمراً ،وأوضح حجّة وأكثر فى هذا الدّين مناقب ،وآثاراً لسوابقى و قرابتى ووراثتى فضلاً عن استحقاقى ذلك بالوصية الّتى لا مخرج للعباد منها والبيعة المتقدّمة فى أعناقهم ممّن تناولها ،وقد قبض محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وانّ ولاية

الأمّة فى يده وفى بيته لا فى يد الأولى تناولوها ولا فى بيوتهم ، وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً أولى بالأمر من بعده من غيرهم فى جميع الخصال . ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه . فقال : أليس كذلك؟ قالوا : بلى .

قال — واما الرابعة يا أخا اليهود : فإنّ القائم بعد صاحبه كان يشاورنى فى الأمور فيصدرها عن أمرى ، ويناظرنى فى غوامضها فيمضيها عن رأيى لا أعلمه أحداً ولا يعلمه أصحابى يناظره فى ذلك غيرى ، ولا يطمع فى الأمر بعده سواى . فلمّا أتته منيّته على فجأة بلا مرض كان قبله ، ولا أمر كان إمضاه فى صحّة من بدنه لم أشكّ أنّى قد استرجعت حقّى فى عافية بالمنزلة الّتى كنت أطلبها ، والعاقبة الّتى كنت أتمسها وانّ الله سيأتى بذلك على أحسن ما رجوت ، و أفضل ما أمّلت ، وكان من فعله أن ختم أمره بأن سمّى قوماً أنا سادسهم ، ولم يستثنى بواحد منهم ، ولا ذكر لى حالاً فى وراثة الرسول ، ولا قرابة ولا صهر ولا نسب ، و لا لواحد منهم مثل سابقة من سوابقى ، ولا أثر من آثارى وصيّرها شورى بيننا وصيّر ابنه فيها حاكماً علينا ، وأمره أن يضرب أعناق النفر الستّة الّذين صيّر الأمر فيهم إن لم ينفذوا أمره ، وكفى بالصبر على هذا يا أخا اليهود صبراً ، فمكث القوم أيّامهم كلّها كلّ يخطب نفسه ، وأنا ممسك حتّى سألونى عن أمرى فناظرتهم فى أيّامى ، و أيّامهم وآثارى و آثارهم ، وأوضحت لهم ما لم يجهلوه من وجوه استحقاقى لها دونهم ، وذكّرتهم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم ، وتأكيد ما أكّد من البيعة لى فى أعناقهم فدعاهم حبُّ الإمارة وبسط الأيدى والألسن فى الأمر والنهى والركون إلى الدّنيا والاقتداء بالماضين قبلهم إلى تناول ما لم يجعل الله لهم فإذا خلوت بواحد ذكّرته أيّام الله وحذّرته ما هو قادمٌ عليه وصائر إليه التمس منّى شرطاً أن أصيّرها له بعدى فلمّا لم يجدوا عندى إلا المحجّة البيضاء والحمل على كتاب الله — عزّوجلّ — ووصيّة النبى صلى الله عليه وآله وإعطاء كلّ امرئ منهم ما جعله الله له ومنعه ما لم يجعله الله له أزالها عنّى إلى ابن عفّان طمعاً فى الشحيح .

ثم لم اعلم القوم أمسوا من يومهم ذلك حتّى ظهرت ندامتهم و نكصوا على أعقابهم ،وأحال بعضهم على بعض كلّ يلوم نفسه ،ويلوم أصحابه ثم لم تطل الأيام بالمستبدّ بالأمر حتّى أكفروه ،وتبرّءوا منه ۰ فكانت هذه يا أخا اليهود أكبر من أختها وأفظع فنالنى منها الّذى لا يبلغ وصفه ،ولم يكن عندى إلّا الصبر على ما أمضّ منها ،ولقد أتانى الباقون من السّتة من يومهم كلّ راجع عمّا كان ركب منّى يسألنى خلع ابن عفّان ،والوثوب عليه وأخذ حقّى ،ويعطينى صفقته و بيعته على الموت تحت رايتى أو يرد اللّه ـ عزّوجلّ ـ على حقى ۰ فواللّه يا أخا اليهود ما منعنى منها إلّا الّذى منعنى من أختيها قبلها ،ورأيت الإبقاء على من بقى من الطائفة أبهج لى وآنس لقلبى من فنائها ،وعلمت انّى إن حملتها على دعوة الموت ركبته ۰ فامّا نفسى فقد علم من حضر ممّن ترى ومن غاب من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم انّ الموت عندى بمنزلة الشربة الباردة فى اليوم الشديد الحرّ من ذى العطش الصدى ،ولقد كنت عاهدت اللّه ـ عزّ وجلّ ـ انا وعمى حمزة ،وأخى جعفر ،وابن عمّى عبيدة عهداً وفينا باللّه ـ عزّوجلّ ـ و لرسوله نتقدّمنى أصحابى ،وتخلّفت بعدهم لما أراد اللّه ـ عزّوجلّ ـ فأنزل اللّه ـ تعالى فينا «رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر ،وما بدلوا تبديلا»(۱) حمزة وجعفر وعبيدة ممن قضى نحبه ،وأنا واللّه المنتظر ،و ما بدّلت تبديلا ،وما سكتنى عن ابن عفان وحثّنى على الامساك عنه إلّا أنّى عرفت من أخلاقه فى ما اختبرت منه بما لن يدعه حتّى يستدعى الأباعد إلى قتله ، و خلعه فضلاً عن الأقارب ،وأنا فى عزلة فصبرت حتّى كان ذلك لم أنطق فيه بحرف من (لا) ولا (نعم) ثمّ أتانى القوم وأنا ـ علم اللّه ـ كارهٌ لمعرفتى بما تطامعوا به من اعتقاد الأموال ،والمرح فى الأرض وعلمهم بانّ تلك ليست لهم عندى (وشديد عادة منتزعة) فلمّا لم يجدوا عندى تعلّلوا الاعاليل ۰

(۱) الأحزاب ۲۳ .

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه ، فقال : أليس كذلك؟ قالوا : بلى .

فقال عليه السلام ـ وأما الخامسة : فإنّ المتابعين لى لمّا لم يطمعوا في تلك منّى ، وثبوا بالمرئة علىّ وانا ولىّ أمرها ، والوصى عليها فحملوها على الجمل ، و شدّوها على الرحال وأقبلوا بها تخبط الفيافى ، وتقطع البرارى . وتنبح عليها كلاب الحوأب ، وتظهر لهم علامات الندم فى كلّ ساعة ، وعند كلّ حال فى عصبة قد بايعونى ثانية بعد بيعتهم الاُولى فى حيوة النبىّ صلى الله عليه وآله حتّى أتت أهل بلدة قصيرة أيديهم طويلة لحاهم قليلة عقولهم عازبة آراءهم . فاخرجتهم يخطون بسيوفهم من غير علم ، ويرمون بسهامهم بغير فهم فوقعت من أمرهم على اثنتين كلتاهما فى محلّة المكروه ممّن إن كففت لم يرجع ولم يعقل ، وان كنت أقمت قد صرت إلى الّتى كرهت ، فقدّمت الحجّة بالاعذار ، والانذار ، و دعوت المرئة الى الرجوع الى بيتها والقوم الّذين حملوها ، على الوفاء ببيعتهم لى والترك لنقض عهد الله ـ عزّوجلّ ـ فىّ ، وأعطيتهم من نفسى كلّ الّذى قد رت عليه ، وناظرت بعضهم فرجع وذكرته فذكر ، ثم أقبلت على الناس بمثل ذلك فلم يزدادوا إلّا جهلاً وتمادياً وغيّاً فلمّا أبوا إلّا هى ركبتها منهم فكانت عليهم الدبرة وبهم الهزيمة ، ولهم الحسرة ، وفيهم الفناء والقتل وحملت نفسى على الّتى لم أجد بدّاً منها ، وأظهرته آخراً مثل الّذى سمعنى منه أوّلاً من الإغضاء والإمساك ، ورأيتنى إن أمسكت كنت معيناً لهم علىّ بامساكى على ما صاروا إليه وطمعوا فيه من تناول الأطراف ، وسفك الدماء ، وقتل الرعية ، و تحكيم النساء الناقص العقول والحظوظ على كلّ حال كعادة بنى الأصفر ومن مضى من ملوك سبأ والاُمم الخالية . فاصبر الى ماكرهت أوّلاً وآخراً ، وقد أهملت المرئة وجندها يفعلون ما وصفت بين الفريقين من الناس ولم أهجم على الأمر الاّ بعد ما قدّمت وأخّرت ، وتأنّيت وراجعت ، و أرسلت و سافرت وأعذرت وأنذرت ، وأعطيت القوم كلّ شئ يلتمسوه بعد أن عرضت عليهم كلّ شئ

يلتمسوه بعد أن عرضت عليهم كلّ شئ لم يلتمسوه ، فلمّا أبوا إلّا تلك أقدمت عليها ، فبلغ الله بى وبهم ما أراد ، وكان بى عليهم بما كان منّى إليهم شهيداً ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه . فقال : أليس كذلك؟ قالوا : بلى .

فقال عليه السلام — : واما السادسة يا أخا اليهود : فمحاربة ابن آكلة الأكباد وهو طليق ابن طليق معاند لله — عزّوجلّ — ولرسوله وللمؤمنين منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله إلى أن فتح الله عليه مكّة عنوة . فأخذت بيعته وبيعة أبيه لى معه فى ذلك اليوم ، وفى ثلاثة مواطن بعده ، وأبوه بالأمس أوّل من سلّم علىّ بإمرة المؤمنين ، وجعل يحثّنى على النهوض فى أخذ حقّى من الماضين قبلى يجدّد لى بيعته كلّما أتانى ، وأعجب العجب انه لمّا رأى ربى تعالى قد ردّ إلىّ حقّى وأقرّه فى معدنه ، وانقطع طمعه أن يصير فى دين الله رابعاً ، وفى أمانة الله حاكما كر على العاصى بن العاص طمعه ، فاستماله فمال على ، ثم اقبل به بعد ان اطعمه مصر ، وحرام عليه ان باخذ من الفيئ دون قسمه درهما ، وحرامٌ على الراعى إيصال درهم إليه فوق حقّه . فأقبل يخبط البلاد بالظلم ، ويطأها بالفتن ، فمن تابعه أرضاه ، ومن خالفه ناواه . ثم توجّه إلىّ ناكثاً علينا مغيراً فى البلاد شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً والأنباء تأتينى ، والأخبار ترد علىّ بذلك . فأتانى أعور ثقيف فأشار علىّ أن أولّيه البلاد الّتى هو بها لأداريه بما أولّيه منها ، وفى الّذى أشار به الرأى فى أمر الدنيا لو وجدت عند الله — عزّ وجلّ — فى توليته لى مخرجاً ، وأصبت لنفسى فى ذلك عذراً . فأعملت الرأى فى ذلك وشاورت من أثق بنصيحته لله — عزّوجلّ — ولرسوله صلى الله عليه وآله ولى وللمؤمنين فكان رأيه فى ابن آكلة الأكباد كرأيى ينهانى عن توليته ، ويحذّرنى أن أدخل فى أمر المسلمين دنيه ، ولم يكن الله ليرانى متّخذ المضلّين عضداً . فوجّهت إليه أخا بجيلة مرّة ، وأخا الأشعريّين أخرى كلاهما ركن إلى الدّنيا ، وتابع هواه فى ما أرضاه فلمّا لم أره يزداد فى ما انتهك من محارم الله إلّا تمادياً شاورت من معى

من أصحاب محمد ﷺ البدريين ، والذين ارتضى الله ـ عزّ وجلّ ـ امرهم ورضى عنهم بعد بيعتهم ، وغيرهم من صلحاء المسلمين والتابعين . فكلّ يوافق رأيه رائى فى غزوته ومحاربته ومنعه ممّا نالت يده ، وانى نهضت إليه بأصحابى وأنفذ إليه من كل موضع كتبى ، ووجّه إليه رسلى أدعوه إلى الرجوع عمّا هو فيه والدخول فى مافيه الناس معى ، فكتب يتحكّم علىّ ، ويتمنّى علىّ الأمانىّ ، ويشترط علىّ شروطا لا يرضاها الله تعالى ورسوله ، ولا المسلمون ويشترط فى بعضها أن أدفع إليه أقواماً من أصحاب محمّد ﷺ أبراراً فيهم عمّار بن ياسر ، وأين مثل عمّار والله لقد رأيتنا مع النبىّ ﷺ ومايعدّ منّا خمسة إلّا كان سادسهم ، ولا أربعة إلّا كان خامسهم . اشترط دفعهم إليه ليقتلهم ويصلبهم بما انتحل دم عثمان ، و لعمر الله ما ألب على عثمان ولا جمع الناس على قتله إلّا هو وأشباهه من أهل بيته أغصان الشجرة الملعونة فى القرآن ، فلمّا لم أجب إلى ما اشترط من ذلك كرّ مستعلياً فى نفسه لطغيانه وبغيه بحمير لا عقول لهم ولا بصائر فموّه لهم أمراً فاتّبعوه ، وأعطاهم من الدنيا ما أمالهم به إليه فناجزناهم ، وحاكمناهم إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ بعد الإعذار والإنذار . فلمّا لم يزده ذلك إلّا تمادياً وبغياً لقيناه بعادة الله الّتى عوّدناه من النصر على أعدائه ورأية النبىّ ﷺ بأيدينا لم يزل الله يفلّ حزب الشيطان بها حتّى يقضى الموت ، وهو معلم رايات أبيه الّتى لم أزل أقاتلها مع النبى ﷺ فى كلّ المواطن . فلم يجد من الموت منجى إلّا الهرب . فركب فرسه ، وقلّب رايته لا يدرى كيف يحتال . فاستعان برأى ابن العاص ، فأشار عليه بإظهار المصاحف ، ورفعها على الأعلام ، والدعاء إلى مافيها ، وقال : إنّ ابن أبيطالب وحزبه أهل بصائر ورحمة ، وقد دعوك إلى كتاب الله أوّلاً ، وهم مجيبوك إليه آخراً . فأطاعه فى ما أشار به عليه إذ رأى أنّه لا منجى له من القتل أو الهرب غيره ، فرفع المصاحف يدعو إلى مافيها بزعمه فمالت إلى المصاحف قلوب من بقى من أصحابى بعد فناء أخيارهم ، وجهد هم

في جهاد أعداء الله على بصائرهم ، وظنّوا أنّ ابن آكلة الأكباد له الوفاء بما دعا إليه ، فاصغوا إلى دعوته ، وأقبلوا بأجمعهم في إجابته ، فاعلمتهم أنّ ذلك مكرمنه ومن ابن العاص ، وأنّهما إلى النكث أقرب منهما إلى الوفاء ، فلم يقبلوا قولي ، ولم يطيعوا أمري وأبوا إلّا إجابته كرهت أم هويت شئت أو أبيت حتّى أخذ بعضهم يقول لبعض : إن لم يفعل فألحقوه بابن عفان أو اد فعوه الى ابن هند برمته ، فجهدت علم الله جهدي ـ و لم أدع غلّة في نفسي إلّا بلغتها في أن يخلوني ورائي فلم يفعلوا وراودتهم على الصبر ـ على مقدار فواق الناقة أو ركضة الفرس ، فلم يجيبوا ما خلا هذا الشيخ ـ وأشار بيده إلى الأشتر وعصبة من أهل بيتي ، فوالله ما منعني أن امضي على بصيرتي إلّا مخافة أن يقتل هذان ـ وأومأ بيده إلى الحسن والحسين عليهما السلام ـ فيقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وذرّيته من أمّته ، ومخافة أن يقتل هذا وهذا ـ وأومأ بيده إلى عبد الله بن جعفر ، ومحمّد بن الحنفية ، فإنّي أعلم لولا مكاني لم يقفا ذلك الموقف فلذلك صبرت على ما أراد القوم مع ما سبق فيه من علم الله ـ عزّ وجلّ ـ

فلمّا رفعنا عن القوم سيوفنا تحكموا في الأمور ، وتخيّروا الأحكام والآراء وتركوا المصاحف ، و ما دعوا إليه من حكم القرآن وما كنت أحكم في دين الله أحداً إذ كان التحكيم في ذلك الخطا الّذي لا شكّ فيه ولا امتراء ، فلمّا أبوا إلّا ذلك أردت أن أحكّم رجلاً من أهل بيتي أو رجالاً ممّن أرضى رأيه وعقله وأثق بنصيحته ومودّته دينه ، وأقبلت لا اسمّي أحداً إلّا أمتنع منه ابن هند ، ولا أدعوه إلى شيء من الحقّ إلّا أدبر عنه ، وأقبل ابن هند يسومنا عسفاً ، وما ذلك إلّا باتّباع أصحابي له على ذلك ، فلمّا أبوا إلّا غلبتي على التحكيم تبرّأت إلى الله تعالى منهم ، وفوّضت ذلك إليهم ، فقلّدوه أمراً ، فخدعه ابن العاص خديعة ظهرت في شرق الأرض وغربها ، وأظهر المخدوع عليه ندماً ـ

ثمّ أقبل عليه السلام على أصحابه ، فقال : أليس كذلك ، قالوا : بلى

قال عليه السلام : وأمّا السابعة : يا أخا اليهود فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان عهد إلى

أن أقاتل فى آخر الزمان من أيّامى قوماً من أصحابى يصومون النهار ويقومون الليل ، ويتلون الكتاب يمرقون بخلافهم علىّ ، ومحاربتهم إيّاى من الدّين مروق السّهم من الرمية فيهم ذو الثُدية يختم لى بقتلهم بالسعادة . فلمّا انصرفت إلى موضعى هذا أقبل بعض القوم على بعض باللائمة فى ماصاروا إليه من تحكيم الحكمين . فلم يجد والأنفسهم من ذلك مخرجاً إلّا أن قالوا : كان ينبغى لأميرنا أن لا يبايع من أخطأ ، وأن يقضى بحقيقة رايه على نفسه ، وقتل من خالفه منّا فقد كفر بمتابعته إيّانا ، وطاعته لنا فى الخطأ ، وأحلّ لنا بذلك قتله ، وسفك دمه فتجمّعوا على ذلك ، وخرجوا راكبين رؤسهم ، ينادون بأعلى أصواتهم (لا حكم إلّا لله) ثم تفرّقوا فرقة بالنخيلة ، وأخرى بحروراء ، وأخرى راكبة رأسها تخبط الأرض شرقاً حتّى عبرت دجلة ، فلم تمرّ بمسلم إلّا امتحنته ، فمن تابعها استحيته ومن خالفها قتلته . فخرجت إلى الأوليين واحدة بعد أخرى أدعوهم إلى طاعة الله ـ عزّوجلّ ـ والرجوع إليه . فأبيا إلّا السيف فلمّا أعيت الحيلة فيهما حاكمتهما الى الله ـ عزّوجلّ ـ فقتل الله هذا وهذا ، وكانوا يا أخا اليهود لولا ما فعلوا لكانوا ركناً قوياً ، وسدّاً منيعا ، فانى الله الا ماصاروا اليه ثم كتبت إلى الفرقة الثالثة ووجّهت رسلى تترى ـ وكانوا من جلّة أصحابى ، وأهل التعبّد منهم والزهد فى الدنيا فأبت إلّا اتّباع أختيها ، والاحتذاء على مثالهما ، وأسرعت فى قتل من خالفها من المسلمين ، وتتابعت إلىّ الأخبار بفعلهم ، فخرجت حتّى قطعت إليهم دجلة أوجّه السفراء والنصحاء ، وأطلب العتبى بجهدى بهذ امرّة وبهذ امرّة ـ وأومئ بيده إلى الأشتر ، والأحنف بن قيس ، وسعيد بن قيس الأرحبىّ والأشعث بن قيس الكندى ـ . فلمّا أبوا إلّا تلك ركبتها منهم ، فقتلهم الله يا أخا اليهود عن آخرهم ، وهم أربعة آلاف أويزيدون حتّى لم يفلت منهم مخبر ، فاستخرجت ذا الثدية من قتلاهم بحضرة من ترى . له ثدى كثدىّ المرئة !

ـ ثم التفت إلى أصحابه . فقال : أليس كذلك قالوا : بلى .

فقال عليه السلام : فقد وفيت سبعاً وسبعاً وبقيت الأخرى وأوشك بها — فقالوا أخبرنا بالأخرى . فقال : أن تخضب هذه — وأومئ بيده إلى لحيته — من هذه — وأومئ بيده إلى هامته — وارتفعت أصوات الناس بالضجة والبكاء حتى لم يبق بالكوفة دار إلا خرج أهلها فزعاً — وأسلم رأس اليهود على يديه من ساعته ولم يزل مقيماً معه عليه السلام حتى قتل عليه السلام وأخذ ابن ملجم ، فأقبل رأس اليهود ، فقال للحسن عليه السلام : اقتله قتله الله فإني رأيت في الكتب التي أنزلت على موسى عليه السلام أن هذا أعظم جرماً من ابن آدم قاتل أخيه ، ومن قيدار عاقر ناقة ثمود .

قلت : وهو خبر متين لكن كأنه وقع في بعض مواضعها تقديم وتأخير وفي بعضها خلط . فلم يذكر في التاريخ إرساله عليه السلام اشعريا إلى معاوية .

«احملهم من الحق على محضه» قال المفيد : وقوله عليه السلام (فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه) ادل دليل على أنه عليه السلام لم يستقر به الأمر ، ولم يتمكن من انفاذ حكم من الأحكام .

قلت : وقد أقر عمر بكونه عليه السلام لو كان له تمكن يحمل الناس على محض الحق فقال حين وفاته مخاطباً له عليه السلام من ستة الشورى «وأنك أحرى القوم إن وليتها تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم» .

«وان تكن الاخرى» ولم ترتفع المحن ، ولم أتمكن من حملهم على الحق .

«فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون» اقتباس من قوله تعالى في الاية الثامنة من سورة الفاطر .

روى الكافي أنه عليه السلام خطب الناس بالمدينة . فقال : أيتها الأمة التي خدعت فانخدعت ، وعرفت خديعة من خدعها ، فاصرت على ما عرفت واتبعت أهوائها وضربت في عشواء غوايتها ، وقد استبان لها الحق ، فصددت عنه ، والطريق الواضح فتنكبته — إلى أن قال — عما قليل تحصدون جميع ما زرعتم ، وتجدن وخيم ما اجترمتم ، وما اجتبيتم — الخبر .

و فى تاريخ اليعقوبى أتى قيس بن سعد بن عبادة معاوية · فقال له معاوية : بايع ، فقال قيس إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاوية لقد حرصت أن أفرّق بين روحك و جسدك قبل ذلك · فأبى الله يا ابن أبى سفيان إلّا ما أراد — ثم أقبل قيس على الناس فقال : يا معشر الناس لقد اعتضتم الشر من الخير ، واستبدلتم الذلّ من العزّ ، والكفر من الايمان ، فأصبحتم بعد ولاية امير المؤمنين ، وسيّد المرسلين ، وابن عمّ رسول ربّ العالمين قد وليكم الطليق ابن الطليق يسومكم الخسف ، ويسير فيكم بالعسف ، فكيف تجهل ذلك نفسكم ام طبع الله على قلوبكم وأنتم لا تعقلون) — فجثا معاوية على ركبتيه ثم أخذ بيده ، و قال : أقسمت عليك · ثم صفق على كفّه — ونادى الناس بايع قيس فقال كذبتم والله ما بايعت ·

هذا ، وقال البحترى فى قتل بنى حميد :

ولا عجب للاسد أن ظفرت بها × كلاب الأعادى من فصيح وأعجم
فحربة وحشى سقت حمزة الردى × وموت على من حسام ابن ملجم

والظاهر أنّ قوله (من فصيح وأعجم) متعلّق بقوله (ولا عجب) ·

٨/ ٦٤/ ٢/ (ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ ، وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ · فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهاً ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَرْباً ، وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ · فَلَا عَلَيْكَ ، وَلَا الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ ، وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَقَدِ انْقَطَعَتِ

الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَاخُوكَ ٠فَإِنْ كَانَ فِيْهِ عَجَلٌ ٠فَاسْتَرْفِهْ ٠فَإِنِّي إِنْ أُزَرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللّٰهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ وَإِنْ تَزُرْنِي. فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ × بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجَلْمُودِ

وَعِنْدِيَ السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ ،وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ ، وَإِنَّكَ وَاللّٰهِ مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ ،وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ : إِنَّكَ قَرِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ ، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَلَا فِي مَعْدِنِهِ ٠فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ ، وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ ، وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ ،وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ٠فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ ٠حَيْثُ عَلِمْتَ ،لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً ٠بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَغَى ،وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى ٠

اقول :قال (حد) كتاب معاوية الّذى كان كتابه عليه السلام هذا جوابه «من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب اما بعد فانّا بنى عبد مناف لم نزل ننزع من قليب واحد ،ونجرى فى حلبة واحدة ،ليس لبعضنا على بعض فضل ،ولا لقائمنا على قاعدنا فخر ٠كلمتنا مؤتلفة ،والفتنا جامعة ،ودارنا واحدة ،يجمعنا كرم العرق ، ويحوينا شرف النجار ،ويحنو قوّينا على ضعيفنا ،ويواسى غنيّنا فقيرنا فقد خلصت قلوبنا من دغل الحسد ،وطهرت أنفسنا من خبث التخية ٠فلم نزل كذلك ٠حتّى كان منك ما كان من الادهان فى أمر ابن عمك والحسد له ،وتضريب الناس عليه ٠حتى قتل بمشهد منك ٠ لا تدفع عنه بلسان ولا يد فليتك اظهرت

نصره ، حيث اسررت خشره ، فكنت كالمتعلق بين الناس بعذر ، وان ضعف ، والمتبرى من دمه بدفع وان وهن ، ولكنك جلست فى دارك تدسّ إليه الدواهى وترسل إليه الأفاعى ، حتّى إذا قضيت وطرك منه ، أظهرت شماتة ، وأبديت طلاقة : وحسرت للأمر عن ساعدك ، وشمّرت عن ساقك ، ودعوت الناس الى نفسك وأكرهت أعيان المسلمين على بيعتك ، ثم كان منك بعد ما كان من قتلك شيخى المسلمين أبى محمّد طلحة ، وأبى عبد اللّه الزبير وهما من الموعودين بنا لجنّة والمبشّر ، قاتل أحدهما بالنار فى الآخرة ، تشريدك بأم المؤمنين عايشة واحلالها محل الهون ، مبتذلة بين يدى الأعراب ، وفسقة أهل الكوفة : فمن بين منتهد لها ، وبين ساخر منها ، أترى ابن عمك كان بهذا الورآه راضياً ، أم كان يكون عليه ساخطاً ، ولك عنه زاجراً ، أن توذى أهله ، وتشرد بحليلته ، و تسفك دماء أهل ملته ، ثم تركك دار الهجرة الّتى قال رسول اللّه عنها « انّ المدينة لتنفى خبثها ، كما ينفى الكير خبث الحديد » فلعمرى لقد صدق وعده و صدق قوله ، ولقد نفت خبثها ، وطردت عنها من ليس باهل أن يستوطنها ، فأقمت بين المصرين ، وبعدت عن بركة الحرمين ، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة وبمجاورة الخورنق والحيرة عوضاً عن مجاورة خاتم النبوة ، ومن قبل ذلك ، ما عيّبت خليفتى رسول اللّه ايّام حيوتهما ، فقعدت عنهما ، والبت عليها وامتنعت من بيعتهما ، ورمت أمراً لم يرك اللّه له أهلاً ، ورقيت سلّماً وعراً ، وحاولت مقاماً دحضاً وادّعيت مالم تجد عليه ناصراً ، ولعمرى لوليتها حينئذٍ لما ازدادت إلّا فساداً واضطراباً ، ولا اعقبت ولا يتكها إلّا انتشاراً وارتداداً ، لانّك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه ، المستطيل على الناس بلسانه ويده ، وها أنا سائر اليك فى جمع من المهاجرين والأنصار ، تحفّهم سيوف شامّية ، ورماح قحطانية ، حتّى يحاكموك إلى اللّه ، فانظر لنفسك والمسلمين ، وادفع الىّ قتلة عثمان ، فإنّهم خاصّتك وخلصاءك ، والمحدقون بك ، فان ابيت الّا سلوك سبيل اللجاج ، والاصرار على

الغيّ والضلال ، فاعلم أنّ هذه الآية نزلت فيك ، وفي أهل العراق معك «ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون[1]» .

قلت : و روى ابن قتيبة في خلفائه كتاب معاوية ، وجواب أمير المؤمنين عليه السلام . مع اختلاف . فقال : لما استقام أمر الشام على معاوية ، وبايعوه كتب إلى علي عليه السلام «أما بعد فإنّا كنّا نحن وإيّاكم يداً جامعة وألفة أليفة ، حتّى طمعت يا ابن أبي طالب . فتغيرت ، وأصبحت تعدّ نفسك قويّاً على من عاداك بطغام أهل الحجاز ، وأوباش أهل العراق ، وحمقى الفسطاط ، وغوغاء السواد وأيم الله ليجلين عنك حمقاءها ، ولينقشعن عنك غوغاءها . انقشاع السحاب عن السماء . قتلت عثمان بن عفان ورقيت سلّماً . اطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك ، وقتلت الزبير وطلحة ، وشردت أمّك عايشة ، ونزلت بين المصرين . فمنيّت و تمنيت ، وخيّل لك أنّ الدنيا قد سخّرت لك بخيلها ورجلها ، و إنّما تعرف امنيّتك لو قد زرتك في المهاجرين من أهل الشام بقية الاسلام . فيحيطون بك من وراءك ، ثم يقضي الله علمه فيك ، والسلام على أوليائه» .

فأجابه علي عليه السلام «أما بعد فقدّر الأمور تقدير من ينظر لنفسه دون جنده ، ولا يشتغل بالهزل من قوله . فلعمري لئن كانت قوّتي بأهل العراق أوثق عندي من قوّتي بالله ، ومعونتي به . ليس عند من على هذا بالله تعالى يقين فناج نفسك مناجاة من يعنى بالجد ، دون الهزل ، فإنّ في القول سعة ، ولن يعذر مثلك في ما طمح إليه الرجال ، وأمّا ما ذكرت من انّا كنّا وإيّاكم يداً جامعة ، فكنّا كما ذكرت . نفرّق بيننا أنّ الله بعث رسوله منّا . فآمنّا به وكفرتم . ثم زعمت انّي قتلت طلحة والزبير . فذلك أمر غبت عنه ، ولم تحضره ، ولو حضرته لعلمته ، فلا عليك ، ولا العذر فيه اليك ، وزعمت انّك زائري في المهاجرين وقد انقطعت

(١) النحل ١١٢ .

الهجرة حين اسرأبوك . فإن كان فيك عجل فاستبقه وان ازرك فجد يران يكون الله بعثنى للنقمة منك ».

واماقوله عليه السلام فى الكتاب «وانك والله ماعلمت إلّا غلف القلب. العقارب العقل» فجزء كتاب آخرمنه عليه السلام رواه المدائنى ، وكذلك قوله عليه السلام: « و قريب ما أشبهت من أعمام وأخوال »الى آخره كماتراه فى شرح (٣٢) من الكتب.

والظاهر انّ المصنّف جمع بينهما وبين مافى الكتاب لكونهافى موضوع واحد ، وان كان احتمال وقوفه على رواية جامعة للجميع أيضاً غيربعيد .

قول المصنّف«ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية جوابا »هكذا فى المصرية و فيهاسقط. فزاد (حد ، وثم ، والخطيه) بعده (عن كتاب منه) .

«امابعد فاناكنّانحن وأنتم على ماذكرت من الالفة والجماعة »الاصل فى ذكر معاوية كونهم على الألفة ، والجماعة حتّى فرق هو بينهم ، قول أبى جهل فى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنّه كان يقول انّ قريشاً كانوا بجميع طوائفهم على الألفة حتّى فرّق بينهم محمّد .

«ففرّق بيننا ، وبينكم امس انا آمنّا وكفرتم» لمّاغالط معاوية . لمّاأراد أن يجعل نفسه فى عداده عليه السلام بانّ بنى هاشم وبنى أميّة كلّهم بنوعبد مناف، ولم يكن بينهم فرق إلى أن كان الأدهان منه فى أمرعثمان كماعرفت من كتابه ، والأصل فى مغالطته قول عمر يوم الشورى لمّاأراد أن يسوّى بين عثمان الّذى كانت سوابقه ايّام النبى صلى الله عليه وآله وسلم الدفاع عن بنى أمية أعداء الله ، وأعداء رسوله و دينه كماكانت لواحقه فى ايّامه احداثه الّتى الجأت المسلمين إلى قتله ، و بين أميرالمؤمنين عليه السلام الّذى كان بمنزلة نفس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن ، و بمشاهدة العيان ـ بكونهما من بنى عبد مناف ولا يلحقهماابن عوف الّذى من زهرة ـ بيّن عليه السلام عن مغالطة معاوية بانّه فرّق بينهما انّ الله تعالى بعث نبيّه من بنى هاشم فاتّبعه أهل بيته ، وفى رأسهم هو عليه السلام فآمن بمساعة

بعثه ، وعاداه بنواُمية ،و فى رأسهم أبوه وهو . كما تبعهما بعد ذلك ذوومع تصديهم لعنوان خلافة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

و فى الطبرى أنّ أبابكر الهذلى قال للمنصور : انّ الفرزدق حضرالوليد بن يزيد ،وقداصطلح مع ندمائه. فقال لابن عايشة : تغنّ بشعرابن الزبعرى فى اُحد :

ليت أشياخى ببدر شهدوا × جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلنا الضعف من ساداتهم × وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فقال : لا اُغنّى . فقال : غنّه ،والّا جدّعت لهواتك ،فغنّاه ،فقال : أحسنت والله انّه لعلى دين ابن الزبعرى يوم قال هذا الشعر .

والأصل فى كلام الوليد كلام ابنه يزيد يوم جيئ إليه برأس سيّد شباب أهل الجنّة أبى عبدالله عليه السلام . فتمثل بأبيات ابن الزبعرى ،وزاد عليها :

لعبت هاشم بالملك فلا × خبر جاء ولا وحى نزل

لست من خندف إن لم أنتقم × من بنى أحمد ماكان فعل

ويقال لمعاوية على قولك ،وقول فاروقكم الّذى هيّالك ذاك المقام لا فرق بين النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وبين أبى سفيان لكون كلّ منهما من بنى عبد مناف بل كون أبى سفيان أشرف من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لكونه أوقرفى صدورقريش .

واماقول معاوية فى نسبة الاد هان إليه عليه السلام فى أمرعثمان حتى قتل بمشهد منه ،ولم يدفع عنه بيد ولا لسان فلا ننكره ،ويكفى ذلك عثمان خزياً ، وكونه شاهداً على إباحة دمه .

وكيف ينكر وقاتلوه كانوا خواصّه عليه السلام ويجهرون بكونه كافراً ومباح الدم ، ومنه يظهرأنّ ماقالوا انه عليه السلام ارسل ابنه الحسن عليه السلام للدفاع عن عثمان ،وانّه عليه السلام لما سمع بقتله جاء ،وسب ابنه ،وباقى الحاضرين لم لم يدافعوا عنه بهتان و افتراء .

وكيف و يقول معاوية فى كتابه «فليتك اظهرت نصره حيث اسررت خشره» إلى آخر ما مر، ويقول عمروبن سعيد فى قتل الحسين عليه السلام «يوم بيوم عثمان» وتمثّل لما سمع الصرخة من بيوت بنى هاشم.

ضجّت نساء بنى زياد ضجة × كضجيح نسوتنا غداة الارنب

وليس كلام معاوية ذاك يتعلّق به شبهة كما تتعلّق بقوله له عليه السلام «و اكرهت أعيان المسلمين على بيعتك» مع انثيال الناس عليه عليه السلام شوقاً إلى بيعته حتّى شقوا عطفيه لانّ فى بيعته عليه السلام كان مقام شبهة لمعاوية حيث انّ طلحة والزبير، وان بايعاه طوعاً إلّا أنّهما لم يكونا راضيين ببيعته قلباً، ولم يمكنهما اظهار ذلك لما رأيا إقبال الناس عليه عليه السلام بتلك الكيفية، وادعيا بعد ذلك الاجبار بخلاف أمر عثمان فلم يكن فيه موضع شبهة، وانه كان عنده عليه السلام مباح الدم، وإلّا لم يكن يداهن قاتليه كيف، ولم يداهن قاتل هرمزان العجمى، وهو عبيد الله بن عمر فى خلافة عثمان، وامضاء عثمان لفعله، فهدّد عبيد الله حتى اضطر الى الخروج من المدينة، فكيف يداهن فى ايّام خلافته قاتلى عثمان لو لم يكن قتله بحق.

«وما أسلم مسلمكم إلّا كرهاً، وبعد إن كان أنف الاسلام كلّه لرسول الله صلى الله عليه وآله حرباً» انف الإسلام: أى اوّله. قال الجوهرى: وأنف كلّ شئ اوّله، و (روضة انف) بالضم: اى لم يرعها أحد و (كاس انف) لم يشرب بها قبل ذلك، والاستيناف الابتداء وكذلك الايتناف، وقلت كذا آنفاً و سالفاً) و فى الأساس (وجارية انف) لم تطمث قال طريح الثقفى:

ايّام سلمى غريرة انف × كانّها خوط بانة رؤد

و كاس انف قال الحطيئة:

ويحرم سرّجا رتهم عليهم × ويأكل جارهم أنف القصاع

وهو ظرف متعلّق بحرباً بالراء خبر كان واسمه ضمير (مسلمكم) و معنى

الكلام ما اسلم يا معاوية مسلمكم هو وأبوه ، وأخوه وأمّه وذووه إلّا كرهاً لا اختياراً وعن رضى ، بفتح مكّة،والّا بعد ان كان فى صدر الإسلام كلّه محارباً للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وهكذا فهم الكلام (حد) فقال هنا : وكان أبوسفيان وأهله من بنى عبد شمس أشد الناس عداوة للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى أوّل الهجرة إلى أن فتح مكّة .

وقرئ (ثم) (أنف الإسلام) بالرفع اسماً لكان وقرئ (حرباً) بالراء (حزباً) بالزاى ،وأسقط العاطف من قوله (وبعد) فقال(المعنى:و مسلم أهل معاوية لم يسلم إلّا كرهاً بعد ان اشتد الإسلام وصار للرسول صلى الله عليه وآله وسلم حزب قوى من أشراف العرب ، واستعار لفظ (أنف الإسلام) لهم باعتبار كونهم اعزّاء أهله .

و هو كما ترى بلا معنى ،وانما يصح استعارة الانف للاشراف لا استعارة أنف للاسلام . قال الحطيئة «قوم هم الأنف ، والأذناب غيرهم» وانّما أنف الإسلام أوّله و صدره .

وقال عليه السلام فى اسلام معاوية وأبيه وباقى بنى أميّة فى كلام آخر «ما أسلموا ولكن استسلموا ،وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعواناً أظهروه » .

و كونهم كما قال عليه السلام من اسرارهم كفرهم واظهارهم له فى موقع لا يخافون امر معلوم ،فقد قال ابوسفيان يوم نال عثمان الخلافة بتدبير عمر له فى مجلسه مخاطباً لعثمان ،وباقى بنى أميّة (تداولوا الأمر والسلطنة بينكم تداول الكره فما من جنّة ولا نار) .

ولما قال المغيرة بن شعبة لمعاوية بأنّه نال مراده من نيل الخلافة فليخفّف من شدّته على الشيعة ،ويترك سبّ أمير المؤمنين عليه السلام .قال لمعاوية إنّه يتأسف على عدم قدرته على محو اسم محمّد .

و مع أنّ أبابكر و عمر كانا يعرفان ذلك منهما مهّد لهم الأمر بتولية

يزيد بن أبى سفيان أوّلاً على الشام ثم معاوية ثم شيّد عمر لمعاوية ، و جميع بنى أميّة خلافة النبوة بالتد بير لخلافة عثمان فى كيفية الشورى ، وجعل ابن عوف حكما ، فالافعال الّتى فعلها معاوية ، والأقوال الّتى قالها لأمير المؤمنين عليه السلام فى هذا الكتاب ، وكتبه الأُخرى ، ومقامات أُخرى كعمل جروه مع عترة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم انّما هى فى الحقيقة أفعال عمرو أقواله وأعماله .

«وذكرت أنّى قتلت طلحة والزبير ، وشرّدت بعايشة ، ونزلت بين المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك ، ولا العذر فيه اليك» قال (حد) اعرض عليه السلام عنه بهذا الجواب أهوانا به .

والجواب المفصّل أنّ طلحة والزبير قتلا أنفسهما ببغيهما ونكثهما ـ إلى أن قال ـ ولعلى عليه السلام ان يقلّب الكلام على معاوية . فيقول له : افترى النبىّ صلى الله عليه وآله لو عاش أكان يرضى لحليلته أن تؤذى أخاه ووصيّه ، و كان يرضى لك يا ابن أبى سفيان ان تنازع علياً الخلافة ـ ولطلحة والزبير أن يبايعا ثم ينكثا لا بسبب بل قالا : جئنا نطلب الدراهم . قيل : لنا إنّ بالبصرة مالاً كثيراً

قلت : بل الأولى الاعراض عن جوابه كما فعل عليه السلام فالمكابر ليس له جواب فكلام معاوية فى أهل الجمل وأنّه عليه السلام قتل طلحة والزبير نظير قوله لمّا قيل له إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال (إنّ عماراً تقتله الفئة الباغية) وقد قتلتموه فانتم الفئة الباغية» إنّما قتلناه بل علىّ قتله حيث جاء به إلى حربنا .

ولم قال (حد) إنّ له عليه السلام أن يقلّب على معاوية الكلام فهو أمر كان واقعاً فإنّ الله قال لعايشة فى خطابه لازواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم «وقرن فى بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأُولى»(١) والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لها (تنبحك كلاب الحوأب كما قال للزبير (تقاتل علياً وأنت له ظالم) وأمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه قالوا لهم ذلك .

(١) الاحزاب ٣٣ .

لكن لعمر الله على مبانى عقيدة إخواننا من صحة خلافة الثلاثة · تكون أقوال معاوية كلّها صحيحة. فصحّة ، خلافة صدّيقهم ، وفاروقهم تستلزم صحة خلافة ذى نوريهم ، وصحة خلافة ذى نوريهم تستلزم وجوب الخروج على أمير المؤمنين عليه السلام وقتاله وقتله · حيث انّه رضى بقتل ذى نوريهم ، وآوى قتلته ، و دافع عنهم ·

قال (حد) واما قول معاوية له عليه السلام (التويت على أبى بكر وعمر) الخ ـ فانّ علياً عليه السلام لم يكن يجحد ذلك ولا ينكره ، ولا ريب انه كان يدّعى الأمر بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إمّا لنصّ كما تقوله الشيعة أو لأمر آخر كما يقوله أصحابنا ·

قلت : اذا كان أصحابه يعتقدون انّه عليه السلام يدّعى الأمر بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه وآله لأمر غير النص لم جمعوا بينه عليه السلام وبينهم فى اسم الامامة والخلافة · فكان الواجب عليهم إمّا يتولونه عليه السلام ويتبرؤا من الثلاثة كما فعلت الشيعة ، وإمّا يتولونهم ، ويتبرؤا منه عليه السلام كما فعلت الأموية والعثمانية ، ولعمر الله إنّ الجمع بينه عليه السلام ، وبينهم كالجمع بين الله تعالى والأصنام.

قال (حد) واما قول معاوية له عليه السلام (لأنك الشامخ بأنفه · الذاهب بنفسه) فقد أسرف فى وصفه بما وصفه ، ولا شك أنّ علياً عليه السلام كان عنده زهو لكن لا هكذا وكان مع زهوه ألطف الناس خلقاً) ·

قلت : العجب من هذا الرجل الّذى يدّعى المعرفة ينسب الزهو ـ وهو الكبر ـ إليه عليه السلام ولا يفرق بين الكبر والعزّة ، وقد جعل الله تعالى العزّة لكلّ مؤمن ذى حقيقة ، وهو أميرهم بالحقيقة ، ووصف غيره بذلك كوصف الأصنام بالألوهيه قال تعالى فى ردّ المنافقين الّذين يدعون العزّة لأنفسهم « و لله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون »(١)

(١) المنافقون ٨ .

وكان عليه السلام كما قال تعالى فى وصف المؤمنين «أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين» كان عليه السلام يترافع على المنافقين مثل معاوية وأمثاله ، ويتواضع للمؤمنين ، ومع تواضعه للمؤمنين كان الله تعالى اعطاه مهابة تقشعرّ منها الجلود. فلمّا طلب معاوية من ضرار بن ضمرة الحد شيعته ـ وصفه له فاستعفاه ولم يعفه ، قال له فى وصفه له عليه السلام فى جملة ما قال «كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئ إذا سكتنا ، ونحن مع تقريبه لنا أشدّ ما يكون صاحب لصاحب هيبة لا نبتدءه بالكلام لعظمته»

ولمّا قال معاوية لقيس بن سعد بن عبادة «كان ابو الحسن هشّاً بشّاً ذا فكاهة قال له قيس اراك تسرحسوا فى ارتغاء تعيبه بذلك اما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة اهيب من ذى ابدتين قد مسّه الطوى تلك هيبته التقوى ليس كما يهابك طغام اهل الشام .

ثم لم عاب معاوية فى قوله له عليه السلام «لانك الشامخ بانفه الذاهب بنفسه» بانه اسرف ، والاصل فى كلام معاوية كلام فاروقهم . فقال لابن عباس: إنّ قومكم كرهوا ان تجتمع لكم النبوّة والخلافة فتذهبوا فى السماء شمخاً وبذخاً .

و قال فاروقهم أيضاً لابن عباس (انّ صاحبكم ان ولى هذا الأمر أخشى عجبه بنفسه ان يذهب به فليتنى أراكم بعدى) ـ الخ ـ وقد نقلهما (حد) نفسه فى موضع آخر .

«وذكرت انك زائرى فى المهاجرين والانصار ، وقد انقطعت الهجرة يوم اسراخوك» قال (حد) يعنى عليه السلام باخيه يزيد بن ابى سفيان اسر يوم الفتح فى باب الخندمة ، وكان خرج فى نفر من قريش يحاربون ، ويمنعون النبىّ صلى الله عليه وآله من دخول مكّة . فقتل منهم قوم ، واسر يزيد ، اسره خالد بن الوليد

(٢) المائدة ٥٤

فخلّصه أبوسفيان منه ، وادخله داره . فؤمّن لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال يومئذٍ : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .

قلت : قد عرفت ان خلفاء ابن قتيبة نقله «يوم اسرابوك» وكذلك نقله (ثم) عن النهج و نسخته من النهج كانت بخط مصنّفه ، وقال فى تفسيره سمّى عليه السلام اخذ العباس لابى سفيان إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم غير مختار و عرضه على القتل اسراً .

و نسب (ثم) لفظ (اسراخوك) إلى الرواية ، واراد به نقل (حد) و حملها على اسر عمرو بن أبى سفيان يوم بدر وقال (ويكون المعنى حينئذٍ بانّ من شأنه وشأن أهله ان يوسروا ولا يسلموا فكيف يدّعون مع ذلك الهجرة) .

قلت : ماذكره اخيراً تكلف بارد ، والصحيح رواية (ابوك) بعد الاتفاق عليه فى (الخلفاء) و (النهج) على ماعرفت ، ونقل (حد) تحريف للتشابه الخطّى بين لفظ (ابوك) و (اخوك)

و أيضاً الانسب بتبكيت معاوية أن يقول عليه السلام له يوم اسرابوك ، واراد عليه السلام بالاسر انّه كان للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم اسرأبى سفيان ، وولديه يزيد ومعاوية ، وباقى قريش وانّما منّ عليهم فسمّاهم الطلقاء بل لازم كونهم طلقاء استرقاقهم بعد اسرهم . ثم المنّ عليهم بالاطلاق . فكانّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى تلك التسمية اسرهم ، واسترقهم ثم منّ عليهم واطلقهم .

وفى السير أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لما بلغ يوم الفتح مرّ الظهران قال العباس : واسوء صباح قريش ان دخل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مكّة عنوة انّه لهلاك قريش آخر الدهر . فاخذ بغلة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وركبها ليلتمس رجلاً يبعثه إلى قريش يشير عليهم ان يلقوا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يدخل مكّة عليهم عنوة ، فسمع صوت أبى سفيان ـ و كانت قريش بعثوه يتجسّس لهم الأخبار ـ فقال له العباس : ويحك هذا النبى وهو مصبحكم فى عشرة آلاف . فقال له : فهل لى من حيلة . قال : نعم تركب

عجزهذه البغلة. فاذهب بك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فانّه ان ظفر بك دون ذلك ليقتلنّك، وجاء به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وقال له: قد اجرته فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: فقد اجرناه. فليبت عندك حتى تغدو به علينا إذا اصبحت. فغدا به على النبيّ صلى الله عليه وآله. فلما رآه النبيّ صلى الله عليه وآله قال له: ألم يان لك أن تعلم ان لا اله إلّا الله قال: قد كان يقع فى نفسى ان لو كان مع الله إله آخر لاغنى قال: الم يان لك ان تعلم انّى رسول الله قال: امّا هذه فوالله انّ فى النفس منها لشيئاً بعد. فقال له العباس: ويحك قل: لا إله إلّا الله و محمّد رسول الله قبل ان تقتل فقاله.

و فى السير أيضاً انّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا دخل مكّة كانت رايته مع سعد بن عبادة. فنادى سعد يا أبا سفيان (اليوم يوم الملحمة. اليوم تسبى الحرمه اليوم اذل الله قريشاً) فنادى أبوسفيان: يا رسول الله امرت بقتل قومك. فقال عثمان. لا نأمن سعداً أن يكون له فى قريش صولة. فاخذ النبيّ صلى الله عليه وآله اللواء من سعد. واعطاء أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قال العباس لابى سفيان: ويحك ادرك قومك من قبل ان يدخل عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله. فخرج حتى انتهى إلى امرأته هند بنت عتبة. فقالت: ما وراءك قال: هذا محمّد فى عشرة آلاف عليهم الحديد، وقد جعل لى [من دخل دارى فهو آمن، ومن القى سلاحه فهو آمن] فقالت: قبّحك الله من رسول قوم، وجعلت، تقول [ويحكم اقتلوه قبّحه الله وافد قوم] فيقول أبوسفيان [ويحكم لا تغرّنكم هذه. فانّى رأيت ما لم تروا محمّداً فى عشرة آلاف اسلموا تسلموا] فامسكت هند برأسه، وقالت: [بئس طليعة القوم عليكم يا أهل مكّة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه].

و من اراد تفصيل الواقعة ابسط يراجع السير، وانّما سمّى عليه السلام منهم اباه مع كون جميعهم فى حكم الاسير لكونه رئيسهم والأنسب بتبكيت معاوية.

وما أصلب وجه معاوية حيث سمّى المنافقين والطلقاء، والفجرة المهاجرين والانصار، وسمّى المهاجرين، والانصار الّذين كانوا معه عليه السلام الطغام.

ولمّا خرج النعمان بن بشير فى صفّين إلى قيس بن سعد بن عبادة بأمر معاوية لردع قيس عن ذكر مساوى معاوية. قال قيس له. فى ما قال: انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أو أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور. انظر أين المهاجرون والانصار باحسان الذين رضى الله عنهم. ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك ـ أى مسلمة بن مخلد ـ ولستما والله ببدريين ولا أحديين، ولا لكما سابقة فى الاسلام، ولا آية فى القرآن، ولعمرى لئن شغبت علينا لقد شغب علينا ابوك من قبل ـ يعنى يوم السقيفة فى بيعة أبى بكر.

هذا، ونظير قوله عليه السلام هنا لمعاوية [وقد انقطعت الهجرة يوم أُسر أبوك] قول عدى بن حاتم لابن الزبير لما قال له [متى فقئت عينك] ـ وكانت فقئت يوم الجمل ـ [يوم قتل أبوك وهربت عن خالتك، وأنا لمحق ناصر وانت لمخاذل]

«فان كان فيك عجل فاسترفه» من قولهم [فى رفاهة من العيش] أى فى سعه.

«وان تزرنى فكما قال اخو بنى اسد».

مستقبلين رياح الصيف تضربهم × بحاصب بين اغوار و جلمود

قال ابن دريد (ريح حاصب) تقشر الحصى عن وجه الارض (و ارض جلمدة) ذات حجارة (الغور) المنخفض من الارض.

قال (حد) كنت اسمع قديماً أنّ هذا البيت من شعر بشر بن ابى حازم الاسدى والآن تصفّحت شعره فلم أجده، ولا وقفت على قائله بعد.

وقال (حد) أيضاً (يمكن أن يكون (جلمود) عطفاً على (حاصب) وعلى (اغوار) والأول أليق).

قلت: كونه عطفاً على حاصب لا يصح إلّا أن يكون معنى (بين أغوار) بين

غور و غور .

«و عندى السيف الّذى اعضضته بجدّك وخالك ، وأخيك فى مقام واحد»

روى نصر بن مزاحم انه عليه السلام لمّا أراد الشخوص إلى الشام تكلّم أصحابه كلّ بكلام فقام عبد اللّه بن بديل الخزاعى ، وقال له عليه السلام : إنّ القوم لو كانوا يريدون اللّه أوللّه يعملون ماخالفونا ، ولكنّ القوم إنّما يقاتلون فراراً من الأسوة وحبّاً للاثرة ، وضنّاً بسلطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم الّتى فى أيديهم ، وعلى إحَن فى أنفسهم وعداوة يجدونها فى صدورهم . لوقائع قديمة قد أوقعتها بهم يا امير المؤمنين قتلت فيها آباءهم واخوانهم ـ ثم التفت إلى الناس فقال ـ فكيف يبايع معاوية أمير المؤمنين عليه السلام وقد قتل أخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجدّه عتبة فى موقف واحد ، واللّه ما اظنّ أن يفعلوا ، ولن يستقيموا لكم دون ان تقصد فيهم المران وتقطع على هامهم السيوف ، و تنثر جواحبهم بعمد الحديد .

و فى سيرة ابن هشام بقرت هند عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة . فصرخت بأعلى صوتها :

نحن جزيناكم بيوم بدر × والحرب بعد الحرب ذات سعر

ماكان عن عتبة لى من صبر × ولا أخى وعمى و بكرى

شفيت نفسى و قضيت نذرى × شفيت وحشى غليل صدرى

فاجابتها هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب :

يا بنت وقاع عظيم الكفر × صبّحك اللّه غداة الفجر

ملها شميين الطوال الزهر × بكل قطّاع حسام يفرى

حمزة ليثى وعلى صقرى × اذ رام شيب و ابوك غدرى

فخضّبا منه ضواحى النحر × و نذرك السوء فشرّ نذر

قولها «ملها شميين» : أى من الها شميين) هذا ، وقال أشجع .

تعضّ بانياب المنايا سيوفه × وتشرب من أخلاف كل وريد

هذا وكما قال عليه السلام لمعاوية سيف يوم بدر معه قال عدى بن حاتم من اصحابه عليه السلام لمعاوية : سيوف يوم صفين التى حاربوه بها معهم . ففى المروج : دخل عدى بن حاتم على معاوية . فقال له معاوية : ما فعلت الطرفات — يعنى اولاده — قال : قتلوا مع على عليه السلام . قال : ما انصفك على قتل اولادك وابقى اولاده . فقال له عدى : ما أنصفت علياً عليه السلام إذ قتل وبقيت بعده . فقال معاوية بقيت قطرة من دم عثمان مايمحوها إلّا دم شريف من أشراف اليمن . فقال له عدى «والله انّ قلوبنا التى أبغضناك بها لفى صدورنا ، وانّ أسيافنا التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، ولئن ادنيت الينا من الغدر فترا . لندنينّ اليك من الشرّ شبراً ، وان حزّ الحلقوم ، وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من ان نسمع المساءة فى على عليه السلام فسلّم السِلم يا معاوية لباعث السيف» — فقال معاوية : هذه كلمات حِكَم فاكتبوها — واقبل على عدىّ محادثاً له كانّه ماخاطبه بشئ .

هذا ، ومماقيل فى الجواب بالسيف قول ابى تمام :

السيف أصدق إنباءً من الكتب × فى حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

« فانّك والله ماعلمت » : اى الّذى علمت .

« الاغلف القلب : » أى أغشى قلبك غلافاً فلايفهم شيئاً .

« المقارب العقل » : هكذا فى النسخ ، ولعل (المقارب) محرّف (المتقارب) . ففى الأساس (تقاربت إبل فلان) : أى قلّت ، قال جندل :

غرّكِ أن تقاربت أباعرى × وأن رأيتِ الدهر ذود وابر

أومحرّف (المعازب) ففى الأساس (وأعزب حلمه) كقولك (أضلّ بعيره و أعزب الله عقلك) .

وكيف كان فنظير قوله عليه السلام هنا قوله عليه السلام فى كتاب إليه (يا ابن صخر يا ابن اللعين زعمت ان يزن الجبال حلمك ، ويفضل بين أهل الشكّ علمك ، وأنت الجلف المنافق الاغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل) .

«والأولى أن يقال لك انّك رقيت سلّماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك» لا لى مرّ عن خلفاء ابن قتيبة أنّ معاوية كتب إليه عليه السلام (ورقيت سلّما اطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك) لانّه كالمؤسّسين له مصداق قوله تعالى «إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا»[1]

والخلافة عهد اللّه تعالى، ولا ينال عهده الظالمين، وإنّما يصلح لمن كان بمنزلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم

«لأنّك نشدت غير ضالتك، ورعيت غير سائمتك، وطلبت أمراً لست من أهله ولا فى معدنه» فى صفين نصر بن مزاحم لمّا خرج شمر بن أبرهة الحميرى فى ناس من قرّاء اهل الشام إلى على عليه السلام قال عمرو بن العاص ـ لمعاوية: إنّك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلا له من محمّد قرابة قريبة، ورحم ماسّه، وقدم فى الإسلام لا يعتدّ احد بمثله، ونجدة فى الحرب لم يكن لأحد من أصحاب محمّد، وأنّه قد سار إليك بأصحاب محمّد المعدودين وفرسانهم وقرّاءهم وأشرافهم، وقد ماءهم فى الإسلام، ولهم فى النفوس مهابة. فبادر بأهل الشام محاشّ الوعر، ومضايق الغيض، واحملهم على الجهد، وائتهم من باب الطمع قبل ان ترفهم، فيحدث عندهم طول المقام ملالاً. فيظهر فيهم كآبة الخذلان، ومهما نسيت. فلا تنس إنّك على باطل.

«فما أبعد قولك» فى وصفك الحق.

«من فعلك» الباطل وفى كتاب آخر له عليه السلام إلى معاوية «ومن العجب أن تصف يا معاوية الإحسان، وتخالف البرهان، وتنكث الوثائق الّتى هي للّه ـ عزّوجلّ ـ طلبه، وعلى عباده حجه مع نبذ الإسلام، وتضييع الأحكام، وطمس الاعلام، والجرى فى الهوى، والهوس فى الردى.

(١) الاحزاب ٧٢.

«وقريب ما اشبهت من اعمام ، واخوال حملتهم الشقاوة ، وتمنّى الباطل على الجحود بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، فصرعوا مصارعهم حيث علمت» ورواه جمهرة الرسائل بلفظ آخر هكذا «أما بعد فانّ ما اتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه ممّا اتى به اهلك ، وقومك الذين حملهم الكفر ، وتمنّى الاباطيل على حسد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حتّى صرعوا مصارعهم حيث علمت» ـ الخ ـ ويأتى تتمته .

وفى كتاب آخر له عليه السلام «واذكرك ما لست له ناسياً يوم قتلت أخاك حنظلة وجررت برجله الى القليب ، واسرت أخاك عمراً . فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً وطلبتك ففررت ، ولك خصاص . فلولا أنّى اتّبع فاراً لجعلتك ثالثهما» .

هذا ، واغرب (ثم) فى معنى قوله عليه السلام «من اعمام واخوال حملتهم الشقاوة» ـ الخ ـ فقال من اهل الشقاوة من جهة عمومته (حمالة الحطب) ومن جهة خؤلته الوليد بن عتبة ـ قال : وانما نكّر الأعمام والأخوال لأنّه لم يكن له أعمام وأخوال كثيرون ، والجمع المنكّر جاز أن يعبّر به عن الواحد والإثنين للمبالغة

قلت : ما ذكره من كون المراد بالأخوال (الوليد بن عتبة) فقط ، و بالعمومة (حمّالة الحطب) عجيب هب جعل الوليد خالاً صرع بقتله فى بدر هل حمّالة الحطب أيضاً حاربت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى موقف فصرعت بقتلها فى موضع .

وانّما مراده عليه السلام باخواله جدّه لامه عتبة ، وعم أمّه شيبة مع خاله الوليد فالعرب تسمّى أقارب الأم أخوالاً . فقالوا بنو زهرة أخوال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مع ان منهم وهب جد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لامه ـ وسمّى شمر يوم الطف العباس و اخوته من أمّه بنى اخته ، وانّما سمّاهم كذلك لكونه من كلاب ، وأمّ البنين من كلاب ولم يكن أبوهما بواحد . فابو شمر ذو الجوشن ، وأبو أمّ البنين حزام ، والثلاثة الوليد و ابوه وعمه كلهم قتلوا فى بدر .

كما أنّ العرب يسمّون أقارب الأب أعماماً ، وقد قتل عليه السلام يوم بدر من بنى

أبی معاویة العاص بن سعید بن أُمیّة ، وکان عمر یقول : مررت به یوم بدر فرایته یبحث للقتال کما یبحث الثور بقرنه ، واذا شد قاه قد ازبد اکالوزغ فلما رایت ذلک هبته وزغت عنه . فقال (إلیّ یاابن الخطّاب) وصمد له علی فتناوله فواللّه مارمت مکانی حتی قتله .

و قتل علیه السلام من بنی أبیه عقبة بن أبی معیط بن أبی عمرو بن أُمیة ، وکان من أُسراء بدر فقتله صبراً . قال النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم لما نزل النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم من بدر علی ستّة أمیال نظر الیه ، والی النضر . فقال النضر لعقبة : أنا وأنت مقتولان . قال عقبة : من بین قریش . قال : نعم لأنّ محمّداً نظر الینا نظرة رأیت فیها القتل ، فقال النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم لأمیر المؤمنین علیه السلام ، علیّ بالنضر و عقبة — إلی ان قال — قال النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم : قدّم یا علی عقبة ، واضرب عنقه . فقدّمه فضرب عنقه .

و قتل علیه السلام بعد اُحد من بنی اُمیّة الّذین هم أعمام معاویة ، معاویة بن المغیرة بن أبی العاص بن اُمیّة . قال البلاذری فی فتوحه : وهو الّذی جدع انف حمزة یوم اُحد وهو قتیل — فاخذ بقرب اُحد . فقتل بعد انصراف قریش بثلاث یقال : إنّ علیّاً علیه السلام قتله قال : انهزم معاویة بن المغیرة یوم احد فمضی علی وجهه . فبات قریباً من المدینة . فلما اصبح دخل المدینة . فأتی منزل عثمان فضرب بابه . فقالت ام کلثوم زوجته ابنة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم : لیس ههنا . فقال : ابعثی إلیه فارسلت إلیه وهو عند النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم . فلمّا جاء قال له : اهلکتنی ، واهلکت نفسک ، قال : جئتک لتجیرنی . فادخله عثمان داره ، وصیّره فی ناحیة منها ثم خرج إلی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم لیاخذ له أماناً . فسمع النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم یقول : إنّ معاویة فی المدینة ، وقد اصبح بها فاطلبوه . فقال بعضهم : ماکان لیعدو منزل عثمان فاطلبوه فیه : فدخلوا منزله ، فاشارت اُمّ کلثوم إلی الموضع الذی صیّروه فیه ، فاستخرجوه من تحت حمارة لهم ، فانطلقوا به إلی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فقال عثمان حین رآه ، والّذی بعثک بالحق ماجئت الا لأطلب له الأمان فهبه له ، فوهبه

لهوأجّله ثلاثاً، وأقسم لئن وجد بعد ها یمشی فی أرض المدینة وماحولها لیقتلنّه، وخرج عثمان فجهّزه واشتری له بعیراً، ثم قال: ارتحل، وسار النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم إلی حمراء الأسد، وأقام معاویة إلی الیوم الثالث لیعرف اخبار النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم ویأتی بها قریش، فلمّا کان فی الیوم الرابع قال النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم: إنّ معاویة أصبح قریباً لم ینفذ. فاطلبوه فأصابوه، وقد أخطأ الطریق فادرکوه ـ وکان اللذان أسرعا فی طلبه زید بن حارثة وعمار ـ إلخ

ولوصح خبره الآخر فی قتل زید وعمار له لصدق أیضاً أنّه علیه السلام قتله حیث إنّ من قتله النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم ولو علی ید غیر أمیر المؤمنین علیه السلام قتله هو علیه السلام أیضاً لکونهما بمنزلة نفس واحدة، وکذلک کان اعتقاد معاویة، وباقی بنی اُمیّة، وأمّا الثلاثة فکانوا بمراحل عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم لا سیما الأخیر فقد عرفت دفاعه عن هذا الرجل جد أنف عم النبیّ ومثّل به بعد قتله ثمّ بعد أخذ عثمان له الأمان من النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم بالکره بقی استظهاراً بعثمان یتجسس علی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم.

وروی الکلینی فی نوادر جنائزکافیه أنّ عثمان آوی المغیرة ـ وکان ممن هدر النبی صلی الله علیه وآله وسلم دمه ـ فقال لابنة النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم: لا تخبری اباک بمکانه. فقالت ماکنت لاکتم علی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم عدوّه فجعله عثمان بین مشجب له، ولحفّه بقطیفة فأتی النبی صلی الله علیه وآله وسلم الوحی بمکانه. فبعث إلیه علیاً علیه السلام، وقال: اشتمل علی سیفک وائت بیت ابنة عمّک. فان ظفرت بالمغیرة فاقتله. فأتی البیت. فجال فیه. فلم یظفر به. فرجع إلی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم. فقال لم أره. فقال: أتانی الوحی انّه فی المشجب، ودخل عثمان بعد خروج علیّ علیه السلام فأخذ بید المغیرة. فأتی به النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم. فلمّا رآه أکبّ ولم یلتفت إلیه، وکان حییّاً کریماً. فقال عثمان: هذا المغیرة، والّذی بعثک بالحقّ آمنته ـ قال أبو عبد الله علیه السلام کذب والّذی، بعثه بالحقّ ما آمنه ـ وکان یأتیه عن یمینه وعن یساره. فلمّا کان فی الرابعة رفع النبی صلی الله علیه وآله وسلم رأسه إلیه. فقال: قد جعلت لک ثلاثاً. فان قدرت علیه بعد

ثالثة قتلته ـ فلمّا أدبر قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم اللّهم العن المغيرة ، والعن من يؤويه ، والعن من يحمله ، والعن من يطعمه ، والعن من يسقيه ، والعن من يجهّزه ، والعن من يعطيه سقاءً أو حذاءً أو رشاءً أو وعاء ـ وهو يعدهن بيمينه ـ فانطلق به عثمان . فاواه واطعمه وسقاه ، وحمله وجهّزه حتّى فعل جميع ما لعن به النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من يفعله ، به . ثمّ أخرجه فى اليوم الرابع يسوقه . فلم يخرج من أبيات المدينة حتّى أعطب اللّه به راحلته : ونقب حذاه ، ودميت قدماه فاستعان بيديه وركبتيه ، وأثقله جهازه ، فأتى سمرة ـ فاستظلّ بها . فأتى النبىّ صلى الله عليه وآله الوحى . فأخبره بذلك . فدعا علياً عليه السلام فقال : خذ سيفك ، وانطلق أنت وعمّار وثالث لهم . فأت المغيرة تحت سمرة كذا وكذا ، فأتاه علىّ عليه السلام فقتله . فضرب عثمان بنت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال لها ، أنت أخبرت أباك بمكانه ـ الخبر .

و منه يظهر أنّ عماراً وزيداً كانا معه عليه السلام لا كما قال البلاذرى فى تلك الرواية من استقلالهما بالذهاب وقتله .

« لم يدفعوا عظيماً ولم يمنعوا حريماً » رواه جمهرة الرسائل وزاد بعده « وانا صاحبهم فى تلك المواطن الصالى لحزبهم ، والفالّ لحدّهم ، والقاتل لرؤسهم رؤوس الضلالة ، والمُتْبع ان شاء الله خلفهم بسلفهم . فبئس الخلف ـ خلفاً اتّبع سلفاً محلّه ومحطّه النار » .

و فى صفين نصر بن مزاحم ذكروا انه اجتمع عند معاوية عتبة بن أبى سفيان والوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم ، وعبد اللّه بن عامر ، وابن طلحة الطلحات . فقال عتبة : انّ أمرنا وأمر علىّ لعجب ، ليس منّا إلّا موتور محاج . أما أنا فقتل جدّى ، واشرك فى دم عمومتى يوم بدر ، وأمّا أنت يا وليد فقتل أباك ، وأيتم إخوتك ، وأما أنت يا مروان فكما قال الأوّل :

و أفلتهنّ علباء جريضاً × ولو أدركنه صفر الوطاب

فقال معاوية : هذا الإقرار فأين الغُيُر قال مروان : أىّ غُيُر تريد قال : أريد ان تشجروه بالرماح . فقال : والله انك لهازل اولقد ثقّلنا عليك . فقال الوليد :

يقول لنا معاوية بن حرب × اما فيكم لو اتركم طَلوبُ
يشدّ على أبى حسنٍ علىّ × بأسمرَ لا تهجّنُه الكُعوبُ
فيهتك مجمع اللبّاتِ منه × و نَقْعُ القوم مطّردٌ يثوبُ
فقلت له اتلعب يا ابن هند × كأنّك وسْطَنا رجلٌ غريبُ
أتأمرُنا بحيّةِ بطنِ وادٍ × اتيح له به اسد مهيب
بأضعف حيلةً منّا إذا ما × لَقيناه و ذا منّا عَجيبُ
دَعا لِلقاهُ فى الهيجاء لاقٍ × فأخطأ نفسَه الأجلُ القريبُ
سِوى عمرٍو وقَتْه خُصيتاه × نجاه و لقلبه منها وَجيبُ
كأنّ القوم لما عاينوه × خِلالَ النَقْع ليس لهم قُلوبُ
لعمر أبى معاويةَ بن حرب × وما ظَنّى بملحقة العيوب
لقد ناداه فى الهيجا علىٌّ × فأسمعه ولكن لا يجيبُ

فغضب عمرو بن العاص ، وقال : ان كان الوليد صادقاً فليلق عليّاً او ـ ليقف حيث يسمع صوته ، وقال :

يذكّرنى الوليدُ دُعا علىٍّ × وبطنُ المرءِ يملأُه الوعيدُ
مَتى يذكُرْ مَشاهِدَهُ قريشٌ × يَطِرْ مِنْ خوفِهِ القلبُ الشديدُ
فأمّا فى اللقا فأينَ منهُ × معاويةُ بنُ حربٍ والوليدُ
وعيّرَنى الوليدُ لِقاءَ ليثٍ × إذا ما زارَ هابَتْهُ الأسودُ
و لو لا فيته شُقّتْ جُيُوبٌ × عليك ولُطّمت فيكَ الخُدودُ

«بوقع سيوف» قالوا (بوقع) متعلق بقوله (فصرعوا) .

«ما خلا» قالوا ليس (ماخلا) ههنا للاستثناء بل (ما) للنفى ، وخلا) من (خلا يخلو) .

«منها الوغى» : أى الحرب قال الجوهرى: قيل للحرب: وغى لما فيها من الصوت، والجلبة.

«ولم تماشها» من المماشاة قال (ثم) و روى (ولم تماسّها) .

«الهوينى» من الهون: أى السهولة.

٩/ ٧٣/ ٢/ «و من كتاب له عليه السلام الى معاوية» (أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ ، وَالْاِسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لَمَوْهِنٌ رَأْيِي ، وَمُخَطِّئٌ فِرَاسَتِي وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الْأُمُورَ ، وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحْلَامُهُ وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ . لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ ، وَلَسْتَ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَوْلَا بَعْضُ الْاِسْتِبْقَاءِ . لَوَصَلْتُ إِلَيْكَ . مِنِّي قَوَارِعُ . تَقْرَعُ الْعَظْمَ وَتَهْلِسُ اللَّحْمَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحِكَ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ) .

٣٠/ ٢/ (ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية) (وَاتَّقِ اللَّهَ فِي مَا لَدَيْكَ وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ . فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً ، وَسُبُلاً نَيِّرَةً ، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً ، وَغَايَةً مُطْلَبَةً . يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ . مَنْ نَكَبَ عَنْهَا حَادَ عَنِ الْحَقِّ ، وَخَبَطَ فِي التِّيهِ ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ ، فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ ، فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ ، وَحُبْتُ تَنَاهَتْ

بِكَ أُمُورُكَ ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً ، وَأَقْحَمَتْكَ غَيّاً ، وَ أَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ .

أقول : قوله عليه السلام في الاول « اما بعد فإنّي على التردّد في جوابك والاستماع إلى كتابك » قال (حد) (ليس معناه التوقف بل التردد والتكرار أي أنا لائم نفسي على أنّي اكرّر تارة بعد تارة أجوبتك عمّا تكتبه) .

قلت : ولا مانع عن ان يراد (بالتردد) التوقف بان يكون المعنى ، (انني مع توقفي ، وتردّدي هل اجيبك أم لا ، وهل استمع الى كتابك أم لا مضعّف رأيي لان مقتضى الرأي الّذي ليس به ضعف الاجتناب أصلا ، ولا يسمع منك الخطاب بتّاً اذ الكتاب اليك بعد معلومية كونك منافقاً ومتعنّتاً خارج عن الصواب .

وكيف كان فقوله (على التردد) ليس بخبر بل متعلّق بالخبر أي (لموهن) و (على) فيه بمعنى (مع) كقوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبّه »[1] .

« لموهن رأيي و مخطّي فراستي » قال (حد) (موهن) بالتشديد : أي كان ينبغي ان يكون جواب مثلك السكوت لهوانك .

قلت : (موهن) بالتخفيف أيضاً صحيح قال الجوهري (الموهن الضعف و (وهّن الانسان ووهّنه غيره) يتعدى ولا يتعدى ، و (وهن أيضاً) : أي ضعف و (أوهنته أيضاً و وهّنته توهيناً) .

و مراده عليه السلام أنّ جواب معاوية السكوت لأنّ غرضه إنّما كان التلبيس والمشاغبة لا ما قاله (حد) من هوانه .

« كالمستثقل النائم تكذب به أحلامه ، والمتحيّر القائم يبهظه مقامه لا يدري

(۱) الانسان ۸ .

أله مايأتى أم عليه» قال (حد) اى انّك فى مناظرتى ، وكتبك إلىّ كالنائم يرى احلاماً كاذبة أوكمن قام مقاماً بين يدى سلطان ٠ أو قوم عقلاء ليعتذر عن أمر ، اوليخطب بامر فى نفسه قد ابهظه ـ اى أثقله ـ مقامه ذلك فهولا يدرى بكلامه هوله أم عليه ـ أما تشبيهه بالنائم ذى الأحلام ٠ فإنّ معاوية لو رأى فى المنام فى حيوة النبىّ ﷺ أنّه خليفة يخاطب بإمرة المؤمنين ، ويحارب علياً عليه السلام على الخلافة ، ويقوم فى المسلمين مقام النبىّ ﷺ لماطلب لذلك المنام تعبيراً و تأويلاً ، ولعدّه من وساوس الخيال ، وأضغاث الأحلام ، وكيف وأنّى يخطر هذا بباله ، وهوأبعد الخلق منه ، وهذا كما يخطر للنقّاط أن يكون ملكاً ، ولا ينظرن إلى نسبه ـ بل انظر الى أنّ الامامة هى نبوّة مختصرة ، و أنّ الطليق المعدود من المؤلفة قلوبهم المكذّب بقلبه ، وإن أقرّبلسانه الناقص المنزلة عند المسلمين ٠ القاعد فى أخريات الصف ، اذا دخل الى مجلس فيه أهل السوابق من المهاجرين كيف يخطر ببال أحد أنّها تصير فيه ، ويملكها ويوسمه الناس و سمها ، ويكون للمؤمنين أميراً ، ويصيرهو الحاكم فى رقاب أولئك العظماء من أهل الدين والفضل ـ وهذا أعجب من العجب أن يجاهد النبىّ ﷺ قوماً بسيفه ولسانه ثلاثاً و عشرين سنة ، ويلعنهم النبىّ ﷺ ويبعدهم عنه وينزل القرآن بذمهم ، ولعنهم والبراءة منهم ٠ فلمّا تمّت له الدولة ، و غلب الدين على الدنيا ، وصارت شريعة دينية محكمة مات ٠ فشيّد دينه الصالحون من أصحابه ، وأوسعوا رقعة ملّته ، و عظم قدرها فى النفوس ٠ فتسلمها منهم أولئك الأعداء الّذين جاهدهم النبىّ ﷺ ٠ فملكوا وحكموا فيها ، وقتلوا الصلحاء والأبرار ، وأقارب نبيّهم الّذين يظهرون طاعته ـ وآلت تلك الحركة الأولى والاجتهاد السابق إلى أن كان ثمرته لهم فليته ﷺ كان يبعث ٠ فيرى معاوية الطليق وابنه ومروان وأبنائه خلفاء فى مقامه ٠ يحكمون على المسلمون ـ فوضح ان معاوية فى مايكاتبه ، ويراجعه به كصاحب الاحلام ـ

واما تشبيهه إيّاه بالقائم مقاماً بهظه فلان الحجج والشبه والمعاذير التي يذكرها معاوية في كتبه أوهن من نسج العنكبوت . فهو حال مايكتب كالقائم ذلك المقام يخبط خبط العشواء ويكتب مايعلم هو والعقلاء انه سفه باطل ـ الخ .

قلت: أمّا ماقاله (من أنّ معاوية لوكان رأى في نومه في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه يصير خليفة يعدّ ممن أضغاث الأحلام لأنّه كان أبعد الخلق منه) فليس كما قال بل كان ينتظره وهو، وان كان محارباً لله اكثر أيّام رسوله إلى أن أذلّه الله إلّا أنّ وصوله الأمر كان ذا علاج عنده، وهو أن يساعد صديقهم، وفاروقهم اللذين من مهاجريهم الأولين لأنّ جميعهم كانوا من جنس واحد وكنفس واحدة وبمساعدته منع فاروقهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الوصية، وبه تخلّف هو وصاحبه عن جيش أسامة، وبه أرادا إحراق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمه بضعته، ونالا الأمر بواسطته.

فقال فاروقهم لابن عباس: انتم اهل رسول الله، وبنو عمه. فما تقول منع قومكم منكم قال: لا أدري علّتها والله ما أضمرنا لهم إلّا خيراً قال: اللّهم غفراً إنّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتذهبوا في السماء شمخاً وبذخاً، ولعلّكم تقولون إنّ أبا بكر أوّل من اخركم اما أنّه لم يقصد ذلك، ولكن حضر أمر لم يكن بحضرته احزم مما فعل.

ولولا رأى أبي بكر فيّ لجعل لكم من الأمر نصيباً، ولو فعل ما هنّاكم مع قومكم انّهم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره) ـ الخبر.

فهل قوم بني هاشم غير قريش، وهل رئيس قريش غير معاوية وأبيه، وبني أبيه وزادهم بسطة كون عثمان منهم.

وقال عمر أيضاً لابن عباس لمّا سأله عن أشعر الشعراء. فقال له: زهير لقوله في بني سنان:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم × قوم بأوّلهم أو آخرهم قعدوا

(لا يصلح هذا البيت إلّا في بني هاشم لقرابتهم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أتدري ما

منع الناس منكم قال ابن عباس لا . قال : كرهت قريش ان تجتمع لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا جحفاً ـ فنظرت قريش لانفسها فاختارت ووفّقت فاصابت ـ الخبر .

كما انه لما تنبّه الناس لخطاهم باتّباع الاوّلين من أعمال عثمان الذى كانا جعلاه صاحب الأمر حتّى كانّهما جعلا بنى أميّة أعداء الدين صاحب الأمر اقبلوا بعد قتلهم لعثمان نحوه عليه السلام عشقاً كما وصف مروان الأمر فى كتابه إلى معاوية بعد ذكره قتل عثمان فى قوله (صاروا منكفئين قِبَل ابن أبى طالب انكفاء الجراد ابصر المرعى . فاخلق ببنى أميّة ان يكونوا من هذا الأمر بمجرى العيّوق ان لم يثاره ثائر) توسّل معاوية بانهاض طلحة والزبير فى قبال أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إلى الزبير « امّا بعد فانّك ابن أبى خديجة ، وابن عمة الرسول ، وحواريه ، وسلفه ، وصهر أبى بكر ، وفارس المسلمين ، وأنت الباذل مهجته فى الله بمكّة عند صيحة الشيطان . فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت ، تخبط خبط الجمل الرديخ كل ذلك قوة ايمان ، وصدق يقين ، وسبقت لك من آل الرسول البشارة بالجنّة ، وجعلك عمر أحد المستخلفين على الأمة ، واعلم أنّ الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعى ، فسارع الى حقن الدماء ، ولمّ الشعث ، وجمع الكلمة ، وصلاح ذات البين قبل تفاهم الأمر ، وانتشار الأمة ، فقد أصبح الناس على شفا جرف عمّا قليل ينهار ان لم يراب . فشمّر لتأليف الأمة ، وابتغ إلى ربك سبيلاً ، فقد احكمت الأمر من قبلى لك ولصاحبك على انّ الأمر للمقدّم ثم لصاحبه من بعد مجعلك الله من ائمة الهدى ، وبغاة الخير والتقوى) .

وكتب الى طلحة (فانك اقل قريش فى قريش وتراً مع صباحة وجهك ، و سماحة كفّك ، وفصاحة لسانك ، فأنت بازاء من تقدّمك فى السابقة ، و خامس المبشّرين بالجنّة ، ولك يوم احد ، وشرفه وفضله ، فسارع الى ما تقلاك الرعية من امرها . مما لا يسعك التخلف عنه ، ولا يرضى الله منك إلّا بالقيام به ، فقد احكمت لك الامر قبلى ، والزبير غير متقدم عليك بفضل ، وايّكما قدّم صاحبه ، فالمقدّم الإمام

والامر من بعده للمقدم له) .

وطلحة والزبير كانا في طراز أبي بكر وعمر ، فلمّا طعن عمر ، وقال : ادعوا لي الستّة فاحضروا قال : اكلكم يطمع في الخلافة بعدي . قال له الزبير « ما الذي يبعّدنا منها ولسنا دونك في قريش ، ولا في السابقة ولا في القرابة » .

فلمّا لم يمكنه ان يدّعي هذا الأمر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ساعد صديقهم ثم فاروقهم ثم صاحبهم الّذي سلطنته سلطنتهم ، وبعد هتك صاحبهم ، ورجوع الحق إلى نصابه . قدّم حواريهم وصاحبه ليزلزل الأمر على أمير المؤمنين عليه السلام حتى يتمّ الأمر لنفسه لكون الشام من قبل فاروقهم وصاحبه بيده ، واهله طغام لا يفرّقون بين الحق والباطل ، وساعده باقي بني أميّة فتمّ له الأمر .

فكتب إلى مروان بعد كتابه إلى طلحة والزبير ـ وكان بالمدينة ابحث عن امورهم بحث الدجاجة عن حبّ الدخن ، وانغل الحجاز فانّي منغل الشام .

وكتب إلى سعيد بن العاص (ان عثمان عتب عليه فيكم ، وقتل في سبيلكم ففيم القعود ، فإذا قرأت كتابي ، فدبّ دبيب البرء في الجسد النحيف ، وسِرسير النجوم تحت الغمام . واحشد حشد الذَرّة في الصيف لانجحارها في الصرد »

وكتب الى ابن عامر « وساور الامر مساورة الذئب الاطلس كسيرة القطيع و نازل الرامي ، وانصب الشرك ، وارم عن تمكّن ، وضع الهناء مواضع النقب ، و اجعل اكبر عدّتك الحذر ، واحدّ سِلاح التحريض ، واغض عن العوراء ، وسامح اللجوج ، واستعطف الشارد ، ولاين الاشوس ، وقوّ عزم المريد ، وبادر العقبة ، و ازحف زحف الحيّة) .

وكتب الى الوليد بن عقبة « فلو قد استتبّ هذا الأمر لمريده الفيت كشريد النعام يفزع من ظل الطائر » .

وكتب الى يعلى بن منية « كان اعظم ما نقموا على عثمان ، ولا يتك اليمن .

فشمر لد خول العراق ، فأمّا الشام ، فقد كفيتك أهلها ، وأحكمت أمرها وقد كتبت إلى طلحة أن يلقاك بمكّة حتّى يجتمع رأيكما على اظهار الدعوه ، والطلب بدم عثمان فاجابوه بمساعدته . فكتب اليه مروان « انا كحرباء السبسب فى الهجير ترقب عين الغزالة » . وكتب اليه الوليد « ملاءة بطنى على حرام إلّا مسكة الرمق حتى أفرى أوداج قتلة عثمان » وكذلك باقيهم كتبوا مثل ذلك .

وأمّا قول (حد) « انّ الطليق الّذى كان من المؤلفة كيف يخطر ببال أحد أنّه يملك الامامة الّتى هى نبوّة مختصرة » فاعترض نظيره محمّد بن أبى بكر على معاوية نفسه . فاجابه بابتناء أمره على أمر صدّ يقهم وفاروقهم .

فروى ابو الفرج والمسعودى ، ونصر بن مزاحم ، وغيرهم أنّ محمّد بن أبى بكر كتب إلى معاوية كتاباً وفى جملته ، أنّ أوّل من أجاب وأناب وصدق ووافق وأسلم وسلّم بعد بعثة محمّد صلى الله عليه وآله أخوه وابن عمه علىّ بن أبى طالب . فصدّقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كلّ حميم فوقاه كلّ هول ، وواساه بنفسه فى كلّ خوف فحارب حربه ، وسالم سلمه . فلم يبرح مبتذلاً لنفسه فى ساعات الازل ، ومقامات الروع حتّى يرز سابقاً لا نظير له فى جهاده ، ولا مقارب له فى فعله ، وقد رأيتك تساميه ، وأنت أنت ، وهو هو المبرّز السابق فى كلّ خير . أوّل الناس اسلاماً وأصدق الناس نيّة ، وأطيب الناس ذرّية ، وأفضل الناس زوجة ، وخير الناس ابن عم — و أنت اللّعين ابن اللّعين ، ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله وتجهدان على اطفاء نور الله ، وتجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال ، وتحالفان فيه القبائل على ذلك مات أبوك ، وعلى ذلك خلّفته ، والشاهد عليك بذلك من يأوى إليك ، ويلجأ من بقية الأحزاب ، ورؤوس النفاق والشقاق للنبىّ صلى الله عليه وآله ، والشاهد لعلى عليه السلام مع فضله المبين ، وسبقه القديم أنصاره الّذين ذكروا بفضلهم فى القرآن ، فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار فهم معه عصائب ، وكتائب حوله ، يجالدون بأسيافهم ، ويهريقون دماءهم دونه

يرون الفضل فى اتّباعه ، والشقاء فى خلافه ، فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعلى عليه السلام ، وهو وارث رسول الله ، ووصيّه وأبو ولده ، وأوّل الناس له اتّباعاً وآخرهم به عهداً يخبره بسرّه ، ويشركه فى امره ، وانت عدوّه فتمتّع ما استطعت ، بباطلك ، وليمد لك ابن العاص فى غوايتك ، فكان اجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا ، واعلم انك تكايد ربّك الذى قد امنت كيده ، وايست من روحه ، وهولك بالمرصاد ، وانت منه فى غرور وبالله وأهل رسوله عنك الغناء) .

قالوا : فكتب إليه معاوية « اتانى كتابك تذكر ما الله أهله فى قدرته و سلطانه ، وما اصطفى به نبيّه مع كلام الّفته لرأيك فيه تضعيف ، ولا بيك فيه تعنيف ذكرت حق ابن أبى طالب ، وقديم سوابقه ، وقرابته من النبىّ ، ونصرته له ، ومواساته إيّاه فى كل خوف ، واحتجاجك علىّ ، وعتبك لى بفضل غيرك لا بفضلك . فاحمد إلهاً صرف الفضل عنك ، وجعلك لغيره ، وقد كنّا وأبوك معنا فى حيوة من نبيّنا نرى حقّ ابن أبى طالب لازماً لنا ، وفضله مبرّزاً علينا . فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده واتمّ له ما وعده واظهر دعوته ، وافلج حجّته . قبضه إليه ـ فكان ابوك وفاروقه اوّل من ابتزّه ، و خالفه ، على ذلك اتّفقا واتّسقا . ثم دعواه إلى انفسهم فابطاعنهما وتلكّأ عليهما . فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم فبايع وسلّم لهما لا يشركانه فى أمرهما ولا يطّلعانه على سرّهما حتّى قبضا ، وانقضى امرهما ، ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدى بهديهما ، ويسير بسيرتهما . فعبته انت ، وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصى .

وبطنتماله ، واظهرتما عداوتكما وغلّكما . حتّى بلغتما منه مناكما . فخذ حذرك يا ابن ابى بكر . فسترى وبال أمرك ، وقس شبرك بفترك . تقصر من أن توازى من تزن الجبال حلمه ، لا تلين على قصر قناته ، ولا يدرك ود ما ناته ، أبوك مهد مهاده وبنى ملكه وشاده . فان يكن ما نحن فيه صوابا فابوك اوله ، وان يك جورا فابوك

اسّه ، ونحن شركاءه وبهديه اخذنا ، وبفعله اقتدينا ، ولولا ما سبقنا اليه ابوك ما خالفنا ابن أبى طالب واسلمناله ، ولكنّا رأينا اباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله واقتدينا بفعاله . فعب اباك ما بدا لك اودع .

ولعمرى انّ جوابه عين حقيقة الأمر ، ومن قضايا العقول ان بطلان اللازم يدلّ على بطلان الملزوم . فلوكانت خلافة صدّيقهم حقّاً كانت خلافة معاوية أيضاً حقّاً مع وضوح بطلانها لكونه عدوّاً لله وعدوّ رسوله ، وعدوّ دينه ، ولعين نبيّه فخلافة أبى بكر أيضاً كذلك .

وهذا الكتاب هو الذى أشار اليه الطبرى ، ولم ينقله ، واعتذر بأنّه لا تحتمله العامة ، ولوكان قال : لا تحتمله أولوالألباب لأتى بالصواب .

واما قول (حد) وهذا أعجب من العجب أن يجاهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم قوماً بسيفه ولسانه ثلاثاً وعشرين ، و يلعنهم ، وينزل القرآن بذمهم ـ الخ ـ فليس العجب مختصاً بمن قال : ألم تكن عايشة معترضة على النبىّ طول ايّامه فى باقى ازواجه وفى معاشرتها معه حسبما نزلت فيه الآيات وتواترت به الروايات ألم يقل ـ عزّوجلّ ـ فيها وفى صاحبتها « وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل و صالح المؤمنين »[1] ـ « ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرئة نوح وامرئة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين »[2] .

ألم يقل تعالى لها « وقرن فى بيوتكن ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الاولى »[3] من يأت منكن بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا[4]

(١) التحريم ٤ .

(٢) التحريم ١٠ .

(٣) الاحزاب ٣٣ .

(٤) الاحزاب ٣٠ .

و مع ذلك يعتقد أهل نحلته كونها صدّيقه ، وكان أصحاب حواريهم و صاحبه فى الجمل يقولون :

يامعشر الأزد عليكم أمّكم × فإنّها صلوتكم و صومكم

وكانوا يقولون فى من نزلت فيهم آية التطهير :

ان فاتنا على .فالغبن × اوفاتنا ابناه جسين وحسن

اذ ن نمت بطول همّ وحزن

وكانت مع ذلك ، ولا يتها عندهم كولاية أبيها جزء الدين . ألم يسمعوا قوله تعالى فى أمير المؤمنين عليه السلام وسيّدة نساء العالمين ، وسيّدى شباب أهل الجنة « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم » سوى ما تواتر عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيهم قولاً وعملاً ، ومع ذلك هم عندهم كعرض الناس .

واما قوله « ولمّا مات ذلك النبىّ شيّد دينه . الصالحون من أصحابه » فإن أراد بصالح أصحابه صدّيقهم ، وفاروقهم ، وأراد بتشييد هم دينه . فتوحاتهما فبنوامية كانوا أكثر فتوحاً منهم ، وإن أراد بتشييد هم دينه إراداتهم إحراق أهل بيته لولم يحضروا للبيعة معهم ، وتركهم جنازة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم بلا تجهيز ومعاملتهم مع بضعة نبيّهم سيّدة نساء العالمين ما عاملوا من أخذ فدك منها و غير ذلك مما تسبب موتها فلعل .

وقول (حد) « فتسلمها منهم أولئك الاعداء » ليته أضاف عليه بتسليم أولئك الأولياء الأمر إليهم .

وقوله « وآلت تلك الحركة الاولى ، وذلك الاجتهاد السابق الى أن كان ثمرته لهم » فيه انه لم يكن مآل حركتهم تلك إلى ماقال بل كانت حركتهم تلك عين ذاك فهل جعل عثمان باسم الشورى خليفة للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم غير عمر ، و هل كانت خلافه عثمان غير خلافة بنى أمية ، وكان عمر يعرف ذلك كاملاً ، ولم تكن اعمال بنى أميّة فى ايام عثمان أقل شناعة من أعمالهم فى ايّام معاوية بل كانت أكثر

فظاعة فمن شرب من بنى أُمية ، وصلّى بالناس الصبح أربعاً ، وتغنّى لهم فيها ايّام معاوية ، وهل معاوية الطليق ومروان الطريد الوزغ ابن الوزغ لا يحكمان أيّام عثمان الذى هو ذو نوريهم وثالث راشديهم بهواهما كما شاءا ـ ولولم يكن لعثمان إلّا معاملته مع أبى ذر ، وعمار المتفق على جلالهما ـ لاكرجال عشرتهم وستّتهم ـ لكفاه خزياً ، ومعادلة لأعمال كثير من خلفاء بنى أُميّة .

« ولست به غيرانّه بك شبيه » لم يقل عليه السلام : « غيرانّك به شبيه » للدلالة على أنّ مفاسد تصدّى معاويه للأمروخبطاته وزلّاته فوق خبطات المستثقل النائم والمتحيّرالقائم بمراتب .

« واقسم بالله انّه » هكذا فى المصرية ، وكلمة (انّه) زائدة لعدم وجودها فى (حد ، وثم ، والخطية) والظاهر أنّها كانت نسخة بدليةمن (بالله) فى بعض النسخ فجمعت المصرية بينهما .

« لولا بعض الاستبقاء لوصلت إليك منّى قوارع » : أى شدائد كاسرة .

« تقرع » : أى تكسر .

« العظم وتنهش اللحم » قال الجوهرى : النهش النهس وهو أخذ اللحم بمقدّم الاَسنان .

قال (حد) قيل : ان القوارع التى أشار اليها هى أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله فوّض اليه أمرنسائه بعد موته ، وجعل اليه أن يقطع عصمة ايتهن شاء إذا رأى ذلك ، وله من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك ، فقد كان قادراً على ان يقطع عصمة أُم حبيبة ، ويبيح نكاحها الرجال عقوبة لها ولمعاوية أخيها فإنّها كانت تبغض عليّاً عليه السلام كما يبغضه أخوها ، ولوفعل ذلك لانتهش لحمه ، وهذا قول الامامية ، وقد رووا عن رجالهم انّه عليه السلام تهدّد عايشة بضرب من ذلك ، وأمانحن فلا ـ نصدّق هذا الخبر ، ونفسّر كلامه على معنى آخر ، وهو أنّه قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا من النبىّ صلى الله عليه وآله يلعن معاوية بعد اسلامه ، ويقول إنّه منافق

كافر، وانه من أهل النار، والأخبار في ذلك مشهورة فلو شاء ان يحمل الى اهل الشام خطوطهم، وشهاداتهم بذلك، ويسمعهم قوله ملافظة ومشافهة لفعل، ولكنّه رأى العدول عن ذلك مصلحة لأمر يعلمه هو ولو فعل ذلك لا نتهش لحمه وإنّما أبقى عليه.

وقلت لابي زيد البصري: لِمَ أبقى عليه. فقال: ما أبقى مراعاة له، ولا رفقاً به، ولكنه خاف ان يفعل كفعله. فيقول لعمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة، و بسر بن ارطاة، وأبي الأعور وامثالهم اروا أنتم عن النبيّ ان علياً منافق من أهل النار ثم يحمل ذلك إلى أهل العراق فلهذا السبب ابقى عليه.

قلت: قوله «وهذا قول الاماميّة» ان كان اشاربه إلى تفسير (القوارع) في كلامه عليه السلام بما ذكر. فمن من الاماميّة. قال ذلك هل الرضى قال ذلك او المرتضى او المفيد او الصدوق او الكليني او غيرهم من معروفيهم، وإن أشار به إلى أصل — تفويض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر نسائه إليه عليه السلام، وانه عليه السلام هدّد بذلك. عايشة فلم يكن ذلك مختصّاً بالإمامية. فقد روى ذلك أعثم الكوفي من رجالهم الأقدمين لكن المراد سقوط حرمتهن، وخطابهن بأم المؤمنين دون اباحة نكاحهن. فالإمامية قائلون بان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نفسه لو طلق امرأة لم يجز نكاحها ولو كانت لم يدخل بها

روى محمد بن يعقوب، عن ابن اذينة، عن سعد بن ابي عروة، عن قتادة عن الحسن البصري ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تزوّج عامرية جميلة، فقالت عايشة وحفصة: لا تغلبنا هذه. فقالتا لها: لا يرى منك النبيّ حرصاً. فلما ادخلت عليه قالت «اعوذ بالله منك» فانقبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يده وطلّقها — وتزوج كنديّة. فلمّا مات ابنه ابرهيم. قالت «لو كان نبيّاً ما مات ابنه» فطلّقها أيضاً قبل ان يدخل بها. فاتتا ابا بكر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد خطبتا. فقال: هو و عمر لهما اختارا ان شئتما الحجاب، وان شئتما الباه. فاختارتا الباه. فجذم احد الرجلين وجنّ الآخر — قال ابن اذينة، فحدّثت بهذا الحديث زرارة، والفضيل فرويا عن أبي جعفر عليه السلام انه ما نهى الله — عزّوجلّ — عن شئ إلّا وقد عصى فيه حتى نكحوا

ازواجه بعده ـ وذكرهاتين ، العامريّة والكنديّة .

واماماقاله من انه كان معه عليه السلام من الصحابة قوم كثير سمعوامن النبيّ صلى الله عليه وآله لعن معاوية وانّه منافق كافر فصحيح ، فروى نصربن مزاحم فى صفينه عن عماربن ياسر . قال « والله ماسلم القوم ، ولكن استسلموا واسرّوا الكفرحتى وجدوا عليه اعواناً فاظهروه » .

وعن ابن مسعود ، وأبى سعيد ان النبيّ صلى الله عليه وآله قال اذا رايتم معاوية يخطب على منبرى فاقتلوه ـ قال أبوسعيد : فلم نفعل ولم نفلح .

وعن رجل شامى قال : سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول شرّخلق الله خمسة ـ إلى ان قال ـ ورجل من هذه الامة يبايع على كفره عند باب لدّ ـ قال : فلما رأيت معاوية بويع عند باب لدّ ذكرت ذلك فلحقت بعلى عليه السلام .

وعن البراء بن عازب قال : قال النبى صلى الله عليه وآله : « اللهمّ العن التابع و المتبوع » وأشار إلى معاوية وأبيه .

وعن جابرالانصارى عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : يموت معاويه على غيرملتى) ـ و عن ابن عمرمابين تابوت معاوية و فرعون إلّا درجة ، ومانخفضت تلك الدرجة إلّا انّه قال : أنا ربكم الأعلى .

و روى نظيرذلك عن أبى برزة الاسلمى وعن زيد بن ارقم ـ و روى الطبرى كتاباً جمعه المأمون فى كفرمعاوية ، وفى لعنه عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

ولا يبعد ان يكون مراد أميرالمؤمنين عليه السلام ببعض الاستبقاء على معاوية كونه امتحاناً للناس بعد اتمام الحجة عليهم من أقوال النبيّ صلى الله عليه وآله فيه واعمال معاوية نفسها .

كما ان الله تعالى اتمّ الحجّة على الدهرية بشواهد وجوده فى فطرة العقول ، وعلى اليهود ، والنصارى فى حقّية رسوله بكتابه ، وسايربيّناته .

كما ان الله تعالى لم يظفرامير المؤمنين عليه السلام بمعاوية مع هزيمته له فى

صفين أوّلاً وقتل عليه السلام لمّا أراد الرجوع ثانياً ، ولم يستقر امره عليه السلام طول ايّامه لامتحان الناس . فإنّه عليه السلام لو كان استقر امره لما ظهر ما في بواطن اولئك المنافقين ، وما صدر منهم بعده عليه السلام .

و روى نصر بن مزاحم انّه عليه السلام خطب في صفّين وقال في جملة خطبته « و ان من اعجب العجائب انّ معاوية ، وعمرو بن العاص أصبحا يحرّضان الناس على طلب الدين يزعمهما — إلى أن قال — وأيم الله ما اختلف أمّة قطّ بعد نبيها إلّا ظهر أهل باطلها على أهل حقّها إلّا ما شاء الله » . — فقال ابو سنان الأسدي : فسمعت عمار ياً يقول : « أمّا اميرالمؤمنين عليه السلام فقد أعلمكم أنّ الأمّة لن تستقيم عليه » . ثم تفرّق الناس ، وقد نفذت بصائرهم .

هذا ، وفي خلفاء ابن قتيبة انّ معاوية لمّا امتنع الحسين عليه السلام وابن الزبير وابن عمر من اجابته إلى بيعة يزيد ارتحل من المدينة إلى مكّة ، واعطى الناس اعطياتهم ، واجزل العطاء ، واخرج إلى كل قبيلة جوائزها ، واعطياتها ، ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء . فخرج ابن عباس في اثره حتى لحقه بالروحاء وجاء فجلس على بابه ، فجعل معاوية يقول من بالباب . فيقال عبد الله بن عباس . فلم يأذن لاحد ، ونام . فلمّا استيقظ قال : من بالباب . فقيل : ابن عباس . فدعا بدابته . فادخلت إليه . ثم خرج راكباً فوثب اليه ابن عباس . فاخذ بلجام دابته . ثم قال : اين تذهب قال : الى مكّة قال : فاين جوائزنا . فقال والله ما لكم عندي جائزة حتى يبايع صاحبكم . قال ابن عباس : فقد أبى ابن الزبير واخرجت جائزة بني أسد ، وأبى ابن عمر ، واخرجت جائزة بني عدي فما لنا ان أبى صاحبنا ، وقد أبى صاحب غيرنا . فقال معاوية : لستم كغيركم لا والله لا اعطيكم درهماً حتى يبايع صاحبكم . فقال ابن عباس ، اما والله لئن لم تفعل لا لحقنّ بساحل من سواحل الشام . ثم لا قولنّ ما تعلم . فقال معاوية : لا بل اعطيكم جوائزكم . فبعث بها إليهم .

واما مانقله عن ابى زيد . فساقط ردى فان اهل العراق يعرفونه كاملا أنّه ولىّ اللّه كما كانوا يعرفون معاوية أنّه عدوّ اللّه ، وانما كانوا أهل الدنيا ، وغلب عليهم حبّها ، وحبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة ، ولو كان ماقاله أمراً ممكناً لفعله معاوية ولم ينتظر ابتداء اميرالمؤمنين عليه السلام بذلك فانه كان لم يبال فى نيل مقصوده من ارتكاب كل شنيعة لو تيسرت له .

«و اعلم ان الشيطان قد ثبّطك» : أى أوقفك وشغلك .

عن أن تراجع أحسن امورك وتاذن» : أى تجعل اذنك سامعه نظير قوله تعالى : «وأذنت لربّها وحقّت» .

« لمقال نصيحك » فتقبله .

قوله عليه السلام فى الثانى «فاتّق اللّه فى مالديك» قال (حد) زيادة فى كتابه عليه السلام قبل مافى الكتاب ، و زيادة بعده أمّا قبله فهو قوله عليه السلام «أمّا بعد فقد بلغنى كتابك تذكر مشاغبتى ، وتستقبح موازرتى ، وتزعمنى متحيراً ، وعن حق اللّه مقصّراً . سبحان اللّه كيف تستجيز الغيبة . وتستحسن العضيهة انّى لم اشاغب الّا فى امر بمعروف . اونهى عن المنكر ، ولم أضجر إلّا على باغ مارق ، اوملحد منافق ولم آخذ فى ذلك إلّا بقول اللّه سبحانه لا تجد قوماً يؤمنون باللّه واليوم الآخر ، يوادّون من حادّ اللّه ورسوله ، ولو كانوا آباءهم اوأبناءهم » .

وامّا التقصير فى حق اللّه تعالى فمعاذ اللّه ، وانّما المقصّر فى حق اللّه جلّ ثنائه ـ من عطّل الحقوق المؤكدة ، وركن الى الاهواء المبتدعة ومن العجب ان تصف يا معاوية الاحسان ، وتخالف البرهان ، وتنكث الوثائق التى هى لله ـ عزّوجلّ ـ طلبه ، و على عباده حجه مع نبذ الاسلام ، وتضييع الاحكام ، وطمس الاعلام ، والجرى فى الهواء ، والتهوس فى الردى .

قال : واما الزيادة بعده فهو قوله «وان للناس جماعة يد اللّه عليها ، و

(١) الانشقاق ٢ .

غضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك، فانك إلى الله راجع. والى حشره مهطع، وسيبهضك كربه، ويحلّ بك غمّه. يوم لا يغنى النادم ندمه، ولا يقبل من المعتذر عذره، يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون».

ثم المراد بقوله عليه السلام «فى مالديك» قيل: مال المسلمين وفيئهم، وقيل: نعمه تعالى عليه.

«وارجع الى معرفة مالا تعذر بجهالته» قيل: اى معرفة الإمام وطاعته.

«فإن للطاعة»: اى طاعة الله الواجبة بحكم العقل.

«اعلاماً واضحة»: اى علامات ظاهرة، وهى الاتيان بكل معروف دلّ عليه العقل او امر به الشرع، وترك كلّ منكر حظرا عنه.

«ومحجة نهجة»: اى جادة بيّنة.

«وغاية مطّلبةً» وتبديل المصرية (مطّلبة) بمطلوبه غلط لاتفاق (حد، وثم، والخطية) على كونه (مطلبة)، وكذا الراوندى.

ثم المفهوم من (حد) كون (مطّلبةً) من باب الافعال وبلفظ اسم الفاعل. فقال «مطلبة: اى مساعفة لطالبها تقول: طلب فلان منّى كذا فاطلبته» اى سعفت به).

قلت: يجوز ان يكون مطلبة بفتح الميم مفرد مطالب. قال فى الجمهرة ـ «والمطالب مواضع الطلب، ويجوز ان تكون واجدة المطالب مطلبه».

والمعنى يساعده بان يكون المراد انّ للطاعة غاية، وهى الجنّة موضع الطلب، واما ماقاله فالمعنى لا يساعد ه لانّ الجنّة التى غاية الطاعة ليست ـ بمساعفة لطالبها. كيف وقد حفّت بالمكاره، وانما المناسب اذا كان (المطلبة) فاعلاً من الافعال ان تكون من قولهم «ماء مطلب وكلاء مطلب» تباعدا فطلبهما الناس. قال ابن دريد (الكلاء المطلب) الذى لا يوصل اليه إلّا بمشقّة، وقال

«الاصمعى «كلاء مطلب» إذا عنّى طالبه. قال ذو الرمة:

اضلّه راعياً كلبيّة صدرا × عن مُطلب وطلى الاعناق تضطرب

لا من قولهم «طلب منّى فاطلبته» وقوله «أى أسعفت له» أيضاً غلط ففى الاساس: أى فاسعفته.

ويجوز أن يكون (مطّلبة) بتشديد الطاء من باب الافتعال كالمطّلب الّذى اسم اخى هاشم لكن مطّلبة بلفظ المفعول: أى أنّ للطاعة غاية لا بد ان يتحمل فى طلبها.

ويجوز ان تكون بتشديد اللام من باب التفعيل. ففى القاموس (طلّبه تطليباً) أى طلبه فى مهلة). فيكون المعنى الجنة التى غاية الطاعة يجب ان تطلب فى مدّة المهلة لكنّه لا يخلو من تكلف.

«يردها»: اى يرد تلك الغاية، والمراد ما يؤدى اليها كقوله تعالى «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والأرض»(١).

«الأكياس» جمع أكيس: أى الفطن وهو ضدّ الأحمق. قال:

فكن اكيس الكيسى إذا كنت فيهم × وان كنت فى الحمقى فكن مثل احمقا

و (اكيست المرئة واكاست): جائت بأولاد أكياس قال:

فلو كنتم لمكيسه اكاســـت × وكيس الام يظهر فى البنينا

ولكن امكم حمقت فجئتم × غثاثاً ما نرى فيكم سمينا

«ويخالفها» بترك ورودها.

«الانكاس» ضعفاء العقول الأحمقين الأرذال، والولد المنكوس الذى تخرج رجلاه قبل راسه، وسهم نكس انكسر فوقه، فجعل اعلاه اسفله، قال الحطيئة «مجد تليد ونبل غير انكاس».

«من نكب»: أى عدل.

(١) آل عمران ١٣٣

«عنها حاد» :ای مال .

«عن الحق» : واختار الباطل .

«وخبط» قال الجوهری (خبط البعیر الارض بیده) .ضربها ،ومنه قیل: «خبط عشواء» وهی الناقة الّتی فی بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقی شیئاً وفی الأساس ومن المجاز (بات یخبط الظلماء) (وما أدری أیّ خابط اللیل هو) .

«فی التیه» قال الجوهری :التیه :المفازة یتاه فیها : أی یتحیر .

«وغیّر اللّه نعمته» هکذا فی النسخ والظاهر انّ فیه تحریفاً وانّ الأصل «وغیّر نعمة اللّه بالکفر» أخذاً من قوله تعالی «ألم تر إلی الّذین بدّلوا نعمة اللّه کفراً)[1] وقد ورد فی أخبار کثیرة تفسیر الآیة بقریش وفی رأسهم بنو اُمیّة ،وفی رأسهم معاویة بدّلوا نعمة اللّه کفراً حیث عدلوا عن وصی نبیّهم صلی اللّه علیه وآله وسلم أمیر المؤمنین علیه السلام إلی غیره ـ وأیضاً السیاق لا یناسب ،حیث أنّ الفاعل فی (حاد) و (خبط) ضمیر (من) فکیف غُیِّر فی (وغَیَّر) .

«واحلّ به نقمته» الفاعل فی (احلّ) ضمیر (من نکب) :ای عمل عملا استحق به حلول نقمته تعالی علیه ،ولا یبعد أن یکون ماخوذاً من قوله تعالی «واحلّوا قومهم دار البوار»[2] بعد ما مرّ من قوله تعالی «ألم تر إلی الّذین بدّلوا نعمة اللّه کفرا»[3] .

«فنفسك نفسك» قال ـ عزوجل ـ (علیکم أنفسکم) .

«وحیث تناهت بك اُمورك :أی وانقضت دنیاك أو بلغت أمانیك فی العاجلة فقد أجریت فی سیر حیوتك إلی خسر» کما قال ـ عزّوجلّ ـ «انّ الانسان لفی خسر» .

«ومحلّة کفر» : أی مکان تحلّه الکفار تنزله وهو النار .

(۱ و ۲) ابراهیم ۲۸ .

قال (حد) الاولى ان لا يكون قوله عليه السلام «وحيث تناهت بك امورك» معطوفاً ولا متصلاً بقوله عليه السلام «فقد بيّن الله» بل مثل قولهم «حيث أنت، اى قف حيث أنت، وقولهم (مكانك) : أى قف مكانك

قلت: فيه أولاً انه لا مناسبة لأن يقول عليه السلام له قف مكانك . فانه كان ـ تجاوز حدّه وافرط فى أمره، فالمناسب أن يقول له «فارجع عن غيّك وضلالك» لا «قف حيث انت» وثانياً انه ليس عدم عطفه أولى بل غير جائز لانه لا معنى ـ للعطف و استينافه معين .

كان الحسن البصرى يقول : أربع خصال كن فى معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة : انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتّى ابتزها امرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاءه زياداً، وقد قال : النبىّ صلى الله عليه وآله «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وقتله حجراً، ويلاً له من ـ حجر واصحاب حجر ويلاً له منهم .

«وان نفسك قد اولجتك» : اى ادخلتك .

«شرّاً» : أىّ شرّ .

«واقحمتك» : أى أطرحتك .

«غيّاً» وضلالا .

«وأوردتك المهالك» ولا يحصل منك صدور رجوع .

«وأوعرت» : أى اصعبت .

«عليك المسالك» فلا تصل إلى المقصد .

١٠/ فى ١٥١/ ١/ وَقَامَ اِلَيْهِ رَجُل . فقال : اَخْبِرْنَا عَنِ الْفِتْنَة ، وَهَلْ سَأَلتَ عَنْهَا رَسُولَ اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم فقال : لَمَّا اَنْزَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ «الٓمٓ أَحَسِبَ

النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَا هٰذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللّٰهُ بِهَا فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَوَلَيْسَ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ. فَقُلْتَ لِي: أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ. فَقَالَ لِي: إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ. فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ لَيْسَ هٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ، وَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ ـ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ. فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ.

أقول: قال (حد) هذا الخبر رواه كثير من المحدّثين عنه عليه السلام أنّ النبي قال له: **انّ الله** قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علىّ جهاد المشركين **فقلت: يا رسول الله** ما هذه الفتنة الّتى كتب علىّ فيها الجهاد؟ قال **قوم يشهدون** ألا إله إلّا الله، وانّى رسوله، وهم مخالفون للسنّة. فقلت: **فعلى م اقاتلهم وهم يشهدون** كما اشهد. قال: على الاحداث فى الدين، و**مخالفة الائمة** فقلت: **انك وعدتنى** الشهادة. فاسأل الله ان يعجّلها لى بين يديك. قال:

فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، واما انى وعدتك الشهادة وستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه . فكيف صبرك اذن ، فقلت : ليس ذا بموطن صبر ولكنه موطن بشرى وشكر قال : أجل أصبت . فاعدّ للخصومة . فانّك مخاصم . فقلت لو بيّنت لى قليلاً . فقال : إنّ أمّتى ستفتتن من بعدى . فتتأوّل القرآن ، وتعمل بالرأى ، وتستحل الخمر بالنبيذ . والسحت بالهديّة ، والربا بالبيع ، وتحرّف الكلم عن مواضعه ، وتغلب كلمة الضلال ، فكن حلس بيتك حتّى تقلّدها . فاذا قلّدتها جاشت عليك الصدور . وقلّبت لك الأمور . تقاتل حينئذٍ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى . فقلت : فبأىّ المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردّة . فقال : بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى ان يدركهم العدل . فقلت : ايدركهم العدل منّا أم من غيرنا . قال : بل منّا بنا فتح وبنا يختم وبنا ألّف بين القلوب بعد الشرك ، وبنا يؤلّف بين القلوب بعد الفتنة ، فقلت : الحمد لله على ما وهب لنا من فضله

قلت . ورواه المفيد فى اماليه عن على بن بلال المهلّبى مثله .

قال (حد) قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « بمنزلة فتنة » تصديق لمذهبنا فى أهل البغى ، وأنّهم لم يدخلوا فى الكفر بالكلية بل هم فاسق ، والفاسق عندنا فى منزلة بين المنزلتين خرج من الايمان ولم يدخل فى الكفر .

قلت : لم ترك ما هو الأهمّ من دلالة كلام النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على افتتان جميع الأمة بعده صلى الله عليه وآله وسلم بما ذكر من تأويل القرآن ، والعمل بالرأى ، واستحلال الخمر والسحت والربوا وتحريف الكلم ، وغلبة كلمة الضلال ، وانّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مأموراً من قبل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بالقعود فى داره وكونه حلس بيته حتى يصل الأمر اليه ، وانّ الأمّة من يوم وفاة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة فتنة ليست أدون فى الضلال من حالهم الأولى فى عبادة الأوثان ، وهم كذلك الى أن يظهر المهدى عليه السلام من ولده . فيخرجهم من الفتنة كما أخرجهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من الشرك

ثم عدم دخولهم فى الكفر موضوعاً غير مفيد لهم وله لأنّهم مثلهم حكماً فى الهلكة، واليهود والنصارى من الموحّدين اسماً، وهم من المشركين معنى.

قال: ابوالمقدام لأبى جعفر الباقر عليه السلام انّهم يزعمون أنّ بيعة أبى بكر حيث اجتمع عليها الناس كانت رضىً لله تعالى، وماكان الله ليفتن أمة محمّد صلى الله عليه وآله من بعده فقال عليه السلام: «أو ما تقرأون كتاب الله» و ما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجرى الله الشّاكرين»[1] فقال: انّهم يفسّرونه على وجه آخر- فقال: أوليس الله أخبر عن الأمم قبلهم أنّهم قد اختلفوا من بعد ماجاءتهم البيّنات قال تعالى «وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس ولوشاء الله ما اقتتل الّذين من بعده ماجاءتهم البيّنات و لكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر»[2].

و روى ابن المغازلى - وهو منهم - عن كتاب شواهد التنزيل باسناده إلى ابن عباس فى تأويل قوله تعالى «واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصة»[3] لمّا نزل هذه الآية قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من ظلم عليا مقعدى هذا بعد وفاتى فكأنّما جحد نبوّتى ونبوّة الأنبياء قبلى» - قال: ورواه ابن مسعود مع زيادة «وقام اليه رجل، وقال: اخبرنا عن الفتنة، وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله» قلت: بيّن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم الفتنة من سأله عنها، ومن لم يسأله بل بيّن صلى الله عليه وآله وسلم منشأ الفتنة أيضاً. ففى الجمع بين صحيحى الحميدى فى الحديث الثلاثين من مسند ابن عمر: قام النبى صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فاشار نحو مسكن عايشة وقال «الفتنة ههنا - ثلاثاً - تطلع من حيث يطلع قرن الشيطان».

فان الخبر اشارة الى بعث عايشة فى مرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم الى أبيها أن

(۱) آل عمران ۱۴۴

(۲) البقرة ۲۵۳

(۳) الانفال ۲۵

يصلّى بالناس مقام النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فجعل ذلك عمر شبهة شبّه بها على الناس فقال لمّا أراد بيعته «رضيك النبى لديننا أفلا ترضاك لدنيانا» ـ جعل عمر خلافة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أمراً دنيوياً مع أنّ خالد بن الوليد استحلّ قتل مالك بن نويرة مع اسلامه باعتراف عمر بتعبيره عن أبى بكر فى مكالمته بقوله «صاحبك» وانه ما رآه صاحباً له إن هذا إلّا تهافت عجيب واختلاط غريب .

وأيضاً عين النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ميزاناً للحق والحقيقة عند الفتن ، واختلاف الناس فروى ابن وهب ـ وهو منهم ـ ونقله (حد) فى موضع آخر ـ انّ رجلاً جاء إلى ابن مسعود . فقال : إنّ اللّه تعالى آمننا أن يظلمنا ، ولم يؤمّنا أن يفتننا أرأيت اذا نزلت فيه كيف اصنع . فقال : عليك كتاب اللّه . فقال : ارايت ان جاء قوم كلّهم يدعوا الى كتاب اللّه . فقال ابن مسعود : سمعت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحقّ يعنى عماراً .

قلت : جعل عمار ميزاناً كالنص فى أمير المؤمنين عليه السلام حيث ان متابعته له وكونه من خواصّه عليه السلام امر متحقق كما انّ مباينته مع عثمان واستحلامه دمه وتكفيره له امر مقطوع ـ ويظهر مباينته مع أبى بكر وعمر واعتقاده كون تصدّيهما للامر ظلماً من كلامه يوم الشورى الّذى رواه الكل .

«فقال عليه السلام لما انزل الله سبحانه قوله «الم أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون» الاية فى أول سورة العنكبوت .

«علمت انّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين اظهرنا» : اى وهو فى الحيوه .

انما علم عليه السلام انّ نزول الفتنة ليس فى حيوه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ للفتنة سباباً كانت حيوته مانعة عنها . فمن يتدرمنهم ان يدّعى كونه خليفته صلى الله عليه وآله وسلم فى حيوته كما انّ فتن السامرى لبنى اسرائيل كان بعد غيبوبه موسى عليه السلام ، و مادام كان شاهداً لم يمكنه ذلك .

ونزول الفتن وان كان بعد النبىّ ﷺ إلّا أنّ تهيئة أسبابها كانت من زمن مرضه ﷺ قال الشهرستانى فى مللـه ـ بعد ذكر اعتراضات من المنافقين فى حيوته وفى حال صحته كقول ذى الخويصرة له «اعدل يا محمّد فانك لم تعدل» ـ «واما الاختلافات الواقعة فى حال مرضه وبعد وفاته بين الصحابة فهى اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم فيها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين» .

قلت: لو كان الأمر كما ذكروكما قاله بعضهم فى غرضهم لم يكن الله عالماً حيث يجعل رسالته ، وكان رسوله ينطق عن الهوى ، وانّما كان اجتهادهم ذلك لعمر الله لان اعتقادهم كان كما قال غير مرائيهم .

لعبت هاشم بالملك فلا × خبر جاء ولا وحى نزل

قال الشهرستانى ـ بعد ما مرّ ـ «فأوّل تنازع فى مرضه فى ما رواه محمّد بن اسمعيل البخارى باسناده عن عبد الله بن عباس قال : لما اشتدّ بالنبىّ صلى الله عليه وآله مرضه الّذى مات فيه قال « ايتونى بدواة وقرطاس اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدى» ـ فقال عمر «إنّ رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وكثر اللغط . فقال النبى ﷺ « قوموا عنّى لا ينبغى عندى التنازع» ـ قال ابن عباس : الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله .

وقال «الخلاف الثانى فى مرضه انّ النبىّ ﷺ قال «جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلّف عنها» فقال قوم يجب علينا امتثال امره ، واسامة قد برز من المدينة ، وقال قوم «قد اشتدّ مرض النبىّ فلا تسع قلوبنا لمفارقته ، والحال هذه فنصبر حتى نبصر أىّ شى يكون من أمره» .

قال الشهرستانى : وانما اوردت هذين التنازعين لانّ المخالفين ربما عدّوا ذلك من الخلافات المؤثرة فى أمر الدين وهو كذلك ، وان كان الغرض كله اقامة مراسم الشرع فى حالة تزلزل القلوب ، وتسكين ثائرة الفتنة المؤثرة

عند تقلب الامور.

فلت: قد عرفت الجواب عن قوله «وان كان الغرض اقامة مراسم الشرع» ولعمرالله كان الغرض اقامة مراسم رياستهم، وهذا الشهرستانى فى كتابه ذاك المترجم بالملل والنحل جمع الملل الباطلة الحادثة فى الإسلام اليس ذنب جميعهم على عمر الّذى لم يدع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يكتب كتاباً لا تضلّ الأمة بعده ـ أليس ذلك فوق كلّ رزيّة، وسبب كل فتنة حدثت فى الإسلام اوتحدث إلى يوم القيمة.

والعجب انه يقول «حسبنا كتاب الله» وهو يردّ كتاب الله تعالى فى قوله ـ جلّ وعلا ـ «وما ينطق عن الهوى ان هو الّا وحى يوحى[1]» بقوله (قد غلبه الوجع) فى قوله «ايتونى بدواة اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدى» وان نطقه هذا ليس من وحى يوحى إليه بل من سلب شعوره.

ثم أىّ شئ كان عمر يفهم من كتاب الله إلّا الضرب بالسياط لمن سأله عن تفسير بعض آياته، فرووا ومنهم ابن أبى الحديد أنّ رجلاً جاء الى عمر فقال: انّ ضبيعاً التميمى لقينا فجعل يسألنا عن تفسير حروف من القرآن. فقال: اللّهم امكنّى منه. فبينا عمر كان يوماً جالساً يغدّى الناس اذ جاءه ضبيع وعليه ثياب وعمامة فتقدم فاكل حتّى اذا فرغ قال لعمر: يا امير المؤمنين ما معنى قوله تعالى «والذاريات ذروا فالحاملات وقرا» قال: ويحك أنت هو. فقام اليه فحسر عن ذراعيه. فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته. فاذا له ضفيرتان. فقال: والّذى نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك. ثم أمر به. فجعل فى بيت. ثم يخرجه كلّ يوم. فيضربه مأة فإذا برء اخرجه. فضربه ماة اُخرى. ثم حمله على قتب، وسيّره إلى البصرة، وكتب إلى أبى موسى أن يحرّم على الناس مجالسته، ويقوم فى الناس خطيباً، ثم يقول: ان ضبيعاً قد ابتغى العلم، واخطأه

(١) النجم ٣.

فلم يزل رضيعاً فى قومه وعند الناس حتى هلك، وكان قبل سيّد قومه.

وليس كل فرقة باطلة تحاجّ لمدعاها بكتاب الله فكيف يكون حسبهم كتاب الله ـ ثم ما يفعل بلعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم المتخلّف عن جيش أسامة، وقد كان عمر فيهم بالاجماع، وابوبكر على المشهور عندهم.

قال الشهرستانى ـ بعد ما مرّ ـ «الخلاف الثالث فى موته صلى الله عليه وآله وسلم قال عمر «من قال انّ محمّداً مات قتلته بسيفى هذا وانما رفع الى السماء كما رفع عيسى» ـ وقال أبوبكر «من كان يعبد محمّداً فانّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله محمّد فانّه حى لا يموت ـ وقرء هذه الآية «وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم»[1] فرجع القوم الى قوله وقال عمر: كأنّى ما سمعت هذه الآية حتّى قرأها ابوبكر.

قلت: تارة يقول عمر «حسبنا كتاب الله ولا نحتاج إلى وصيّة رسوله» و أُخرى ما سمع من كتاب الله آية يعرفها جميع الصحابة هب ما سمع آية قرأها ابوبكر وهى «وما محمّد إلّا رسول»[2] ـ الآية اوما سمع آية «انّك ميّت وانّهم ميّتون»[3] هب ما سمع تلك الآية ولا هذه الآية أوما رأى أنّ جميع الأنبياء من آدم إليه صلى الله عليه وآله وسلم ماتوا أوهل سمع يوماً يوما من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم انّى ما أموت حتّى يقول ما يقول:

ولعمر الله ان الرجل ماكان مغفّلاً، وانّما كان مزوّراً أراد بما قال حضور ابى بكر ولم يكن ذاك الوقت حاضراً. فألقى تلك الكلمة ليشوّش أذهان الناس حتّى لا يذكروا اسم أمير المؤمنين عليه السلام فيجيئ ابوبكر فيفعلا ما أرادا.

ثم بعد فهمه موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قرائة ابى بكر الآية لم ترك حضور

(۱ و ۲) آل عمران ۱۴۴.

(۳) الزمر ۳۰.

جنازته بل احضر عوضه النار ليحرق اهل بيته لولم يحضروا للبيعة مع ابى بكر ـ قال الشهرستانى «الخلاف الخامس فى الإمامة ، واعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سلّ سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سلّ على الأمة فى كلّ زمان» .

روى على بن ابرهيم القمى فى تفسيره أنّ العباس جاء إلى اميرالمؤمنين عليه السلام بعد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : انطلق بنا نبايع الناس لك . فقال له : أتراهم فاعلين قال : نعم قال : فاين قوله تعالى «احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ولقد فتّنا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين»[1] .

وقال محمد بن محمد بن النعمان فى ارشاده : قد جائت الرواية انّه لما تمّ لابى بكر ما تمّ وبايعه من بايع جاء رجل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يسوّى قبر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بمسحاة فى يده . فقال له «انّ القوم بايعوا أبا بكر ، ووقعت الخذلة للانصار لاختلافهم ، وبدرت الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من ادراككم الأمر فوضع طرف المسحاة على الأرض ، ويده عليها ثم قال «بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين أم حسب الّذين يعلمون السيّئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون»[2] .

و روى الكراجكى فى كنزه عن عمرو بن ثابت قال : قال أبوجعفر فى قوله تعالى «وليس لك من الأمر شئ»[3] انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصاً على أن يكون بعده على الناس علىّ بن أبى طالب عليه السلام وكان عند الله خلاف ذلك و عنى بذلك قوله ـ عزّوجلّ ـ «الم أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنّا وهم لا ـ

(١و٢و٣) العنكبوت ١

يفتنون ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا و ليعلمنّ الكاذبين»[1] فرضى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بامره — عزّوجلّ — .

و روى نصربن مزاحم فى صفينه ان عكبر الأسدى — فارس أهل الكوفة — كان له عبادة ولسان ، فقام إلى على عليه السلام وقال : انّ فى أيدينا عهداً من الله لا نحتاج فيه إلى الناس، وقد ظننّا باهل الشام الصبر ، وظنّوه بنا . فصبرنا وصبروا وقد عجبت من صبر اهل الدنيا لأهل الآخرة ، ومن صبر أهل الحق عن أهل الباطل ورغبة أهل الدنيا . ثم نظرت . فإذا أعجب ما يعجبنى جهلى بآية من كتاب الله «الم أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين»[2] قال : فاثنى عليه على عليه السلام خيراً .

«فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة» قال الجوهرى «الفتنة الامتحان — تقول (فتنت الذهب) إذا أدخلته النار لتنظر ماجودته» — و فى الأساس وكلّ شىء أدخل النار فقد فتن قال الحارثى :

تثعلبت لى أن خلتنى بك واقعاً × وقد يفتن المكواة والعير يضرط

«الّتى أخبرك الله بها» فى قوله — جلّ وعلا — «احسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون» .

«فقال : ياعلى انّ امتى سيفتنون» : أى يختبرون .

«من بعدى» هكذا فى المصرية ، والصواب (بعدى) بدون من كما فى (حد ، وثم) .

روى الطبرى عن أبى مويهبة مولى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : بعث إلىّ النبىّ صلى الله عليه وآله من جوف الليل . فقال لى : يا ابا مويهبة انّى قد امرت ان استغفر لأهل البقيع . فانطلق معى فانطلقت معه . فلمّا وقف بين اظهرهم

(۱و۲) العنكبوت ۱ .

قال : السلام عليكم اهل المقابر ليهن لكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها اولها الآخرة شرّ من الأولى ـ إلى أن قال ـ ثم استغفر لاهل البقيع، ثم انصرف ـ فبدئ بوجعه الّذى قبض فيه .

و روى عن عايشة قالت: رجع النبىّ ﷺ من البقيع. فوجدنى وانا اجد صداعاً فى رأسى ، وأنا أقول : وا رأساه قال بل انا وا رأساه ـ ثم قال : ما ضرّك لو متّ قبلى فقمت عليك ، وكفّنتك ، وصلّيت عليك ، ودفنتك ، فقلت: والله لكانّى بك لو فعلت ذلك رجعت الى بيتى فاعرست ببعض نسائك ـ فتبسّم وتتأمّ بوجعه ـ إلى ان قالت ـ فخرج النبى ﷺ بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر تخطّ قدماه الأرض عاصبا رأسه حتى دخل بيتى ـ قال : عبيد الله بن عتبة الراوى عن عايشة فحدّثت هذا الحديث عنها ابن عباس . فقال : هل تدرى من الرجل قلت: لا قال : على بن ابى طالب ، ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهى تستطيع .

قلت: ولمّا سمعت فى مكّة ببيعة الناس له قالت «ليت السماء خرّت على الأرض، ولم أسمع بذلك» وإذا كان هذا حال امرئة منهم لم يكن بينه عليه السلام و ـ بينها ثار كيف كان حال رجال قتل عليه السلام صناديدهم . فكانوا ينظرون اليه عليه السلام كما قال عمر : نظر الثور الى جازره . فكيف لا يشعلون بعد النبى ﷺ نار فتنة ، وكيف يخلّون وصيّه يقوم مقامه ، ولو كان عليه السلام عيّنه الله تعالى فى كتابه فى قوله ـ جلّ وعلا ـ «إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون ـ الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون» ودلّ عليه نبيّه ﷺ فى خلاءه وملاءه ، ومنه فى المتواتر عنه ﷺ من كنت مولاه وأولى به من نفسه فعلىّ مولاه وأولى به نفسه ، وكان متعيّناً فى علمه و عمله ، وكونه من جنس النبى ﷺ وسنخه فى

دلالة فطرة العقول وناموس الطبيعة .

و روى الجوهرى فى سقيفته ـ ونقله (حد) فى موضع آخر ـ إنّ عبد الرحمن بن عوف لمّا بايع عثمان قال المقداد «والله ما رأيت مثل ما أتى إلى هذا البيت» فقال له عبد الرحمن : وما أنت وذاك يا مقداد . قال : إنّى والله أحبّهم بحبّ رسوله ، وانّى لاعجب من قريش ، وتطاولهم على الناس بفضل رسوله . ثم انتزاعهم سلطانه من أهله ـ قال عبد الرحمن : لقد اجهدت نفسى لكم . قال المقداد : أما والله لقد تركت رجلاً من الّذين يأمرون بالحقّ وبه يعدلون أما والله لو أنّ لى على قريش أعوانا لقاتلتهم قتالى إيّاهم ببدر واحُد ـ فقال ـ عبد الرحمن : ثكلتك امك لا يسمعنّ هذا الكلام منك الناس . فإنّى أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة .

قال المقداد : إنّ من دعا إلى الحقّ وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنة ولكن من أقحم الناس فى الباطل وآثر الهوى على الحق . فذلك صاحب ـ الفتنة والفرقة ـ فتربّد وجه عبد الرحمن ـ الخبر وتربّد وجهه لأنّه جعلهم فى قوله «قتالى اياهم ببدر واحُد» نظيراً بى جهل ونظرائه .

«فقلت يا رسول الله اوليس قلت لى يوم احد حيث استشهد من استشهد من المسلمين» استشهد يوم احد عمّه حمزة ، وسبعون من الصحابة ، منهم حنظلة غسيل الملائكة .

وفى احد قال جبرئيل للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما فى الطبرى ـ لمّا رأى مواساة أمير المؤمنين عليه السلام معه صلى الله عليه وآله وسلم فى الدفاع عنه لمّا أراد المشركون طائفة بعد طائفة قتله صلى الله عليه وآله وسلم «إنّ هذه للمواساة فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومايمنعه من مواساتى إنّه منّى وأنا منه فقال جبرئيل (وأنا منكما) فسمعوا صوتاً (لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا على » .

وفى احُد فرّ عثمان إلى جبل يلى الاعوص ، وأقام به ثلاثاً . فقال له النبىّ

صلّى الله عليه وآله : لقد ذهبت فيها عريضة .

« وحيزت » : اى انعدلت .

« عنّى الشهاده » : فلم اقتل فى من قتل .

« فشقّ ذلك علىّ » : بحرمانى عن الشهادة .

« فقلت لى » : هكذا فى النسخ ، والجملة إمّا زائدة ، وإمّا موكّدة لقوله (قلت لى) قبل .

« ابشر فإنّ الشهادة من وراءك . فقال لى إنّ ذلك لكذلك » : أى قلت لك ذاك اليوم الشهادة من وراءك وهو كذلك شتان بين من شهد بشهادته رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شهد بكون قتله شهادة كعب الأحبار الّذى كان يهودياً ثم صار مسلماً منافقاً يحسّن لعثمان مساويه ، ويصحّح له نهبه بيت مال المسلمين حتّى ضربه ابوذر ـ ره ـ بعصاه فشجّه .

قال ابن قتيبه : دخل كعب الاحبار على عمر بعد طعنه . فقال : قد كنت أنبأتك أنّك شهيد قلت : ومن أين لى الشهادة وأنا بجزيرة العرب . ثم جعل الناس يثنون عليه .

« أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا » وبشارة النبى صلى الله عليه وآله بالشهادة من اعلام النبوة حيث وصل خبرها متواتراً مع ذكر ـ خصوصيّاتها بضرب على رأسه تخضب منها لحيته وكذلك تواتر عنه عليه السلام إخباره بذلك .

« فكيف صبرك إذن فقلت : يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ، و لكن من مواطن البشرى والشكر » قول النبى صلى الله عليه وآله له عليه السلام « فكيف صبرك إذن » كان على حسب الظاهر من كون القتل بلاءً وليصبر عليه ، وجوابه عليه السلام بحسب المعنى من كون القتل إذا كان فى سبيل الله يصير نعمة يبشّر بها ، و يلزم الشكر عليها .

«وقال، : ياعلى إنّ القوم سيفتنون» : أى يمتحنون .

« بعدى» هكذا فى المصرية ، والكلمة زائدة لعدم وجودها فى (حد وثم ، والخطية) .

«بأموالهم» قال تعالى «إنّما أموالكم وأولادكم فتنة»[1] .

وعن ابن عباس إنّ أوّل دينار ورد رهم ضربا فى الأرض نظر إليهما إبليس فلمّا عاينهما أخذهما ، فوضعهما على عينيه ، ثم ضمّهما إلى صدره . ثم قال : أنتما قرّة عينى ، وثمرة فؤادى ما أبالى من بنى آدم إذا أحبّونى كما أن لا يعبدوا وثنا ـ حسبى من بنى آدم أن يحبّونى كما .

قلت : إنّما قال صلى الله عليه وآله وسلم «سيفتنون بأموالهم بعده» لأنّ فى عصره عليه السلام لم يكن لهم مال وإنّما صاروا ذوى أموال بفتوح فارس والروم روى ابن عبد البر فى استيعابه فى ترجمه عبد الرحمن بن عوف بأسانيد أنّه دخل على أمّ سلمة فقال يا امه قد حسبت أن يهلكنى كثرة مالى أنا أكثر قريش مالاً قالت : تصدّق فإنّى سمعت ـ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول «إنّ من أصحابى من لا يرانى بعد أن أفارقه» فخرج عبد الرحمن فلقى عمر فأخبره بما قالت أم سلمة . فدخل عليها . فقال لها «بالله منهم أنا» قالت : لا ولن أقول لأحد بعدك وفى خبر : ولن ابرئ بعدك أحداً أبدا .

قلت : إنّ عمر احتمل بموجب الخبر أن يكون من صحابة لا يرون النبىّ صلّى الله عليه وآله فى الآخرة ، وقول أمّ سلمة له ليس هو فى من سمّاهم لها ولم يكن عن تقيّة أو استحياء لم يكن دليلاً على عدم كونه منهم لأنّ غاية ما يدلّ عليه عدم المعلومية عندها لا العدم ، وقولها لعمر «لا أقول لأحد بعدك هكذا» أو «ولن أبرئ بعدك أحداً أبداً» دالّ على أنّ أم سلمه كانت معتقدة أنّ جميع ـ الصحابة الّذين كانوا مثل عمر كانوا منهم .

---

(١) الانفال ٢٨ .

و روى الاستيعاب أيضاً أنّ عبد الرحمن خلّف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس، و روى أنّ امراته الّتى طلّقها فى مرضه صولحت عن ربع الثمن من ميراثه بثلاثه وثمانين ألفا.

و روى ابن الأثير فى أُسد الغابة أنّ عبد الرحمن خلّف من الذهب ما قطع بالفؤس حتّى مجلت أيدى الرجال منه.

و روى الاستيعاب فى طلحة أنّ غلّته كانت كلّ يوم ألفا وافيا ـ والوافى درهم وزنه وزن الدينار.

و فى مروج المسعودى وبنى عثمان داره فى المدينة، وشيّدها بالحجر والكلس، وجعل أبوابها من الساج والعرعر، واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة ـ وذكر عبد اللّه بن عتبة ان عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة الف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين، وغيرهما مائة ألف دينار وخلّف خيلاً كثيراً وإبلاً.

و فى المروج أيضاً وفى أيّام عثمان بنى الزبير بالبصرة داره المعروفة فى هذا الوقت سنة (٣٣٢) تنزلها التجّار، وأرباب الأموال، وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم ـ وابتنى بمصر والكوفة والاسكندرية أيضاً دوراً ـ وبلغ ماله بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلّف ألف فرس، وألف عبد وألف أمة.

و فيه وابتنى طلحة داره بالكوفة المشهورة به فى هذا الوقت، وكانت غلته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل: أكثر.

و فيه: وذكر سعيد بن المسيب أنّ زيد بن ثابت حين مات خلّف من الذهب ما كان يكسر بالفؤس غير ما خلّف من الأموال والضياع.

و فيه: ومات يعلى بن أُمية، وخلّف خمسمائة ألف دينار ورديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك، وفى جمل المفيد عن الواقدى وأبى مخنف وابن داب، و المدائنى ـ بعد ذكر غدر طلحة والزبير بعامل امير المؤمنين عليه السلام وقتلهما حارسى

بیت المال ، وعاد صلحة والزبیر إلی بیت المال فتأمّلا فیه من الذهب والفضة فقالوا: هذه الغنائم التی وعدنا اللّه بها وأخبرنا أنّه یعجلها لنا ـ قال أبو ـ الأسود الدؤلی : قد سمعت هذا منهما ، ورأیت علیّاً علیه السلام بعد ذلك ، وقد دخل بیت مال البصرة ، فلمّا رأی ما فیه قال « صفراء بیضاء غرّی غیری المال ـ یعسوب الظلمة ، وأنا یعسوب المؤمنین » قال أبو الأسود : فلا واللّه ما التفت إلی ما فیه ، ولا فکر فی ما رآه منه ، وما وجدته عنده إلّا کالتراب هوانا ـ فتعجبت من القوم ومنه ، فقلت : أولئك ممّن یرید الدنیا ، وهذا ممّن یرید الآخرة وقویت بصیرتی فیه

و روی الخطیب فی تاریخ بغداده ، عن عتبة بن غزوان قال : لقد رأیتنی مع النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم سابع سبعة قد قرحت أشداقنا من أکل ورق الشجر ـ إلی أن قال ـ وما منّا الیوم إلّا أمیر علی مصر وأنّها لم تکن نبوة إلّا تناسخت حتّی تکون ملکاً .

و روی أیضاً عن أبی موسی قال : لو شهدتنا ، ونحن مع نبیّنا ، وقد أصابتنا السماء لحسبت ریحنا ریح الضان من لبسنا الصوف .

« ویمنّون بدینهم علی ربّهم » وقد قال ـ جلّ وعلا ـ « یمنّون علیك أن ـ أسلموا قل لا تمنوا علی إسلامکم بل اللّه یمنّ علیکم أن هداکم للایمان إن کنتم صادقین » (۱) ـ وقال تعالی « ولا تقولوا لمن ألقی علیکم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحیاة الدنیا ، إلی ـ کذلك کنتم من قبل فمنّ اللّه علیکم فتبیّنوا إنّ اللّه کان بما تعملون خبیراً » (۲) ـ وقال ـ عزّ اسمه ـ « لقد منّ اللّه علی المؤمنین إذ بعث فیهم رسولاً من أنفسهم یتلوا علیهم آیاته ویزکّیهم ویعلّمهم الکتاب والحکمة وإن کانوا من قبل لفی ضلال مبین » (۳) .

« و یتمنون رحمته ، ویأمنون سطوته ، ویستحلون حرامه بالشبهات الکاذبة »

(۱) الحجرات ۱۷ .

(۲) سورة النساء ۹۴ (۳) آل عمران ۱۲۶ .

روى محمّد بن يعقوب عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : انّ اللّه تعالى يقول : ويل للّذين يحتالون الدنيا بالدين ، وويل للّذين يقتلون الّذين يأمرون بالقسط ، وويل للّذين يسير المؤمن فيهم بالتقية . أبى يغترّون . أم علىّ يجترؤن . فبى حلفت لا تيحنّ لهم فتنة تترك الحليم منهم حيران .

هذا ، وفى المروج سأل المنصور عبد اللّه بن مروان بن محمّد عن قصّته مع ملك النوبة لمّا هرب إليه مع عدّة من أهل بيته من بنى أميّة . فقال : قال لى : لِمَ تشربون الخمر ، وهى محرّمة عليكم فى كتابكم . فقلت : اجترء على ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم — قال : فلِمَ تطأون الزرع بدوابكم والفساد محرّم عليكم فى كتابكم فقلت : فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم — قال : فلِمَ تلبسون الديباج والحرير والذهب ، وهو محرّم عليكم فى كتابكم ودينكم ، فقلت : انتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا . فلبسوا ذلك على الكره منّا — فأطرق الى الأرض يقلّب يده مرّة وينكت فى الأرض اخرى ويقول : عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا علينا فى ديننا — ثم رفع رأسه . فقال : ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم اللّه : وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فى ما ملكتم فسلبكم اللّه العزّ وألبسكم الذلّ بذنوبكم ، وللّه فيكم نقمة لم يبلغ غايتها فيكم ، وأنا خائف أن يحلّ بكم العذاب ، وأنتم ببلدى فينالنى معكم فتزود ما احتجت ، وارحل عن ارضى

« فيستحلون الخمر » : وهو كلّ مسكر .

« بالنبيذ » : الذى لم يكن بمسكر .

روى الكافى أنّ الكلبى النسابة سأل اباعبد اللّه عليه السلام عن النبيذ . فقال حلال . فقال الكلبى : أنا ننبذه فنطرح السكر فيه العكر وغير ذلك . فقال : شه شه تلك الخمرة المنتنة . فقال له : جعلت فداك : فأىّ نبيذ تعنى قال : إنّ أهل المدينة شكوا إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم تغير الماء وفساد طبايعهم . فأمرهم أن ينبذوا . فكان الرجل يأمر خادمه أن ينبذ له . فيعمد الى الكف من التمر . فيقذف به فى

الشنّ فمنه شربه ، ومنه طهوره . فقال : وكم عدد التمر الّذى فى الكف . فقال: ماحمل الكف فقال : واحدة وثنتان ، فقال : ربماكانت واحدة وربماكانت ثنتين أى كف واحدة وكفان ثنتان .

و روى الطبرى فى ذيله عن أبى مالك الأشعرى عن النبىّ ﷺ قال: ليشربنّ ناس من أمّتى الخمر يسمّونها بغير اسمها ، ويضرب على رؤوسهم المعازف يخسف الله ـ عزّوجلّ ـ بهم الأرض، ويجعل منهم قردة وخنازير .

و روى ابن سعد فى طبقاته فى وفد جيشان على النبىّ ﷺ أنّهم سألوه عن اشربة تكون باليمن . فسمّوا له البتع من العسل والمرز من الشعير . فقال : هل تسكرون منها قالوا : إن أكثرنا سكرنا . فقال : حرام قليل ما أسكر كثيره ، وقال : كلّ مسكر حرام .

و روى الخطيب فى تاريخ بغداد عن عبد الله بن مصعب قال : حضرت شريكاً فى مجلس أبى ، وعنده الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب والجريرى . فتذاكروا الحديث فى النبيذ ، واختلافهم فيه . فقال شريك « حدّثنا أبو اسحق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عمر بن الخطاب قال : إنّا ناكل من لحوم هذه الإبل ، و يشرب عليها من النبيذ لنقطعها فى أجوافنا وبطوننا . فقال الحسن بن زيد : ما سمعنا بهذا فى الملّة الآخرة إن هذا إلّا اختلاق .

و فى الأغانى ـ فى عزّة الميلاء بعد ذكر غناء عزّة ورائقه بقول حسّان :

انظر خليلى هل تبصر بباب جلّق هل × تبصرون البلقاء من أحد

ـ قال حسّان : لقد اذكرتانى أمراً ما سمعته إذنا ى بعد ليالى جاهليتنا مع جبلة بن الأيهم ـ إلى أن قال ـ فجاء الله بالاسلام فمحا به كلّ كفر ، وتركنا الخمر وماكره ، وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر ، والفضيح من الزهو والرطب ، فلا يشرب أحدكم ثلاثة أقداح حتّى يصاحب صاحبته ويفارقها و تضرب فيه كما تضرب غرائب الابل فلا تنتهون .

هذا ،وقالوا :حرّم رئيس القرامطة على القرامطة النبيذ ،وأحلّ لهم الخمر ـ كما أنّه جعل صلوتهم ركعتين قبل الطلوع، وركعتين بعد الغروب ـ وجعل صومهم يومين:يوم النيروز و يوم المهرجان،وجعل غسلهم وضوء .

و روى الطبرى فى وقايع سنة ١٩١/ أنّ قتيبة بن مسلم الباهلى بعد فتح كشّ ونسف سرّح أخاه إلى طرخون .فسار حتّى نزل بمرج قريباً منهم .فانتبذوا و شربوا حتّى عبثوا وعاثوا وأفسدوا .فأمر مولاه أبا مرضية أن يمنع الناس من الشرب .فكان يضربهم ويكسر آنيتهم ،ويصبّ نبيذهم ،فسال فى الوادى فسمّى مرج النبيذ ،فقال بعضهم :

أمّا النبيذ فلست أشربه × أخشى أبا مرضية الكلب

و روى الطبرى أيضاً فى سبب خروج بهلول الملقّب كثارة فى زمن هشام على خالد القسرى أنّه أمر غلامه أن يبتاع له خلّاً بدرهم ،فجاءه غلامه بخمر فأمر بردّها وأخذ الدراهم فلم يجب إلى ذلك ،فجاء عامل القرية ،وهى من السواد فكلّمه فقال(الخمر خير منك ومن قومك) فعزم على الخروج ـ إلخ .

و قال البحترى لمّا استسقى نبيذاً من فرخا نشاه :

فهى الخمر غير أن غرّمنها × لقب محدث لها مستعار

و فى شعراء ابن قتيبة مدح ابن هرمة المنصور .فاستحسن شعره .فقال سل حاجتك ،قال :تكتب إلى عامل المدينة لا يحدّنى فى الشراب ،فقال :هذا حدّ من حدود اللّه ،وما كنت لأعطله .قال :فاحتل لى فيه .فكتب إلى عامله من اتاك بابن هرمة سكران ،فاجلده مأة واجلد ابن هرمة ثمانين .فكان الناس يمرّون به ،وهو سكران ،فيقولون: من يشترى ثمانين بمأة .

«والربا بالبيع» روى الكافى عن ابن بكير أنّه بلغ أبا عبد اللّه عليه السلام عن رجل أنّه كان ياكل الربوا ويسمّيه اللبا .فقال :لئن أمكننى اللّه تعالى لأضربن عنقه)

و عن الاصبغ سمعت اميرالمؤمنين عليه السلام يقول على المنبر :يا معشر التجار

الفقه ثم المتجر. الفقه ثم المتجر، والله للربوا في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا.

و روى عنه عليه السلام قال: من اتجر بغير علم ارتطم في الربوا ثم ارتطم لا يقعد في السوق إلّا من يعقل الشراء والبيع.

و روى الواحدي في أسباب نزوله عن ابن عباس أنّ بني المغيرة من مخزوم كانوا يربون لبني عمرو من ثقيف. فلمّا أظهر الله تعالى رسوله على مكّة وضع يومئذٍ الربا كلّه، فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكّة فقال بنو المغيرة ما جعلنا أشقى الناس بالربوا وضع عن الناس غيرنا. فقال بنو عمرو: صولحنا على أنّ لنا ربانا. فكتب عتاب في ذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وذروا ما بقي من الربوا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا ـ فاذنوا بحرب من الله ورسوله»[1] فعرف بنو عمرو أن لا يدان لهم بحرب من الله و رسوله.

«فقلت يا رسول الله بأيّ المنازل انزلهم» من الانزال.

«عند ذلك»: اي وقت صاروا مفتونين باموالهم مانيّن بدينهم على ربهم آمنين سطوته مستحلّين حرامه بالشبهات الكاذبة.

«أبمنزلة ردّة» عن الاسلام.

«أم بمنزلة فتنة»: وامتحان في الدين هل يثبتون على ما قرّر لهم أم لا.

«فقال بمنزلة فتنة» لأنّهم لم ينكروا كما أنكر الحرث الفهري حتّى ينزلوا بمنزلة ردّة.

قال سبط ابن الجوزي في تذكرته: ذكر الثعلبي في تفسيره أنّ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله لما قال ذلك ـ أي في امير المؤمنين عليه السلام ـ طار في الأقطار وشاع في الأمصار. فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري، فأتاه على ناقة له

(۱) البقرة ۲۷۸.

فأناخها على باب المسجد ، ثم عقلها ، وجاء فدخل فى المسجد ، فجثا بين يدى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال « يا محمّد إنّك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّك رسوله ، فقبلنا منك ذلك ، وأمرتنا أن نصلّى خمس صلوات فى اليوم والليلة ، ونصوم رمضان ونحجّ البيت ، ونزكّى أموالنا ، فقبلنا منك ذلك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك ، وفضّلته على الناس ، وقلت : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فهذا شىء منك أو من الله .

فقال النبىّ ـ وقد احمرّت عيناه ـ والله الّذى لا إله إلّا هو إنّه من الله وليس منّى ـ قالها ثلاثاً ـ فقام الحرث وهو يقول « اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأرسل علينا من السماء حجارة أو ائتنا بعذاب أليم » فوالله ما بلغ ناقته حتّى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ومات وأنزل تعالى ـ « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع[1] » .

ومن لم يظهر نصباً ولم يكن له قوّة التميز كان مسلماً مفتوناً يرجى له النجاة قال الباقر عليه السلام : إنّ الناس لمّا صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر لم يمنع امير المؤمنين عليه السلام من أن يدعو إلى نفسه إلّا نظراً للناس ، وتخوّفاً عليهم أن يرتدّوا عن الاسلام ، فيعبدوا الأوثان ، ولا يشهدوا أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسوله ، وكان الاحبّ إليه أن يقرّهم على ما صنعوا من أن يرتدّوا عن جميع الاسلام ، وانّما هلك الّذين ركبوا ما ركبوا ، فأمّا من لم يصنع ذلك ، ودخل فى ما دخل فيه الناس على غير علم ولا عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام فانّ ذلك لا يكفّره ، ولا يخرجه من الاسلام ، ولذلك كتم علىّ عليه السلام أمره وبايع مكرها حيث لم يجد أعواناً .

وأمّا من عاند وناصب أو عرف الأمر وخالف فمسلم إسماً لشهادته بالشهادتين كافر معنى .

روى نصر بن مزاحم فى صفّينه مسنداً عن الأصبغ قال : جاء رجل إلى ـ

---

(١) المعارج ٢ .

على عليه السلام . فقال : يا امير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصلوة واحدة ، والحج واحد فبم نستيهم . قال : نستيهم بما سمّاهم الله في كتابه ، فقال : ماكلّ في الكتاب أعلمه قال : أما سمعت الله تعالى قال « تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ـ إلى قوله ـ ولوشاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر »[1] فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبى ، وبالحقّ . فنحن الذين آمنوا ، وهم الذين كفروا ، وشاء الله قتالهم فقاتلناهم هدى بسنة الله ربّنا وارادته

وقال ابو المقدام للباقر عليه السلام : إنّ العامة يزعمون أنّ بيعة أبى بكر حيث اجتمع الناس عليه كانت رضى لله تعالى ، وماكان الله ليفتن امة محمّد من بعده فقال : أوما تقرأون كتاب الله أوليس الله يقول « وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين »[2] فقال : انهم يفسّرونه على وجه آخر . فقال : أوليس الله قد أخبر عن الذين من قبلهم من الامم انّهم قد اختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات حيث قال تعالى « وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس ولوشاء الله ما اقتتل الذين من بعده من بعد ما جائتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر »[3] .

۱۱/ فى ۸۳/ ۱/ أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ ، وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ ، وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي ، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي ، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ

(۱) البقره ۲۵۳ .

(۲) آل عمران ۱۴۴ .

(۳) البقرة ۸۷ .

مِنْ نَفْسِى . فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْىَ فِىمَالَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ اِلَيْهِ الْفِكَرُ .

«ألم أعمل فيكم بالثقل» قرأوه بفتحتين حيث قرأوا قول النبىّ ﷺ (انى تارك فيكم الثقلين) ذلك ، والأصل فيه ثعلب . ففى اللسان (قال ثعلب سمّى الكتاب والعتره ثقلين لانّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل ، وأصل الثَقَل ان العرب تقول لكل شئ نفيس خطير مصون ثَقَل . فسمّاهما ثقلين اعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما ، وأصله فى بيض النعام المصون ، وقال ثعلبة بن صعير المازنى يذكر الظليم والنعامة .

فتذكّرا ثقلاً رئيداً بعدما × القت ذكاءُ يمينها فى كافر

ويقال للسيد العزيز : ثقل من هذا ، وسمّى اللّه تعالى الجنّ والانس الثقلين سمّيا ثقلين لتفضيل اللّه إياهما على سايرالحيوان المخلوق فى الأرض بالتميز والعقل . قال : وقال ابن الأنبارى : قيل للجن والانس الثقلان لأنّهما كالثقل للأرض وعليها ، والثَقَل بمعنى الثِقْل ، وجمعه أثقال ، ومجراهما مجرى قول العرب : مَثَل ومِثْل ، وشَبَه وشِبْه ، ونجَس ونجِس) .

قلت : لاحجيّة فى قول ثعلب ، وله اوهام فى مجالسه ، ويكفى فى ضعف قوله « وأصله فى بيض النعام المصون) فما قاله بالعكس . فبيض النعام معروف ـ بالضياع لا بالمصونية . فقالوا فى المثل «أذل من بيض النعام» والبيت الّذى أنشد يدل على غفلتها أيضاً عن بيضها ، ولا ريب أنّ الجن والانس يقال لهما : الثقلان بالتحريك قال ـ جلّ وعلا ـ «سنفرغ لكم أيّها الثقلان»[1] واما الكتاب ـ والعتره فالظاهر انّه يقال لهما : الثِقْلان بالكسر والسكون بمعنى أنّهما ثقيلا القيمة ، وعلى قول الانبارى ، كون ثقل بفتحتين مثل ثِقْل بكسر ، فسكون لأنّ

(١) الرحمن ٣١ .

العرب قالوا : مَثَل ومِثْل ، وشَبَه وشِبْه ، ونَجَس و نِجْس يكون أيضاً في التعبير عن الكتاب والعترة بالكسر فرقاً بينهما . وبين الجن والانس .

«الاكبر» وهو الكتاب .

«واترك فيكم الثقل الاصغر» من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين ـ عليهما السلام .

روى الثعلبي في تفسير قوله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»[1] بأسانيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أيها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض و عترتي أهل بيتي ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

و روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن زيد بن أرقم قال : قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيباً بماء يدعى خمّا بين مكة والمدينة ، وقال : انما أنا بشر ـ مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي . فاجيب وانّي تارك فيكم الثقلين . أولهما كتاب الله ـ إلى أن قال ـ وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي ـ فقلنا لزيد من أهل بيته نسائه . فقال : لا ايم الله انّ المرئة تكون مع الرجل اعصر ثم يطلقها . فترجع الى قومها .

و روى احمد بن حنبل في مسنده ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «انّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ـ ممدود من السماء إلى الأرض ، و عترتي أهل بيتي وانّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» .

«وركزت» من (ركزت الرمح) : غرزته .

«فيكم راية الايمان» و به عليه السلام . يتحقق الايمان ، فمن لم يكن قائلاً بامامته لم يكن مؤمناً وان كان مسلماً .

---

(۱) آل عمران ۱۰۳ .

«وو قفتكم» : أى اطلعتكم .

«على حدود الحلال والحرام» حتّى انّه عليه السلام فى محرّمات اتّقى من القول بتحريمها لأنّ المتقدمين عليه افتوا بحلّيتها قال عليه السلام لهم لمّا سألوه عنها «انزّه نفسى وولدى عنها» ليدلّهم على حرمتها .

«والبستكم العافية من عدلى» فعدله عليه السلام كان يشمل العربى والعجمى والمسلم والذمي وسوى عليه السلام فى العطاء بين الأشراف وغيرهم .

«وفرشتكم» : أى بسطت لكم .

«المعروف من قولى وفعلى» : فعفا عليه السلام عن أهل البصرة بعد ظفره بهم

«واريتكم» : بالعمل .

«كرائم الأخلاق من نفسى» كما أراهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مكارم الأخلاق من نفسه وفى خلفاء ابن قتيبه ـ بعد ذكر اختلاف أهل العراق فى صفين ـ فقام عدى بن حاتم . فقال : أيّها الناس انّه والله لو غير على عليه السلام دعانا إلى قتال أهل الصلوة ما أجبناه . فانّه ما وقع بأمر قط إلّا ومعه من الله برهان ، و فى يده من الله سبب ، فقاتل أهل الجمل على النكث ، وأهل الشام على البغى . فانظروا فى أموركم ، و امره . فان كان له عليكم فضل ليس لكم له . فسلّموا والّا فنازعوا عليه ، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنّة انّه لاعلم الناس بهما ، ولئن كان إلى الإسلام انّه لأخو رسول الله والرأس فى الاسلام ، ولئن كان الى الزهد فى الدنيا . فانه أظهر الناس زهداً وانهكهم عباده ، ولئن كان الى العقول والنحائز انه لا شدّ الناس عقلاً وأكرمهم نحيزة ، ولئن كان الى الشرف والنجدة انه لأعظم الناس شرفاً ونجدة ، ولئن كان إلى الرضا لقد رضى المهاجرون والأنصار به وبايعوه ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام ، فما الفضل الّذى قرّبكم إلى الهدى ، وما النقص الّذى قرّبه إلى الضلال ، والله لو اجتمعتم على أمر واحد لأتاح الله له من يقاتل لأمر

ماض وكتاب سابق) ـ فاعترف أهل صفّين لعدىّ بعد هذا المقام، ورجع كلّ من تشعّب عليه .

«فلا تستعملوا الرأى فى ما لا يدرك قعره البصر، ولا تتغلغل اليه الفكر» قال الجوهري «تغلغل الماء في الشجر» إذا تخللها..

روى توحيد الصدوق ـ فى خبر قدوم جاثليق مع مأة من النصارى المدينة بعد وفاة النبى ﷺ وسؤاله أوّلاً أبابكر عن مسائل وعجزه عن جوابه . ثم إرشاد بعضهم له إليه عليه السلام فكان فى ما سأله أن قال له عليه السلام : أخبرنى عن وجه الرب . فدعا عليه السلام بنار وحطب . فاضرمه فلمّا اشتعلت قال عليه السلام له : أين وجه هذه النار قال : هى وجه من جميع حدودها فقال عليه السلام : هذه النار مصنوعة مدبّرة لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها شئ ، ولله المشرق والمغرب . فأينما تولّوا فثمّ وجه الله .

هذا وقلنا لثعلب أوهام فى مجالسه . فمنها قوله فى بيت بشر بن أبى حازم) .

تظلّ مقاليت النساء يطانه × يقلن الا يلقى على المرء مئزر

(هذا قتيل شريف فاذا قتل وطئته النساء يزعمن انهن يلدن مثله) .

فانه وهم فلا يطانه ليلدن مثله بل ليعيش ولدهن قال ابن السكيت: ان العرب كانت تقول انّ المرئة المقلاة ـ وهى الّتى لا يعيش لها ولد ـ إذا وطأت القتيل الشريف عاش ولدها ـ ثم ذكر البيت ولو أردنا الاستقصاء لطال .

١٢/ ١١٦/ وَ مِنْ كَلَامٍ لَهُ عليه السلام (تَاللّٰهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَ إِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحِكْمِ، وَ ضِيَاءُ الْأَمْرِ. أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ .

«تالله لقد علّمت تبليغ الرسالات» قال (حد) تبليغ الرسالات تبليغ الشرايع بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى المكلفين، وفيه اشارة إلى قوله تعالى «الّذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله»(١) و إلى قوله النبىّ صلى الله عليه وآله فى قصّة (براءه) «لا يؤدّى عنّى إلّا أنا اورجل منّى».

«واتمام العدات» قال (حد) اتمام العدات انجازها، وفيه إشارة إلى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حقّه (وقاضى دينى ومنجزوعدى).

قلت: وعن التاريخ المعروف بالعباسى انّ الفقهاء رووا للمامون (انّ عليّاً عليه السلام اقام منادياً بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ينادى «من كان له على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم دين أوعدة فليحضر» فحضر جماعة. فأعطاهم بغير بيّنة، وأنّ أبابكر أمر منادياً ينادى بمثل ذلك. فحضر جرير بن عبد الله، وجابر بن عبد الله. فاعطاهم بغير بيّنة» فقال لهم المأمون، أما كانت فاطمة وشهودها يجرون مجرى جرير وجابر. فلم منعها فدك، فأمر المأمون بردّ فدك ـ فى خبر طويل ـ

«وتمام الكلمات» قال (حد) (تمام الكلمات) تأويل القرآن، وفيه اشارة إلى قوله تعالى «وتمّت كلمت ربّك صدقاً وعدلا»(٢) والى قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى حقّه عليه السلام «اللهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه».

وقال أيضاً (وخلاصة كلامه عليه السلام هذا انّه أقسم بالله انه قد علّم او علم على اختلاف الروايتين أداء الشرائع الى المكلّفين، والحكم بينهم بما أنزله الله تعالى وعلم مواعيد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم الّتى وعد بها. فمنها ما هو وعد لواحد من الناس نحو أن يقول له سأعطيك كذا، ومنها ما هو وعد بأمر يحدث كاخبار الملاحم والامور المتجدّدة، وانّه عليه السلام قد علم تمام كلمات الله تعالى أى تأويلها وبيانها الّذى تتمّ به لأنّ فى كلامه تعالى المجمل الّذى لا يستغنى عن متمّم

(١) الاحزاب ٣٢.
(٢) الانعام ١١٥.

و مبیّن یوضحه) .

«وعندنا اهل البیت ابواب الحکم» قال (حد) یعنی الشرعیات والفتاوی «وضیاء الامر» قال (حد) (یعنی العقلیات والعقائد ، وهذا مقام عظیم لا یجسر احد من المخلوقین سواه علیه السلام یدّعیه ، ولو أقدم أحد غیره علیه السلام علی ادعائه لکذب ، وکذّبه الناس .

«الا وانّ شرایع الدین واحدة» لأنّها من عند واحد علیم حکیم قال تعالی «انا اوحینا الیک کما اوحینا إلی نوح والنبیّن من بعده»[1] .

وقال الصادق علیه السلام ـ کما روی الکافی ـ انّ اللّه تعالی ما بعث نبیّاً إلّا وفی علمه تعالی انّه إذا اکمل له الدین کان فیه تحریم الخمر ، ولم تنزل الخمر حراماً ، وانما ینقلون من خصلة إلی اُخری ، ولو حمل ذلک علیهم جملة لقطع بهم دون الدین .

«وسبله قاصدة» الأصل فیه قوله تعالی «وعلی اللّه قصد السبیل و منها جائر»[2] قال تعالی «وما جعل علیکم فی الدین من حرج»[3] وقال ـ جلّ وعلا ـ «قل انّنی هدانی ربی الی صراط مستقیم (دیناً قیماً ملة ابراهیم حنیفاً وما کان من المشرکین»[4] .

«من اخذ بها» وسلک فیها .

«لحق» ووصل المقصد .

«وغنم» فی متجره قال ـ عزّ اسمه ـ «ومن یطع اللّه والرسول فاُولئک مع الّذین انعم اللّه علیهم من النبیّین والصدیقین والشهداء والصالحین و حسن اُولئک رفیقاً»[5] .

---

(۱) النساء ۱۶۳ .

(۲) النحل ۹ .

(۳) الحج ۱۷۸ .

(۴) الانعام ۱۶۱ .

(۵) النساء ۶۹ .

«ومن وقف عنها ضالاً» عن المقصد.

«وندم» على ترك سلوكه. قال ـ جلّ وعلا ـ «فإن لم يستجيبوا لك. فاعلم انّما يتبعون أهواءهم ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدى من الله انّ الله لا يهدى القوم الظالمين»[1].

و من سبل الدين هو عليه السلام ثم المعصومون من عترته. روى توحيد الصدوق عن الصادق عليه السلام قال: قال امير المؤمنين عليه السلام فى خطبته «أنا الهادى، وأنا المهتدى، وأنا أبو اليتامى، والمساكين، و زوج الأرامل، وأنا ملجأ كل ضعيف، ومأمن كل خائف، وأنا قائد المؤمنين الى الجنّة، وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقى، وكلمة التقوى، وأنا عين الله، ولسانه الصادق، ويده، وأنا جنب الله الّذى يقول فيه «ان تقول نفس ياحسرتا على ما فرّطت فى جنب الله» وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطّة من عرفنى و عرف حقّى فقد عرف ربّه لأنّى وصىّ نبيه فى أرضه، وحجّته على خلقه لا ينكر هذا إلا رادّ على الله و رسوله.

١٣/ فى ٩/ ٢/ ـ بعد ذكره عليه السلام فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فِي بَدْرٍ، وَ حَمْزَةُ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي أُحُدْ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طالِبٍ فِي مُؤْتَةَ ـ (وَأَرادَ مَنْ لَوْشِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرادُ وامِنَ الشَّهادَةِ، وَلٰكِنَّ ـ آجالَهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ. فَيا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسابِقَتِي الَّتِي لا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِها إِلّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مالا أَعْرِفُهُ، وَلا أَظُنَّ اللّٰهَ يَعْرِفُهُ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلىٰ كُلِّ حالٍ.

(١) القصص ٥٠.

اقول : مرّ فی (۳۲) من فصل النبوّة الخاصّة صدره وأنّه رواه صفین نصر بن مزاحم .

«وأراد من لوشئت ذکرت اسمه» یعنی علیه السلام نفسه .

«مثل الّذی أرادوا» یعنی عبیدة وحمزة وجعفر .

«من الشهادة ، ولکنّ آجالهم عجّلت» فاستشهدوا .

«ومنیّته» : ای موته .

«أجّلت» هکذا فی المصریة ، والصواب (اخّرت) کما فی (حد ، و ثم ، والخطیة المصححة .

«فیاعجبا للدهر اذ صرت یقرن بی من لم یسع بقدمی ولم تکن له کسابقتی» فی الاسلام من بدئه إلی یومه .

قال سبط ابن الجوزی فی تذکرته : سوابقه علیه السلام أشهر من الشمس والقمر ، وأکثر من الحصی ، والمدر ، وقد اخترت منها ماثبت واشتهر ، وهی قسمان : قسم مستنبط من الکتاب ، وقسم من السنّة الّتی لیس فیها ارتیاب ، وقد روی مجاهد أنّ ابن عباس سئل عن فضائله علیه السلام ـ وقال السائل : اظنّها ثلاثه آلاف ـ فقال ابن عباس ، هی الی الثلاثین ألفاً أقرب . ثم قال ابن عباس : لوأنّ الشجر أقلام والبحور مداد ، والانس والجن کتّاب وحُسّاب ما احصوا فضائل امیرالمؤمنین علیه السلام .

و روی عکرمة عن ابن عباس قال : ما انزل آیة فی القرآن إلّا وعلی علیه السلام رأسها و أمیرها .

أما نصوص الکتاب فمنها قوله تعالی فی المائدة «انّما ولیّکم اللّه ورسوله والّذین آمنوا الّذین یقیمون الصلوة ویؤتون الزکوة وهم راکعون»[1] ذکر الثعلبی فی تفسیره عن السدی ، وغیره أنّ علیاً علیه السلام مرّ به سائل ، وهو فی المسجد راکع

(۱) المائدة ۵۵ .

فاعطاه خاتمه فنزلت الآية .

و روى الثعلبى مسنداً عن أبى ذر قال : صلّيت يوماً صلوة الظهر والنبىّ صلى الله عليه وآله حاضر ، فقام سائل فسأل فلم يعطه أحد شيئاً ، وكان على ـ عليه السلام قد ركع . فأومئ إلى السائل بخنصره . فأخذ الخاتم من خنصره ، والنبىّ صلى الله عليه وآله يعاين ذلك . فرفع رأسه إلى السماء وقال : اللهمّ انّ أخى موسى سالك . فقال « رب اشرح لى صدرى ويسّرلى أمرى ـ إلى ـ واشركه فى أمرى » فانزلت عليه « سنشدّ عضدك بأخيك ، ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا » اللهم وانا محمّد صفيّك ، ونبيّك . فاشرح لى صدرى ويسّرلى أمرى ، واجعل لى وزيراً من أهلى علياً اشدد به أزرى ـ أوقال ـ ظهرى) فما استتمّ النبى صلى الله عليه وآله الكلمة حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عنده تعالى . فقال : يامحمّد اقرأ « انّما وليّكم الله و رسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم راكعون » ـ إلى أن قال ـ وقال حسان :

أباحسن تفديك روحى ومهجتى × وكلّ بطئ فى الهدى ومسارع
فأنت الّذى اعطيت إذ كنت راكعاً × فدتك نفوس الخلق ياخير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيّد × و يا خير شار ثمّ ياخير بائع
فأنزل فيك الله خير ولايه × وبيّنها فى محكمات الشرائع

و قال أيضاً :

من ذا بخاتمه تصدّق راكعا × واسرّها فى نفسه اسرارا

و منها قوله تعالى فى آل عمران « قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم و نسائنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم » ـ الآية ـ (١) قال جابر كما روى عنه أهل السير انّ وفد نجران قدموا على النبىّ صلى الله عليه وآله فقالوا : من أبوموسى . فقال : عمران . قالوا : فانت قال : عبد الله قالوا : فعيسى . فسكت ينتظر الوحى فنزل « انّ مثل عيسى

(١) آل عمران ٦١ .

عند الله كمثل آدم خلقه من تراب» فقالوا: لا نجد هذا في ما أوحى إلى أنبيائنا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كذبتم ونزل «فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم وأنفسنا وأنفسكم» ـ الآية ـ قالوا: انصفت فمتى نباهلك قال غداً إن شاء الله فانصرفوا، وقال بعضهم لبعض: إن خرج في عدّة من أصحابه فباهلوه فانه نبي صادق، ولئن باهلتموه لتهلكنّ ـ ثم بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل المدينة ومن حولها فلم يبق بكر لم ترها الشمس إلّا خرجت، وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى عليه السلام بين يديه، والحسن عليه السلام عن يمينه، والحسين عليه السلام عن شماله وفاطمة عليها السلام خلفه، ثم قال: هلمّوا فهؤلاء أبناءنا ـ وأشار إلى الحسن ـ والحسين عليهما السلام ـ وهذه نساءنا ـ يعني فاطمة عليها السلام ـ وهذه أنفسنا ـ يعني نفسي وأشار إلى علي عليه السلام ـ فلمّا رأى القوم ذلك خافوا وقالوا: اقلنا أقالك الله فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والذي نفسي بيده لو خرجوا لامتلأ الوادي ـ عليهم ناراً ـ إلى أن قال ـ وقال الثعلبي في تفسيره: فقال اسقف نجران: يا معاشر النصارى اني لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فرجعوا وصالحوا على ألفي حلّة.

ومنها قوله تعالى «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه»[1] روى الثعلبي في تفسيره، عن زاذان عن علي عليه السلام قال: والذي نفسي بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلّا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنّة أو تقوده إلى النار فقال له رجل: فما آيتك التي نزلت فيك. فقال «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه» فرسول الله على بيّنة، وانا شاهد منه.

ومنها في (براءه) (يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين)[2]

---

(۱) هود ۱۷.

(۲) التوبة ۱۱۹.

قال علماء السير معناه كونوا مع علي واهل بيته قال ابن عباس علي سيّد الصادقين ومنها في (لم يكن) (أولئك هم خير البرية)[1] قال مجاهد: هم علي وأهل بيته ومحبّوهم، ومنها في (الصافّات) «وقفوهم انّهم مسئولون» قال مجاهد: مسئولان عن حبّ علي عليه السلام.

و منها في (مريم) «انّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا»[2] روى الثعلبي في تفسيره أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام «قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين ودّا» فانزل تعالى فيه هذه الآية.

وقال في قسم «السنة الّتي بلا ارتياب» روى أحمد بن حنبل في مسنده، عن سعد بن أبي وقاص أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلّف عليّاً في غزوة تبوك في أهله. فقال اتخلّفني في النساء والصبيان. فقال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هرون غير انّه لا نبيّ بعدي.

و روى أحمد بن حنبل في فضائله أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هرون من موسى إلّا النبوّة، وأنت خليفتي.

و روى أيضاً في فضائله أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار. فبكى علي عليه السلام وقال: لم تواخ بيني وبين أحد. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنّما ادّخرتك لنفسي. أنت منّي بمنزلة هرون من موسى أما علمت أنّ أوّل من يدعى به يوم القيمة أنا ـ إلى أن قال ـ وينادي منادٍ من تحت العرش نعم الأب ـ أبوك إبرهيم، ونعم الأخ أخوك علي ابشر يا علي فانّك ستكسى إذا كسيت، وتدعى إذا دعيت، وتحيى إذا حييت، وتقف على عقر حوضي، تسقى من عرفت، فكان علي عليه السلام يقول، والّذي نفسي بيده لأذودنّ عن حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقواماً

(١) البينة ٦.

(٢) مريم ٩٦.

من المنافقین کما تذاد غریبة الإبل عن الحوض تردده .

و روی فی فضائله أیضاً عن أسماء بنت عمیس قالت : قال النبی صلی الله علیه و آله و سلم : اللهمّ إنّی أقول کما قال أخی موسی : اجعل لی وزیراً من أهلی علیّاً اشدد به أزری و اشرکه فی أمری کی نسبّحك کثیراً ونذکرك کثیراً .

و روی هو فی مسنده، ومسلم والبخاری فی صحیحیهما ،عن سهل بن سعد قال : قال النبی صلی الله علیه و آله و سلم یوم خیبر : لاعطینّ الرایة غداً رجلاً یحبّ الله ورسوله ، و یحبّه الله، ورسوله یفتح الله علی یدیه ، فبات الناس یدوکون أیّهم یعطاها ، فلمّا أصبحوا غدوا علیه کلّ یرجو أن یعطاها فقال أین علیّ بن أبی طالب قیل : هو أرمد قال : فارسلوا إلیه . فجاء فبصق فی عینه ، ودعا له فبرء کأن لم یکن به وجع فاعطاه الرایه .

و روی فی فضائله ،عن ابن بریدة . قال حاصرنا خیبر ، فاخذ اللواء أبوبکر فلم یفتح له . ثم أخذه عمر من الغد ، فرجع ولم یفتح له ، وأصاب الناس شدة و جهد . فقال النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم : انّی دافع اللواء غداً إلی رجل یحبّه الله ورسوله لا یرجع حتّی یفتح الله علی یدیه .

وذکر أحمد بن حنبل أیضاً فی فضائله أنّهم سمعوا تکبیراً من السماء فی ذلك الیوم وقائلاً یقول : لا یسیف إلّا ذوالفقار ولا فتی إلّا علی .

وقال جابر بن عبد الله : حمل علیّ علیه السلام باب خیبر وحده . فدحاه ناحیة ثم جاء بعده اُناس یحملونه فلم یحمله إلّا أربعون رجلاً .

وفی الطبری قال ابورافع : خرج إلی علی علیه السلام فی خیبر رجل . فضرب علیاً فطرح ترسه من یده ، فتناول علی علیه السلام باباً عند الحصن ، فتترّس به عن نفسه فلم یزل فی یده ، وهو یقاتل حتی فتح الله علی یدیه . ثم ألقاه فلقد رأیتنی فی نفر سبعة اُناثاً منهم نجتهد علی أن نقلّب الباب . فلم نقدر علیه .

و روی فی مسنده عن علیّ علیه السلام قال : انطلقت أنا والنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم إلی الکعبة

فقال لى : اجلس فجلست فصعد على كتفى . فذهبت لانهض به . فلم اطق فنزل ، وجلس لى . فقال اصعد على منكبى . فصعدت على منكبيه فنهض بى ، وانه ليخيّل إلىّ انّى لوشئت أن انال أفق السماء لنلته ـ إلى أن قال ـ قال سعيد بن المسيب : فلهذا كان على عليه السلام يقول «سلونى عن طرق السموات فانّى أعرف بها من طرق الأرضين ولوكشف الغطاء ما ازددت يقينا » .

وفى نهاية الجزرى فى الحديث انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى عليه السلام «أنت الذائد عن حوضى يوم القيمة تذود عنه الرجال كما يذاد البعير الصاد ـ يعنى الّذى به الصيد ، وهو داء يصيب الابل فى رؤسها تسيل منه أنوفها ، وترفع رؤوسها ولا تقدر ان تلوى معه أعناقها يقال بعير صاد أى ذو صاد .

و فى التذكرة أيضاً وروى الثعلبى فى تفسيره أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يهاجر الى المدينة خلّف عليا عليه السلام بمكّة لقضاء ديونه ، وردّ الودائع الّتى كانت عنده ، وأمره أن ينام تلك الليلة على فراشه ، وقال له : تسجّ ببردى الحضرمى لا يخلص اليك منهم أحد ، ولا يصيبونك بمكروه ، والقوم قد أحاطوا بالدار ، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل انّى قد آخيت بينكما ، وجعلت عمر أحدكما اطول من عمر الآخر ، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحيوة . فاختار كلاهما الحيوة . فأوحى الله تعالى اليهما : أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمّد . فبات على فراشه يفديه بنفسه اهبطا إلى الأرض . فاحفظاه من عدوه ، فنزلا جبرئيل عند راسه ، و ميكائيل عند رجليه ، والملئكة تنادى : بخّ بخّ من مثلك يا ابن أبى طالب ، والله يباهى بك ملئكته ، فأنزل تعالى فى شأن على عليه السلام « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله »[1] ـ وقال ابن عباس : انشدنى امير المؤمنين عليه السلام شعراً قاله تلك الليلة .

وقيت بنفسى خير من وطا الحصى × وقد وطّنت نفسى على القتل والأسر

(١) البقرة ٢٠٧ .

و روی الترمذی أنّ النبی صلی الله علیه وآله وسلم بعث جیشاً واستعمل علیهم علیاً علیه السلام فأصاب جاریة من السبی . فتعاقد أربعة منهم إذ اقدموا علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم أخبروه فلمّا قد مواقام الأول . فقال : ألا ترى إلى علی فعل کذا وکذا . فاعرض عنه ثم قام الثانی فقال : فاعرض عنه وقام الثالث ، والرابع ، فقالا : فاعرض عنهما . ثم أقبل علیهم والغضب یعرف فی وجهه ، وقال : ما تریدون من علی ـ قالها ثلاثاً ـ علیّ منّی وأنا منه .

وذکر أهل السیر أنّ النبی صلی الله علیه وآله وسلم بعث أبا بکر یحجّ بالناس سنة تسع ، وقال له : انّ المشرکون یطوفون عراة ، ولا أحبّ أحجّ حتّی لا یکون ذلك ، واعطاه ـ أربعین آیة من صدر (براءة) لیقرأها علی اهل الموسم . فلمّا سار دعا النبی صلّی الله علیه وآله علیاً علیه السلام فقال له : اخرج بهذه الآیات من صدر براءة ، وادفع إلیه ناقته العضباء . فادرك أبا بکر بذی الحلیفة ، فأخذ منه الآیات . فرجع أبو بکر إلی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم . فقال : هل نزل فیّ شئ . قال : لا ، ولکن لا یبلغ عنّی غیری ـ أو ـ رجل منّی .

قال وفی فضائل أحمد أنّ النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال له : انّ جبرئیل جائنی فقال : ابعث علیاً ـ إلخ .

و فی فهرست ابن الندیم قال هشام بن الحکم : ما رأیت مثل مخالفینا عمدوا إلی من ولّاه الله من سمائه فعزلوه ، وإلی من عزله من السماء فولّوه ـ قال ابن الندیم : یذکر هشام قصّة مبلّغ سورة براءة ، ومردّ أبی بکر وایراد علی علیه السلام بعد نزول جبرئیل علیه السلام قائلاً للنبی صلی الله علیه وآله وسلم عن الله تعالی « انّه لا یؤدّیها عنك الّا أنت أو رجل منك » فردّ أبا بکر وأنفذ علیاً علیه السلام .

و روی الزبیر بن بکار فی موفّقیاته عن ابن عباس قال : انّی لا ماشئ عمر بن الخطاب فی سکّة من سکك المدینة اذ قال لی یا ابن عباس : ما أری صاحبك إلّا مظلوماً ، فقلت فی نفسی : والله لا یسبقنی بها . فقلت : فاردد إلیه ظلامته

فانتزع يده من يدى ومضى يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته ، فقال : يا ابن عباس ما أظنّ منعهم إلّا أنّهم استصغروه قومه . فقلت فى نفسى : هذه شرّ من الأولى . فقلت له : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ (براءة) من صاحبك فاعرض عنّى واسرع . فرجعت .

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى ذكر أحمد بن حنبل فى فضائله أنّ صاحب لواء المشركين يوم أحد لمّا قصد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فداه على عليه السلام بنفسه ، وحمل على صاحب اللواء . فقتله فنزل جبرئيل عليه السلام . فقال : يا محمّد إنّ هذه لهى المواساة فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : علىّ منّى وأنا منه . فقال جبرئيل : وأنا منكما .

و روى فى فضائله أيضاً عن أنس قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لينتهين بنو وليعة أو لابعثنّ إليهم رجلاً كنفسى يمضى فيهم أمرى يقتل المقاتله و يسبى الذرية ـ قال ابوذر : فما راعنى إلّا بردكف عمر من خلفى وقال : من تراه يعنى قلت : ما يعنيك وانّما يعنى خاصف النعل ـ يعنى علياً عليه السلام .

و رواه الترمذى فى سننه ، و روى عن ابن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى خطبة خطبها فى حجّة الوداع : لاقتلنّ العمالقة فى كتيبه . فقال له جبرئيل : أو على بن أبى طالب . فقال : أو على بن أبى طالب .

و روى أحمد بن حنبل فى فضائله عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : أنا مدينة العلم وعلىّ بابها . فمن أراد العلم فليأت الباب .

و روى أيضاً فى فضائله أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : كنت أنا وعلى نوراً بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام ، فلمّا خلق آدم قسّم ذلك النور جزئين ، فجزء أنا وجزء علىّ .

و روى أيضاً فى فضائله عن على عليه السلام قال : لمّا كانت ليلة بدر قال النبى صلى الله عليه وآله : من يستقى لنا من الماء . فأحجم الناس . فقمت . فاحتضنت قربة . ثم أتيت قليباً بعيد القعر مظلماً . فانحدرت فيه . فأوحى الله تعالى إلى

جبرئيل وميكائيل واسرافيل تأهّبوا لنصرة محمّد وحزبه . فهبطوا من السماء لهم دويّ يذهل من يسمعه . فلمّا حاذوا القليب ، وقفوا وسلموا علىّ من عند آخرهم

و روى أيضاً فى فضائله عن سفينه مولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : اهدت امرئة من الأنصار طيراً ـ وفى رواية طيرين ـ بين رغيفين فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم ايتنى بأحبّ خلقك إليك . فإذا الباب فتح . فدخل على عليه السلام فأكل معه ، وقال الحاكم حديث الطاير صحيح يلزم البخارى ومسلماً إخراجه فى صحيحيهما لأنّ رجاله ثقات .

و روى فى فضائله أيضاً عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة فى المسجد . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : سدّوا هذه الأبواب إلّا باب على بن أبى طالب . فتكلّم الناس فى ذلك ، فقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم : فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : ما سددت شيئاً ولا فتحته ، ولكنّى أمرت بشئ فاتّبعته) ـ ورواه الترمذى .

و رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : ياعلى لا يحلّ لأحد أن يجنب فى هذا المسجد غيرى ، وغيرك .

وعن جابر بن عبد الله . قال : دعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم علياً يوم الطائف . فانتجاه طويلاً . فقال الناس : لقد طالت نجواه مع ابن عمّه . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فقال ما انتجيته ، ولكنّ الله انتجاه ـ قال الترمذى : أى أمرنى الله أن انتجى معه

و روى أحمد بن حنبل فى فضائله عن البراء بن عازب قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وآله ، فنزلنا بغدير خم . فنودى فينا الصلوة جامعة ، وكسح للنبى صلى الله عليه وآله بين شجرتين . فصلّى الظهر ، وأخذ بيد على عليه السلام وقال « اللهم من كنت مولاه فهذا مولاه » فلقيه عمر بعد ذلك . فقال : هنيئاً لك يا ابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولاى و مولى كلّ مومن و مؤمنة .

وعن عبد الملك بن عطية العوفى قال : أتيت زيد بن أرقم . فقلت له : انّ ختناً لى حدّثنى عنك بحديث فى شأن على يوم الغدير ، وأنا أحبّ أن أسمعه ـ

منك . فقالا : انكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم . فقلت ، ليس عليك منّى بأس ، فقال : نعم كنّا بالجحفة . فخرج علينا النبى ﷺ ظهراً ، وهو آخذ بعضد على عليه السلام . فقال : أيّها الناس ألستم تعلمون أنّى أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقالوا : بلى . فقال : «من كنت مولاه فعلى مولاه» ـ قالها أربع مرّات .

وعن رياح بن الحرث قال : جاء رهط إلى على عليه السلام ـ وكان بالرحبة ـ فقالوا : السلام عليك يا مولانا . فقال : كيف أكون مولاكم ، وأنتم قوم عرب . قالوا : سمعنا النبى ﷺ يوم غدير خم يقول «من كنت مولاه فعلى مولاه» ـ فقلت : من هؤلاء . فقيل : نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب صاحب النبى ﷺ .

وعن بريدة قال : قال النبى ﷺ : من كنت مولاه ـ أوليه ـ فعلى وليّه ـ وفى رواية لمّا نشد على عليه السلام الناس فى الرحبة قام خلق كثير فشهدوا له بذلك ـ وفى لفظ ـ فقام ثلاثون رجلاً فشهدوا .

وذكر الغزالى فى كتاب سرّ العالمين أنّ النبى ﷺ قال لعلى عليه السلام يوم غدير خم «من كنت مولاه فعلى مولاه» فقال عمر بن الخطاب : بخّ بخّ يا أبا الحسن أصبحت مولاى ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة ، وهذا تسليم ورضى وتحكيم . ثم بعد هذا غلب الهوى حبّاً للرياسة ، وعقد البنود ، وخفقان الرايات ، وازدحام الخيول فى فتح الأمصار ، وأمر الخلافة ونهبها فحملهم على الخلاف . فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما يشترون ـ إلى آخر ما فى تذكرة السبط .

ولو شئنا استقصاء ما فيه فقط لطال الكلام .

«التى لا يدلى» . أى لا يحتجّ .

«أحد بمثلها إلا ان يدّعى مدع ما لا أعرفه ولا أظنّ الله يعرفه» لكون ادعائه كذباً ومينا .

روى أحمد بن حنبل فى فضائله عن سعيد بن المسيب أنّ النبى ﷺ

قال - وقد آخى بين أصحابه - أين على بن ابى طالب ، فجاء فقال : ياعلى أنت أخى وأنا أخوك . فإن ناكرك أحد . فقل : أنا عبد الله ، وأخو رسوله لا يدعيها بعدك إلّا كذّاب .

و روى إرشاد محمّد بن محمّد بن النعمان ، عن حكيم بن جبير ، و غيره . قالوا : شهدنا علياً عليه السلام على المنبر يقول « أنا عبد الله ، وأخو رسوله ، ورثت نبى الرحمة ، ونكحت سيّدة نساء أهل الجنّة ، وأنا سيّد الوصيين ، وآخر أوصياء النبيين لا يدّعى ذلك غيرى إلّا أصابه الله بسوء فقال رجل من عبس - وكان جالساً بين القوم - « من لا يحسن أن يقول هذا أنا عبد الله ، وأخو رسوله » فلم يبرح من مكانه حتى تخبّطه الشيطان . فجرّ برجله إلى خارج المسجد . فسألنا قومه عنه هل تعرفون به عرضاً قبل هذا قالوا : اللهم لا .

والأوّل والثانى وإن لم يستطيعا أن يدعيا كونهما أخا رسوله إلّا أنّهما أنكرا له ذلك . ففى خلفاء ابن قتيبه فى قصّة السقيفة « اخرج عمر ومعه قوم علياً فمضوا به إلى أبى بكر . فقالوا له : بايع فقال : إن لم أفعل فمه . قالوا : اذن والله الّذى لا إله إلّا هو نضرب عنقك . قال : إذن تقتلون عبد الله ، وأخا رسوله ، قال عمر « أمّا عبد الله ، فنعم ، وأما أخو رسوله فلا » فلحق علىّ (ع) بقبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصيح ويبكى وينادى : يا ابن أم إنّ القوم استضعفونى ، وكادوا يقتلوننى .

وأمّا سوابق ذكروها للمتقدمين عليه عليه السلام . فلعمر الله هى مفتعلة اختلقها لهم معاوية . فلو كان للأوّل سابقة لما اقتصر الثانى لمّا أراد توليته الخلافة يوم السقيفة على قوله « أمرك النبى بالصلوة بنا وأنت صاحب غاره » ولذكر ما عدّ وه له .

ثم قول عمر لأبى بكر « أمرك النبى بالصلوة بنا » كيف يعقل صحّته ، و قد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمر بخروجه فى جيش أسامة ، ولعن المتخلّف عنه ، وانّما كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال فى شدّة مرضه : يصلّى بكم أحدكم فانّى لا أستطيع الخروج إليكم فبعثت ابنته عايشة إليه أن يتصدى هو للصلوة ، ثمّ لمّا فهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك

قال لها : أنتن صواحب يوسف ، وخرج مع حاله تلك معتمداً على أمير المؤمنين عليه السلام ، والفضل بن العباس واخّره وصلّى بالناس جالساً دفعاً للشبهة .

وأمّا قوله «أنت صاحب غاره» فكونه صاحب الغار محقّق إلّا أنّه بالغار — والعوار أقرب لكونه سبباً لاضطراب النبى ﷺ حتّى نهاه ، وخصّ — جلّ وعلا — إنزال سكينته بنبيّه ﷺ دلالة على عدم كون أبى بكر مؤمناً بالله ، وإلّا فقد قال فى موضع آخر « فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » .

«والحمد لله على كلّ حال» كان النبى ﷺ يقول فى النعمة ومايسرّه «الحمد لله على هذه النعمة» وكان يقول فى البليه ومايكرهه «الحمد لله على كلّ حال» .

وحيث قال عليه السلام قبل ذلك «يا عجباً للدهر اذ صرت يقرن بى من لم يسبق بقدمىٍ ولم تكن له كسابقتى» قال «والحمد لله على كلّ حال» : أى حتّى فى حال أقران الأجانب بى .

و فى المروج وغيره كتب محمّد بن أبى بكر إلى معاويه كان أوّل من أجاب النبى ﷺ وأناب وآمن وصدّق وأسلم وسلّم أخوه وابن عمه على بن أبى طالب . صدّقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كلّ هميم ، ووفاه بنفسه كلّ هول ، وحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلا لنفسه فى ساعات الليل والنهار ، والخوف والجوع حتّى برز سابقاً لا نظير له فى من اتّبعه ، ولا مقارب له فى فعله ، وقد رأيتك تسامیه ، وأنت أنت وهو هو أصدق الناس نيّة ، وأفضل الناس ذرّيّة ، وخير الناس زوجة ، وأفضل الناس ابن عم . أخوه الشارى بنفسه يوم موته ، وعمّه سيد الشهداء يوم أحد ، وأبوه الذابّ عن رسول الله وعن حوزته ، وأنت اللعين ابن اللعين . لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله الغوائل ، وتجهدان فى اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال ، وتؤلّبان عليه القبائل على ذلك مات أبوك ، وعليه خلفته ، والشهيد عليك . من يدنى منك ، ويلجأ اليك

من بقية الأحزاب، ورؤساء النفاق، والشاهد لعلى عليه السلام مع فضله المبين القديم أنصاره الّذين معه. الّذين ذكرهم اللّه بفضله، وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، وهم معه كتائب وعصائب. يرون الحقّ فى اتّباعه، والشقاء فى خلافه، فكيف ـ يالك الويل ـ تعدل نفسك بعلى، وهو وارث رسول اللّه، ووصيه، وأبو ولده. أوّل الناس له اتّباعاً، وأقربهم به عهداً. يخبره بسرّه، ويطّلعه على أمره وأنت عدوّه، وابن عدوّه ـ إلى أن قال ـ.

فكتب إليه معاوية ذكرت فضل ابن أبى طالب، وقديم سوابقه، وقرابته إلى الرسول، ومواساته اياه فى كلّ هول وخوف. فكان احتجاجك علىّ، وعيبك لى بفضل غيرك لا بفضلك. فاحمد ربّا صرف هذا الفضل عنك، وجعله لغيرك فقد كنّا ـ وأبوك فينا ـ نعرف فضل ابن أبى طالب، وحقّه لازماً لنا، فلمّا اختار اللّه لنبيّه ما عنده. كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه وخالفه على أمره، على كلّ ذلك اتفقا واتّسقا. ثم انهما دعواه إلى بيعتهما. فابطأ عنهما، وتلكّأ عليهما فهمّا به ـ الهموم، وأرادا به العظيم. ثم انّه بايع لهما، وسلّم لهما، وأقاما لا يشركانه فى أمرهما، ولا يطّلعانه على سرّهما حتّى قبضا، ثم قام ثالثهما عثمان، فهدى بهديهما وسار بسيرهما فخذ حذرك يا ابن أبى بكر، وقس شبرك بفترك تقصر عن أن توازى من يزن الجبال بحلمه مهّد أبوك مهاده، وبنى له ملكه وشاده فإن يك ما نحن فيه صواباً. فأبوك استبدّ به ونحن شركائه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ـ ابن أبى طالب ولسلّمنا إليه، ولكن رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا، فأخذنا بمثله فعب أباك بما بدا لك أودع.

وأقول: ولكون معاوية اقتدى بصدّيقهم وفاروقهم فى فعاله، وأنّهما أسّسا له قتاله مع أمير المؤمنين عليه السلام وقتله للحسن عليه السلام وتمهيده لقتل الحسين عليه السلام، وأسر أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبناته بتلك الكيفية قال الخطيب فى تاريخه: قال الربيع بن نافع معاوية بن أبى سفيان سراصحاب رسول الله، فإذا

كشف الرجل الستر اجترئ على ما وراءه

اف لهذا الدين المتضاد المتناقض يجعلون لعين النبي مقدماً على نفس النبي .

١٤/ ٦٤/ ١/ (ومن كلام له عليه السلام في معنى الانصار) قالوا : لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام : ما قالت الأنصار؟ قالوا : قالت : (منا أمير ومنكم أمير) قال عليه السلام فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وصى بأن يحسن إلى محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم . قالوا : (وما في هذا من الحجة عليهم) قال عليه السلام : لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم ، ثم قال عليه السلام : فما ذا قالت قريش قالوا : احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله . فقال عليه السلام : احتجوا بالشجرة ، وأضاعوا الثمرة .

و فى ٢٨/ ٢/ ـ فى جملة كتابه إلى معاوية ـ «ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم . فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم ، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم .

و فى ١٩٠/ ٣/ «وأعجباه أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة) ـ قال الرضى : و روى له شعر فى هذا المعنى .

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم × فكيف بهذا والمشيرون غيب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم × فغيرك أولى بالنبي وأقرب

أقول : ذكر الأول والأخير المصنّف في خصائصه أيضاً الأوّل هكذا « و في خبر مرفوع لمّا رفع امير المومنين عليه السلام يده من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله اتته انباء السقيفة ، فقال : ما قالت الانصار ـ الخ .

و زاد في الأخير بعد قوله عليه السلام « ولا تكون بالصحابة والقرابة » على ما يأتي تحقيقه « ويروى والقرابة والنص » وقال بعد ذكر البيتين « ولقد أوضح عليه السلام بهذا القول لهم المحجّة ، وأخذ على خصومه بمضائق الحجّة .

و روى الثاني نصر بن مزاحم في صفّينه مع زيادة هكذا (وذكرت حسدي الخلفاء وابطائي عنهم و بغيي عليهم . فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون ، وأمّا الابطاء عنهم ، والكراهة لأمرهم فلست اعتذر منه إلى الناس لأنّ الله ـ جلّ ذكره لما قبض نبيّه صلى الله عليه وآله قالت قريش : منّا الأمير ، وقالت الأنصار : منّا الأمير . فقالت ـ قريش : منّا محمّد رسول الله . فنحن أحق بذاك الأمر . فعرفت ذلك ، الأنصار لهم . فسلّمت لهم الولاية والسلطان . فإذا استحقوها بمحمّد صلى الله عليه وآله دون الأنصار فانّ أولى الناس بمحمّد صلى الله عليه وآله أحقّ بها منهم ، و إلّا فالأنصار أعظم العرب فيها نصيباً ، فلا أدري أصحابي سلّموا من أن يكونوا حقّي اخذوا أو الأنصار ظلموا (وقد) عرفت انّ حقّي هو المأخوذ .

قول المصنّف : « قالوا لما انتهت » : أي بلغت .

« إلى أمير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة » : أي أخبارها .

« بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله و بعد فراغه عليه السلام من غسله صلى الله عليه وآله كما عرفته من خصائصه .

ثمّ إنّ (حد) نقل أخبار السقيفة من الجوهري أولاً : ثم من موفّقيات الزبير بن بكار ، ونحن ننقلها من خلفاء ابن قتيبة ، فقال فيه « حدّثنا ابن عفير عن أبي عون عن عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري أنّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا قبض اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة ، فقالوا له : انّ النبي صلى الله عليه وآله قد قبض فقال لابنه قيس : انّي

لا أستطيع أن اسمع الناس كلاماً لمرضى ، ولكن تلقّ منّى قولى فاسمعهم . فكان سعد يتكلّم ، ويحفظ ابنه قوله فيرفع صوته لكى يسمع قومه . فكان مما قال بعد ان حمد الله وأثنى عليه : يا معشر الأنصار انّ لكم سابقه فى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب أنّ النبى ﷺ لبث فى قومه بضع عشرة سنه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخلع الأوثان فما آمن به من قومه إلّا قليل ، والله ما كانوا يقدروا أن يمنعوا النبى ﷺ ، ولا يعزّوا دينه ، ولا يدفعوا عن أنفسهم حتّى أراد الله تعالى لكم الفضيلة ، فساق إليكم الكرامة ، وخصّكم بالنعمة ، ورزقكم الايمان به و برسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والاعزاز لدينه ، والجهاد لأعدائه . فكنتم أشدّ الناس على من تخلّف عنه منكم ، وأثقلهم على عدوّه من غيركم . حتّى استقاموا لأمر الله تعالى طوعاً وكرهاً ، واعطى البعيد المقادة صاغراً داحراً حتّى أثخن الله تعالى لنبيّه ﷺ بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب . ثم توفّاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين بكم ، فشدّوا أيديكم بهذا الأمر . فانّكم أحقّ الناس وأولاهم به . فأجابوه جميعاً ان قد وفّقت فى الرأى ، واصبت فى القول وكفى بعد ذلك ما رأيت بتوليتك هذا الأمر فأنت مقنع ، ولصالح المؤمنين رضى

فأتى الخبر إلى أبى بكر ففرغ أشدّ الفرغ وقام ومعه عمر فخرجا مسرعين إلى سقيفة بنى ساعدة ، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح . فانطلقوا جميعاً إليها . فأراد عمر أن يبدء بالكلام ، وقال : خشيت أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام ، فلمّا تجهز للكلام قال له ابو بكر : على رسلك فستكفى فتشهد وقال : انّ الله تعالى بعث محمداً بالهدى ودين الحق ، فدعا إلى الاسلام ، فأخذ الله بنواصينا وقلوبنا إلى ما دعا إليه . فكنا معشر المهاجرين أوّل الناس إسلاماً ، والناس لنا فيه تبع ونحن عشيرة النبىّ ، وأوسط العرب أنساباً ليست قبيلة إلّا ولقريش فيها ولادة وأنتم أيضاً والله الذين آووا ونصروا ، وأنتم وزراءنا فى الدين ، ووزراء النبى و إخواننا فى كتاب الله ، وشركاءنا فى دينه ، وفى ما كنّا فى سرّاء وضرّاء ، والله ما كنّا

فى خير قطّ إلّا كنتم معنافيه ، فأنتم أحبّ الناس إلينا ، وأحقّ الناس أن لا تحسدوا إخوانكم المهاجرين ، وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة ، والله ما زلتم تؤثرون إخوانكم من المهاجرين ، وأنتم أحق الناس ألا يكون هذا الأمر ، واختلافه على أيديكم وأبعد الا تحسدوا إخوانكم على خير ساقه الله تعالى إليهم ، وانّما ادعوكم إلى ابى عبيدة أو عمر ، وكلاهما قد رضيته لكم ولهذا الأمر ، وكلاهما له أهل ، فقال عمر وأبو عبيدة : ما ينبغى لأحد من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر أنت صاحب الغار ثانى اثنين ، وأمرك النبى بالصلوة ، فأنت أحق الناس بهذا الأمر .

فقال الأنصار ، والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم وانّا كما وصفت ، ولا أحد أحبّ إلينا منكم ، ولكنّا نشفق مما بعد اليوم ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منّا ومنكم . فلو جعلتم اليوم رجلاً منّا ، ورجلاً منكم بايعنا ورضينا على أنّه إذا هلك أحد هما اخترنا مكانه كان ذلك أجدر أن يعدل فى أمّة محمّد ، وأن يكون بعضنا يتبع بعضاً فيشفق القرشى أن يرفع فينقض عليه الأنصارى ، ويشفق الأنصارى أن يرفع فينقض عليه القرشى .

فقال أبو بكر : أنّ الله بعث محمّداً رسولاً إلى خلقه ليوحدوه ، وهم إذ ذاك يعبدون آلهه شتى فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم . فخصّ الله تعالى المهاجرين الأولين بتصديقه ، والصبر معه على الشدّة من قومهم . فلم يستوحشوا من قلّة عددهم ، واجتماع قومهم عليهم . فهم أوّل من عبد الله فى الأرض ، وأوّل من آمن بالله ورسوله ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحقّ الناس بالأمر بعده لا ينازعهم فيه إلّا ظالم .

فقام الحباب بن المنذر . فقال : يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم . فإنّما الناس فى فيئكم وظلالكم ولن يجير مجير على خلافكم ، ولن يصدر الناس إلّا عن رأيكم أنتم أهل العزو الثروة ، وأولوا العدد والنجدة ، وانّما ينظر الناس ما تصنعون . فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم أنتم أهل الايواء ، واليكم كانت الهجرة ، ولكم فى

السابقين الأوّلين مثل مالهم ، وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم ، والله ما عبدوا الله علانية إلّا فى بلادكم ، ولا جمعت الصلوة إلّا فى مساجدكم ولا دانت العرب للاسلام إلّا بأسيافكم . فأنتم أعظم الناس نصيباً فى هذا الأمر ، وإن أبى القوم فمنّا أمير ، ومنهم أمير ـ

فقام عمر : فقال هيهات والله لا ترضى العرب أن تؤمّركم ونبيّها من غيركم ولكنّ العرب لا ينبغى أن تولّى هذا الأمر إلّا من كانت النبوّة فيهم ، وأولوا الأمر منهم ، لنا بذلك على من خلفنا من العرب الحجّة الظاهرة ، والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمّد وميراثه ، ونحن أوليائه وعشيرته الا متعد لباطل أو ـ متجانف لاثم أو متورط فى هلكه .

فقام الحباب بن المنذر : وقال يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه . فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر . فإن أبوا عليكم ما سألتم . فاجلوهم عن بلادكم ، وولّوا عليكم وعليهم من أردتم ، فأنتم والله أولى بهذا الأمر منهم ، فإنّه دان لهذا الأمر من لم يكن يدين بأسلافنا أما والله إن شئتم لنعيدنّها جذعة والله لا يردّ علىّ أحد ما أقول إلّا حطمت أنفه بالسيف .

قال عمر : فلمّا كان الحباب هو الّذى تكلّم لم يكن لى معه كلام لأنّه كان بينى و بينه كلام فى حيوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنهانى عنه . فحلفت إلّا اكلمه كلمة تسوءه أبدا ـ ثم قام أبو عبيدة . فقال : يا معشر الأنصار أنتم أوّل من نصر وآوى ، فلا تكونوا أوّل من يغيّر ويبدّل ـ وانّ بشير بن سعد لمّا رأى ما اتّفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد ـ وكان بشير من سادات الخزرج ـ فقال : يا معشر ـ الخزرج أما والله لئن كنّا أولى الفضيلة فى جهاد المشركين ، والسابقة فى الدين ما أردنا غير رضى ربنا ، و طاعة نبيّنا ، وما ينبغى أن نستطيل بذلك على الناس وما نبتغى به عرضاً من الدنيا . فانّ الله تعالى ولىّ النعمة والمنة علينا بذلك ، و محمّد رجل من قريش ، وقومه أحق بميراثه ، وتولّى سلطانه ، وايم الله لا يرانى

انازعهم هذا الأمر ابداً فاتقوا الله ، ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم ـ ثم قام أبوبكر على الأنصار ودعاهم الى الجماعة ونهاهم عن الفرقة ، وقال انى ناصح لكم فى احد هذين الرجلين أبى عبيده أو عمر فبايعوا من شئتم منهما .

فقال عمر : معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقنا بهذا الأمر ، وأقدمنا صحبه ، وأفضل المهاجرين ، وثانى اثنين ، وخليفته على الصلوة ، والصلوة أفضل دين الإسلام ، فمن ذا ينبغى أن يتقدمك ، ويتولى هذا الأمر عليك ابسط يدك أبايعك . فلما ذهبا يبايعانه سبقهما إليه بشير الأنصارى فبايعه . فناداه الحباب بن المنذر يا بشير بن سعد عققت عقاق ما اضطرك إلى ما صنعت حسدت ابن عمك على الامارة قال : لا ولكنى كرهت أن أنازع قوماً حقا لهم . فلما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد ـ وهو من سادات الخزرج ـ وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض ـ وفيهم أسيد بن حضير ـ لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ، ولا جعلوا لكم نصيباً فيها أبداً . فقوموا فبايعوا أبا بكر ، فقاموا إليه فبايعوه ـ

فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فأخذه فبادروا إليه . فاخذوا سيفه منه ، فجعل يضرب بثوبه ، وجوههم حتى فرغوا من البيعة . فقال : فعلتموها يا معشر الأنصار اما والله لكأنى بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم باكفهم ولا يسقون الماء .

قال أبوبكر : امنا تخاف يا حباب قال : ليس منك أخاف ، ولكن ممن يجيئ بعدك . قال أبوبكر : فإذا كان كذلك فالأمر إليك ، وإلى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة .

قال الحباب : هيهات اذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم .

فقال سعد بن عبادة : أما والله لو أن بى ما أقدر به على النهوض لسمعتم

منّى فى أقطارها زئيرا يخرجك يا أبا بكر وأصحابك ، ولا لحقنّك بقوم كنت فيهم ـ تابعاً غير متبوع خاملاً غير عزيز ـ فبايعه الناس جميعاً حتّى كاد وايطاون سعداً فقال سعد : قتلتمونى فقيل اقتلوه قتله الله .

فقال سعد : احملونى من هذا المكان . فحملوه حتّى أدخلوه داره ، وترك أيّاماً . ثم بعث إليه أبوبكر أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك . فقال : اما والله حتّى ارميكم بكلّ سهم فى كنانتى ، وأخضب منكم سنانى ورمحى ، وأضربكم ـ بسيفى ما ملكته يدى ، وأقاتلكم بمن معى من أهلى وعشيرتى ، ولا والله لو أنّ الجنّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتّى اعرض على ربى واعلم حسابى فلمّا أتى بذلك أبوبكر من قوله قال عمر : لا تدعه حتّى يبايعك . فقال لهم بشير بن سعد : انّه قد لجّ وابى وليس يبايعك حتّى يقتل وليس بمقتول حتّى يقتل معه ولده وأهل بيته و عشيرته ، ولن تقتلوهم حتّى تقتلوا الخزرج ولن تقتلوا الخزرج حتّى تقتلوا الاوس فلا تفسد واعلى أنفسكم أمراً قد استقام لكم فاتركوه وليس تركه بضاركم و انّما هو رجل واحد ـ فتركوه وقبلوا مشورة بشير واستنصحوه لما بدا لهم منه فكان سعد لا يصلّى بصلوتهم ، ولا يجمّع بجمعتهم ، ولا يفيض بافاضتهم ، ولو يجد عليهم أعواناً لصال بهم ، ولو يبايعه أحد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتّى توفى أبوبكر وولى عمر ، فخرج سعد إلى الشام فمات بها ولم يبايع لأحد .

و رواه الطبرى عن أبى مخنف ، وفيه ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتّقوا سعداً لا تطأوه فقال عمر : اقتلوه قتله الله . ثم قام على رأسه . فقال : لقد هممت أن أطأك حتّى تندر عضوك . فأخذ سعد بلحية عمر . فقال عمر : والله لو حصصت منها شعرة ما رجعت وفى فيك واضحة . فقال أبوبكر لعمر : الرفق هنا أبلغ ـ ، فاعرض عنه عمر .

وفى عقد ابن عبد ربه قال الكلبى : بعث عمر رجلاً إلى الشام ، وقال له : ادع سعداً إلى البيعة ، واحمل له بكلّ ما قدرت عليه . فإن أبى فاستعن الله

عليه · فقدم الرجل الشام · فلقى سعداً بحوران فى حايط · فدعاه إلى البيعة فقال : لا أبايع قرشياً أبداً · قال : فانّى اُقاتلك · قال : وإن قاتلتنى · قال : أفخارج أنت عمّا دخلت فيه الاُمّة · قال : أمّا من البيعة فخارج فرماه بسهم فقتله ·

و فى أنساب البلاذرى مات سعد بحوران فجاة لسنة من خلافة عمر ، و يقال : إنّه امتنع من البيعة لأبى بكر · فوجّه إليه رجلاً ليأخذ عليه البيعة ، وهو بحوران · فأباها · فرماه فقتله ، و فيه يروى هذا الشعر الّذى ينتحله الجن ·

قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عبادة رميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده

وقال (حد) سئل شيعى بأنّه لم سكت على عليه السلام عن المطالبة بحقه · فقال : خاف أن تقتله الجن ـ معرّضاً بقصّة سعد انّ الجنّ قتلته لأنّه لم يبايع ·

قوله « قال عليه السلام ما قالت الأنصار قالوا قالت منّا أمير ومنكم أمير » قد عرفت من رواية خلفاء ابن قتيبة انّ هذا كان قول الحباب بن منذر الانصارى ، و غيره من الانصار بعد تكلّم أبى بكر بأنّهم من قريش وقريش قوم النبى فهم احق فقالت الانصار لو جعلتم اليوم رجلاً منّا ، ورجلاً منكم كان ذلك اجدر ان يعدل فى امه محمّد صلّى الله عليه وآله ·

و فى الطبرى ـ بعد ذكر تكلّم سعد بن عبادة للأنصار وقولهم له (نوليك هذا الأمر فانّك فينا مقنع ولصالح المؤمنين ـ ثم انّ الأنصار ترادّوا الكلام بينهم فقالوا : فإن أبت مهاجرة قريش · فقالوا : نحن المهاجرون وصحابة النبى الأوّلون و عشيرته وأوليائه فعلى م تنازعوننا هذا الأمر بعده قالت طائفة منهم ، فانّا نقول « اذن منّا أمير ومنكم أمير ، ولن نرضى بدون هذا الأمر أبدا » فقال سعد بن عبادة حين سمعها هذا أوّل الوهن ·

قوله « قال عليه السلام فهلّا احتججتم عليهم بأنّ رسول الله وصّى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم » فى طبقات ابن سعد كاتب الواقدى عن ابى

سعيد الخدرى قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ان عيبتى التى آوى إليها أهل بيتى وان كرشى الأنصار. فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم.

وفى العقد خطب الحجاج أهل الكوفة فقال: يا أهل العراق، وأهل ـ شقاق والنفاق انى أردت الحج، وقد استخلفت عليكم محمداً ولدى، وقد أوصيته بخلاف ما أوصى به النبى فى الأنصار. فانه أوصى فيهم أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ـ ألا وإنكم قائلون بعدى مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفى لا أحسن الله له الصحابة وأنا اعجل الجواب. فلا أحسن الله عليكم الخلافة ـ ثم نزل.

وفى السير أن المنصور لما وجه موسى بن عيسى لمحاربة محمد بن عبد الله الحسنى بالمدينة قال له: فاذا ظفرت به، فلا تخيفن أهل المدينة، وعمهم ـ بالعفو. فانهم الأصل والعشيرة، وجيران قبر النبى، فهذه وصيتى إياك لا كما اوصى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لما وجهه إلى المدينة. فأمره أن يقتل من ظهر إلى ثنية الوداع، وأن يبيحها ثلاثة أيام. ففعل. فلما بلغ يزيد ما فعل تمثل بقول ابن الزبعرى فى يوم أحد حين قال:

ليت أشياخى ببدر شهدوا × جزع الخزرج من وقع الأسل

ثم الغريب أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة ومن ساعدهم من الأنصار لأغراض ـ شخصيه كبشير بن سعد الخزرجى، وأسيد بن حضير الأوسى ـ وقد كان النبى صلى الله عليه وآله أمر بإخراجهم مع الثلاثة فى جيش أسامة، ولعن المتخلف عنه كما رواه الجوهرى، والشهرستانى فى السقيفة والملل، وكان قومهما استنكفوا من فعلهما. فتزعم الأوس أن أول من بايع أبا بكر بشير الخزرجى، وتزعم الخزرج أن أول من بايعه أسيد الأوسى كما صرح بذلك محمد بن اسحق صاحب المغازى فنسب كل منهما السبقة إلى بيعة أبى بكر إلى خصمه ـ اطنبوا فى الأتيان بحجة فى قبال الأنصار. فلم توابطائل، ولم يستطيعوا الاتيان بهذه الحجة

المختصرة التى بيّنها أمير المؤمنين عليه السلام من وصيّة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بهم فانّها جملة قصيرة تحسم مادّة شغبهم .

ولقد أراد عمروبن العاص مع دهائه ردّ الأنصار . فقال «إن كانوا سمعوا قول النبىّ: الأئمة من قريش ثم ادّعوها لقد هلكوا وأهلكوا ، وان لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين» فأجابه النعمان بن عجلان الأنصارى بأنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ان كان قال «إنّ الأئمة من قريش» فقد قال أيضاً «لوسلك الناس شعباً ، وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار» ووالله ما أخرجناكم من الأمر اذ قلنا : منّا أمير ومنكم أمير .

وكيف كانوا يقدرون على الاتيان بمثلها حجّة قاطعة ، ولم يفهموا وجه دلالتها حتّى بيّنها عليه السلام لهم ، وأين أولئك الأغبياء عن مقام الخلافة الالهية . ولا تستوحش من تسميتهم الأغبياء ، ولم يكن أبوبكر متفطناً لمفاسد تصدّيه لهذا الأمر حتّى بيّن الحباب بن المنذر بعضها الراجع إلى عشيرته . فقال لهم بعد بيعتهم لأبى بكر : فعلتموها يامعشر الأنصار اما والله لكأنّى بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفّهم ، ولا يسقون الماء ، ولم يذكر الحباب مفاسده فى الدين بصيرورة بنى أمية الشجرة الملعونة لاعبين بالدين . فقال لحباب امنّا تخاف .

كما لم يتفطن بأنّ عمله يصير سبباً قهرياً لتسلط أعداء النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أمّته واضمحلالهم لشريعته ، واستيصالهم لعترته ، وانتقامهم من أنصاره كما مرّ من قول يزيد . فيقول لحباب «إذا كان كذلك . فالأمر إليك ، وإلى أصحابك» حتّى نبّهه الحباب بأنّه أمر محال .

«قالوا : ومافى هذا من الحجّة علينا» ومثله فى عدم فهم المراد مافى العقد أنّ رسولاً من اليمامة ورد على الحجّاج . فقال له : هل وراءك من غيث قال : نعم سمعت الرّواد يدعون إلى الماء ، وسمعت قائلاً يقول : هلمّ ظعنكم

إلى محلّة تطفا فيها النيران، وتشتكى فيها النساء، وتنافس فيها المعزى- قال الشعبى: فلم يدر الحجاج ماقال. فقال له: تبّاً لك إنّما تحدّث أهل الشام فافهمهم قال: نعم أصلح الله الأمير اخصب الناس. فكثر التمر والسمن والزبد واللبن. فلا توقد نار يختبز بها. وأمّا تشكّى النساء فإنّ المرئة تظل تربق بهمها وتمخض لبنها. فتبيت ولها أنين من عضدها، وأما تنافس المعزى. فانّها ترى من أنواع الثمر والشجر ونور النبات ما تشبع بطونها ولا تشبع عيونها فتبيت وقد امتلات أكراشها، ولها من الكظّة جرّة. فتبقى الحرّة حتّى تستنزل الدره

قوله: «فقال عليه السلام لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم» بل كان يوصيهم فى سايرالناس قالوا - كما فى العقد - كان عمرو بن سعيد الاشدق خلّفه أبوه غلاماً فدخل على معاوية. فقال له: إلى من أوصى بك أبوك قال: انّ أبى أوصى الىّ ولم يوص بى. فقال له: وبما أوصى إليك قال: أن لا يفقد إخوانه الا وجهه.

وقال زياد بن ظبيان لابنه عبيد الله. الا أوصى بك الأمير زياد اقال: يا أبه إذا لم يكن للحىّ إلّا وصيّة الميّت. فالحى هو الميت - وقال الشاعر:

انّى إذا ما القوم كانوا انجيه × واضطرب القوم اضطراب الأرشية

هناك اوصينى ولا توصى بيه

قوله: «ثم قال عليه السلام فماذا قالت قريش قالوا احتجّت بأنّها شجرة الرسول صلّى الله عليه وآله فقال عليه السلام احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة» مع انّ المقصود الأصلى من الشجرة هو الثمرة.

وقال العباس - لما أتاه أبوبكر وعمر وأبوعبيدة باشارة المغيرة عليهم أن يذهبوا إليه، ويجعلوا له نصيباً فى الأمر حتّى يحطّ من قدر أمير المؤمنين - عليه السلام كما فى خلفاء ابن قتيبة - لأبى بكر فى جوابه «وأما قولك انّ النبىّ منّا ومنكم. فإنّه كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها.

قوله عليه السلام فى الثانى «ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة

برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا » : أى ظفروا .

« عليهم فإن يكن الفلج » والظفر به .

« فالحق لنا دونكم » لأنّه واضح انّهم أقرباء النبى صلى الله عليه وآله وأبوبكر وعمر ـ بالنسبة إليهم عليهم السلام غرباء من النبى صلى الله عليه وآله .

وهو دليل قطعى على بطلان خلافة صدّيقهم وفاروقهم ، وصرّح به معاوية ففى مقاتل أبى الفرج وغيره أنّ الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية بعد أبيه عليه السلام انّ النبىّ صلى الله عليه وآله لما توفى تنازعت سلطانه العرب . فقالت قريش : نحن قبيلته واسرته وأولياؤه لا يحلّ ان تنازعونا سلطان محمّد صلى الله عليه وآله فى الناس وحقّه فرأت العرب أنّ القول كما قالت قريش ، وانّ الحجّة لهم فى ذلك على من نازعهم أمر محمّد صلى الله عليه وآله . فانعمت لهم العرب ، وسلّمت ذلك ـ ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حاجّت به العرب . فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها انّهم اخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج . فلمّا صرنا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وأولياؤه إلى محاجّتهم وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا . فالموعد الله وهو الولىّ النصير وقد تعجّبنا لتوثّب المتوثّبين علينا فى حقّنا وسلطان نبيّنا صلى الله عليه وآله ـ إلى أن قال ـ

فامسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب ، مغمزا يثلمونه به أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده ـ إلى أن قال ـ

فكتب إليه معاوية ، وذكرت وفاة النبى ، وتنازع المسلمين الأمر من بعده . فرأيتك صرّحت بتهمة أبى بكر الصدّيق وعمر الفاروق ، وأبى عبيدة الأمين ، وحوارى النبىّ ، وصلحاء المهاجرين والأنصار فكرهت ذلك لك . فانّك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين) ـ فلم يجبه معاوية عن قوله بغاصبية الرجلين على البرهان ولكن خوّفه باثارة العامّة العمياء عليه بانّه عليه السلام ممّن يتّهم صدّيقهم وفاروقهم

وأمينهم .

بل اعترف به عمرنفسه عند وضعه الدواوين للأرزاق . ففى أنساب البلادرى قال ابن عجلان : لمّا دوّن عمر الدواوين قال للناس: بمن نبدء ، قالوا : بنفسك . قال : لا انّ رسول الله امامنا فبرهطه نبدء . ثم بالأقرب فالأقرب .

فكيف علم هنا أنّ رهط النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أولى منه ، ونسى ذلك فى ما هو الأصل من سلطانه . فهل كان قوله إلّا تلبيساً وتدليسا .

ثم هب ليس الأمر كما تقول الامامية ، وبعض المعتزلة من كون كلامه عليه السلام حجّة ككلام الرسول . فما يقولون فى ما استند عليه السلام إليه من أدلّة العقول من إنّه إن كان الفلج بالرسول صلى الله عليه وآله فالحقّ له عليه السلام دون اولئك البعداء .

وقال الصادق عليه السلام لفتى المنهال بن عمرو على بن الحسين عليه السلام فقال له كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال : ويحك أما آن لك ان تعلم كيف أصبحنا ، أصبحنا فى قومنا مثل بنى اسرائيل فى آل فرعون يذبّحون أبنائنا ، ويستحيون نساءنا ، وأصبح خير البرّية بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يلعن على المنابر ، وأصبح عدوّنا يعطى المال والشرف ، وأصبح من يحبّنا محقوراً منقوصاً حقّه ، وكذلك لم يزل المؤمنون ، وأصبحت العرب تعرف لقريش حقّها بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان منها ، وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم كان منها — وأصبحنا أهل البيت لا يعرف لنا حقّ . فكذا أصبحنا يا منهال .

وقالت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب — كما فى بلاغات نساء البغدادى — لمّا وفدت على معاوية فى جملة كلامها لمعاوية « ونبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم هو المنصور فوليتم علينا من بعده ، وتحتجّون بقرابتكم من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ونحن أقرب إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر . فكنّا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون ، وكان علىّ بن أبى طالب عليه السلام بعد نبيّنا بمنزلة هرون بن موسى . فغايتنا الجنّة ، وغايتكم النار .

«وان يكن بغيره فالأنصار على دعواهم» وقد مات أبوبكر شاكّاً في أمره، وأمر الأنصار.

روى المبرد في كامله، وابن قتيبة في خلفائه، وابن عبد ربه في عقده أنّ أبابكر تمنّى حين وفاته ثلاثاً فعلهنّ ليته تركهنّ، وثلاثاً تركهنّ ليته فعلهنّ، و ثلاثاً لم يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنهنّ ليته سأله عنهنّ — إلى أن قال — وليتني كنت سألته هل للأنصار فيها من حقّ — الخبر.

ويقال له: ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يكتب وصيّة لئلّا يضلّ الناس بعده فيعرفوا وظيفتهم فمنعه صاحبك، وقال: إنّ الرجل ليهجر ليصل الأمر اليك واليه، والآن تتمنى سؤاله.

قوله عليه السلام في الثالث «واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة» هكذا في المصريه وهو غلط واضح، والصحيح ما في [حد، وثم، وخو، والخطيه] وغيرها «واعجباه أتكون الخلافه بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقرابة».

قال الكراجكي في كنزه: ومن العجب أن يحتجّوا في السقيفة لطلب الخلافة فتحتجّ الأنصار بأنّها تستحقّها بنصرتها للنبيّ صلى الله عليه وآله، وتحتجّ المهاجرون بقربهم منه وليس فيهم من يذكر امير المؤمنين عليه السلام الّذي لا يلحقه الأنصاري في نصرة، ولا يدانيه القرشي في قرابة، ومن العجب قول قريش: إنّ الخلافة لا تكون إلّا من حيث النبوّة، وأنّها تستحقّها بذلك لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قريش، ولم يقل لها أحد في الحال انّ بني هاشم أولى منكم بها على هذه الحجة لأنّ النبيّ من بني هاشم لكن صرفهم أن يحاجّوهم بهذا اتفاق جميع من حضر السقيفة على صرف الأمر عن أهله ومنعه عن مستحقه، ومن عجيب أمرهم دعواهم انّ أمامة أبي بكر تثبت عن اذن من أهل الحل والعقد، واختيار وتأمّل مع سماعهم قول عمر «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه» فشهد وا أنّها كانت وقعت بغتة بغير رويّة، وحصلت نجاة من غير مشوره، وانّه يجب أن يسفك دم

من عاد إلى مثلها .

وفى سقيفة الجوهرى عن أبى الأسود قال : غضب رجال من المهاجرين فى بيعة أبى بكر بغير مشورة ، و غضب علىّ والزبير . فدخلا بيت فاطمة ومعهما السلاح فجاء عمر فى عصابة منهم أسيد بن حضير ، وسلمة بن سلامة بن ، وقش ـ وهما من بنى عبد الأشهل ـ فصاحت فاطمة عليها السلام ونا شدتهم ، فأخذوا سيفى على والزبير فضربوا بهما الجدار حتّى كسروهما . ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتّى بايعا . ثم قام أبو بكر فخطب الناس ، واعتذر إليهم ، وقال : إنّ بيعتى كانت فلتة وقى الله شرّها ـ الخبر ـ

وفى ارشاد المفيد ، واغتنم القوم فى السقيفة الفرصة بشغل أمير المؤمنين عليه السلام بتجهيز النبىّ صلى الله عليه وآله ، وانقطاع بنى هاشم عنهم بمصابهم بالنبى صلّى الله عليه وآله . فتبادروا ، واتّفق لأبى بكر ما اتّفق من اختلاف الأنصار بينهم و كراهية الطلقاء والمؤلفة قلوبهم من تأخر الأمر حتّى يفرغ بنو هاشم . فيستقرّ الأمر مقرّه . فبايعوا أبا بكر ، وكانت أسباب معروفة تيسّر للقوم منها ما راموه ـ الخ

قول المصنّف : « و روى له شعر فى هذا المعنى .

« فان كنت بالشورى ملكت امورهم » فكيف بهذا والمشيرون غيّب »

« وان كنت بالقربى حججت خصيمهم × فغيرك أولى النبى واقرب »

وقال الكراجكى ـ بعد نقل قول من قال : ان الشعر له عليه السلام ، وقيل : إنّه قول قيس بن سعد بن عبادة ، وانما تمثّل به امير المؤمنين عليه السلام ، وقد أخذ ـ الكميت هذا المعنى . فقال :

يقولون لم يورث ولو لا تراثه × لما شاركت فيه بكيل وأرحب

ولا انشلت عضوين منها يحابر × وكان لعبد القيس عضو مورب

فان هى لم تصلح لخلق سواهم × فانّ ذوى القربى أحقّ واوجب

قلت : لا بد أنه أراد أخذ المعنى فى غير مورد خلافة النبى صلى الله عليه وآله .

هذا ولله در القائل فى غصب خلافته ومدفنه ·

بأىّ حكم بنوه يتبعونكم × وفخركم انكم صحب له تبع
وكيف ضاقت عن الأهلين تربته × وللأجانب فى جنبيه متّسع
وفيم صيّرتم الاجماع حجّتكم × والناس ما اتّفقوا أطواراً ولا اجتمعوا
أمرٌ على بعيد من مشورته × مستكره فيه والعباس يمتنع
وبدعة قريش بالقرابة والأنصار × لا رفعوا فيه ولا وضعوا
فأىّ خلف كخلف كان بينهم × لو لا تلفق اخبار ومصطنع

وقال كُثيّر الشاعر كما فى أنساب قريش مصعب الزبيرى :

يأمن الظبى والحمام ولا × يأمن آل الرسول عند المقام
حفظوا خاتماً وسحق رداء × وأضاعوا قرابة الأرحام

وفى خلفاء ابن قتيبة قال المغيرة بن شعبة لأبى بكر « أرى أن تلقوا العباس · فتجعلوا له فى هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه ، وتكون لكما الحجّة على على وبنى هاشم إذا كان العباس معكم » فانطلق أبوبكر وعمر ، وأبو عبيدة حتّى دخلوا على العباس إلى أن قال : قال : فخلّى النبى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم فى مصلحتهم متّفقين لا مختلفين · فاختارونى عليهم والياً ، ولأمورهم راعياً ، وما أخاف بحمد الله وهنا ، وما زال يبلغنى عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامّة المسلمين ويتخذونكم لحافا · فاحذروا أن تكونوا جهد المنيع · فأمّا دخلتم فى ما دخل فيه العامة فأود فعتموها عمّا صار إليه ، وقد جئناك ، ونحن نريد أن نجعل لك فى هذا الأمر نصيباً يكون لك ، ولعقبك من بعدك إذ كنت عم النبى ، وإن كان الناس قد راوا مكانك ومكان أصحابك · فعدلوا الأمر عنكم — إلى أن قال —

قال العباس له فان كنت برسول الله طلبت فحقّنا اخذت ، وان كنت بالمؤمنين طلبت · فنحن متقدمون فيهم ، وان كان هذا الأمر انّما يجب لك — بالمؤمنين · فما وجب إذ كنّا كارهين · فامّا ما بذلت لنا · فان يكن حقاً لك · فلا حاجة

لنا فيه ، وان يكن حقاً للمؤمنين . فليس لك أن تحكم عليهم ، وان كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض .

قول المصنف فى خصائصه « ويروى والقرابة والنص » أما قرابته عليه السلام فعنه عليه السلام لو استطاع مخالفوه إنكارها لأنكروها ، وأما النصوص عليه فمع كونهم بصدد اخفائها بانحاء مختلفة لم يقدروا ، ولم نتعرض لذكرها بعد تواترها ، ونقل المخالف لها ، ولأن استقصاءها يحتاج الى مجلدات ضخيم ، وقد كفانا ذلك ـ رجال منهم ومنا كالطبرى وابن عقدة وغيرهما .

وفى أدباء الحموى فى ترجمة الطبرى (وللطبرى كتاب فضائل على بن أبى طالب عليه السلام تكلم فى أوله بصحة الأخبار الواردة فى غدير خم . ثم تلاه بالفضائل ، وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم ، وقال : كان على باليمن فى الوقت الذي كان النبى بغدير خم . فقال فى قصيدة له :

ثم مررنا بغدير خم × كم قائل فيه بزور جم

على على والنبى الأمى

فبلغ ذلك الطبرى . فابتدأ بالكلام فى فضائل على عليه السلام وذكر طرق حديث خم .

ولانه نظمه شعراء منهم كحسان العثمانى وغيره وشعراء مناكقيس بن سعد بن عباده وغيره من المتقدمين والمتأخرين ، ولو أريد استقصاءها احتيج أيضاً إلى مجلدات ، ولكن نقتصر تيمنا بقول الكميت ، وقول الحميرى أما الكميت فقال :

ويوم الدوح دوح غدير خم × أبان له الولاية لو اطيعا

ولكن الرجال تدافعوها × فلم أر مثلها خطرا منيعا

نقل هذه الابيات سبط ابن الجوزى وقال : ولها قصة عجيبة حدثنا بها شيخنا عمر وبن صافى الموصلى ـ ره ـ قال : انشد بعضهم هذه الابيات و

بات مفكّراً فرأى علياً عليه السلام فى المنام. فقال له: اعِد علىّ أبياتك للكميت. فأنشده إيّاها إلى قوله (خطراً منيعا) فأنشده على عليه السلام بيتاً آخر من قوله زيادة فيها وهو:

فلم أرمثل ذلك اليوم يوماً × ولم أرمثله حقّا اضيعاً

فانتبه الرجل مذعوراً، وأمّا الحميرى فقال:

قالوا له لو شئت اعلمتنا × إلى مَن الغاية والمفزع

فقال فى خمّ النبى الّذى × كان بما قيل له يصدع

مقال مأمور وفى كفّه × كفّ على لهم تلمع

من كنت مولاه فهذا مولى × له فلم يرضوا ولم يقنعوا

نقلها المصنّف فى خصائصه، وقال «ولهذه الأبيات حديث شريف، حكى أنّ زيد بن موسى بن جعفر رأى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام كأنّه جالس مع أميرالمؤمنين عليه السلام فى موضع عال شبيه بالمسناة، وعليها مراق. فاذا انشد ينشد قصيدة الحميرى حتّى انتهى إلى قوله:

قالوا له لو شئت اعلمتنا × إلى من الغاية والمفزع

فنظر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وتبسّم وقال: أو لم أعلمهم أو لم أعلمهم ـ ثلاثاً.

فإن قلت: إنّ اخلاص الأنصار مع أميرالمؤمنين عليه السلام لم يكن مختلفاً فيه، و انّما الاختلاف في قريش. فلو كان نصّ عليه عليه السلام لم اقدم سعد بن عبادة على ما اقدم، ولم شهد السقيفة قبل أبى بكر و عمر، وحضّ الأنصار على اختيارهم له.

قلت: إنّ سعد بن عبادة علم أنّ قريشاً لا يخلّون الأمر لأهله لكون ذلك معلوماً من أفعالهم من أوّل أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصار الأمر كالعيان عنده بتخلّفهم عن جيش اُسامة مع حثّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على تجهيزه واشخاصه، ولعنه المتخلّف عنه و منعهم له صلى الله عليه وآله وسلم عن الوصية، ونسبه الهجر اليه وتقدمهم للصلوة بالناس فى مرضه

حتّى اضطرمع شدة مرضه أن يتّكئ على نفرين ويشهد المسجد ، و يؤخّره اتماماً للحجّة ، ودفعاً للشبهة ، و غيرذلك . فرأى نفسه أولى لحصول الاستقلال للاسلام بقومه ، وعدم حصول أثرفى الاسلام من وجود المدّعين لا فى جهاد ولا فى غيره ، ولأنّه رأى معاضدة الطلقاء لهم ، وعلم أن غلبوا يذلوهم ويطلبوا ثارهم عندهم كما صرّح بذلك الحباب بن المنذر من عشيرته كما مر .

وفى رسائل محمّد بن يعقوب الكلينى قال أميرالمؤمنين عليه السلام ـ فى جملة ما كتب للناس بعد منصرفه من النهروان لمّا كانوا سألوه عن رأيه فى أبى بكر وعمر « ولقد كان سعد لمّا رأى الناس يبايعون أبابكر نادى أيّها الناس انّى والله ما أردتها حتّى رأيتكم تصرفونها عن على عليه السلام ولا أبايعكم حتّى يبايع على عليه السلام ولعلى لا أفعل وان بايع) ـ ثم ركب دابته وذهب إلى حوران .

وفيه أيضاً أنّ الأنصار قالوا لقريش : أما إذ لم تسلموها لعلى عليه السلام فصاحبنا أحقّ به من غيره .

و مع ذلك كان اقدام الأنصار ذاك خطأ مع علمهم بأنّ الأمر حق أمير المؤمنين عليه السلام ، وكونهم مأمورين بالدفاع عنه ، ولم يفعلوا روى الجوهرى فى سقيفته عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال : كنت أبايع الأنصار للنبى صلى الله عليه وآله على السمع والطاعه له فى المحبوب والمكروه . فلما عزالاسلام وكثر اهله قال النبى صلى الله عليه وآله : يا على زدها « وعلى أن تمنعوا النبى صلى الله عليه وآله وأهل بيته مما تمنعون منه أنفسكم ذراريكم » فحملها على ظهور القوم فوفى بها من وفى ، وهلك من هلك .

وممّا يدلّ على تفريط الأنصار فى أمره عليه السلام ، وتقصيرهم مضافاً إلى تصريحات سيّدة النساء ـ صلوات الله عليها ـ فى خطبها ، وتلويحات أميرالمؤمنين ـ عليه السلام فى كلماته كقوله عليه السلام « وسخت عنها نفوس آخرين » وأمثاله أنّهم لم يتمكّنوا من أخذ البيعة عن سعد قهراً فقال لهم بشير ابن عم سعد الحاسد له حتّى بايع أبابكر قبل عمر « لا تأخذون البيعة منه قهراً حتّى تقتلوا جميع الأنصار

خزرجهم واوسهم» وأما هو عليه السلام فأخذوا منه البيعة مع كونه منصوباً من الله ورسوله قسراً فكتب إليه معاوية «كنت تقاد إلى بيعة أبي بكر كما يقاد الجمل المخشوش» وحتى لاذ عليه السلام بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني» وأرادوا إحراق بيته لولم يخرج، وضرب عنقه لولم يبايع.

۱۵/ ۶۲/ ۲/ (ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الاشتر لما ولاه امارتها) أما بعد. فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، ومهيمنا على المرسلين. فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده. فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده. فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه. فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولاية أمركم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق. واطمأن الدين وتنهنه.

قول المصنف: «ومن كتاب له عليه السلام إلى اهل مصر مع مالك الاشتر لما ولاه امارتها».

أقول: الذي وجدت الرواية عنه عليه السلام في هذه المضامين خطبته عليه السلام

بها بالكوفة بعد فتح مصر وقتل محمد بن أبى بكر ـ وكان قتله بعد قتل مالك الأشتر وسؤال الناس له عن عقيدته فى أبى بكر وعمر.

روى ذلك ابن قتيبة فى خلفائه، وابرهيم الثقفى فى غاراته، ومحمّد بن يعقوب الكلينى فى رسائله، ومحمّد بن جرير بن رستم الطبرى فى مسترشده.

قال الأوّل ـ بعد ذكره حث أمير المؤمنين عليه السلام الناس على الجهاد واخباره إيّاهم بما يفعل بنوامية بهم بعده عليه السلام ـ فقام حجر بن عدى وعمرو بن الحمق، وعبد الله بن وهب الراسبى. فدخلوا على على عليه السلام فسألوه عن أبى بكر وعمر. وقالوا: بيّن لنا قولك فيهما وفى عثمان. فقال: أوقد تفرّغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت، وشيعتى فيها قد قتلت انّى مخرج إليكم كتاباً أنبّئكم فيه ما سألتمونى. فاقرأوه على شيعتى. فاخرج إليهم كتاباً فيه ـ (أما بعد فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وشهيداً على هذه الأمّة ـ إلى أن قال بعد ذكر حال العرب وقت بعثه صلى الله عليه وآله وسلم ـ

فلمّا مضى صلى الله عليه وآله وسلم تنازع المسلمون الأمر من بعده. فوالله ما كان يلقى فى روعى، ولا يخطر على بالى أنّ العرب تعدل هذا الأمر عنّى. فما راعنى إلّا إقبال الناس على أبى بكر. واجفالهم عليه. فامسكت يدى، ورأيت أنّى أحقّ بمقام محمّد صلى الله عليه وآله فى الناس ممّن تولّى الأمور على. فلبثت بذلك ما شاء الله حتّى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون إلى محو دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وملّة ابراهيم عليه السلام. فخشيت ان لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فى الاسلام ثلماً وهدماً تكون المصيبة به علىّ أعظم من فوت ولاية أمركم الّتى انّما هى متاع أيّام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب. فمشيت عند ذلك إلى أبى بكر فبايعته، ونهضت معه فى تلك الأحداث حتّى زهق الباطل، وكانت كلمة الله هى العليا وان يرغم الكافر ـ الخبر بطوله ـ وفيه ذكر ايام عمر وشوراه، واعراض أهل الشورى عنه عليه السلام ليأسهم عن ان يشركهم فى أمره وفيه ذكر أيّام عثمان، وقتل الناس له، وبيعة

الناس له بعده ، وقيام الناكثين ، والقاسطين والمارقين ، وغارات معاوية ، و خذلان أصحابه له عليه السلام .

و روى الثانى — كما فى (حد) فى عنوان كلامه عليه السلام فى قتل محمّد بن أبى بكر — عن رجاله عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال : خطب عليه السلام بعد فتح مصر ، وقتل محمّد بن أبى بكر . فقال : أما بعد فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وشهيداً على هذه الأمّة — إلى أن قال — فلمّا مضى صلى الله عليه وآله لسبيله تنازع المسلمون الأمر من بعده . فوالله ما كان يلقى فى روعى ، ولا يخطر على بالى أنّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمّد صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ولا أنّهم منحوه عنّى . فما راعنى إلّا انثيال الناس على أبى بكر واجفالهم ليبايعوه فامسكت يدى ، ورأيت أنّى أحقّ بمقام محمّد صلى الله عليه وآله فى الناس ممّن تولّى الأمر من بعده — فلبثت بذاك ما شاء الله حتّى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام تدعو إلى محق دين الله وملّة محمّد صلى الله عليه وآله فخشيت ان لم أنصر الإسلام واهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً يكون المصاب بهما أعظم علىّ من فوت ولاية أموركم الّتي انّما هى متاع أيّام قلائل ثم تزول وما كان منها كما يزول السراب ، وكما ينقشع السحاب فمشيت عند ذلك إلى أبى بكر فبايعته ونهضت فى تلك الأحداث حتّى زاغ الباطل وزهق ، وكان كلمة الله هى العليا ولو كره الكافرون) — الخبر

و روى الثالث فى رسائله — كما فى محجّة على بن طاووس — عن القمى — باسناده قال : كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً بعد منصرفه من النهروان وأمرأن يقرأ على الناس ، وذلك أنّ الناس سألوه عن أبى بكر وعمر وعثمان . فغضب ، وقال : قد تفرّغتم للسؤال عمّا لا يعنيكم وهذه مصر قد انفتحت وقتل معاوية بن حديج محمّد بن أبى بكر فيا لها من مصيبة ما أعظم مصيبتى بمحمّد فوالله ما كان إلّا كبعض بنىّ سبحان الله بينا نرجو أن نغلب القوم على ما فى أيديهم إذ غلبونا على ما فى أيدينا ، وأنا كاتب لكم كتاباً فيه تصريح ما سألتم — فدعا كاتبه عبيد الله بن

أبى رافع وقال له : ادخل علىّ عشرة من ثقاتى اصبغ بن نباته ، وابا الطفيل ، وزربن حبيش الأسدى ، وجويرية بن مسهر العبدى ، وخندف بن زهير ، وحارثة بن مضرب الهمدانى ، والحارث بن عبد الله الأعور الهمدانى مصابيح النخع ، وعلقمة بن قيس وكميل بن زياد ، وعمير بن زرارة . فدخلوا عليه . فقال لهم خذوا هذا الكتاب وليقرأه عبيد الله بن أبى رافع ، وأنتم شهود كلّ جمعة . فإن شغب شاغب عليكم . فانصفوه بكتاب الله بينكم وبينه ـ إلى أن قال .

فمضى صلى الله عليه وآله وسلم لسبيله ، وترك كتاب الله ، وأهل بيته أمامين لا يختلفان ، و أخوين لا يتخاذلان ، ومجتمعين لا يتفرقان ، ولقد قبض الله محمّداً نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ولا نا أولى الناس به منّى بقميصى هذا وما ألقى فى روعى ، ولا عرض فى رايى انّ وجه الناس إلى غيرى ـ إلى أن قال ـ

فلمّا رأيت الناس قد انثالوا على أبى بكر للبيعة امسكت يدى ، وظننت أنّى أولى ، وأحقّ بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه ومن غيره ـ إلى أن قال ـ

فلمّا رأيت راجعة من الناس قد رجعت من الإسلام تدعو إلى محو دين محمّد وملّة إبرٰهيم عليهما السلام خشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أرى فيه ثلماً و هدماً تكون المصيبة علىّ فيه أعظم من فوت ولاية أمركم الّتى انّما هى متاع أيّام قلائل ثم تزول وتتقشع كما يزول و يتقشع السحاب . فنهضت مع القوم فى تلك الأحداث حتّى زهق الباطل ، وكانت كلمة الله هى العليا ، وان رغم الكافرون ـ الخبر .

وفى مسترشد ابن جرير بن رستم الطبرى روى الشعبى عن شريح بن هانى قال : خطب على عليه السلام بعد ما افتتحت مصر ثم قال : وانّى مخرج إليكم كتاباً ـ ـ إلى أن قال ـ فلمّا مضى صلى الله عليه وآله وسلم لسبيله ترك كتاب الله وأهل بيته امامين لا يختلفان ، وأخوين لا يتخاذلان ، ومجتمعين لا يفترقان ، وقد كنت أولى الناس به منّى بقميصى . فسارع المسلمون بعده فوالله ما كان يلقى فى روعى ولا يخطر على بالى انّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عنّى فلمّا ابطاوا بالولاية

علىّ ، وهمّوا بازالتها عنّى وثبت الأنصار — وهم كتيبة الإسلام — فقالت: إذ لم تسلموها لعلى فصاحبنا سعد أحقّ بها من غيره — إلى أن قال —

فبينا أنا على ذلك إذ قيل قد انثال الناس على أبى بكر وا جفلوا عليه ليبايعوه وما ظننت أنّه تخلّف عن جيش أسامة إذ كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أمّره عليه وعلى صاحبه وقد كان أمر أن يجهّز جيش أسامة . فلمّا رأيته قد تخلّف ، وطمع فى الامارة و رأيت انثيال الناس عليه امسكت يدى ، ورأيت انّى أحقّ بمقام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فى الناس ممّن قد رفض نفسه . فلبث ما شاء الله حتّى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام ، وأظهرت ذلك إلى محو دين الله وتغيير ملّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت إن لم أنصر الإسلام ، وقعدت أن أرى فيه ثلماً وهدماً تكون مصيبته علىّ أعظم من فوت ولاية أموركم الّتى إنّما هى متاع أيّام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، وينقشع كما ينقشع السحاب ، ورأيت الناس قد امتنعوا بقعودى عن الخروج إليهم فمشيت عند ذلك إلى أبى بكر فتا لفته ، ولولا أنّى فعلت ذلك لبادا الاسلام . ثم نهضت فى تلك الأحداث حتّى أتاح الباطل ، وكانت كلمة الله هى العليا و لو كره المشركون — الخبر .

وبالجملة الروايات الأربع متفقه على كون العنوان مما خطب عليه السلام كتابة — للناس بالكوفة بعد فتح مصر بقتل محمّد بن أبى بكر فى شرح حاله عليه السلام بعد النبىّ صلى الله عليه وآله لمّا سألوه عن المتقدّمين عليه ووجود رواية أخرى فى كونه كتاباً له عليه السلام إلى أهل مصر مع الأشتر واستند إليها المصنّف محتمل لكنّ المظنون أنّ المصنّف لم ينظر فى الأسانيد لكون همّه فى المتون فظنّ بحدسه كونه كتاباً له عليه السلام إلى أهل مصر .

«أمّا بعد فانّ الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين» قد عرفت انّ فى رواية المسترشد بدل (نذيراً للعالمين) (بشيراً و نذيراً للعالمين) «ومهيمناً على المرسلين» : أى شاهداً عليهم قال الجوهرى : وأصل —

(مهيمن) مؤامن من (آمن) قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة لاجتماعهما ثم صيّرت الأولى هاء) ـ

قلت: مراده من (آمن) على وزن فاعل لا على وزن أفعل ففى مثله يتّحدان لفظاً ويختلفان تقديراً ثم بعد هذا الكلام كلام كثير فى تلك الروايات اسقطه المصنّف ففى روايه الكلينى وانتم معاشر العرب على شر حال يغذو احدكم كلبه ، ويقتل ولده ويغير على غيره فيرجع وقد اغير عليه تاكلون العلهز والهبيد ، والميتة والدم ـ منيخون على أحجار خشنة ، وأوثان مضلّة » ـ إلخ

« فلما مضى عليه السلام » هكذا فى المصرية ، والصواب بدل (عليه السلام) (صلّى الله عليه وآله) كما فى (ثم) الّذى نسخته بخطّ المصنّف .

ثم فى روايه المسترشد والرسائل « وترك كتاب الله ، وأهل بيته امامين لا ـ يختلفان ، واخوين لا يتخاذلان ، ومجتمعين لا يفترقان ، وقد كنت أولى الناس به منّى بقصيى » « تنازع المسلمون » : أى قريش والأنصار .

« الأمر من بعده » بشرح مرّ فى العنوان السابق .

« فوالله ما كان يلقى فى روعى » (رُوع) هنا بالضم بمعنى القلب والبال وأما بالفتح فبمعنى الخوف ولا ربط له هنا .

« ولا يخطر ببالى » قال الجوهرى « البال القلب تقول « ما يخطر فلان ببالى » والبال رخاء النفس يقال (فلان رخىّ البال) .

قلت: الصواب ما قال المعنى الأوّل : وأمّا الثانى فغلط منه لكونه تفسير مطلق بمقيد كان تقول معنى الانسان الانسان العالم .

« ان العرب تزعج » : أى تقلع .

« هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته » فإنّ القاعدة عند ملل العالم أنّ كلّ من كانت له امارة تكون امارته بعده لأهل بيته . فلا يظنّ ظانّ أنّ العرب ـ تخالف عرف باقى العالم .

والى هذا ينظر قوله تعالى «إنّ اللّه اصطفى آدم ونوحاً وآل ابرهيم و آل عمران على العالمين ذرّيّة بعضها من بعض»[1].

ولهذه القاعده لمّا سأل السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى — وكان على طريقة أهل السنّة — السنائى الشاعر — وكان إمامياً — عن مذهبه أجابه بأبيات بالفارسيّة منها:

از پى سلطان ملكشاه چون نميدارى روا
تاج وتخت پادشاهى جزكه سنجر داشتن
ازپى سلطان دين چون همى دارى روا
جزعلى وعترتش محراب و منبر داشتن

«ولا انّهم منحّوه» بتشديد الحاء: أى مبعّدوه.

«عنّى من بعده» وفى هذا الكتاب فى رواية رسائل الكلينى — بعد ذكر اتّفاق أهل الشورى وباقى قريش على خلافه — (وكان للنبى صلى الله عليه وآله ولاء هذه الامّة وكان لى بعده ما كان له فما جازلقريش من فضلها على العرب بالنبىّ صلى الله عليه وآله جازلبنى هاشم على قريش وجازلى على بنى هاشم بقول النبىّ صلى الله عليه وآله يوم غدير خم «من كنت مولاه فهذا على مولاه» إلّا أن تدّعى قريش فضلها على العرب بغير النبىّ — صلى الله عليه وآله.)

وقال ابن عايشة: قال خزيمة بن ثابت الأنصارى فى صرف الأمر عنه عليه السلام

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً × عن هاشم ثم منها عن أبى حسن
أليس أوّل من صلّى بقبلتهم × و أعرف الناس بالآثار والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبى ومن × جبريل عون له فى الغسل والكفن
ماذا الّذى ردّكم عنه فنعلمه × هاانّ بيعتكم من أغبن الغبن

وحيث إنّ قوله عليه السلام (فواللّه ما كان يلقى فى روعى — إلى — ولا انّهم منحّوه

(۱) آل عمران ۳۳.

عنّى من بعده) ورد فى ذاك المقام الّذي قلنا من كون الأمر لمبعد النبيّ ﷺ على مقتضى ناموس الفطرة والقاعدة المتداولة بين الناس عربهم وعجمهم، وكون خلافة امراً لا يحتمله أحد، ولا ينتظره لا ينافى وجود نصوص متواترة باستخلافه، وعدم استناده عليه السلام إليها لأنّ مقامات الكلام متفاوتة، وحيثيات الأغراض مختلفة فقول (حد) (انّ ذاك الكلام يدلّ على بطلان دعوى الإمامية النصّ خصوصاً ـ الجلى) نفخ فى غير ضرام.

ثم قوله دعوى الامامية النص الخ غلط، فنقل النص نصاً بالعامة، وقوله (خصوصاً الجلى) أيضاً غلط فهل نص أجلى من أين يقول النبى ﷺ لهم (ألست أولى بكم من أنفسكم) فيقولون بلى فيقول لهم (من كنت مولاه: أى أولى به من نفسه فهذا على مولاه وأولى به من نفسه) الا انّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتى فى الصدور

مع أنّه عليه السلام تمسّك بالنصّ فى هذا الكتاب كما عرفته من رواية الكلينى، ولم ينقله الرضى حيث إنّه يختار من الكلام ما يتضمّن النكات البيانية.

مع أنّه لا يتمسّك بالنصّ فكان عليه السلام يتّقى حتّى أيّام خلافته كما يفهم من أسانيد هذا العنوان، فكان لا يمكنه التصريح بهلاكة المتقدّمين عليه، ولم يجترء أن يخطب بالعنوان مشافهة حتّى كتبه لهم كما عرفته من رواية ابن قتيبة، وحتّى أنّه وكّل جمعاً من ثقات شيعته بمراقبة القارى أن شغب عليه الناس كما عرفته من رواية الرسائل

ويدلّ أسانيد العنوان على أنّ أصحابه فهموا من حاله عليه السلام كونه كشيعته ـ اليوم معتقداً فيهم الهلاكه أرادوا منه التصريح، ولم يكن صلاحاً له عليه السلام لا سيّما فى ذاك الوقت كان وقت تزلزل أمره، وفتح معاوية لمصر، وغاراته على بلاده عليه السلام سوى الكوفة مقره. فقال عليه السلام لهم: أوقد تفرّغتم لهذا وهذ مصر قد افتتحت وشيعتى بها قد قتلوا.

وكان أكثر أصحابه غير عارف به، وكان معاوية دائماً يكتب إليه عليه السلام بما ـ

يستثيره في المتقدّمين عليه . فيفصح ببطلان أمرهم فيتفرق أصحابه عنه . فكان يكتب إليه كراراً (كنت كارهاً للخلفاء باغياً عليهم قد عرفنا ذلك في نظرك الشزر و تنفّسك الصعداء) .

وقد أفصح معاوية عن غرضه ذلك في كتابه إلى الحسن عليه السلام بعد أمير المؤمنين عليه السلام لمّا كان عليه السلام كتب إليه (انّ قريشاً بغوا على أهل بيت نبيّهم بعده) في قوله (صرّحت في كتابك بتهمة أبي بكر الصديق ، و عمر الفاروق ، وأبي عبيدة الأمين ، وصلحاء المهاجرين وذلك غير حسن منك . فانّك عند الناس غير ظنين بالزيغ في الدين) كما عرفت في سابقه .

و مع ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام لم يبال بذلك فيظهر الحقّ لمن كان له قلب أو ألقى السمع ، وهو شهيد إتماماً للحجّة كما لم يبال بفوت حكومته الّتي جعلها الله تعالى له يوم الشورى لما شرطوا عليه سنّة الشيخين ـ كما لم يبال بتفرّق الناس عنه بترك تفضيله الأشراف كعمر لكونه خلاف حكم الله .

وممّا يوضح كونه عليه السلام كباقي أهل بيته وشيعته اليوم ما رواه الخطيب في تاريخ بغداد في عنوان عبد الله بن نوح باسناده (عن سويد بن غفلة قال : مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر و عمر ، وينتقصونهما بغير الّذي هما له أهل فدخلت على علي عليه السلام . فقلت : يا أمير المؤمنين مررت بنفر من الشيعة ، و هم ينتقصون أبا بكر و عمر بغير الّذي هما له من الأمة أهل ، ولولا انّهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك فقال علي أعوذ بالله أن أضمر لهما إلّا الحسن الجميل) .

فانّه عليه السلام ورّى في جوابه ، وصدق في توريته فانّه عليه السلام كان لا يضمر لأحد سوء بل كان يريد لجميع الناس الجميل كالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإن كان الناس استحبّوا العمى على الهدى فأيّ شيء عليه ، ولو لم يكن عليه السلام على ما نقل له من شيعته لم لم يبعث وراءهم ويزجرهم إذ لم يكونوا أهلاً لانتقاصهم كما قاله سويد ، وقد كان

عليه السلام لا يسامح مع أحد فى أدنى شئ على خلاف الشريعة.

«فما راعنى» فى أساس الزمخشرى «ما راعنى إلّا مجيئك» بمعنى ما شعرت إلّا به) قلت: والصواب أن يقال: إنّه بمعنى شعور بشئ مفزع لاشتقاقه من الرَوع بالفتح بمعنى الفزع.

وفى صحاح الجوهرى (راعنى الشئ): أى أعجبنى) قلت: والصواب ـ التفصيل فى استعماله بين السلب والايجاب بأن يقال: لا يستعمل فى النفى إلّا مع (إلّا) كما فى كلامه عليه السلام، وما يأتى من الشعر بمعنى عدم الشعور إلّا بمفزع.

«إلّا انثيال الناس»: أى انصبابهم

«على فلان»: اى أبى بكر، وقد صرّح به فى الروايات الأربع المتقدمة.

«يبايعونه»: جملة (إلّا) إلى (يبايعونه) فاعل لقوله (فما راعنى)، و كلمة (ما راعنى) مختصّة فى كلام العرب بمجيئ فاعله جملة قال عمر بن أبى ربيعة:

فلم يرعهن إلّا العيس طالعة × بالقوم ركباناً و أكوارا

ويأتى بسط القول فى ذلك فى الشقشقية.

ثم انثيال الناس على أبى بكر للبيعة إنّما كان مصداق قوله تعالى «واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة»[1] فشملت الأنصار الّذين لم يكن لهم نيّة سوء وانّما شهد سعد بن عبادة السقيفة، وحثّ الأنصار على بيعته لما استشعره من الرجلين ومن أعوانهما الطلقاء والمؤلفة والمنافقين عدم إبقاهما الأمر لأمير المؤمنين عليه السّلام وتصدّيهم له، وكان سعد وقومه وتر واقريشاً فخافوا انتقامهم منهم، وصار الأمر كذلك فاذلّوهم، وقتلوهم يوم الحرّة وفيه قال يزيد متمثلاً:

ليت أشياخى ببدر شهدوا × جزع الخزرج من وقع الأسل

ثم انثيال لهم عليه كان لأمور أحدها حسد بشير بن سعد لابن عمّه سعد بن عبادة، وحسد الأوس للخزرج. فلمّا أراد عمر وأبو عبيدة ـ وهما ركنا بيعة أبى بكر

(١) انفال ١١.

ان يبايعا سبقهما إليه بشير فبايعه . فناداه الحباب بن المنذر ـ كما قال الطبرى ـ (عققت عقاق انفست على ابن عمك الامارة) ولمّا رأت أسيد بن حضير الأوسى ما تطلب الخزرج من تأمير سعد قال للأوس ـ كما فى الطبرى ـ «والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر» قال الطبرى : فقاموا إليه فبايعوه فانكسر على سعد وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم فأقبلوا من كلّ جانب يبايعون أبا بكر وكاد وايطأون سعداً ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتّقوا سعداً لا تطأوه ، فقال عمر : اقتلوه قتله الله ثم قام على سعد فقال : لقد هممت أن أطأك حتّى تندّر عضوك ـ إلى آخر ما قال :

وثانيها أنّ جماعة من الأعراب ـ كما رواه أبو مخنف ـ دخلوا المدينة ليتمادوا منها فى وقت موت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم . فشغل الناس عنهم . فشهدوا السقيفة فقال لهم عمر : خذوا بالحظّ من المعونة على بيعة خليفة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، واخرجوا إلى الناس ، واحشروهم ليبايعوا . فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه ـ قال زائدة بن قدامة : والله لقد رأيت الاعراب تحزّموا واتّشحوا بالأزر الصنعانية ، واخذوا بأيديهم الخشب ، وخرجوا حتّى خبطوا الناس خبطاً وجاؤا بهم مكرهين إلى البيعة .

وقال البراء بن عازب ـ كما فى (حد) فى موضع آخر ـ لمّا قبض النبىّ صلى الله عليه وآله خفت أن تتمالى قريش على إخراج هذا الأمر عن بنى هاشم ـ فكنت أتردّد إليهم ، وهم عند جنازة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى الحجرة ـ إلى أن قال ـ فلم ألبث وإذا أنا بأبى بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة ، وهم محتجزون بالازر الصنعانية لا يمرّون بأحد إلّا خبطوه وقدّموه فمدّوا يده فمسحوها على يد أبى بكر يبايعه شاء ذلك او ابى ـ الخ .

وثالثها اشتغال أمير المؤمنين عليه السلام بتجهيز النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فلمّا قال عليه السلام لهم ـ كما فى خلفاء ابن قتيبة ـ (أيّها الناس لا تخرجوا سلطان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فى العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه

فى الناس وحقه . فوالله لنحن أحقّ الناس به لأنّا أهل البيت ، وأحقّ بالأمر ما كان منا القارى لكتاب الله الفقيه فى دين الله . العالم بسنن رسوله ، والمتطلع لامر الرعية ، والدافع عنهم الامور السيّئة ، والقاسم بينهم بالسويّة . فلا تتّبعوا الهوى : فتضلّوا عن السبيل ، وتزدادوا من الحقّ بُعْداً) قال له بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير ـ وهو الّذى كان بايع أبا بكر قبل عمر كما مرّ ـ (لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلفت عليك) فقال عليه السلام : أفكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بيته لم أدفنه ، واخرج انازع بسلطانه .

ولمّا كان عليه السلام يحمل لاتمام الحجّة سيّدة النساء صلوات الله عليها ليلاً على دابة تسال الانصار النصرة ـ وكان معاوية يعيره عليه السلام بذلك ـ كانوا ، يقولون لها ـ كما فى الخلفاء أيضاً لو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبى بكر ما عدلنا به . فتقول فاطمة عليها السلام ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغى له ، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم .

« فامسكت يدى » عن الدخول فى أمر من امورهم .

وزاد فى رواية الثقفى والقتيبى بعد قوله عليه السلام (فامسكت يدى) (ورأيت أنّى أحقّ بمقام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فى الناس ممّن تولّى الأمر من بعده فلبثت بذلك ما شاء الله) .

« حتّى رأيت راجعة الناس » وفى روايتهما (راجعة من الناس .)

« قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق » : أى محو .

« دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم » مسيلمة باليمامة ، والأسود العنسى باليمن ، وطليحة بن خويلد فى بنى أسد ، وقد كانوا تنبّأوا قبل وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلّا أنّ الأسود قتل فى يوته صلى الله عليه وآله وسلم وجاء نعيه بعده صلى الله عليه وآله وسلم .

« فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلما » : أى خللا .

« اوهدما » وخرابا لبنيانه .

«تكون المصيبة به» : أى بالثلم أو الهدم .

«أعظم علىّ من فوت ولا يتكم» : وحكومتكم .

روى الثقفى عن الحسن بن سلمة قال : لمّا بلغ علياً عليه السلام مسير طلحة والزبير وعايشة من مكّة إلى البصرة نادى الصلوة جامعه . فلما اجتمعوا حمد اللّه تعالى وأثنى عليه ثم قال : إنّ اللّه تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله قلنا : نحن أهل بيته ، وورثته وأولياءه ، وأحقّ الخلائق به لا ننازع حقّه وسلطانه . فبينما نحن على ذلك إذ نفر المنافقون . فانتزعوا سلطان نبيّنا منّا ، وولّوه غيرنا . فبكت واللّه لذلك العيون والقلوب منّا جميعاً ، وخشنت واللّه الصدور ، وأيم اللّه لولا مخافة الفرقة من المسلمين أن يعودوا إلى الكفر لكنّا قد غيّرنا ذلك ما استطعنا .

وقال الباقر : لم يمنع امير المؤمنين عليه السلام من أن يدعوا إلى نفسه إلّا نظراً للناس ، وتخوّفاً عليهم أن يرتدّوا عن الاسلام . فيعبدوا الاوثان ولا يشهدوا أن لا إله إلّا اللّه وأنّ محمّداً رسوله ، وكان الأحب إليه أن يقرّهم على ما صنعوا من أن يرتدّوا عن جميع الإسلام ، وانّما هلك الّذين ركبوا ما ركبوا . فأمّا من لم يصنع ذلك ، ودخل فى ما دخل فيه الناس على غير علم ، ولا عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام . فإنّ ذلك لا يكفّره ، ولا يخرجه عن الإسلام ، وكذلك كتم عليه السلام أمره ، وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً .

و روى المدائنى - كما فى الشافى - عن أبى عون قال : لمّا ارتدّت العرب مشى عثمان إلى على عليه السلام فقال : يا ابن عم انّه لا يخرج أحد إلى قتال هؤلاء العدوّ وأنت لم تبايع ولم يزل به حتّى مشى إلى أبى بكر فسرّ المسلمون بذلك وجدّ الناس فى القتال - و رواه الواقدى كما فى مسترشد الطبرى .

و روى الثقفى عن موسى بن عبد اللّه بن الحسن قال : ابت أسلم ان تبايع فقالوا : ما كنا نبايع حتّى يبايع بريدة لقول النبىّ صلى الله عليه وآله لبريدة (على وليكم بعدى) فقال على عليه السلام : انّ هؤلاء خيرونى أن يظلمونى حقى وأبايعهم او ارتدت

الناس حتّى بلغت الردّ أحدا . فاخترت ان اظلم حقّى ، وأن فعلوا ما فعلوا .

وفى الطبرى أنّ أسلم ـ وهم قوم بريدة ـ لمّا أقبلت لبيعة أبى بكر قال عمر : أيقنت بالنصر ، و روى الأوّل عن موسى أيضا أنّ عليّا عليه السلام قال لهم : بايعوا فإنّ هؤلاء خيّرونى أن يأخذوا ما ليس لهم أو أقاتلهم وافرّق أمر المسلمين .

و عن سفيان بن عروة عن أبيه قال : جاء بريدة حتّى ركز رايته فى وسط اسلم ثم قال : لا أبايع حتّى يبايع على عليه السلام . فقال عليه السلام : يا بريدة ادخل فى ما دخل فيه الناس . فإنّ اجتماعهم أحبّ إلىّ من اختلافهم اليوم .

«الّتى إنّما هى متاع أيّام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب» شبّه ـ عليه السلام رياسة الدنيا وحكومتها بالسراب فى عدم حقيقة له كما شبّه تعالى عمل الكفار به . فقال ـ عزّ وجلّ ـ «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جائه لم يجده شيئاً»[1] وقالوا فى المثل (أخدع من سراب) .

«أو كما يتقشّع» : أى يتفرّق .

«السحاب» : شبّهها عليه السلام بتقشع السحاب فى سرعة زواله .

«فنهضت» : أى قمت .

«فى تلك الأحداث» : الراجعة إلى رجعة جمع عن الاسلام .

قال (حد) : انّه إشارة إلى ما رواه الطبرى أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لمّا مات اجتمعت أسد وغطفان وطىّ على طليحة بن خويلد . فاجتمعت أسد بسميراء ، و غطفان بجنوب طميه وطى فى حدود أرضهم واجتمعت ثعلبة بن أسد ، ومن يليهم من قيس بالأرق من الربذه وباشت إليهم ناس من بنى كنانة ولم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين أقامت إحديهما بالأرق ، وسارت الأخرى إلى ذى القصة ، وبعثوا وفوداً إلى أبى بكر يسألونه أن يقارّهم على إقامة الصلوة ومنع الزكاة . فقال : لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه ، ورجع الوفود إلى قومهم فأخبروهم بقلّة من أهل المدينة . ـ

(١) النور ٣٩ .

فاطمعوهم فيها ، وعلم أبوبكر والمسلمون بذلك . فقال لهم : رأى وفدهم منكم قلّة وأنّكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً ، وادناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم ، وقد أبينا عليهم ونبذنا إليهم فاعدّوا واستعدّوا فخرج على عليه السلام بنفسه . وكان على نقب من أنقاب المدينة ، وخرج طلحة والزبير وابن مسعود فكانوا على الأنقاب الثلاثة . فلم يلبثوا إلّا قليلاً حتّى طرق القوم المدينة غارة مع الليل وخلّفوا بعضهم بذى حسا ليكونوا ردءاً لهم فوافوا الأنقاب ، وعليها المسلمون و خرج أبوبكر فى جميع من أهل المدينة على النواضح . فانتشر العدو بين أيديهم ، واتبعهم المسلمون على النواضح حتّى بلغوا ذا حسا فخرج عليهم الكمين بانحاء قد نفخوها ، وجعلوا فيها الحبال ثم دهدهوا بها فى وجوه الابل فتدهدهكلّ نحى منها فى طول . فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ، ولا تنفر الابل من شئ نفارها من الأنحاء . فعاجت بهم لا يملكونها حتّى دخلت بهم المدينة ولم يصرع منهم أحد ولم يصب . فبات المسلمون تلك اللّيلة يتهيأون . ثم خرجوا على بغتة فما طلع الفجر الّا وهم والقوم فى صعيد واحد . فلم يسمعوا للمسلمين حسّاً ، ولا همساً حتّى وضعوا فيهم السيف . فاقتتلوا أعجاز ليلتهم فما ذرّ قرن الشمس إلّا وقد ولّوا الأدبار ، وغلبوا على عامّة ظهرهم ، ورجعوا إلى المدينة ظافرين .

قلت : ما نقله من الطبرى من روايات سيفه الّذى له يد طولى فى الجعل حتّى فى وضع الأشعار والرجال والأمكنة لما يضع ، وأصل ارتداد طليحة معلوم لكن صحّة باقى خصوصيات ما نقل غير معلومة .

وممّا يشهد لوضعه هنا قوله (بعثوا وفودا إلى أبى بكر يسألونه أن يقارهم على اقامة الصلوة ومنع الزكوة فقال لو منعونى عقالاً لجاهدتهم عليه) فإنّهم كانوا ارتدوا عن أصل الإسلام . فكيف يقولون لأبى بكر ما قال ، وإنّما كان جمع آخر ثابتين على الإسلام قالوا : إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله أمرنا بإعطاء زكواتنا إلى فقراءنا ولم يعطوا عمّال أبى بكر . فعاملهم أبوبكر معاملة المرتدين وقال : لو منعونى عقالاً

لقاتلتهم كما لا يخفى على من راجع تاريخ أعثم ، وإنما سيف يأخذ الأشياء من موضع ويجعلها فى موضع آخر .

والصواب فى ارتداد طليحة ومن بعث أبى بكر لحربه ما قاله اليعقوبى فى تاريخه . فقال (وممن تنبأ طليحة بن خويلد الأسدى ، وكان أنصاره غطفان و — رئيسهم عيينة بن حصن الفزارى . فخرج أبو بكر فى جيشه إلى ذى القصة ، و دعا عمرو بن العاص فقال : ياعمرو إنك ذو رأى قريش ، وقد تنبأ طليحة فما ترى فى على ؟ قال : لا يطيعك . قال : فالزبير ؟ قال : شجاع جسر . قال : فطلحة ؟ قال : للخفض والمطعن . قال فسعد قال محش حرب قال فعثمان قال أجلسه واستعن برايه قال : فخالد بن الوليد قال : بسوس للحرب نصير للموت له أناة القطاة ، ووثوب الأسد . فلما عقد له قام ثابت بن قيس بن شماس وقال : يا معشر قريش اما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له أما والله ما نحن عمىً عما نرى ، ولا صماً عما نسمع وامرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصبر فنحن نصبر ، وقام حسان فقال :

يا للرجال لخلفة الأطوار × ولما أرادَ القومُ بالأنصار

لم يُدْخلوا منّا رئيساً واحداً × يا صاحِ فى نقضٍ ولا إمرارِ

فعظم على أبى بكر هذا القول . فجعل على الأنصار ثابت بن قيس ، و أنفذ خالداً على المهاجرين . فقصد طليحة . ففرق جمعه وقتل خلقاً من أتباعه ، وأخذ عيينة فبعث به إلى أبى بكر مع ثلاثين أسيراً ، وهو مكبّل بالحديد . فجعل الصبيان يصيحون به : يا مرتد فيقول : ما آمنت طرفة عين قط . فاستتابه ، واطلق سبيله ، ولحق طليحة بالشام وبعث سجاح إلى أبى بكر يراجع الاسلام — إلخ .

«حتّى زاح» : أى بعد وذهب .

«الباطل ، وزهق» : أى اضمحلّ .

«واطمأنّ الدين وتنهنه» : اى استقر وكفّ عن تطرّق الباطل إليه .

قال الجوهرى : الأصل فى نهنه (نهنهَ) بثلاث هاءات و ابدلوا

الوسطى نوناً للفرق بين فعلل ، وفعّل وزادوا النون من بين الحروف لأنّ فى الكلمة نونا .

قلت : هو شئ تفرّد به . فإذا كان أصل نهنه نَهَهَه فليقل أصل زلزل زززل ولا يبعد أن يكون الأصل فى الرباعيات المضاعفة كونها مخفّفة ثلاثيات مضاعفة مكرّرة بأن يقال : إن الأصل فى زلزل زلّ زلّ ، ولكن فى اللسان (كانّ الأصل فى نهنه النهى) وكيف كان فالأصل فى معنى نهنه الكفّ قال شاعر :

نهنه دموعك انّ من × يفترّ بالحدثان عاجز

وقال أبو جندب الهذلى :

فنهنهت أولى القوم عنهم بضربة × تنفس عنها كلّ حشيان محجر

١٦/ فى ٢٨/ ٢/ فى كتابه عليه السلام الى معاويه (وَقُلْتَ : اِنّي كُنتُ اُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتّٰى اُبَايِعَ ، وَلَعَمْرُ اللّٰهِ لَقَدْ اَرَدْتَ اَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ، وَ اَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ ، وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي اَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ ، وَ هٰذِهِ حُجَّتِي اِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا ، وَلٰكِنِّي ـ اَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا) .

أقول : قال (حد) : قال : النقيب انّه جواب كتاب كتبه معاوية إليه عليه السلام مع أبى امامة الباهلى ـ قلت : بل مع أبى مسلم الخولانى . فروى نصر بن مزاحم فى صفّينه انّ معاوية كتب مع أبى مسلم الخولانى إليه عليه السلام ـ مشيراً إلى أبى بكر وعمر وعثمان ـ (فكلّهم حسدت ، وعلى كلّهم بغيت عرفنا ذلك فى نظرك الشزر ، وفى قولك الهجر وفى تنفّسك الصعداء ، وفى إبطاءك

عن الخلفاء تقاد إلى كلّ منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتّى تبايع وأنت كاره ـ إلخ .

«وقلت: إنّى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش»: أى جمل ادخل فى عظم أنفه خشب، وقد عرفت أنّ نصر بن مزاحم رواه (الفحل المخشوش) .

وفى فقه لغة الثعالبى (فصل فى الهنه تجعل فى أنف البعير) (إذا كانت من خشب فهى خِشاش، وإذا كانت من صفر فهى بُرَة، وإذا كانت من شَعر فهى خزامة. فإذا كانت من بقّيّة حبل فهى عِران) .

«حتّى ابايع»: أى مع أبى بكر. روى الكشى عن الباقر عليه السلام قال: لمّا مرّوا ـ بأمير المؤمنين عليه السلام ـ وفى رقبته حبل ـ إلى أبى بكر ضرب أبو ذر بيده على الأخرى ثم قال «ليت السيوف عادت بأيدينا ثانية» وقال المقداد «لو شاء لدعا عليه ربّه ـ عزّوجلّ» ـ وقال سلمان: «مولانا أعلم بما هو فيه» .

وفى خلفاء ابن قتيبة ـ فى عنوان بيعة على ـ تفقد أبو بكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند على . فبعث إليهم عمر. فجاء فناداهم، وهم فى دار على. فأبوا أن يخرجوا. فدعا بالحطب، وقال: والّذى نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لاحرّقنّها على من فيها. فقيل له: إنّ فيها فاطمة. فقال: وإن. فخرجوا. فبايعوا إلّا عليّاً . فانّه زعم انّه قال: حلفت أن لا أخرج، ولا أضع ثوبى على عاتقى حتّى أجمع القرآن فوقفت فاطمة على بابها. فقالت: لا عهد لى بقوم حضروا أسوء محضراً منكم تركتم النبىّ صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً. فأتى عمر أبا بكر. فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة. فقال أبو بكر لقنفذ ـ مولى له ـ فادع لى علياً. فذهب إليه، وقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال على: لسريع ما كذبتم على رسوله. فرجع. فابلغ الرسالة. فبكى أبو بكر طويلاً. فقال له عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة. فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه وقل: أمير المؤمنين يدعوك لتبايع. فجاء فأدّى. فرفع على صوته

وقال : سبحان الله ادّعى ماليس له . فرجع فنفد . فابلغ الرسالة . فبكى أبوبكر طويلاً ، ثم قام عمر ومشى معه جماعة حتّى أتوا بيت فاطمة . فدقّوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها : يا أبه يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب ، وابن أبى قحافة . فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدّع — وبقى عمر ومعه قوم فاخرجوا علياً . فمضوا به إلى أبى بكر . وقالوا له بايع — فقال : إن انا لم أفعل فمه؟ قالوا : إذن والله الّذى لا إله إلّا هو نضرب عنقك . قال : اذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله — قال عمر : أما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا وأبوبكر ساكت لا يتكلّم . فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك فقال : لا اكرهه على شئ ماكانت فاطمة إلى جنبه . فلحق على بقبر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يصيح وينادى « يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى » .

فهل أمرأ بين من كون بيعته عليه السلام كرهاً وأنّهم أراد وإحراق بيته عليه ، و على امرأته سيّدة نساء العالمين ، وعلى إبنيه سيّدى شباب اهل الجنّة لولم يكن خرج ، وأرادوا ضرب عنقه مع كونه كنفس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لولم يبايع ، وأنّه عليه السلام جعلهم فى اتّباعهم لأبى بكر ، وتركهم له بمنزلة عابدى العجل . ونفسه بمنزلة هرون . فكيف يصحّح إخواننا خلافة الرجل بامضائه عليه السلام لها ، وكيف يدّعون فيها الإجماع ، ولوصدق فى هذا الإجماع . فليقل لم يكن فى العالم يوماً نزاع .

ثمّ لوكان كلّ إجماع حجّة لكان إجماع أمّة موسى على كون العجل إلههم حجّة . مع أنّ فى إجماع أمّة موسى إنّما تخلّف هرون أخوموسى ، وبيعة أبى بكر لم تكن ابتداء إلّا من عمر وأبى عبيدة لمواطاتهما معه ، ومن بشيرين سعد لحسده مع ابن عمه سعد بن عبادة ان ينال أمارة . ثم من الأوس باشارة رئيسهم أسيد بن حضير ضغناً ورقابة للخزرج . ثم باقى المؤلفة والطلقاء طمعاً أن ينالوا امارة . ثم من باقى الناس بضرب العصا وخبطا . مع أنّ أمّة موسى الّذين أجمعوا على عبادة العجل كانوا من أولاد الأنبياء يعقوب بن إسحق بن إبرهيم

الّذين قال تعالى فيهم إنّهم فضّلهم على العالمين ، وقال لهم جدّهم يعقوب لما حضره الموت : ما تعبدون من بعدى قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم و اسمعيل واسحق ، والمبايعين لأبى بكر كانوا أعراباً جلفاً شابوا لجاهم فى عبادة الأوثان .

وانّى لأعجب من ابن قتيبة واستحيى له أنّه يقول ـ بعد ما نقلناه عنه و بعد ذكره اتيان أبى بكر و عمر إلى العباس بجعله شريكاً لوهى أمير المومنين عليه السلام ـ باشارة المغيرة ، وردّ العباس على أبى بكر بأنّه إن كان الأمر حقّاً لك . فلا حاجة لى فيه ، وإن كان حقّ المؤمنين . فليس لك أن تحكم عليهم ، وإن كان حقّنا لم نرض منك ببعض دون بعض ـ (فلمّا تمّت البيعة لأبى بكر أقام ثلاثة أيّام يقيل الناس ، و يستقيلهم يقول : قد أقلتكم فى بيعتى هل من كاره هل من مبغض ، فيقوم علىّ فى أوّل الناس فيقول : واللّه لا نقيلك ولا نستقيلك أبداً قدّمك النبىّ لتوحيد ديننا من ذا الّذى يؤخّرك لتوجيه دنيانا » .

فهل هو إلّا كلام مضحك للثكلى ، ومسخرة للعقلاء . كيف يصدق أبوبكر فى استقالته مع اخذه البيعة بإحراق أهل بيت نبيّه ، وقتل وصيّه ، وكيف يقول امير المؤمنين عليه السلام فى أبى بكر ما مر ويجعله عجل السامرى . ثم يقول له ما قاله هنا هل يكون كذلك إلّا من كان رذلاً نذلاً ، وانّما نسب إليه عليه السلام كلام عمر فى السقيفة فإنّه لمّا كان هو وأبوبكر يتقارضان الخلافة ويقول أبوبكر : هذا عمر بايعوه أو بايعوا أباعبيدة . قال له عمر : أنت الّذى قدّمك النبىّ لديننا . فكيف لا نقبلك لدنيانا .

مع أنّه كلام مغالطة : فإنّه جعل خلافة النبىّ صلى الله عليه وآله عبارة عن سلطنة دنيوية وأدون من امامة جماعة . فلم يحرّا تباعهم الشيعة لانكارهم ائمتهم مع اعتراف فاروقهم بأنّ الخلافة مجرّد رياسة دنيوية .

ولازمه كون النبوّة أيضاً رياسة دنيوية كما أفصح عنه من أسّس واله الأمر فى قوله :

لعبت هاشم بالملك فلا × خبر جاء ولا وحى نزل

وأمّا الإماميّة فإنّما يكفّرون من أنكر أمير المؤمنين عليه السلام لأنّهم يجعلون ولايته من أُصول الدين كنبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّهم يعتقدون كون الإمام كالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في كونه من قبل الله تعالى لا مجرّد إمارة ، ونحن لا ننكر تصدّى خلفائهم للأمارة إن كان الأمر كما قال عمر.

و روى الثقفي مسنداً عن عدي بن حاتم قال : ما رحمت أحداً رحمتي عليا حين أُتي به ملبّباً. فقيل له بايع. قال : فإن لم أفعل. قالوا: إذن نقتلك قال « اذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله » ثم بايع كذا — وضمّ يده اليمنى .

وعنه أيضاً قال : إنّي لجالس عند أبي بكر إذ جيئ بعلي عليه السلام فقال له أبو بكر: بايع. فقال : فإن لم أفعل. قال : اضرب الّذي فيه عيناك. فرفع رأسه إلى السماء ، وقال « اللّهمّ اشهد » ثم مدّ يده فبايعه.

ويكفي في عدم صحّة خلافة صدّيقهم اعتراف معاوية الّذي هو أصل مذهبهم وفرعه وأوّله وآخره لا سيّما في ثالثهم الّذي حملهم على القول به ، وإلّا فالناس — كانوا فيه بعد قتله بين مكفّر ومفجّر بأنّه عليه السلام قيد للبيعة كما يقاد الجمل المخشوش

ونظير قوله هذا في كشف حقيقة الأمر منه قوله الآخر في ما كتب إليه عليه السلام أيضاً « وعهدي بك ، امس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ، ويداك في يد ابنيك الحسن والحسين يوم بويع ابو بكر الصدّيق. فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلّا دعوتهم إلى نفسك ومتّ إليهم بامراتك ، وادليت إليهم بابنيك ، واستنصرتهم على صاحب رسول الله. فلم يجبك منهم إلّا أربعة أو خمسة.

وصرّح بذلك أيضاً الجبار الدوانيقي في ما كتب إلى محمّد بن عبد الله — الحسني ، ورواه القتيبي .

« ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت » بكوني مظلوماً.

« وان تفضح فافتضحت » بكون من جعلته حجتك ظالما.

ونظير ماقاله عليه السلام من كون معاوية أراد ذمّه عليه السلام بقياده كالجمل المخشوش لبيعة أبى بكر . فمدحه أنّ حجل بن نضلة ذكر عند النعمان بن المنذر معاوية بن شكل . فقال : إنّه لقعوالا ليتين مقبل النعلين . فحج الفخذين . مشّاء باقراء . تبّاع اماء . قتّال ظباء . فقال له النعمان : أردت أن تذمّه فمدحته .

وفى الأغانى خاصم رجل أبا دلامة فى داره . فارتفعا إلى عافية القاضى . فأنشأ أبو دلامة يقول :

لقد خاصمتنى دهاة الرجال × وخاصمتها سنة وافية
فما أدحض الله لى حجّة × ولا خيّب الله لى قافية
ومن خفت من جوره فى × القضاء فلست أخافك ياعافية

فقال له عافية القاضى : لأشكونك إلى الخليفة ، ولا علمنّه أنّك هجوتنى .

قال : اذن يعزلك قال : ولم . قال : لأنّك لا تعرف المديح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصور . فضحك وأمر لأبى دلامة بجائزة ولمّا قال الأخطل لسويد بن منجوف :

وما جذع سوء خرّق السوء وسطه × لما حملته وائل بمطيق

قال له سويد : هجوتنى بزعمك . فمدحتنى لأنّك جعلت وائلا حملتنى أمرها ، وماطمعت فى بنى تغلب منها .

وانبرى فتى للاخطل . فقال له : أردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلى ، وان تصغّر من شأنه ، وتضع منه . فقلت :

وسوّد حاتماً أن ليس فيها × إذا ما أوقد النيران نار

فاعطيته السود فى الجزيرة وأهلها ومنعته مالا يضرّه .

ولمّا بسط يوسف بن عمر الثقفى العذاب على خالد بن عبد الله القسرى لم يكلّمه خالد حتّى قال له يوسف : يا ابن الكاهن ـ يعنى بالكاهن شقّ بن صعب فقال له خالد : إنّك لاحمق تعيّرنى بشرفى ، ولكنّك يا ابن السبّاء إنّما كان أبوك

سبّاء الخمر: أى بيّاعه.

وعن على بن المنذر قال: قال لى الحسن البصرى: ما قول الشاعر:

لولا جرير هلكت بجيلة × نعم الفتى وبئست القبيلة

أهجاه أم مدحه قلت: مدحه، وهجا قومه. قال: ما مدح من هجى قومه.

وفى المعجم كان الخليل النحوى العروضى يقطّع بيتاً من الشعر فدخل عليه ابنه فى تلك الحالة. فخرج إلى الناس، وقال لهم: إنّ أبى قد جنّ فدخلوا عليه وهو يقطّع البيت فأخبروه بما قال ابنه. فقال لابنه:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى × أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتى فعذلتنى × وعلمت أنّك جاهل فعذرتكا

أيضاً:

عذلت علىّ ما لو علمت ببعضه × فسحت مكان اللوم والعذل من عذر

وعكسه أنّ الأخطل أراد أن يمدح سماك بن مخرمة الأسدى. فقال فيه:

إنّ سماكاً بنى مجداً لأسرته × وفعل الخير يبتدر

قد كنت أحسبه قينا وأخبره × فاليوم طيّر عنّى أثوابه الشرر

فقال سماك: ويحك ما أعياك أردت أن تمدحنى فهجوتنى. قال ذلك لأنّه كان من بنى الهالك وكان الهالك اول من عمل الحديد، وكان ولده يعيّرون بذلك.

وفى الأذكياء مدح الخالديان سيف الدولة بن حمدان بقصيدة قالا فيها:

فوجه كله قمر × وساير جسمه أسد

فاستحسنه سيف الدولة، وجعل يردّد إنشاده. فدخل عليه الشيطمى الشاعر. فقال له: اسمع هذا البيت، وأنشده إيّاه. فقال له الشيطمى: احمد ربك فقد جعلك من عجائب البحر.

« وما على المسلم من غضاضة فى أن يكون مظلوماً »: أى ذلّة ومنقصة

«مالم يكن شاكّاً فى دينه ولا مرتاباً بيقينه» وأمّا لوظلمه الناس فليس فيه غضاضة بل رفع درجة وعلوّ منزلة.

وقال عليه السلام فى مثل ذلك فى موضع آخر «فإنّ المرء المسلم مالم يغش دنائة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت وتغرى بها لئام الناس كان كالفالج الياسر الذى ينتظر أوّل فوزة من قداحة يوجب له المغنم، ويرفع بها عنه المغرم». ولبعضهم فى نظيره:

لعمرى ما بالموت عار على امرئ × إذا لم تصبه فى الحيوة المعاير

وللنابغة:

وعيّرتنى بنو ذبيان رهبته × وهل علىّ بأن أخشاك من عار

ولآخر:

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى × حبسى وأى مهنّد لم يغمد

والحبس ما لم تغشه لدنيّة × شنعاء نعم المنزل المستورد

ولقد أجاد من قال بالفارسية:

ما نداريم از قضاى حق گله × عار نايد شير را از سلسله

وروى الكافى أنّ رجلاً كان بدخل على الصادق عليه السلام فى حجّه. فغبر زماناً لا يحجّ. فدخل عليه عليه السلام بعض معارفه. فسأله عنه. فجعل يضجع ـ الكلام ـ يظنّ أنّه عليه السلام يعنى الميسرة والدنيا ـ فقال عليه السلام له: كيف دينه. فقال: هو كما تحب. فقال: هو والله الغِنى.

وعنه عليه السلام فى قوله تعالى فى مؤمن آل فرعون «فوقاه الله سيّئات ما مكروا» اما والله لقد قتلوه ولكن وقاه أن يفتنوه فى دينه.

«وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها» قال عليه السلام لمعاوية ذلك لأنّ معاوية كان مصداق قوله تعالى «ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملئكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شئ قبلاً ماكانوا ليومنوا (۱)» وإنّما قصده عليه السلام بحجّته من كان لقبولها أهلاً.

«ولكنّي اطلقت لك منها بقدر ما سنح»: أي عرض ولزمه المقام إتماماً للحجّة

«من ذكرها»: فإنه عليه السلام لولم يجبه بأن قودي للبيعة لم يكن ذمّاً لي بل لخصمي، و من عاملني بذلك يمكن أن تؤثّر شبهته في القاصرين بأنّ المغلوبية في الدنيا تنافي كمال الدين أولم يقل أهل الدنيا الّذين لم تكن لهم بصيرة في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» ولم انزل على يتيم أبي طالب.

۱۷/ ۱۶۳/ ۳/ وقال عليه السلام (لا يُعابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ إِنَّمَا يُعابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ).

أقول: وقبل هذا الكلام هكذا «إنّما حقّي على هذه الأمّة كرجل لهحق الى أجل معلوم. فإن احسنوا وعجّلوا له حقّه قبله حامداً، وإن أخّروه إلى أجله أخذه غير حامد».

و بعده هكذا «وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إليّ عهداً. فقال: يا ابن أبي طالب لك ولاء أمّتي. فإن ولّوك في عافية، وأجمعوا عليك بالرضا. فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك. فدعهم وما هم فيه. فإنّ الله سيجعل لك مخرجاً».

روى الكليني في رسائله على نقل محجّة ابن طاووس أنّهم لمّا سالوه عن الثلاثة قال عليه السلام ذلك عند حكايته اجبار قريش له على بيعة عثمان في الشورى طمعاً أن

(۱) الانعام ۱۱۱

ينالوا الأمر بعده .

«لا يعاب المرء بتأخير حقّه» وإنّما يعاب من أخّر حقّه لأنّه ظالم له ، و هو نظير قوله عليه السلام فى سابقه بان قوده لبيعة أبى بكر كالجمل المخشوش ليس نقصاً له لأنّه ليس على المسلم من غضاضة مالم يكن شاكاً فى دينه ، ولا مرتاباً بيقينه .

روى ابن قتيبة فى عيونه عن الهيثم عن ابن عياش ، عن الشعبى انّ معاوية أقبل ذات يوم على بنى هاشم . فقال : ألا تحدّثونى عن ادعائكم الخلافة دون قريش . أتكون لكم بالرضا بكم والاجتماع عليكم دون القرابة . أم بالقرابة دون الجماعة . أم بهما جميعاً . فإن كانت بالرضا والجماعة : فلا أرى القرابة اثبتت حقا وإن كانت بالقرابة . فما منع العباس عم النبى ووارثه . وساقى الحجيج ، و ضامن الأيتام أن يطلبها ، وقد ضمن له أبوسفيان بنى عبد مناف ، وإن كانت بالرضا والقرابة جميعاً . فإنّ القرابة خصلة من خصال الامامة . وأنتم تدّعونها بها وحدها ولكنّا نقول : أحقّ قريش بها من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة ، ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة ، وطارت إليه أهواءهم للثقة ، وقاتل عنها بحقّها . فادركها من ـ وجهها إنّ أمركم لأمر تضيق به الصدور ـ إلى أن قال ـ

فقال له ابن عباس : ندّعى هذا الأمر بحقّ من لولا حقّه لم تقعد مقعدك هذا ـ ونقول : كان ترك الناس أن يرضوا بنا ، ويجتمعوا علينا حقّاً ضيّعوه وحظّاً حرموه ـ إلى أن قال ـ

فأمّا الّذى منعنا من طلب هذا الأمر بعد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فعهد منه إلينا قبلنا فيه قوله ، ودنّا بتاويله ، ولو أمرنا أن نأخذه على الوجه الّذى نهانا عنه لأخذناه أو آوأعذرنا فيه ـ ولا يعاب أحد على ترك حقّه انّما المعيب من يطلب ما ليس له .

و روى الثقفى ـ كما فى امالى محمّد بن محمّد بن النعمان ـ عن المسعودى عن محمّد بن كثير ، عن يحيى بن حماد القطّان ، عن أبى محمّد الحضرمى ، عن

أبي على الهمداني أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى علي عليه السلام فقال: إنّي أسألك لآخذ عنك. وقد انتظرنا أن تقول لنا من أمرك شيئاً. فلم تقله إلّا تحدّثنا عن أمرك هذا أكان بعهد من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو شيء رأيته. فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل وأوثقه عندنا ما سمعناه من فيك إنّا كنّا نقول: لو رجعت الخلافة إليكم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد والله ما أدري إذا سئلت ما أقول عليه السلام أزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك. فعلام نصبك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد حجّة الوداع. فقال: «أيّها الناس من كنت مولاه فعليّ مولاه» وإن تك أولى منهم بما كانوا فيه فعلى م نتولاهم

فقال له علي عليه السلام: إنّ الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وقد كان من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليّ عهد (لو خزمونى بانفى لاقررت سمعاً وطاعة)، وإنّ أوّل ما انتقصناه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إبطال حقّنا في الخمس. فلمّا رقّ أمرنا طمعت رعيان البهم من قريش فينا. وقد كان لي على الناس حقّ لو ردّوه إليّ عفواً قمت به - إلى أن قال -

وكنت كرجل له حقّ على الناس إلى أجل. فإن عجّلوا له ماله أخذ موحمدهم عليه، وإن أخّروه أخذه، وهم غير محمودين - إلى ان قال -

فقال عبد الرحمن: لعمرك أنت يا أمير المؤمنين كما قيل:

لقد أيقظت من كان نائماً × وأسمعت من كانت له أذنان

«إنّما يعاب من أخذ ما ليس له» روى ابن بابويه مسنداً عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى «إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان إنّه كان ظلوماً جهولا»[1].

قال: الأمانة الولاية من ادعاها بغير حق كفر.

وعن الباقر عليه السلام الامانة الولاية أبى السموات والأرض والجبال أن -

(١) الاحزاب ٧٢.

يحملنها و حملها الانسان أبوفلان.

١٧/ ٤/ (ومن خطبة له عليه السلام لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وابوسفيان بن حرب فى أن يبايعا له بالخلافة) أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ. أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ. هٰذَا مَاءٌ آجِنٌ. وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا. وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ. فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ. وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي وَاللَّهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ. بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ!

أقول: روى تذكرة سبط ابن الجوزى، عن مجاهد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لمّا دفن النبى صلى الله عليه وآله جاء العباس وأبوسفيان ونفر من بنى هاشم إلى علىّ عليه السلام. فقالوا: مدّ يدك نبايعك ـ وهذا اليوم الّذى قال فيه أبوسفيان: إن شئت ملأتها خيلاً ورجالاً ـ فخطب عليه السلام وقال: أيّها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرّجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة. فقد فاز من نهض بجناح. او استسلم فاراح. ماء آجن، ولقمة يغصّ بها آكلها. أجدر بالعاقل من لقمة تحشى بزنبور. ومن شربة تلذّ بها شاربها مع ترك النظر فى عواقب الامور. فإن أقل يقولوا حرص على الملك. وإن أسكت يقولوا جزع من الموت. هيهات هيهات بعد اللتيا والّتى، والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى

أمّه ، ومن الرجل بأخيه وعمّه ، ولقد اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوى البعيدة ، ونقل مثله عن مناقب جدّه ابن الجوزى

قول المصنّف : «ومن خطبه له عليه السلام» هكذا فى المصرية ، والصواب (ومن كلام له عليه السلام) كما فى (حد) و ثم والخطية) ولأنّ الخطبة تكون على المنبر ولم يكن عليه السلام فى وقت ذاك الكلام على منبر .

«لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب فى أن يبايعاله بالخلافة» هكذا فى المصرية و (حد) والخطية لكن ليس هذا الكلام فى (ثم) رأساً .

وكيف كان ففى الارشاد جاء أبو سفيان إلى باب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ونادى :

بنى هاشم لا تطمعوا الناس فيكم × ولا سيّما تيم بن مرّة أو عدى
فما الأمر إلّا فيكم و إليكم × و ليس لها إلّا أبو الحسن علىّ
أبا حسن فاشدد بها كفّ حازم × فإنّك بالأمر الّذى ترتجى ملى

ثم نادى بأعلى صوته يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف أرضيتم أن يلى عليكم أبو حميل الرذل ابن الرذل . أما والله لو شئتم لأملأنها عليهم خيلاً ورجالاً ـ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ارجع يا أبا سفيان . فوالله ما تريد الله بما تقول ، ومازلت تكيد الاسلام ، وأهله نحن مشاغيل بالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى كل امرئ ما اكتسب ، وهو ولى ما احتقب» فانصرف أبو سفيان إلى المسجد . فوجد بنى أميّة ـ مجتمعين . فحرّضهم على الأمر ولم ينهضوا له .

وأقول : أمّا أبو سفيان وإن كان من الطلقاء ، وأبو بكر و عمر نالا غرضهما بواسطة الطلقاء إلّا أنّ شخص أبى سفيان مع كونه من بنى أميّة الّذين كانوا يرون أنفسهم عدلاء بنى هاشم لكون كلّ منهما من بنى عبد مناف لما كان من ـ مشايخ قريش فى الجاهلية ، وكان أسنّ من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يحتفل بشخص النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى قهره الاسلام بفتح مكّة . فكيف كان يحضر نفسه لأن يصير محكوماً

أبى بكر الّذى حيّه تيم بن مرّة كانوا من إخسّاء قريش ، ولم يكن له بيت ولا شخصية فى حيّه حتّى أنّ أبا بكر لمّا رفع صوته فى أيّام خلافته عليه فى حضور أبى قحافة أبيه تعجّب أبوه من ذلك ، وقال له : أعلى شيخ قريش ترفع صوتك ، وكان أبو سفيان لا يرضى - بابى بكر وابيه خادماً له - وكان فى خلافة عمر ومحاربته الروم لو سمع - بانهزام الروم يتأسّف لهم ، ويقول « ويح بنى الأصفر » ولو كان رأى منهم غلبة لسرّ ويقول « ايها بنى الأصفر » وكان ميله إلى أمير المؤمنين عليه السلام لكونه من بنى عبد مناف أكثر ، ولذا كتب أمير المؤمنين عليه السلام - كما فى صفّين نصر ، وعقد ابن عبد ربه - إلى معاوية « قد كان أبوك اتانى حين ولّى الناس أبا بكر ، وقال لى « أنت أحق بعد محمّد بهذا الأمر ، وأنا زعيم لك بذلك على من خالفك ابسط يدك أبايعك » فلم أفعل وأنت تعلم أنّ أباك قد كان قال ذلك وأراده حتّى كنت أنا الّذى أبيت لقرب عهد الناس بالكفر مخافة الفرقة بين أهل الاسلام . فأبوك كان أعرف بحقّى منك . فإن تعرف من حقّى ما كان أبوك يعرف تصب رشدك ، وإن لم تفعل - فيسغنى الله عنك » .

وأمّا إبناه يزيد ومعاوية ، وباقى بنى اُمية . فما شوا أبا بكر و عمر وساعدوهما - و قد عدّوا أبا سفيان ممّن كان ذا راى فى الجاهلية لا فى الاسلام - ووجهه أنّه كان كلّما رأى فى الجاهلية رأياً تبعه قريش ، وأمّا فى أمر أبى بكر فحرّض بنى اُمية على ضدّه فلم يعتنوا به حتّى إبناه يزيد ومعاوية يل استندوا إلى عثمان ، وقاموا معه وبايعوا أبا بكر لينالوا به أغراضهم ، وقد نالوا فوق ما أمّلوا .

ومن كتاب معاوية إليه عليه السلام المشهور « وعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً - إلى أن قال - فلا أنسى قولك لأبى سفيان لمّا حرّكك وهيّجك (لو وجدت أربعين ذوى عزم لناهضت القوم) فما يوم المسلمين منك بواحد » .

وحيث إنّ قصد أبى سفيان لم يكن لله بل لان ينال رياسة أو مالا زجره - أمير المؤمنين عليه السلام ، و روى الجوهرى فى سقيفته أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبا سفيان

ساعياً . فرجع . من سعايته وقدمات النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : من ولّى بعده؟ قيل : أبوبكر . قال : ابوالفصيل؟ قالوا : نعم . قال : فما فعل المستضعفان علىّ والعباس أما والّذى نفسى بيده لا رفعنّ لهما من أعضادهما — وذكر الراوى شيئاً آخر لم يحفظه الرواة — فلمّا قدم المدينة قال إنّى لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا الدم» فكلّم عمر أبا بكر . فقال له «إنّ أبا سفيان قد قدم ، وإنا لا نامن شرّه . فدع له مافى يده» فتركه فرضى .

و روى الطبرى أنّ أبا بكر لمّا استخلف . قال أبوسفيان : مالنا ولأبى فصيل إنّما هى بنو عبد مناف ، فقيل له : إنّه ولىّ يزيد ابنك ، فقال : وصلته رحم.

وكما لم يبال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بقول عتبة لما رجع من الطائف ، ودخل المسجد والمشركون عند الكعبة . فلمّا رآه أبوجهل قال لعتبة : هذا نبيّكم يا بنى عبد مناف فقال له عتبة «وما تنكر أن يكون منّا نبىّ أو ملك» فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لعتبة «أمّا أنت يا عتبة فوالله ماحميت لله ولرسوله» — الخبر — لأنّه قاله عصبية كذلك لم يبال أمير المؤمنين عليه السلام بقول أبى سفيان لأنه قاله عصبية.

وكيف يصانع امير المؤمنين عليه السلام أبا سفيان ، وهو الّذى لمّا بويع عثمان قال «كان هذا الأمر فى تيم ، وانّى لتيم هذا الأمر ثم صار الى عَدّى فابعد وابعد . ثم رجعت إلى منازلها واستقرّ الأمر قراره . فتلقفوها تلقف الكره . فوالله ما من جنّة ولا نار» .

وهو الّذى رآه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مقبلاً على حمار ، ومعاوية يقود به ، ويزيد ابنه يسوق به . فقال «لعن الله القائد والراكب والسائق» .

وشتّان بينه عليه السلام وبين الرجلين . فتركا له مال المساكين وا لأيتام ، وولّيا ابنيه لئلا يتكلّم فى أمرهما ، ولأن يقوى بنو امية ، ويضعف أهل بيت نبيّهم — كما أنّهما ذهبا بإشارة المغيرة إلى العباس ، وأرادا جعل سهم له فى الأمر — لتضعيف جانب امير المؤمنين عليه السلام الّا أنّ العباس لم يقبل منهما ، ولا غرو منهما

فإنّ أهل الدنيا يتوسّلون لمقاصدهم بكلّ وسيلة ولو فى غاية المنكرية.

وأمّا العباس وإن كان طلبه مبايعته عليه السلام عن حقيقة، وبدون غرض دنيوى كأبى سفيان إلّا أنّه لمّا لم يكن له تلك الوجهة عند الناس لتأخّر اسلامه كأخيه عقيل كانت بيعته له عليه السلام لا تغنى عنه شيئاً، ولو كان بدل العباس عمّه حمزة وأخاه جعفر الاستطاعا أن يدافعا عنه عليه السلام: ففى ما كتبه عليه السلام للناس لمّا سألوه عن الثلاثة بعد فتح معاوية لمصر برواية الكلينى ـ «ولو كان لى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمّى حمزة، وأخى جعفر لم أبايع كرهاً، ولكنّى بليت برجلين حديثى عهد بالاسلام العباس وعقيل. فضننت بأهل بيتى عن الهلاك. فاغضيت عينى على القذى، وتجرعت ريقى على الشجى، وصبرت على امرّ من العلقم. وآلم للقلب من حزّ الشفار».

هذا، وقال محمّد بن محمّد بن النعمان «وما رأيت اوهن ولا أضعف من تعلّق المعتزلة وتكلّم المجبّرة بقول العباس لأمير المؤمنين عليه السلام امدد يدك يا ابن أخى أبايعك. فيقول الناس (عم رسول الله بايع ابن أخيه) فلا يختلف عليك إثنان) ـ فادّعوا انّ فى هذا دليلاً على أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لم ينصّ على امير المؤمنين عليه السلام لأنّ المنصوص عليه لا يفتقر فى إمامته وكمالها إلى البيعة ـ فيقال لهم: إن كان دعاء العباس له عليه السلام إلى البيعة يدلّ على ما زعمتم على بطلان النص وثبوت الامامة من جهة الاختيار يجب أن يكون دعاء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم الأنصار إلى بيعته فى ليلة العقبة، ودعائه الأنصار والمهاجرين تحت شجرة ـ الرضوان إلى بيعته دليلاً على أنّ نبوّته إنما ثبتت له من جهة الاختيار ـ فإن قالوا إنّما كانت بيعتهم للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم للعهد فى نصرته بعد معرفة حقّه، وصدقه فى ما اتى به من الله ـ عزّوجلّ ـ من رسالته قيل لهم كذلك دعاء العباس إنّما كان بعد ثبوت امامته بتجديد العهد فى نصرته والحرب لأهل مضادّته يدلّ على ما ذكرنا قول العباس «يقول الناس عم رسول الله بايع ابن أخيه فلا يختلف

عليك إثنان» فعلّق الاتّفاق بوقوع البيعة . فلم يكن إلّا وهي بيعة الحرب التي يرهب عندها الأعداء ، ولو كانت بيعة الاختيار من جهة الشورى لما منع ذلك من الاختلاف بل كانت نفسها الطريق إلى تشتّت الرأي ، وتعلّق كلّ قبيلة باجتهاده واختياره — ألا ترى أنّه لمّا ألحّ عليه العباس في هذا الباب قال «ياعم إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أوصى إليّ ، وأوصاني ان لا اجرّد سيفاً بعده حتى يأتيني الناس طوعاً ، وأمرني بجمع القرآن ، والصمت حتّى يجعل الله — عزّوجلّ — لي مخرجاً » .

ووجه آخر أنّ القوم لمّا أنكروا النص ، وأظهروا أنّ الامامة تثبت لهم من طريق الاختيار أراد العباس أن يكيدهم من حيث ذهبوا إليه ، ويبطل أمرهم بنفس ما جعلوه طريقاً لهم إلى الظلم ، وجحد النص ، فقال له عليه السلام « ابسط يدك أبايعك . فان سلّموا الحقّ لأهله لم تضرّك البيعة ، وإن ادعوا الشورى والاختيار ، وانكروا — حقّك كان لك من البيعة ، والاختيار والعقد مثل مالهم . فلا يمكنهم الاستبداد بالامر دونك » فأبى عليه السلام ذلك ، وكره أن يتوصّل إلى حقّه بباطل لا يوصل إليه لظهور النص عليه ، ولأنّه كره أن يبسط يده للبيعة فيلزمه بعد ذلك تجريد السيف على دافعيه ، وقد تقدّمت الوصية له عن النبيّ صلى الله عليه وآله بالكفّ عن الحرب مخافة بطلان الدين ودرس الاسلام ، وقد بيّن عليه السلام ذلك في مقاله حيث يقول « أما والله لولا قرب عهد الناس بالكفر لجاهدتهم » .

قال : فإن قالوا قد وصل إلى حقّه كما زعمتم بعد عثمان بالاختيار ، ودخل في الشورى . فكيف استجاز التوصل إلى الحقّ بالباطل .

قلت : إنّه عليه السلام لم يتوصّل إلى حقّه في حال من الأحوال بما توصّل إليه من اختيار الناس له على ما ظنّه الخصوم ، وذلك أنّه احتجّ يوم الشورى بنصوص النبيّ صلّى الله عليه وآله الموجبة له فرض الطاعة كقوله عليه السلام « أفيكم أحد قال له النبيّ صلى الله عليه وآله « من كنت مولاه فعليّ مولاه» غيري . أفيكم أحد قال له النبي صلى الله عليه وآله « أنت منّي بمنزلة هرون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي غيري» وأشباه ذلك من الكلام

الموجب لامامة صاحبه بدليله المغنى له عن اختيار العباد ، ولمّا قتل عثمان لم يدع أحداً إلى اختياره لكنّه دعاهم إلى بيعته على النصرة له ، والإقرار له بالطاعة ، وليس فى هذا من معنى الاختيار الّذى يذهب المخالف إليه شئ .

قال : فإن قالوا : إذا زعمتم أنّ النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قد نصّ عليه عليه السلام بالامامة ، وبيّن عن فرض الطاعة ، ودعا الامّة إلى اتّباعه . فما قول العباس له عليه السلام فى مرض النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم « يا ابن أخ ادخل معى إلى النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأسأله عن الأمر من بعده هل هو فينا فتطمئنّ قلوبنا أم هو فى غيرنا فيوصيه بنا » فدخلا عليه فسأله العباس عن ذلك . فلم يجبه هل هو فيهم أو فى غيرهم ، وقال لهم « على رسلكم معشر بنى هاشم . أنتم المظلومون ، وأنتم المقهورون » ـ فيقال لهم : اخطأتم الغرض فى معنى هذا المقال إنّ العباس إنما سأل النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن كون الأمر لهم بعده على تسليم الامّة لهم ، وأنّ المعلوم عند الله تعالى تمكّنهم منه ، و عدم الحيلولة بينهم وبينه . أو يغلبون عليه ، ويحال بينهم وبينه . فسأل النبىّ صلّى الله عليه وآله أن يوصى بهم فى الإكرام والاعظام ، ولم يك فى شكّ من الاستحقاق . والاختصاص بالحكم . ألا ترى إلى جواب النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم له « إنّكم المقهورون وأنتم المضطهدون » فجميع هذه الألفاظ جائت بها الرواية ، ولولا أنّ سؤال العباس انّما كان عن حصول المراد من التمكن ، ونفوذ الأمر والنهى فيما استحقّه لم يكن لجواب النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم له بما ذكرنا معنى يعقل ، وكان جواباً عن غير السّؤال ، والنبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يجلّ عن صفات النقص كلّها .

قلت : وممّا يوضح كون مراد العباس من سؤاله ما قاله المفيد ما رواه البلاذرى فى أنسابه عن أمّ الفضل امرأة العباس قالت : كنت جالسة عند النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو مريض . فبكيت . فقال : ما يبكيك ؟ قلت : أخشى عليك ، ولا أدرى ما نلقى من الناس بعدك . فقال : انتم المستضعفون .

و ما رواه ابن قتيبة فى عيونه أنّ ابن عمر لحق الحسين عليه السلام لمّا توجه

إلى العراق ، وقال له : أما أنّى ساحدّثك حديثاً أنّ جبرئيل عليه السلام أتى النبىّ صلّى الله عليه وآله فخيّره بين الدنيا والآخرة . فاختار الآخرة ، وانّكم بضعة من النبىّ صلى الله عليه وآله والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك ، وما صرفها الله عنكم إلّا لما هو خير لكم ـ الخبر .

و فى المناقب سأل عباسى ، المفيد بمحضر أجلّة العباسية أنّ الإمام بعد النبىّ صلى الله عليه وآله من كان قال ، من دعاه العباس أن يمدّ يده لبيعته على حرب من حارب ، وسلم من سالم . قال : ومن هذا قال : علىّ بن أبى طالب عليه السلام حيث ـ قال له العباس فى ما اتّفق عليه أهل النقل « ابسط يدك يا ابن أخى أبايعك فيقول الناس : عم رسول الله بايع ابن عمّه ـ يعنى ابن عم رسوله ـ فلا يختلف عليك اثنان » قال : فما كان الجواب من علىّ ؟ قال : كان الجواب « أنّ النبىّ ـ صلّى الله عليه وآله عهد إلىّ عهداً ألّا ادعو أحداً حتّى يأتونى فإنّما أنا كالكعبة أقصد ، ولا أقصد ، ومع هذا فلى بالنبىّ صلى الله عليه وآله شغل » فقال العباسى : كان ـ العباس اذن على الخطاء فى دعائه إلى البيعة . قال : لم يخطئ العباس فى ما قصد لأنّ العباس عمل على الظاهر ، وكان عمل امير المؤمنين عليه السلام على الباطن ، و كلاهما أصابا الحق ـ قال : فإن كان علىّ هو الإمام بعد النبىّ . فقد أخطا ـ الشيخان ومن تبعهما . قال : المفيد إن استعظمت تخطئة من ذكرت . فلا بدّ لك من تخطئة علىّ والعباس من قبل أنّهما تأخّرا عن بيعة أبى بكر ، ولم يرضيا بتقدّمه عليهما ، ولا رأهما أبوبكر وعمر أهلاً أن يشاركاهما فى شئ من أمورهما وخاصّة ما صنعه عمر يوم الشورى لمّا ذكر علياً عليه السلام عابه ، ووصفه تارة بالدعابة ، و ـ أخرى بالحرص على الدنيا ، وأمر بقتله أن خالف عبد الرحمن ، وجعل الحقّ فى حيّز عبد الرحمن دونه وفضّله عليه ـ وذكر من يصلح للامامة فى الشورى ، و من يصلح للاختيار ، ولم يذكر العباس فى إحدى الطائفتين ، وقد أخذ من علىّ عليه السلام والعباس ، وجميع بنى هاشم الخمس ، وجعله فى السلاح والكراع ـ

قلت: قال هو وصاحبه للعباس بإشارة المغيرة عليهما فى نحت حجّة لهما على أمير المؤمنين عليه السلام « نريد أن نجعل لك فى هذا الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك إذ كنت عم النبىّ . فلم يقبل العباس منهما إلّا أن يكون الأمر كلّه لأمير المؤمنين عليه السلام . فلمّا كان عمر يعرف ذلك من العباس لم يدخله فى الشورى لئلا ينتخب أمير المؤمنين عليه السلام ، وانّما حكّم عبد الرحمن بن عوف لينتخب عثمان رأس بنى اُمية - فعل ذلك عن عمد مع اعترافه فى ذاك الوقت بأنّه إن ولى أمير المؤمنين عليه السلام يحمل الناس على الصراط المستقيم كالنبىّ صلّى الله عليه وآله ، وإن ولى عثمان يحمل أعداء النبىّ صلى الله عليه وآله على اللعب بالدين - ومع ذلك يقول إخواننا هو الفاروق لعمر الله كان فاروقاً بين الحق والباطل لكن بترك الأول والتعلّق بالثانى .

هذا ، واما سند الخطبة فنقله (حد) غير مسند هكذا « لمّا اشتغل علىّ عليه السلام بغسل النبىّ صلى الله عليه وآله ودفنه ، وبويع أبوبكر خلا الزبير ، وابوسفيان وجماعة من المهاجرين بالعباس ، وعلىّ عليه السلام لاجالة الرأى ، وتكلّموا بكلام يقتضى الاستنهاض ، والتهييج . فقال لهم العباس : قد سمعنا قولكم . فلا لقلّة - نستعين بكم ، ولا لظنّة نترك آراءكم . فامهلونا حتّى نراجع الفكر . فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصرّ بنا و بهم الحقّ صرير الجد جد ، ونبسط إلى المجد اكفّا لا نقبضها أو نبلغ المدى ، وإن تكن الاُخرى فلا لقلّة فى العدد ، ولا لوهن فى الايد ، والله لولا أنّ الاسلام قيد الفتك لتدكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحلّ العلّى - فحلّ على عليه السلام حبوته وقال (الصبر حلم ، والتقوى دين ، والحجّة محمّد ، والطريق الصراط أيّها الناس شقّوا) - إلخ .

والّذى وجدت عنه عليه السلام ألفاظاً قريبة من العنوان رسالة له إلى أبى بكر لا خطبة . ففى احتجاج الطبرسى « رسالة لامير المؤمنين عليه السلام إلى أبى بكر لمّا بلغه عنه كلام بعد منعه فدك » « شقّوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن النجاة

وحطّوا تيجان أهل الفخر بجمع أهل الغدر، واستضيئوا بنور الأنوار، ولا تقتسموا مواريث الطاهرات الأبرار. فكأنّى بكم تتردّون فى العمس كما يتردّد البعير فى الطاحونة أما والله لو اذن لى بما ليس لكم به علم لحصدت رؤوسكم عن أجسادكم كحبّ الحصيد. بقواضب من حديد. ولقلعت من جماجم شجعانكم. ما أقرح بآماقكم. وأوحش بمحالكم، فإنّى منذ عرفت مردى العساكر، ومفنى الجحافل، ومبيد خضرائكم ومخمل ضوضائكم، وجزار الدوارين، إذ أنتم فى بيوتكم معتكفون، وأنّى لصاحبكم بالامس لعمرابى لن تحبّوا أن تكون فينا الخلافة والنبوّة، وأنتم تذكرون أحقاد بدروثارات أحد. أما والله لو قلت ما سبق من الله فيكم لتداخلت أضلاعكم فى أجوافكم كتداخل أسنان دوارة الرحى. فإن نطقت تقولون حسد. وإن سكت يقال: ابن أبى طالب جزع من الموت. هيهات هيهات الساعة إلى يقال هذا وأنا الموت والمميت، و خوّاض المنايا فى جوف ليل حالك. حامل السيفين الثقيلين. والرمحين الطويلين ومنكّس الرايات فى غطامط الغمرات. و مفرّج الكرب عن وجه خير البريات، ووالله لابن ابى طالب آنس بالموت من الطفل الى محالب امه. هبلتكم الهوابل لو بحت بما أنزل الله سبحانه فى كتابه فيكم. لاضطربتم اضطراب الأرشيه فى الطوى البعيدة، ولخرجتم من بيوتكم هاربين، و على وجوهكم هائمين، ولكنّى اهوّن وجدى حتّى ألقى ربّى بيد جذاء صفراً من لذّاتكم خِلواً من طحناتكم. فما مثل دنياكم عندى إلّا كمثل غيم علا فاستعلى. ثم استغلظ فاستوى. ثم تمزّق فانجلى. رويدا فعن قليل ينجلى لكم القسطل. فتجدون ثمرة. فعلكم مرّا. وتحصدون غرس أيديكم ذعافاً ممقراً. وسمّاً قاتلاً. وكفى بالله حكيماً. وبرسوله خصيماً، وبالقيمة موقفاً. فلا ابعد الله فيها سواكم. ولا اتعس فيها غيركم. والسلام على من اتّبع الهدى».

ـ فلمّا أن قرء أبوبكر الكتاب رعب من ذلك رعباً شديداً. وقال: يا سبحان الله ما أجرأه علىّ. وأنكله عن غيرى.

والألفاظ فيه، وإن كانت مختلفة إلّا أنّ الأصل واحد قطعاً.

قوله عليه السلام « ايّها الناس شقّوا أمواج الفتن » شبّه عليه السلام الفتن ببحر ذى أمواج كناية عن شدة الفتن ، وقد كان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبرهم قبل وفاته باقبال فتن عظيمة إليهم مشبّهاً لها بقطع ليل مظلم ، روى كاتب الواقدى فى طبقاته مسنداً عن أبى مويهبة مولى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من جوف الليل يا أبا مويهبة : إنّى قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع . فانطلق معى ، فخرج ، وخرجت معه حتّى جاء البقيع فاستغفر لأهله طويلاً ـ ثم قال (لِيَهنِأكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أوّلها الآخره شرّ من الاولى » .

« بسفن النجاة » وكما أخبرهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بإقبال فتن مهلكة إليهم أخبرهم بسبيل النجاة منها .

روى معارف ابن قتيبة فى أبى ذر مسنداً عن حفص بن المعتمر قال : جئت وأبوذر آخذ بحلقة باب الكعبة وهو يقول : أنا أبوذر الغفارى من لم يعرفنى فأنا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمعته يقول « مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا » .

و روى طبقات كاتب الواقدى عن أبى سعيد الخدرى أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال أنّى أوشك أن ادعى فاجيب ، وانّى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، وإنّ اللطيف الخبير أخبرنى أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض . فانظروا كيف تخلفونى فيهما .

« وعرّجوا عن طريق المنافرة » فى الأساس أصل المنافرة قولهم « أيّنا أعزّ نفراً » وفى الصحاح قال الأعشى فى علقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل :

قد قلت شعرى فمضى فيكما × و اعترف المنفور للنافر

ومعنى كلامه عليه السلام ارتقوا عن ذاك الطريق ، ولا تسلكوه لأنّه طريق ينزل

بسالكه إلى حضيض الهلكة.

«وضعوا تيجان المفاخرة» : أي ارفعوها عن رؤوسكم فتاج المفاخرة كان لبس إبليس حيث قال «انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين»[1]

وقال شاعر:

انا ابن جلا و طلّاع الثنايا × متى أضع العمامة تعرفوني

ووجه خطابه عليه السلام إلى أهل السقيفة، وقيام قريش والأنصار بالمنافرة والمفاخرة.

«افلح من نهض بجناح» في الأساس (نهض الطائر) : نشر جناحيه ليطير و (فرخ ناهض) : وفر جناحاه وقدر على الطيران.

«أو استسلم فاراح» يعني أنّ العاقل لابد له من أحد أمرين النهوض مع الجناح حتّى لا يكون كفرخ خرج من وكره قبل استقلاله بالطيران فيصير ملعبة يد الصبيان فيهلك أو الاستسلام وترك الخروج فيريح نفسه.

و مراده عليه السلام جواب من طلب منه مبايعته. فإنّ العباس وحده لم يكن كافياً في قبال قيام جميع قريش عليه وخذلان باقي الناس له. فكان عليه السلام يقول لو كان لي أربعون ناصراً لجاهدتهم.

قيل لعلي بن ميثم: لم قعد علي عليه السلام عن قتالهم لو كان له حق. قال كما قعد هرون عن السامري كان علي عليه السلام كهرون حيث يقول «يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني» — وكان نوح إذ قال «ربّ إنّي مغلوب فانتصر» — وكان لوط إذ قال «لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد»[2].

وقال أبو حنيفة لمؤمن الطاق: لم لم يطلب علي حقّه بعد وفاة النبيّ إن كان له حقّ قال: خاف أن تقتله الجنّ كما قتلوا سعد بن عبادة بسهم المغيرة.

---

(١) الاعراف ١٢.

(١) هود ٨٠.

وقال ضرار لهشام بن الحكم : هلّا دعا علىّ عليه السلام الناس عند وفاة النبىّ صلى الله عليه وآله إلى الايتمام به إن كان وصيّاً قال : لم يكن واجباً عليه لأنّه قد دعا إلى موالاته ، والايتمام به النبىّ صلى الله عليه وآله يوم الغدير ، ويوم تبوك ، وغيرهما فلم يقبلوا منه ، ولو كان ذلك جائزاً لجاز على آدم أن يدعو إبليس إلى السجود له بعد إذ دعاه ربّه إلى ذلك . ثم إنّه صبر كما صبر أولوا العزم من الرسل .

هذا وقال (حد) فى قوله عليه السلام (نهض بجناح) يقال : إنّ أبا تمام لمّا قال :

لا تسقنى ماء الملام فإنّنى × صبّ قد استعذبت ماء بكائى

بعث إليه مخلّد الموصلى بقارورة (يسأله أن يبعث له فيها قليلاً من ماء الملام) . فقال لصاحبه : قل له (يبعث إلىّ بريشة من جناح الذلّ لاستخرج بها من القارورة ما أبعثه إليه) ـ قال (حد) وهذا ظلم من أبى تمام لمخلد ، و ما الأمران سواء لأنّ الطائر إذا اعيى ذلّ وخفض جناحيه ، وكذلك الانسان إذا استسلم ألقى بيده ذلّاً ، ويده جناحه . فذاك هو الّذى حسّن قوله تعالى « و اخفض لهما جناح الذلّ »(١) ألا ترى أنّه لو قال : ساق الذلّ أو بطن الذلّ لم يكن مستحسناً .

قلت : إنّ (حد) فى اعتراضه على أبى تمام مصداق ماقيل بالفارسية :

چه بشنوى سخن اهل دل مگو كه خطا است
سخن شناس نه اى دلبرا خطا اينجا است

فلم يعب أبو تمام على مخلّد أصل استعارة خفض جناح الذلّ لإظهار الخضوع ، والمسكنة كيف وهى أحسن استعارة ، وردت فى كتاب الله تعالى وإنّما عاب عليه اثباته الريشة لجناح الذلّ ، وأىّ ربط فى ردّه بأنّ ساق الذلّ لم يكن مستحسناً ، و جناح الذل مستحسن ، ولو كان اعتراض أبى تمام

(١) الاسراء ٢٤ .

غيروارد لكان مخلد يجيبه . فإنّ الشعراء أعرف بمواقع الشعر .

«هذا ماء آجن» هكذا فى المصرية ، وكلمة (هذا) زائدة فليست فى (حد وثم ، والخطية) .

ومعنى (ماء آجن) متغيّر الطعم واللون ، و(آجن) يمكن أن يكون بالمدّ على وزن فاعل من (أجن) بالفتح (يأجن) بالضم والكسر ، وأن يكون بالفتح والكسر على وزن خشن على ماحكى عن اليزيدى .

«ولقمة يغصّ بها اكلها» هو تشبيه آخر منه عليه السلام لقيامه ذاك الوقت الّذى لم يكن له أعوان بكونه كلقمة تبقى فى حلق آكلها ككونه كجرعة من آجن لا يسيغها شاربها .

وقال (حد) فى معنى (ماء آجن ولقمة يغصّ بها آكلها) (يعنى أنّ الإمرة على الناس وخيمة العاقبة ذات مشقّة فى العاجلة . فهى فى عاجلها كالماء الآجن يجد شاربه مشه ، وفى آجلها كاللقمة المذكورة ، ويجوز أن يكون عنى عليه السلام الإمرة المخصوصة يعنى بيعة السقيفة .

وهو كما ترى بلا ربط . فليس عليه السلام فى مقام ذم الإمارة ، ولا فى مقام بيان مفاسد بيعة السقيفة بل ماعرفت من قيامه عليه السلام : روى أنّ زرارة قال للصادق عليه السلام : ما منع أمير المؤمنين عليه السلام أن يد عو الناس إلى نفسه؟ قال : خاف أن يرتدّوا . فلا يشهدوا أنّ محمّدا صلى الله عليه وآله رسول الله .

هذا ، ويناسب قوله عليه السلام (ولقمة يغص بها آكلها) مانقلوا أنّ أبا تراب النخشبى ـ وكان من الزهاد ـ قال : ما ما تمنّت نفسى علىّ إلّا مرّة كنت فى سفر فتمنّت علىّ خبزاً وبيضاً . فعدلت من الطريق إلى قرية . فلمّا دخلتها وثب علىّ رجل ، وقال : إنّ هذا كان مع اللصوص . فبطحونى فضربونى سبعين جلدة . فوقف علينا رجل يعرفنى . فصرخ هذا أبوتراب النخشى . فأقامونى ، و ـ اعتذروا إلىّ . وأدخلنى الرجل منزله ، وقدّم إلىّ خبزاً وبيضاً . فقلت لنفسى : كل

الخبز والبيض بعد سبعين جلدة .

«ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها» هو تشبيه ثالث: أى قيامى فى هذا الوقت كاجتنا ثمره غير يانعة لا ينتفع مجتنيها بها .

«كالزارع بغير ارضه» هو تشبيه رابع أى قيامى فى هذا الوقت كمن زرع فى غير أرضه . فلا يبقى الزرع له .

وهو خبر بعد خبر للمبتدا المقدر ، وهو (قيامى) حذف لمعلوميته ، وإنما وصل عليه السلام الثلاثة الأولى ، وفصل هذا الأن الاولى من واد ، وهذا من آخر مع احتمال سقوط (أو) من نسخة نقل عنها المصنف .

وتوهم (حد ، وثم ، وخو) كون هذا خبراً لقوله (ومجتنى) فقالوا فى معناه (مجتنى الثمرة قبل أن تدرك لا ينتفع بما اجتناه كمن زرع فى غير ارضه) ولا معنى لما قالوه . فلا يريد عليه السلام ان يبيّن عدم فائدة اجتناء ثمرة غير يانعة حتى يجعله كالزارع بغير أرضه بل كلّ منهما واضح كونه أمراً غير عقلائى .

ونظير تشبيهه عليه السلام فى (الزارع بغير أرضه) قول أعشى تغلب فى مدرك الكنانى لما مدحه فأساء ثوابه بكونه كبانى حوض فى موضع بلا ماء :

لعمرك أنى يوم أمدح مالكا × لكالمبتنى حوضاً على غير منهل

هذا ، ونظير ما ذكره عليه السلام فى عدم المصلحة لقيامه ذاك الوقت ما ذكره الصادق عليه السلام لما استنهضوه فى اول أمر العباسية ـ ففى مروج المسعودى لما قتل ابرهيم الامام خاف أبو سلمة وزير العباسية انتقاض الأمر عليه . فبعث بمحمد بن عبد الرحمن بن أسلم ، وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ، وإلى أبى محمد عبد الله بن الحسن يدعو كلّ واحد منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه ، ويجتهد فى بيعة أهل خراسان له ، وقال للرسول العجل العجل . فلا تكونن كوافد عاد . فقدم المدينة على أبى عبد الله عليه السلام ليلاً ، واعلمه أنه رسول أبى سلمة إليه ، ودفع إليه كتابه . فقال له

أبوعبد الله عليه السلام : وما أنا وأبوسلمة ، وهوشيعة لغيرى قال له : إنّى رسول فتقرأ كتابه ، وتجيبه بما رأيت فدعا بسراج . ثم أخذ الكتاب فوضعه عليه حتّى احترق وقال للرسول : عرّف صاحبك بما رأيت — ثم تمثّل عليه السلام بقول الكميت :

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها × ويا حاطباً فى غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده ، ودخل على عبد الله بن الحسن ، فدفع إليه الكتاب فقراه ، وابتهج . فلمّا كان غد ذلك اليوم ركب حماراً حتّى أتى منزل أبى عبد الله عليه السلام . فلمّا رآه أكبر مجيئه . فقال : أمرمّا أتى بك؟ قال : نعم هو أجلّ من أن يوصف هذا كتاب أبى سلمة يدعونى ، وقد قدمت عليه شيعتنا من خراسان فقال عليه السلام له : ومتى كان أهل خراسان شيعة لك أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان أنت أمرته بلبس السواد ، وهؤلاء الّذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أووجّهت فيهم ، وهل تعرف منهم أحداً — فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام . فقال عليه السلام له «ولقد كتب إلىّ أبوسلمة بمثل ماكتب به إليك . فلم يجد رسوله عندى ماوجد عندك ، ولقد احرقت كتابه من قبل أن أقراه» فانصرف عبد الله بن الحسن مغضباً ، ولم ينصرف رسول أبى سلمة إليه إلى أن بويع السفاح بالخلافة .

«فإن اقل يقولوا حرص على الملك» فى خلفاء ابن قتيبة — بعد ذكر عمر ستّة الشورى ، وبيانه عيبا لكلّ منهم — وقال لعلىّ عليه السلام « ومايمنعنى منك إلا حرصك عليها وأنّك أحرى القوم إن وليتها تقيم على الحقّ المبين والصراط المستقيم » .

وفيه أيضاً وفى كتاب ابرهيم الثقفى عنه عليه السلام قال فى أهل الشورى : فاجمعوا إجماعاً واحداً . فصرفوا الولاية إلى عثمان ، واخرجونى منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يئسوا أن ينالوها من قبلى . ثم قالوا : هلمّ فبايع ، وإلّا جاهدناك . فبايعت مستكرهاً ، وصبرت محتسباً . فقال : قائلهم يا ابن أبى طالب إنّك على هذا الأمر لحريص . فقلت : أنتم أحرص منّى ، وأبعد أينا أحرص أنا —

الّذى طلبت تراثى ، وحقّى الّذى جعلنى الله ورسوله أولى به أم أنتم تضربون وجهى دونه ، وتحولون بينى وبينه . فبهتوا والله لا يهدى القوم الظالمين .

«وإن أسكت يقولوا : جزع من الموت هيهات» يعنى أن يكون سكوتى جزعاً من الموت بل لعهد النبىّ صلى الله عليه وآله إلىّ بالتسليم لئلّا يرتدّ الناس إلى الكفر .

«بعد اللتيا» بالفتح والتشديد . قال الثعالبى فى أوهام خواصّه : ضمّ اللام لحن فاحش لأنّ العرب خصّت (الّذى) و (الّتى) وأسماء الإشارة ـ عند تصغيرها بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها وبأن زادت ألفاً فى آخرها عوضاً عن ضم اولها .

«والّتى» فى أمثال الكرمانى (اللتيا والّتى) علمان للداهية ولذا استغنيا عن الصلة و (الّتى) داهية لم تبلغ النهاية و (اللتيا) داهية بالغة للنهاية وتصغيرها للتعظيم كقوله :

دويهية تصفرّ منها الأنامل .

وقال (ثم) (بعد اللتيا والّتى) مثل ، وأصله أنّ رجلاً تزوّج امرئة قصيرة سيّئة الخلق . فقاسى منها شدائد . فطلّقها ، وتزوّج طويلة . فقاسى منها أضعاف ما قاسى من القصيرة فطلّقها ، وقال «بعد اللتيا والّتى لا أتزوّج أبداً» فصار مثلاً قلت : لم يذكر ذلك أمثال العسكرى ، ولا الميدانى ، ولا أدرى من أين نقله .

وكما خصّت (اللتيا) بإبقاء فتحها كترك صلة لها كذلك بعدم ذكرها إلّا مع (الّتى) كما فى كلامه عليه السلام هنا ، وكما فى كلام سيّدة النساء صلوات الله عليها فى احتجاجها مع أبى بكر فى فدك (فانقذكم الله تعالى بمحمّد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والّتى ، وبعد أن بلى ببهم الرجال) ـ وكما فى قول شاعر :

بعد اللتيا والتى إذا × علتها نفس تردّت

أيضاً :

ولقد رأيت نأى العشيرة كلّها × وكفيت جانبها اللتيا والتى

ومن الأخير يعلم أنّ ذكر (بعد) قبل ليس بلازم وإن كان كثيراً .

هذا وفي اللسان (وتصغير الّتي واللاتي واللات اللتيّا واللُتيّا بالفتح والتشديد قال العجّاج :

دافع عني بنفير موتتي × بعد اللُتيا واللَتيا والّتي

اذا علتها نفس تردّ ت

« واللّه لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أُمّه » كان عليه السلام متفرداً بهذا الكلام كما بقوله « لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا » قلنا : إنّه عليه السلام متفرد بذلك لأنّ الأخبار وردت بأنّ الأنبياء من آدم الّذي وهب مقداراً من عمره لداود إلى غيره حتّى ابرهيم عليه السلام الّذي كان أشرف أُولي العزم كانوا متوحشين من الموت . ففي الخبر لمّا هبط ملك الموت لقبض روح ابرهيم عليه السلام قال له : أداع أم ناع ؟ قال : بل ناع . فقال : هل رأيت خليلاً يميت خليله ، فقال : إلهي سمعت ما قال خليلك . فقال تعالى : قل له : هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه إنّ الحبيب يحبّ لقاء حبيبه .

وأمّا قصّة آدم . فروى الكافي في أوّل كتاب شهاداته عن عبد اللّه بن سنان عن الصادق عليه السلام ـ في خبر ـ إنّ ابن شبرمة القاضي قال له : ما تقول في شيء سألني عنه الأمير ـ أي عيسى بن موسى العباسي ـ فلم يكن عندي فيه شيء . فقال : وما هو قال : سألني عن أوّل كتاب كتب في الأرض قال : نعم إنّ اللّه ـ عزّ وجلّ ـ عرض على آدم عليه السلام ذرّيته عرض العين في صور الذر نبيّاً فنبيّاً ، وملكاً فملكاً ومؤمناً فمؤمناً ، وكافراً فكافراً ، فلمّا انتهى إلى داود عليه السلام قال : من هذا الّذي نبّيته ، وكرّمته ، وقصّرت عمره . فأوحى إليه هذا ابنك داود عمره أربعون سنة ، واني كتبت الآجال ، وقسمت الأرزاق ، وأنا أمحو ما أشاء ، وأثبت وعندي أُمّ الكتاب . فإن جعلت له شيئاً من عمرك ألحقته له . قال : يا ربّ قد جعلت له من عمري ستّين سنة تمام المائة . فقال ـ عزّ وجلّ ـ لجبرئيل و ميكائيل ، وملك

الموت اكتبوا عليه كتاباً . فإنه سينسى . فكتبوا عليه كتاباً وختموه . بأجنحتهم من طينة عليين . فلمّا حضرت آدم الوفاة أتاه ملك الموت . فقال له آدم : ماجاء بك ؟ قال : لأقبض روحك . قال : قد بقى من عمرى ستّون سنة . فقال : إنّك ـ جعلتها لابنك داود ، ونزل عليه جبرئيل واخرج له الكتاب ـ قال أبوعبدا للّه عليه السلام فمن أجل ذلك إذا خرج الصك على المديون ذلّ ـ فقبض روحه

وأمّا هو عليه السلام فروى نصر بن مزاحم فى صفّينه مسنداً عن حبّة العرنى قال: لمّا نزل علىّ عليه السلام الرقّة بمكان يقال له : بليخ على جانب الفرات نزل راهب من صومعته . فقال لعلىّ عليه السلام : إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه عيسى بن مريم عليه السلام اعرضه عليك ؟ قال : نعم فما هو قال هو (بسم اللّه الرحمن ـ الرحيم الّذى قضى فى ماقضى ، وسطر فى ماسطر أنّه باعث فى الآميين . رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ، ويدلّهم على السبيل لا فظّ ولا غليظ ، ولا صخّاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسّيّئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح أُمّته الحمادّون ـ الّذين يحمدون اللّه على كلّ نشز ، وفى كلّ صعود وهبوط . تذلّ ألسنتهم بالتهليل ، والتكبير . ينصره اللّه على كلّ من ناواه . فإذا توفّاه اختلفت أُمّته . ثم اجتمعت فلبثت بذلك ، اشاء اللّه . ثم اختلفت فيمرّ رجل من أُمّته بشاطئ هذا الفرات . يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويقضى بالحقّ ، ولا يرتشى فى الحكم الدنيا أهون عليه من الرماد فى يوم عصفت فيه الريح ، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمأ) ـ الخبر

ومثله عليه السلام كانت سيّدة النساء ـ صلوات اللّه عليها ـ ففى طبقات ـ كاتب الواقدى عن عايشة قالت : إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم دعا ابنته فاطمة فى وجعه الّذى توفّى فيه . فسارّها بشئ . فبكت . ثم سارّها فضحك . فسألتها . فقالت : أخبرنى أبى أنّه يقبض فى وجعه هذا فبكيت . ثم أخبرنى أنّى أوّل أهله لحاقا به فضحكت .

وكذلك كان باقى أئمتنا عليهم السلام ـ وفى اعتقادات الصدوق قال الحسين عليه السلام يوم الطف لبعض أصحابه ـ وكان تعجب من عدم مبالاته بالموت ما الموت إلا قنطرة تعبربكم عن البؤس ، والضر إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم .

وفيه وقال السجاد عليه السلام : الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة . وفك قيود ، وأغلال ثقيلة ، والاستبدال بأفخر الثياب ، وأطيبها روائح وأوطئ المراكب ، وآنس المنازل ـ الخبر .

هذا وقيل فى مدح الموت أشعار كثيرة منها :

وما الموت إلا راحة غير أنها × من المنزل الفانى إلى المنزل الباقى

أيضاً :

جزى الله عنا الموت خيراً فإنه × أبر بنا من كل بر وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الأذى × ويدنى من الدار التى هى أشرف

أيضاً :

قد قلت إذ مدحوا الحيوة فاسرفوا × فى الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه × وفراق كل معاشر لا ينصف

أيضاً :

من كان يرجو أن يعيش فإننى × أصبحت أرجو أن أموت فاعتقا
فى الموت ألف فضيلة لو أنها × عرفت لكان سبيله أن يعشقا

أيضاً :

نحن والله فى زمان غشوم × لو رأيناه فى المنام فزعنا
أصبح الناس فيه من سوء حال × حق من مات منهم أن يهنا

«بل اندمجت» : أى انطويت .

«على مكنون علم» : أى مصونه ومستوره عن العامة .

«لوبحت به» :أى أظهرته من (باح الرجل بسرّه) أظهره .

«لاضطربتم اضطراب الأرشية» :الأرشية جمع الرشاء :حبل يستقى به من البئر ـ (والرشوه) قيل إنّهامن هذا لأنّه يتوصّل بهاإلى الحاجة كما يتوصل بالحبل إلى الماء ،وقيل: إنّهامن (رشا الفرخ) :إذا مدّرأسه إلى أمّه لتزقّه .

«فى الطوى البعيدة» :أى فى البئر العميقة ،وبحسب ازدياد العمق يزداد اضطراب الحبل .

كان هو عليه السلام وأهل بيته ،وخواص شيعته يكتمون كثيراً ممّا يعلمون عن كثيرمن الناس لعدم استعدادهم لفهمه ـ وفى كتاب سليم بن قيس قال أميرالمؤمنين عليه السلام :لوحدّثت عامّة شيعتى الذين سمونى اميرالمومنين واستحلوا جهاد من خالفنى ببعض ما أعلم ممّا نزل به جبرئيل عليه السلام وسمعته من النبىّ صلّى اللّه عليه وآله لتفرّقوا عنّى حتّى أبقى فى عصابة حقّ قليله أنّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرفه ، ولا يقرّ به إلّا ثلاثة ملك مقرّب أونبىّ مرسل أوعبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للايمان .

وعن السجاد عليه السلام ـ كمافى فواتح الميبدى ثم وافى الكاشانى ،وإن نسبها الخطيب إلى العتابى .

إنّى لأكتم من علمى جواهره × كيلايرى الحقّ ذوجهل فيفتتنا
وقد تقدّم فى هذا أبوحسن × إلى الحسين ووصّى قبله الحسنا
وربّ جوهرعلم لوأبوح به × لقيل لى أنت ممّن يعبد الوثنا
ولا ستحلّ رجال مسلمون دمى × يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وفى الحلية عن أبى داود قال :كنّا يوماًعند شعبة ،وفى البيت جراب معلّق فى السقف .فقال :أترون ذلك الجراب ،واللّه لقد كتبت فيه عن الحكم عن ابن أبى ليلى عن علىّ ـ كرّم اللّه وجهه ـ عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ما لوحدّثتكم

به لرقصتم ، والله لاحدّثتكموه .

وفي الكافي قيل لأبي جعفر الباقر عليه السلام : يزعم الحسن البصري أنّ الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار . فقال عليه السلام : فهلك إذن مؤمن آل فرعون مازال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً ، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله مايوجد العلم إلّا ههنا .

وفي عيون القتيبي قال سلمان : لوحدّثت الناس بكلّ ماأعلم لقالوا : رحم الله قاتل سلمان .

وفي رجال الكشّي عن الصادق عليه السلام قال سلمان في خطبته : أيّها الناس اسمعوا من حديثي . ثم اعقلوا عنّي قد أُوتيت العلم كثيراً ، ولو أخبرتكم بكلّ ما أعلم لقالت طائفة : إنّه لمجنون ، وقالت طائفة : اللهمّ اغفر لقاتل سلمان . ألا إنّ لكم منايا يتبعها بلايا . فإنّ عند عليّ عليه السلام علم المنايا وعلم الوصايا ، وفصل الخطاب على منهاج هرون بن عمران . قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : أنت وصيي و خليفتي في أهلي بمنزلة هرون من موسى ، ولكنكم أصبتم سنّة الأوّلين ، وأخطأتم سبيلكم ، والّذي نفس سلمان بيده لتركبن طبقاً عن طبق سنّة بني اسرائيل بالقذّة أما والله لو وليتموها عليا لاكلتم من فوقكم ، ومن تحت أرجلكم . فابشروا بالبلاء . و اقنطوا من الرخاء ، وانذرتكم على سواء ، وانقطعت العصمة ممّا بيني وبينكم من الولاء ـ الخبر .

وفي استيعاب ابن عبد البر سئل عليّ عليه السلام عن أبي ذر . فقال : ذاك رجل وعى علماً عجز عنه الناس ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئاً منه .

و روى المرتضى في شافيه أنّ الشعبي كان يقول كان عند عبد الله بن عباس دفائن علم يعطيها أهله ، ويصرفها عن غيرهم ـ وكان حذيفة يقول : كان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه عن الخير ، وأنا أسأله عن الشرّ مخافة أن أقع فيه ، و كان يقول : لوكنت على شاطئ نهر ، وقد مددت يدي لاغترف . فحدّثتكم بكلّ ما

اعلم ماوصلت يدى إلى فمى حتّى اقتل .

و روى الخطيب عن عيسى بن يونس قال : حدّثنا الأعمش بأربعين حديثاً فيها ضرب الرقاب لم يشركنى فيها غيرمحمّد بن إسحق ربما قال الأعمش لمحمّد بن اسحق : من معك؟ فيقول : عيسى بن يونس. فيقول : ادخلا واجيفا الباب ـ و كان يسأله عن حديث الفتن .

قلت : وهل تحتمل أن يكون حديث لوحدّثهم سلمان لقالوا : رحم الله قاتله ، ولوحدّثهم حذيفة ما أمهلوه حتّى يشرب مائه الّذى اغترفه من النهر ليشربه ولوحدّثهم الأعمش كان فيه ضرب الرقاب إلّا بطلان أمر الأوّلين كيف لا وكان ـ مالك بن نويرة خاطب خالد بن الوليد فى التعبير عن أبى بكر بصاحبك . فقتله خالد لذلك ، ومعاوية ومن بعده من خلفاء بنى أميّة لا يمهلون أحداً يتفوّه بإنكار خلافتهم حفظاً لسلطنتهم ، وكذلك العباسيّة ، وقد خوّف معاوية الحسن عليه السلام لمّا قال : إنّ قريشاً آثروا علينا بأنّك صرّحت بتهمة أبى بكر الصدّيق ، و عمر الفاروق وأبى عبيدة الأمين .

ولقد صدق عليه السلام فى أنّه اندمج على مكنون علم لوباح به لمن كان ميله إليه عمّه و غيره اضطربوا اضطراب الأرشية فى الطوى البعيدة . فكيف كانوا يخلّونه يتصدى للأمر مع أنّه بعد مضىّ ثلاثة منهم ، وبعد ماقاسوا من ثالثهم حتّى ـ اضطروا إلى قتله دفعاً لشرّه باستيلائه لبنى أميّة على الناس ، وأخذهم مال الله دولا ، وعباده خولا ، وبعد بيعة العامة له عليه السلام بتلك الكيفية حتّى شقّوا من الشوق والولع إلى بيعته عطفيه ، ووطؤا الحسنين عليهما السلام ماتركوه والناس بل نكثت طائفة منهم ، وقسطت أخرى ، ومرقت ثالثة حتّى قتلوه وخضبوا لحيته من رأسه ـ وكان عليه السلام عالما بجميع ذلك كما يعلم من أخباره عليه السلام بخصوصيات مايتّفق قبل وقوعها فى الجمل وصفّين والنهروان . فقد أخبر فى النهروان بأنّه لا يقتل من أصحابه عشرة ، ولا يفلت من المارقة عشرة ، وأنّ مصارعهم دون النطفة

وكون شيطان الردهه ذى الثديّة فيهم حتّى أنّهم لمّا قالوا له لا نجد فيهم ـ قال عليه السلام : ما كذبت ولا كذبت ، وقام بنفسه حتّى أخرجه من تحت قتلاهم ـ إلى غير ذلك

١٨/ فى ٢٥ / ١ / ومنها فَنَظَرْتُ فَاِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ اِلَّا اَهْلُ بَيْتِي فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ، وَاَغْضَيْتُ عَنِ الْقَذٰى ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجٰى ، وَ صَبَرْتُ عَلَى اَخْذِ الْكَظَمِ ، وَعَلٰى اَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ .

و فى ١٦٧/ ١/ (منها) وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : اِنَّكَ عَلٰى هٰذَا الْاَمْرِ يَا ابْنَ اَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ . فَقُلْتُ : بَلْ اَنْتُمْ وَاللّٰهِ اَحْرَصُ وَاَبْعَدُ ، وَاَنَا اَخَصُّ وَ اَقْرَبُ ، وَ اِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي ، وَاَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ . فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَاَنَّهُ بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ اَللّٰهُمَّ اِنِّي اَسْتَعْدِيكَ عَلٰى قُرَيْشٍ ، وَمَنْ اَعَانَهُمْ . فَاِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي وَاَجْمَعُوا عَلٰى مُنَازَعَتِي اَمْرًا هُوَ لِي ثُمَّ قَالُوا : اَلَا اِنَّ فِي الْحَقِّ اَنْ تَاْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ اَنْ تُتْرَكَهُ .

وفى ٢١٢/ ١/ (ومن كلام له عليه السلام) (اَللّٰهُمَّ اِنِّي اَسْتَعْدِيكَ عَلٰى قُرَيْشٍ ، وَمَنْ اَعَانَهُمْ . فَاِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَاَكْفَاُوا اِنَائِي ، وَاَجْمَعُوا عَلٰى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ اَوْلٰى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : اَلَا اِنَّ فِي الْحَقِّ اَنْ تَاْخُذَهُ ، وَ

فِي الْحَقِّ اَنْ تُمْنَعَهُ . فَاصْبِرْ مَغْمُوماً اَوْمُتْ مُتَأَسِّفاً . فَنَظَرْتُ فَاِذا لَيْسَ لِي رافِدٌ ، وَلا ذابٌّ وَلا مُساعِدٌ اِلَّا اَهْلُ بَيْتِي . فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ . فَاَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى اَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفارِ) .

وَقَدْ مَضَى هٰذَا الكَلام فى اَثْناءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ اَلَا اِنِّى كَرَّرْتُهُ هُنا لاخْتِلافِ الرِّوايَتَيْن .

وفي ٣٦ / ٢ / في كتابه عليه السلام اِلى عقيل (فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكاضَهُمْ فِي الضَّلالِ وَتَجْوالَهُمْ فِي الشِّقاقِ ، وَجِماحَهُمْ فِي التِّيهِ . فَاِنَّهُمْ قَدْ اَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَاِجْماعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَبْلِي : فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّى الْجَوازِى . فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَسَلَبُونِي سُلْطانَ ابْنِ اُمِّي .

أقول : الأصل فى الثلاثة الاُولى هو كتاب كتبه عليه السلام للناس ليخطب به عبيد اللّه بن أبى رافع لما سأله الناس عن قوله فى أبى بكر و عمر و عثمان بعد فتح معاوية لمصر ، وقتله محمّد بن أبى بكر . شرح عليه السلام فى كتابه ذاك الأمر من بعثة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى وفاته ، وأيام أبى بكر و عمر و عثمان . ثم بيعة الناس له . ثم قيام الناكثة والقاسطة ، والمارقة عليه . ثم غارات معاوية ، وخذلان الناس له .

والعناوين الثلاثة الاُولى كلامه عليه السلام من ذاك الكتاب فى بيان حال قريش يوم الشورى ، واتّفاقهم على صرف الأمر عنه عليه السلام إلى عثمان . ذكر ذاك الكتاب الثقفى فى غاراته ، والقتيبى فى خلفائه ، والكلينى فى رسائله . وابن رستم

الطبرى فى مسترشده .

قال الثقفى والقتيبى ـ فى جملة نقلهما الكتاب ـ «فجعلنى الثانى سادس ستة . فما كانوا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولايتى لأنهم كانوا يسمعوننى ، وأنا احاجّ أبا بكر . فأقول : يا معشر قريش إنّا أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن ويعرف السنّة ، ويدين بدين الحق فخشى القوم ان اناوليت عليهم ألّا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا . فأجمعوا إجماع رجل واحد حتّى صرفوا الأمر عنّى لعثمان ، وأخرجونى منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يأسوا أن ينالوها من قِبلى . ثم قالوا : هلمّ فبايع عثمان والإجاهد ناك . فبايعت مستكرها ، وصبرت محتسباً . فقال : قائلهم : يا ابن أبى طالب إنّك على هذا الأمر لحريص فقلت لهم : أنتم أحرص منّى وابعد اينّا أحرص . أنا الّذى طلبت تراثى ، وحقّى الّذى جعلنى اللّه ورسوله أولى به أم أنتم تضربون وجهى دونه ، وتحولون بينى وبينه . فبهتوا واللّه لا يهدى القوم الظالمين . اللّهمّ إنّى استعين بك على قريش . فإنّهم قطعوا رحمى ، وأضاعوا أيّامى ، وصغّروا عظيم منزلتى وفضلى ، وأجمعوا على منازعتى حقا كنت أولى به منهم فسلبونيه . ثم قالوا : ألا إنّ فى الحق أن نأخذه وفى الحق أن تمنعه . فاصبر كمداً . أومت أسفاً حنقاً . فنظرت فإذا ليس معى رافد ولا ذابّ ؟ لا ناصر ولا مساعد إلّا أهل بيتى . فضننت بهم عن المنيه . فاغضيت عينى على القذى ، وتجرّعت ريقى على الشجى ، وصبرت من كظم الغيظ على امرّ من العلقم ـ وفى الأوّل ـ آلم للقلب من حزّ الشفار ـ وفى الثانى ـ وآلم للقلب من حزّ الحديد .

وقال محمّد بن يعقوب «ولم يكونوا لولاية أحد منهم أكره لولايتى كانوا يسمعون وأنا احاجّ أبا بكر ، وأنا أقول : يا معشر قريش إنّا أحق بهذا الأمر منكم . ما كان منّا من يقرأ القرآن ويعرف السنّة ، ويدين بدين الحق ، وإنّما حجّتى أنّى ولىّ هذا الأمر دون قريش إنّ نبىّ اللّه قال «الولاء لمن اعتق» فجاء الرسول ـ

صلى الله عليه وآله بعتق الرقاب من النار، واعتقها من الرق. فكان للنبىّ ﷺ ولاء هذه الأمّة، وكان لى بعده ما كان له. فما جاز لقريش من فضلها على غيرها بالنبىّ ﷺ جاز لبنى هاشم على قريش، وجاز لى على بنى هاشم بقول النبىّ صلّى الله عليه وآله يوم غدير خم «من كنت مولاه فهذا على مولاه» إلّا أن تدّعى قريش فضلها على العرب بغير النبىّ ﷺ فإن شاؤا فليقولوا ذلك فخشى القوم إن أنا وليت عليهم أن آخذ بأنفاسهم، واعترض فى حلوقهم، ولا يكون لهم فى الأمر نصيب فاجمعوا علىّ إجماع رجل واحد حتّى صرفوا الولاية عنّى إلى عثمان رجاء أن ينالوها ويتداولونها بينهم. فبينا هم كذلك إذ نادى منادٍ لا يدرى من هو، وأظنّه جنيّاً فأسمع أهل المدينة ليلة بايعوا عثمان. فقال:

يا ناعى الاسلام قم فانعه × قد مات عرف وبدا منكر
ما لقريش ـ لاعلا كعبها ـ × من قدّموا اليوم ومن اخّروا
إنّ عليّاً هو أولى به × منه فواسوه ولا تنكروا

فكان لهم فى ذلك عبرة، ولولا أنّ العامّة قد علمت بذلك لما ذكره فدعونى إلى بيعة عثمان. فبايعت مستكرهاً، وصبرت محتسباً، وعلمت أهل القنوت أن يقولوا «اللّهمّ لك أخلصت القلوب، وإليك شخصت الأبصار وأنت دعيت بالألسن وإليك تحوكم الاعمال. فافتح بيننا وبين قومنا بالحق. اللهم إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا، وكثرة عدوّنا، وقلّة عددنا، وهواننا على الناس، وشدّة الزمان، ووقوع الفتن بنا اللّهمّ. ففرّج ذلك بعدل تظهره، وسلطان حق تعرفه» ـ

فقال عبد الرحمن بن عوف: يا ابن أبى طالب إنّك على هذا الأمر لحريص. فقلت: لست عليه حريصاً، وانّما أطلب ميراث رسول الله ﷺ وحقّه، وأنّ ولاءه منّه لى بعده، وأنتم أحرص عليه منّى إذ تحولون بينى وبينه، وتضربون وجهى دونه بالسيف. اللّهمّ إنّى أستعديك على قريش. فإنّهم قطعوا رحمى، و أضاعوا أيّامى، ودفعوا حقّى، وصغّروا قدرى، وعظيم منزلتى، وأجمعوا على

منازعتي حقّاً كنت أولى به منهم فاستلبونيه ثم قالوا : اصبر مغموماً اومت متأسفاً : وأيم الله لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي كما قطعوا سببي فعلوا ، ولكنّهم لا يجدون إلى ذلك سبيلاً — إلى أن قال — .

وقال لي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : يا ابن أبي طالب لك ولاء أمّتي . فإن ولّوك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم ، وإن اختلفوا عليك . فدعهم وما هم فيه . فإنّ الله سيجعل لك مخرجاً . فنظرت فإذا ليس لي رافد ، ولا معي مساعد إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن الهلاك ، ولو كان لي بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عمّي حمزة ، وأخي جعفر لم أبايع كرهاً ، ولكنّي بليت برجلين حديثي عهد بالاسلام العباس وعقيل . فاغضيت عيني على القذى وتجرّعت ريقي على الشجى ، وصبرت على امرّ من العلقم وآلم للقلب من حزّ الشفار) — ومثله قال ابن رستم الطبري مع اختلاف يسير .

وأما العنوان الرابع فذكره ابن قتيبه جواب كتاب أخيه عقيل ، وقد كان وصل إليه كتابه في الطريق لمّا شخص عليه السلام من المدينة إلى البصرة .

وفي كتاب عقيل إليه عليه السلام وانّي خرجت معتمراً . فلقيت عايشة معها طلحة والزبير وذوهما متوجّهون إلى البصرة . قد أظهروا الخلاف ، ونكثوا البيعة ، وركبوا عليك قتل عثمان ، وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم وأوباشهم . ثم مرّ عبد الله بن أبي سرح في نحو أربعين راكباً من ابناء الطلقاء من بني أميّة . فقلت لهم — وعرفت المنكر في وجوههم — أبمعاوية تلحقون عداوة لله تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمره — إلى أن قال —

فكتب علي عليه السلام في جوابه (تذكر في كتابك انّك لقيت ابن أبي سرح في أربعين من أبناء الطلقاء من بني أميّة متوجّهين إلى الغرب ، وابن أبي سرح طالما كاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصدّ عن كتابه وسنّته وبغاها عوجاً . فدع ابن أبي سرح ، وقريشاً وتركاضهم في الضلال . فإنّ قريشاً اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل اليوم ، وجهلوا حقّي ، وجحدوا فضلي

ونصبوا لى الحرب ، وجدّوا فى إطفاء نور الله . اللّهمّ فاجزعنّى قريشاً بفعالها فقد قطعت رحمى ، وظاهرت علىّ ، وسلبتنى سلطان ابن عمى ، وسلمت ذلك لمن ليس فى قرابتى ، وحقّى فى الإسلام ، وسابقتى الّتى لا يدعى مثلها مدّع إلّا أن يدعى مالا أعرف ، ولا أظن اللّه يعرفه

ونقله الأغانى فى الجزء الخامس عشر من كتابه فى عنوان ذكر الخبر فى مقتل ابنى عبيد اللّه بن العباس راوياً له باسناده عن أبى مخنف ، عن سليمان بن أبى راشد ، عن ابى الكنود عبد الرحمن بن عبيد .

و رواه غارات الثقفى كما نقله (حد) عند ذكر خطبته عليه السلام « أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم » .

قوله فى العنوان الأوّل « فنظرت فإذا ليس معين إلا اهل بيتى . فضننت بهم عن الموت » . وفى العنوان الثالث « فنظرت فإذا ليس رافد ، ولا ذابّ ولا مساعد إلّا أهل بيتى . فضننت بهم عن المنية » الأصل فيهما واحد — وقد عرفت أنّه عليه السلام قاله لمّا اتفق قريش الطلقاء مع عبد الرحمن بن عوف حكم عمر على صرف الامر عنه عليه السلام إلى عثمان ، وأنّهم قالوا له أن لا تبايع عثمان نقاتلك ، وقد كان عمر أيضاً دعا قبل موته أبا طلحة الأنصارى ، وقال له : كن فى خمسين رجلاً من قومك فاقتل من أبى من ستّة الشورى حكمى وحكمية ابن عوف ، وقد كان علم أنّ الآبى منهم إنّما هو أمير المؤمنين عليه السلام فنظر عليه السلام فلم يره رافداً ومعيناً ، ولا ذابّاً ومدافعاً عنه ، ولا مساعداً له وناصراً إلّا أهل بيته . فان أرادوا الدفاع عنه عليه السلام قتلوا كما قتل أهل بيت الحسين عليه السلام يوم الطف لمّا ساعدوه . فضنّ عليه السلام اى بخل بهم لنفاسهتم عن المنية أى الموت ، والأصل فى الضّنّة البخل عن شئ نفيس يقال « علق مضنّة » : أى شئ نفيس علق القلب به فلا يرضى ببذله .

ونفاسة أهل بيته عليهم السلام معلومة ، وقد أخبر اللّه سبحانه عن نفاستهم فى قوله — عزّ اسمه — « إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم

تطهيرا »[1] .

وكذلك أخبر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن نفاستهم في قوله «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، وفي قوله «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض وإن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً » .

ولأنّ بهم قوام الأرض كما بالكواكب قوام السماء ، ولو هلكوا لهلك أهل الأرض ، ولأنّهم كانوا حجّة على عباده ، ولا يخلي ـ عزّ اسمه ـ أرضه من حجّة طرفة عين .

وقوله عليه السلام في الأوّل «واغضيت على القذى» وأمّا ما في المصرية (عن القذى) بدل (على القذى) فتصحيف .

«وشربت على الشجى ، وصبرت على أخذ الكظم ، وعلى امرّ من طعم العلقم» وفي (ثم) الّذي نسخته بخط مصنّفه (من العلقم) بدل (من طعم العلقم) وقوله عليه السلام في الثالث «فاغضيت على القذى ، وجرعت ريقي على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على امرّ من العلقم ، وآلم للقلب من حزّ الشفار» أيضاً الأصل فيهما واحد كما عرفت .

و (الإغضاء على القذى) الّذي معناه غضّ البصر على ما دخل فيه من التراب كرهاً ـ وكان عليه السلام في إكراههم له على بيعة عثمان مصداق ما قيل (الكريم ربّما أغضى وبين جنبيه نار الغضا) (والشرب على الشجى) و(جرع الريق على الشجى) معناه أن يكون اعترض في حلقه شئ حتى يجفّ لعابه . فيكون شربه ، وطلب الرطوبة لحلقه حتّى يتنفس في غاية الشدّة ـ وكان عليه السلام في ذلك مصداق ما قيل (عليك بالكظم ، وإن شجيت بالعظم) .

وصبر عليه السلام من كظم الغيظ على امرّ من العلقم ـ والعلقم شجر مرّ ـ ويقال

---

(١) الاحزاب ٣٣ .

للحنظل وكلّ شئ مرّ علقم ـ وقال في ذلك السيّد الحميرى :

لم يشكروا لمحمّد إنعامه × أفيشكرون لغيرٍ إن أنعما
الله منّ عليهم بمحمّد × وهداهم وكسا الجلود واطعما
ثم انهروا لوصيّه ووليّه × بالمنكرات فجرّعوه العلقما

وصبر عليه السلام في ذلك على آلم للقلب من حزّ الشفار : أى قطع السكّين . روى الجوهرى والثقفى فى سقيفتيهما و(عوانه) فى(شوراه) عن الشعبى عن ـ عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال : كنت جالساً بالمسجد حين بويع عثمان فجئت إلى المقداد . فسمعته يقول «والله ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت ـ وكان عبد الرحمن بن عوف جالساً ـ فقال : وما أنت وذاك يا مقداد قال المقداد «إنّى والله احبّهم بحبّ رسوله صلى الله عليه وآله وانّى لأعجب من قريش وتطاولهم بفضل النبىّ صلى الله عليه وآله وانتزاعهم سلطانه من أهله» قال عبد الرحمن : اما والله لقد اجهدت نفسى لكم قال المقداد «أما والله لقد تركت رجلاً من الّذين يأمرون بالحقّ وبه يعدلون أما والله لوأنّ لى على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالى ايّاهم ببدر واُحد . فقال له عبد الرحمن ، ثكلتك اُمّك لا يسمعنّ هذا الكلام الناس . فإنّى أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة» وتربدّ وجهه . ثم قال : لو أعلم أنّك إيّاى تعنى لكان لى ولك شان» قال المقداد : إيّاى تهدّد يا ابن ام عبد الرحمن ـ ثم قام فانصرف قال جندب : فاتّبعته وقلت له : يا عبد الله أنا من أعوانك . فقال : (رحمك الله إنّ هذا الأمر لا يغنى فيه الرجلان ولا الثلاثة) ـ فدخلت من فورى ذلك على علىّ عليه السلام . فلمّا جلست إليه قلت : يا أبا الحسن والله ما أصاب قومك بصرف هذا الأمر عنك . فقال : صبر جميل والله المستعان . فقلت : والله انّك لصبور قال : فإن لم أصبر . فماذا أصنع قلت : (إنّى جلست إلى المقداد كذا وعبد الرحمن بن عوف ، فقالا كذا وكذا ثم قام المقداد فاتّبعته فقلت له كذا فقال لى فقال علىّ عليه السلام : صدق المقداد . فما اصنع؟ فقلت : (تقوم فى الناس فتدعوهم

إلى نفسك وتخبرهم انك أولى بالنبيّ صلى الله عليه وآله وتسألهم النصر على هؤلاء المتظاهرين عليك. فإن أجابك عشرة من مأة شددت بهم على الباقين. فإن دانوا لك فذاك وإلّا قاتلتهم، وكنت أولى بالعذر قتلت أو بقيت وكنت عند الله على حجّة) فقال «أترجو يا جندب أن يبايعني من كلّ عشرة واحد» قلت: أرجو ذلك. قال «لكنّي لا أرجو ذلك لا والله، ولا من المأة واحد، وسأخبرك أنّ الناس انّما ينظرون إلى قريش. فيقولون: هم قوم محمّد وقبيلته، وأمّا قريش فتقول: أنّ آل محمّد يرون على الناس بنبوّته فضلاً يرون أنّهم أولياء هذا الأمر دون قريش، ودون غيرهم من الناس، وأنّهم إن ولّوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبدا، ومتى كان في غيرهم تداولته قريش بينها لا والله لا يدفع الناس إلينا هذا الأمر طائعين أبدا) فقلت: جعلت فداك يا ابن عم رسول الله لقد صدعت قلبي بهذا القول. أفلا أرجع إلى المصر فاوذن الناس بمقالتك، وادع الناس إليك. فقال: يا جندب ليس هذا زمان ذاك، فانصرفت إلى العراق فكنت أذكر فضل عليّ عليه السلام على الناس. فلا أعدم رجلاً يقول لي ما أكره، وأحسن من أسمعه قولاً من يقول: دع عنك هذا وخذ في ما ينفعك فاقول «انّ هذا مما ينفعني وينفعك» فيقوم عنّي ويدعني.

وزاد الجوهري في خبره «حتّى رفع ذلك من قولي إلى الوليد بن عقبة أيّام ولّانا فبعث إليّ فحبسني حتّى كلّم فيّ فخلّى سبيلي».

وفي سقيفة الجوهري و (شوري) عوانه عن الشعبي — بعد ذكر بيعة ابن عوف لعثمان — وأقبل عمار ينادي:

يا ناعي الاسلام قم فانعه × قد عرف و بدا منكر

أما والله لوأنّ لي أعواناً لقاتلتهم، والله لئن قاتلهم واحد لأكونن له ثانياً. فقال له عليّ عليه السلام «والله لا أجد عليه أعواناً، ولا احبّ أن أعرضكم لما لا تطيقون» وبقي عليّ عليه السلام في داره، وعنده نفر من أهل بيته، وليس يدخل إليه أحد مخافة عثمان.

و روى الخليل بن أحمد أنّ أعرابياً ورد على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ـ إلى أن قال بعد ذكره لمقامات علىّ عليه السلام ـ طلب منه الوليد هجاءه . فقال له : أمثل هذا يستحق الهجاء ، وعزمه الحاذق ، وقوله الصادق ، وسيفه الفالق وإنّما يستحق الهجاء من سامه عليه ، وأخذ الخلافة ، وأزالها من الوراثة ، و ـ صاحبها ينظر إلى فيئه ، وكأنّ الشباد ع تلسعه ـ الخبر ـ الشباد ع : العقارب

قول المصنّف قد مضى هذا الكلام فى أثناء خطبة متقدّمة إلّا أنّى كرّرته هنا لاختلاف الروايتين » أقول : لم يمض الكلام كلّه فى موضع واحد بل صدره ـ اللّهمّ إنّى أستعديك على قريش ـ إلى ـ وفى الحق أن تمنعه) مضى فى ذيل العنوان الثانى ، وذيله (فنظرت) ـ إلخ ـ مضى فى العنوان الأوّل .

قوله عليه السلام فى الثانى « وقد قال قائل : إنّك على هذا الأمر لحريص » هكذا فى المصرية ، والصواب ما فى (ثم) وكذا (حد) والخطية « وقال لى قائل إنّك يا ابن أبى طالب على هذا الأمر لحريص) .

قال (حد) قال عليه السلام : هذا الكلام يوم الشورى ، والقائل الّذى قال له « إنّك على هذا الأمر لحريص » سعد بن أبى وقاص مع روايته فيه « أنت منّى ـ بمنزلة هرون من موسى » وهذا عجب ، وقالت الامامية : قال يوم السقيفة والقائل أبو عبيدة بن الجراح .

قلت : كيف نسب ما قاله إلى الامامية ، وقد روى محمّد بن يعقوب الكلينى ومحمّد بن جرير بن رستم الطبرى ـ وهما من قدماء الامامية ـ انّه عليه السلام قاله يوم الشورى ، وقد عرفت من خبرهما أنّ القائل كان عبد الرحمن بن عوف لا أبو عبيدة الّذى قال :

ثم أىّ شئ يغنى عنه فى كون كلامه عليه السلام يوم الشورى فى صحة أمر يوم السقيفة ، وقد تضمّن قوله عليه السلام يوم الشورى بطلان أمر السقيفة ، وأنّه الأساس فمرّ فى رواياتهم عن الثقفى ، وابن قتيبة قوله عليه السلام يوم الشورى « فما كانوا

لولا يقاتل أحد منهم بأكره منهم لولا يتي لأنّهم كانوا يسمعونني ، وأنا أحاجّ أبا بكر فأقول : يا معشر قريش إنّا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم إلى آخر ما مرّ.

ثم لم أدر إلى أي شئ استند في قوله : إن القائل كان سعدا ، وخبر الثقفي الوارد من طريقهم — وقد نقله نفسه في شرح قوله عليه السلام « ومن كلام له عليه السلام لمّا قلّد محمّد بن أبي بكر مصر » خال من اسم القائل كخبر ابن قتيبة ، والمجمل يحمل على المفصل خبر الكليني والطبري المصرّح بعبد الرحمن .

وأيضا الجرئ منهم على أن يقول له هذا الكلام ، ويخاطبه بذاك الخطاب إنّما كان عبد الرحمن لكونه حكم عمر في اختيار من شاء منهم .

« فقلت : بل انتم والله أحرص وأبعد ، وانا اخص واقرب » إنّما قال عليه السلام (بل انتم) مع أنّ القائل له (انك لحريص) إنما كان واحدا لقوله عليه السلام قبل (وقال لي قائل) لكون باقيهم على رأيه . فيصحّ النسبة إلى جميعهم كما في قوله تعالى « فعقروها » مع أنّ العاقر كان واحدا .

ثم الأصل في قول عبد الرحمن له عليه السلام « انك على هذا الأمر لحريص » قول فاروقهم فقال له عليه السلام في ما قال للسنّة كما قال ابن قتيبة « وما يمنعني منك يا علي إلّا حرصك عليها » .

و رماه بالريا أيضا كما عابه بصغر السنّ . فروا عن ابن عباس أنّه قال : دخلت على عمر يوما . فقال : يا ابن عباس لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العباد حتّى نحلته رياء قلت : من هو ؟ قال : ابن عمّك . قلت : وما يقصد بالريا قال : يرشّح نفسه للخلافة . قلت : وما يصنع بالترشيح ، وقد رشّحه لها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فصرفت عنه قال : كان شابّا أحدث . فاستصغرت العرب سنّه ، وقد كمل الآن ألم تعلم أنّ الله لم يبعث نبيّا إلّا بعد أربعين قلت : أمّا أهل الحجى ، والنهى ما زالوا يعدّونه كاملا منذ رفع الله منار الاسلام ، ولكنّهم يعدّونه محروما محدودا — فقال : اما أنّه سيليها بعد هياط ثم تزلّ قدمه ، ولا يقضي منها اربه ، ولتكونن شاهدا ذلك . ثم يبين الصبح

لذى عينين ، وتعلم العرب صحّة رأى المهاجرين الأوّلين الّذين صرفوها عنه بادئ بدء فليتنى أراكم بعدى ياعبد اللّه ان الحرص محرّمة وأنّ دنياك كظلّك .

وأقول : أما قوله «يجتهد رياء للخلافة» فابن عباس أجابه باستخلاف النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم له وانّما اخّره هو وصاحبه ، وقد اعترف بذلك معاوية فى كتابه إلى محمّد بن ابى بكر .

وأما قوله «بصغر سنّه» فأجابه أيضاً بانّه عند أهل المعرفة كان من أوّل الاسلام الّذى كان يومئذٍ ابن عشر كاملاً . فلا يضرّه طعن الأجلاف ، واولى الغلّ والحقد مثله ، ومن كان على رأيه .

وأجابه فى موضع اخر بأنّ اللّه تعالى ورسوله ما استصغراه حيث أمراه بأخذ سورة (برائة) من صاحبه .

وأما قوله «بعدم استقرار الأمر له فتعلم العرب صحّة رأى المهاجرين الأوّلين الّذين صرفوها عنه» فيقال له : أنت وصاحبك زلزلت أمره بمساعدة المنافقين والطلقاء ، وقد ولّيت الأمر عثمان وبنى اُميّة أعداء النبىّ حتّى لا تثبت له قدم إن ولى يوماً ، وتبيّن الصبح لذى عينين بعملك ، ولا غرو ان لم يبصر الاعمين .

وكل أقواله صار منشأ لجرأة جمع وشبهة فريق حتّى سمّى كثير منهم خلافته فتنة كخلافة ابن الزبير ، ونحن لا نسوء من ذلك فيكفيهم ثلاثتهم ، ويكفينا هو واحد عشر من عترته الّذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا .

ومن المضحك حديثه « ما بعث اللّه نبيّاً إلّا بعد أربعين » أولم يسمع قوله تعالى فى يحيى «وآتيناه الحكم صبيا»[1] وحكايته عن عيسى عليه السلام فى مهده «انّى عبد اللّه آتانى الكتاب وجعلنى نبيّا»[2] .

كما أنّ من المضحك وعظه لأمير المؤمنين برسالة ابن عباس «إنّ الحرص محرّمة»

---

(١) مريم ١٢ .

(٢) مريم ٣٠ .

أولم يقل ذلك لنفسه حيث أراد إحراق أهل بيت نبيّه، وقتل من كان بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حرصاً على نيل الامارة، ولعمر الله وإن قال لصاحبه مغالطة « قدّمك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لديننا فى أمرك بالصلوة لنا . فلا نرضاك لدنيانا للخلافة إلّا أنّه ما أراد بذلك أن يصلّوا ويصوموا بل ليتأمّر عليهم مثل معاوية إلّا أنّ معاوية أظهر، وهو اسر، ولكنّه إن لم يصرّح أفصح بما جرى على لسانه (فلا نرضاك ـ لدنيانا » .

«وإنّما طلبت حقّاً لى ، وانتم تحولون بينى و بينه ، وتضربون وجهى دونه» أى أنتم معشر قريش مع رأسكم فاروقكم الّذين نسبتمونى إلى الحرص على هذا الأمر لم تفهموا معنى الحرص ومورد استعماله . فالحرص يقال لمن طلب شيئاً لم يكن له ، وأما من طالب حقّه الثابت الواضح عند الكلّ إذا طلبه من المتغلبين عليه لا يقال له إنّه حريص عليه ولو كان جادّاً .

مع أنّه عليه السلام إنّما طلب وقتاً أمكنه الطلب ، وهو يوم السقيفة ويوم الشورى دون قيام عمر بنصب أبى بكر له بقدر إتمام الحجّة ليهلك من هلك عن بيّنة ـ و يحيى من حىّ عن بيّنة .

وكيف نسبوا إليه عليه السلام الحرص مع أنّه رضى بترك حقّه الثابت لما عرض عليه عبد الرحمن بن عوف بيعته له بشرط عمله بسنّة الشيخين . فأنكر عليه السلام عليه ذلك وطوى عنه كشحاً مع زعمهم حرصه عليه السلام عليه دلالة على بطلان سنّتهما .

هذا ، وقال ابن حاطب ابن الزبير ، طالما حرص على الامارة قيل له : كيف قال : أمرأ بوبكر أغيلمة من أبناء المهاجرين أنا فيهم بقتل لصّ . فقال ابن الزبير : أمّرونى عليكم فأمّرناه ثم انطلقنا به فقتلناه .

قلت : وكان من حرصه على الامارة أنّه صار فى من نصر عثمان مع كون أبيه فى من قتل عثمان ، ومع كونه مثل أبيه فى بغض عثمان إلّا أنّه علم أنّ عثمان يقتل وعلم أنّ الأمر يصير إلى أمير المؤمنين عليه السلام . فأراد أن يكون له مستمسك .

لادعاء الخلافة إن اتّفق يوم يمكنه القيام بأنّه لمّا نصر عثمان جعله وصيّه · فهكذا ادّعى يوم قيامه بعد يزيد ـ ومنّ يوماً على معاوية بأنّه نصر عثمان · فقال له معاوية ـ وكان يعرف الناس حق المعرفة ـ فوالله لولا شدّة بغضك لابن أبى طالب لجررت برجل عثمان مع الضبع ·

«فلمّا قرعته بالحجّة» القرع بالحجّة استعاره · فالأصل فى القرع ضرب الرأس بالعصا ·

«فى الملأ الحاضرين» (الملأ) الجماعة فى محلّ قيل لهم الملأ لامتلاء المحلّ بهم ·

«هبّ كأنّه بهت لا يدرى مايجيبنى به» هكذا فى (حد) ولكن فى (ثم) «بهت كأنّه لا يدرى مايجيبنى به» وجعل (هبّ) رواية، ومعنى هبّ استيقظ ووجه بهته وعدم درايته لجواب أنّ كلّهم كانوا مشاهدين لاستخلاف النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم له، وعارفين بسوابقه ومقاماته، وأحقّيته بأقربيّته إلى النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من كلّ أحد · فإذا ذكّرهم ذلك لابدّ أن يبهتوا لعدم جواب لهم ·

كما أنّ إبرهيم عليه السلام لما قال للملك الّذى يدّعى الربوبية «إنّ الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب»[1] بهت ولم يدر مايجيبه ·

هذا، وممّا ذكروا من الجواب المسكت للخصم أنّ ثابت بن عبد الله بن الزبير نظر إلى أهل الشام · فقال: إنّى لأبغض هذه الوجوه · فقال له سعيد بن عمرو بن عثمان: تبغضهم لأنّهم قتلوا أباك · قال: صدقت ولكنّ أباك قتله المهاجرون والأنصار ·

وأنّ معاوية قال يوماً: أيّها الناس إنّ الله فضّل قريشاً بثلاث · فقال «و انذر عشيرتك الأقربين»[2] فنحن عشيرته، وقال «وانّه لذكر لك ولقومك»[3] ونحن قومه

(١) البقرة ٢٥٨ .

(٢) الحجرات ٤٩ .

(٣) الزخرف ٤٣ .

وقال «لايلاف قريش ـ إلى آخر السورة ، ونحن قريش . فأجابه رجل من الأنصار فقال : على رسلك يامعاوية . فإنّ اللّه يقول «وكذّب به قومك»[1] وأنتم قومه ، وقال «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون»[2] وأنتم قومه ، وقال «وقال الرسول يارب إنّ قومى اتّخذوا هذا القرآن مهجورا»[3] وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة ، ولو زدتنا لزدناك ، فافحمه .

قلت : وافترى معاوية فى كونه عشيرته ، وانّما عشيرته بنوهاشم ، ولذا جمعهم حسب بعد نزول الآية ، وانذرهم ، والأخيران لا مدح فيهما مع أنّ معاويه كان مصداق قوله تعالى «ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملئكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ماكانوا ليؤمنوا»[4] فأىّ أثر لانذاره ، وأىّ وقت كان القرآن ذكراً له .

وقالوا : كان عدى بن حاتم فقئت عينه يوم الجمل . فقال له ابن الزبير يوماً : متى فقئت عينك؟ قال : يوم قتل أبوك ، وهربت عن خالتك ، وأنا للحقّ ناصر وأنت له خاذل .

قوله عليه السلام فى ذيل الثانى «اللّهمّ إنّى استعديك على قريش ومن أعانهم فانّهم قطعوا رحمى ، وصغّروا عظيم منزلتى ، واجمعوا على منازعتى أمراً هو لى . ثم قالوا : الا أنّ فى الحق أن تأخذه وفى الحق أن تتركه» وقوله عليه السلام فى صدر الثالث «اللّهمّ إنّى أستعديك على قريش ، ومن أعانهم . فإنّهم قد قطعوا رحمى واكفأوا انائى ، وأجمعوا على منازعتى حقّاً كنت أولى به من غيرى ، وقالوا : الا انّ فى الحقّ أن تأخذه وفى الحق أن تمنعه» ايضا الاصل فيهما واحد كما عرفت .

ثم قوله فى الثالث «ومن أعانهم» إنّما نقله (حد) وليس فى (ثم) ولا بد أنّه لم يكن فى النهج حيث إنّ نسخته بخط مصنّفه ، ولا بد أنّه كان فى نسخة (حد)

(۱) الانعام ۶۶ .
(۲) الزخرف ۵۷ .
(۳) الفرقان ۳۰ .
(۴) الانعام ۱۱۱ .

حاشية اخذ امن الثانى خلط بالمتن.

وأمّاقوله فى الثانى (ان تأخذه) وقوله (إن تتركه) بالتاء فيهما. نكذا فى المصرية، ونقل (حد) الأول (ناُخذه) بالنون، والثانى (تتركه) بالتاء، وقال معناه «قالوا له الحق أخذ ناوتركك» ونقل (ثم) عن خط الرضى كونهما بالنون، وقال معناه «قالوا له نتصرف بالأخذ والترك دونك».

كما أنّ قوله فى الثالث «أن تأخذه» و(أن تمنعه) بالتاء فيهما هو فى المصرية وقال (حد) قال الراوندى فى خط الرضى تأخذه بالتاء وقيل: إنّه بالنون.

وكيف كان. فالصواب أن (ناخذه) فيهما بالنون و(تتركه) و(تمنعه) فيهما بالتاء، والمراد أنّ قريشاً قالوا مكابرة فى قبال حجّته عليه السلام أخذ ناحقّ، و تركك ومنعك حق، ويشهد لما قلنا رواية الثقفى، ورواية ابن قتيبة للكلام المتقدّمتان.

هذا وقال (حد) بعد الثالث «لم يورخ الوقت الّذى قال عليه السلام هذا الكلام، وحمله أصحابنا على أنّه قاله يوم الشورى» ـ وقال (ثم) يشبه أن يكون صدور هذا الكلام منه عليه السلام وقت خروج طلحة والزبير.

قلت: قد عرفت من أسانيده الأربعة أنّه جزء كلامه عليه السلام بعد قتل محمّد بن أبى بكر، وفتح مصر. قال: الكلام كله لمّا سألوه عن رايه عليه السلام فى حقّ الخلفاء ـ والثلاثة فكتب لهم مامر.

وحمل أصحاب (حد) له على أنّه قاله يوم الشورى غير مفيد لهم لأنّه كما تضمن شكايته عليه السلام من الشورى تضمن شكايته من السقيفة، وهل مؤسس الشورى ومؤسس السقيفة غير فاروقهم مع أنّ مراده عليه السلام بقوله «اللّهمّ انّى أستعينك ـ أو ـ أستعديك على قريش» عمومهم حتّى صدّيقهم وفاروقهم. فإنّه عليه السلام لم يقل «أستعينك على اُولئك»: أى الّذين حكى اجبارهم له على بيعة عثمان بل قال «على قريش»: أى هؤلاء من أسّس لهم.

وممّا يوضح إرادته العموم كلام المقداد لابن عوف لمّا بايع عثمان «ما رأيت مثل ما أُوتي على أهل هذا البيت بعد نبيّهم إنّي لأعجب من قريش إنّهم تركوا رجلاً ما أقول أنّ أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل، وإنّي لأعجب من تطاولهم بفضل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم انتزاعهم سلطانه من أهله لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيّاهم ببدر وأحد».

قوله عليه السلام في الثالث «اللّهمّ إنّي استعينك على قريش ومن اعانهم» روى أبو مخنف في جمله عنه عليه السلام قال «مالي ولقريش اما والله لقد قاتلتهم كافرين، ولقاتلنهم مفتونين ـ إلى أن قال ـ والله لأبقرن الباطل حتّى يظهر الحق من خاصرته فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها».

و وفي معجم الأدباء قرأت بخط الازهري قال المازني: لم يصحّ عندنا تكلّم عليّ عليه السلام بشيء من الشعر غير قوله:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني × ولا وجدّك ما برّوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمّتي لهم × بذات روقين لا يعفولها أثر

(بذات روقين): أي بداهية عظيمة.

وفي أمثال أبي عكرمة الضبي يقال: إنّ علياً عليه السلام تمثّل بقول الشاعر في المثل لظالمية الحيّة.

لعمري أنّي لأُخاصم حيّة × إلى فقعس ما انصفتني فقعس
فوالله ما أدري وإنّي للابس × لكم لبسة أيّ النسيجين ألبس
ألبسه بقيّ لا بقي على الذي × تريدون بي أم استمرّ فاعبس

قوله عليه السلام «فانهم قطعوا رحمي» في إرشاد المفيد روى العباس بن عبد الله العبدي، عن عمرو بن شمر عن رجاله قالوا: سمعنا علياً عليه السلام يقول: ما رأيت منذ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم رخاء والحمد لله لقد خفت صغيراً، وجاهدت كبيراً اقاتل المشركين، واعادي المنافقين حتّى قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فكانت الطامّة ـ

الكبرى .

«وصغّروا عظيم منزلتى» فى صفين نصر ، ومروج المسعودى ، وغيرهما كتب معاوية إلى محمّد بن ابى بكر فى جواب كتابه ـ وكان فى كتاب محمّد بن أبى بكر إليه (فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعلى ، وهو وارث رسوله ، ووصيه ، وأبو ولده أوّل الناس له اتّباعاً ، وأقربهم به عهداً . يخبره بسرّه ، ويطلعه على أمره ، و أنت عدوه وابن عدوه ـ (ذكرت فى كتابك فضل ابن أبى طالب ، وقديم سوابقه ، و قرابته إلى الرسول ، ومواساته إيّاه فى كلّ هول وخوف . فكان احتجاجك علىّ و عيبك لى . فقد كنّا ـ وأبوك فينا ـ نعرف فضل ابن أبى طالب ، وحقّه لازماً لنا مبرماً علينا . فلمّا اختار الله لنبيّه ماعنده ، وأتمّ له ماوعده ، وقبضه إليه . كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه ، وخالفه على أمره على ذلك اتّفقا واتّسقا ثم انّهما دعواه إلى بيعتهما . فابطاعنهما ، وتلكّأ عليهما فهمّا به الهموم ، وأرادا به العظيم . ثم إنّه بايع لهما وسلّم لهما ، وأقاما لا يشركانه فى أمرهما ، ولا يطّلعانه على ـ سرّهما حتّى قبضا ـ إلى أن قال ـ

ـ مشيراً إلى نفسه وقيامه فى قباله عليه السلام ـ مهّد أبوك مهاده وبنى له ملكه وشاده . فإن يك مانحن فيه صواباً . فأبوك أوّله ، وإن يكن جوراً . فأبوك أسّسه ، ونحن شركائه ، وبهديه اخذنا ، وبفعله اقتدينا ، ولولا ماسبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبى طالب وسلّمناله ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك . فاحتذينا بمثاله ، واقتدينا بفعاله . فعب أباك أودع) .

«واكفأوا انائى» : أى اكبّوه ، وقلّبوه روت العامّة أنّ عمر قال لابن عباس أنتم أهل الرسول وبنوعمّه . فما تقول منع قومكم عنكم؟ قال : لاأدرى علّتها ، والله ماأضمرنا لهم إلّا خيراً» قال : إنّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة . فتذهبوا فى السماء شمخاً وبذخاً ، ولعلكم تقولون إنّ أبا بكر أوّل من أخّركم أما إنّه لم يقصد ذلك ، ولكن حضر أمر لم يكن بحضرته أحزم ممّا فعل ، ولولا رأى أبى

بكرفق لجعلكم من الأمر نصيباً ، ولوفعل ما هنّأكم مع قومكم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره .

قلت : إنّ الله - جلّ وعلا - جمع لهم النبوّة والخلافة ألم يقل نبيّهم لهم من كنت مولاه وأولى به من نفسه . فعلىّ مولاه وأولى به من نفسه .

وأما كراهة قومهم ذلك فقد قال - عزّ اسمه - (ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) ، ولقد أجاب ابن عباس عمر بذلك فى خبر آخر .

و رووا أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال - مشيراً إلى أبى بكر و عمر - « أكفيا بانائنا وحملا الناس على رقابنا » .

« واجمعوا على منازعتى امراً هولى - أو - حقّاً كنت أولى به من غيرى »

روى أبو هلال فى اوائله انّ ابا الهيثم بن التيهان - وهو أوّل من ضرب على يد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم للبيعة فى أوّل نبوّته - قام خطيباً بين يدى على عليه السلام . فقال إنّ حسد قريش إيّاك على وجهين : أمّا خيارهم فتمنّوا أن يكونوا مثلك منافسة فى الملأ وارتفاع الدرجة ، وأمّا أشرارهم فحسدوا حسداً أثقل القلوب ، وأحبط الأعمال ، وذلك أنّهم رأوا عليك نعمة قدّمها إليك الحظّ ، وأخّرهم عنها الحرمان . فلم يرضوا أن يلحقوا حتّى طلبوا أن يسبقوك . فبعدت والله عليهم الغاية ، وأسقط المضمار . فلمّا تقدّمتهم بالسبق ، وعجزوا عن اللحاق . بلغوا منك ما رأيت ، وكنت والله أحقّ قريش بشكر قريش . نصرت نبيّهم حيّاً ، وقضيت عنه الحقوق ميّتاً ، والله ما بغيهم إلّا على أنفسهم ، ولا نكثوا إلّا بيعة الله . يد الله فوق أيديهم فيها ، ونحن معاشر الأنصار ، أيدينا وألسنتنا معك ، أيدينا على من شهد ، وألسنتنا على من غاب .

« ثم قالوا فى الحق ان ناخذه وفى الحقّ أن تتركه - أو - ان تمنعه »

روى الزبير بن بكار - كما فى أمالى المفيد - انّ ابن عباس حضر مجلس معاوية فأقبل عليه معاوية . فقال له : إنّكم تريدون أن تحرزوا الإمامة كما اختصصتم

بالنبوّة ، والله لا يجتمعان أبداً انّ حجّتكم فى الخلافة مشتبهة على الناس إنّكم تقولون نحن أهل بيت النبوّة . فما بال خلافة النبىّ فى غيرنا ، وهذه شبهة لأنّها تشبه الحق ، وبها مسحة من العدل ، وليس الأمر كما تظنون انّ الخلافة تتقلّب فى أحياء قريش برضى العامة ، وشورى الخاصة ، ولسنا نجد الناس يقولون ليت بنى هاشم ولونا ولوولونا كان خيراً لنا فى دنيانا وآخرتنا ، ولو كنتم زهدتم فيها أمس كما تقولون ما قاتلتم عليها اليوم ، ووالله لو وليتموها يا بنى هاشم لما كانت ريح عاد وصاعقة ثمود بأهلك للناس منكم .

فقال له ابن عباس : أمّا قولك : انّا نحتجّ بالنبوّة فى استحقاق الخلافة فهو والله كذلك ، وان لم تستحقّ الخلافة بالنبوة فبم تستحق .

وأمّا قولك : إنّ النبوّة والخلافة لا تجتمعان لأحد فأين قوله ـ عزّ وجلّ ـ « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً »[1] فالكتاب هو النبوّة ، والحكمة هى السنّة ، والملك هو الخلافة . فنحن آل ابرهيم ، و الحكمة جارفينا إلى يوم القيمة .

ـ وأمّا دعواك على حجّتنا أنّها مشتبهة . فليس كذلك . فانّ حجّتنا أضوء من الشمس ، وأنور من القمر كتاب الله معنا وسنّة نبيّه فينا ، وانّك لتعلم ذلك ، ولكن شئ عطفك ، وصعّرك . قتلنا أخاك ، وجدك وخالك وعمّك . فلا تبك على أعظم حائله ، وأرواح فى النار هالكة ، ولا تغضب الدماء أراقها الشرك ، واحلّها الكفر ، ووضعها الدين .

وأمّا ترك تقديم الناس لنا فى ماخلا وعدولهم عن الاجماع علينا . فما حرموا منّا أعظم ممّا حرمنا منهم ، وكل أمر إذا احصّل ثبت حقّه وزال باطله .

وأمّا قولك : إنّا لو ملكنا كان ملكنا أهلك للناس من ريح عاد و صاعقة ثمود . فقوله تعالى « وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين[2] » يكذّبك فنحن أهل بيته الأدنون

(١) النساء ٥٤ .
(٢) الأنبياء ٧ ١ .

ورحمة الله بنا خلقه كرحمة الله بنبيّه خلقه .

وأقول : وصدق معاوية لوليها بنوها شم أى أمير المؤمنين عليه السلام كانوا - أهلك من ريح عاد وصاعقة ثمود لكن لمعاوية وأضرابه أحزاب الشيطان ، وأمّا للمؤمنين فكانوا رحمة الله الواسعة ونعمته السابغة قال تعالى « أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم »(١) .

وقالت سيّدة نساء العالمين لمّا غصبوا الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبتها فى فدك « وما نقموا من أبى الحسن عليه السلام إلّا تنمّره وشدّة وطأته فى ذات الله » .

وفى زيارته عليه السلام « كنت للكافرين عذاباً صباً ونهباً ، وللمؤمنين عمداً و حصناً » .

« فاصبر مغموماً أو مت متأسفاً » كتب معاوية إليه عليه السلام « عرفنا ذلك فى نظرك الشزر وتنفسك الصعداء » .

ومرّ قوله عليه السلام لجندب « والله لا يدفع الناس إلينا هذا الأمر طائعين أبدا » ومرّ قوله عليه السلام له « فإن لم أصبر فما ذا أصنع » ومرّ قول جندب له عليه السلام لقد صدعت يا ابن عم رسول الله قلبى بهذا القول .

وقال المدائنى : قال عبد الله بن جنادة : قدمت من الحجاز أريد العراق فى أوّل إمارة علىّ عليه السلام . فمررت بمكّة . فاعتمرت . ثم قدمت المدينة . فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ نودى بالصلوة جامعة . فاجتمع الناس ، وخرج علىّ - عليه السلام متقلداً سيفه . فشخصت الأبصار نحوه . فحمد الله وصلّى على رسوله . ثم قال : اما بعد فانّ الله لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا : نحن أهله وورثته ، وعترته وأوليائه دون الناس . لا ينازعنا سلطانه منازع ، ولا يطمع فى حقنا طامع إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف

(١) الفتح ٢٩ .

ويتعزز علينا الذليل . فبكت الاعين منّا لذلك ، وخشنت الصدور ، وجزعت النفوس وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر ويبور الدين لكنّا على غير ما كنّا لهم ـ الخبر .

قوله عليه السلام فى الرابع «فدع عنك قريشا وتركاضهم فى الضلال» فى الصحاح الركض : تحريك الرجل قال تعالى «اركض برجلك» وركضت الفرس برجلى) : اذا استحثثته ليعدو ثم كثر حتّى قيل (ركض الفرس) اذا عدا والصواب (ركض الفرس) مجهولا فهو مركوض .

قلت : ويفسّر التركاض بالفارسية بقولهم (تاخت كردن) .

«وتجوالهم» : أى تطوافهم وتجوال كتركاض للمبالغة ففى الجمهرة (رجل تكلام) كثير الكلام ، و(رجل تلقام) عظيم اللقم ، و(تلعاب) كثير اللعب ، وقد عقد لما جاء على تفعال بابا .

«فى الشقاق» : أى الخلاف والعداوة .

«وجماحهم فى التيه» قال الجوهرى الجموح الذى يركب هواه . فلا يمكن رده و(التيه) المفازة يتاه فيها و (تاه فى الأرض) : أى ذهب متحيراً .

«فإنهم قد اجمعوا على حربى كاجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلى» قال الصادق عليه السلام فى قوله تعالى «ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً» عنى الله تعالى بهم قريشا الذين عادوا النبى صلى الله عليه وآله وجحدوا وصيّه وصيّه .

وقال الباقر عليه السلام ـ على رواية العامه عنه عليه السلام ـ ما لقينا من ظلم قريش إيّانا ، وتظاهرهم علينا ، وما لقى شيعتنا ومحبّونا من الناس أنّ النبى صلى الله عليه وآله قد قبض ، وقد أخبرانا أنّا أولى الناس بالناس فتمالات علينا قريش حتى أخرجت عن معدنه ، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا . ثم تداولته قريش ، واحد بعد واحد حتّى رجعت الينا فنكثت بيعتنا ونصبت لنا الحرب ـ الخبر .

وفى ذيل الطبرى عن عبد المطلب بن ربيعة الهاشمى قال : دخل العباس

(١) ص ٣٢ (٢) ابراهيم ٢٨

على النبيّ ﷺ وهو مغضب وأنا عنده . فقال له النبيّ ﷺ : ما أغضبك؟ فقال: (ما لنا ولقريش إذا تلاقوا تلاقوا بوجوه مستبشره ، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك) فغضب النبيّ حتى احمرّ وجهه حتّى استدرّ عرق بين عينيه — وكان إذا غضب استدرّ — فلمّا سرى عنه قال : والّذى نفس محمّد بيده لا يدخل قلب امرئ من الايمان أبدا حتّى يحبّكم لله ولرسوله .

وأما إجماعهم على حرب النبيّ ﷺ فمعلوم ، وفى الطبرى قال سعد بن معاذ — بعد أن حكم فى بنى قريظة بما حكم — اللّهمّ إنّك قد علمت أنّه لم يكن قوم أحبّ إلىّ أن أقاتل واجاهد من قوم كذّبوا رسولك ، اللهمّ ان كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فابقنى لها ، وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك — إلى أن قال — فلمّا انصرف النبيّ ﷺ عن الخندق قال — « الآن نغزو قريشاً ولا يغزونا) فكان كذلك حتّى فتح الله على رسوله مكّة .

والرجلان وإن لم يحارباه ظاهراً بل صارا من تبعه إلّا أنّه كان ضررهما على النبيّ ﷺ أكثر من ضرر محاربيه . فمنعاه من الوصية ، وتخلّفا عن جيش أكّد جهيزه حتّى لعن المتخلّف عنه ، وبنتاهما تظاهرا عليه ﷺ اشدّ تظاهر حتّى اخبر — جلّ وعلا — عن عملهما فى قوله « وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه و جبريل وصالح المؤمنين والملئكة بعد ذلك ظهيرا »[1] .

وقريش كانوا أشد قريش عداوة له ﷺ ظاهراً وباطناً ، وهم بنو امية . فعلوا ما فعلوا بتوسطهما . فجعل الثانى رئيسهم خليفته .

« فجزت قريشا عنّى الجوازى » قال كعب بن مالك الأنصارى فى حرب قريش كانت قريش لاكلها السخينة — وهى طعام يتّخذ من الدقيق دون العصيدة فى الرقة — سمّيت بسخينة .

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها × وليغلبن مغالب الغلّاب

(٢) التحريم ٤

وتمثّل به الكاظم عليه السلام لما هدّده موسى الهادى العباسى بالقتل . فعجّل الله تعالى هلاكه .

«فقد قطعوا رحمى وسلبونى سلطان ابن أُمّى» هو نظير قول هرون لموسى «يا ابن أُمّ انّ القوم استضعفونى» إلّا أنّ هرون وموسى كانا بأنفسهما من أُمّ واحدة وامير المؤمنين عليه السلام والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أبواهما كانا من أُمّ واحدة هى فاطمة المخزومية وباقى أعمامه غير الزبير كان أُمّهم غير أُمّ أبى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما قول (ثم) قيل انّه عليه السلام : قال «وسلبونى سلطان ابن أُمّى» لأنّ أُمّه فاطمة بنت أسد كانت تربّى النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين كفّله أبو طالب يتيماً فهى كالأُمّ له فأطلق عليه التنوّة مجازاً فبعيد عن لحن اللغة العربية وخطاباتهم قال ـ تعالى «وإلى عاد أخاهم هوداً وإلى ثمود أخاهم صالحا» وانما كانا من قوم عاد و ثمود .

وكان بنو زهرة يعدّون النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ابن أختهم لأنّ أُمّه كانت منهم ، وعدّ الضبابى العباس عليه السلام ، وإخوته من أُمّه بنى أُختهم لأنّ أُمّهم كانت من عشيرتهم وإنّما قال عليه السلام لأخيه عقيل «فدع عنك قريشاً وتركاضهم فى الضلال و ـ تجوالهم فى الشقاق وجماحهم فى التيه» لأنّهم سمّوا تارة طلبه عليه السلام لحقه حرصاً وعدّوا عزّة نفسه ، وقد جعل الله العزّة للمؤمنين ، وهو أميرهم حقا ، كبرا وعجبا وثالثة بشره الّذى من صفات المؤمن ، وهو أوّل مؤمن بالله بعد رسوله ، دعابة ورابعة خلوصه الّذى شهد له تعالى فى (هل أتى) رياء ، وتشككوا فى سبق ايمانه بعدم بلوغه مع أنّ لازمه عدم عرفان الله تعالى وعرفان رسوله حيث قبلاه ، وتشككوا فى نصب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم له بخم مع تواتر الروايات به من طريقهم تارة بانكاره رأساً ، وأُخرى على أنّ المراد كونه ابن عمه أو مولى معتق زيد بن

(١) الاعراف ٦٥ .

(٢) هود ٦١ .

حارثة، وثالثة باخفائه حتّى استنشد هم اميرالمؤمنين عليه السلام ذلك بأنّ من شهد ذاك اليوم يشهد. فاعتذ ربعضهم بنسيانه. فدعاعليهم بالعمى والبرص وغير ذلك. فابتلوا بما دعا، وبهتواعليه بخطبته بنت أبي جهل، وموجدة النبيّ صلى الله عليه وآله عليه بذلك مع أنّه لوفرض صحته كان اعتراضاً على النبيّ صلى الله عليه وآله حيث أنكرما أحله شريعته.

وعبّروا عنه عليه السلام تحقيراً من جهالتهم بأبي تراب كماعيروه بذلك كما عيّر ابليس آدم بكونه من تراب، وعبّروا عن شيعته بالترأبيه لذلك كما أنّهم عبروا منهم تلبيساً بالسبائيه. فكانوا يعبّرون عن حجربن عدى، وعمروبن الحمق وصعصعة بن صوحان، ونظراءهم الّذين لا يعتقدون بسواه حتّى بأبي بكروعمر فضلاً عن عثمان بذلك لان يموّهواعلى الناس بانّهم كعبد الله بن سبا من الغلاة وتبع قريشاً أولئك مورّخوهم كالجاحظ وابن قتيبه وابن عبد ربه وغيرهم. فانّهم عنونوا فى كتبهم الشيعة، ولم يذكروا غيرالغلاة وخلّطوا ولبّسوا، ونسبوا إلى أبيه عليه السلام الكفرمع تفادياته تلك الّتى لم يأت أحد بمثلها للنبيّ صلى الله عليه وآله إلّا ابنه اميرالمؤمنين عليه السلام ومع أبياته المصرّح فيها بحقيقة دينه.

وبالجملة دين إخواننا من يوم السقيفة لأبي بكر إلى يوم الشورى لعثمان دين قريش الّذين كانوا مسلمين ظاهراً وكافرين باطناً، وانّما أسرّوا كفرهم بعد قهرالنبيّ صلى الله عليه وآله لهم فى حيوته. فلمّا وجدوا بعده أعواناً أظهروه.

أما فى السقيفة فقد أقرّ فاروقهم بأنّ نصب صدّيقهم كان من قبل أولئك فقال لابن عباس - كما فى الطبرى وغيره - «أتدرى مامنع الناس منكم قال: لا. قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة. فتجحفوا الناس جحفاً فنظرت قريش لأنفسها فاختارت، ووفّقت فأصابت» فقال له ابن عباس أما قولك إنّ قريشاً كرهت: فانّ الله تعالى قال لقوم «ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم»[1]

(۱) محمد ۹

واما قولك إنّ قريشاً اختارت فإنّ الله تعالى يقول «وربّك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة»[1] وقد علمت انّ الله اختار لذلك من اختار. فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفّقت قريش وأصابت.

واما يوم الشورى. ففى الطبرى وغيره قال عبد الرحمن بن عوف: اشيروا علىّ. فقال عمار: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع علياً. فقال المقداد: صدق عمار إن بايعت علياً قلنا سمعنا وأطعنا ـ فقال ابن أبى سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبد الله بن أبى ربيعة: صدق ابن ابى سرح إن بايعت عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا. فشتم عمار ابن أبى سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين. فتكلّم بنو هاشم وبنو أميّة. فقال عمار: أيّها الناس انّ الله ـ عزّوجل ـ أكرمنا بنبيه، وأعزّنا بدينه. فانّى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم. فقال رجل من بنى مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سميه، وما انت وتأمير قريش لأنفسها. فقال سعد لعبد الرحمن: افرغ قبل أن يفتتن الناس

فترى انّ عماراً ومقداداً ـ وجلالهما فى الاسلام وشموخ مقامهما معلوم ـ جعلا قريشاً مقابلة للمسلمين كما ترى أنّ الداعى إلى عثمان لميل قريش إليه ابن أبى سرح، ونظرائه الّذين نزل القرآن بكفرهم.

وفى المروج ـ بعد ذكر قول أبى سفيان لمّا بويع عثمان «يا بنى أميّة تلقفوها تلقف الكره. فوالّذى يحلف به أبوسفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة». (ونمى هذا القول وغيره من الكلام إلى المهاجرين والأنصار فقام عمار فى المسجد. فقال: يامعشر قريش امّا إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم ههنا مرّة، وههنا مرّة. فما أنا بآمن أن ينزعه الله منكم فيضعه فى غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه فى غير أهله، وقام المقداد. فقال: ما رأيت مثل ما اوذى به أهل هذا البيت بعد نبيّهم ـ فقال له عبد الرحمن: وما أنت

(١) القصص ٦٨.

وذاك يامقداد ۰فقال : انّى واللّه احبّهم بحبّ رسوله ،وانّ الحق معهم وفيهم ياعبد الرحمن أعجب من قريش ، ومن تطوّلهم على أهل هذا البيت۰قد اجتمعوا على نزع سلطان الرسول من بعده من أيديهم اما وايم اللّه ياعبد الرحمن لو أجد على قريش انصاراً لقاتلتهم كقتالى اياّهم مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر۰

فتراه دالاً على كون قريش فى قبال اميرالمؤمنين عليه السلام يوم الشورى — ككونهم فى قبال النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر وأنّهم — وفى رأسهم عبد الرحمن بن عوف — كأبى جهل وعتبة وشيبة ونظراءهم يجب الجهاد معهم لووجد أعوان — والمقداد وعمار ممّن أجمع على جلالهما وانّهما من أربعة لم يكن أحد فوقهم فى الصحابة ۰

هذا وقال (حد) بعد العنوان الأوّل ،واعلم أنّ الاثار فى هذا الباب كثيرة ،ومن تأمّلها علم أنّه لم يكن نص صريح مقطوع به كما تزعم الامامية۰ فانّهم يقولون : انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم نصّ عليه نصّاً صريحاً ليس بنص يوم الغدير ،ولا خبر المنزلة ولا ما شابههما من الأخبار الوارده من طرق العامّة ،وغيرها بل نصّ عليه بالخلافة وبامره المؤمنين ،وأمر المسلمين أن يسلّموا عليه بذلك۰ فسلّموا عليه بها ،وصرّح لهم فى كثير من المقامات بانّه خليفته من بعده وأمرهم بالسمع والطاعه له ،ولا ريب أنّ المنصف إذا سمع ماجرى لهم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعلم قطعا انّه لم يكن هذا النص،ولكن قد يسبق إلى النفوس والعقول انّه قد كان هناك — تعريض و تلويح ،وكناية وقول غير صريح ، ولعلّ يصد النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن التصريح بذلك أمر يعلمه ، ومصلحة يراعيها أووقوف مع اذن الله تعالى فى ذلك۰

قلت: هل نصّ يوم الغدير ،وخبر المنزلة ،وما اشبهها ممّا ورد من طرقهم متواترا لايكفى فى استخلافه إن لم يكفيا فاى لفظ يكفى الم يقررهم النبىّ صلى الله عليه وآله بانّى أولى بكم من أنفسكم فاقروا ۰فقال عند ذلك «من كنت مولاه — اى اولى به من نفسه — فعلى مولاه — اى اولى به من نفسه اليس هذا

صريحاً فى كونه كنفس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مضافاً إلى نصّ الله تعالى فى قوله ـ جلّ وعلا « وأنفسنا وأنفسكم » وإنّه عليه السلام أولى بهم من أنفسهم كالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فهل فوق هذا شئ .

وكذلك خبر المنزلة وكونه عليه السلام من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كهرون من موسى عليه السلام إلّا فى أصل النبوّة .

ولصراحة دلالتهما أنكر كثير منهم لهما مع تواترهما . كما أنّ بعضهم أوّلهما بتأويلات مضحكة . كما أنّ بعضهم حظر التكلم فى ذلك ، وقال : لا ينبغى لأحد أن يخوض فى ذكر الصحابة وما جرى بينهم من تنازع واختلاف ، وان استطاع أن لا يسمع شيئاً من الأخبار الواردة به فيفعل . فانّه إن خالف هذه الوصاية فقد ابدع ، والتصنيف فى السقيفة ومقتل عثمان والجمل وصفّين ضلال .

واما قوله « يقول الشيعة أنّه نصّ عليه بالخلافة وبإمرة المؤمنين ، وأمر المسلمين أن يسلّموا عليه بذلك » فغريب فقد روى ذلك أئمّة العامة كابن مردويه فى مناقبه ، والخوارزمى ، والخطيب ، وعثمان السماك ، وجمع آخر منهم حتّى صنّف على بن طاووس فى ذلك كتاباً سمّاه كتاب اليقين .

كقوله انّ الشيعة قالوا : إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم صرّح فى كثير من المقامات بانّه خليفته بعده وأمرهم بالسمع والطاعة له . فقد اتّفق العامة ، ومنهم الطبرى فى تاريخه فى نزول قوله تعالى « وانذر عشيرتك الأقربين »(١) أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم دعا بنى عبد المطلب ، وهم يومئذٍ أربعون فيهم أعمامه أبوطالب و حمزة والعباس وأبولهب ، وقال (يا بنى عبد المطّلب انّى والله ما أعلم شاباً جاء فى قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به إنّى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون اخى ، ووصيى وخليفتى فيكم) فاحجم القوم عنها جميعاً ، وقام علىّ عليه السلام وقال : أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ

(١) الشعراء ٢١٤ .

برقبته . ثم قال «إنّ هذا أخى ، ووصيى ، وخليفتى فيكم فاسمعوا له واطيعوا» فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب : فقد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

ولولم يكن فى استخلافه إلّا هذا لكفى . فهل كان النبىّ ﷺ يكذب فى حديثه ، ويخلف فى وعده ، ويخدع فى دينه كالملوك الدنيوية .

وهل الدليل على وجود الصانع ، وعلى نبوّة النبىّ ﷺ أكثر من الأدلّة العقلية والنقلية على امامته . فهل أراد خصومنا أن ينزّل الله تعالى على كلّ أحد منهم كتابا يقرؤه أنّ علىّ بن أبى طالب خليفة محمّد بن عبد الله ، والّا فقد أنزل على عامتهم كتابا يقرؤنه ليلاً ونهاراً (إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) [1] . ولا ريب فى نزوله فيه عليه السلام .

وقول (حد) ، (ولا ريب أنّ المنصف إذا سمع ماجرى لهم بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه وآله يعلم قطعاً انّه لم يكن هذا النص قطعاً) يقال فى جوابه : ولا ريب أنّ من كان له لبّ ولم يكن مكابراً ولا سوفسطائياً إذا سمع لهم ماجرى لهم فى مرض موت النبىّ ﷺ من حثّه على تجهيز جيش اسامة مرّة بعد مرّة ، وكلّما افاق من غشيته حتّى لعن المتخلف منهم ، وفى رأسهم صدّيقهم وفاروقهم ، و منعهم للنبى ﷺ لكتابة وصيّته وقالوا : إنّه ليهجر ولا نحتاج إلى وصيّته ، ويكفينا القرآن والمتصدى لذلك فاروقهم حتّى اغضبوه . فاخرجهم من عنده ، وكان ابن عباس يبكى من ذلك بكاء الثكلى ويقول : لا رزية فوق هذا أن يحولوا بين نبيّنا ووصيته وينسبوا الهجر إلى من قال تعالى فى حقه «وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى» [2] وبعد قبض روحه ﷺ يقوم فاروقهم لعدم حضور صاحبه تلك الساعة و يقول : ما مات محمّد بل غاب كما غاب موسى ويرجع ويفتح كنوز كسرى و قيصر كما وعدنا ، ومن قال مات لافعلن به كذا وكذا ، وماجرى لهم فى السقيفة من السب

(١) المائدة ٥٥ .

(٢) النجم ٣

والشتم والضرب والوطا إلى غير ذلك يعلم قطعاً انّ مع وجود النص القطعى الذى ذكرنا وجوده فى مواضع متعددة لو كان نبيّهم من ساعة بعثته إلى حين وفاته يكرر دائماً (علىّ خليفتى علىّ خليفتى) ما كانوا يقبلونه .

وقد احتجّ اميرالمؤمنين عليه السلام فى زمان خلافته وبسط يده بنصوص يوم الغدير واستشهد جمعاً لم يكن لهم ادعاء فى قباله . فانكره كثير منهم حتّى دعا عليهم روى ابن الأثير فى اُسد الغابة فى عبد الرحمن بن مدلج مسنداً عن ابى اسحق حدّثه جمع لا يحصيهم انّ علياً عليه السلام نشد الناس فى الرحبة من سمع قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه «من كنت مولاه فعلى مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» فقام نفر فشهدوا أنّهم سمعوا ذلك من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وكتم قوم . فما خرجوا من الدنيا حتى عموا ، واصابتهم آفة منهم يزيد بن وديعة وعبد الرحمن بن مدلج .

وفى معارف ابن قتيبه كان بانس بن مالك برص ذكر قوم ان علياً عليه السلام سأله عن قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه (اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه) فقال : كبرت سنّى ، ونسيت فقال له على عليه السلام (إن كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لا تواريها العمامة) .

فكيف يحتجّ فى زمن مقهوريته فى قبال من يريد حيازة مقامه بالنص عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا ردّوا على نفس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فلابد أن يحتجّ فى قبال ادعائهم بكونهم من قومه بكونه من عترته وبمنزلة نفسه .

وقد قال عليه السلام فى هذه الخطبة بالرواية التى نقلنا أنّ قريشاً لو استطاعوا انكار قرابته كما أنكروا سببه من سوابقه وفضائله ، وما قاله النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه مقاماً بعد مقام لفعلوا .

أوليس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا عقد الاخوّة بين كل نفرين من أصحابه لم يعقد بينه وبين أحد وقال له (تركتك لنفسى) وثبت فى المتواتر أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له عليه السلام فى مقامات مختلفة (أنت أخى) وقد أنكر ذلك فاروقهم مكابرة ففى

خلفاء ابن قتيبة فى أخذ البيعة منه عليه السلام لأبى بكر (اخرج عمر ـ ومعه قوم علياً فمضوا به إلى أبى بكر . فقالوا له : بايع . فقال : إن أنا لم أفعل فمه . قالوا : إذن والله الذى لا إله إلا هو نضرب عنقك . قال : (إذن تقتلون عبد الله ، وأخا رسوله) قال عمر « أمّا عبد الله فنعم ، وأمّا أخو رسوله فلا » .

وأمّا قول (حد) (ولكن قد يسبق إلى النفوس والعقول إنّه قد كان هناك تعريض وتلويح ، وكناية وقول غير صريح » فالأصل فيه فاروقهم أيضاً فروى الخطيب عن ابن عباس قال : دخلت على عمر فى أوّل خلافته ، وقد ألقى له صاع من تمر على خصفة . فدعانى إلى الأكل . فأكلت تمرة واحدة . وأقبل يأكل حتّى أتى عليه ثم شرب من جرّكان عنده واستلقى على مرفقة له ، وطفق يحمد الله ، يكرّر ذلك . ثم قال : من أين جئت يا عبد الله قلت : من المسجد قال : كيف خلّفت ابن عمك ـ فظننته يعنى عبد الله بن جعفر ـ فقلت : خلّفته يلعب مع أترابه قال : إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت . قلت : يمتح الغرب على نخيلات من فلان ، وهو يقرء القرآن . قال : يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها هل بقى فى نفسه شئ من أمر الخلافة قلت : نعم . قال : أيزعم انّ النبىّ نصّ عليه . قلت : نعم وأزيدك سألت أبى عمّا يدّعيه . فقال : صدق . فقال عمر : لقد كان من النبىّ ذرومن القول لا يثبت حجّة ، ولا يقطع عذراً ، ولقد كان يربع فى أمره وقتاً ما ، ولقد أراد فى مرضه أن يصرّح باسمه . فمنعت من ذلك اشفاقاً ، وحيطة على الاسلام . لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً ، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها فعلم النبىّ انّى علمت ما فى نفسه فامسك ، وأبى الله إلا إمضاء ماحتم .

فيقال لفاروقهم فى قوله (لقد كان من النبىّ ذرومن القول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً) لولم يكن من النبىّ صلى الله عليه وآله قول فيه عليه السلام إلا قوله يوم خيبر لمّا ـ ولّيت أنت وصاحبك الدبروا نهزمتما من اليهود ، وصرتما عاراً على المسلمين : لاعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله و يحبّه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار لا

يرجع حتّى يفتح اللّه على يديه) لكفى فى اتمام الحجّة فى خلافته ،وكشف الحقيقة فى كونك مع صاحبك غير محبّين للّه ولرسوله ،وعدم حبّ اللّه و رسوله لكما ،وكونكما فرّارين غير كرّارين .

وأمّا قوله «أراد النبىّ فى مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك أشفاقاً وحيطة على الاسلام» فهل كان أشفق على الاسلام من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ولعمر اللّه انّه أشفق على عدم نيله ونيل صاحبه الرياسة لونصّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم على اميرالمؤمنين بالكتابة لعدم تأتّى انكاره لنصّه الكتابى كإنكاره لنصوصه الشفاهية فى يوم غدير و غيره .

وتعالوا اسمعوا الغرائب يقول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم (ايتونى بدواة وقلم أكتب لكم مالن تضلّوا بعدى أبدا) ويقول فاروقهم :إنّه ليهجر انّى أشفق على الاسلام من وصيته .

وأمّا قوله «لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا» فيقال له : عدم اجتماع قريش أعداء اللّه وأعداء دينه لم يكن يضرّه ،ولم تجتمع قريش على النبىّ صلّى اللّه عليه وآله إلّا بعد مقهوريتهم .

وأمّا قوله «ولوليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها» فيقال له :انّا رأينا انّه عليه السلام وليها ولم ينتقض عليه العرب من قطر وانّما انتقض عليه قريش طلحة والزبير من قطر ،ومعاوية من قطر بتدبيرك لهم فى جعل شورى ،وجعل طلحة والزبير منهم ،وابن عوف حكمهم حتّى يصير الأمر بتوسطه إلى عثمان ،ومن عثمان إلى بنى أميّة ،وحتّى يعدّ طلحة والزبير نفسهما فى قباله ،ولوكنت أنت وصاحبك ماقمت بعد النبىّ صلى الله عليه وآله على مساعدة قريش ، وصار الأمر إليه عليه السلام أوّلاً لاجتمع عليه قريش قهراً كما اجتمعوا على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كذلك أخيراً ،والأصل فى ضغن قريش لأميرالمؤمنين عليه السلام النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه فعل مافعل معهم من قبله .

وأمّا قوله (فامسك النبى) فأتى بالاجمال ،و إلّا فالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم غضب،

وأخرجهم من عنده وقال: لاينبغى التنازع عندى .

ويقول تعالى «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى»(۱) ويرد فاروقهم قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ويجعلون قول فاروقهم فوق قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

وأمّا قوله (فأبى الله إلّا إمضاء ماحتم) فمغالطة . فالقاء إبرهيم عليه السلام فى النار وذبح يحيى كان ممّا حتم . فهل ذلك عذر لفا على ذلك .

وأمّا قول (حد) (ولعلّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصدّه عن التصريح بذلك أمر يعلمه» فكلام وقيح . فلوكانت نصوصه صلى الله عليه وآله وسلم عليه عليه السلام قولاً وعملاً قالبا حسيّا لملأت بين السماء والأرض، ولوجمع منها ما نقله نفسه فى مطاوى شرحه لصار كتاباً متعارفاً .

مع أنّه لوفرض كون أميرالمؤمنين عليه السلام مثل باقى أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يكن له ذلك العلم ولا العمل ، ولا تلك العصمة كان نصب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم له فى الحكمة واجباً لئلا ينتقم منه مافعل من قبله فى أيّامه فقال (حد) نفسه قرات خبر سقيفة الجوهرى المشتمل على أنّ الحباب بن المنذر قال لقريش «منّا أمير ومنكم أمير انّا لا ننفس هذا الأمر عليكم ، ولكن نخاف أن يليه بعدكم من قتلنا أبناءهم وآبائهم ، وإخوانهم على النقيب ، فقال : لقد صدقت فراسة الحباب ، وأنّ الذى خافه يوم الحرة واخذ من الانصار ثار المشركين يوم بدر ، ومن هذا خاف النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ايضا على ذريته وأهله . فإنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان وتر الناس وعلم أنّه إن مات وترك ابنته وولدها سوقة ورعية تحت أيدى الولاة كانوا بعرض خطر عظيم . فمازال يقرّر لابن عمّه قاعدة الأمر بعده حفظاً لدمه ودماء اهل بيته . فانّهم إذا كانوا ولاة الأمر كانت دمائهم أقرب إلى الصيانة والعصمة ممّا إذا كانوا سوقة تحت يد وال من غيرهم فلم يساعده القضاء والقدر ، وكان من الأمر ماكان . ثم أفضى ذرّيته فى مابعد إلى ماقد علمت .

وقال (حد) أيضاً بعد العنوان الأوّل . فأمّا امتناع علىّ عليه السلام من البيعة

(۱) الحجرات ۲ .

حتّى أُخرج على الوجه الّذى اخرج عليه . فقد ذكره المحدثون ، ورواه السير ، وقد ذكرنا ما قاله الجوهرى فى هذا الباب ، وهو من الثقات ، وقد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثرة . فاما الاُمور الشنيعة الّتى تذكرها الشيعة من ارسال قنفذ إلى بيت فاطمة عليها السلام ، وأنّه ضربها بالسوط . فصار فى عضدها كالدملج ، وبقى أثره إلى أن ماتت ، وانّ عمر اضغطها بين الباب والجدار . فصاحت يا ابتاه يا رسول اللّه ، وألقت جنيناً ميتاً ، وجعل فى عنق على عليه السلام حبل يقاد به ، وهو يعتل ، و فاطمة خلفه تصرخ وتنادى بالويل والثبور وابناه الحسنان معها يبكيان ، وانّ عليا عليه السلام لما احضرساموه البيعة . فامتنع فتهدّد بالقتل . فقال : إذن تقتلون عبد اللّه ، وأخا رسوله . فقالوا اما عبد اللّه فنعم ، وأما أخو الرسول فلا ، وانّه طعن فى أوجههم بالنفاق ، وسترصحيفة الغدر الّتى اجتمعوا عليها وبانهم ارادوا أن ينفروا ناقة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة . فكلّه لا أصل له عند أصحابنا ، ولا يثبته أحد منهم ولا رواه أهل الحديث ، ولا يعرفونه ، وانّما هو شئ تنفرد الشيعة بنقله .

قلت : عدم نقل العامة جميع ما نقله الشيعة ليس بدليل على عدم صحة ما تفرّدوا به مع انّ ما شاركوهم فيه يكفى فى كون ائمّتهم جبابره .

مع أنّ ما نسبه إلى تفرد الشيعة به ليس كذلك . فالنظّام اُستاد الجاحظ من شيوخ المعتزلة قال : انّ عمر ضرب بطن فاطمه عليها السلام يوم البيعة حتّى ألقت المحسن من بطنها ، وكان عمر يصيح أحرقوها بمن فيها ، وما كان فى الدار غير على وفاطمة والحسن والحسين .

وعامّة العامة رووا حلف عمر إحراق أهل البيت لو لم يخرج على للبيعة فخرج و تصميمه كان كالعمل . فكان يحرقهم لو لم يكن خرج أمير المؤمنين) .

وفى المروج كان مروة بن الزبير بعد رأخاه عبد اللّه بن الزبير اذا جرى ذكر بنى هاشم ، وحصره اياهم فى الشعب ، وجمعه الحطب لتحريقهم ويقول : انّما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا فى طاعته ـ كما أرهب بنو هاشم وجمع الحطب

لاحراقهم إذ هم أبوا البيعة فى ما سلف .

واما تهديدهم له عليه السلام بالقتل وقوله عليه السلام « اذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله » فقد عرفت أنّ ابن قتيبة منهم رواه ، وكتاب معاوية إليه عليه السلام وكنت تقاد للبيعة كما يقاد الجمل المخشوش ، من رواياتهم معروف .

ولو لم يكن أمر الصحيفة ، وليلة العقبة صحيحاً لم تخلّفوا عن جيش أسامة مع تأكيداته بتجهيزه حتّى لعن المتخلّف عنه ، ولم منعوه غن الوصية ، ونسبوا إليه الهجر .

وقال (حد) أيضاً بعد العنوان الثانى « واعلم أنّه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول نحو قوله « ما زلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله حتّى يوم الناس هذا » ، وقوله عليه السلام « اللهم اجز قريشاً عنّى الجوازى . فانّهم ظلمونى حقّى ، وغصبونى سلطان ابن امّى » وقوله عليه السلام — وقد سمع صارخاً ينادى أنا مظلوم — (هلمّ فلنصرخ معا . فانّى ما زلت مظلوماً) وقوله عليه السلام « وانّه ليعلم انّ محلّى منها محلّ القطب من الرحى) وقوله عليه السلام « اكفيا بانائنا . وحملا الناس على رقابنا » وقوله (انّ لناحقاً ان نعطه نأخذه ، وان نمنعه نركب أعجاز الإبل ، وان طال السرى) وقوله عليه السلام (ما زلت مستأثراً علىّ مدفوعاً عمّا استحقّه واستوجبه) .

وأصحابنا يحملون ذلك كلّه على ادّعائه بالأفضلية والأحقّية ، وهو الحق والصواب . فانّ حمله على الاستحقاق تكفير وتفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار ولكنّ الامامية والزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها ، ولعمرى أنّ هذه الألفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم لكن تصفّح الأقوال يبطل ذلك الظن ، ويدرء ذلك الوهم . فوجب أن تجرى مجرى الآيات المتشابهات الموهمة ما لا يجوز على البارى تعالى لانا لمّا تصفّحنا ادلة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ وان تتاوّل .

قلت: الكبرى صحيحة فى اقتضاء ادلّة العقول العدول عن ظاهر الآيات المتشابهات كقوله تعالى «يد اللّه فوق ايديهم»[1] لكنّ الكلام فى كون أقواله ـ عليه السلام فى ظلم المتقدّمين عليه إياه صغرى لها، ومن أين أنّها ليست كآيات محكمات أنكر اللّه تعالى فيها على من جعل الأصنام شريكة له تعالى ومقرّبة إليه ـ جلّ وعلا ـ وقد قال معزّ الدولة الديلمى لشيخنا الصدوق محمّد بن على بن بابويه، لم لا يمكن الجمع بين امير المؤمنين عليه السلام والثلاثة قال له: كما لا يمكن الجمع بين اللّه تعالى والأصنام.

وكيف يتأوّل قوله عليه السلام «والّذى فلق الحبّة، وبرء النسمة لقد عهد الىّ النبىّ الأمى صلى الله عليه وآله وسلم انّ الامّة ستغدر بك بعدى».

ومايفعل بآيات اللّه تعالى فى تقدمه عليه السلام التى احال ـ عزّوجلّ ـ فيها إلى العقل كقوله جلّ ثنائه «هل يستوى الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكر أولوا الألباب»[2].

وقوله ـ عزّ اسمه ـ «أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمّن لا يهدى إلّا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون»[3].

وقوله تعالى «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون»[4] وقد كان عليه السلام مؤمناً بالاجماع وقد كان ثالثهم وقت قتله فاسقاً باجماع المسلمين، واما الامويّة واتباعهم فلم يكونوا من المسلمين.

وبالجملة الجمع بين الثلاثة وبينه عليه السلام كما تدّعيه العامّة المتسمّون بالسنّة كالجمع بين الضدين والقول بالمتناقضين، ولعمر اللّه لقد انصف اسمعيل الحنبلى فى ما نقل عنه (حد) بعد ما مرّ. فقال وحدّثنى يحيى بن سعيد بن على الحنبلى

(١) الفتح ١٠.
(٢) الزمر ٩.
(٣) يونس ٣٥.
(٤) السجدة ١٨.

المعروف بابن عالية ساكن قطفتا بالجانب الغربى من بغداد ، وأحد الشهود المعدلين بها ، قال : كنت حاضراً عند الفجرا سمعيل بن على الفقيه المعروف بغلام ابن المتى ـ وكان إسماعيل هذا مقدّم الحنابلة فى الفقه والخلاف ، ويشتغل بشئ فى علم المنطق ، وكان حلو العباره ، وقد رايته انا وحضرت عنده وسمعت كلامه توفى سنة (٦١٠) ـ ونحن عنده نتحدّث إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دَين على بعض أهل الكوفة . فانحدر إليه يطالبه ، واتّفق ان حضرت زيارة الغدير ، وهو بالكوفة يجتمع بمشهده عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة يجاوز حدّ الإحصاء ـ قال ابن عالية : فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشخص ما فعلت وما رأيت ، وذلك الشخص يجاوبه حتّى قال له : ياسيّدى لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير ، وما يجرى عند قبر على بن أبى طالب من الفضائل والأقوال الشنيعة وسبّ الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة ـ فقال اسمعيل أىّ ذنب لهم ، والله ماجرّاهم على ذلك ، ولا فتح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذلك القبر . فقال الرجل : ومن صاحب ذاك القبر ، قال : على بن ابى طالب . قال : ياسيدى هو الّذى سنّ لهم ذلك ، وعلّمهم ايّاه وطرقهم إليه . قال : نعم والله قال : ياسيدى . فان كان محقّاً . فمالنا نتولّى فلاناً وفلاناً ، وان كان مبطلاً . فمالنا نتولّاه . ينبغى امّا نبرأ منه ، وامّا نبرأ منهما ـ قال ابن عالية : فقام اسمعيل مسرعاً فلبس نعليه . وقال : لعن الله اسمعيل الفاعل ابن الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسئلة ـ ودخل دار حرمه وقمنا فانصرفنا .

وروى الثقفى ، عن محمّد بن يحيى ، عن يحيى بن حماد القطان ، عن أبى محمّد الحضرمى ، عن أبى على الهمدانى أنّ عبد الرحمن بن أبى ليلى قام إلى علىّ عليه السلام فقال : إنّى سائلك لاخذ عنك ، وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم نقله ، الا تحدّثنا عن أمرك هذا ، أكان بعهد من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أو بشئ رأيته ، فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل ، وأوثقه عند نا ما سمعنا ممن فيك إنّا كنّا نقول : لو رجعت

إليكم بعد رسول الله (ص)، لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدرى إذا سئلت ما أقول، أزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك، فعلى م نصبك النبى (ص) بعد حجّة الوداع، فقال «أيّها الناس من كنت مولاه فعلى مولاه، وإن تك أولى منهم فعلى م تتولّاهم، فقال (ع) «إنّ الله تعالى قبض نبيّه، وأنا يوم قبضه أولى الناس منّى بقميصى» إلى أن قال فقال ابن أبى ليلى: فأنت يا أمير المؤمنين لعمرك كما قال الأوّل:

لقد ايقظت من كان نائماً × واسمعت من كانت له أذنان

وقال (حد) فى موضع آخر قلت ليحيى بن زيد النقيب: انّى لأعجب من على (ع) كيف بقى تلك المدّة الطويلة بعد النبى (ص)، ومافتك به مع تلظّى الأكباد عليه. فقال: انّه أخمل نفسه، واشتغل بالعبادة والصلوة، والنظر فى القرآن، وخرج عن ذلك الزىّ الأوّل، وذاك الشعار، ونسى السيف، وصار كالفاتك يتوب، ويصير سائحاً فى الأرض أو راهباً فى الجبال. فلمّا أطاع القوم الذين ولوا الأمر تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم إلّا بمواطاة من متولّى الأمر، وباطن فى السرّ منه. فلمّا لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله، وقع الامساك عنه، ولولا ذلك لقتل. ثم الأجل بعد، معقل حصين ـ فقلت له: احقّ مايقال فى حديث خالد. فقال: انّ قوماً من العلوية يذكرون ذلك ـ وقد روى أنّ رجلاً جاء إلى زفر بن هذيل صاحب ابى حنيفة. فسأله عمّا يقول ابو حنيفة فى جواز الخروج من الصلوة بأمر غير التسليم نحو الكلام والفعل الكثير. فقال: انّه جائز قد قال أبوبكر فى تشهده ماقال. فقال الرجل: وما الّذى قاله أبوبكر قال: لا عليك. فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة. فقال: اخرجوه اخرجوه قد كنت ـ احدّث انّه من اصحاب ابى الخطاب.

وقال (حد) أيضاً بعد العنوان الثالث ـ بعد ذكر تظلماته (ع) ـ و كلّ هذا إذا تأمّله المصنف علم أنّ الشيعة أصابت فى أمر، واخطات فى أمر، أما الّذى أصابت انه (ع) امتنع وتلكّا وأراد الأمر لنفسه، وأمّا الّذى أخطأت أنّه

كان منصوصاً عليه نصّاً جليّاً بالخلافة تعلمه الصحابة كلّها أو أكثرها ، وانّ ذلك النصّ خولف طلباً للرياسة الدنيوية ، وايثار اللعاجلة ، وانّ حال المخالفين للنصّ لا تعدو أحد أمرين امّا الكفر والفسق . فانّ قرائن الأحوال لا تدلّ على ذلك بل على خلافه ، وهذا يقتضى انه عليه السلام كان فى مبتدء الأمر يظنّ أن العقد لغيره كان عن غير نظر فى المصلحة ، وانه لم يقصد به إلّا صرف الأمر عنه والاستيثار عليه فظهر منه ما ظهر من الامتناع ، والقعود فى بيته إلى أن صحّ عنده ، وثبت فى نفسه أنّهم أصابوا فى ما فعلوه ، وانّهم لم يميلوا إلى هوى ، ولا أرادوا الدنيا ، وانّما فعلوا الأصلح فى ظنونهم لأنّه رأى من بغض الناس له وانحرافهم عنه وميلهم عليه ، وثوران الاحقاد الّتى كانت فى أنفسهم ، واحتذاء النيران الّتى كانت فى قلوبهم ، والترات الّتى وترهم فى ما قبل بها والدماء الّتى سفكها منهم وأراقها ، وتعلّل طائفة أخرى منهم للعدول بصغر سنّه ، واستهجانهم تقديم الشبّان على الكهول والشيوخ ، وتعلّل طائفة أخرى بكراهة الجمع بين النبوّة والخلافة فى بيت واحد فيتكبّرون على الناس كما قاله من قاله ، واستصعاب قوم منهم شكيمته ، وخوفهم شدّته ، وعلمهم بانّه لا يحابى ولا يراقب فى الدين ، وانّ الخلافة تحتاج إلى من يجتهد برايه ، ويعمل بموجب استصلاحه ، وانحراف قوم آخرين عنه للحسد الّذى كان عندهم له فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بشدّة اختصاصه له وتعظيمه اياه ، وما قال فيه فاكثر من النصوص الدالّة على رفعة شأنه ، وعلو مكانه ، وما اختصّ به من مصاهرته واخوّته ، ونحو ذلك من أحواله معه ، وتنكّر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجب والتيه كما زعموا ، واحتقاره العرب واستصغاره الناس كما عدّدوه عليه ، وان كانوا عندنا كاذبين ، ولكنه قول قيل وامر ذكر ، وحال نسبت اليه ، واعانهم عليها ما كان يصدر عنه من أقوال توهم مثل هذا نحو قوله « فانّا صنائع ربّنا ، والناس بعد صنائع لنا » ما صحّ به انّ الأمر لم يكن ليستقيم

له يوماً واحداً ، ولا ينتظم ، ولا يستمر ، وانّه لوولى الأمر لفتقت العرب عليه فتقاً يكون فيه استيصال شافة الاسلام ، وهدم أركانه . فاذ عن بالبيعة ، وجنح إلى الطاعة ، وامسك عن طلب الامرة ، وان كان على مضض ورمض .

وقد روى عنه عليه السلام انّ فاطمة عليها السلام حرّضته يوماً على النهوض والوثوب فسمع صوت المؤذن « اشهد أنّ محمّداً رسول اللّه » فقال لها : ايسرّك زوال هذا النداء من الأرض . قالت : لا قال : فانه ما أقول لك .

وهذا المذهب أقصد المذاهب ، وعليه متاخرو بغداديى أصحابنا و به نقول ـ

و اعلم انّ حال على عليه السلام فى هذا المعنى أشهر من أن تحتاج فى الدلالة عليها إلى الاطناب . فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافة بخمس و عشرين سنة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وفى دون هذه المدّة تنسى الاحقاد وتموت الترات ، وتبرد الاكباد الحامية ، وتسلو القلوب الواجدة ، ويعدم قرن من الناس ، ويوجد قرن ولا يبقى من أرباب تلك الشحناء إلّا الأقل . فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش كأنّها حالة لو افضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه صلى اللّه عليه وآله من إظهارها فى النفوس و هيجان ما فى القلوب حتّى انّ ـ الاخلاف من قريش والأحداث والفتيان الّذين لم يشهدوا وقايعه ، وفتكاته فى أسلافهم وآبائهم . فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله وتقاعست عن بلوغ شاوه . فكيف كانت حاله لو جلس على منبر الخلافة ، وسيفه يقطر دماً من مهج العرب . لا سيما من قريش الّذين كان ينبغى لود همه خطب أن يعتضد بهم ، وعليهم كان يجب أن يعتمد اذ ن كانت تد رس اعلام الملّة ، و تعفى رسوم الشريعة ، وتعود الجاهلية الجهلاء إلى حالها ، ويفسد ما أصلحه النبى صلى الله عليه وآله فى ثلاث و عشرين سنة فى شهر واحد . فكان من عناية اللّه تعالى بهذا الدين ان الهم الصحابة ما فعلوه « واللّه متمّ نوره ولو كره المشركون » .

قلت: ونزيد هنا على ما تقدم في انكاره النص الواضح في قوله «وأما الذي اخطات الشيعة انه كان منصوصاً عليه نصاً جليا — إلى قوله — بل تدل القرائن على خلافه» بأن الواجب من النص ما يتم به الحجة. فأخبر — جل وعلا — ان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كان مكتوباً عند أهل الكتاب في توراتهم وانجيلهم، ونعلم قطعاً انه لم يكن مكتوباً كتباً واضحاً بحيث لا يمكن إنكاره بدليل أن أهل الكتاب ينكرون ذلك ولو كانوا لا ينكرونه لاسلموا وما بقوا على دينهم.

ولو كان الوضوح بتلك المثابة شرطاً. فليضرب على كثير مما قامت عليه البراهين القطعية. فان وجود الصانع للعالم أوضح من الشمس عند العقل مع انكار الدهريين له.

وليس الشرط في الدليل على شئ أن يكون كما ذكر بسنة الله تعالى وإلا لجسم نفسه حتى يشاهده الكل، ولا يبقى غير موحد، وينزل الملئكة من السماء ويجعل الموتى يكلمهم، ويحشر عليهم كل شئ قبلاً بحقية دين الاسلام، ولو كان فعل ذلك لسقط البلاء الذي يبلوبه تعالى عباده وصارت الدنيا كالآخرة في الاضطرار بالاقرار به تعالى، وبأنبيائه ورسله وما جاؤا من عنده، ولم يبق فرق حينئذ بين سلمان وأبي جهل.

مع أنه لو لم يكونوا لبسوا كانت النصوص عليه عليه السلام بذاك الوضوح حيث دل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه عليه السلام من مبدأ أمره في إنذار عشيرته إلى منتهاه، ومن مبعثه إلى احتضاره في ارادته صلى الله عليه وآله وسلم تسجيل خلافته عليه السلام في كتاب وصيته — فصدوه عنه، ولا سيما في الغدير الذي صنفت الخاصة والعامة مجلدات في طرق خبره.

ويوضح ما قلنا من تلبيسهم الواضح الذي لا مرية فيه أصلا قياس مراجعة الانسان عصره في تلبيس الملوك، وأرباب الدنيا أموراً محسوسة يشهد ها آلاف من الناس على العامة، وخوف الخواص من التكلم على ذاك العصر.

وأمّاقوله «وهذا يقتضى انه عليه السلام كان فى مبتدء الأمر يظن أنّ العقد لغيره كان عن غير نظر فى المصلحة - إلى قوله - إلى أن صحّ عندهم أنّهم أصابوا» فممّا كان يضحك الثكلى آكان باب مدينة علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يعلم الأصلح للاسلام ويعلمه من كان لم يعرف معنى الابّ ، ومن لم يعرف ما يعرفه ربّات الحجول من أمر الصداق .

وليست هذه الأقوال من اخواننا بعجب فى جعل الرجلين اعرف - بمصالح الإسلام ممّن كان بمنزلة نفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن ألم يقولوا أنّهما كانا أعرف بمصالح الاسلام من نفس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث انّه صلى الله عليه وآله وسلم أمرهما بالتجهّز فى جيش اسامة ، وأكّد وشدّد حتّى لعن المتخلّف، ومع ذلك تخلّفا وقالا كيف نتجهّز والنبى صلى الله عليه وآله وسلم شديد مرضه ، وأراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الوصيّة . فلم يرا فاروقهم ذلك صلاحاً ، وجعل كلامه هجراً .

والأصل فى الاعتذار الّذى قال أعداء أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم كأبى عبيدة بن الجراح ، ومعاوية بن أبى سفيان ، ونظراءهما . ففى خلفاء ابن قتيبة «أنّ علياً لمّا قال لأهل السقيفة «نحن أولى برسول الله حيّاً وميّتاً انصفونا إن كنتم تؤمنون وإلّا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون» فقال له عمر : لست متروكاً حتّى تبايع قال له أبو عبيده بن الجراح : يا أبا الحسن انّك حديث السنّ ، وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ، ومعرفتهم بالامور ، ولا أرى أبا بكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك ، وأشدّ احتمالاً» - الخ .

وفى مقاتل أبى الفرج وغيره أنّ الحسن عليه السلام بعد قيامه بعد أبيه عليه السلام لما كتب إلى معاوية «واليوم فليتعجب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل فى الدين معروف ، ولا أثر فى الاسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كتب معاوية إليه «والحال فى ما بينى وبينك اليوم مثل الحال الّتى كنتم عليها ، وأبو بكر بعد النبىّ ، ولو

علمت أنّك أضبط منّى للرعيّة ، وأحوط على هذه الأمّة ، وأحسن سياسة ، وأقوى على جمع الأموال ، وأكيد للعدو ولأجبتك إلى ما دعوتنى إليه ، ورأيتك لذلك أهلاً ، ولكنّك قد علمت انّى أطول ولاية ، وأكثر سياسة » .

وحينئذٍ فليقل انّ خلافة النبى صلى الله عليه وآله وسلم إن كانت سلطنه دنيويه محضة كما ادّعاه فاروقهم . فقال لصدّيقهم : انّ النبىّ رضيك فى صلوتك بنا لأمر ديننا أفلا نرضاك لدنيانا بأن نبايعك ونوليّك خلافته ـ ولازمه كون أصل النبوة ـ أيضاً كذلك كما صرّح به خالهم للمغيرة فى تأسفه من عدم استطاعته رفع اسم ذاك الرجل الهاشمي : أى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المآذنات ، وابنه في قوله : لعبت هاشم بالملك كان الأمر كما قال الشارح من كون تصدّى أبي بكر للأمر أصلح ، وإن كان خلافة عن رسول رب العالمين فى مايفعل ، ويقول كما قاله اميرالمؤمنين عليه السلام فى جواب أبى عبيده عن كلامه المتقدّم « نحن أحقّ بهذا الأمر منكم ماكان فينا القارى لكتاب الله . الفقيه فى دين الله . العالم بسنن رسول الله . المتطلع لأمر الرعيّة . الدافع ـ عنهم الأمور السيّئة . القاسم بينهم بالسويّة . والله انّه لفينا . فلاتتّبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله . فتزدادوا من الحق بعداً » فكلامه كما ترى .

ومن المضحك قول الشارح إلى أن صحّ عنده وثبت فى نفسه أنّهم أصابوا فى مافعلوه ـ الى قوله ـ فاذعن بالبيعة) ـ الخ ـ فهل كانت شكايته ـ عليه السلام يوم السقيفة فقط مع أنّ من المتواتر شكايته عليه السلام منهم إلى آخر عمره .

وفى خطبته لمّا سألوه عن رأيه في أبى بكر وعمر بعد فتح معاوية لمصر فى جملة كلامه عليه السلام فى ذكر يوم الشورى « فماكانوا لولاية أحد منهم بأكره لولا يتى لأنّهم كانوا يسمعوننى ، وأنا أحاجّ أبابكر . فأقول : يامعشر قريش أنا أحقّ بهذا الأمر منكم ماكان منّا من يقرء القرآن ، ويعرف السنّة . فخشوا أن وليت عليهم ألا يكون لهم فى الأمر نصيب . فبايعوا اجتماع رجل واحد حتّى صرفوا الأمر عنّى لعثمان . فاخرجونى منها رجاء أن يتداولوها حين يأسوا أن ينالوها » ـ الخ .

فإنّه صريح فى أنّه عليه السلام فى ذاك الوقت الّذى كان قرب وفاته كان معتقداً أنّ الخلافة لغيره ، وغير أهل بيته غير صحيحة ، وانّ الخلافة ليست بجعل جاعل وانّما هى كالنبوة أمر من قبل اللّه تعالى .

وهو عقيدة أهل بيته أهل بيت العصمة والطهارة . ففى كتاب الحسن ـ عليه السلام إلى معاوية ـ وقد رواه أبو الفرج ـ فلمّا صرنا أهل بيت محمّد صلى اللّه عليه وآله وأولياؤه إلى محاجّتهم ، وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا ـ بالاجتماع على ظلمنا ، ومراغمتنا والعنت منهم علينا فالموعد اللّه وهو الولى النصير وقد تعجّبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقّنا ، وسلطان نبيّنا (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ـ الخ .

ومثله كتب الحسين عليه السلام من مكّة إلى أهل البصرة فى ما رواه الطبرى ، وقد هدّد معاوية الحسن عليه السلام باظهاره عقيدته عند العوام . فكتب إليه « رايتك صرّحت فى كتابك بتهمة أبى بكر الصدّيق ، وعمر الفاروق ، وأبى عبيدة الأمين وحوارى النبى ، وصلحاء المهاجرين ، والأنصار . فكرهت ذلك لك . فانّك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين ، ولا المليم ، وأنا أحبّ لك القول السديد وذكر الجميل » ـ الخ .

وإخواننا أخذوا دينهم عن معاوية . فكتب إلى الحسن عليه السلام فى كتابه ذاك انّ هذه الامّة لمّا اختلف بعد نبيّها لم تجهل فضلكم ، ولا سابقتكم ولا قرابتكم من نبيكم ، ولا مكانكم من الاسلام ومن أهله . فرأت الامّة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيّها ، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار ، وغيرهم من سائر الناس ، وعامّتهم أن يولّوا هذا الأمر من قريش أقدمها سلماً ، وأعلمها باللّه واحقّها له ، وأقواها على أمر اللّه . فاختاروا أبا بكر ، وكان ذلك رأى ذوى الحجى والدين والفضيلة ، والناظرين للامّة ، فأوقع ذلك فى صدوركم لهم التهمة ، ولم يكونوا بمتّهمين ، ولا فى ما اتوا بمخطئين ، ولو رأى المسلمون فيكم من يغنى غناه ويقوم مقامه ، ويذبّ عن حرم الاسلام ذبّه ، ما عدلوا بذلك الأمر الى غيره رغبة

عنه ، ولكنهم عملوا فى ذلك بما راوه صلاحاً للاسلام ، وأهله والله يجزيهم عن الاسلام وأهله خيراً .

قال معاوية فى قبال دفع ابن بنت النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى شهد الله تعالى بعصمته ، وصرّح النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكونه سيّد شباب أهل الجنّة عن مقامه الذى جعله الله تعالى له انّ صلحاء الناس اختاروا أبا بكر لكونه أقدمهما سلماً ، وأعلمهم بالله وأقواهم لكن لمّا أراد استخلاف ابنه يزيد ، وادّعى عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير أنّهما أحق قال « انّما كان هذا الأمر لبنى عبد مناف لأنّهم أهل رسول الله فلمّا مضى رسول الله ولّى الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الخلافة والملك غير أنّهما سارا بسيرة جميلة . ثم رجع الملك إلى بنى عبد مناف . فلا يزال فيهم إلى يوم القيمة ، وقد أخرجك الله يا ابن الزبير وأنت يا ابن عمر منها » فان كان كلام معاوية حجّة لهم فلم اقتصروا على كلامه الأوّل .

مع أنّ قوله عليه السلام الأوّل دالّ على بقاء أهل البيت على إنكارهم إلى الأبد وأمّا بيعته عليه السلام أخيراً بعد اتمام الحجّة واستقرار الملك لئلّا يقتل كما قتل سعد بن عبادة كما انّه عليه السلام لم يتكلّم ايّام قيام عمر لئلّا يقتل ، وانّما استطاع أن يتكلّم يوم الشورى فتكلّم .

ولقد أغرب فى تعليلاته فى قوله « لأنّه رأى من بغض الناس له » — إلى آخر ما عدّد . فهل ما عدّد أمور يصحّح خلافة المتقدّمين أو يبطلها . فانّما هى أسباب لدفعهم له عليه السلام عن حقّ جعله الله تعالى له . فإذا كان ذلك مصحّحاً لخلافة المتقدّمين عليه كان قتل يحيى بن زكريا لكونه ينهى الملك الباغى عن البغاء صحيحاً فإنّه خلط بين سبب وقوع شىء ، وسبب جوازه وصحّته .

كما أنّ قوله عليه السلام « انّا صنائع ربّنا ، والناس صنايع لنا » لم يكن سبباً لتأخيره بل لتقديمه . فهو بنص القرآن كنفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومعلوم شموخ مكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن سائر الناس .

وأما قوله «وانّه لوولى الأمر لفتقت عليه العرب» وقوله «فقد رأيت انتقاض العرب عليه العرب حين بويع بعد خمس وعشرين سنة» ـ الخ ـ فمغالطة . فلو كان عليه السلام ولى لاتّفقت عليه الأمّة عربهم وعجمهم لكونه من بيت الرسالة . فقال لهم سلمان ـ كما روى سفينة الجوهرى «لوجعلتموها فى أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم اثنان ولأكلتموها رغدا .

وقال عبد اللّه بن جعفر لمعاوية لمّا قدم المدينة لاخذ البيعة ليزيد ـ كما فى خلفاء ابن قتيبة ـ : وأيم اللّه لوولّوا اميرالمؤمنين عليه السلام بعد نبيّهم صلى اللّه عليه وآله لاطيع الرحمن ، وعصى الشيطان ، وما اختلف فى الأمة سيفان وانّما صار تصدى أبى بكر للأمر سببا لخروج من خرج وارتداد من ارتد ، وقيام الأنصار ، وغير ذلك كما صرّح به فى تاريخ ابن أعثم الكوفى وغيره .

فالمناسب أن يقال للرجل (اقلب تصب) بل نقول لوكان عليه السلام ولى بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لدانت له قريش وبنو امية قهرا كما دانوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم قهرا بعد فتحه لمكّة ، والأصل فى بغضهم له عليه السلام بغضهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أفلم يقل ابن رئيس قريش وبنى امية يزيد بن معاوية .

لست من خندف إن لم أنتقم × من بنى أحمد ما كان فعل

وأمّا ما قاله «من انتشار الأمر عليه يوم قيامه» فانّما كان سببه فاروقهم ، ولم ينتقض عليه عرب ولا عجم ، وانّما انتقض عليه طلحة والزبير لجعل فاروقهم لهما قرينين له عليه السلام يوم الشورى مع مساعدة ابنة صدّيقهم لهما ، وانتقض عليه معاوية لانّ فاروقهم جعله واليا فى عصره على جميع بلاد الشام ، وفوّض الأمر إلى جميع بنى اميّة باسم عثمان .

مع أنّه لوكان الأمر كما قال من عدم صلاح تصديه عليه السلام للأمر بعد النبى صلى الله عليه وآله بما لفق لم يكن تصديه عليه السلام بعد عثمان أيضا صلاحا ، فلم جعلوه من خلفاءهم فلابد أن يصير إلى تول من عدّ قيامه فتنة ، وكفاهم ـ

بذلك خزياً .

وأما قوله «فكيف كانت تكون حاله لوجلس على منبر الخلافة ، وسيفه بعد يقطر دماً من مهج العرب ـ إلى قوله ـ إذ ن كانت تد ريس أعلام الملّة» فقد عرفت أنّه ليس كذ لك لولم يكن صدّيقهم ، وفاروقهم تواطئا أوّلا مع أعداء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فعصياه فى الخروج فى جيش اسامة ، والمنع عن الوصية ، وأخذ البيعة منه عليه السلام باحراق بيته وأهل بيته فاطمة والحسنين ، وضرب عنقه لولم يخرج ، ولم يبايع .

نعم لوكان عليه السلام قام مع تلك الكيفية بتواطأهما مع الطلقاء لد رست أعلام الملّة ولفسد ما أصلحه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمساعد ته عليه السلام فى ثلاث و عشرين سنة ، فرضى عليه السلام بمسالمتهم لئلا يضمحل الدين فخطب عليه السلام فى أوّل خلافته وقال: انّ الله تعالى لمّاقبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا نحن أهل بيته لا ينازعنا فى سلطانه منازع إذ نفر المنافقون ، فانتزعوا سلطان نبيّنا منّا ، وولّوه غيرنا ، وأيم الله لولا مخافه الفرقة بين المسلمين وأن يعودوا إلى الكفر لكنّا غيّرنا ذلك ما استطعنا) ـ الخ

كما انّ ابنه الحسين رضى بقتل نفسه ، واعزّته ، وأسر حرمه و عترته بعد م المسالمة مع يزيد لئلا يضمحلّ الدين حسب اقتضاء وقته . فكان عليه السلام يقول : لولم يبق فى الأرض ملجأ لما أبايع يزيد ، ولوبايعته فعلى الاسلام السلام.

وأمّا قول (حد) «فكان من عناية الله تعالى بهذا الدين أن الهم الصحابة مافعلوه» فانّى استحيى عوضه من كلامه . فهل كان سبب حدوث هذه المذاهب الفاسدة ، وصدور جنايات الجبابرة من الاموية والعباسية ، وقتل أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف والسم ، وحبسهم ، ونهبهم وأسرهم فى كلّ عصر و تفصيلها مذكوره فى مقاتل أبى الفرج الاصبهانى وشنائع اخر سوّدت وجه التاريخ إلّا مافعل اولئك الصحابة ، وانّما أرادوا اطفاء نور الله بما فعلوا ولكنّ الحق ظهر وتبيّن بما تحمل عليه السلام ، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ، ولوكره المشركون .

ولوكان (حد) قال «وكان من عقوبه الله لأولئك الصحابه ، وباقى الناس

الّذين رضوا بفعلهم ، ولم ينكروا ان ولّاهم الله أيام عثمان بنى امية ، فاتّخذوا دين الله دغلاً ، وعباده خولاً ، ومال الله دولا ، وولاهم معاوية ويزيد ، والمروانية ، وان حرمهم من نعمة أهل بيت نبيّهم أهل بيت الرحمة إلّا أياماً معدودة فقى قيامه عليه السلام ، وقد قال فيها « ولولا قيام الحجّة بوجود الناصر لسقيت آخرها بكأس أوّلها ولالقيت حبلها على غاربها » ـ كان فى محله .

١٩/ ٣١٧/ ٣/ وقالَ لَهُ بَعْضُ الْيَهُودِ : مٰا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتّٰى اخْتَلَفْتُمْ فيهِ فَقالَ عليه السلام إِنَّمَا اخْتَلَفْنا عَنْهُ لا فيهِ ، وَلٰكِنَّكُمْ مٰا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتّٰى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ « اجْعَلْ لَنٰا إِلٰهاً كَمٰا لَهُمْ آلِهَةٌ فَقالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » .

أقول : قال (حد) روى هذا العنوان على وجه آخر انه قيل له عليه السلام : اختلفتم بعد نبيكم ولم يجفّ ماءه ـ يعنى غسله ـ فقال : وأنتم قلتم اجعل لنا آلهاً كما لهم آلهة ولم يجفّ ماءكم .

قلت : والأصل فى رواية المصنّف رواية الشعبى ، وابن المسيب ، (قالا جاء حبر من أحبار اليهود إلى علىّ عليه السلام فناظره فقطعه . فقال له : أنتم ما دفنتم نبيّكم حتّى اختلفتم فيه . فقال عليه السلام : انما اختلفنا عنه لا فيه ، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيّكم اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة فقال : انكم قوم تجهلون) فاسلم اليهودى) ـ ذكر ذلك تذكرة سبط ابن الجوزى .

ورواه ابن شهرآشوب بوجه آخر . فقال فى مناقبه : قال له رأس الجالوت لم تلبثوا بعد نبيكم إلّا ثلاثين حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف . فقال عليه السلام : وانتم لم تجفّ أقدامكم من ماء البحر حتّى قلتم اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة .

ويمكن تعدد الواقعة ـ قول اليهودى « ما دفنتم نبيّكم حتّى اختلفتم فيه »

المختلفون فى النبى ﷺ قبل دفنه انما كانوا الأنصار وقريش ، والطعن عليهم حيث نازعوه عليه السلام فى حقّه دونه عليه السلام إلّا أنّ اليهودى وجّه الطعن على جميعهم بجامع كون الجميع أهل الاسلام ، فأجابه عليه السلام بما أفحمه فالكلام يختلف ـ باختلاف المقام لمن عرف الخصام ، فمعاوية كان أعدى عدوّ لبنى هاشم ، كان يفتخر بهم في قبال الزبير بجامع كون أمّه و هاشم من بنى عبد مناف . ففى عقد الفريد ـ بعد ذكر بيان ابن الزبير مفاخرله عند معاوية مع حضور أبى عبد الله الحسين عليه السلام .

فقال معاوية لابن الزبير : ويحك كيف تصف نفسك بما وصفتها ، ووالله ـ مالك فى القديم من رياسة ، ولا فى الحديث ـ أى الجديد ـ من سياسة ، ولقد قُدْناك وسُدْناك قديماً وحديثاً لا تستطيع لذلك انكاراً ، ولا عنه فراراً ، وانّ هؤلاء الخصوم ليعلمون ان قريشاً قد اجتمعت يوم الفجار على رياسة حرب بن أمية ، و ان أباك وأسرته تحت رايته ان أمرأطاعوا ، وإن قال انصتوا ، فانزل فينا القيادة وعزّ الولاية . حتّى بعث الله تعالى محمّداً ﷺ فانتخبه من خير خلقه من أسرتى لا أسرتك ، وبنى أبى لا بنى أبيك ، فجحدته قريش أشدّ الجحود ، فما ساد قريشاً وقادهم إلّا أبوسفيان . فكانت الفئتان تلتقيان ، ورئيس الهدى ، منّا ، ورئيس الضلالة منا . فمهديكم تحت راية مهدينا ، وضالكم تحت راية ضالّنا فنحن الأرباب ، وأنتم الأذناب . حتى خلّص الله تعالى أباسفيان بفضله من عظيم شِرْكه ، فكان فى الجاهلية عظيماً شأنه ، وفى الاسلام معروفاً مكانه ، ولقد أعطى يوم الفتح مالم يعط أحد ، وانّ منادى النبىّ ﷺ نادى (من دخل دار أبى سفيان فهو آمن) وأمّا جدّك لامك الصديق فبتصديق عبد مناف سمّى صدّيقاً لا بتصديق عبد العزّى ـ أى جدّه لأبيه ـ

وأما ما ذكرت من جدّى المشدوخ ببدر . فلعمرى لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه . فلو برزت إليه أنت ـ أى إن كنت قابلاً للبراز ـ وأبوك ما بارزوكم

ولا رأوكم لهم أكفاء كما قد طلب ذلك غيركم ـ أى الأنصار ـ فلم يقبلوهم حتّى برز إليهم أكفاؤهم من بنى أبيهم ـ أى اميرالمؤمنين عليه السلام وحمزة وعبيدة ـ فقضى الله منايا هم بأيديهم . فنحن قتلنا ، ونحن قتلنا ، وأما عمّتك أم المؤمنين ـ يعنى خديجة ـ فبنا شرفت ، وسمّيت أمّ المؤمنين ، وخالتك عايشة مثل ذلك ، وأما صفيّة ـ أى بنت عبد المطلب أم أبيه ـ فهى أدنتك من الظلّ ، ولولا هى لكنت ضاحياً ، وأمّا ما ذكرت من زوج عمتك النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وخال ابيك سيّد الشهداء ـ أى حمزة ـ ففخرهم وارثهم لى دونك ، ولا فخرلك فيهم ، ولا ارث بينك و بينهم ـ أى لأنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وحمزة من بنى عبد مناف الّذى كان معاوية منهم لا من أسد بن عبد العزى الّذى كان ابن الزبير منهم .

وأما قولك : أنا عبد الله ، وأنت معاوية . فقد علمت قريش أينا أجود فى الإزم وأحزم فى القدم ، وامنع للحرم . لا والله ما اراك منتهياً حتّى تروم من بنى عبد مناف ما رام أبوك . فقد طالبهم الذحول ، وقدم إليهم الخيول ، وخدعتم ام المؤمنين ـ أى عايشة ـ ولم تراقبوا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إذ مددتم على نساءكم السجوف وأبرزتم زوجته للحتوف ، ومقارعة السيوف ، فلمّا التقى الجمعان نكص أبوك هارباً . فلم ينجه ذلك أن طحنه أبو الحسن بكلكله طحن الحصيد ، بأيدى العبيد ، وأما أنت فأفلت بعد أن خمشتك براثنه ، ونالتك مخالبه ، وأيم الله ليقوّمنك بنو عبد مناف بثقافها ـ اولتصبحنّ منها صباح أبيك بوادى السباع وما كان أبوك المدهن خده ، ولكنّه كما قال الشاعر :

تناول سرحان فريسة ضيغم × ففضفضه بالكفّ منه وحطّما

وإلّا فلو كان الخصام فى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل دفنه من المتصدّين للأمر معه عليه السلام لكان اختلافهم اشد طعن عليهم لانهم تركوا جنازه نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، و تكالبوا على طلب الاماره . ففى خلفاء ابن قتيبه « بعث ابوبكر عمرا لى قوم تخلفو عن بيعته فجاء فناداهم ، وهم فى دار على عليه السلام ، فابوا ان يخرجوا . فدعا

بالحطب ، وقال : والذى نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها . فقيل له: إنّ فيها فاطمة . فقال : وإن ، فخرجوا . فبايعوا إلّا علياً . فإنّه زعم أنّه قال : حلفت أن لا أخرج ، ولا أضع ثوبى على عاتقى حتّى أجمع القرآن ، فوقفت فاطمة عليها السلام على بابها . فقالت : لا عهد لى بقوم حضروا أسوء محضرا منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ، ولم تردّوا لنا حقّاً — إلخ .

و روى المصنّف فى خصائصه — فى خبر — أنّ علياً عليه السلام انكبّ على النبىّ صلى الله عليه وآله فى احتضاره . فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله : يا أخى إنّ القوم سيشغلهم عنّى ما يريدون من عرض الدنيا ، وهم عليه واردون ، فلا يشغلك عنّى ما شغلهم فانّما مثلك فى الأمّة مثل الكعبة نصبها الله علماً وانّما يؤتى من كلّ فجّ عميق ، وناد سحيق ، وإنّما أنت علم الهدى ، ونور الدين يا أخى والّذى بعثنى بالحق لقد قدّمت إليهم بالوعيد ، ولقد اخبرت رجلاً رجلاً منهم بما افترض الله عليهم من حقّك ، والزمهم من طاعتك ، فكلّ أجاب إليك ، وسلّم الأمر لك ، وانّى لأعرف خلاف قولهم . فإذا قبضت وفرغت من جميع ما وصّيتك به ، و غيّبتنى فى قبرى . فالزم بيتك ، واجمع القرآن على تأليفه ، والفرائض والأحكام على تنزيله . ثم امض ذلك على عزائمه و على ما أمرتك ، و عليك بالصبر على ما ينزل بك منهم حتّى تقدم علىّ — الخبر .

« فقال عليه السلام : إنّما اختلفنا عنه لا فيه » قال (حد) ما أحسن قوله عليه السلام هذا لأنّ الاختلاف لم يكن فى التوحيد والنبوّة بل فى فروع خارجة عن ذلك نحو الامامة والميراث .

قلت : الامامة أيضاً من أصول الدين وانّما هى من فروع النبوّة بمعنى أنّ الامام يعيّنه النبىّ صلى الله عليه وآله بوحى الله تعالى إليه لا الناس قال — جلّ وعلا — « وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة »[1] .

(۱) القصص ۶۸ .

وقدعرفت اختلاف الكلام بالمقام ،وأنّه عليه السلام أجاب جدلاً حيث إنّ ذاك اليهودى أدخله فى المختلفين . فأجابه بمايسكته ،وإلّا فاختلافهم إنّما كان عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى الظاهر ،وفيه فى الباطن كمايلمح إليه قوله ـ جلّ وعلا ـ «وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين[1]» .

فقال أبوالمقدام لأبى جعفر عليه السلام :إنّ العامة تزعم أن بيعة أبى بكر حيث اجتمع لها الناس كانت رضى لله ، وما كان الله تعالى ليفتن أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من بعده .فقال عليه السلام أومايقرءون كتاب الله تعالى «ومامحمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم[2]» فقلت :إنّهم يفسّرون هذا على وجه آخر . فقال :أوليس الله تعالى قد أخبرعن الامم الّذين من قبلهم انّهم اختلفوا من بعد ماجاءتهم البيّنات حين قال «وآتيناعيسى بن مريم البيّنات ـ إلى ـ فمنهم من آمن ومنهم من كفر[3]» ففى هذا مايستدلّ به على أنّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قد اختلفوا من بعده . فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر .

وفى خبرآخرعنه كان الناس اهل ردّة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلّا ثلاثة المقداد و ابوذر وسلمان الفارسى . ثم عرف اُناس بعد يسير ـ قال :وهؤلاء الّذين دارت عليهم الرحى ، وأبوا أن يبايعوا حتّى جاؤا بأميرالمؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع ،وذلك قوله ـ عزّوجلّ ـ «وامحمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسول أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم[4]» .

«ولكنّكم ماجفّت أرجلكم من البحرحتّى قلتم لنبيّكم اجعل لنا آلهاً كما لهم آلهة فقال انّكم قوم تجهلون» اشارعليه إلى الآية (١٣٨) من الأعراف «وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل

(١و٢و٤) آل عمران ١٤٤ .
(٣) البقره ٢٥٣ .

لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون إنّ هؤلاء متبّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون»[1].

ومن الآية يرفع استبعاد المخالفين مخالفة الصحابة نصّ النبىّ صلى الله عليه وآله لو كان نصّ. فإنّ بنى اسرائيل أولئك كانوا أولاد أنبياء يعقوب، واسحق وابرهيم وكانوا من أوّل عمرهم موحّدين — وهم الّذين قال — عزّوجلّ — فيهم ولهم «يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى الّتى أنعمت عليكم وانّى فضّلتكم على العالمين»[2] ومع ذلك مالوا إلى عبادة الأصنام والارتداد عن الّدين مع حيوة نبيّهم، وحضوره عندهم ساعة نجاتهم من عدوّهم فكيف يستبعد ذلك من أولئك الصحابة مع شيخوختهم فى الكفر وعبادة الأصنام، وبغضهم لوصيه لثارات لهم عنده، و معاضدة المنافقين و من أسلم كرهاً لهم، بعد موت نبيّهم.

ثم لم يرتدع بنوا سرائيل بردع نبيّهم لهم، و قوله لهم «انّكم قوم تجهلون انّ هؤلاء متبّر ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون» لكونهم اشربوا فى قلوبهم العجل حتّى عبدوا العجل و كفروا.

ولمّا نهاهم هرون عن ذلك أرادوا اقتله قال تعالى «واتّخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلاً جسداً له خوار — إلى — قال ابن أمّ انّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى»[3] فكيف يستبعد إخواننا وقوع الارتداد من أولئك الصحابة الّذين عرفت وصفهم بعد وفاة نبيّهم، وقد ارتد أولاد الأنبياء أولئك الّذين عرفت — وصفهم بغيبة نبيّهم عنهم ساعات.

وقد أشار إلى ذلك اميرالمؤمنين عليه السلام لمّا احضروه للبيعة قال ابن قتيبة فى خلفائه «أتى عمر ومعه جماعة بيت فاطمة. فدقّوا الباب. فلمّا سمعت فاطمة عليها السلام أصواتهم نادت بأعلى صوتها يا أبه يا رسول الله ماذا لقينا بعد ك

(١) الاعراف ١٣٨.
(٢) البقرة ٤٧.
(٣) الاعراف ١٤٨.

من ابن الخطاب وابن ابى قحافة . فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تتقطّر ، وبقى عمرو معه قوم ، فأخرجوا عليّاً . فمضوا به إلى أبى بكر . فقالوا له : بايع . فقال : إن أنا لم أفعل فمه ؟ قالوا إذن واللّه الّذى لا إله إلّا هو نضرب عنقك . قال : اذن تقتلون عبد اللّه ، وأخا رسوله . قال عمر : أما عبد اللّه فنعم . وأمّا أخو رسوله فلا ، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم فقال له عمر : الا تامر بأمرك فيه . فقال : لا اكرهه على شئ ماكانت فاطمة إلى جنبه . فلحق علىّ بقبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصيح وينادى « يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى » .

ومن قوله تعالى « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر »[1] ـ الى آخر الايه يعلم أنّ صلاح الانسان فى الدنيا الابتلاء بالبلاء . فقال بنو اسرائيل لموسى ـ « أوذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ماجئتنا »[2] فقال لهم موسى « عسى ربكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون »[3] فلمّا آمنهم اللّه و ـ مكّنهم فى البلاد صاروا كفرعون يقتلون أنبياء اللّه ويفعلون ماحكى اللّه تعالى عنهم كالمسلمين فى أوّلهم وآخرهم بعد نبيّهم .

هذا ويقرب من العنوان مافى العقد الفريد أنّ معاوية قال لرجل من أهل سبا « ماكان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرئة » فقال : بل قومك أجهل فحين دعاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحقّ ، وأراهم البيّنات قالوا « اللهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب إليم »

٢٠/ ١٣٥/ ١/ (وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عليه السلام فِى وَقْتِ الشُّورَى) لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِى اِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصِلَةِ رَحِمٍ ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ ، فَاسْمَعُوا قَوْلِى ، وَعُوا مَنْطِقِى

(١) الاعراف ١٣٨
(٢ و ٣) الاعراف ١٢٩

عَسىٰ اَنْ تَرَوا هٰذا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذا الْيَوْمِ تَنْتَضى فيهِ السُّيوفُ، وَتُخانُ فيهِ الْعُهُودُ حَتّىٰ يَكُونَ بَعْضُكُمْ اَئِمَّةً لِاَهْلِ الضَّلالَةِ، وَشيعَةً لِاَهْلِ الْجَهالَةِ.

أقول: رواه الطبرى مع زيادة فى صدره وذيله ففيه «تكلّم على عليه السلام آخرا يوم الشورى. فقال: الحمد للّه الّذى بعث محمّداً أمينا نبيّاً. وبعثه إلينا رسولاً فنحن بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض ونجاة لمن طلب لنا حقّ أن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل، ولو طال السرى ـ لم يسرع أحد قبلى ـ إلى آخر العنوان ـ وزاد (وأنشأ يقول:

فإن تك جاسم هلكت فانّى × بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيع فى الهواجر كلّ عىّ × بصير بالنوى من كلّ لخم

وقال (حد) قال الشعبى: فأمّا ما يذكره الناس من المناشده، وقول علىّ عليه السلام لأهل الشورى «أفيكم أحد قال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كذا» فإنّه لم يكن يوم البيعة، وإنّما كان بعد ذلك بقليل.

و روى أبو الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت فى البيت يوم الشورى. فسمعت علياً عليه السلام وهو يقول: استخلف الناس أبا بكر و أنا واللّه أحقّ بالأمر، وأولى به منه، واستخلف أبو بكر عمر، وأنا واللّه أحقّ بالأمر، وأولى به منه. إلّا أنّ عمر ـ جعلنى مع خمسة أنا سادسهم لا يعرف لهم فضل علىّ، ولو أشاء لاحتججت عليهم بما لا يستطيع عربيهم، وعجميهم المعاهد منهم والمشرك بغير ذلك.

ثم قال نشدتكم باللّه أيّها النفر هل فيكم أحد وحّد اللّه قبلى؟ قالوا: اللهم لا. قال: نشدتكم هل فيكم أحد قال له «أنت منّى بمنزلة هرون من موسى إلّا أنّه لا نبىّ بعدى» غيرى قالوا: اللهم لا ـ قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد أتى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بطير يأكل منه. فقال «اللهم ائتنى بأحبّ خلقك ـ إليك يأكل معى من هذا الطير» فجئته فقال «اللهم وإلى رسولك» غيرى قالوا

اللهم لا ـ قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين رجع عمر يوم خيبر يجبّن أصحابه و يجبّنونه قد ردّ راية النبى منهزماً . فقال النبىّ صلى الله عليه وآله « لاعطين الراية غداً رجلاً ليس بفرّار يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله ورسوله لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه » فلمّا أصبح قال : دعوا لى علياً . فقالوا : هو أرمد ما يطرف . فقال : جيئونى به . فلمّا قمت بين يديه تفل فى عينى وقال « اللهمّ اذهب عنه الحرّ والبرد » (فأذهب الله عنّى الحرّ والبرد إلى ساعتى هذه ، وأخذت الراية فهزم الله المشركين وأظفرنى بهم » غيرى قالوا : اللهمّ لا . قال : « نشدتكم بالله هل فيكم أحد له أخ مثل أخى جعفر المزيّن بالجناحين فى الجنّة يحلّ حيث يشاء » غيرى قالوا : اللهمّ لا . قال : نشدتكم الله هل فيكم أحد له عمّ مثل عمّى حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيّد الشهداء » غيرى قالوا : اللهمّ لا ـ قال « نشدتكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطىّ الحسن والحسين ابنى رسول الله وسيّدى شباب أهل الجنّة) غيرى قالوا : اللهم لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم احد له زوج مثل روجى فاطمة بنت رسول الله ، وبضعة منه ، وسيّدة نساء الجنّة » غيرى قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « من فارقك فارقنى ومن فارقنى فارق الله » غيرى ؟ قالوا : اللهم لا ـ قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال فيه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « لينتهين بنو وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسى طاعته كطاعتى ، ومعصيته كمعصيتى يغشاهم بالسيف » غيرى ؟ قالوا : اللهم لا ـ قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « كذب من زعم أنّه يحبّنى ، وهو يبغضك » غيرى ؟ قالوا : اللهم لا ـ قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « انت الخليفة فى الأهل والمسلمين فى كلّ غيبة وعدوّك عدوّى ، وعدوّى عدوّ الله ، ووليّك وليّى ، ووليّى ولىّ الله » غيرى ؟ قالوا

اللهم لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « من أحبّك فقد أحبّني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، والاك فقد والاني ، وعاداك فقد عاداني ، وسبقت له الرحمة ، ومن أبغضك سبقت له اللعنة » غيري؟ قالوا اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « أنت أخي ، وأنا أخوك في الدنيا والآخرة ومنزلك مواجه منزلي كما يتواجه الأخوان في الخلد » غيري؟ قالوا : اللهم لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « انّ الله خصّك بالزهد في الدنيا فليس تنال منها شيئاً ، ولا تنال منك ، وهي زينة الأبرار . فطوبى لمن أحبّك وصدق عليك ، وويل لمن أبغضك وكذب عليك » غيري ؟ قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليجيئ بالماء كما بعثني فذهبت حتّى حملت القربة على ظهري ، ومشيت بها . فاستقبلتني ريح فردّتني حتّى اجلستني . ثم قمت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : ما حبسك . فقصصت عليه القصّة . فقال : قد جاءني جبرئيل . فقال : امّا الريح الاُولى . فجبرئيل جاء في ألف من الملئكة يسلّمون عليك ، وامّا الثانية . فميكائيل جاء في ألف من الملئكة يسلّمون عليك » غيري ؟ قالوا : اللهم لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال فيه جبرئيل « يا محمّد أترى هذه المواساة من عليّ » فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : انّه منّي وأنا منه . فقال جبرئيل : وأنا منكما ، غيري؟ قالوا : اللهم لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد يكتب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما جعلت اكتب . فاغفى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأنا أرى أنه يملي عليّ . فلمّا انتبه قال له : من أملى عليك من هنا إلى هنا . فقلت : أنت . فقال : لا ولكن جبرئيل أملاه عليك » غيري ؟ قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما قال لي : لولا أن أخاف أن لا يبقى أحد إلّا قبض من أثرك قبضة يطلب بها البركة لعقبه بعده لقلت فيك قولاً لا يبقى أحد إلّا قبض من أثرك قبضة » فقالوا : اللهم لا — قال

نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبىّ ﷺ : احفظ الباب فانّ زوّاراً من الملئكة تزورنى فلا تأذن لأحد منهم » فجاء عمر فردّ ته ثلاث مرّات ، وأخبرته أنّ النبىّ ﷺ محتجب ، وعنده زوّار من الملئكة ، وعدّتهم كذا وكذا . ثم أذنت له فدخل فقال للنبىّ ﷺ : انّى جئت غير مرّة كلّ ذلك يردّنى علىّ ، ويقول انّ النبىّ محتجب ، وعنده زوّار من الملئكة ، وعدّتهم كذا وكذا ، فكيف علم بالعدّة أعاينهم . فقال : لا يا على كيف علمت بعدّتهم . فقلت : اختلفت التحيات ، و ـ سمعت الأصوات . فاحصيت العدد قال : صدقت غيرى ؟ قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبىّ ﷺ كما قال لى : إنّ طوبى شجرة فى الجنّة أصلها فى دار علىّ ، وليس من مؤمن إلّا وفى منزله غصن من أغصانها » غيرى ؟ قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبى ﷺ تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين غيرى ؟ قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد جاء إلى النبىّ ﷺ ورأسه فى حجر جبرئيل . فقال (ادن إلى ابن عمك فانت أولى به منّى) غيرى ؟ قالوا : اللهم لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد وضع النبىّ ﷺ رأسه فى حجره حتّى غابت الشمس ، ولم يصلّ العصر . فلمّا انتبه النبىّ ﷺ قال : هل صليت العصر قلت : لا . فدعا النبىّ ﷺ فردّت الشمس بيضاء نقية . فصلّيت . ثم انحدرت » غيرى قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد أمر الله تعالى رسوله أن يبعث ببراءة فبعث بها مع أبى بكر . فأتاه جبرئيل . فقال : يا محمد انّه لا يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك . فبعثنى النبىّ ﷺ فأخذتها من أبى بكر ، فمضيت بها ، وادّيتها عن رسوله وأثبت الله على لسان رسوله ـ أى جبرئيل ـ انّى منه » غيرى ؟ قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنت إمام من أطاعني ، ونوراً وليائي ، والكلمة التي الزمتها المتقين» غيري ؟ قالوا : اللهم لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «من سره أن يحيى حيوتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنتي التي وعدني ربي ـ إلى أن قال ـ فليوال عليّاً وذريته من بعده . فهم الأئمة وهم الأوصياء أعطاهم الله علمي و فهمي . لا يدخلونكم في باب ضلال ، ولا يخرجونكم من باب هدى ، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم . يزول الحق معهم أينما زالوا» غيري؟ قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم «قضى فانقضى انه لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق» غيري؟ قالوا : اللهم لا . قال : ـ نشدتكم بالله هل فيكم أحد . قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما قال لي «أهل ولا يتك يخرجون يوم القيمة من قبورهم على نوق بيض . شراك نعالهم نور حتى ينطلق بهم إلى ظل عرش الرحمن . يوضع بين أيديهم مائدة . يأكلون منها حتى يفرغ الناس من الحساب . يخاف الناس ولا يخافون ، ويحزن الناس ولا يحزنون» غيري؟ قالوا : اللهم لا قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد حين جاء أبوبكر يخطب فاطمة فأبى أن يزوجه فخطبت إليه فزوجني فجاء أبوبكر و عمر . فقال : أبيت أن تزوجنا وزوجته فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما منعتكما وزوجته بل الله منعكما وزوجه) غيري ؟ قالوا اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل سمعتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول كل نسب وسبب منقطع يوم القيمة إلا سببي ونسبي » فأي سبب أفضل من سببي ، وأي نسب افضل من نسبي انّ أبي وأبا رسول الله لأخوان لأب وأم ، وانّ الحسن والحسين ابني رسول الله وسيدي شباب أهل الجنة إبناي ، وفاطمة بنت رسول الله ، وسيدة نساء أهل الجنة زوجتي) غيري؟ قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم «انّ الله تعالى

خلق الخلق · ففرّقهم فرقتين · فجعلنى من خيرالفرقتين · ثم جعلهم شعوباً فجعلنى فى خيرشعبة · ثم جعلهم قبائل · فجعلنى فى خيرقبيلة · ثم جعلهم بيوتاً · فجعلنى فى خيربيت · ثم اختارمن البيت أناوعلياً وجعفراً · فجعلنى خيرهم · فكنت نائماً بين ابنى أبى طالب · فجاء جبرئيل ومعه ملك · فقال : يا جبرئيل إلى أىّ هؤلاء أرسلت · فقال : إلى هذا · ثم أخذ بيدى فأجلستى » غيرى ؟ قالوا : اللهم لا

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد سدّ النبىّ ﷺ أبواب المسلمين كلّهم من المسجد ، ولم يسدّ بابى · فجاء العباس وحمزة ، وقالا : اخرجتنا واسكنته · فقال: ما أنا أخرجتكم وأسكنته بل الله أخرجكم وأسكنه انّ الله ـ عزّوجلّ ـ اوحى الى أخى موسى عليه السلام أن اتّخذ مسجداً طهوراً ، واسكنه أنت وهرون وابناهرون ، وأوحى إلىّ أن اتخذ مسجداً طهوراً ، وأسكنه أنت وعلىّ ، وإبناعلىّ » غيرى ؟ قالوا : اللهم لا ·

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبىّ ﷺ « انّه مع الحق ـ والحقّ معه لا يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض » غيرى ؟ قالوا : اللهم لا · قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد وقى النبىّ ﷺ حيث جاء المشركون يريدون قتله فاضطجعت فى مضجعه ، وذهب النبىّ ﷺ نحوالغار ، وهم يرون أنّى هو · فقالوا : أين ابن عمك · فقلت : لا أدرى · فضربونى حتّى كادوا يقتلوننى · قالوا: اللهم لا ·

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبىّ ﷺ كما قال لى « انّ الله أمرنى بولاية علىّ · فولايته ولايتى وولاية ربى ، عهد عهده إلىّ ربى ، وأمرنى أن ابلّغكموه · فهل سمعتم » قالوا : نعم قد سمعناه قال « اما انّ فيكم من يقول سمعت وهو يحمل الناس على كتفيه ويعاديه » قالوا : اخبرنا بهم قال : اما انّ ربّى قد اخبرنى بهم وأمرنى بالاعراض عنهم لأمر قد سبق ، وانّما يكتفى أحدكم بما

يجد لعلى فى قلبه» غيرى ؟ قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل من بنى عبد الدار تسعة مبارزة كلهم بأخذ اللواء . ثم جاء صواب الحبشى . مولاهم ، وهو يقول : والله لا اقتل بسادتى غير محمّد قد أزبد شدقاه ، واحمرّت عيناه فاتقيتموه وحدتم عنه . فخرجت إليه . فلمّا أقبل كأنّه قبّة مبنية فاختلفت أنا وهو ضربتين فقطعته بنصفين ، وبقيت رجلاه و عجزه وفخذه قائمة على الأرض ينظر إليه المسلمون ، ويضاحكون منه غيرى ؟ قالوا اللهمّ لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد جاء عمرو بن عبد ود ينادى هل من مبارز فكعتم عنه كلّكم . فقمت أنا . فقال لى النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إلى أين تذهب

قلت : إلى هذا الفاسق . فقال : انّه عمرو بن عبد ود فقلت فانا على بن ابى طالب . فأعاد علىّ الكلام ، وأعدت عليه . فقال : امض على اسم الله . فلمّا قربت منه قال : من الرجل قلت : على بن ابيطالب قال : كفو كريم ارجع يا ابن أخى . فقد كان لأبيك معى صحبة و محادثة . فأنا اكره قتلك . فقلت له : يا عمرو انّك قد عاهدت الله انّه لا يخيّرك أحد ثلاث خصال إلّا اخترت إحداهن . فقال : اعرض علىّ قلت : تشهد ألا إله إلّا الله ، وانّ محمّداً رسوله ، وتقرّ بما جاء من عنده قال : هات غيرها قلت : ترجع من حيث جئت قال : والله لا تحدّث نساء قريش بهذا انّى رجعت عنك . فقلت : فانزل . فاقاتلك قال أما هذه فنعم . فنزل : فاختلفت أنا وهو ضربتين . فأصاب سيفه رأسى ، و ضربته ضربة . فقتله الله على يدى . ففيكم أحد فعل هذا غيرى ؟ قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم احد حين جاء مرحب وهو يقول :

أنا الّذى سمّتنى أمّى مرحب × شاكى السلاح بطل مجرّب

أطعن أحيانا و حينا أضرب

فخرجت إليه فضربنى وضربته فقتلته . ففيكم احد فعل هذا قالوا : اللهم لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم احد انزل الله فيه آية التطهير على رسوله

« إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا » فأخذ النبىّ صلى الله عليه وآله كساء خيبرياً فضمّنى فيه ، وفاطمة والحسن والحسين · ثم قال: يارب هؤلاء أهل بيتى · فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا » قالوا : اللهم لا

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم « أنا سيّد ولد آدم وأنت ياعلىّ سيّد العرب » قالوا : اللهم لا · قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى المسجد إذ نظر إلى شئ فبادره ولحقه أصحابه · فانتهى إلى سودان أربعة يحملون سريراً · فقال لهم : ضعوه · فوضعوه · فقال : اكشفوا عنه فاذا أسود مطوّق بالحديد · فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : من هذا قالوا : غلام آل فلان كان قد أبق عنهم « فأخذوه فقيّدوه فمات » فأمرونا أن ندفنه فى حديده كما هو فنظرت إليه · فقلت : ما رآنى هذا قط إلّا قال : أنا والله أحبّك ، والله ما احبّك إلّا مؤمن وما أبغضك إلّا كافر · فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « ياعلىّ لقد أتانى به الله بهذا بسبعين قبيلاً من الملئكة كل قبيل ألف نزلوا يصلّون عليه · ففكّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حديدته ، وصلّى عليه ودفنه » قالوا : اللهم لا ·

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مثل ماقال لى قال اذن لى البارحة فى الدعاء · فما سألت ربّى شيئاً إلّا أعطانيه ، وما سألت لنفسى شيئاً إلّا سألت لك مثله فقلت الحمد لله » قالوا : لا ـ قال : نشدتكم بالله هل علمتم أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بعث خالد بن الوليد إلى بنى خزيمة · ففعل مافعل فصعد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم المنبر · فقال : اللهم انّى أبرء إليك ممّا فعل خالد ـ ثلاث مرات ـ ثم قال : ياعلى اذهب فاعطهم الدية · فذهبت فوفّرت ديتهم · ثم ناشدتهم بالله هل بقى شئ فقالوا : فميلغة كلابنا ، وعقال بعيرنا فاعطيتهم لهما ، وبقى معى ذهب كثير · فاعطيتهم اياه ، وقلت : هذا لذمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما تعلمون ولما لا تعلمون ، ولروعات النساء والصبيان · ثم جئت إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال : والله مايسرّنى انّ لى بما صنعت حمر النعم » قالوا : اللهم نعم ·

قال : نشدتكم بالله هل سمعتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لي «لقد عرضت علي أمتي البارحة . فمر بي أصحاب الرايات . فاستغفرت لك ولشيعتك» فقالوا اللهم نعم . قال : نشدتكم بالله هل سمعتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر «اذهب فاضرب عنق ذلك الرجل الذي تجده في موضع كذا وكذا» فرجع . فقال له : قتلته قال : لا وجدته يصلي ، قال يا عمر : اذهب فاقتله . فرجع . فقال له : قتلته قال : لا وجدته يصلي . فقال : أمرتكما بقتله فتقولان وجدناه يصلي . فقال لي : اذهب فاقتله . فلما مضيت قال : إن أدركه قتله . فرجعت فقلت : لم أجد أحداً قال : صدقت أما انك لو وجدته لقتلته» قالوا : اللهم نعم .

قال : نشدتكم بالله هل علمتم أن عايشة قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن ابرهيم ليس منك ، وانه ابن فلان القبطي . فقال : يا علي فاذهب فاقتله . فقلت : يا رسول الله إذا بعثتني اكون كالسمار المحمى في الوبر . او اتثبت . قال : لا بل تثبت . فذهبت . فلما نظر الي استند إلى حايط . فطرح نفسه فيه . فطرحت نفسي على أثره . فصعد على نخلة ، وصعدت خلفه . فلما رآني قد صعدت رمى بازاره . فإذا ليس له شئ مما يكون للرجال . فجئت . فأخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت» قالوا : اللهم نعم .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قال لي «ان وليك في الجنة ، وعدوك في النار» قالوا : اللهم لا) قال : اللهم اشهد .

نقله مناقب ابن شهرآشوب . وقال : رواه ابن مردويه في كتابه والخوارزمي في أربعينه ، ورواه الزمخشري عن أبي ذر .

«لم يسرع احد قبلي إلى دعوة حق» قال الاسكافي في نقض عثمانيته قال ابن عباس : فرض الله تعالى الاستغفار لعلي عليه السلام في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان» فكل من أسلم بعد علي عليه السلام فهو يستغفر له .

قال : وقال ابن عباس أيضاً : السُبّاق ثلاثة : سبق يوشع بن نون إلى موسى عليه السلام ، وسبق صاحب (يس) إلى عيسى عليه السلام وسبق علىّ بن أبى طالب عليه السلام إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : وقال عفيف بن قيس الكندى : كنت فى الجاهلية عطاراً . فقدمت مكة . فنزلت على العباس بن عبد المطلب . فبينا أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة وقد تحلّقت الشمس فى السماء أقبل شابّ كأنّ وجهه القمر حتّى رمى ببصره إلى السماء . فنظر إلى الشمس ساعة . ثم أقبل حتّى دنا من الكعبة . فصفّ قدميه يصلّى . فخرج على أثره فتى كأنّ وجهه صفيحة يمانية . فقام عن يمينه فجائت امرئة متلفقة فى ثيابها . فقامت خلفهما . فأهوى الشاب راكعاً فركعا معه ثم أهوى إلى الأرض ساجداً فسجدا معه . فقلت للعباس : أمر عظيم . فقال : أمر والله عظيم أتدرى من هذا الشاب ؟ قلت : لا . قال : هذا ابن أخى محمّد بن عبد الله . أتدرى من هذا الفتى ؟ قلت : لا . قال : ابن أخى علىّ بن أبى طالب أتدرى من المرئة ؟ قلت : لا قال هذه ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزّى ، هذه خديجة زوج محمّد هذا . وانّ محمّد هذا يذكر أنّ إلهه إله السماء والأرض أمره بهذا الدين . فهو عليه كما ترى ؟ و يزعم أنّه نبى ، و قد صدّقه على قوله ابن عمّه علىّ هذا الفتى ، وزوجته خديجة هذه المرأة والله ما أعلم على وجه الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . فقلت له : فما تقولون أنتم قال : ننتظر الشيخ مايصنع ـ يعنى أباطالب أخاه .

و روى مثله عن ابن مسعود قال : وقال السدى : انّ أبابكر و عمر خطبا فاطمة . فردّ هما النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال : لم أومر بذلك . فخطبها علىّ عليه السلام . فزوّجه إيّاها ، وقال لها زوّجتك أقدم الأمّة إسلاماً ، وأكثرهم علماً ، و أعظمهم حلماً ، و ما زوّجتك إلّا بأمر من السماء أما علمت أنّه أخى فى الدين والآخرة .

قال : و رواه جابر بن عبد الله ، وابن عباس ، وأم ايمن ، وأسماء بنت عميس

قال : وقال عباد بن عبد الله الأسدى : سمعت علياً عليه السلام يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصدّيق الأكبر ، لا يقولها غيرى إلّا كذّاب ، وقد صليت قبل الناس سبع سنين .

قال : وروى أبو أيوب الأنصارى عن النبى ﷺ قال : لقد صلّت الملئكة علىّ وعلى علىّ سبع سنين ، وذلك انّه لم يصلّ معى رجل فيها غيره .

وفى الطبرى عن ابن عباس قال : قال على عليه السلام : لما نزلت « وانذر عشيرتك الأقربين »(١) على النبى ﷺ دعانى . فقال : انّ الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت انّى متى اباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره . فصمتّ عليه حتّى جائنى جبرئيل . فقال : يا محمد أن لا تفعل يعذّبك ربك . فاصنع لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملا لنا عسّاً من لبن . ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتّى أكلّمهم وأبلّغهم ما امرت به ففعلت ما أمرنى به . ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون فيهم أعمامه أبو طالب و حمزة والعباس وأبو لهب فلمّا اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم . فجئت به . فلمّا وضعته تناول النبى ﷺ حذية من اللحم فشقّها بأسنانه . ثم ألقاها فى نواحى الصفحة ثم قال : خذوا بسم الله . فاكل القوم حتى مالهم بشئ من حاجة ، وما أرى إلّا موضع أيديهم ، وأيم الله الذى نفس علىّ بيده ، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم . ثم قال : اسق القوم . فجئتهم بذلك العسّ . فشربوا منه حتّى رووا منه جميعا ، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله . فلمّا أراد النبىّ ﷺ أن يكلّمهم بدره أبو لهب . فقال : لشدّ ما سحركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلّمهم . فقال : الغد يا على انّ هذا الرجل سبقنى إلى ما سمعت . فتفرقوا قبل أن أكلّمهم . فعد لنا من الطعام بمثل ما فعلت ثم أجمعهم الىّ ففعلت ثم دعا بالطعام . فقرّبته إليهم . ففعل كما فعل بالأمس . فاكلوا حتى مالهم

(١) الشعراء ٢١٤ .

بشئ حاجة . ثم قال : اسقهم فجئتهم بذلك العسّ . فشربوا منه حتى رووا جميعا . ثم تكلّم النبىّ صلى الله عليه وآله . فقال : يا بنى عبد المطلب انّى والله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به انّى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه . فأيّكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى ، وخليفتى فيكم . فأحجم القوم عنها جميعاً . وقلت : وأنا لا أحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتى . ثم قال « إنّ هذا أخى ، ووصيى ، وخليفتى فيكم . فاسمعوا له وأطيعوا » . فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

و روى تريباً منه عن ربيعة بن ناجد عنه عليه السلام .

« وصلة رحم وعائدة كرم » ظفر عليه السلام يوم الجمل بمروان وابن الزبير ، و سعيد بن العاص ، وهم مبغضوه لا سيّما الأوّلان فعفا عنهم تكرّماً .

ولما قال طلحة بن عثمان العبدرى صاحب لواء المشركين يوم أحد : يا معشر أصحاب محمّد إنّكم تزعمون أنّ الله يعجّلنا بسيوفكم إلى النار ، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة . فهل منكم أحد يعجّله الله بسيفى إلى الجنّة . أو يعجّلنى بسيفه إلى النار . فقام عليه السلام إليه وقال : والّذى نفسى بيده لا أفارقك حتّى أعجّلك بسيفى إلى النار . أو تعجّلنى بسيفك إلى الجنّة . فضربه عليه السلام فقطع رجله فسقط . فانكشفت عورته . فقال : انشدك الله والرحم يا ابن عم فتركه . فكبّر النبىّ صلى الله عليه وآله . فقال له عليه السلام أصحابه : ما منعك أن تجهز عليه . قال : إنّ ابن عمّى ناشدنى الرحم حين انكشفت عورته . فاستحييت منه .

ولمّا انكشف عمرو بن العاص ـ وبمعاونته تمكن معاوية من مقابلته معه ـ عليه السلام ـ يوم صفين عورته وبعده بسر بن أرطاة ـ وهو الّذى قتل كثيراً من شيعته وكان يسبّه أيضاً ـ عورته لئلّا يقتلهما عليه السلام تركهما تكرّماً .

«فاسمعوا قولى وعوا منطقى» : أى اجعلوا آذانكم وعاءً لمنطقى كناية عن حفظه والعمل به «عسى أن تروا هذا الأمر» : اى أمر الخلافة من بعد هذا اليوم» : أى يوم الشورى التى جعلها عمر ، «تنتضى» : أى تسل

«فيه السيوف» : فان جعله شورى لم يكن باقل فسادا من منعه النبى ـ صلى الله عليه وآله عن الوصية كما اعترف به محمد بن سليمان حاجب الحجاب كما نقل عنه (حد) عند شرح قوله عليه السلام لمغيرة بن أخنس .

وفى خلفاء ابن قتيبة لمّا قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة ليزيد ، وامتنع الحسين عليه السلام وامتنع ابن ابى بكر ، وابن عمر ، وابن الزبير . اخرجهم معه إلى مكة ، وأمر بمنبر فنصب منبر قرب الكعبة ، وأحضرهم . فقال لهم : انى أتقدم إليكم ، وقد اعذر من انذر انى قائل مقالة . فاقسم بالله لئن ردّ علىّ رجل منكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع إليه كلمته حتّى يضرب رأسه . فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه ، ولا يبقى إلا عليها ـ وأمر أن يقوم على رأس كلّ رجل منهم رجلان بسيفهما . فان تكلّم بكلمة يردّ بها عليه قوله قتلاه ، وخرج وأخرجهم معه حتّى رقى المنبر ، وحفّ به أهل الشام ، واجتمع الناس . فقال بعد حمد الله «إنّا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار . قالوا : إنّ حسيناً ، وابن أبى بكر ، وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد ، وهؤلاء الرهط سادة المسلمين ، وخيارهم . لا نبرم أمراً دونهم ، ولا نقضى أمراً إلا عن مشورتهم ، وانى دعوتهم . فوجدتهم ـ سامعين مطيعين . فبايعوا وسلّموا وأطاعوا» .

فقال أهل الشام : ومايعظم من أمر هؤلاء ايذن لنا نضرب أعناقهم فنحن لا نرضى حتّى يبايعوا علانية . فقال معاوية «سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالشرّ واحلى دمائهم عندهم ، انصتوا فلا اسمع هذه المقالة من أحد ثم قربت رواحله فركب ومضى ، فقال الناس للحسين عليه السلام واصحابه : قلتم لا نبايع فلمّا دعيتم وارضيتم بايعتم ، قالوا : لم نفعل ، قالوا : بلى قد فعلتم وبايعتم فلا

انكرتم . قالوا : خفنا القتل ، وكادكم بنا ، وكاذبنا بكم .

ولما رغب معاوية فى الشام الوافدين عليه فى الخطبة ليزيد تكلّم الضحّاك بن قيس ، وعمرو بن سعيد . ثم قام يزيد بن المقفع فقال : الخليفة هذا ـ وأشار إلى معاوية ـ فإن هلك فهذا ـ وأشار إلى يزيد ـ فمن أبى فهذا ـ وأشار إلى سيفه . فقال له معاوية : اجلس فانّك سيّد الخطباء .

« وتخان فيه العهود » فى مقاتل أبى الفرج . قال أبو اسحق : قال معاوية بالنخيلة اى بعد اخذه البيعة من الحسن عليه السلام بشرائط وعهود ـ انّ كلّ شئ أعطيته الحسن بن علىّ تحت قدمى هاتين لا أفى به . قال ابو اسحاق وكان واللّه غدّارا .

وقال سعيد بن سويد صلّى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة فى الصحن ثم خطبنا . فقال : واللّه ماقاتلتكم لتصلّوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتحجّوا ، ولا لتزكّوا إنكم لتفعلون ذلك انّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم ، وقد أعطانى اللّه ذلك ، كارهون ـ قال شريك فى حديثه هذا هو التهتك .

قلت : قول معاوية وإن كان تهتّكاً إلّا أنّه كان قولاً صدقاً فى إخباره عن نفسه بعيداً من الرياء والنفاق بخلاف قول من أسّس له ذلك فى تخلّفه تارة عن جيش بعد رعدم قبول قلبه ترك النبى فى تلك الحالة ، وفى منعه للنبىّ صلّى اللّه عليه وآله عن الوصية أخرى بكفاية القرآن لهم ، وثالثة بعد موت النبىّ صلّى اللّه عليه وآله بأنّه لا يمكن أن يموت لغرض وصول أبى بكر إليه ، ورابعة لتقديم صاحبه بأن جعله الخليفة أولى من أمره بالصلوة لكون الصلوة أمراً دينيا والخلافه امرا دنيويه .

« حتى يكون بعضكم ائمّة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجهالة » فى الطبرى ـ بعد دروصول رسول عبيد الله بن زياد إلى الحر ـ فنظر ابو الشعثاء الكندى من أصحاب الحسين عليه السلام إلى الرسول فقال أمالك بن النسير المدى قال

نعم . فقال له : ثكلتك أمّك ماذا جئت فيه قال : وماجئت فيه أطعت امامى ووفيت ببيعتى . فقال له أبو الشعثاء : عصيت ربّك ، وأطعت امامك فى هلاك نفسك كسبت العار والنار قال ـ عزّ وجلّ ـ «وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار»(١) فهو امامك .

نبّههم عليه السلام فى قوله «لم يسرع أحد قبلى إلى دعوة حقّ ، وصلة رحم ، و عائدة كرم» على مافطر الله تعالى العقول عليه من وجوب تقديم الأفضل وخبطهم فى اختيار أبى بكر وفى قوله «عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف ، وتخان فيه العهود حتّى يكون بعضكم أئمّة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة» على أنّهم إن اختاروا عثمان كما دبّر عمر لقريش المنافقين يترتب عليه تلك المفاسد من سلطنة بنى أميّة المشتملة على تلك الامور من انتضاء السيوف فى طلب الخلافة ، وخيانة العهود ، وغير ذلك . قال النظّام مخاطباً لعبد الملك بعد نقل خطبته لمّا بويع «انّى والله ما أنا بالخليفة المستضعف ـ يعنى عثمان ـ ولا بالخليفة المداهن ـ يعنى معاوية ـ ولا بالخليفة المأفون ـ يعنى يزيد» (أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف ، وسببك من هذا المداهن لكنت منها أبعد من العيّوق) .

٢١ / ٧١ / ١ / (ومن كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان)

لَقَدْ عَلِمْتُمْ اَنّي اَحَقُّ النّاسِ بِهٰا مِنْ غَيْرِي ، وَوَاللّٰهِ لَاُسْلِمَنَّ مٰا سَلِمَتْ اُمُورُ الْمُسْلِمِيْنَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهٰا جَوْرٌ اِلّا عَلَيَّ خٰاصَّةً اِلْتِمٰاساً لِاَجْرِ ذٰلِكَ وَ فَضْلِهِ وَزُهْداً فِي مٰا تَنٰافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ .

أقول : قال (حد) نذكر ما استفاض فى الروايات من مناشدته أصحاب

(١) القصص (٤١)

الشورى وتعديد فضائله ، وخصائصه التى بارأ بها منهم ومن غيرهم ـ إلى أن قال ـ ثم قال عليه السلام لهم «انشدكم الله أفيكم أحد آخى الرسول بينه و بين نفسه حيث آخى بعض المسلمين مع بعض غيرى . فقالوا : لا . فقال : أفيكم أحد قال له النبى صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه فهذا مولاه» غيرى . قالوا : لا قال : أفيكم من اوتمن على سورة (براءة) . وقال له النبى صلى الله عليه وآله «انه لا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى» غيرى قالوا : لا . قال : ألا تعلمون أن أصحاب النبى صلى الله عليه وآله فرّوا عنه فى مأقط الحرب فى غير موطن ، وما فررت قط قالوا : بلى . قال : أتعلمون انى أول الناس إسلاماً قالوا : بلى . قالوا : فأيّنا أقرب إلى النبى صلى الله عليه وآله نسباً قالوا : أنت» . فقطع عبد الرحمن بن عوف كلامه ، وقال : ياعلى قد ابى الناس إلا عثمان . فلا تجعل على نفسك سبيلاً ثم قال : يا أباطلحة ما الذى أمرك به عمر . قال : ان اقتل من شقّ عصا الجماعة . فقال عبد الرحمن لعلى : بايع اذن ، والا كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين ، وأنفذنا فيك ما امرنا به فقال عليه السلام «لقد علمتم انى أحقّ بها من غيرى» إلى آخر العنوان . ثم مدّيده فبايع .

«لقد علمتم انى احق الناس» هكذا فى المصرية ، وليست كلمة (الناس) فى (حد ، وثم ، والخطية) فهى زائدة .

«بها من غيرى» حيث اقروا بمقاماته ، ومقالات النبى صلى الله عليه وآله فيه من كونه كنفسه اولى بهم من أنفسهم ، وأنه من النبى صلى الله عليه وآله بمنزلة هرون من موسى وغير ذلك مما مر فى مناشداته الا انهم لم يكونوا يريدون العمل بالحق ، ولا فهم من هو أحقّ ولذا قطع ابن عوف كلامه عليه السلام ، وقال له : انّ الناس ـ و مراده ابن أبى سرح الذى نزل القرآن بكفره ، والوليد بن عقبة الذى نزل القرآن بفسقه ونظرائهما ـ أبوا إلا عثمان لأنهم نظروا لأنفسهم فى دنياهم ، ولم يكن لهم شغل بالدين ، وهدّده أيضاً بأمر عمر بقتله عليه السلام إن أراد شقّ عصا الجماعة اى

جماعة الكفر والنفاق ، وأنّه عليه السلام إن لم يقبل ذلك كان متّبعاً غير سبيل المؤمنين : أى بالجبت والطاغوت .

« ووالله لا سلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلّا على خاصة »

قال (حد) هذا الكلام يدلّ على أنّه عليه السلام لم يكن يذهب إلى أنّ خلافة عثمان كانت تتضمن جوراً على المسلمين والاسلام ، وانّما يتضمن جوراً عليه عليه السلام خاصّة وأنّها وقعت على جهة مخالفة الاولى لا على جهة الفساد الكلى .

قلت : ما ذكره من الدلالة غريب . فانّ معنى كلامه عليه السلام انّ باقى الستة الّذين عيّنهم عمر لم يكن عليهم جوراً لأنّه لا حق لهم فى الخلافة ولا استحقاق وعمر ذكرهم بغير حق ، وانّما الجور عليه عليه السلام خاصّة حيث غصب حقّه .

واما قوله : لم يكن جوراً على الاسلام . فمضحك . فمر أبو سفيان أيّام عثمان على قبر حمزة . فضربه برجله ، وقال له : يا أبا عمارة قم . فانظر أنّ الدين الّذى كنت تضرينا عليه بالسيف فى يد شبّاننا يلعبون به ، وسمعوا ليلة بيعته هاتفاً يقول « يا ناعى الاسلام قم فانعه » .

وأما قوله عليه السلام « ما سلمت امور المسلمين » فمعناه ما كانت صورة الاسلام على الظاهر محفوظة ، والّا فكيف كانت بيعة عثمان صحيحة ، وانّما أكرهوه على البيعة وأرادوا قتله ، وكيف كانت صحيحة ، وقد تضمّنت تلك المفاسد الجليلة من ركوب بنى أمية أعداء الدين رقاب الامة ، واخذ الخلافة بنقض العهد وسلّ السيف .

وكيف كانت صحيحة ، وجميع من بايعه من اهل الشورى وغيرهم من المهاجرين ، والأنصار والتابعين على إباحة قتله فضلا عن وجوب خلعه .

وكيف كانت صحيحة ، وكل فقرة ممّا قرّرها عليه السلام عليهم قبل هذا الكلام من مناشداته الواردة فى الروايات دالة على بطلان خلافة الاولين فضلا عن عثمان .

وروى ابن مردويه فى مناقبه ، والخوارزمى فى أربعينه ، عن الطبرانى مسنداً عن أبى الطفيل . قال : كنت يوم الشورى على الباب . فارتفعت الأصوات بينهم ، فسمعت علياً عليه السلام يقول : بايع الناس أبوبكر ، وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه . فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً أو يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف . ثم بايع أبوبكر لعمر وأنا أولى بالأمر منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً . ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان ـ الخبر .

وممّا ذكرنا يظهر لك ما فى مغالطة (حد) فى قوله « فان قلت : فهلا سلّم إلى معاوية والى أصحاب الجمل ، وأغضى على اغتصاب حقّه حفظ الاسلام من الفتنة . قلت : إنّ الجور الداخل عليه من أصحاب الجمل ، ومن معاوية وأهل الشام لم يكن مقصوراً عليه خاصّة . بل كان يعمّ الاسلام والمسلمين جميعاً لأنّهم لم يكونوا عنده . ممّن يصلح لرياسة الأمّة ، وتحمّل أعباء الخلافة » .

فانّه أى فرق بين عثمان ومعاوية بل كانت أمور المسلمين فى زمان معاوية أقرب إلى الصلاح منها فى زمان عثمان لأنّ معاوية إنّما كان ظالماً جائراً ، ولم يكن مفسداً بخلاف عثمان ، ولذا انتقضت عليه الأمور حتّى أجهز عليه عمله .

ثم ننشدهم بالله انّ الزبير وطلحة ، وهما عندهم من حوارى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن العشرة المبشّرة ، وممّن توفى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض ، ولهما سوابق فى أيام النبى صلى الله عليه وآله وسلم أىّ نقص كان لهما عن عثمان بل عن أبى بكر وعمر سوى أنّهم نالوها وهما لم ينالاها ، والكلام فى الاستحقاق لا الاتفاق .

ولما قال عمر لأهل الشورى أكلكم يطمع بعدى فى الخلافة قال له الزبير « وما الّذى يبعّدنا منها وليتها أنت فقمت بها ، ولسنا دونك فى قريش ولا فى السابقة ولا فى القرابة .

وانّما الفارق انّه عليه السلام يوم السقيفة ويوم الشورى كان وحده فى مقابل سلطنة مستقرة هدّدوه فى الأول بالإحراق والقتل ، وفى الثانى بضرب العنق كما

أمرهم عمر، ووكّل أباطلحة بذلك لوتخلّف متخلّف عن دستوره فى البيعة مع من ينتخبه ابن عوف وهو عثمان.

وأما أهل الجمل وأهل الشام. فبالعكس كان هو عليه السلام ذا سلطنة قاهرة أراد الأولون نكثها، والأخيرون التخلّف عنها، وكان عليه السلام مكلّفاً بعدم تخليتهم بعد قدرته. فقال عليه السلام «ولولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها».

وقال عليه السلام أيضاً فى ذلك «لم يسعنى إلّا القتال أو الجحود بما أنزل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم» وقد أباد عليه السلام الأوّلين فى يوم واحد، وأراد استيصال الآخرين إلّا أنّ الأقدار منعت عن ذلك بامتحان الله تعالى لعباده سنّة الله الّتى قد خلت من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلا.

۲۲/ ۱۵/ ۱/ (ومن كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة) ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلاتِ حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ. أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وآله وسلم، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا، وَاللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً، وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ، وَهَذَا الْيَوْمِ أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا. فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى

مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا ، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ . فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ ، وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ .

قال الشريف: أقول: إنّ فى هذا الكلام الأدنى من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان ، وان حظّ العجب منه أكثر من حظّ العُجب به ، و فيه مع الحال الّتى وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ، ولا بطلع فجّها إنسان ، ولا يعرف ما أقول: إلّا من ضرب فى هذه الصناعة بحق ، وجرى فيها على عِرق ، وما يعقِلُها إلّا العالمون .

وَمِنْ هٰذِهِ الْخُطْبَةِ شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةُ وَالنَّارِ أَمَامَهُ . سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا . وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا ، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى . الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ . عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ . هَلَكَ مَنِ ادَّعَى ، وَخَابَ مَنِ افْتَرَى . مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ . فَاسْتَتِرُوا فِي بُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَلَا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ .

أقول: قال (حد) هذه الخطبة من جلائل خطبه ، ومن مشهوراتها رواها الناس كلّهم ، وفيها زيادات حذفها الرضى . امّا اختصاراً أو خوفاً من ايحاش

السامعين ، وقد ذكرها الجاحظ فى البيان على وجهها ، ورواها عن أبى عبيدة قال : أوّل خطبة خطبها أمير المؤمنين على عليه السلام بالمدينة فى خلافته حمد الله واثنى عليه وصلّى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال « ألا لا يرعين مرع إلّا على نفسه شغل من الجنّة والنار أمامه . ساع مجتهد ، وطالب يرجو ، ومقصّر فى النار ثلاثة واثنان » ملك طار بجناحه ، ونبى اخذ الله بيده ألا سادس . هلك من ادّعى — و روى من اقتحم — اليمين والشمال مضلّة ، والوسطى الجادّة . منهج عليه باقى الكتاب والسنّه ، وآثار النبوّة انّ الله داوى هذه الامة بدواءين السوط والسيف لا هوادة عند الامام فيهما استتروا فى بيوتكم ، واصلحوا ذات بينكم ، والتوبة من وراءكم من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور لم تكونوا عندى محمودين اما انّى لو أشاء لقلت : عفا الله عما سلف سبق الرجلان ، وقام الثالث كالغراب همّه بطنه ، ويحه لو قصّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له . انظروا فان انكرتم فانكروا ، وإن عرفتم فأزروا . حقّ وباطل ولكلّ أهل ، ولئن أمر الباطل لقديماً فعل ، وإن قل الحق لربّما ولعل ، وقلّما أدبر شئ فأقبل ، ولئن رجعت إليكم أموركم انّكم لسعداء ، وانّى لأخشى أن تكونوا فى فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد

قال الجاحظ : قال أبو عبيده : وزاد فيها فى رواية جعفر بن محمّد ، عن آبائه عليهم السلام الا انّ أبرار عترتى ، وأطائب أرومتى . أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كبارا الا وانّا أهل بيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا . فإن تتّبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وان لم تفعلوا يهلكم الله بأيدينا معنا راية الحق من تبعها لحق ، ومن تأخّر عنها غرق . ألا وبنا يدرك ترة كلّ مؤمن ، وبنا تخلع ربقة الذلّ عن أعناقكم ، وبنا فتح لا بكم ، وبنا يختم لا بكم

وقال (ثم) تمام الخطبة هكذا الحمد لله أحق محمود بالحمد ، وأولاه — بالمجد إلها واحد اصمدا . أقام اركان العرش . فأشرق لضوئه شعاع الشمس فى مطلع فاتقن ، وأقام . فذلّت له وطأة المتمكن ، وأشهد ألا إله إلّا الله

وحدة لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله . أرسله بالنور الساطع ، والضياء المنير . أكرم خلق الله حسباً ، وأشرفهم نسباً . لم يتعلّق عليه مسلم ، ولا معاهد بمظلمة . بل كان مظلة . أما بعد فإنّ أوّل من بغى على الأرض عناق ابنة آدم . كان جلسها من الأرض جريباً ، وكان لها عشرون إصبعاً ، وكان لها ظفران كالمنجلين . فسلّط الله عليها أسداً كالفيل ، وذئباً كالبعير ، و نسراً كالحمار ، وكان ذلك فى الخلق الأول فقتلها ، وقد قتل الله الجبابرة على أسوء أحوالهم ، وانّ الله أهلك فرعون وهامان ، وقتل قارون بذنوبهم . ألا وانّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّكم .

والّذى بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة ، ولتغربلنّ غربلة حتّى يعود أسفلكم أعلاكم ، وأعلاكم اسفلكم ، وليسبق سابقون كانوا قصروا ، وليقصرن سابقون كانوا سبقوا . والله ماكتمت ، وشمة ، ولا كذبت كذبة ، ولقد نبّئت بهذا اليوم وهذا المقام . ألا وأنّ الخطايا . خيل شمس حمل عليها أهلها ، وخلعت لجمها ، فتقمحت بهم فى النار فهم فيها كالحون . ألا وانّ التقوى . مطايا ذلل حمل عليها أهلها فسارت بهم . حتّى إذا جاؤا ظلاً ظليلاً فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . ألا وقد سبقنى إلى هذا الأمر من لم أشركه فيه ، ومن ليست له منه توبة الا بنبى يبعث ، ولا نبى بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم شفا منه على جرف هار . فانهار به فى نار جهنّم . أيّها الناس كتاب الله وسنّة نبيّه لا يرعى مرع إلّا على نفسه . شغل من الجنة والنار أمامه . ساع نجا ، وطالب مرجو ، و مقصّر فى النار ، ولكلّ أهل ، ولعمرى لئن أمر الباطل لقديماً فعل ، ولئن قلّ الحقّ لربما ولعل ، ولقلّما أدبر شئ فأقبل ، ولئن ردّ أمركم عليكم . انكم لسعداء وما علينا إلّا الجهد ، وقد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة كنتم عندى فيها غير محمود الرأى ، ولو شاء أن أقول لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان ، وقام الثالث كالغراب همّه بطنه ويله لو قصّ جناحاه وقطع رأسه كان خيراً له . شغل

من الجنّة والنار أمامه · ساع مجتهد ، وطالب يرجو ، ومقصّر فى النار ثلاثة و إثنان خمسة ليس فيهم سادس · ملك طار بجناحيه ، ونبيّ أخذ اللّه بضبعيه · هلك من ادّعى ، وخاب من افترى · اليمين والشمال مضلّة · وسط الطريق المنهج ، عليه باقى الكتاب ، وآثار النبوّة ألا وانّ اللّه قد جعل أدب هذه الأمّة السوط ـ والسيف ليس عند امام فيهما هوادة ، فاستتروا ببيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ، والتوبة من وراءكم · من ابدى صفحته للحق هلك · الا وانّ كل قطيعة اقطعها عثمان أو مال أخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم فى بيت مالهم ، ولو وجدته قد تزوّج به النساء و فرّق فى البلدان · فانّه إن لم تسعه الحقّ فالباطل أضيق عنه ·

ورواه الارشاد عن أبى عبيده مثل ماروا البيان ـ ورواه عقد ابن عبد ربه مثله لكن فيه (منهج عليه أمّ الكتاب) ـ ورواه عيون ابن قتيبة لكن بدون زيادة ما عن الصادق عليه السلام ـ وفى العقد والعيون (فلا يدّعين مدّع إلّا على نفسه) ·

و روى روضة الكافى عن القمى ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن على بن رئاب ، ويعقوب السرّاج عن الصادق عليه السلام أنّ امير المؤمنين عليه السلام لمّا بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر · فقال : الحمد للّه الّذى علا · فاستعلى ، ودنا فتعالى وارتفع فوق كل منظر ـ إلى أن قال ـ

أما بعد أيّها الناس · فانّ البغى يقود أصحابه إلى النار ، وأنّ أوّل من بغى على اللّه جل ذكره عناق بنت آدم ، وأوّل قتيل قتله عناق ، وكان مجلسها جريباً من الأرض فى جريب ، وكان لها عشرون إصبعاً فى كلّ إصبع ظفران مثل المنجلين ، فسلّط اللّه عليه أسداً كالفيل ، وذئباً كالبعير ونسراً مثل البغل فقتلوها ، وقد قتل اللّه الجبابرة على أقضل أحوالهم ، وآمن ماكانوا وأمات هامان وأهلك فرعون ، وقد قتل عثمان · ألا وانّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث اللّه

نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ، والّذى بعثه بالحق ـ إلى أن قال ـ

فلئن أمر الباطل لقد يما فعل ، ولئن قلّ الحقّ فلربّما ولعلّ ، ولقلّما أدبر شئ فأقبل ، ولئن ردّ عليكم أمركم أنّكم لسعداء ، وما علىّ إلّا الجهد ، وانّى لأخشى أن تكونوا على فترة ملتم عنّى ميلة ، كنتم فيها عندى غير محمودى الرأى ولو اشاء لقلت عفا الله عمّا سلف سبق فيه الرجلان ، وقام الثالث كالغراب همّه بطنه ، ويله لوقصّ جناحاه ، وقطع رأسه كان خيراً له ، شغل من الجنة والنار أمامه ثلاثة واثنان خمسة ليس لهم سادس ملك يطير بجناحيه ، ونبى أخذ الله ـ بضبعيه ، وساع مجتهد ، وطالب يرجو ، ومقصّر فى النار اليمين والشمال مضلّة ، والطريق الوسطى هى الجادّة ، عليها باقى الكتاب ، وآثار النبوة هلك من ادعى ، وخاب من افترى انّ الله أدّب هذه الامّة بالسيف والسوط ليس لأحد عندنا مام فيها هوادة ، فاستتروا فى بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ، والتوبة من وراءكم من أبدى صفحته للحقّ هلك » .

ورواه إثبات المسعودى مثله ، ولكن فيه وتد قتل عثمان ، وكان لى حقّ حازه من لم آمنه عليه ، ولم أشركه فيه ، فهو منه على شفا حفرة من النار لا يستنقذه منه إلّا نبى مرسل يتوب على يديه ، ولا نبىّ بعد محمّد .

و روى باب تمحيص الكافى ، و غيبة النعمانى من العنوان من « ألا وانّ بليّتكم قد عادت ـ إلى ـ وهذا اليوم » .

قول المصنّف « من كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة » هكذا فى المصرية والصواب (ومن خطبة له عليه السلام) ـ إلخ ـ كما فى (حد ، وتم ، والخطية) ويشهد له قول المصنّف بعد « ومن هذه الخطبة » .

« ذمتى بما اقول رهينه » : أى متعهّده .

« وأنا به زعيم » : أى كفيل ، والجملة لفظ القرآن .

« انّ من صرّحت » : أى كشفت وأمّا ما فى الصحاح (صرح الحق عن ـ

حضه) : أى انكشف فكما ترى .

«له العبر»: جمع العبرة .

«عمّا بين يديه» : أى عمّا يستقبله .

«من المثلات» : جمع المثلة بالفتح فالضم أى العقوبة .

«حجزته» : هكذا فى المصريه ، والصواب (حجزه) كما فى (حد ، وثم ، والخطية) : أى منعه .

«التقوى عن تقحم الشبهات» : التقحم من تقحم به المركب) إذا لم يضبطه . قال الشاعر :

(أقول والناقة بى تُقحم) .

هذا ، وليس من أوّل العنوان إلى هنا فى مداركه ، وانّما الجملة الأولى إلى (زعيم) من كلامه عليه السلام فى البدع كما فى الارشاد ، وأمّا الجملة الثانية فلم أقف على موضعها .

«الا وانّ بليتكم عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم» هذا الكلام يدلّ على أنّ الامامة كالنبوّة ، وأنّه عليه السلام مثل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى امتحان الله تعالى الخلق به . ففى بعثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم سبق جمع كانوا قصّروا ، وقصّر جمع كانوا سبقوا . فاليهود كانوا يبشّرون الناس بظهور النبى الخاتم ، ويوعدون الأوس والخزرج به فلمّا بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم كفر به اليهود ، وآمن به الأوس والخزرج كما ورد فى تفسير قوله تعالى ﴿ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا ، فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به . فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين﴾ (١) .

---

(١) البقره ٨٩ .

وكان أمية بن أبى الصلت، وعبد الله بن جحش، وأبو عامر الأوسى ممن آمن بالله فى الجاهلية، ولكن فى الاسلام كفروا.

وكذلك بلية الناس وامتحانهم كانت تعود عند قيام كل إمام من أئمة الهدى عليهم السلام. قال النوبختى فى فرقه: فلما قتل على عليه السلام افترقت الفرقة التى ثبتت على امامته، وانها فرض من الله تعالى ورسوله فصاروا فرقاً ثلاثاً: فرقة قالت إن علياً عليه السلام لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً وقسطاً وهى السبائيه، وفرقة قالت بامامة محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه وهى الكيسانية، وفرقة لزمت القول بامامة الحسن عليه السلام ثم بعده بامامه الحسين عليه السلام حتى قتل فحارب فرقه من أصحابه، وقالت: اختلف فعل الحسن وفعل الحسين لأنه إن كان الذى فعله الحسن حقاً واجباً صواباً من موادعته مع معاوية مع كثرة أنصاره فما فعله الحسين من محاربة يزيد مع قلة أنصاره كان باطلاً، وإن كان ما فعله الحسين حقاً صواباً فقعود الحسن كان باطلاً فشكوا فى امامتهما ورجعوا.

واختلف القائلون بامامته بعد أبيه وأخيه. فقالت فرقة بامامة على بن الحسين عليه السلام، وفرقة قالت: انقطعت الامامة بعد الحسين عليه السلام انما كانوا ثلاثة مسمين بأسمائهم استخلفهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفرقة قالت: ان الإمامة صارت بعد الحسين عليه السلام فى ولد الحسن والحسين من قام منهم، ودعا إلى نفسه فهو الإمام وهم السرحوبيه.

ولما توفى على بن الحسين عليه السلام قال القائلون بامامته بامامة ابنه الباقر عليه السلام غير نفر يسير أصحاب عمر بن رباح.

ولما توفى الباقر عليه السلام قالت فرقة بامامه محمد بن عبد الله المحض وهم المغيرية، وقالت فرقة منهم بامامة ابنه الصادق عليه السلام.

ولما توفى الصادق عليه السلام افترقت شيعته ست فرق: فرقة قالت إنه لم يمت

ولا يموت وهم الناوسية ، وفرقة قالت الامام بعده ابنه اسمعيل ، وانّه لم يمت في حيوة ابيه ، وفرقة قالت الامام بعده محمّد بن اسمعيل لأنّ إسماعيل مات في حيوته ، وهم المباركية ، وقالت فرقة إنّ الإمام بعده محمّد بن جعفر وهم السمطية وقالت فرقة منهم انّ الامام بعده ابنه عبد اللّه الافطح وهم الفطحية ، وقالت فرقة انّ الامام بعده ابنه الكاظم عليه السلام .

ولمّا توفّى الكاظم عليه السلام صارت الشيعة خمس فرق : فرقه قالت إنّ الإمام بعده ابنه الرضا عليه السلام ، وهم القطعية لأنّها قطعت بوفاة أبيه ، وقالت فرقة : إنّ الكاظم عليه السلام لم يمت وانّه اختفى ، وبعضهم قال : مات ورجع ، وبعضهم قال : لا يرجع إلّا وقت قيامه ، وبعضهم قال : مات ورفعه اللّه ، وينزل عند قيامه وكلهم الواقفة ، وفرقة قالت غاب ، واستخلف محمّد بن بشير إلى أن يرجع وهم البشيرية

ولمّا مات الرضا عليه السلام قالت فرقة : انّ الامام بعده ابنه الجواد عليه السلام ، وفرقة قالت : أخوه أحمد لكون الجواد عليه السلام إذ ذاك ابن سبع .

ولمّا توفّى الجواد عليه السلام قالت شيعته بامامة ابنه الهادى عليه السلام سوى شرذمة قالوا بإمامة أخيه موسى بن محمّد مدة ثم رجعوا إليه عليه السلام .

ولما توفى الهادى عليه السلام قالت فرقة : إنّ الامام بعده ابنه محمّد ، وأنّه لم يمت فى حيوة أبيه ، وقالت فرقة : إنّ الامام بعده الحسن ابنه عليه السلام ، وقال نفر يسير بامامة أخيه جعفر .

ولمّا توفّى الحسن عليه السلام افترق أصحابه أربع عشرة فرقة : الأولى أنّه لم يمت ، والثانية : أنّه مات وعاش ، والثالثة : أنّ الامام بعده أخوه جعفر منه والرابعة : أنّه جعفر من قبل أبيه ـ الخ .

كما أنّه تعود بلية الناس عند قيام القائم عليه السلام فعن الصادق عليه السلام إذا خرج القائم عليه السلام خرج من هذا الأمر من كان يرى أنّه من أهله ، ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر .

كما أنّ بلية الناس فى اميرالمؤمنين عليه السلام كانت مدّتين وقت قيامه كما قاله هنا ، وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبيعة أبى بكر .

«والّذى بعثه» : أى النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

«بالحق لتبلبلن بلبلة» : بالفتح قال الجوهرى : تبلبلت الألسن أى اختلطت .

«ولتغربلنّ غربلة» : أى تجعلون فى الغربال كالدقيق يغربل .

«ولتساطنّ» : أى تقلّبنّ .

«سوط» : أى تقلب .

«القِدر» : يقال « نحن نسوط هذا الأمر : أى نقلّبه ظهرا لبطن .

«حتّى يعود اسفلكم اعلاكم و اعلاكم اسفلكم» . فى حيوته عليه السلام وبعده .

روى عن الصادق عليه السلام قال لتكسرنّ تكسر الزجاج وأنّ الزجاج ليعاد فيعود ، ولتكسرن تكسّر الفخار ، وأنّ الفخار ليكسرن ولا يعود كما كان ، ووالله لتغربلن ، ووالله لتميّزن ، ووالله لتمحّصن حتّى لا يبقى منكم إلّا الأقل .

وعن الباقر عليه السلام لتمحصن يا شيعة آل محمّد تمحيص الكحل فى العين وانّ صاحب الكحل يدرى متى يقع الكحل فى عينه ، ولا يعلم متى يخرج منها وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ، ويمسى وقد خرج منها ، ويمسى على شريعة من أمرنا ، ويصبح وقد خرج منها .

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام قال لشيعته : كونوا كالنحل فى الطير ليس شئ من الطير إلّا وهو يستضعفها ، ولو علمت الطير ما فى أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك خالطوا الناس بالسنتكم وأبدانكم ، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم فوالّذى نفسى بيده ما ترون ما تحبّون حتّى يتفل بعضكم فى وجوه بعض ، وحتّى يسمّى بعضكم بعضا كذّابين ، وحتّى لا يبقى منكم إلّا كالكحل فى العين ، والملح فى الطعام ، وسأضرب لكم مثلاً : رجل كان له طعام . فنقّاه وطيّبه ثم أدخله

بيتاً وتركه فيما شاء الله . ثم عاد إليه . فإذا هو قد أصابه السوس . فأخرجه ونقّاه وطيّبه ثم أعاده إلى البيت . فتركه ما شاء الله . ثم عاد إليه . فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس . فأخرجه ونقّاه وطيّبه وأعاده ، ولم يزل كذلك حتّى بقيت منه رزمة كرزمة الأترلا يضرّه السوس شيئاً ، وكذلك أنتم تميّزون حتّى لا يبقى منكم إلّا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً .

«وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا» : أى يسبق إلى إمامته حين توليته أمر الخلافة جمع كانوا قصّروا بعد رحلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حقّه .

وفى رجال الكشى قال الفضل بن شاذان : انّ من السابقين الّذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبو الهيثم بن التيهان ، وأبو أيّوب ، و خزيمة بن ثابت ، وجابر بن عبد الله ، وزيد بن أرقم ، وأبو سعيد الخدرى ، وسهل بن حنيف ، والبراء بن مالك ، وعثمان بن حنيف ، وعبادة بن الصامت . ثم ممّن دونهم قيس بن سعد بن عبادة ، وعدى بن حاتم ، وعمرو بن الحمق ، وعمران بن الحصين ، وبريدة الأسلمى وبشر كثير .

«وليقصّرنّ سبّاقون كانوا سبقوا» كالزبير فإنّه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ تخلّف عن بيعة أبى بكر مع امير المؤمنين عليه السلام وسلّ سيفه قائلاً لا يبايع إلّا على بن أبى طالب عليه السلام حتّى اخذوا سيفه وكسروه ، وكان يعدّ فى عداد الهاشميين ولكن بعد قيامه عليه السلام بالأمر كان أوّل من نكث بيعته مع صاحبه طلحة ، وقال عليه السلام : مازال الزبير منّا أهل البيت حتّى نشأ ابنه المشأوم ـ أى عبد الله بن الزبير .

كما أنّ تميم البصرة كانوا فى حرب الجمل معه عليه السلام ، وازدهامع عايشة وفى فتنة ابن الحضرمى الّذى بعثه معاوية إلى البصرة صاروا بالعكس .

وقال (خو) المراد بقوله عليه السلام « وليقصّرن سبّاقون كانوا سبقوا» أهل الجمل ، وأهل الشام ، وأهل النهروان وهو كما ترى بلا ربط .

هذا ، وممّن قصّر فى أمر الدين بعد سبقه لامعه عليه السلام محمّد بن مناذر الشاعر اللغوى قالوا : كان فى أوّل أمره ناسكاً يتألّه . ثم ترك ذلك ، وهجا الناس وتهتّك ، وعن يحيى بن معين أنّه كان يرسل العقارب فى المسجد بالبصرة حتّى تلسع الناس : وكان يصبّ المداد بالليل فى أماكن الوضوء حتّى تسودّ وجوههم .

«والله ماكتمت» : بصيغة المجهول : أى من قبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم

«وشمة» : أى كلمة كما عن ابن السكّيت ، والأصل فيه شئ حقير كلمة أو غيرها يقال (ماأصابتنا العام وشمة) : أى قطرة ويقال «ماعصيتك وشمة» : أى أدنى معصية .

«ولا كذبت» : أيضاً مجهولاً .

«كذبه» : أى من طرف النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ماأخبرنى .

وفى تاريخ بغداد فى عنوان أبى جحيفة السوائى (قال أبوجحيفة قال على عليه السلام حين فرغنا من الحرورية «انّ فيهم رجلاً محدجاً ليس فى عضده عظم و فى عضده حلمة كحلمة الثدى عليها شعرات طوال عقف فالتمسوه فلم يوجد وأنا فى من يلتمس ، فمارأيت علياً جزع جزعاً قطّ أشدّ من جزعه يومئذٍ . فقالوا مانجده قال : ويلكم ماسم هذا المكان . قالوا : النهروان . قال : كذبتم انّه لفيهم فالتمسوه . فالتمسناه فى ساقية . فوجدناه فجئنا به . فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم ، وعليها حلمة كحلمة ثدى المرئة عليها شعرات طوال عقف .

وروى عن أبى الأحوص قال : كنّا مع علىّ يوم النهروان ، فجائت الحرورية فكانت من وراء النهر ، فقال علىّ : والله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر ثمّ نزلوا فقالوا لعلىّ : قد نزلوا قال : والله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر فأعاد واعليه هذه المقالة ـ ثلاثاً ـ كلّ ذلك يقول لهم على مثل قوله الأوّل .

فقالت الحرورية بعضهم لبعض : يرى على أنّا نخافه ، فاجازوا فقال علىّ لأصحابه : لا تجرّكوا هم حتّى يحدثوا حدثاً ـ إلى أن قال بعد ذكر

إخراجهم عبد اللّه بن خباب من منزله على شطّ النهر، وذبحهم له كالشاة، و سيلان دمه فى الماء كالشراك ما اختلط، وطلبه منهم قاتله، وجوابهم انّ كلّهم قاتله ـ فقال على عليه السلام لأصحابه: دونكم القوم. فما لبثوا ان قتلوهم. فقال على: اطلبوا فى القوم رجلاً يده كثدى المرئة. فطلبوا. فقالوا: ماوجدنا. فقال: واللّه ماكذبت ولاكذبت، وانّه لفى القوم ـ الخبر.

«ولقد نبّئت بهذا المقام وهذا اليوم»: أى أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله ماكتم عنّى شيئاً وأخبرنى بكلّ مايجرى علىّ، وقتل الناس لعثمان، وبيعتهم له، وإن كانت قريش غيرراضية بذلك، وكان المتقدّمون عليه من صدّيقهم وفاروقهم أسّسوا لهم ذلك بنصب عثمان لئلّا يرجع الأمر إليه أبداً، ويكون متداولاً بين بطون قريش وبنى أميّة

ولقد كان النبى صلى الله عليه وآله أخبره بالكلّ والجزء، وغدر الأمّة به بعده ثم انتقال الأمر إليه بعد ثالثهم حتّى بخصوصيات من ينصره، ويلحق بعسكره فى معاركه ففى الطبرى روى الشعبى عن أبى الطفيل قال: قال على عليه السلام بالربذة لمّا أراد البصرة: يأتيكم من الكوفة إثناعشر ألف رجل و رجل واحد ـ قال أبو ـ الطفيل: فواللّه لقد قعدت على نجفة ذى قار. فاحصيتهم واحداً واحداً. فما زادوا رجلاً، ولا نقصوا رجلاً.

وهذا أيضاً دليل على بطلان أمر من تقدّم عليه، وحقّية خلافته، وكان أبوبكر تمنّى فى حال احتضاره فى ماتمنّى ـ كما روى ابن قتيبة وغيره ـ أنّه ليت سأل النبى هل كان له فى الأمر نصيب.

وقد قال عمر كما رووا أنفسهم فى يوم من أيّام خلافته: واللّه ماأدرى أنا خليفة أنا أم ملك. فإن كنت ملكاً فقد ورطت فى أمر عظيم، و روى تاريخ بغداد أنّ ـ عتبة بن غزوان كان يعتقده ملكاً. فدعا اللّه أن يميته لئلّا يكون والياً له فاستجيب له.

وقد روى أبو أحمد العسكرى أنّ عمر كان يخرج مع الوليد بن المغيرة

فى تجارة للوليد إلى الشام ، وعمر يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة ، وكان يرعى للوليد إبله : ويرفع أحماله ، ويحفظ متاعه . فلمّا كان بالبلقاء لقيه رجل من علماء الروم فجعل ينظر إليه ، ويطيل النظر . ثم قال : أظن ياغلام اسمك عامر أو عمران أو نحو ذلك . قال : اسمى عمر . قال : اكشف عن فخذيك فكشف . فإذا على أحدهما شامة سوداء فى قدر راحة الكف . فسأله أن يكشف عن رأسه . فإذا هو أصلع . فسأله أن يعتمد بيده . فإذا هو أعسر أيسر . فقال : له : أنت ملك العرب فضحك عمر مستهزءً . فقال : أوتضحك ، وحقّ مريم البتول أنت ملك العرب ، وملك الفرس والروم . فتركه عمر ، وانصرف مستهيناً بكلامه . فكان عمر بعد ذلك يحدّث ويقول : تبعنى ذلك الرومى راكب حمار . فلم يزل معى حتّى باع الوليد متاعه وقفل .

وإنّما أخبر النبىّ صلى الله عليه وآله بتصديهما للخلافة كما أخبر بتصدّى بنى أميّة الشجرة الملعونة للخلافة أخبر بذلك بنتيهما ، واشترط عليهما عدم اظهارهما أظهرتا سرّه ، قال البلاذرى فى تاريخه : حدّث هشام الكلبى عن أبيه عن أبى صالح ، عن ابن عباس فى قوله تعالى « واذ اسرّ النبى إلى بعض ازواجه حديثا . فلمّا نبّأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض قالت من أنبأك هذا قال نبّأنى العليم الخبير أن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وأن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل و صالح المؤمنين والملئكة بعد ذلك ظهير »[1] انّ النبىّ صلّى الله عليه وآله أسرّ إلى حفصة أنّ أبا بكر يلى الأمر من بعده ، وأنّ عمر يلى من بعد أبى بكر . فأخبرت بذلك عايشة ـ الخبر .

وفى الكشاف فى تفسير الآية روى أنّ النبى صلى الله عليه وآله خلا بماريه فى يوم عايشه وعلمت بذلك حفصة . فقال لها : اكتمى علىّ ، وقد حرّمت مارية على نفسى ، و ابشّرك أنّ أبا بكر و عمر يملكان أمر أمّتى . فأخبرت به عايشة ، وكانتا متصادقتين ـ وقيل : خلا بها فى يوم حفصة . فأرضاها بذلك ، واستكتمها فلم تكتم ـ الى

(١) التحريم ٤ .

أن قال ـ و روى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لها : ألم أقل لك اكتمي عليّ قالت: والّذي بعثك بالحق ماملكت نفسي فرحاً ـ الخ .

فلو كان ملكهما حقاً كان الواجب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعلانه لا أن يشترط كتمانه وهو صار سبباً لتكالبهما في طلب الأمر ، ولو باحراق فاطمة والحسنين عليهما السلام وضرب رقبة اميرالمؤمنين عليه السلام لولم يتسلّم .

كما أنّ الصادق عليه السلام لمّا أخبر المنصور ، وأخاه السفاح بنيلهما الأمر دون بني الحسن صار سبباً لتكالبه في الأمر وحبسه لبني الحسن وقتله لهم .

«الا وانّ الخطايا خيل شمس» : جمع شموس .

«حمل عليها أهلها وخلعت لجمها» : جمع لجام .

«فتقمّحت بهم» : أي طرحتهم .

«في النار» : أي نار جهنم .

روى الكافي عن الصادق عليه السلام قال : كان أبي يقول : مامن شئ أفسد للقلب من خطيئة . فما تزال به حتّى تغلب فيصير أعلاه أسفله .

وعنه عليه السلام في قوله تعالى «فما أصبرهم على النار»[1] أي ما أصبرهم على فعل مايعلمون أنّه يصيّرهم إلى النار .

وعنه عليه السلام كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول « لا تبدين عن واضحة ، وقد عملت الأعمال الفاضحة ، ولا يأمن البيات من عمل السيّئات» .

وعنه عليه السلام « من همّ بسيّئة . فلا يعملها . فانّه ربّما عمل العبد السيّئة فيراه الربّ تعالى فيقول : وعزّتي لا أغفرلك بعد ذلك أبداً » .

وعن الكاظم عليه السلام حقّ على اللّه ألّا يعصى في دار إلّا أضحاها للشمس حتّى تطهّرها ، وكلّما أحدث العباد من الذنوب مالم يكونوا يعلمون أحدث اللّه لهم من البلاء مالم يكونوا يعرفون ، وانّ للّه تعالى في كلّ يوم وليلة منادياً ينادي

(۱) البقرة ۱۷۵ .

مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصى الله . فلولا بهائم رتّع ، وصبية رضّع ، وشيوخ ركّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً ترضّون به رضّا » .

وعن الباقر عليه السلام مامن سنة أقل مطراً من سنة ، ولكن الله يضعه حيث يشاء . فإذا عمل قوم بالمعاصى صرف عنهم ماكان قدّر لهم من المطر فى تلك السنة إلى غيرهم ، وإلى الفيافى والبحار والجبال ، وانّ الله تعالى ليعذّب الجعل فى جحرها بحبس المطر عن الأرض الّتى هى بها بخطايا من بحضرتها وقد جعل الله السبيل فى غيرها .

وعن الرضا عليه السلام أوحى الله تعالى إلى نبى إذا اطعت رضيت ، وإذا رضيت باركت ، وليس لبركتى نهاية ، وإذا عصيت غضبت ، وإذا غضبت لعنت ، ولعنتى تبلغ السابع من الورى .

وعن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى « قالوا ربّنا باعد بين أسفارنا »(١) ـ الاية هؤلاء قوم كانت لهم قرى متّصلة ينظر بعضهم إلى بعض ، وأنهار جارية وأموال ظاهرة . فكفروا نعم الله تعالى . فأرسل الله عليهم سيل العرم . ففرّق قراهم ، وخرّب ديارهم ، وذهب بأموالهم ، وأبدل مكان جناتهم جنّتين ذواتى أكل خمط ، واثل وشئ من سدر قليل ، وقال تعالى « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلّا الكفور »(٢) .

والخمط : ضرب من الاراك له حمل يؤكل ، والاثل : شجر نوع من الطرفاء

وعنه عليه السلام قال الله ـ جلّ وعلا ـ إذا عصانى من عرفنى سلّطت عليه من لا يعرفنى ، وانّ الرجل ليذنب الذنب . فيحرم صلوة الليل ، وأنّ العمل السيئ أسرع فى صاحبه من السكّين فى اللحم ، وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام ، وانّه لينظر إلى أزواجه فى الجنّة يتنعّمن .

(١) سبا ١٩ .
(٢) سبا ١٧ .

وعن الباقر عليه السلام ما من عبد إلّا وفى قلبه نكتة بيضاء . فإذا أذنب خرج فى النكتة نكتة سوداء . فإن تاب ذهب السواد ، وان تمادى فى الذنوب زاد ذاك السواد حتّى يغطّى البياض . فاذا غطّاه لم يرجع صاحبه إلى خير أبدا وهو قوله تعالى «كلّا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون»[1] .

«الا وانّ التقوى مطايا» : أى مراكب .

«ذلل» : جمع ذلول .

«حمل عليها اهلها واعطوا ازمّتها» الأزمة جمع الزمام .

«فاورثتهم الجنّة» : قال جلّ وعلا ـ «واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانّ الجنّة هى المأوى»[2] .

وفى الكافى عن الصادق عليه السلام إذا كان يوم القيمة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنّة . فيضر . فيقال لهم : من أنتم . فيقولون نحن اهل الصبر . فيقال لهم : على ماصبرتم . فيقولون : كنّا نصبر على طاعة الله ، ونصبر عن معاصى الله . فيقول تعالى : صدقوا ادخلوهم الجنّة ، وهو قوله تعالى «انّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب»[3] .

وعن الباقر عليه السلام اعينونا بالورع يقول تعالى «من يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»[4] ومنّا النبىّ ، ومنّا الصدّيق ، والشهداء ، والصالحون .

«حق و باطل» قد تواتر قول النبى صلى الله عليه وآله : على مع الحقّ ، والحقّ مع على ، ولن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض .

وحيث لا واسطة بينهما . فلابد أن من تقدّم عليه كان باطلاً ، وصرّح

(١) المطففين ١٤
(٢) النازعات ٤٠
(٣) الزمر ١٠ .
(٤) النساء ٦٩ .

به فى الخطبة على رواية الروضة ونقل (ثم) من قوله عليه السلام «ألا وقد سبقنى إلى هذا الأمر من لم أشركه فيه، وليست له منه توبة إلا بنبىّ يبعث، ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وآله أشرف منه على شفا جرف هار فانهار به فى جهنم».

«ولكلّ»: من الحق والباطل.

«أهل»: كذلك كان من أوّل الدنيا، وكذلك يكون إلى الأبد «ذلك بأنّ الّذين كفروا اتّبعوا الباطل وأنّ الّذين آمنوا اتّبعوا الحقّ من ربّهم ـ كذلك يضرب الله للناس أمثالهم»[1].

«فلئن أمر الباطل حالاً لقد يما فعل»: أى من القديم تصدّى للأمارة.

والمراد أنّ الثلاثة ان تقدّموا عليه، واستقرّ أمرهم وتزلزل أمره فليس بغرو لأنّه كان كذلك فى جميع الأعصار بفرار الناس من أهل الحق، واتّباعهم أهل الباطل، ولذا كان عليه السلام يقول «أيّها الناس لا تستوحشوا فى طريق الهدى لقلّة أهله. فانّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قليل وجوعها طويل».

وكان عليه السلام يحمل سيّدة النساء ـ صلوات الله عليها ـ على دابّة ليلاً فى مجالس الأنصار تسألهم النصرة. فما أجابه أحد مع سماعهم أقوال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفيها عليها السلام، ولمّا خرجت بنت أبى بكر على أمير المؤمنين عليه السلام أجابها آلاف من الناس مع قول الله ـ عزّوجل ـ فيها «وقرن فى بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى»[2] وضرب الله تعالى لها ولصاحبتها مثل إمرأة نوح وإمرأة لوط.

«ولئن قلّ الحق فلربّما ولعلّ» يكثر بعد.

«وقلّما أدبر شئ فأقبل» فانّه وإن رجع الأمر إليه عليه السلام وقرّ الحقّ مقرّه إلّا أنّه كان محض صورة. فلم يتمكن عليه السلام من ردع الناس عن بدع من تقدّم عليه، ولذا كان عليه السلام يقول «لو استقرّت قدماى لغيّرت أشياء» ولم يتمكّن عليه السلام من عزل عمالهم

(١) محمد ٣.

(٢) الاحزاب ٣٣.

كمعـاويـة ، ولم يستطع صدّ من أراد الخروج عليه كالزبير وطلحة حتّى أنّـه عليه السلام أراد منعهم عن صلوة النوافل بالليل جماعة فى شهر رمضان لعدم فعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم له ، وانّما أحدثه لهم عمر لم يقبلوا وصاحوا وا عمراه .

قول المصنّف: «أقول: قال الشريف» هكذا فى المصرية ، وكلّه زائد وليس من النهج أما (أقول) فليس فى (حد ، وثم) رأساً ، وأما (قال الشريف): فانّما قال (حد) انشأه من نفسه «قال الرضى أبوالحسن» وقال (ثم) ـ (قال السيّد) .

«إنّ فى هذا الكلام الأدنى» : أى الأقرب ، والظاهر كونه إشارة إلى كلامه عليه السلام الأخير «فلئن أمر الباطل لقديماً فعل ، ولئن قلّ الحق فلربما ولعل ولقلّما أدبر شئ فأقبل» ويحتمل أن يكون إشارة إلى قوله قبله (الا وإنّ الخطايا) ـ الخ ـ فانّه أيضاً يصدق عليه الأدنى بالنسبة إلى أوّل الكلام .

«من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان» والمراد لا يستطاع وصف حسنه .

هذا ، وقال ابوالفضل الميكالى فى وصف مكتوب «وكاد فرط التعجب مرة وعظم الاعجاب تارة يقف بى عند أوّل فصل من فصوله ، ويثبّطنى من استيفاء غرره وحجوله ، ويوهمنى أن المحاسن ماحوته قلائده ، ونظمته فرائده . فليس فى قوس احسان وراءها منزع ، ولا لاقتراح جَنان فوقها متطلع حتّى إذا جاوزته إلى لفقه وتزيينه . وأجلت فكرى فى نكته وعيونه رأيت ما يحير الطرف ويعجز الوصف ، ويعلو على الأوّل محلاً ومكاناً ، ويفوته حسناً واحساناً فرتعت كيف شئت فى رياضه وحدائقه ، واقتبست نور الحكمة من مطالعه ومشارقه ، وسلّمت لمعانيه وألفاظه فضيلة السبق والبراعة ، وتلقّيتها بواجبها من النشر ، والاذاعة فانّها جمعت إلى حسن الايجاز درجة الاعجاز ، وإلى فضيلة الابداع جلالة الموقع فى القلوب ، والأسماع .

«وانّ حظّ العَجب منه اكثرمن حظّ العُجب به» قال الطائى ·

أبدت اسى ان راتنى مخلس القصب × وآل ما كان من عُجب إلى عَجب

«وفيه مع الحال التى وصفنا» من عدم بلوغ مواقع استحسانه · بمواقع احسانه ، وكون حظّ العَجب منه أكثرمن حظّ العُجب به ·

«زوائد من الفصاحة» فى اللفظ والمعنى لأنّ المراد بالفصاحة فى كلامه ما يعمّ البلاغة ·

«لا يقوم بها لسان» لادائها ·

«ولا يطّلع فجّها» قال الجوهرى: الفجّ الطريق الواسع بين الجبلين ·

«انسان» : للوقوف عليها ·

«ولا يعرف ما اقول» : هكذا فى المصريه ونسخة (حد) ولكن فى (تم) والخطية (اقوله) : أى فى وصف ذاك الكلام الأدنى ·

«إلّا من ضرب فى هذه الصناعة» : أى صناعة البلاغة ·

«بحقّ» : لا مجرد ظاهر ·

«وجرى فيها على عرق» : حتّى صار من أهل التعمق فيها ·

«ومايعقلها» : أى صفة الضرب فيها بحقّ ، والجرى فيها على عرق ·

«إلا العالمون» : بذاك الفن لا كلّ من ادّعى ·

وحيث إنّ المصنّف قال «لا يعرف ما أقول إلّا من ضرب فى هذه الصناعة بحق» رأيت نقل ماقاله الأدباء على لسان أهل الصناعات فى وصف صناعة الكلام بمناسبة صناعتهم · قالوا «قال الصيرفى: خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية ، ووزنته بمعيار الفصاحة · فلا نظر يزيفه ، ولا سماع يهرجه) ·

وقال الجوهرى : أحسن الكلام نظاماً ماثقبته يد الفكرة · ونظمته الفطنة ووصل جوهر معانيه فى سموّ ألفاظه · فاحتملته نحور الرواة ·

وقال العطّار : أطيب الكلام ماعجن عنبر الفاظه بمسك معانيه · ففاح

نسيم نشقه ،وسطعت رائحة عبقه · فتعلّقت به الرواة ،وتعطّرت به السراة ·

وقال الصائغ : خير الكلام ما احميته بكير الفكر ،وسبكته بمشاغل النظر ،و خلّصته من خبث الاطناب · فبرز بروز الابريز فى معنى وجيز ·

وقال الحدّاد : أحسن الكلام ما نصبت عليه منفخة القريحة ،واشعلت عليه نار البصيرة · ثم أخرجته من فحم الاقحام ، ورققته بغطيس الأفهام ·

وقال النجار : خير الكلام ما أحكمت نجر معناه بقدوم التقدير · وانشرته بمنشار التدبير · فصار باباً لبيت البيان ،وعارضة لسقف اللسان ·

وقال الخياط : البلاغة قميص فجربانه البيان ،وجيبه المعرفة ،وكمّاه الوجازة ، ودخاريصه الأفهام ،ودروزه الحلاوة ،ولابسه جسد اللفظ ،وروح المعنى ·

وقال البزاز : أحسن الكلام ما صدق رقم ألفاظه ،وحسن نشر معانيه · فلم يستعجم عليك نشر ،ولم يستبهم عليك طيّ ·

وقال النجّاد : أحسن الكلام ما لطفت رفارف ألفاظه ،وحسنت مطارح معانيه ،فتنزهت فى زرابى محاسنه عيون الناظرين ،وأصاخت لنمارق بهجته آذان السامعين ·

وقال الصبّاغ : أحسن الكلام ما لم تنض بهجة ايجازه ،ولم تكشف صبغة إعجازه · قد صقلته يد الرويّة من كمود الاشكال · فراع كواعب الآداب وأنف عذارى الألباب ·

وقال الحائك : أحسن الكلام ما اتصلت لحمة ألفاظه بسدى معانيه · فخرج مفوّفاً منيّراً ،وموشّى محبّراً ·

وقال الماتح : أبين الكلام ما علقت وذم ألفاظه ببكرة معانيه · ثم أرسلته فى قليب الفطن · فامتحت به سقاء يكشف الشبهات · واستنبطت به معنى يروى من ظمأ المشكلات ·

وقال الرائض : خير الكلام مالم يخرج عن حدّ التخليع إلى منزلة التقريب إلّا بعد الرياضة ، وكان كالمهر الّذى أطمع أوّل رياضته فى تمام ثقافته .

وقال الجمّال : البليغ من أخذ بخطام كلامه . فأناخه فى مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالاً ، والايجاز له مجالاً . فلم يندّ عن الآذان ، ولم يشذّ عن الأذهان .

وقال المخنّث : خير الكلام ما تكسّرت أطرافه ، وتثنّت أعطافه ، وكان لفظه حلّة ، ومعناه حلية .

وقال الخمّار : أبلغ الكلام ما طبخته مزاجل العلم ، وصفّاه راوق الفهم وضمّته ، دنان الحكمة . فتمشّت فى المفاصل عذوبته ، وفى الافكار رقّته ، وفى العقول حدّته .

وقال الفقاعى : خير الكلام ما روّحت ألفاظه غباوة الشك ، ورفعت رقّته فظاظة الجهل . فطاب حساء فتنته ، وعذب مصّ جرعته .

وقال الطبيب : خير الكلام ما إذا باشر دواء بيانه سقم الشبهة . استطلقت طبيعة الغباوة . فشفى من سوء التفهّم ، واورث صحّة التوهّم .

وقال الكحّال : كما أنّ الرمد قذى الأبصار . فكذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة ، واجل رمص الغفلة بمرود اليقظة .

وأجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما إذا أشرقت شمسه . انكشف لبسه ، و إذا صدقت أنواؤه . اخضرت انحاؤه .

قول المصنّف «ومن هذه الخطبة» شغل : أى عن اهتمام بالأمور الراجعة إلى الدنيا .

«من» : أى الّذى .

«الجنّه والنار أمامه» : فيجعل همّه فى حيازة الجنّة ، والاحتراز عن النار

وعن الباقر عليه السلام بكى أبوذر من خشية الله ـ عزّ وجل ـ حتّى اشتكى

بصره . فقيل له : يا اباذر لودعوت الله أن يشفى بصرك . فقال : انّى عنه لمشغول وما هو أكبر منه همّى . قالوا : وما يشغلك عنه . قال : الغظيمتان الجنّة والنار .

وقال عليه السلام : لا تنسوا الموجبتين فى دبر كلّ صلوة قيل : وما الموجبتان؟ قال : تسأل الله تعالى الجنّة وتعوذ به من النار) ـ وفى خبر آخر ما معناه أن المصلى لو لم يسأل الله الجنّة بعد صلوته ولم يستعذ به من النار . قالتا ـ أى بلسان الحال ـ ما أجهله بنعمى ، وما أغفله عن نقمى .

وفى الطبرى ـ بعد ذكر أنّ الحر سأل ابن سعد هل أنت مقاتل الحسين فقال له : نعم ـ أخذ الحديد نو من الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً . فقال له رجل من قومه . يقال له المهاجر بن أوس : ما تريد أتريد أن تحمل ، فسكت وأخذه مثل العرواء . فقال له المهاجر : والله إنّ أمرك لمريب والله ما رأيت منك فى موقف قطّ مثل شئ أراه الآن ، ولو قيل لى : من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك . فما هذا الّذى أرى منك قال : انّى والله اخيّر نفسى بين الجنّة والنار ، ووالله لا اختار على الجنّة شيئاً ، ولو قطّعت وحرّقت . ثم ضرب فرسه . فلحق بالحسين ـ عليه السلام .

«ساع» : فى أمر الآخرة .

«سريع» : فى العمل .

«نجا» : من النار .

قال ـ جلّ وعلا ـ «والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انّهم إلى ربّهم راجعون اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون»[1] .

«وطالب» : لأمر الاخرة .

«بطئى» : فى العمل .

«رجا» : أن تكون له نجاة وليس بحتم .

(١) المؤمنون ٦١

قال تعالى «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم انّ الله غفور رحيم»[1].

«وآخرون مرجون لأمر الله امّا يعذّبهم وامّا يتوب عليهم والله عليم حكيم»[2]

«ومقصّر»: أى مفرّط فى أمر آخرته.

«فى النار هوى»: أى سقط وهلك.

قال ـ جل اسمه ـ «بلى من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»[3].

هذا، وقد عرفت أنّ (حد) روى بعد مامرّ زيادة «ثلاثة واثنان ملك طار بجناحيه ونبّى أخذ الله بيده لا سادس» ومثله (ثم) حيث روى بعد مامرّ «ثلاثة واثنان خمسة ليس فيهم سادس ملك طار بجناحيه، ونبى أخذ الله بضبعيه».

والصواب رواية الكلينى من جعل الزيادة قبل مامرّ من قوله عليه السلام «ساع سريع ـ إلى ـ فى النار هوى» فقد عرفت أنّه روى كلامه عليه السلام هكذا «ثلاثة و إثنان خمسة ليس لهم سادس ملك يطير بجناحيه، ونبى أخذ الله بصبعيه وساع مجتهد، وطالب يرجو، ومقصّر فى النار».

فانّ رواية (حد) ورواية (ثم) تحتاجان إلى تكلّف كثير فى معنى «ثلاثة واثنان» بأن يكون الأصل (من مرّ ثلاثه ومن يأتى اثنان» وهو كما ترى بعيد عن كلام مثله عليه السلام لخروجه عن الفصاحة بخلاف رواية الكلينى. ففى كمال المناسبة والربط

وكيف كان فقال (حد) (كلامه عليه السلام يقتضى أنّ العصمة ليست إلّا للأنبيا والملائكة، ولو كان الامام يجب أن يكون معصوماً لكان قسماً سادساً وقد نفاه).

(١) التوبه ١٠٢.
(٢) التوبه ١٠٦.
(٣) البقرة ٨١.

قلت: بل لا يقتضى ماقاله لأنّ الامام حاله حال النبىّ صلى الله عليه وآله فقوله «ونبى أخذ الله بيده» يدلّ عليه بالدلالة العرفية بالاقتصار على أظهر الفردين وإرادة الأعم كما هو المتداول فى المحاورات فهما من سنخ واحد النبى الآتى بالشريعة والإمام الحافظ للشريعة.

ولرعاية السنخية قال عليه السلام «ثلاثة واثنان» ولم يقل «خمسة» نعم على عقيدتهم فى من نصبوه إماماً حتّى ذى نوريهم يمكن أن يكون الإمام داخلا فى قوله عليه السلام «ومقصّر فى النار هوى» لقوله تعالى «وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار»(١).

«اليمين والشمال مضلّة والطريق الوسطى هى الجادّه» بتشديد الدال قال تعالى «وانّ هذا صراطى مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله»(٢).

«عليها باقى الكتاب»: أى الكتاب الباقى من اضافة الصفة. ثم يصدّق ـ المتن من لفظ الجملة رواية (حد) ورواية الروضة و(ثم) ولكن عرفت أنّ العقد رواه بلفظ «منهج عليه أمّ الكتاب» قال ـ جلّ وعلا ـ «الحمد لله الّذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيما

«وآثار النبوّة» «هو الّذى بعث فى الاُميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين»(٣).

«ومنها منفذ السنّة وإليها مصير العاقبة» ليس الجملتان فى رواية (حد) و(ثم) والروضة وغيرها ـ ثم إنّ الضميرين فى (منها) و(إليها) راجعان إلى الطريق الوسطى الّتى هى الجادة قال تعالى «يأمرهم بالمعروف وينهاهم

(١) القصص ٤١.
(٢) الانعام ١٥٣.
(٣) الكهف ١.
(٤) الجمعة ٢.

عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال الّتى كانت عليهم فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الّذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »(١).

قال (حد) مثل كلامه عليه السلام خطبة عمر فى سنة قتله « قد سننت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتكم على الواضحة الّا أن تميلوا بالناس يميناً وشمالاً » .

قلت : هل كان نبيّاً حتّى يسنّ هو لهم السنن ويفرض لهم الفرائض نعم هو غيّر سنن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وفرائض القرآن . فقال فى خطبته : متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أنهى عنهما ، وأعاقب عليهما .

ثم كيف تركهم على الواضحة ، وهو لم يكن يعرف الطريق من غير الطريق ففى تاريخ بغداد فى « الهياج بن بسطام » (قال أبو سعيد الخدرى خطبنا عمر . فقال « انّى لعلّى أنهاكم عن أشياء تصلح لكم . وآمركم بأشياء لا تصلح لكم وانّ من آخر القرآن نزولاً آية الربوا ، ومات النبىّ ولم يبيّنها لنا) .

« هلك من ادّعى » ما ليس له .

« وخاب من افترى » هو لفظ القرآن قال تعالى « قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى »(٢).

قال (حد) كأنّه يقول « هلك من ادّعى الإمامة » و روى « من اقتحمها و لجها عن غير استحقاق » لأنّ كلامه عليه السلام فى هذه الخطبة كلّها كنايات عن الإمامة لا عن غيرها .

قلت : وفيها تعريضات بل تصريحات بهلاكة الثلاثة كما رواه الجاحظ و أبو عبيدة والكلينى ، ولا سيما مع ما فى ذيلها (إلّا أن أبرار عترتى) ـ الخ ـ كما مرّ .

---

(١) الاعراف ١٥٧ .

(٢) طه ٦١ .

«من ابدى صفحته للحقّ هلك» قال (حد) وفى رواية «من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس» والمراد على الاُولى وهى الصحيحة «من كاشف الحقّ مخاصماً له هلك» وعلى الثانية «من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس لأنّهم العامة وفيهم الكثرة» .

قلت: الصواب الاُولى ، وان اقتصر (ثم) على الثانية لأنّه لم يذكر أبو عبيدة والمفيد والمسعودى والكلينى و (ثم) فى أصل العنوان غير الاُولى .

ولأنّه كرّر المصنّف الفقرة سهواً فى ١٨٨ / ٣ / كالاُولى بلاخلاف ، ولأنّه لامعنى للثانى وماقاله (حد) فى معناه بلامحصّل بل الزيادة مفسدة . فانّ من أبدى صفحته يهلك فى الواقع لاعند الجهلة . فانّه مساوق لقوله عليه السلام «من مارع الحق صرعه» عنونه المصنّف فى ٤٠٨ / ٣ / .

وبالجملة لا ريب فى أنّ المراد من إبداء الصفحة كشف مخاصمته ففى كتاب معاوية إلى مروان فى أمر الحسين عليه السلام «فاكمن عنه مالم يبد لك صفحته» وفى خطبة زياد البتراء «انّى لوعلمت أنّ أحدكم قتله السلّ من بغضى لم أكشف له قناعاً ولم اهتك له ستراً حتّى يبدى لى صفحته فإن فعل ذلك لم أنظره» .

وفى كتاب الوليد بن عقبة إلى معاوية فى الطلب بدم عثمان «انّا على مداحاة ولمّا نبدء صفحتنا بعد» .

وفى خطبة النعمان بن بشير لمّا سمع باختلاف الشيعة إلى مسلم فى الكوفة «انّى لا اُقاتل من لا يقاتلنى ، ولكن إن أبديتم صفحتكم ونكثتم بيعتكم اُقاتلكم» .

«وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره» هذه الفقرة والاثنتان بعدها ، والأخيرتان ليست فى شئ من أسانيد العنوان كما عرفت ، وانّما الاثنتان بعدها جزء كلامه عليه السلام فى عنوان «من يتصدّى للحكم» .

وكيف كان فهو كالمثل ، ومن أمثالهم «كفى بالشك جهلاً» «وكفى بالمشرفية واعظاً» «وكفى برغاءها منادياً» .

وانما يكفيه جهلا عدم عرفان قدره لأنّه يؤدّيه إلى الهلكة بقول ما ليس له قوله وفعل ماليس له فعله .

«لا يهلك على التقوى سنخ أصل» فى الأساس (سنخت أسنانه) ائتكلت أصولها ، و (طعام سنخ) أصله من سنخ الاسنان هو أيضاً كالمثل .

قال ـ جلّ وعلا ـ «ومن يتّق اللّه يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب»(١) «وإن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضياً ثمّ ننجّى الّذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيّا»(٢) .

«ولا يظمأ عليها زرع قوم» هو أيضاً كالمثل وقال ـ جلّ وعلا ـ «تلك الجنّة الّتى نورث من عبادنا من كان تقيا»(٣) .

«فاستتروا ببيوتكم وأصلحوا ذات بينكم» يعنى بعوض ان تعلنوا عداوتكم فتهلكوا كما فعل طلحة والزبير استتروا ببيوتكم لاصلاح ذات بينكم لكونه سبب نجاتكم .

«والتوبة من وراءكم» : أى التوبة من تقديمكم الثلاثة . فقد عرفت أنّ فى الأصل (قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين» .

«ولا يحمد حامد» فى ما يعمل من الخير .

«إلّا ربّه» : حيث وفّقه لا نفسه .

«ولا يلم لائم» : فى ما يعمل من الشرّ .

«إلّا نفسه» : حيث اختار بسوء طويّته الشرّ .

«وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند اللّه وإن تصبهم سيّئة يقولوا هذه

---

(١) الطلاق ٣ .

(٢) مريم ٧١ . (٣) مريم ٦٣

من عندك قل كلّ من عند اللّه فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ما أصابك من حسنة فمن اللّه وما أصابك من سيّئة فمن نفسك»[1].

هذا ويأتى فى ٢٤/ شرح باقى الفقرات الّتى كانت فى الأسانيد دون النهج فذكرها المصنّف ثمّة.

٢٣/ فى ٨٥/ ١/ بعد كلامه عليه السلام فى بعثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللّهِ، وَاذْكُرُوا تِيكَ الّتي آبَاءُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ، وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ، وَلَا بِهِمُ الْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِي مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ، وَاللّهِ مَا أَسْمَعَهُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلّا وَهَا أَنَا ذَا الْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَمْسِ وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ إِلّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَاللّهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا رِخْواً بِطَانُهَا فَلَا يُغَرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ. فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

«فاعتبروا عباد اللّه واذكروا تيك»: أى تلك قال الجوهرى (تا) يشار به إلى المؤنث فان خاطبت جئت بالكاف فقلت (تيك).

«الّتى آباؤكم وإخوانكم» الّذين مضوا.

«بها»: الآن.

(١) النساء ٧٩.

«مرتهنون» «كلّ نفس بماكسبت رهينة»[١] «كلّ امرئ بماكسبت رهين»[٢].

«وعليها» :أى على تلك الأعمال.

«محاسبون» «وإن تبدوا مافى أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به اللّه»[٣] «وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية»[٤].

«ولعمرى ما تقادمت» :أى ماصارت قديمة.

«بكم ولا بهم العهود» :أى الأعصار من قولهم «كان ذلك على عهد فلان» أى عصره.

«ولا خلت» :أى مضت.

«فى مابينكم وبينهم الأحقاب» : أى الدهور.

«والقرون» :أى الأزمنة. قال الشاعر:

إذا ذهب القرن الّذى أنت فيهم × وخلّفت فى قرن فأنت غريب

«ومانتم اليوم من يوم كنتم فى اصلابهم ببعيد» قال تعالى حاكياً عن شعيب «وياقوم لا يجرمنّكم شقاقى إن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أوقوم هود أوقوم صالح وماقوم لوط منكم ببعيد»[٥].

«والله ماسمعهم الرسول» هكذا فى المصرية، وسقط منها بعده [صلى الله عليه واله] كما يشهد له (حدوثم والحطية)

«شيئاً» :فقال لهم فى حجّة الوداع: مامن شئ يقرّبكم من الجنّة و يباعدكم من النار إلّا أسمعتكم.

«الا وهاانا ذا اليوم مسمعهموه» ففى تفسير الثعلبى كما نقل عنه تذكرة

---

(١) المدثر ٣٨.

(٢) الطور ٢١.

(٣) البقرة ٢٧٤.

(٤) الحاقة ٢٦.

(١) هود ٨٩.

سبط ابن الجوزى · قال زاذان : سمعت علياً عليه السلام يقول : والّذى فلق الحبّة ، وبرء النسمة لوثنّيت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الانجيل بانجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان ، والّذى نفسى بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسى إلّا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنّة أو تقوده إلى النار · فقال له رجل : فما آيتك الّتى نزلت فيك فقال عليه السلام « أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه »(١) فالنبى صلى الله عليه وآله كان على بيّنة من ربه وأنا شاهد منه ·

« وما اسماعكم اليوم بدون اسماعهم بالأمس » فانّ السامعة الّتى اعطيت أولئك أعطاهم مثلها ·

« ولا شقّت لهم الأبصار ولا جعلت » هكذا فى المصرية ، والصواب « وجعلت » بدون لا كما فى (حد ، وثم ، والخطية) ·

« لهم الأفئدة فى ذلك الأوان » : أى الزمان ·

« إلا وقد اعطيتم مثلها » : من الأبصار والأفئدة ·

« فى هذا الزمان : أى فكيف سمعوا وأبصروا وعقلوا ، وأنتم لا تسمعون ولا تبصرون ولا تعقلون ·

« والله » : هكذا فى المصرية ، والصواب (ووالله) كما فى (حد ، وثم والخطية) ·

« ما بصّرتم بعدهم شيئاً جهلوه ، ولا اصفيتم به » : أى اوثرتم به من أصفيته بالشئ إذا آثرت به ·

« وحرموه » : بأن يدّعوا انّا لا نعمل كعملهم لأنّا بصّرنا شيئاً كانوا هم جاهلين به ، وأصفينا بشئ كانوا محرومين منه ·

قال (حد) يمكن أن يجيبه عليه السلام مجيب بأنّ المخاطبين ، وإن كانوا

(١) هود ١٧ ،

متساوين إلّا أنّ المخاطِبين مختلفون . فانّك وإن كنت ابن عمّ النبى ﷺ وأخاه ولحمه ودمه ، وفضائلك مشتقّة من فضائله ، وأنت قبس من نوره إلّا أنّك لم ترزق — القبول الّذى رزقه ، ولا انفعلت لك النفوس انفعالها له ، وتلك خاصية النبوّة الّتى امتاز بها عنك . فإنّه لا يسمع كلامه أحد إلّا أحبّه ومال إليه ، ولذلك كانت قريش تسمّى المسلمين قبل الهجرة الصابئة ، ويقولون : تخاف أن يسبوا الوليد بن المغيرة إلى دين محمّد ، ولئن صبا الوليد ، وهو ريحانة قريش لتصبون قريش بأجمعها ، وقالوا فيه ما كلامه إلّا السحر ، وانّه ليفعل بالألباب فوق ما يفعل الخمر ونهوا صبيانهم عن الجلوس إليه لئلّا يستميلهم بكلامه وشمائله ، وكان إذا صلّى فى الحجرة وجهر يجعلون أصابعهم فى آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، ولذا أسلم الناس بمجرد سماع كلامه ورؤيته ، ومشاهدة روائه ومنظره ، وهذا من أعظم معجزاته ، وهو القبول الّذى منحه اللّه تعالى والطاعة الّتى جعلها فى قلوب الناس له ، وذلك على الحقيقة سرّ النبوة الّتى تفرد به النبى ﷺ . فكيف انتظر عليه السلام من الناس أن يكونوا معه كما كان آباؤهم واخوانهم مع النبى ﷺ

قلت : ليس الفرق بينهما ما ذكر ، وانّما الفرق أنّ الناس فى أوّل الأمر كان من تبع منهم النبى ﷺ تبعه طالباً للحقيقة ورفضاً للخرافات ومنكرات الجاهلية وليس فى يدهم من الدنيا شئ ، وفى عصره عليه السلام قست قلوبهم وكانت الدنيا أقبلت عليهم من كلّ وجه .

وما ذكره من تأثير كلام النبى ﷺ انّما كان من القرآن الّذى يقرأه عليهم فلمّا سألت قريش الوليد عن القرآن أى شئ هو ؟ قال لهم « إن هذا إلّا سحر يؤثر إن هذا إلّا قول البشر » ولم يكن من خاصية النبوّة ، وإلّا فقد قال تعالى — « ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن »[1] .

ومقصوده عليه السلام من خطابه وعتابه أنّه كنفس النبى ﷺ ، و فعل

(١) الرعد ٧ .

بهم مافعل وقال لهم ماقال ، وأتمّ عليهم الحجّة كما أتمّ ، وليست الخصوصيات بدخيلة ، وإلّا فجماعة غلوا فى حقّه عليه السلام لم يكونوا غلوا فى حقّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، و انّما كان عليه السلام يدعوهم إلى الحق المحض والآخرة الخالصة ، ولا يقنع لهم - باللسان كما كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقنع فنفروا عنه . فورد فى تفسير قوله تعالى « انّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد »(١) أنه عليه السلام كان الهاد .

ولو كان مجرد المتابعة من خصوصيات النبوّة لكان أهل الدنيا أولى بالنبوّة . فإنّ الناس يميلون إليهم ، ولو كانوا فى غاية الفظاظة ، وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم « ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك »(٢)

ولقد كانت المؤلفة قلوبهم والمنافقون فى كمال الموافقة مع الثلاثة المتقدّمين عليه عليه السلام مع بغضهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ودخولهم فى الدين كرهاً .

والوليد شخصه لم يكن ريحانة قريش بل قالوا مخزوم ، - وهو منهم - ريحانة قريش ، ولا معنى لاتيان حكم الكلّ للجزء ، وإن كانا كلّياً وجزئيا .

ثم ماقاله من القبول الّذى منحه اللّه تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم . والطاعة الّتى قال جعلها اللّه له فى قلوب الناس لم نرهما فى صدّيقه وفاروقه فى جيش أسامة و فى وصيته صلى الله عليه وآله وسلم .

« ولقد نزلت بكم البلية » : أى البلاء .

« جائلاً » : أى مضطرباً .

« خطامها » : أى زمامها .

« رخو بطانها » : أى الحزام الّذى يجعل تحت بطن البعير يقال : الثقت حلقتا البطن إذا اشتد الأمر .

(١) الرعد : ٧

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩

قال عليه السلام ذلك لقيام معاوية فى قباله ، واشتداد أمره بانحياز المنافقين إليه ، وكونه ملاذاً للمنحرفين عنه عليه السلام ، فمن أراد عليه السلام أخذه بالحقّ لحق بمعاوية ، وقد كان المتقدّمون عليه أسّسوا ذلك له .

«فلا يغرّنكم ما أصبح فيه أهل الغرور . فانّما هو ظلّ ممدود إلى أجل معدود» قال تعالى «يا أيّها الناس اتّقوا ربّكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إنّ وعد اللّه حقّ فلا تغرّنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم باللّه الغرور»[1] .

ومراده عليه السلام أن لا ينظر أصحابه إلى أهل الدنيا الّذين يتركونه ويلحقون بمعاوية قال عدى بن حاتم ـ بعد رفع أهل الشام المصاحف ـ أيّها الناس انّه واللّه لو غير على عليه السلام دعانا إلى قتال أهل الصلوة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قطّ إلّا ومعه برهان ، و فى يده من اللّه سبب ، وانّه وقف عن عثمان بشبهة ، و قاتل أهل الجمل على النكث ، وأهل الشام على البغى . فانظروا فى أموركم وأمره . فإن كان له عليكم فضل وليس لكم مثله . فسلّموا له ، وإلّا فنازعوا عليه واللّه لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنّة انّه لأعلم الناس بهما ، وإن كان إلى الاسلام إنّه لاخو نبى اللّه ، والرأس فى الاسلام ، ولئن كان إلى الزهد والعبادة انّه لأظهر الناس زهداً ، وأنهكهم عباده ، ولئن كان إلى العقول والنحائز انّه لأشدّ الناس عقلاً ، وأكرمهم نحيزة ، ولئن كان إلى الشرف ، والنجدة أنه لأعظم الناس شرفاً و نجدةً .

و فى البيان قال رجل للحسن البصرى : بلغنا أنّك تقول : لو كان على بالمدينة ياكل من حشفها لكان خيراً له ممّا صنع . فقال له : يالكع أما واللّه لقد فقدتموه سهماً من مرامى اللّه . غير سئوم لأمر اللّه ، ولا سروقة لمال اللّه أعطى القرآن عزائمه ، فى ما عليه وله . فاحلّ حلاله ، وحرّم حرامه حتّى أورده

(١) لقمان ٣٣ .

ذلك رياضا مونقة ، وحدائق مغدقة ، ذاك ابن أبي طالب يالكع .

٢٤/ فى ١٧٧/ ١/ ـ بعد الاشارة إلى المهدى عليه السلام ثم قال : ايّها الناس إنّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْاَنْبِيَاءُ بِهَا اُمَمَهُمْ، وَاَدَّيْتُ اِلَيْكُمْ مَا اَدَّتِ الْاَوْصِيَاءُ اِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ، وَاَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فلم تَسْتَقِيمُوا ، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا لِلّٰهِ اَنْتُمْ اَتَتَوَقَّعُونَ اِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ .

«ايّها الناس انّى قد بثثت لكم المواعظ الّتى وعظ الأنبياء اُممهم» و ممّن كان من الانبياء أومثل الأنبياء لقمان الحكيم الّذى نقل الله تعالى مواعظه فى القرآن فى قوله ـ جلّ وعلا ـ «وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم ووصّينا الإنسان بوالديه حملته امّه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكرلى ولوالديك إلىّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتّبع سبيل من أناب إلىّ ثم إلىّ مرجعكم فانبّئكم بما كنتم تعملون يا بنىّ انّها إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن فى صخرة أوفى السموات أو فى الارض يأت بها الله إنّ الله لطيف خبير يا بنى أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الامور ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إنّ الله لا يحب كلّ مختال فخور واقصد فى مشيك و اغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير» (١) .

وممّن كان فى درجة الأنبياء مؤمن آل فرعون وقد نقل الله مواعظه فى قوله جلّ ثنائه « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربّى الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا

(١) لقمان ١٣ ـ ١٩ .

يصبكم بعض الذى يعدكم انّ الله لا يهدى من هو مسرف كذّاب ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلّا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. وقال الذى آمن ياقوم إنّى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ويا قوم انّى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد. ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبيّنات فما زلتم فى شكّ ممّا جاءكم به حتّى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار. وقال الذى آمن ياقوم اتّبعون أهدكم سبيل الرشاد، ياقوم إنّما هذه الحياة الدنيا متاع وانّ الآخرة هى دار القرار من عمل سيّئة فلا يجزى إلّا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب. ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لا جرم أنّما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأنّ مردّنا إلى الله وأنّ المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله انّ الله بصير بالعباد فوقاه الله سيّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب».

«وادّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم» قال الرضا[٤]: قال النبى[٣] خلق الله تعالى مأة ألف نبى وأربعة وعشرين ألف نبى أنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله ـ عزّ وجلّ ـ مأة ألف وصى، وأربعة وعشرين ألف وصى، وعلى أكرمهم على الله وأفضلهم.

وروى ابن المغازلى عن ابن بريدة قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: لكلّ نبى

(١) غافر ٢٨ الى ٣٥

وصی ووارث ، وأنا وصیی ووارثی علیّ بن أبی طالب.

ولکونه علیه السلام فعل فعل جمیع الأنبیاء والأوصیاء فی وعظ الناس ودعوتهم الی الله تعالیٰ و ترغیبهم فی دارهم الآخرة ، قال النبی صلی الله علیه و آله فیه کما روی أحمد بن حنبل «من أراد أن ینظر إلی آدم فی حلمه ، وإلی إبرهیم فی خلّته ، وإلی یحیی فی زهده ، وإلی موسی فی بطشه — وفی خبر فی مناجاته — وإلی إدریس فی تمامه و کماله وجماله . فلینظر إلی هذا الرجل المقبل» فتطاول الناس . فإذا هم بعلی علیه السلام کأنّما ینقلب فی صبب ، وینحطّ من جبل .

قال (حد) الأوصیاء هم الّذین یأتمنهم الأنبیاء علی الأسرار الإلهیة وقد یمکن أن لا یکونوا خلفاء بمعنی الإمرة والولایة . فإنّ مرتبتهم أعلی من مراتب الخلفاء .

قلت : یمکن أن لا یکون للأنبیاء أنفسهم إمرة وولایه . فنوح وابرهیم وموسی و عیسی ، وهم من اُولی العزم من الرسل لم یکن لهم إمرة وولایه ، والإمرة وإن کانت حقّهم إلّا أنّ جبابرة عصرهم لم یدعوها ، ونبیّنا صلی الله علیه و آله وهو سیّد الرسل لم تکن له قبل هجرته إمرة والملک أمرور اء النبوّة وورا ء وصایة النبوّة یؤتیه الله من یشاء وینزعه ممّن یشاء ، وأمّا النبوّة والوصایة ، فأمران من الله لا یجعلهما إلّا فی نفس کاملة ملکوتیة ، ولا — یمکن انتزاعهما منهما ، والمتقدّمون علی أمیر المؤمنین علیه السلام إنّما أخذوا منه سلطان النبیّ صلی الله علیه و آله وحکومته دون وصایته وخلافته . فتعبیر (حد) من مراتب الخلفاء غلط .

«وأدّبتکم بسوطی فلم تستقیموا وحدوتکم» من (حدوت الابل) إذا — سقتها .

«فلم تستوسقوا» من (استوسقت الابل) اذا اجتمعت.

روی روضة الکافی فی حدیثه (۵۵۱) عن الاصبغ خطبة له علیه السلام لما طلب منه علیه السلام ولد أبی بکر وابن عمر ، وسعد بن أبی وقاص تفضیلهم فی العطاء علی غیرهم

وفى الخطبة « وقد عاتبتكم بدرّتى التى اُعاتب بها أهلى . فلم تبالوا ، وضربتكم بسوطى الّذى اقيم به حدود ربّى . فلم ترعووا ، وتريدون أن أضربكم بسيفى أما أتّى اعلم الّذى تريدون ، ويقيم اودكم ، ولكن لا أشترى صلاحكم بفساد نفسى بل يسلّط الله عليكم قوماً . فينتقم لى منكم . فلا دنيا استمتعتم بها ولا آخرة صرتم إليها فبعداً وسحقاً لأصحاب السعير .

والشئ بالشئ يذكر ، وقد رأيت أن أنقل بمناسبة كلامه عليه السلام هذا قصّة المغيرة بن شعبة مع حجر بن عدى . فانّها شبيهة بالصورة مع كلامه عليه السلام هذا وإن كانت فى المعنى بالعكس . ففى الطبرى أنّ معاوية لمّا ولّى المغيرة الكوفة فى سنة (٤١) قال له : قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة . فإنّا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضينى ، ويسعد سلطانى ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة وهى أن لا تنحمّ عن شتم على ، وذمّه ، والترحّم على عثمان ، والاستغفار له ، والعيب على أصحاب على والاقصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ، وباطراء شيعة عثمان ، والإدناء لهم والاستماع منهم . فقال له المغيرة « قد جربت وجرّبت ، وعملت قبلك لغيرك . فلم يذممنى دفع ، ولا رفع ولا وضع فستبلو » فأقام عاملاً سبع سنين وأشهراً ، وهو من أحسن شئ سيرة ، غير أنّه لا يدع ذم على عليه السلام والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان ، واللعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له ، والتزكية لأصحابه . فكان حجر بن عدى إذا سمع ذلك يقول « بل إيّاكم ذمّ الله ولعن » ثم يقوم فيقول « إنّ الله ـ عزّوجلّ ـ يقول كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله » وأنا أشهد أنّ من تذمّون لأحقّ بالفضل ، وأنّ من تزكّون لأولى بالذمّ » فيقول له المغيرة « لقد رمى بسهمك يا حجر إذ كنت أنا الوالى عليك اتّق يا حجر ويحك غضب السلطان . فانّ غضبه أحياناً ممّا يهلك أمثالك » ثم يكفّ عنه . فلم يزل كذلك حتّى كان فى آخر امارته مقام المغيرة . فقال فى على وعثمان كما كان يقول ، وكانت مقالته « اللهم ارحم عثمان ، واجزه بأحسن عمله . فانّه عمل بكتابك ، وسنّة

نبيّك، وقتل مظلوماً، وارحم أنصاره والطالبين بدمه» ـ ويدعو على قتلته، فقام حجر فنعر بالمغيرة نعرة سمعها من كان خارجاً من المسجد. وقال «انّك لا تدري بمن تولع من هرمك. أصبحت مولعاً بذمّ اميرالمؤمنين، وتقريظ المجرمين» فنزل المغيرة فقالوا له «على م تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة، وأنّ ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط» فقال لهم المغيرة: إنّي قد قتلته انّه سيأتي أمير بعدي ـ فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي. فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة انّه قد اقترب أجلي، ولا أحبّ أنّ ابتداء أهل هذا المصر بقتل خيارهم فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعزّ في الدنيا معاوية، ويذل يوم القيمة المغيرة» ـ ثم ذكر الطبري موت المغيرة سنة ۵۱) وولاية زياد وعمله مع حجر بما هو مذكور في التاريخ.

«للّه أنتم تتوقّعون إماماً غيري يطأبكم الطريق، ويرشد بكم السبيل» وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه الحقّ يدور مع علي حيثما دار.

وفي بلاغات نساء البغدادي ـ في وفود أمّ الخير البارقية على معاوية فقال معاوية لأصحابه: أيّكم يحفظ كلامها في صفين؟ فقال أحدهم: أنا أحفظه مثل سورة الحمد كأنّي بها وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول «أيّها الناس إنّ اللّه قد أوضح الحق، ونوّر السبيل. فلم يدعكم في عمياء مبهمة، ولا سوداء مدلهمة. إلى أين تريدون. أفراراً عن اميرالمؤمنين. أم رغبة عن الاسلام ام ارتداداً عن الحقّ. هلمّوا إلى الإمام العادل. والوصي الوفيّ، والصدّيق الأكبر، فإلى أين تريدون عن ابن عم رسول اللّه، وزوج ابنته، وأبي إبنيه. الّذي خلق من طينته، وتفرّع من نبعته. الّذي خصّه بسرّه، وجعله باب مدينة علمه. الّذي أبان ببغضه المنافقين. صلّى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون. حتّى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد، وفرّق جمع هوازن. فيا لها من وقايع زرعت في قلوب قوم نفاقاً وردّة و شقاقاً.

٢٥/ فى ١٧٣/ ١/ وَإِنِّي لاَخْشى عَلَيْكُمْ اَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ وَقَدْ كانَتْ اُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ اَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ ، وَمَا عَلَيَّ إِلاَّ الْجُهْدُ ، وَلَوْ شِئْتُ اَنْ اَقُولَ لَقُلْتُ: عَفَا اللّٰهُ عَمَّا سَلَفَ.

أقول: مرّ فى ٢٢/ أنّ العنوان جزء أوّل خطبة خطبها عليه السلام بعد بيعة الناس له بعد عثمان رواه الجاحظ فى بيانه عن أبى عبيده ، ورواه الإرشاد والعقد ورواه الروضة ، ورواه (ثم) .

«وانّى لأخشى عليكم أن تكونوا فى فترة» قد كان بين عيسى عليه السلام وبين نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم زمان الفترة . قال تعالى «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير»[1]

وقد كان بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم فترتان: إحداهما ما بين مضى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقيامه عليه السلام فى أيّام الثلاثة ـ وهى الّتى ذكرها عليه السلام ـ والثانية بعد مضيه عليه السلام إلى قيام قائم أهل بيته عليه السلام . فقد قال الصادق عليه السلام: لم ير الناس بعد امير المؤمنين عليه السلام عدلاً ، ولا يرونه حتّى يقوم قائمنا .

ويمكن أن يقال: إنّ بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فترة واحدة إلى قيام القائم عليه حيث إنّه عليه السلام لم يتمكّن من تغيير بدع من تقدّم ، ولا إظهار الحقّ بكون الثلاثة غير حقّ ، وكلامه عليه السلام غير آب عن ذلك حيث لم يقل عليه السلام (كنتم فى فترة) بل «ان تكونوا فى فترة» .

«وقد كانت اُمور مضت ملتم فيها ميلة كنتم عندى فيها غير محمودين» فى تقديمهم الثلاثة عليه .

و روى شواهد التنزيل عن ابن عباس فى قوله تعالى «واتّقوا فتنة لا تصيبن

(١) المائدة ١٩ .

الّذين ظلموا منكم خاصّة»[1] أنّه لمّا نزلت هذه الآية. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنّما جحد نبوّتي، ونبوّة الأنبياء قبلي.

و روى أبو عبد الله السراج منهم في كتابه عن ابن مسعود أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: قد أنزلت هذه الآية «واتّقوا فتنة لا تصيبن الّذين ظلموا منكم خاصّة» وأنا مستودعكها ومسمّ لك خاصّة الظلمة فكن لما أقول واعياً، وعنّي له مؤدّياً من ظلم عليا مجلسي هذا كمن جحد نبوّتي، ونبوّة من كان قبلي.

وقال (حد) مراده عليه السلام تقديم عثمان عليه، ويبعد أن يريد خلافة الشيخين أيضاً لأنّ المدّة قد طالت، ولم يبق من يعاتبه، ولسنا نمنع من أن يكون في كلامه عليه السلام الكثير من التوجد والتألم بصرف الخلافة عنه بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله عنه، وانّما كلامنا الآن في ألفاظ هذه الخطبة على أنّ قوله عليه السلام فيها (سبق الرجلان) ـ أي في زيادات لم ينقلها الرضي ـ كاف في انحرافه عنهما.

قلت: أما قوله «انّ المدّة قد طالت، ولم يبق من يعاتبه» ففيه أولاً أنّ كثيراً من المهاجرين والأنصار الّذين شهدوا السقيفة كانوا موجودين وقت قيامه عليه السلام. فلم يمض إلّا ستّ وعشرون سنة، وثانياً أنّ جرى الباقين على ذلك يكفي في عتابهم. فعاتب الله تعالى بني اسرائيل الّذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما فعل آباؤهم في عصر موسى عليه السلام لرضاهم بما فعلوا في آيات كثيرة، ومنها «وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها» ـ الآية.

وثالثاً: أنّ تقديم عثمان الّذي سلّمه كان من فعل عمر وتدبيره.

«ولئن ردّ عليكم أمركم» بأن يتولّوه عليه السلام لجعل الله تعالى له عليه السلام وليّهم في قوله ـ عزّ وجلّ ـ «انّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون»[2].

(١) الانفال ٢٥.

(٢) المائدة ٥٥.

«نزلت الآية لما اعطى عليه السلام خاتمه فی الركوع السائل.

«وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله بعد تقريره للناس بأنّه أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه وأولى به من نفسی فهذا علی مولاه وأولى به من نفسه».

«انكم لسعداء»: فی الآخرة برفضهم الباطل، واعتقادهم بالحق من أصول الاسلام.

قال أبو سليمان الضبّی أرسل علی عليه السلام إلى لبيد العطاردی بعض شرطه فمرّوا به علی مسجد سماك. فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدی فحال بينهم وبينه فأرسل عليه السلام إلى نعيم فجيئ به، ورفع شيئاً ليضربه. فقال نعيم «والله انّ صحبتك لذلّ، وأنّ خلافك لكفر» فقال عليه السلام وتعلم ذلك قال: نعم. قال: خلّوه.

«وما علیّ إلّا الجهد» والسعی باتمام الحجّة عليكم لئلّا يكون على الله حجّه بعد الرسل وأوصيائهم.

«ولو شاء ان اقول لقلت: عفا الله عمّا سلف» فی ميل من مال عنه أيّام الثلاثة ورجع إليه عليه السلام فی أيّامه أوفی البين، وهم جمع ذكرهم الكشی فی عنوان ـ السابقون الّذين رجعوا إلى اميرالمؤمنين عليه السلام» وذكرهم الرضا عليه السلام للمأمون فی خبر.

۲۶/ فی ۱۶۸/ ۱/ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهٰذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللّٰهِ فِيهِ. فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ. فَإِنْ أَبىٰ قُوتِلَ، وَ لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتّٰى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلىٰ ذٰلِكَ سَبِيلٌ، وَلٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ

يَخْتَارَ. أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ، أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ، وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ عُذْرًا.

أقول: أمّا قوله عليه السلام «أيّها الناس انّ احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بامر الله فيه» فيشهد له قوله تعالى «افمن يهدى إلى الحقّ احق ان يتّبع أمّن لا يهدّى إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون»[1].

وهو دليل على عدم ليا قة غيره وغير أهل بيته، ففى خطبته التي خطب بها بعد قتل محمد ابن أبى بكر وفتح معاوية لمصر فى حكايته عليه السلام يوم الشورى، وقد رواها ابن قتيبة فى خلفائه، وغيره «فما كانوا لولاية أحد منهم أشدّ كراهية لولا يتى عليهم كانوا يستمعوننى عند وفاة النبى صلى الله عليه وآله أحاجّ أبا بكر، وأقول: يا معشر قريش انّا أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرء القرآن ويعرف السنّة، ويدين بدين الحقّ فخشى القوم ان أنا ولّيت عليهم أن لا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا فأجمعوا إجماعا واحدا. فصرفوا الولاية إلى عثمان، وأخرجونى منها رجاء أن ينالوها، ويتداولوها إذ يأسوا أن ينالوها من قبلى.

وإخوانا أخذوا دينهم عن معاوية. فجعلوا المناط فى الخلافة الغدر والمكر، والسياسة الدنيوية دون رعاية الشريعة فجعلوا أبا بكر أحقّ، فكتب معاوية إلى الحسن عليه السلام كما فى المقاتل وغيره «ولو رأى المسلمون فيكم من يغنى

(١) يونس ٣٥

غنى أبى بكر ويقوم مقامه ، ويذبّ عن حريم الاسلام ذبّه ماعدلوا بذلك الأمر إلى غيره ـ إلى أن قال ـ والحال فى ما بينى وبينك اليوم مثل الحال الّتى كنتم عليها وأبوبكر بعد النبى ، ولوعلمت أنّك أضبط منّى للرعيّة ، وأحوط على هذه الأمّة ، وأحسن سياسة ، وأقوى على جمع الأموال ، وأكيد للعدو لاجبتك إلى ما دعوتنى إليه ، ورأيتك لذلك ، ولكن قدعلمت أنّى أكثرمنك سياسة) ـ إلخ .

ولوكان استدلال أبى بكر صحيحاً كان أبوه أبوسفيان أولى من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوّة . فالنبوة والامامة خلافة الله .

«فإن شغب شاغب» قال الجوهرى : الشغب تهييج الشرّ وهو شغب الجند «استعتب» : وقال أيضاً «استعتب واعتب» بمعنى واحد : أى عاد إلى ـ المسرة راجعاً عن الإساءة .

«فإن أبى قوتل» كما أمر الله تعالى فى قوله «فقاتلوا الّتى تبغى حتّى تفيئ إلى أمر الله»[1] .

ولقد استعتب عليه السلام أهل الجمل وصفّين والنهروان . فأبوا : فقاتلهم على حسب أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عموماً وخصوصاً .

«ولعمرى لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى تحضرها عامّة الناس فما» هكذا فى المصرية ، والصواب (ما) بدون فاء كما فى (حد ، وثم ، والخطية) .

«إلى ذلك سبيل» لأنّه من المحالات العاديّة .

«ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها . ثم ليس للشاهد» للبيعة .

«أن يرجع» : عن بيعته وينكثها كأهل الجمل طلحة والزبير .

«ولا للغائب» : عن البيعة «أن يختار كهم عاوية وأهل الشام .

قال (ع) : هذا الكلام جدلاً ردّاً على معاوية فكان معاوية كتب إليه عليه السلام كما فى خلفاء ابن قتيبة «ولعمرى ماحجّتك على أهل الشام كحجّتك ـ

(١) الحجرات ٩ .

على أهل البصرة ، ولا حجّتك علىّ كحجّتك على طلحة والزبير . لأنّ أهل البصره بايعوك ، ولم يبايعك أحد من أهل الشام ، وأنّ طلحه والزبير بايعاك و لم أُبايعك » .

فقول (حد) (هذا الكلام تصريح بصحّة مذهبنا فى أنّ الاختيار طريق إلى الإمامة ، ومبطل لما تقوله الامامية من دعوى النصّ عليه » غلط وشطط . فالواجب أن يدحض الانسان حجّة الخصم بما يقرّبه الخصم لا بما ينكره ، ومعاوية كان ينكر النص ولا ينكر البيعة .

« الا وانّى اقاتل رجلين رجلاً ادّعى ماليس له ، وآخر منع الّذى عليه » قال (حد) « الأوّل الّذى ادّعى الخلافة ، والثانى الّذى لا يدّعيها ولكنّه يمتنع من الطاعة » .

قلت : انّ سعداً وابن عمر ، ومحمّد بن مسلمة والمغيرة ، وجمعاً آخر لم يدّعوا الخلافة ، وامتنعوا من طاعته عليه السلام ، ومع ذلك خلّاهم ولم يقاتلهم . فلا بد أنّه عليه السلام أراد بالأوّل معاوية ، وبالثانى طلحة والزبير حيث نكثا وقاما فى وجهه

« أُوصيكم عباد اللّه » ليست كلمة (عباد اللّه) فى (ثم) والخطية .

« بتقوى اللّه » : قال تعالى « انّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم »[1] .

« فإنّها خير ما تواصى العباد به » « والعصر انّ الانسان لفى خسر إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر » .

« وخير عواقب الأمور عند اللّه تعالى » قال - جلّ و علا - « ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً والعاقبة للتقوى »[2] .

« انّ الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »[3] « تلك الدار

---

(١) الحجرات ١٣ .

(٢) طه ١٣١ .

(٣) مريم ٦٣ .

الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »[1] « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيّاً »[2].

« وقد فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة » قال (حد) لم يكن المسلمون قبل حرب الجمل يعرفون ديفيه قتال أهل القبلة ، وانما تعلّموا فقه ذلك منه عليه السلام . وقال الشافعى : لولا على عليه السلام لما عرف شئ من أحكام أهل البغى .

« ولا يحمل هذا العلم » : بفتحتين : أى الراية .

« إلا اهل البصر والبصر والعلم بمواضع الحقّ » : فى الطبرى قال أبو عبد الرحمن السلمى : رايت عمارا لا ياخذ واديا من اوديه صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب محمّد ، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة المرقال ، وهو صاحب راية على عليه السلام . فقال : يا هاشم أعورا وجنبا لا خير فى أعور لا يغشى الباس تقدّم ، الجنّة تحت ظلال السيوف ، والموت فى أطراف الأسل ، وقد فتحت أبواب السماء ، وتزيّنت الحور العين اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه . فلم يرجعا وقتلا .

وقال السلمى أيضاً : سمعت عماراً ، وهو يقول لعمرو بن العاص لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الرابعة ما هى بأبرّ وأتقى .

« ولا تعجلوا فى امر حتّى تتبيّنوا » وجهه وحكمته .

« فانّ لنا مع كل امر تنكرونه غيرا » : أى منافع ومصالح للمسلمين أنتم لا تعلمونها (غيرا) من (غار يغير ويغور) بمعنى نفع وأصلح قال الهذلى :

ماذا يغير ابنتى × رفع عويلهما

قال الجوهرى (غاره يغيره ويغوره : أى نفعه ، وغار أهله يغيرهم غيارا

(١) القصص ٨٣
(٢) مريم ٧٢

أى يميرهم وينفعهم ، و (أغارهم الله يمطر غيرهم ويغورهم) : أى سقاهم ويقال (نزل القوم يغيرون : أى يصلحون الرحال «وغارنا الله بخير» كقولك : أعطانا الله خيراً .

ومما أنكروا عليه عليه السلام قتاله أهل القبلة قال ابن قتيبة فى خلفائه — بعد ذكر اعتزال ابن عمر وسعد ، ومحمد بن مسلمة عن مشاهده وحروبه — قال عمار ، لعلى عليه السلام : ايذن لى آت ابن عمر . فاكلمه . فقال : نعم . فأتاه فقال له «قد بايع علياً المهاجرون ، والأنصار ، ومن أن فضلناه عليك لم يسخطك ، وان فضلناك عليه لم يرضك ، وقد أنكرت السيف فى أهل الصلوة ، وقد علمت أن على القاتل القتل ، و على المحصن الرجم ، وهذا يقتل بالسيف ، وهذا يقتل بالرجم» فقال ابن عمر « انّ أبى جمع أهل الشورى فكان أحقهم بها على غير أنه جاء أمر فيه السيف ولا — أعرفه ، ولكن والله ما أحب أن لى الدنيا وما فيها ، وانى أضمرت عداوة على » ، فانصرف عمار فأخبر علياً عليه السلام بقوله . فقال له : لو اتيت محمد بن مسلمة الأنصارى . فأتاه . فقال له ابن مسلمة : لولا ما فى يدى من النبى لبايعته ، ولو أن الناس كلهم كانوا عليه لكنت معه ، ولكنه كان من النبى أمر ذهب فيه الرأى . فقال له عمار : أفتريد من النبى صلى الله عليه وآله وسلم قول بعد قوله يوم حجة الوداع «دماؤكم وأموالكم عليكم حرام إلا بحدث» أفتقول : لا نقاتل المحدثين قال : حسبك . ثم أتى عمر سعداً فكلمه فأظهر الكلام القبيح ، فانصرف عماراً إلى على عليه السلام فقال له : دع هؤلاء الرهط اما ابن عمر فضعيف ، وأما سعد فحسود ، وذنبى إلى محمد بن مسلمة أنى قتلت أخاه يوم مرحب .

وأخطأ (حد) فتوهم أن (غيرا) من غيّر كما أخطأ فى بيان المراد من الفقرة فقال «معناها أن عندنا تغييراً لكل ما ينكرونه من الأمور التى ثبتت أنه يجب إنكارها وتغييرها يعنى لست كعثمان أصر على ارتكاب ما أنهى عنه بل اغيّر كل ما ينكره — المسلمون ، ويقتضى الحال والشرع تغييره» .

قلت: انّ ماقاله ممّا يضحك الثكلى فلم يستطع أحد من أعدائه حتّى مثل معاوية أن يدّعى عليه أمراً منكراً فى الشرع حتّى يقول (حد) انّه عليه السلام قال «لست كعثمان أصرّ على الامور المنكرة بل اغيّرها إذا انبّهتمونى» ـ وانّما أنكر المغرضون عليه أموراً معروفة. فأنكر معاوية عليه ايواءه قتلة عثمان كعمار، ومحمّد بن أبى بكر، وعمرو بن الحمق ونظرائهم ـ وأنكر ابن عمرو سعد ومحمّد بن مسلمة عليه قتاله مع أهل الجمل وصفّين بشبهة لفّقوها وأنكر الخوارج عليه عليه السلام تحكيم القرآن.

ولو كان عليه السلام أراد المعنى الّذى ذكر لقال «فعلىّ فى كلّ أمر منكر تغييره» لا «أنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه غيرا» وبالجملة ماقاله فى غاية السقوط.

٢٧/ ١٥٠/ (وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام) وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ، دَاعٍ دَعَا وَرَاعٍ رَعَى. فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِى، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِىَ

«وناظر» قال الجوهرى: الناظر فى المقلة السواد الأصغر الّذى فيه ـ إنسان العين.

«قلب اللبيب»: أى الشخص العاقل.

«به»: أى بسبب ذلك الناظر.

«يبصر»: أى يرى قلب اللبيب.

«أمده»: أى غايته ومنتهاه.

وأمّا قول الحسن البصرى لما قال له الحجاج ما أمدك «سنتاك لخلافة عمر» فلا ينافى كون الأمد بمعنى الغاية لأنّ المراد ما غاية ما أدركت من أوّل عمرك

«ويعرف غوره»: أى قعره.

«ونجده»: أى مرتفعه، وقال الجوهرى: الغور من بلاد العرب تهامه والنجد ما ارتفع من تهامه إلى أرض العراق.

وكما جعل عليه السلام هنا لقلب اللبيب ناظراً به يبصر أمده، ويعرف غوره، و

نجده يمكن أن يجعل له أذناً يسمع بها الأمور الحقّة فعن الصادق عليه السلام «ما من مؤمن إلّا ولقلبه أذنان: أذن ينبعث فيها الوسواس الخنّاس، وأذن ينبعث فيها الملك فيؤيد اللّه المؤمن بالملك فذلك قوله تعالى «وأيّدهم بروح منه»[1].

وعنه عليه السلام ما من قلب إلّا وله أذنان على أحدهما ملك مرسل، وعلى الأخرى شيطان مفتر الشيطان يأمره بالمعاصى، والملك يزجره عنها، وهو قوله تعالى «عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد»[2].

«داع دعا» والمراد بالداعى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى «يا أيّها النبيّ انّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى اللّه باذنه وسراجاً منيراً»[3].

«وراع رعا» المراد بالراعى هو عليه السلام. روى الثعلبى فى تفسير «إذا جاء نصر اللّه» انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى عليه السلام: قد جاء ما وعدت به جاء الفتح ودخل الناس فى دين اللّه أفواجاً، وليس أحد أحقّ منك بمقامى لقدمك فى الاسلام، وقربك منّى، وصهرك، وعندك سيّدة نساء العالمين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبى طالب عندى حين نزل القرآن، وأنا حريص على أن أراعى ذلك لولده.

«فاستجيبوا للداعى» قال تعالى «يا أيّها الّذين آمنوا استجيبوا للّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»[4].

«واتبعوا الراعى»: أى نفسه وكان اتّباعه واجباً لأنّه عليه السلام كان على الحقّ، والحقّ كان يدور معه، كما تواتر ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واعترف به عمر.

وروى الثعلبى فى تفسير «انّما أنت منذر ولكل قوم هاد» أنّه[5] لمّا نزلت الآية وضع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره، وقال: أنا المنذر ثم أومأ بيده إلى منكب على عليه السلام، وقال: أنت الهادى يا على. بك يهتدى المهتدون بعدى

(١) المجادلة ٢٢.
(٢) ق ١٧.
(٣) الاحزاب ٤٦.
(٤) الانفال ٢٤.
(٥) الرعد ٧.

و رواه الحسکانی فی شواهد تنزیله، والمرزبانی فی کتاب(ما نزل من القرآن فی علی علیه السلام ، وصنّف ابن عقدة کتاباً فیه کما نقل ذلك السروی.

و روی ابن بابویه باسناده عن الأعمش باسناده قال: قال علی علیه السلام : ما نزلت آیة إلّا وقد علمت أین نزلت، وفی من نزلت، وفی أیّ شئ نزلت. فقیل له: فما نزل فیك. فقال: لولا أن سألتمونی ما اخبرتکم نزلت فیّ «إنّما أنت منذر ولکلّ قوم هاد» فالنبی صلی الله علیه و آله المنذر، وأنا الهادی إلی ما جاء به.

وفی تفسیر القمی عن الصادق علیه السلام : المنذر النبی صلی الله علیه و آله والهادی علیه السلام وبعده الأئمة علیهم السلام ، وهو قوله تعالی «ولکلّ قوم هاد» : أی فی کلّ زمان إمام مبین. فهو ردّ علی من أنکر أنّ فی کلّ عصر اماماً.

۲۸/ ۳۱۱/ ۳/ وقال علیه السلام لأنس بن مالك ـ وقد کان بعثه إلی طلحة والزبیر لمّا جاء إلی البصرة یذکّرهما شیئاً قد سمعه من رسول الله صلی الله علیه و آله فی معناهما فلوی عن ذلك. فرجع إلیه. فقال: إنّی أُنسیتُ ذٰلِكَ الأَمْرَ. فَقالَ علیه السلام : اِنْ کُنْتَ کٰاذِباً. فَضَرَبَكَ اللّٰهُ بِهٰا بَیْضٰاءَ لاٰمِعَةً. لاٰ تُوٰارِیهٰا الْعِمٰامَةُ ـ یعنی البرص ـ فأصاب أنساً هذا الداء فیما بعد فی وجهه فکان لا یری إلّا متبرقعاً.

أقول: قال (حد) المشهور أنّ علیاً علیه السلام ناشد الناس الله فی الرحبة بالکوفه. فقال: انشدکم الله رجلاً سمع النبی صلی الله علیه و آله یقول لی، وهو منصرف من حجّة الوداع «من کنت مولاه فعلی مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» فقام رجال فشهدوا بذلك. فقال علیه السلام لأنس بن مالك لقد حضرتها فما بالك. فقال: کبرت سنّی، وصار ما أنساه أکثر ممّا أذکره. فقال له «إن کنت کاذباً فضربك الله بها بیضاء لا تواریها العمامة» فما مات حتّی اصابه البرص. فأمّا ما ذکره

الرضى من أنّه بعث أنساً إلى طلحة والزبير فغير معروف ـ إلى أن قال ـ وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص، والدعوة الّتى دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس في كتاب المعارف في (باب البرص من برص من أعيان الرجال) وابن قتيبه غير متّهم في حقّ علي عليه السلام للمشهور من انحرافه عنه.

قلت: الأمر كما ذكر (حد) من كون دعائه على أنس بالبرص لانكاره حديث غدير خم. فروى المفيد في ارشاده عن اسماعيل بن عمير قال: حدّثني مسعر بن كدام. قال: حدّثنا طلحه بن عميرة. قال: نشد علي عليه السلام الناس في قول النبي صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه فعلي مولاه» فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار، و أنس بن مالك في القوم لم يشهد. فقال له علي عليه السلام: يا أنس قال: لبّيك. قال: ما يمنعك أن تشهد، وقد سمعت ما سمعوا قال: كبرت، ونسيت فقال «اللهم إن كان كاذباً فاضربه ببياض ـ أوبوضح ـ لا تواريه العمامة قال طلحة: ـ فاشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين عينيه.

و رواه الكشّي في رجاله مع زيادة شهود البراء بن عازب، وعدم شهادته و دعائه عليه السلام عليه بالعمى. فقال: روى عبد الله بن ابرهيم، عن أبي مريم الأنصاري، عن المنهال بن عمرو، عن زرّبن حبيش. قال: خرج علي عليه السلام من القصر. فاستقبله ركبان متقلّدون بالسيوف عليهم العمائم. فقالوا «السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا مولانا» فقال علي عليه السلام من ههنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله. فقام خالد بن زيد أبوأيوب و خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وقيس بن سعد بن عبادة، و عبد الله بن بديل بن ورقا فشهدوا جميعاً أنّهم سمعوا النبي صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال علي عليه السلام لأنس بن مالك، والبراء بن عازب: ما منعكما أن تقوما فتشهدا فقد سمعتما كما سمع القوم، ثم قال «اللهمّ ان كانا كتما هما معاندة فابتلهما» فعمي البراء بن عازب، وبرص قد ما انس بن مالك. فحلف انس ان لا

يكتم منقبة لعلى عليه السلام ، ولا فضلاً أبدا ، وأما البراء فكان يسأل عن منزله فيقال هو فى موضع كذا وكذا . فيقول : كيف يرشد من اصابته الدعوة .

«قلت : «وقد ما أنس بن مالك» فيه مصحّف «رقدّام رأس أنس بن مالك» من النسخة . فمثله فيها كثير كما برهنّا عليه فى رجالنا .

ورواه الصدوق فى باب الأربع من خصاله ، والمجلس السادس والعشرين من أماليه مع زيادة البراء ، ونفرين آخرين الأشعث ، وخالد الجبلى ، وفى خبره ثم أقبل على أنس . فقال : إن كنت سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول «من كنت مولاه فعلى مولاه» ثم لم تشهد لى اليوم . فلا أماتك الله حتى يبتليك ببرص لا تغطّيه العمامة ـ قال جابر الأنصارى : والله لقد رأيت أنساً ، وقد ابتلى ببرص يغطّيه بالعمامة فما تستره ـ الخبر .

و رواه ابن قتيبة فى معارفه . فقال كان بوجه برص أنس ، وذكر قوم أنّ عليا عليه السلام سأله عن قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم «اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» فقال كبرت سنّى ونسيت . فقال على عليه السلام «إن كنت كاذباً فضربك الله ببيضا لا تواريه العمامة» .

و رواه (حد) فى شرح قوله عليه السلام «أما انه سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم» عن شيوخه البغداديين . قالوا : ناشد على عليه السلام الناس برحبة القصر أيكم سمع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول «من كنت مولاه فعلىّ مولاه» ـ الخ .

وقال (ثم) روى عثمان بن مطرق أنّ رجلاً سال أنس بن مالك فى آخر عمره عن على عليه السلام . فقال : إنّى آليت أن لا أكتم حديثاً سئلت عنه فى على عليه السلام بعد يوم الرحبة ذاك رأس المتّقين يوم القيمة سمعته والله من نبيّكم .

وبالجملة المشهور عند العامة والخاصّة أنّ دعائه عليه السلام على أنس بالبرص كان لانكاره قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى غدير خم «من كنت مولاه فعلى مولاه» و نقل الرضى كونه لمّا أنكر شيئاً سمعه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى طلحة والزبير كما مرّ ، و روى

الأمالى كونه لمّا أنكر حديث الطير يوم الدار. فروى فى مجلسه (۹۴) عن أبى هدية قال: رأيت أنس بن مالك معصوباً بعصابة. فسألته عنها ـ فقال: هى دعوة ـ علىّ. فقلت له: وكيف ذلك عليه السلام قال: أهدى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم طائر مشوى. فقال: اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك يأكل معى هذا الطير. فجاء على عليه السلام فقلت له النبى صلى الله عليه وآله وسلم: عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلا من قومى ـ إلى أن قال ـ فلمّا كان يوم الدار استشهد نى على فكتمته. فقلت: انّى انسيته. فرفع على عليه السلام يده إلى السماء. فقال: اللهمّ ارم أنساً بوضح لا يستره ـ ثم كشف ـ العمامة عن رأسه ـ فقال: هذه دعوة على هذه دعوة على.

وفى المناقب نظم ذلك الحميرى. فقال:

نبّئت أنّ أبانا كان يروى عن أنس × حديثاً عجيباً معجباً عجبا
فى طائرٍ جاء مشويّاً به بشر × يوماً وكان رسول الله محتجبا

إلى ان قال:

فقد دعا ربّه المحجوب فى أنس × بأن يحلّ به سقم حوى كربا
فناله السوء حتّى كان يرفعه × فى وجهه الدهر حتّى مات منتقبا

وحيث إنّ كلا من الخبرين متواتر يمكن استشهاده عليه السلام من أنس مرة لهذا وأخرى لذاك، ويكون أنس أنكر كليهما فدعا عليه السلام عليه، ويكون ظهر اثر الدعاء بعد الثانى، ولكن الاستشهاد لخبر الغدير مشهور مستفيض كما عرفت، و لخبر الطير خبر واحد مثل الاستشهاد لما سمع فى طلحة والزبير إلّا أنّ خبر الطير واحد مسند، والأخير خبر مرفوع.

هذا، وقد عرفت من خبر الكشى أنّ البراء بن عازب أيضاً لم يشهد لخبر الغدير لما استنشده عليه السلام فدعا عليه بالعمى.

و روى الارشاد أن زيد بن أرقم أيضاً لم يشهد. فدعا عليه السلام عليه بالعمى أيضاً.

فقال : روى أبو اسرائيل عن الحكم بن أبى سليمان المؤذن عن زيد بن أرقم قال : نشد على عليه السلام الناس فى المسجد . فقال : انشد الله رجلاً سمع النبى صلى الله عليه وآله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه » فقام اثناعشر بدرياً ستّة من الجانب الايمن ، وستّة من الجانب الأيسر . فشهدوا بذلك ـ قال ، وكنت فى من سمع ذلك فكتمته ـ فذهب الله ببصرى وكان يندم على مافاته من الشهادة ويستغفر .

و روى الجزرى فى اسد غابته كتمان عبد الرحمن بن مدلج ، ويزيد بن وديعه ودعائه عليه السلام عليهما بالعمى أيضاً فروى عن أبى اسحق . قال : حدّثنى عمرو بن ذى مر ، ويزيد بن نشيع ، وسعيد بن وهب ، وهانى بن هانى ، وحدّثنى من لا أحصى أنّ علياً عليه السلام نشد الناس فى الرحبة من سمع قول النبى صلى الله عليه وآله « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه » فقام نفر . فشهدوا أنّهم سمعوا ذلك من النبىّ صلى الله عليه وآله وكتم قوم فما خرجوا من الدنيا حتّى عموا ، واصابتهم آفة منهم يزيد بن وديعه وعبد الرحمن بن مدلج .

وممّن روى استنشاده عليه السلام يعلى بن مرّة روى أيضاً اسد الغابة عن عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرّة عن أبيه عن جدّه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه » فلمّا قدم على عليه السلام الكوفة نشد الناس من سمع ذلك من النبىّ صلى الله عليه وآله فانتشد له بضعة عشر رجلاً فيهم عامر بن ليلى الغفارى .

و روى الخبر فى عنوان زيد بن شراحيل الأنصارى ، وعدّه فى من شهد و رواه فى عنوان ناجية بن عمرو الخزاعى وعدّه فى من شهد .

وممّن روى استنشاده عليه السلام الاصبغ بن نباتة . روى الجزرى أيضاً فى اسده باسناده عنه . قال : نشد على عليه السلام الناس فى الرحبة من سمع النبى صلّى الله عليه وآله يوم غدير خم ما قال إلّا قام ـ قال : ولا يقوم إلّا من سمع النبى صلى الله عليه وآله

يقول : فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيوب الأنصاري ، وأبو عمرة بن عمرو بن محصن وأبو زينب ، وسهل بن حنيف ، وخزيمة بن ثابت ، وعبد الله بن ثابت الأنصاري ، وحبشي بن جنادة السلولي ، وعبيد بن عازب الأنصاري ، والنعمان بن عجلان الأنصاري ، وثابت بن وديعة الأنصاري ، وأبو فضالة الأنصاري ، وعبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري . فقالوا : نشهد أنا سمعنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : الا ان الله — عزّ وجلّ — وأنا ولي المؤمنين الا فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، واحبّ من أحبّه ، وابغض من أبغضه ، واعن من أعانه .

ومن هذا الخبر يظهر كون أبي أيوب ، وأبي عمرة ، وأبي زينب ، وسهل بن حنيف ، وذي الشهادتين ، وعبد الله بن ثابت ، وحبشي السلولي ، وعبيد الانصاري والنعمان الأنصاري ، وثابت الأنصاري ، وابي فضالة الأنصاري ، وعبد الرحمن الأنصاري ممّن سمع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم .

كما يظهر من الخبر السابق سماع يعلى بن مرة ، وعامر بن ليلى الغفاري ، و زيد بن شراحيل الأنصاري ، وناجية بن عمرو الخزاعي أيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، و من الأخبار الآتية سماع جمع آخر .

وممّن روى استنشاده عليه السلام ابو الطفيل فروى الجزري في الاسد أيضاً عنه قال : كنّا عند علي عليه السلام . فقال : انشد الله تعالى من شهد يوم غدير خم الّا قام فقام سبعة عشر رجلاً منهم أبو قدامة الأنصاري . فقالوا : نشهد انّا أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجّة الوداع حتّى إذا كان الظهر خرج . فأمر بشجرات فشذبن وألقي عليهنّ ثوب . ثم نادى الصلوة فخرجنا فصلّينا ثم قام فحمد الله تعالى وأثنى عليه . ثم قال : أيّها الناس أتعلمون أنّ الله — عزّ وجلّ — مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا اولى بكم من أنفسكم — يقول ذلك مراراً — قلنا نعم وهو آخذ بيد علي يقول « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » — ثلاث مرّات

ومنهم زاذان فروى مسند أحمد بن حنبل ، وسنن الترمذي كما في تذكرة سبط

ابن الجوزى عن زاذان قال : سمعت علياً عليه السلام يقول فى الرحبة ، وهو ينشد الناس يقول انشد الله رجلاً سمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى يوم غدير خم « من كنت مولاه فعلى مولاه » فقام ثلاثة عشر رجلاً من الصحابة . فشهدوا أنهم سمعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول ذلك .

وزاد الثانى فى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه وادر الحق معه كيفما دار وحيث ما دار » وحكم بكون الحديث حسناً .

ومنهم بريدة . فروى فضائل أحمد بن حنبل كما فى التذكرة أيضاً عن بريدة قال : لما نشد على عليه السلام الناس فى الرحبة قام خلق كثير . فشهدوا له بذلك ـ و فى لفظ « فقام ثلاثون رجلاً فشهدوا » .

ومنهم عمرو بن ذى مر ، ويزيد بن نثيع ، وسعيد بن وهب ، وهانى بن هانى فمرّت رواية اسد الغابة عن أبى إسحق عنهم ، وعن جمع آخر لا يحصيهم رواية ذلك .

ومنه يظهر تواتراً استنشاده عليه السلام كتواتر أصل قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفى الأغانى مسنداً عن يزيد بن عيسى بن مورق قال : كنت بالشام زمن ولى عمر بن عبد العزيز فجئته فقال لى : ممّن أنت؟ قلت : من أهل الحجاز . قال : من أيّهم؟ قلت . : من المدينة قال : من أيّهم ؟ قلت : من قريش . قال : من أيّهم ؟ قلت : من بنى هاشم . قال : من أىّ بنى هاشم؟ قلت : مولى على . قال : من على : فسكت قال من قلت : ابن أبى طالب ـ وكان متّكئاً على إزار وكساء من صوف ـ فجلس وطرح الكساء . ثم وضع يده على صدره ، وقال : وأنا والله مولى على . ثم قال : اشهد على عدد ممّن أدرك النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كنت مولاه ـ فعلى مولاه ـ الخبر .

وكما برص أنس ، وعمى البراء بن عازب ، وزيد بن أرقم ، ويزيد بن وديعة ، وعبد الرحمن بن مدلج ، وجمع آخر لدعائهم النسيان كذلك نزل العذاب

على الفهرى الّذى أنكر على النبى ﷺ قوله ذاك عناداً . فروى الثعلبى فى تفسير قوله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع» أنّ النبى ﷺ لمّا قال ما قال فى على عليه السلام طار فى الأقطار ، وشاع فى البلاد والأمصار . فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهرى . فأتاه على ناقة له . فأناخها على باب المسجد ثم عقلها ، و جاء فدخل المسجد . فجثا بين يدى النبى ﷺ فقال : يا محمّد إنّك أمرتنا أن لا إله إلّا اللّه ، وأنّك رسوله . فقبلنا ذلك منك ، وأمرتنا أن نصلّى فى اليوم والليلة خمس صلوات ، وأن نصوم شهر رمضان ، ونحجّ البيت ، ونزكّى أموالنا . فقبلنا منك ذلك . ثم لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبع ابن عمك ، وفضّلته على الناس وقلت «من كنت مولاه فعلى مولاه» فهذا شئ منك أو من اللّه . فقال النبى ﷺ وقد احمرّت عيناه «واللّه الّذى لا إله إلّا هو إنّه من اللّه وليس منّى» قالها ثلاثاً — فقام الحرث وهو يقول «اللهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فارسل علينا من السماء حجارة أو ائتنا بعذاب أليم» فواللّه ما بلغ ناقته حتّى رماه اللّه من السماء بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ، ومات وأنزل تعالى «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من اللّه ذى المعارج»[1] .

ولو أردنا استقصاء رواياته لاحتجنا إلى مجلّدات ضخام قال السروى فى مناقبه : ذكر حديث غدير خم محمّد بن إسحق صاحب المغازى ، والبلادرى ، ومسلم ، وأبو نعيم الاصبهانى ، والدارقطنى ، وابن مردويه ، وابن شاهين ، — والباقلانى ، والجوينى ، والثعلبى ، والخركوشى ، والسمعانى ، وابن شيبة وابن الجعد ، وشعبة ، والأعمش ، وابن عياش ، والشعبى ، والزهرى ، وابن البيع وابن ماجه ، وابن عبد ربه ، والاسكافى ، وأبو يعلى الموصلى .

قال : و رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً ، وابن بطة من ثلاث وعشرين طريقاً ، وابن جرير الطبرى من نيّف وسبعين طريقاً فى كتاب الولايه ، وابن عقدة

(١) المعارج . ٢ .

من مأة وخمس طرق ، والجعابى من مأة وخمسة عشر طريقاً .

قال : وصنّف على بن هلال المهلّبى كتاب الغدير ، وابن عقدة كتاب من روى غدير خم ، ومسعود الشجرى كتاب رواة خبر الغدير ، واستخرج منصور الرازى فى كتابه أسماء رواتها على حروف المعجم .

واخواننا يقولون : لو كان لم يحتجّ به اميرالمؤمنين عليه السلام يوم السقيفة ، فقد عرفت فى المتواتر احتجاجه به أيّام خلافته . فأنكره جمع حتّى دعا عليهم كما مرّ .

ومع كونه فوق التواتر أنكره بعضهم رأساً قال الحموى فى أدبائه فى عنوان محمّد بن جرير الطبرى ، قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم ، وقال : إنّ علياً كان باليمن فى الوقت الذى كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم ، وبلغ ذلك الطبرى : فابتدء بالكلام فى فضائل على عليه السلام ، وذكر طرق حديث خم .

و روى أمالى المفيد عن ابن عقدة قال : قال محمّد بن نوفل النصيرفى : كنت عند الهيثم بن حبيب الصيرفى ، فدخل علينا أبوحنيفة . فذكرنا علياً عليه السلام ، ودار بيننا كلام . فقال أبوحنيفة : قلت لأصحابنا : لا تقرّوا لهم بحديث غدير خم فيخصموكم فتغيّر وجه الهيثم ، وقال : لم لا تقرّون به أما هو عندك . قال : بلى وقد رويته قال : فلم لا تقرّون به ، وقد حدّثنا به حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل عن زيد بن أرقم أنّ علياً عليه السلام نشد الناس فى الرحبة من سمعه . فقال أبوحنيفة : أفلا ترون أنّه قد جرى فى ذلك خوض حتّى نشد على الناس لذلك . فقال الهيثم : فنحن نكذّب علياً أو نردّ قوله . فقال أبوحنيفة . ما نكذّب علياً ولا نردّ قولاً قاله ، ولكنّك تعلم أنّ الناس قد غلا منهم قوم ـ فقال الهيثم يقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويخطب به ونشفق نحن و نتّقيه . بغلوغال أو قول قال ـ ثم جاء من قطع الكلام .

ترى انّ إمامهم أباحنيفة أقرّبانكارهم لخبر غدير خم تعمّداً فى قبال الشيعة لئلّا يغلبوهم كاليهود الّذين كانوا إذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربّكم أفلا تعقلون ، أولا يعلمون أنّ الله يعلم

مايسترون ومايعلنون .

وعمل ائمّة لغتهم وبلدانهم بقول أبي حنيفة ووصيّته كالجوهري ، والفيروز-آبادي ، والجزري ، والحموي في كتبهم ، فسكتوا عن الاشارة إلى شئ من ذلك في (غدير) و (خم) كأن لم يكن شيئاً « يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » « وانّما قال ابن دريد منهم في جمهرته في (خم) (وخم غدير معروف ، وهو الموضع الّذي قام فيه النبيّ صلى الله عليه وآله خطيباً بفضل اميرالمؤمنين علي عليه السلام » وإن كان هو أيضاً لوّح ولم يصرّح .

ومن العجب أنّ ذاك الشيخ البغدادي الناصبي قال في قصيدته في إنكار الغدير .

ثم مررنا بغدير خم × كم قائل فيه بزور جم

على علي والنبي الامي

فهل أراد أن مرّ في عصره على الغدير أن يرى النبي صلى الله عليه وآله قائماً إلى زمانه آخذاً بيد علي عليه السلام قائلاً فيه ذاك القول . فإذا كان ذلك مستنداً لانكاره فلينكر مقام ابرهيم . فانّه إذا مرّ عليه لم يرا برهيم ثمة .

وبعضهم حمل اخباره على أنّه كان قضيّة خاصة في واقعة ، وأنّه وقع بينه وبين زيد بن حارثة مخاصمة . ففي العقد الفريد أنّ المأمون لمّا جمع أربعين من أجلّة علماء العامة ، وفيهم يحيى بن اكثم قاضي القضاة ، وكان متكلّمهم إسحق بن إبرهيم بن إسمعيل بن حماد بن زيد ليسجّل عليهم أفضلية اميرالمؤمنين عليه السلام ، وأنّه كان أولى الناس بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله قال لإسحق في ماقال ـ (هل تروى حديث الولاية قال : نعم . قال : اروه ففعل . فقال له : أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر مالم يوجب لهما عليه . فقال : إنّ الناس ذكروا انّ الحديث إنّما كان بسبب زيد بن حارثة بشئ جرى بينه وبين علي ، وانكروا ولاء علي . فقال النبي صلى الله عليه وآله « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه »

فقال له المأمون : فى أىّ موضع قال هذا ؟ أليس قاله بعد منصرفه من حجّة الوداع قال نعم ، قال المأمون : فإنّ زيداً قتل بموته قبل الغدير . ثم كيف رضيت بهذ النفسك ، ارايت لو انّ إبناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول مولاى مولى ابن عمى ، — فاعلموا أيّها الناس ذلك أكنت منكراً عليه تعريفه الناس مالا يجهلون . فقال إسحق : اللهمّ نعم . فقال له المأمون : أفتنزّه ابنك عمّا لا تنزّه عنه النبىّ ﷺ ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أرباباً كم انّ اللّه تعالى يقول فى كتابه «اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللّه» (١) لم يصلّوا لهم ، ولا صاموا ، ولا زعموا أنّهم أرباب ، ولكن امروهم فاطاعوا أمرهم .

وبعضهم انكر دلالته بأنّ المولى مجمل لاشتراكه بين معان منها ابن العم كقول الشاعر : مهلا بنى عمّنا × مهلا موالينا

وهو ليس باقل خبطاً من سابقه فهل كان النبىّ ﷺ مجوناً يخبر بالامور الّتى يعلمها كلّ أحد مع أنّه كما أكذب السابق موت زيد قبل قول النبى ﷺ ذاك . كذلك يبطل هذا أنّ النبى ﷺ كان ابن عم طالب وعقيل وجعفر ، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام ابن عمهم بل أخاهم . فلا تصدق الجملة .

مع أنّ النبىّ ﷺ لم يقل ذاك الكلام بدون المقدّمة بل قرّرهم أولاً كراراً بأنّى ألست أولى بكم من أنفسكم حيث جعل اللّه تعالى ذلك لى فى القرآن : فقالوا فى كلّ مرّة : بلى ثم أخذ بعضد أمير المؤمنين عليه السلام وقال «من كنت مولاه فهذا على مولاه» فيكون الكلام صريحاً فى أنّ كلّ من كنت أولى منه بنفسه فعلى أولى منه بنفسه .

وكيف لم يكن الكلام صريحاً ، وقد نظم القصّة حسّان بن ثابت . فقال :

ينادى بهم يوم الغدير نبيّهم × بخمّ فاسمع بالرسول منادياً

وقالوا فمن مولاكم ووليّكم × فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

(١) التوبة ٣١ .

الهك مولانا وأنت وليّنا × ومالك منّا في الولاية عاصيا

فقال له قم ياعلي فانّني × رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

قال سبط ابن الجوزي : روى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمّا سمع حسّاناً ينشد هذه الأبيات. قال له : لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا ونافحت عنّا بلسانك.

وكيف ليس بصريح ، وقد نظم القصّة قيس بن سعد بن عبادة. فقال :

وعلى إمامنا و إمام لسوانا × به أتى التنزيل

يوم قال النبي من كنت مولاه × فهذا مولاه خطب جليل

وانّ ماقاله النبي على الامّة × حتم ما فيه قال وقيل

وكيف ليس بصريح وقد أوضحه كتاب الله تعالى فقال «انّما وليّكم الله و رسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون»[1] ولا ريب أنّ الآية نزلت لمّا أعطى أمير المؤمنين خاتمه في الصلوة في الركوع سائلاً سأل.

وكيف يكون مجملاً ، وقد لقّى فاروقهم أمير المؤمنين عليه السلام بعد قول النبيّ صلى الله عليه وآله فيه على ما رواه فضائل أحمد بن حنبل هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

هب أولئك الرؤساء لبّسوا لرياستهم. فما بال هؤلاء الاذناب يشرون آخرتهم بدنيا غيرهم ، وإلّا فأيّ حقّ أوضح من كون امير المؤمنين عليه السلام أحقّ وقد دلّ عليه محكم الكتاب والسنّة القطعية ، والعقل السليم ، والاجماع المحقّق.

وقال الصادق عليه السلام : يعطى حقوق الناس بشهادة شاهدين ، وما أعطى أمير المؤمنين عليه السلام حقّه بشهادة عشرة آلاف نفس - يعني في الغدير.

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرته : قال شيخي ابن صافي الموصلي : أنشد بعضهم أبيات الكميت في الغدير :

نفى عن عينك الأرق الهجوعا × وهمّاً تمترى عنه الدموعا

(۱) المائدة ۵۵.

لدى الرحمن يشفع بالمثانى × فكان لـه أبوحسن شفيعا
ويوم الدوح دوح غدير خمّ × أبان له الولاية لو اطيعا
ولكنّ الرجال تدافعوها ×× فلم أرمثلها خطراً منيعا

وبات مفكّراً ، فرأى عليّاً عليه السلام فى المنام فقال له اعد على أبياتك للكميت فانشده إلى قوله «فلم أرمثلها خطراً منيعا» فأنشده على من قوله بيتاً آخر زيادة فيها .

فلم أرمثل ذاك اليوم يوماً × ولم أرمثله حقّاً اضيعا

فانتبه الرجل مذعورا .

نعم من كان يكتم تقيّة كان معذوراً . فروى فضائل أحمد بن حنبل أنّ عبد الملك العوفى . قال لزيد بن أرقم : إنّ ختناً لى حدّثنى عنك بحديث فى شأن على عليه السلام يوم الغدير ، وأنا أحبّ أن أسمعه منك . فقال : إنّكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم . فقال : ليس عليك منّى بأس . فقال : نعم كنّا بالجحفة . فخرج النبىّ صلى الله عليه وآله ظهراً ، وهو آخذ بعضد على عليه السلام فقال «أيّها الناس ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلى مولاه» قالها أربع مرّات .

قول المصنّف وقال عليه السلام «لانس بن مالك» وهو أخو البراء بن مالك المقتول بتستر فى فتحها .

«وقد كان بعثه إلى طلحه والزبير لما جاء» يعنى امير المؤمنين عليه السلام .

«إلى البصره» : من المدينة .

«يذكرهما» : يعنى أنساً .

«شيئاً قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى معناهما» : أى هما المقصودان به والظاهر ان المراد شئ سمعه انس من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قيام طلحة والزبير فى الجمل بغيا عليه عليه السلام .

وكيف كان فقول من النبىّ ﷺ للزبير فى أمر الجمل متواتر ذكره جميع أهل السير كقوله ﷺ لعايشة فى نبح كلاب الحوأب عليها فى شخوصها إلى الجمل. ففى الطبرى قال قتادة : سار على عليه السلام من الزاوية يريد طلحة والزبير وعايشة وساروا من الفرضة يريدون علياً عليه السلام . فالتقوا عند موضع قصر عبيد اللّه بن زياد. فلمّا تراءا الجمعان . قال علىّ عليه السلام لطلحة والزبير «لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند اللّه عذراً فاتّقيا اللّه سبحانه ولا تكونوا كالّتى نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا» . فقال لطلحة : البيت الناس على عثمان . فقال على عليه السلام «يومئذٍ يوفّيهم اللّه دينهم الحقّ ، ويعلمون أنّ اللّه هو الحقّ المبين يا طلحة أتطلبنى بدم عثمان فلعن اللّه قتلة عثمان — يعنى منّى ومنكما — ويا زبير أتذكر يوم مررت مع النبى ﷺ فى بنى غنم فنظر إلىّ فضحك إلىّ ، وضحكت إليه . فقلت : لا يدع ابن أبيطالب زهوه . فقال لك النبى ﷺ «عهد انّه ليس به زهو ولتقاتلنّه ، وأنت له ظالم» فقال : اللهمّ نعم ، ولو ذكرت ما سرت مسيرى هذا واللّه لا أقاتلك أبدا .

«فلوى عن ذلك» : من «لواه بدينه ليّانا» : أى مطله قال ذو الرمة .

تريد ين ليّانى وأنت مليئة × وأحسن يا ذات الوشاح التقاضيا

«فرجع إليه . فقال : إنّى انسيت ذلك الأمر» : الّذى قلت اذكّرهما .

ومما عرفت من معنى (فلوى عن ذلك) يظهر لك ما فى اعتراض (حد) على المصنّف بأنّ ما ذكره من أنّه عليه السلام بعث أنساً إلى طلحة والزبير غير معروف ، ولو كان قد بعثه ليذكّرهما بكلام يختصّ بهما من النبى ﷺ لما أمكنه أن يرجع فيقول انّى انسيته لأنّه ما فارقه متوجّهاً إلّا وقد أقرّ بمعرفته ، وذكره فكيف يرجع بعد ساعة ويوم . فيقول : إنّى انسيته هذا لا يقع .

فمن أين أنّ المصنّف قال : انّ أنساً قرأ أولاً بل قال : أولا (انّه لوى عن ذلك) فكان يمكن أنساً بعد ليّه أولا أن يقول أخيراً فى عذر ليّه بأنه نسيه .

وغاية مايمكن الاعتراض على المصنّف أنّ حديث دعائه عليه السلام على أنس بالبرص صحيح لكن المعروف كون دعائه عليه السلام على برص أنس لانكاره حديث غدير خم فى رحبة الكوفة كمامرّ، ولعلّ المصنّف وقف على رواية لم نقف عليها، ويحتمل أنّه اعتمد على باله بدون مراجعة كتاب فوهم.

«فقال عليه السلام» هكذا فى النسخ، وهو زائد بعد قوله أوّلاً (وقال عليه السلام لأنس) ويمكن حمله على التأكيد اللفظى لحصول الفصل الكثير بين القول والمقول

«إن كنت كاذباً»: فى ادعائك النيسان.

«فضربك اللّه بها»: أى بتلك البليّة المفهومة من المقام كقوله تعالى (حتّى إذا بلغت التراقى).

«بيضاء لامعة»: بيضاء سوء، وكان جذيمة الأبرش أبرص فبدّلوا لفظ الأبرص بالأبرش لكونه ملكاً يخاف عقابه.

«لا تواريها العمامة»: دعا عليه السلام عليه ببرص لا يمكنه ستره.

ومرّ دعائه عليه السلام على البراء وزيد بن أرقم، ويزيد بن وديعة، وعبد الرحمن بن مدلج وغيرهم.

ودعا عليه السلام على عبد الرحمن بن عوف لمّا انتخب عثمان فى حكمية عمر له فى الشورى. فروى عوانة فى شوراه عن الشعبى أنّه لمّا بايع عثمان قال له على عليه السلام: إنّما آثرته بها لتناله بعده دقّ اللّه بينكما عطر منشم.

وقال أبو هلال العسكرى فى أوائله: استجيبت دعوة على عليه السلام فى عثمان وعبد الرحمن فماتا إلّا متهاجرين متعاديين.

ودعا عليه السلام على رجل من عبس استخفّ به عليه السلام فروى الإرشاد و (حد) عن حكيم بن جبير قال: شهدنا علياً عليه السلام على المنبر يقول «أنا عبد اللّه وأخو رسوله ورثت نبى الرحمة وأنا سيّد الوصيين وآخر الوصيين لا يدّعى ذلك غيرى إلّا أصابه اللّه بسوء» فقال رجل من عبس كان جالساً بين القوم «من لا يحسن أن يقول

هذا أنا عبد الله وأخو رسوله» فلم يبرح من مكانه حتى تخبّطه الشيطان فجرّ برجله إلى باب المسجد ، فسألنا قومه عنه هل تعرفون به عرضاً قبل هذا قالوا : اللهمّ لا

و دعا عليه السلام على بسر بن أرطاة لمّا قتل ابنى عبيد الله بن العباس باليمن ففى مروج المسعودى كان على عليه السلام حين أتاه خبر قتل بسر لابنى عبيد الله دعا على بسر . فقال «اللهمّ اسلبه دينه و عقله» فخرف بسر حتّى ذهب عقله ، واشتهر بالسيف . فكان لا يفارقه ، فجعل له سيف من خشب ، وجعل فى يديه زقّ منفوخ كلّما تخرّق ابدل فلم يزل يضرب ذلك الزقّ بذلك السيف حتّى مات ذاهل العقل يلعب بخرء ، وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه ، فيقول : انظروا كيف يطعمنى هذان الغلامان ابنا عبيد الله — وكان ربّما شدّت يداه إلى وراء منعاً من ذلك فانجاذات يوم فى مكانه . ثم أهوى بفيه فتناول منه فبادروا إلى منعه . فقال : أنتم تمنعونى والغلامان قثم و عبد الرحمن يطعمانى — مات فى أيّام الوليد بن عبد الملك .

و دعا عليه السلام على رجل كان يرفع اخباره إلى معاوية . روى الإرشاد عن جميع بن عمير قال : اتّهم على عليه السلام رجلاً يقال له العيزار برفع اخباره إلى معاوية . فأنكر فقال عليه السلام له : أتحلف أنّك ما فعلت . قال : نعم وبدر . فقال عليه السلام له «إن كنت كاذباً أعمى الله بصرك» فما دارت الجمعة حتّى أخرج أعمى يقاد قد أذهب الله بصره .

و دعا عليه السلام على أحد أجداد أبى العيناء الّذى كان فى عصره عليه السلام بعماه وعمى ولده قال ياقوت الحموى فى معجم أدبائه فى عنوان أبى العيناء : لقى جدّه الأكبر علياً عليه السلام . فأساء المخاطبة بينه و بينه . فدعا عليه بالعمى لهو ولولده بعده) . فكلّ من عمى من ولد جدّه فهو صحيح النسب .

و دعا عليه السلام على رجل كذب به بالعمى فعن فضائل العشر قال زاذان : كذب علياً عليه السلام رجل فى حديثه . فقال عليه السلام : ادعو عليك إن كنت كذبتنى أن يعمى

الله بصرك . فقال : نعم . فدعا عليه السلام عليه . فلم ينصرف حتى ذهب بصره .

وعنه أيضاً مرّ على عليه السلام على دار فى مراد وهم يبنونها . فسقطت عليه قطعه فشجّته فدعا عليه السلام أن لا يتمّ بناءها فما وضعت عليها لبنة) ـ إلى غير ذلك ممّا لو أريد استقصاءها لاحتيج إلى كتاب مستقل .

« يعنى البرص » هذا وروى عيون ابن قتيبة أنّ الناس انتهبوا ورساً من الحسين عليه السلام يوم قتل . فما تطيّبت منه امرئة إلّا برصت .

وفى الطبرى أنّ اسحق الحضرمى سلب قميص الحسين عليه السلام فبرص بعد وفى عمدة الطالب أنّ الارقط ـ وهو محمّد بن عبد الله الباهر أخى الباقر عليه السلام . قال أبو نصر البخارى : من يطعن فيه لا يطعن فيه من حيث النسب ، وانّما يطعنون فيه بشئ جرى بينه وبين جعفر بن محمّد عليه السلام يقال إنّه بصق فى وجهه . فدعا عليه . فصار أرقط الوجه به رعش كريه المنظر .

هذا ، وفى الطبرى قال هشام : كان زرادشت فى ما زعم قومه من علماء أهل الكتاب من أهل فلسطين خادماً لبعض تلامذة إرميا النبى خاصّاً به أثيراً عنده فخانه . فكذب عليه . فدعا الله عليه . فبرص . فلحق ببلاد آذربيجان فشرع بها دين المجوسية . ثم خرج نحو بشتاسب ببلخ . فاعجبه . فقسر الناس على الدخول فى دينه . فقتل فى ذلك منهم مقتلة عظيمة .

« فاصاب أنساها هذا الداء فى ما بعد فى وجهه فكان لا يرى إلّا متبرقعا » و (مبرقعا) فى المصرية تصحيف .

واستجابة دعائه عليه السلام أبداً دلالة إمامته كالنصوص عليه ، وكساير فضائله الجليلة الّتى لم توجد واحدة منها فى غيره كالنبى صلى الله عليه وآله وسلم .

٢٩ / ٣١٦ / ٣ وقال عليه السلام (انا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الفجّار) ـ ومعنى ذلك أنّ المؤمنين يتبعوننى ، والفجّار يتبعون المال كما

يتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها ·

«أنا يعسوب المؤمنين» قال (حد) قال النبى ﷺ تارة له عليه السلام «أنت يعسوب المؤمنين» واخرى «انت يعسوب الدين» والمعنى واحد كأنّه جعله رئيس المؤمنين وسيّدهم أوجعل الدين يتبعه، ويقفوأثره حيث سلك كما يتّبع النحل اليعسوب وهذا نحو قوله ﷺ «واد رالحقّ معه كيف دار» ·

قلت: روى قول النبى ﷺ له «أنت يعسوب الدين» يقين ابن طاوس عن مناقب الطبرى، ومناقب على بن محمّد بن الطيب الحلالى المعروف بالعدل، و روى قوله ﷺ «أنت يعسوب المؤمنين» هو أيضاً عن مناقب ابن مردويه، ومختصر أربعين يوسف البغدادى ·

«والمال يعسوب الفجّار» روى يقين ابن طاوس عن مناقب ابن مردويه ومناقب الكنجى انّ النبى ﷺ قال «على يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين» ـ وفى خبر ـ (يعسوب الكفرة) ـ وفى آخر ـ (يعسوب الظلمة)

و روى من طرق كثيرة أنّ النبى ﷺ قال له «أنت أميرالمؤمنين، و امام المتّقين ويعسوب الدين والمؤمنين، والصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، وقائد الغرّ المحجّلين» ·

ثم تلك الأخبار لا سيما الأخير تكفى لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد)

هذا، وفى الصحاح (الياء فى (يعسوب) زائدة لأنّه ليس فى الكلام فعلول غير (صعفوق) قلت: ماقاله غير معلوم ولوكانت الياء زائدة لكانت تسقط فى الجمع مع بقائها فيه قال أبوبشر·

أبوصبيه شعث تطيف بشخصه × كوالح أمثال اليعاسيب ضمّر

۳۰/ ۳۰/ ۱ (ومن خطبه له عليه السلام وهى المعروفة بالشقشقية) أما والله

لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا · يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً ، وَطَفِقْتُ أَرْتَأِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ · فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى ، وَفِي الْحَلْقِ شَجًى · أَرَى تُرَاثِي نَهْباً · حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ ـ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى ·

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا × وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ · إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ · لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ · يَغْلُظُ كَلْمُهَا ، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا ، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا ، وَالْاِعْتِذَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ · فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ · فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ · حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ · جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ · فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى ، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا ، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا · فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ ، وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ · مَعَ هَنٍ وَهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً ـ حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُوَ أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ

الرَّبيعِ إلىٰ أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ ، وَاجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَتَ بِهِ بِطْنَتُهُ ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّىٰ لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشُقَّ عِطْفَايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ ، نَكَثَتْ طَائِفَةٌ ، وَمَرَقَتْ أُخْرَىٰ ، وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» بَلَىٰ وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا ، وَوَعَوْهَا وَلٰكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَىٰ كِظَّةِ ظَالِمٍ ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَىٰ غَارِبِهَا ، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا ، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ .

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً ، فأقبل ينظر فيه . قال له ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ يا أمير المؤمنين لو اطَّرَدَتْ خُطْبَتُكَ مِنْ حَيْثُ أُفْضِيَتْ . فقال : هَيْهَاتَ يا ابْنَ عَبَّاسٍ . تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ ـ قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفى على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد .

قوله (كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحم) يريد

أنّه إذا شدّد عليها فى جذب الزمام، وهى تنازعه رأسها خرم أنفها، وان أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقمحت به فلم يملكها. يقال «أشنق الناقة» إذا جذب رأسها بالزمام. فرفعه و(شنقها) أيضاً ذكر ذلك ابن السكيت فى «إصلاح المنطق» وانّما قال (أشنق لها) ولم يقل (أشنقها) لأنّه جعله فى مقابلة قوله (أسلس لها) فكأنّه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها.

أقول: و رواها الصدوق فى علل شرائعه، ومعانى أخباره، والمفيد فى كتاب إرشاده وكتاب جمله، والشيخ الطوسي في أماليه، والراوندي في شرحه والطبرسي فى احتجاجه، وسبط ابن الجوزى فى تذكرته، وجمع اخر من العامه والخاصّة من المتقدّمين، والمتأخرين كابن قبه وأبى القاسم البلخى، وأبى عمرو الزاهد غلام ثعلب، وأبى أحمد العسكرى وغيرهم.

أما الصدوق. فروى فى علله فى باب (١٢٢) (باب علّة تركه عليه السلام مجاهدة مخالفيه) (عن محمّد بن على ماجيلويه، عن محمّد بن أبى القسم، عن احمد بن أبى عبد اللّه البرقى، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب، عن عكرمه عن ابن عباس.

و رواه فى معانيه فى بابه (٢٢٠) (باب معانى خطبه له عليه السلام مثله وزاد أسناداً آخر (محمّد بن إبرهيم بن إسحق الطالقانى، عن عبد العزيز بن يحيى الجلودى، عن أحمد بن عمار بن خالد، عن يحيى بن عبد الحميد الحمانى عن عيسى بن راشد، عن على بن خزيمة، عن عكرمه، عن ابن عباس قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: واللّه لقد تقمّصها أخو تيم، وانّه ليعلم أنّ محلى منها محلّ القطب من الرحا ينحدر عنه السيل، ولا يرتقى إليه

الطير. فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت ارتأى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء. يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى اللّه. فرأيت أنّ الصبر على هاتى أحجى. فصبرت وفى العين قذى، وفى الحلق شجى أرى تراثى نهباً حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله. عقد ها لأخى عدى بعده. فياعجباً بينا هو يستقيلها فى حيوته. إذ عقد ها لآخر بعد وفاته فصيّرها واللّه فى حوزة خشناء يخشن مسّها، ويغلظ كلمها، ويكثر العثار والاعتذار فصاحبها كراكب الصعبة إن عنف بها حرن، وإن سلس بها غسق. فمنى الناس - بتلوّن واعتراض، وبلوا مع هن، وهنئ. فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة حتّى إذا مضى لسبيله جعلها فى جماعة زعم أنّى منهم، فيا للّه لهم وللشورى، متى اعترض الريب فىّ مع الأوّل منهم حتّى صرت اقرن بهذه النظائر فمال رجل بضبعه، و صغا آخر لصهره، وقام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومتعلفه، وقام معه بنو أبيه يهضمون مال اللّه. هضم الإبل نبتة الربيع حتّى أجهز عليه عمله. فما راعنى إلا والناس الىّ كعرف الضبع، قد انثالوا علىّ من كلّ جانب حتّى لقد وطئ الحسنان، وشقّ عطافى، حتّى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة، وفسقت أخرى و مرق آخرون كأنّهم لم يسمعوا قول اللّه تعالى «تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين»(۱) بلى واللّه لقد سمعوا، ولكن احلولت الدنيا فى أعينهم، وراقهم زبرجها والّذى فلق الحبّة وبرء النسمة لولا حضور الحاضر و قيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ اللّه تعالى على العلماء أن لا يقرّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألفيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، و لألفيت دنياكم أزهد عندى من عطفة عنز - قال وناوله رجل من أهل السواد - كتاباً. فقطع كلامه وتناول الكتاب. فقلت: لو اطردت مقالتك إلى حيث بلغت. فقال: هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرّت - إلخ.

(۱) القصص ۸۶.

و رواها العلل أخيراً بالسند الثانى ، وفى متنه مثل المتن (أن أشنق لها خرم وأن أسلس لها تقحم .

وأما المفيد فقال فى إرشاده : روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال : كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرحبة . فذكرت الخلافة ، وتقدم من تقدم عليه . فتنفس الصعداء ثم قال « أم والله لقد تقمصها ابن أبى قحافة ـ إلخ وفيه بدل « حتى مضى الأول » ـ إلى ـ بعده) (إلى أن حضره أجله فاولى بها إلى عمر) وفيه بعد (ضرعيها) الشعر ثم (تصيرها والله فى ناحية خشناء يجفو مسها ويغلظ كلمها صاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها عسف يكثر فيها العثار ويقل منها الاعتذار) .

وقال فى جمله : فأما خطبته عليه السلام التى رواها عبد الله بن عباس فهى أشهر من أن يدل عليها لشهرتها ، وهى التى يقول فى أولها (أما والله لقد تقمصها ابن أبى قحافة) ـ إلخ .

وأما الشيخ . فروى فى أول الجزء الثالث عشر من أماليه ، عن الحفار عن أبى ـ القاسم الدعبلى ، عن أبيه ، عن أخيه دعبل ، عن محمد بن سلامة الشامى ، عن زرارة ، عن أبى جعفر محمد بن على ، عن ابن عباس ، وعن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال : والله لقد تقمصها ابن أبى ـ قحافة ـ إلخ ـ وفيه « يضيع فيها الصغير ويدب فيها الكبير » وفيه أرى تراث محمد صلى الله عليه وآله نهبا إلى أن حضرته الوفاة فأدلى بها إلى عمر) .

وأما الراوندى . فروى فى شرحه عن أبى نصر الحسن بن محمد بن ابرهيم ، عن الحاجب أبى الوفاء محمد بن بديع ، والحسين بن عبد الرحمن ، عن الحافظ أبى بكر بن مردويه ، عن الطبرانى ، عن أحمد بن على الابار ، عن إسحق بن سعيد أبى سلمة الدمشقى ، عن خليد بن دعلج ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس قال : كنا مع على عليه السلام بالرحبة . فجرى ذكر الخلافة ، ومن تقدم عليه . فقال ـ

إلى آخر الخطبة .

وأما الطبرسي . فقال في (باب احتجاجه عليه السلام في الاعتذار عن قتال من تأمّر عليه) روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال : كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام فذكرت الخلافة ، وتقدّم من تقدّم عليه فيها فتنفّس الصعداء ثم قال : أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ـ إلخ .

وأما سبط ابن الجوزي . فقال : أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفيس ـ الأنباري باسناده عن ابن عبّاس . قال : لمّا بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ناداه رجل من الصف ، وهو على المنبر ما الّذي أبطأ بك إلى الآن فقال بديهاً (والله لقد تقمّصها أخوتيم ـ أو ابن أبي قحافة أو فلان ـ وهو يعلم أنّ محلّي منها محل القطب من الرحى . ينحدر عنّي السيل ، ولا يرقى إليّ الطير ، ولكنّي سدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت امثل بين أن أصول بيد ماضية ، أو أصبر على ظلمة طخياء يوضع منها الكبير ، ويدبّ فيها الصغير ـ (وفي رواية) طفقت أن أصول بيد جذاء ، أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ـ ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه . فرأيت الصبر أجدر ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى إلى أن حضرت الأوّل الوفاة ـ (وفي رواية) إلى أن مضى الأوّل لسبيله ـ فأدلى بها إلى فلان بعده ـ وفي رواية (فأدلى بها إلى الثاني) ـ فيا لله العجب بينا هو يستقيلها في حال حيوته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ـ فعقدها في ناحية خشناء . يصعب مسّها ، ويغلظ كلمها ، ويكثر فيها العثار ، ويقلّ منها الاعتذار . فمنى الناس بمن عقدها له حتّى مضى لسبيله ـ و في رواية « بينا هو يقتال منها في حيوته إذ عقدها لآخر بعد مماته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها في حوزة خشناء . فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم ، وإن اسلس لها تقحم ، فمنى الناس بخبط وشماس وتكوّر ، واعتراض ، فصبرت حتّى إذا مضى لسبيله ـ جعلها شورى بين ستّة زعم أنّي أحدهم ، فيا لله وللشورى . فيم ومتّم وبم ولم

يعرض عنّى ، ولكنّى اسففت معهم حين أسفّوا ، وطرت معهم حيث طاروا ، وصبرت لطول المحنة وانقضاء المدّة إلى أن قام الثالث ـ وفى رواية « فيا للّه والشورى متى اعترض الريب فىّ حتّى صرت أقرن إلى هذه النظائر ، فصغا رجل منهم لضغنه ، ومال الاخر لصهره ، مع هن وهن إلى أن قام الثالث ـ نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وبنو أمية يخضمون مال اللّه خضم الإبل نبت الربيع ، حتّى إذا أجهز عليه عمله ، وأسلمه إلى الهلاك أجله ، وكبت به مطيته فما راعنى إلّا والناس إرسالاً إلىّ كعرف الفرس ، يسألونى البيعة ، وانثالوا علىّ انثيالاً ، حتّى لقد وطىء الحسن والحسين وهما عطفاى ـ وفى رواية « وشقّ عطفاى » ـ وهم مجتمعون حولى كربضة الغنم ، فلمّا نهضت بالأمر ، نكثت طائفة ، وفسقت شرذمة ، ومرقت ـ أخرى ، وقسط قوم ، كأنّهم لم يسمعوا اللّه تعالى يقول « تلك الدار الآخرة ـ نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين » بلى واللّه لقد سمعوها ووعوها ، ولكن راقتهم دنياهم ، وأعجبهم رونقها ، وأمّا والّذى فلق ـ الحبّة وبرء النسمة لولا ما أخذ اللّه على الأولياء لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ـ وأنشد :

شتان ما يومى على كورها × ويوم حيان اخى جابر

ـ وفى رواية والّذى فلق الحبة ، وبرء النسمة لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجّة بوجود الناصر ، وما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ، ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطة عنز .

هذا الّذى وقفت عليه من أسانيد العنوان ، وأمّا ما عن رابع عشر البحار عن بعض مؤلّفات القدماء ، عن القاضى الطبرى ، عن سعيد المقدّسى ، عن المبارك ، عن خالص بن أبى سعيد ، عن وهب الجمال ، عن عبد المنعم بن سلمة ، عن يونس بن ميسره ، عن الشيخ المعمّر الرقى رفعه إلى ميثم قال : كنت بين يدى أمير المؤمنين عليه السلام ـ الى أن قال ـ ركب السحابة ، وقال لعمار اركب معى

ـ إلى أن قال فى رجوعه بعد ساعة فى مسجد الكوفة ـ صعد المنبر، وأخذ فى الخطبة الشقشقية ـ الخ ـ فهى رواية تخليطية من الغلاة والحشوية ، وإن تبجح بها (خو) وسرّبها .

قول المصنّف «ومن خطبه له عليه السلام» ظاهر خبر العلل والارشاد والأمالى والراوندى كونه كلاماً فى غير خطبه لتضمنها أنّه ذكر الخلافة عنده عليه السلام . فقال: هذا الكلام لكن الصواب كونه خطبة كما صرّح به فى المعانى والجمل كالمصنّف ويشهد له رواية ابن الجوزى من كون ذكر الخلافة عنده عبارة عن أنّه قيل له عليه السلام ما الّذى أبطأ بك عن تصدّى الأمر، وكان على المنبر فقال بديهاً ما قال :

«وهى» : هكذا فى المصرية ، والكلمة زائدة لعدم وجودها فى (حد ، وثم والخطية) .

«المعروفة بالشقشقية» : وفى (حد) (تعرف بالشقشقية) وفى (ثم) مثل المتن لكن زاد (وتعرف بالمقصة) ونسخته بخطّ المصنّف فإن صحّت النسبة فوجهه اشتمال الخطبة على قوله عليه السلام (لقد تقمّصها) ويأتى وجه معروفيتها بالشقشقية فى آخر الخطبة .

ولبعض خطبه عليه السلام اسم غير هذه أيضاً مثل الخطب المعروفة بالأشباح، والتوحيد ، والهداية ، والملاحم ، واللؤلؤ ، والغراء ، والقاصعة ، والافتخار ، والدرّة اليتيمة ، والزهراء ، والأقاليم ، والوسيلة ، والطالوتية والقصبية والنخيلة والسليمانية ، والناطقة ، والدامغة ، والفاضحة ، والبالغة ، والمونقة وهى الخالية عن الألف ، وبعضها مذكور فى الكتاب وبعضها فى غيره .

قوله عليه السلام «أما والله لقد تقمّصها» قال (حد) الضمير للخلافة ، ولم يذكرها للعلم بها كقوله تعالى «حتّى توارت بالحجاب» .

قلت: لم يراجع أسانيد الخطبة ، وإلّا فقد عرفت أنّ كلّها اشتمل على أنّه ذكره عنده عليه السلام الخلافة ، وتقدّم من تقدّم عليه فيها . فقال ما قال .

ثم تشبيه الخلافة والسلطنة بقميص يلبس أمر معروف . خطب المنصور بعد قتله لأبى مسلم ، فقال : من نازعنا هذا القميص أجززناه خبىّ هذا الغمد ـ و أشار إلى غمد سيفه .

وكما شبّهها عليه السلام بقميص أثبت بعض الشعراء لها سربالاً . فقال فى المعتز بن المتوكل :

خلافة كنت حقيقاً بها × فضّلك الله بسربالها

«فلان» وبدّ له (حد) بقوله (إبن أبى قحافة) والصواب كون النهج بلفظ (فلان) وإن كان أكثر أسانيد الخطبة بلفظ (إبن أبى قحافة) لتصديق (تم) الّذى نسخته بخطّ المصّنف له ، وقد عرفت أنّ الصدوق بدّله فى كتابيه بقوله (أخوتيم) كما عرفت أنّ سبط ابن الجوزى قال فى نقله (فلان أو ابن أبى قحافة أو أخوتيم) .

ولنتكلّم على كلّ من الثلاثة : أمّا فلان . فقالوا : فلان وفلانة يكنّى بهما عن الآدميين قال تعالى «ويوم يعضّ الظالم على يديه ـ إلى ـ ياليتنى لم أتّخذ فلاناً خليلاً» والفلان والفلانة يكنّى بهما عن غير الآدميين صرّح بذلك ابن السكّيت وغيره .

وأما (إبن أبى قحافة) فكان أبو قحافة فى قريش حاملاً من حيث الشخص ومن حيث العشيرة . ففى أنساب البلاذرى لمّا غزا النبى صلى الله عليه وآله وسلم الطائف رأى قبر أبى احيحة مشرفاً . فقال أبو بكر : لعن الله صاحب هذا القبر ، فانّه كان ممّن يحادّ الله ورسوله . فقال له إبناه عمرو وأبان وكانا من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لعن الله أبا قحافة . فإنّه كان لا يقرى الضيف ، ولا يدفع الضيم .

وفى طرائف ابن طاووس عن مثالب ابن الكلبى ، كان أبو قحافة ، وسفيان بن عبد العزيز ينادمان على طعام عبد الله بن جدعان قال أميّة بن أبى الصلت فى رثاء ابن جدعان :

له داع بمكّة مشمعل × وآخر فوق دارته ينادى

قال: المراد بالمشمعل سفيان ذاك وبقوله (وآخر) أبوقحافة.

وقال الاسكافى فى نقض عثمانيته: كان أبوقحافة اجيرا لابن جدعان على مائدته يطرد عنها الذباب.

وفى معارف ابن قتيبة أسلم أبوقحافة يوم فتح مكّة وأتى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم، و كأن راسه ثغامة — أى تبت جبلى يبيض إذا يبس يقال له بالفارسيه درمنه اسبيد. فأمرهم أن يغيّروه وبايعه.

و رواه الاسكافى فى نقض عثمانيته — وزاد — انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لمّا رآه نفر منه وقال: غيّروا هذا فخضبوه ثم جاؤا به مرة اخرى فأسلم.

ومن الغريب أنّ الجاحظ الصليب الوجه فى الجعل قال: أقبل أبوبكر فى الفتح بأبيه، وهو يومئذٍ شيخ مكفوف له غديرتان حتّى هجم به على النبى صلّى الله عليه وآله وقال له: اتيتك بأبى. فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم: هلّا تركت الشيخ فى رحله حتّى آتيه، ثم مسح يده على صدره، ودعاه الى الإسلام — إلخ.

هب انّ النبى عليه السلام كان كالامراء الدنيوية هل كان أبوقحافة ذا شرف دنيوى حتّى يأتيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما كونه أخا تيم. ففى المروج قال المدائنى: رئى بالبصرة رجل مصطلم الاذن، فسئل عن قصّته. فذكر أنّه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى. فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت امّنا × فلم ننصرف الّا ونحن رواء

أطعنا بنى تيم لشقوة جدّنا × وما تيم إلّا اعبد واماء

فقلت: سبحان الله أتقول هذا عند الموت. قل: لا إله إلّا الله. فقال: يا ابن اللخناء إيّاى تأمر بالجزع عند الموت. فوليت عنه متعجّبا. فصاح بى ادن منّى لقنّنى الشهادة. فصرت إليه. فلمّا قربت منه استدنانى ثم التقم اذنى

فذهب بها ، فجعلت العنه وادعو عليه . فقال : إذا صرت إلى أمك . فقالت : من فعل بك هذا . فقل : عمير بن الأهلب الضبي مخدوع المرئة التي أرادت أن تكون أمير ة المؤمنين .

وفي دلائل الاعجاز ، وروى أن سودة أنشدت «عدي وتيم تبتغي من تحالف» وجرى بينهن كلام في هذا المعنى . فأخبر النبي ﷺ فدخل عليهن ، وقال «ياويلكن ليس في عدي يكن ، ولا تيمكن قيل هذا ، وإنما قيل في عدي تيم و تيم تيم .

قلت : الظاهر أن سودة عرضت بهما تمثلا بالبيت وهما أيضاً علما أنها تمثلت به تعريضاً ، وانما أراد النبي ﷺ قطع نزاعهن .

وفي أمثال الكرماني قال المفضل : أول من قال «البلاء موكل بالمنطق» أبوبكر قال ابن عباس : قال علي عليه السلام لما أمر النبي ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه ، وأبوبكر فدعنا إلى مجلس . فتقدم أبوبكر ، وكان نسابة . فقال : ممن القوم قالوا : من ربيعة . فقال : أمن هامتها أم لهازمها . قالوا : من هامتها العظمى . قال : فأيها أنتم . قالوا : ذهل الأكبر . قال : أفمنكم عمرو الذي يقال له «الاحرّ بوادي عوف» قالوا : لا . قال : أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : أفمنكم جساس بن مرّة حامي الذمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا . قال : أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك ، وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا . قال : افمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا : لا . قال : أفأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا . قال : فلستم ذهل الأكبر أنتم ذهل الأصغر . فقام إليه غلام قد بقل وجهه يقال له دغفل فقال :

انّ على سائلنا أن نساله × والعبئ لا تعرفه أو تحمله

يا هذا إنك سألتنا . فلم نكتمك شيئاً . فمن الرجل ؟ قال : من قريش قال : بخ بخ أهل الشرف والرياسه فمن أي قريش ؟ قال : من تيم بن مرّة قال : امكنت والله

الرامي من صفاء الثغرة . أفمنكم قصيّ الّذي جمع القبائل من فهر وكان يدّعى مجمّعاً قال : لا . قال : أفمنكم هاشم الّذي هشم الثريد لقومه ، ورجال مكّة مسنتون ـ عجاف؟ قال : لا . قال : أفمنكم شيبة الحمد . مطعم طير السماء الّذي كان وجهه قمراً مضيئاً يضيء ليل الظلام الداجي؟ قال : لا . قال : أفمن المفيضين بالناس أنت؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الندوة أنت؟ قال : لا . قال : أفمن أهل السقاية أنت قال : لا ـ واجتذب أبو بكر زمام ناقته ، ورجع . فقال : دغفل « صادف درء السيل درء يصدعه » أما والله لو ثبتني لأخبرتك أنّك من زمعات قريش .

قلت : وما قاله المفضل من ان ابا بكر أوّل من قال ذاك المثل ليس كذلك فروى ان الاصل فيه عبيد بن شرية الجرهمي في الجاهلية ، وانما تمثّل به أبو بكر لمّا أراد إظهار اطّلاعه بالأنساب عند دغفل فأخزاه .

ولم يكن في تيم شريف الّا ابن جدعان الّذي مرّ أبا قحافة كان ينادي على طعامه ، ويطرد الذباب عن مائدته ، ومع ذلك كان كسب ابن جدعان من بعث جواريه للزنا ، وبيع أولادهن كما صرّح به ابن قتيبة في معارفه .

وفي أمثال الكرماني أيضاً ارتدّ الأشعث بن قيس الكندي في جملة أهل الرّدّة . فأتى به أبو بكر أسيراً . فاطلقه ، وزوّجه اخته فروة رغبة منه في شرفه فخرج من عند أبي بكر ، ودخل السوق ، فاخترط سيفه . ثم لم تلقه ذات أربع إلّا عرقبها من بعير وفرس وبقر ، ومضى فدخل داراً من دور الأنصار . فصار ـ الناس حشّداً إلى أبي بكر . فقالوا : هذا الأشعث قد ارتدّ ثانية . فبعث أبو بكر إليه فأشرف إلى السطح ، وقال : يا أهل المدينة إنّي غريب ببلدكم . وقد أولمت بما عرقبت . فليأكل كلّ انسان ما وجد وليغد علىّ كلّ من كان له قبلي حقّ ، فلم يبق دار من دور المدينة إلّا دخلها من ذلك اللحم ، ولا رئي أشبه بيوم الأضحى من ذاك اليوم فضرب أهل المدينة به المثل . فقالوا : أولم من الأشعث ـ وقال الاصبغ بن حرملة الليثي متسخّطاً لهذه المصاهرة مخاطباً أبا بكر :

اتيت بكندى قد ارتدّ و انتهى × إلى غايةٍ من نكث ميثاقه كفرا
فكان ثواب النكث احياء نفسه × وكان ثواب الكفر تزويجه البكرا
ولو أنّه يأبى ا عليك نكاحها × و تزويجها منه لامهرته مهرا
ولو أنّه رام الزيادة مثلها × لانكحته عشرا و اتبعته عشرا
فقل لأبى بكر لقد شِنت بعدها × قريشاً واخملت النباهة والذكرا
أماكان فى تيم بن مرة واحد × تزوّجه لو لا أردت به الفخرا
ولوكان لمّا أن أتا ك قتلته × لأحرزتها ذكرا وقدّمتها ذخرا
فاضحى يرى ماقد فعلت فريضة × عليك فلا حمداً حويت ولا اجرا

وفى موفقيات الزبيربن بكار ـ وقد نقله (حد) فى شرح قوله «واعتبروا بحال ولد اسمعيل» ـ انّ ابابكرقال فى الجاهلية لقيس بن عاصم المنقرى: ماحملك على أن وادت. قال: مخافة أن يخلف عليهنّ مثلك.

وفى نقض عثمانية الاسكافى روى الواقدى و غيره «أنّ عايشة رأت رجلاً من العرب. خفيف العارضين. معروق الخدّين. غائر العينين. اجنى لا يمسك ازاره فقالت: مارأيت أشبه بأبى بكرمن هذا» قال الاسكافى بعد نقل الرواية ردّاً لقول الجاحظ (كان لأبى بكروجه عتيق) «فلانراها دلّت على شئ من الجمال فى صفته».

وحيث انّ البكرالفتىّ من الابل ـ وبه كنّى أبوبكر ـ قال ابوسفيان: لمّا بويع أبوبكرٍ يابنى عبد مناف أرضيتم أن يلى عليكم أبوفصيل الرذل ابن الرذل.

وكانت هوازن تسمّيه ذاالجلال. فلمّا اتاهم بيعته قالوا: لا نبايع ذاالجلال وإنّما سمّوها بذلك لانه كان له كساء فدكى يحلّه عنه اذا ركب ويلبسه اذا انزل.

ولكسائه ذاك سمّاه أهل نجد ذاالعباءة. ففى سيرة ابن هشام لما أتاهم بيعة أبى بكرقالوا: أنحن نبايع ذاالعباءة قال كان أبوبكرفى غزوة ذات السلاسل التى امّرعليه، وعلى صاحبه عمروبن العاص عليه عباءة له فدكية يبسطها إذا انزل

ويلبسها إذا ركب : ثمّ يشكّها عليه بخلال له ، وفي شعراء ابن قتيبة قال الحطيئة :

اطعنا رسول الله إذ كان حاضراً × فيالهفتى ما بال دين أبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده × فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

و في أدباء الحموى قال الناشى : قال لى الراضى : انشدني من شعرك في بني هاشم فأنشدته :

بنى العباس إنّ لكم دماء × أراقتها أميّة بالذحول

فليس بهاشمى من يوالى × أميّة واللعين يا زبيل

فقال ما بينك وبين أبى زبيل ، فقلت : أمير المؤمنين اعلم فابتسم

وفي بلدانه في عنوان حضرموت قال حارثة بن سراقة :

اطعنا رسول الله ما دام وسطنا × فياقوم ماشأني وشأن أبي بكر

أيورثها بكراً إذا كان بعده × فتلك لعمر الله قاصمة الظهر

و روى محمد بن محمد بن النعمان فى اماليه انّ اباقحافة لما سمع انّ ابنه ولى الأمر قال : ارضيت بذلك بنو المغيرة ، وبنو عبد مناف قالوا : نعم . قال : أينكرون النبوّة ويقرّون بالخلافة إن هذا لشئ يراد .

وفى خطبة أمير المؤمنين عليه السلام الطالوتية المرويّة فى روضة الكافى قال عليه السلام : لوانّ لى رجالاً ينصحون لله ولرسوله ـ وكان عليه السلام مرّ على ثلاثين شاة ـ بعدد هذه الشياه لا زلت ابن آكلة الذبّان عن ملكه .

وفى كتاب سليم بن قيس قال امير المؤمنين عليه السلام لعمر : يا ابن صهاك ليس لنا فيها حق ، وهى لك ، ولا بن آكلة الذبّان . فقال عمر : انّ العامّة رضوا بصاحبى ولم يرضوا بك فما ذنبى . فقال عليه السلام : ولكنّ الله ورسوله لم يرضيا إلّا بى .

قال (حد) اسم ابى بكر القديم عبد الكعبة . فسمّاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله ، واختلف فى عتيق . فقيل كان اسمه فى الجاهلية ، وقيل : بل سمّاه به النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

قلت : اهل بيته أعرف به سئل عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر

عن اسمه . فقال : اسمه عتيق كان بنو ابى قحافة معتق و عتق و عتيق .

«وانه ليعلم انّ محلّى منها» : أى من الخلافة بعد مشاهدته مقاماته و سماعه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم استخلافه .

«محلّ القطب من الرحى» : قال الجوهرى : يجوز فى قطب الرحى ضمّ القاف وفتحها وكسرها ، وقال ابن دريد : قطب الرحى الحديدة التى تدور فيها .

وروى عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر هكذا «وانه والله ليعلم انّى أولى بها منّى بقميصى» .

قال دعبل :

حللت محلّا يقصر الطرف دونه × ويعجز عنه الطيف أن يتجشّما

ولقد أجاد الناشى . فقال فيه عليه السلام :

وصارمه كبيعته بخمّ × مقاصدها من الخلق الرقاب

ولقد أجاد وفائى التسترى فيه عليه السلام بالفارسية :

جز بتو آراستن سرير خلافت × نسبت افسر بمستحق فسار است

و روى الكنجى الشافعى فى مناقبه عن سعيد بن المسيب قال : قلت لسعد بن ابى وقاص : انّى أريد أن أسألك عن شئ . قال : سل عمّا بدا لك . فانّما أنا ابن عمك . قلت : مقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيكم يوم غدير خم . قال : نعم قام فينا بالظهيرة فاخذ بيد على بن ابى طالب . فقال «من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره» فقال ابوبكر و عمر لعلى : امسيت يا ابن ابى طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة .

و روى الجزرى فى اسده فى وهب بن حمزة مسنداً عنه قال : صحبت عليا عليه السلام من المدينة إلى مكة . فرأيت منه بعض ما أكره . فقلت : لئن رجعت إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم لاشكونك اليه . فلما قدمت لقيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : رأيت من على كذا وكذا . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لا تقل هذا فهو أولى الناس بعدى .

وفى مروج المسعودى لمّا صرف على عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجّه مكانه محمّد بن أبى بكر. فلمّا وصل إليها كتب إلى معاوية «من محمد بن أبى بكر الى الغاوى معاوية بن صخر ـ إلى أن قال ـ فكان اوّل من أجاب نبيّه صلى الله عليه وآله وأناب، وآمن وصدّق، وأسلم وسلّم أخوه وابن عمه على بن أبى طالب صدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، ووقاه بنفسه كلّ هول، وحارب حربه وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه فى ساعات الليل والنهار، والخوف والجزع حتّى برز سابقاً لا نظير له فى من اتّبعه، ولا مقارب له فى فعله، وقد رأيتك تسامیه، وأنت أنت، وهو هو أصدق الناس نيّة، وأفضل الناس ذرّية، وخير الناس زوجة، وأفضل الناس ابن عم، وأخوه الشارى بنفسه يوم موته، وعمه سيد الشهداء يوم أحد، وأبوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن حوزته، وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وابوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغوائل، وتجهدان فى اطفاء نور الله. تجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتؤلبان عليه القبائل. على ذلك مات ابوك وعليه خلفته، والشهيد عليك من تدنى، ويلجأ اليك من بقيّة الأحزاب، ورؤساء النفاق، والشاهد لعلى مع فضله المبين القديم انصاره الذين معه الذين ذكرهم الله واثنى عليهم من المهاجرين والانصار، وهم كتائب، وعصائب، ويرون الحق فى اتّباعه، والشقاء فى خلافه. فكيف ياويلك تعدل نفسك بعلى عليه السلام، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه، وأبو ولده أوّل الناس له اتّباعاً، وأقربهم به عهداً يخبره بسره، ويطلعه على أمره، وانت عدوّه وابن عدوّه. فتمتّع فى دنياك بباطلك، وليمدك ابن العاص فى غوايتك ـ الى أن قال ـ

فكتب إليه معاوية «من معاوية بن صخر إلى الزارى على أبيه محمد بن أبى بكر أما بعد فقد اتانى كتابك تذكر فيه ما الله اهله فى عظمته وقدرته. وما اصطفى به رسوله، مع كلام كثير لك فيه تضعيف، ولا بيك فيه تعنيف ذكرت فيه ففضل

ابن ابى طالب، وقديم سوابقه، وقرابته الى الرسول، ومواساته اياه فى كل هول وخوف فكان احتجاجك علىّ وعيبك بفضل غيرك لا بفضلك. فاحمد ربك واصرف هذا الفضل عنك، وجعله لغيرك. فقد كنا ـ وأبوك فينا ـ نعرف فضل ابن ابى طالب، وحقه لازماً لنا مبروماً علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجته، وقبضه إليه كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه، وخالفه على أمره على ذلك اتفقا واتسقا. ثم انهما دعواه الى بيعتهما فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم ثم انه بايع لهما، وسلم لهما، وأقام لا يشركانه فى أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما إليه. ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما، وسار بسيرهما. فعبته أنت، وصاحبك. حتى طمع فيه الأقاصى من أهل المعاصى، فطلبتما له الغوائل، وأظهرتما عداوتكما حتى بلغتما فيه مناكما. فخذ حذرك يا ابن ابى بكر، وقس شبرك بفترك. تقصر ان توازى وتساوى من يزن الجبال بحلمه. لا يلين لمن قسرقناته، ولا يدرك ذو مقال اناته. مهّد أبوك مهاده وبنى ملكه وشاده، فان يك ما نحن فيه صواباً. فابوك اسّسه ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل ابوك من قبل ما خالفنا ابن ابى طالب، ولسلّمنا اليه، ولكنا رأينا اباك فعل ذلك به من قبلنا. فاخذنا بمثله. فعب اباك بما بدا لك اودع ذلك.

ورواه نصر بن مزاحم فى صفّينه، وفيه «فان يكن ما نحن فيه صوابا. فابوك أوله وان يك جورا. فابوك اسّسه، ونحن شركائه، وبهديه اخذنا، وبفعله اقتدينا ولولا ما سبقنا اليه ابوك، ما خالفنا ابن ابى طالب واسلمناله، ولكنا رأينا اباك فعل ذلك. فاحتذينا بمثاله، واقتدينا بفعاله. فعب اباك ما بدا لك اودع.

ومن العجب ان الطبرى قال: «لم اجزنقل هذا الكتاب لعدم احتماله العامّة له. فيقال له: لا يحتمله الا من انسلخ عن الانسانية، وجوّز التناقض والتضاد، وانكار المتواترات، وعدم بطلان الملزوم مع بطلان اللازم فى دين الاسلام، ولازم صحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان كون معاوية على الحق وهو هو

وعلى عليه السلام على الباطل وهوهو. افّ لهم ولما يعبدون من دون الله.

ونقل طرائف ابن طاووس عن أنساب البلاذري انّ الحسين عليه السلام لما قتل كتب عبد الله بن عمر الى يزيد بن معاوية أما بعد فقد عظمت الرزيّة، وجلّت المصيبة، وحدث في الاسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم الحسين. فكتب إليه يزيد أما بعد يا احمق فانّنا جئنا إلى بيوت منجدة، وفرش ممهّدة، ووسائد منضّدة. فقاتلنا عنها فإن يكن الحق لغيرنا فأبوك أوّل من سنّ هذا وابتزّ واستأثر بالحق على أهله.

ولازم صحّة خلافة أبي بكر كون قتل يزيد السكّير القمّير للحسين سيّد شباب اهل الجنّة بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله، جلّ وعلا، «وأبنائنا وأبنائكم»[1] ومن اهل بيت العصمة بنص القرآن «انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهّركم تطهيرا»[2] حقّاً وكفاهم بذلك خزياً.

وفي الطبري لما كتب عبيد الله بن زياد مع مالك بن النسير البدّي الكندي الى الحر جعجع بالحسين حين يبلغك كتابي نظر اليه ابو الشعثاء الكندي من أصحاب الحسين عليه السلام وقال له: ثكلتك امك ماذا جئت فيه قال: اطعت امامي ووفيت بيعتي قال له ابو الشعثاء: كسبت العار والنار في اطاعة امامك من الذين قال ـ عزّوجلّ ـ «وجعلناهم ائمّة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون»[3].

وفي الطبري ان الشيعة الذين كانوا اصحاب جعفر بن محمد قالوا لزيد بن علي لمّا اراد الخروج: ما قولك في ابي بكر وعمر قال: انّا اشدّ ما اقول انّا كنّا احق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الناس اجمعين، وانّ القوم استأثروا علينا، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا قالوا: فلم يظلمك هؤلاء اذا كان اولئك لم يظلموك فلم تدعو الى قتال قوم ليسوا لك بظالمين.

وقولهم: عين الحق. فانّ المؤسس لبني امية هو الثلاثة ليس الثاني أحدث

(١) آل عمران ٦١.
(٢) الاحزاب ٣٣.
(٣) القصص ٤١.

شورى لاختيار الثالث أليس خلافة الثالث عين سلطنة بني امية.

ثم الظاهر انّ زيداً اتّقى باقي اصحابه. فروى عنه ايضاً انه سأله رجل عن الرجلين، فلم يجبه. فلما وقع السهم في جبينه دعا الرجل، وقال: لم يرمني بهذا السهم إلّا الرجلان.

و روى محمد بن الحسن الصفار في بصائره عن الباقر عليه السلام في قوله ـ جلّ و علا ـ «انّا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان، يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا»[1] الامانة الولاية حملها ابو فلان، وأبت السموات والأرض والجبال حملها.

وقال الزبير بن بكار: روى محمد بن اسحق انّ أبا بكر لمّا بويع افتخرت تيم بن مرّة، و كان عامّة المهاجرين، وجلّ الانصار لا يشكّون ان علياً عليه السلام هو صاحب الامر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فقال الفضل بن العباس: يا معشر قريش، وخصوصاً يا بني تيم انما اخذ تم الخلافة بالنبوّة، ونحن أهلها دونكم ـ إلى أن قال ـ و انّا لنعلم انّ عند صاحبنا امرا ينتهي اليه.

و روى الواقدي في شوراه ـ كما نقله (حد) عند قوله عليه السلام «ومن كلام له عليه السلام وقد وقع بينه وبين عثمان مشاجرة» ـ عن ابن عباس قال: شهدت ـ عتاب عثمان لعلي عليه السلام ـ الى أن قال ـ قال عثمان لعلي عليه السلام: فان كنت تزعم انّ هذا الامر جعله رسول الله لك. فقد رأيناك حين توفي نازعت ثم اقررت ـ الى ان قال ـ فقال له علي عليه السلام: وامّا عتيق وابن الخطاب. فان كانا اخذا ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي. فانت اعلم بذلك والمسلمون.

و روى الزبير بن بكار في موفقياته والطبري في تاريخه في سيرة عمر، عن عبد الله بن عمر قال: كنت عند ابي يوماً، و عنده نفر من الناس. فجرى ذكر الشعر فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا: فلان وفلان. فطلع ابن عباس. فقال عمر: جاء

(١) الاحزاب ٧٢.

الخبير من اشعر الناس يا عبد الله قال : زهير بن ابي سلمى . قال : فانشدني مما تستجيده له . فقال : انه مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان . فقال فيهم :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم × قوم بأولهم او مجدهم قعدوا
قوم سنان ابوهم حين تنسبهم × طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
انس اذا آمنوا جنّ اذا فزعوا × مرزؤن بها ليل اذا جهدوا
محسّدون على ما كان من نعم × لا ينزع الله عنهم ما له حسدوا

فقال عمر : قاتله الله لقد أحسن ، ولا أرى هذا المدح يصلح الا لهذا البيت من هاشم لقرابتهم من رسول الله . فقال له ابن عباس : وفّقك الله . فلم تزل موفّقاً . قال : يا ابن عباس أتدري ما منع الناس منكم قال : لا . قال : لكنّي أدري قال : ما هو؟ قال : كرهت قريش ان تجتمع لكم النبوّة والخلافة . فتجحفوا الناس جحفاً ، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت ، ووفّقت فاصابت ـ فقال ابن عباس : أتميط عنّي غضبك . فاقول : قال قل ما تشاء قال : أما قولك ان قريشاً كرهت فان الله تعالى قال لقوم «ذلك بانّهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم»(١) و اما قولك : انا كنّا نجحف بالخلافة فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة ، ولكنّا قوم أخلاقنا مشتقّة من خلق رسول الله ﷺ الذي قال تعالى له «وانك لعلى خلق عظيم»(٢) وقال تعالى له ﷺ «واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين»(٣) و اما قولك : انّ قريشاً اختارت فان الله تعالى يقول «وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة»(٤) وقد علمت ان الله تعالى اختار من خلقه لذلك من اختار . فلو نظرت قريش لنفسها من حيث نظر الله لها لوفّقت واصابت فقال عمر «على رسلك يا ابن عباس أبت قلوبكم يا بني هاشم إلّا غشّاً في أمر قريش لا يزول وحقد عليها لا يحول »

(١) محمد ٩ .
(٢) القلم ٤ .
(٣) الشعراء ٢١٥ .
(٤) القصص ٦٨ .

فقال ابن عباس «مهلا لا تنسب قلوب بنى هاشم الى الغشّ . فانّ قلوبهم من قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الّذى طهّره الله ، وزكّاه ، وهم اهل البيت الّذين قال تعالى فيهم « إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »(١) أمّا قولك : حقد أ فكيف لا يحقد من غصب شيئه ، ويراه فى يد غيره» فقال عمر «اما انت يا ابن عباس فقد بلغنى عنك كلام اكره أن اخبرك به . فتزول منزلتك عندى» قال «وما هو اخبرنى فان يك باطلا . فمثلى يميط الباطل عن نفسه ، وان يك حقّا . فانّ منزلتى عندك لا تزول به» قال عمر «بلغنى انّك لا تزال تقول : اخذ هذا الأمر منّا حسدا وظلما . قال : أمّا قولك حسدا فقد حسد ابليس آدم . فاخرجه من الجنّة . فنحن بنو آدم المحسود ، واما قولك ظلما . فانت تعلم صاحب الحقّ من هو . ثم قال الم تحتجّ العرب على العجم بحقّ رسول الله ، واحتجّت قريش على سايرالعرب بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فنحن احقّ برسول الله من سايرقريش — فقال عمر «قم الان فارجع الى منزلك» فقام فلمّا ولى هتف به عمر ايها المنصرف انّى على ماكان منك لراع حقّك » فالتفت ابن عباس . فقال «انّ لى عليك ، وعلى كلّ المسلمين حقّا برسول الله صلى الله عليه وآله فمن حفظه فحقّ نفسه حفظ ، ومن أضاعه فحقّ نفسه أضاع » ثم مضى . فقال عمر لجلسائه : واها لابن عباس ما رايته لاحى احدا قطّ إلّا خصمه

واقول : لله درّ ابن عباس ادّى حقّ الكلام ، وهل ماقاله لعمر الا عين ما تقوله الامامية للسنّة من انّ قريشا ، وفى رأسهم صدّيقهم وفاروقهم كرهوا ما انزل الله تعالى من استخلاف اميرالمؤمنين عليه السلام فاحبط الله أعمالهم ، وانّهم علموا من اختاره الله تعالى فتركوه عمدا ، وانه ماكان لهم اختيار الامام بل لله تعالى كاختيار النبى ، وان اميرالمؤمنين ، واهل بيته عليهم السلام هم الّذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهّرهم تطهيرا ، وان اخلاقهم كاخلاق النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقلوبهم كقلبه وانهم حسد وهم ، وظلموهم .

(١) الاحزاب ٣٣ .

وأقول : لعمر زيادة على ما قال ابن عباس لم لا تقول «اصابت قريش، ووفّقت في اختيارها» ولو لم يكن فعلها لما كنت أنت وصاحبك تؤمّران على العالم.

ويا لله من عرّ عمر تارة ينسب إلى بني هاشم ـ ومغزى كلامه ومرماه أمير المؤمنين عليه السلام ـ الغشّ، وقد أخذه عنه معاوية، وأخرى العجب والجحف، وقد اخذ ذلك عنه ابن الزبير. فكان لا يصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في صلوته وخطبته ويقول: لئلا يشمخ أهله بآنافهم، وثالثة الحرص وأخذه عنه ابن عوف يوم الشورى، ورابعة الدعابة اخذه ابن النابغة. فكان يزعم ذلك لأهل الشام.

و روى الجوهري في سقيفته عن ابن عباس قال: تفرّق الناس ليلة الجمعة عن عمر. فسار كلّ واحد مع الفه. ثم صادفت عمر تلك الليلة في مسيرنا. فحادثته فشكا الّي تخلف علي عليه السلام عنه ـ إلى أن قال ـ قال عمر: يا ابن عباس اوّل من ربّئكم عن هذا الأمر أبوبكر أنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافه والنبوه، قلت: لم ذاك الم نلهم خيرا، قال: بلى ولكنهم لو فعلوا لكنتم عليهم جحفا جحفا.

قلت: سبحان الله اعتقد عمر أنّ خلافة الاسلام بيد جمع انكروا نبوّة نبي الاسلام حتّى قهرهم بالسيف. فاسرّوا كفرهم به وأظهروه بعد وفاته.

و روى الزبير بن بكار في موفقياته عن ابن عباس قال: انّي لاماشي عمر بن الخطاب في سكّة من سكك المدينة إذ قال لي: يا ابن عباس ما أرى صاحبك إلّا مظلوماً. فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها. فقلت: فارد إليه ظلامته. فانتزع يده من يدي، ومضى يهمهم ساعة. ثم وقف فلحقته. فقال: يا ابن عباس ما اظنّ منعهم إلّا انّه استصغره قومه. فقلت في نفسي: هذه شرّ من الاولى. فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمره أن يأخذه (براءة) من صاحبك فاعرض عنّي واسرع.

وفي فهرست ابن النديم قال هشام بن الحكم: عجباً من مخالفينا عمدوا إلى من نصبه الله من السماء فعزلوه، وإلى من عزله من السماء فنصبوه.

و روى الزبير بن بكار أيضاً فى الموفقيات عن ابن عباس قال : كنت عند عمر ، فتنفّس نفساً ظننت انّ اضلاعه قد انفرجت ، فقلت له : ما أخرج هذا النفس منك إلّا همّ شديد . فقال : أى والله يا ابن عباس إنّى افتكرت فلما درى من أجعل هذا الأمر من بعدى . ثم قال : لعلك ترى صاحبك لها أهلاً قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه قال : صدقت ولكنّه امرؤ فيه دعابة ـ إلى أن قال ـ قال عمر : مَن إن وليها يحملهم على كتاب ربهم وسنّة نبيّهم لصاحبك أما ان ولى أمرهم حملهم على المحجّة البيضاء والصراط المستقيم .

قلت : سبحان الله مع اعترافه بانّ اميرالمؤمنين عليه السلام لو ولى الأمر يحملهم على كتاب ربهم وسنّة نبيّهم ، وعلى المحجّة البيضاء والصراط المستقيم كيف دبّر الأمر لعثمان الّذى كان يعرف أنّه لو ولى يردّ هم إلى الجاهلية الاولى ، وكيف لا وساعة جلوسه فى الخلافة جاهر أبوسفيان فى محضره يا بنى امّية تداولوها تداول الكره . فلا جنّة ولا نار .

وأمّا رميه له عليه السلام بالدعابة . فانّما كان لأنّه عليه السلام لم يكن مثله عبوساً بصفة الجبّارين بل كان بشره فى وجهه الّذى هو صفة المؤمنين .

و روى ابو عمر فى استيعابه عن ابن عمر . قال : قال عمر لأهل الشورى : لله درّهم ان ولّوها الأصيلع كيف يحملهم على الحقّ ، ولو كان السيف على عنقه . فقلت : أتعلم ذلك منه ولا توليه . قال : إن لم استخلفهم فاتركهم . فقد تركهم من هو خير منّى .

قلت : يا لله للجواب ، ولحمق أتباعه لكن لا غرو قال تعالى فى فرعون ـ « فاستخفّ قومه فأطاعوه »(١) ولو كان الأمر كما ذكروا من عدم لزوم تعيين النبى لخليفته وتكون بيعة الناس تجعل انساناً اماماً يكون من خالفه خارجياً مباح الدم يلزم أن يصير ولى الله عدو الله ، وبالعكس لو بايع الناس مخالف الأول مع كون عملهما

(١) الزخرف ٥٤

مع الله تعالى بعد ذلك عملهما معه جلّ وعلا قبل بلاتغيروتبديل ولا زيادة ونقصان .

ولمّاحارب المهلب مع الخوارج بسولاف من قبل مصعب بن الزبيرثمانية أشهر . ثم قتل مصعب بلغ ذلك الخوارج ، ولم يبلغ المهلّب ، وأصحابه فناداهم الخوارج إلّا تخبروننا ماقولكم فى مصعب . قالوا : امام هدى قالوا : فهوولّيكم فى الدنيا والآخرة . قالوا : نعم . قالوا : فماقولكم فى عبد الملك بن مروان؟ قالوا : ذاك اللعين ابن اللعين نحن إلى الله منه بُرآء ، وهو عندنا احلّ دمامنكم قالوا فأنتم منه بُرآء فى الدنيا والآخرة . قالوا : نعم كبراءتنا منكم قالوا : وأنتم له أعداء أحياء وأمواتا . قالوا : نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم ـ قالوا فانّ أمامكم مصعباً قد قتله عبد الملك ، ونراكم ستجعلون غدا عبد الملك أمامكم وأنتم الآن تتبرّؤن منه وتلعنون أباه . قالوا : كذبتم ياأعداء الله ـ فلمّاكان من الغد تبيّن لهم قتل مصعب . فبايع المهلّب الناس لعبد الملك . فاتتهم الخوارج فقالوا : ما تقولون فى مصعب قالوا : ياأعداء الله لانخبركم ماقولنا فيه ـ وكرهوا أن يكذّبوا أنفسهم عندهم ـ قالوا : فقد اخبرتمونا امس انّه وليّكم فى الدنيا والآخرة و انّكم أولياؤه أحياء وأمواتا . فاخبرونا ماقولكم فى عبد الملك . قالوا : ذاك امامنا و خليفتنا ـ ولم يجدوا اذ بايعوه بدّا من أن يقولوا هذا القول ـ فقالت لهم الأزارقة : ياأعداء الله أنتم أمس تتبرّؤن منه فى الدنيا والآخرة ، وتزعمون انكم له أعداء أحياء وأمواتا . وهواليوم امامكم وخليفتكم ، وقد قتل امامكم الذى كنتم تتولّونه فايهما المحق وايّهما المبطل ، وايّهما المهتدى ، وايّهما الضالّ قالوا لهم : يا اعداء الله رضينا بذلك إذ كان ولّى امورنا ، ونرضى بهذا كما رضينا بذاك قالوا لهم : لا والله ولكنّكم إخوان الشياطين وأولياء الظالمين ، وعبيد الدنيا .

وأقول للخوارج : إنّ ذلك يلزم عليكم بعد إقراركم بامامة مصدّقكم وفاروقكم ، و خروجكم عن الالتزام بلازمه لكونه واضح البطلان التزام بالتضاد والتناقض ، و

خلاف العقول . فمن اقرّ بملزوم لا بدّ أن يقرّ بلازمه .

وأقول لفاروقهم قولك «ان لم استخلفهم فاتركهم فقد تركهم من هو خير منّى» مضحك للثكلى . فكيف تركهم فقد أراد كتابة وصية وتعيين وصيه كتابة حتّى لا يمكنك إنكاره ، وكنت تعرف ذلك كما اقررت به فى اعتذارك عن منعه . فقلت : ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله مع عدم معرفتك بشئ منه حتّى سخط وأخرجك من عنده .

ثم كيف تركتهم ، وقد استخلفت بنى امية الشجرة الملعونة فى القرآن .

و فى ايضاح الفضل بن شاذان روى يزيد بن هرون ، عن العوام بن حوشب عن ابرهيم التيمى قال : قال ابن عباس : لقى رجل من أهل الشام أبى بالجابية فقال : السلام عليك يا امير المؤمنين ، فقال : لست للمؤمنين بأمير وهو ذاك — و أشار الى عمر وكان بالقرب — وانا والله احقّ بها منه ، فسمعها عمر . فقال له : احقّ بها منّى ومنك رجل خلّفناه بالمدينة — يعنى علياً عليه السلام .

قلت : نقلنا قصة عن عمر فى قوله عليه السلام «وانّه ليعلم انّ محلى منها محلّ القطب من الرحى» مع كون المراد به أبو بكر لأنّهما كانا كنفس واحدة ، ولانّه إنّما كان هو الناصب لأبى بكر كما اعترف به النظام نصبه ليردّ الأمر اليه كما صرّح به امير المؤمنين عليه السلام مع انّه كان ايّام خلافة أبى بكر شريكه فى الخلافة أيضاً كما لا يخفى عند من كان له المام بالتاريخ .

ثم انّه كما علم ابو بكر اول من تقمّص بها بكونه عليه السلام أولى بها من كلّ أحد كذلك كلّ من تصدّى لها إلى الآخر الا انّهم تبعوا الأوّل وتظاهروا به لكونه أسّس لهم رياسة ودنيا عظيمة . فخطب داود بن على لما بويع السفّاح ، وقال «لم يصعد هذا المنبر بعد النبى صـ حقّاً إلّا على بن أبى طالب والسفّاح .

و روى الطبرى فى أحوال المهدى أنّ أباعون عبد الملك بن يزيد مرض فعاده المهدى وسأله حاجته . فقال : حاجتى أن ترضى عن عبد الله بن أبى عون

وتدعوبه . فقد طالت موجدتك عليه . فقال : يا أبا عون انه على غير الطريق وعلى خلاف رأينا ورايك انه يقع فى الشيخين أبى بكر وعمر ويسيء القول فيهما . فقال أبو عون : هو والله على الأمر الذى خرجنا عليه ، و دعونا إليه . فإن كان قد بدا لكم فمروا بما احببتم نطيعكم .

وفى الأغانى عن أبى سلمان الناجى قال : جلس المهدى يوما يعطى قريشا صلات أمر لهم بها وهو ولى عهد . فبدء ببنى هاشم ثم بسايرقريش . فجاء السيد الحميرى ، ودفع إلى الربيع رقعة مختومة وإذا فيها :

قل لابن عباس سمى محمد × لا تعطينّ بنى عدى درهما
واحرم بنى تيم بن مرة انهم × شر البرية آخراً و مقدما
ان تعطهم لا يشكروا لك نعمة × ويكافؤك بان تذم وتشتما
ولئن منعتهم لقد بدؤكم × بالمنع إذ ملكوا فكانوا أظلما
منعوا تراث محمد أعمامه × وبنيه و ابنته عديلة مريما
وتأمروا من غير أن يستخلفوا × وكفوا بما فعلوا هنالك مغرما
لم يشكروا لمحمدا نعامه × أفتشكرون بغير ان انعما
اللهم منّ عليهم بمحمد وهداهم × وكسا الجلود و اطعما
ثم انهروا لوصيه ووليه × بالمنكرات فجرعوه العلقما

فرمى بها الى عبيد الله الوزير ثم امر بقطع العطاء فانصرف الناس ، وأدخل السيد عليه . فلما رآه ضحك ، وقال : قد قبلنا نصيحتك يا اسمعيل) — ويأتى كلام الناصر العباسى .

وأما قول أبى بكر فى اظهاره الشك فى احتضاره . فقد قال كما فى خلفاء ابن قتيبة « ليتنى سألت النبى ﷺ لمن هذا الأمر من بعده فلا ينازع فيه أحد » فيقال له فى قوله « ليتنى سألته لمن هذا الأمر من بعده » ليت صاحبك خلاه يقول ذلك لكن الرزية كل الرزية كما قال ابن عباس وكان كلما ذكر ذلك قال ذلك

ويبكي بكاء الثكلى منع صاحبك له عن ذلك مع انّه يكفي في خزي اتباعه شكّ متبوعهم في أمر نفسه .

و روى محمد بن يعقوب الكليني عن الاصبغ قال : قال اميرالمؤمنين عليه السلام : ما بال أقوام غيّروا سنّة رسوله ، وعدلوا عن وصيّه لا يتخوّفون أن ينزل بهم العذاب ـ ثم تلا «ألم تر إلى الّذين بدّلوا نعمة اللّه كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار جهنّم»(١) ثم قال : نحن النعمة الّتي أنعم اللّه بها على العباد ، وبنا يفوز من فاز يوم القيمة .

هذا . وفي روضة المناظر اتّفق الملك العادل أبوبكر أخو السلطان صلاح الدين ، والملك العزيز عثمان بن صلاح الدين على اخذ دمشق . من الملك الافضل علي بن صلاح الدين ، وحاصراه . فدخل ابوبكر من باب توما ، وعثمان من باب الجرج ، فسار على الى (صرخد) وكتب الى الخليفة الناصر العباسي ـ يشكو من عمّه وأخيه .

مولاي انّ أبابكر و صاحبه × عثمان قد أخذا حق على

فانظر الى حظّ هذا الاسم كيف لقي × من الأواخر ما لقي من الأوّل

فأجابه الخليفة الناصر العباسي

غصبوا علياً حقّه اذ لم يكن × بعد النبي له بيثرب ناصر

فاصبر فانّ غدا عليه حسابهم × وابشر فناصرك الامام الناصر

«ينحدر» : أي ينهبط .

«عنّي السيل» : من (سال الماء) .

«ولا يرقى» : أي لا يصعد .

«إلى الطير» : شبّه عليه السلام علوه المعنوي بجبل عال لا يقدر الطير من كثرة علوه أن يصعد إليه ، وقال الشاعر «عال يقصّر دونه اليعقوب» ، واليعقوب

(١) ابراهيم ٢٨

واليعقوب ذكر الحجل ،وقال الاعشى :

فى مجدل شيّد بنيانه × يزلّ عنه ظفر الطائر

وقال امرؤ القيس:

نيافا تزلّ الطير عن قذفاته .

هذا ، وقال كعب الأشقرى فى فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بمـا-
دغيس، وكانت فى غاية الارتفاع وكان نيزك يعظّمها حتّى إذا رآها سجد لها :

نفى نيزكا عن بادغيس ونيزك × بمنزلة اعيى الملوك اغتصابهـا
محلّقة دون السمـاء كانّهـا × غمامة صيف زلّ عنها سحابها
ولا يبلغ الا روى شماريخها العلى × ولا الطير إلّا نسرها وعقابها
وما خوّفت بالذئب ولدان أهلها × ولا نبحت إلّا النجوم كلابها

نقل الصدوق فى معانى أخباره عن أبى أحمد العسكرى قال معنى قولـه عليه السلام «ينحدر عنّى السيل ولا يرقى الىّ الطير» انّ الخلافة ممتنعة على غيرى لا يتمكن منها ،ولا تصلح له .

قلت: ماقاله انّما هو معنى قوله عليه السلام قبل ذلك «انّ محلى منها محـلّ القطب من الرحى» وامّا هذا الكلام فمعناه علوّ مقامه بحيث لا يمكن لأحد أن يناله وعلو مقامه هو أحد أسباب اعراض الناس عنه عليه السلام قال أبو زيد النحوى : قلت للخليل العروضى : لِم هجر الناس عليا عليه السلام وقرباه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم قرباه وموضعه من الاسلام موضعه فقال «والله بهر نوره أنوارهم ،وغلبهم على صفو كل منهل، والناس إلى أشكالهم أميل اما سمعت قول الاول :

وكلّ شكل لشكله آلف × أما ترى الفيل يألف الفيلا

وقال يونس النحوى أيضاً قلت: للخليل : ما بال أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانّهم بنو أم واحدة ،وعلى كأنّه ابن علّة . قال : تقدّمهم اسلاماً ،وبذّهم شرفاً وفاقهم علماً ،ورجحهم حلماً وكثرهم هدى . فحسدوه والناس إلى أمثالهم أميل .

وفى عيون المفيد اتفق الناس على النقل عن امير المؤمنين عليه السلام رجزه فى صفّين.

أنا على صاحب الصمصامة × وصاحب الحوض لدى القيامة
أخو نبى الله ذى العلامة × قد قال اذ عمّمنى العمامة
أنت أخى و معدن الكرامة × و من له من بعدى الامامة

وكيف لا يكون مقامه عليه السلام بذاك الشموخ، وكتاب الله تعالى فى تنزيله جعله نفس النبى صلى الله عليه وآله والنبى صلى الله عليه وآله جعل فى المتواتر عنه يوم احد لمّا قال جبرئيل عليه السلام له صلى الله عليه وآله تعجباً من حمايته عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله نفسه منه عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله لجبرئيل «كيف لا يواسينى على، وهو منّى وأنا منه» كما جعل جبرئيل نفسه منه عليه السلام كما جعلها منه صلى الله عليه وآله فقال للنبى صلى الله عليه وآله بعد كلامه ذاك «و أنا منكما».

«فسدبت»: أى ارخيت.

«دونها»: أى دون الخلافة.

«ثوباً»: والكلام كناية عن اعراضه كمن يضرب الحجاب بينه وبين من يعرض عنه.

وفى ايضاح الفضل قال المأمون لفقهاء العامة: قال على عليه السلام: قبض النبى صلى الله عليه وآله، وأنا أولى بمجلسه منى لقميصى، ولكنّى اشفقت ان يرجع الناس كفاراً.

«وطويت عنها كشحاً» قال (حد) أى حرمتها قالوا: لأنّ من كان على جنبك الايمن فطويت كشحك الايسر عنه. فقد ملت عنه، وعندى انّهم أرادوا غير ذلك، وهو أنّ من اجاع نفسه. فقد طوى كشحه كما انّ من اكل وشبع. فقد ملأ كشحه فكانه عليه السلام اراد انّى اجعت نفسى عنها ولم القمها.

قلت: انما يجيئ (طوى بطنه) بمعنى الجوع كما فى الخبر «واترك اهل

الصفّة تطوى بطونهم» واما (طوى كشحه) فلايجيئ الّا بمعنى الاعراض اذا عدّى بعن كما فى كلامه عليه السلام اوبتقديرها كما فى قول الشاعر:

اخ قد طوى كشحاً × وابّ ليذهبا

وقال آخر:

وصاحب لى طوى كشحا فقلت له × انّ انطواءك هذا عنك يطوينى

واما اذا عدّى بعلى فبمعنى الاخفاء كما قال زهير فى حصين بن ضمضم فى حرب داحس و غبراء.

وكان طوى كشحا على مستكنّة × فلا هو ابداها ولم يتجمجم

وفى اللسان أراد (بالمستكنّة) عداوة اكنّها فى ضميره.

وبالجملة قوله عليه السلام «وطويت عنها كشحا» كقوله عليه السلام «وسدلت دونها ثوبا» كناية عن اعراضه عليه السلام عن الخلافة وتصدّى الأمر (حد) خلط بين طىّ البطن وطىّ الكشح.

ثم طىّ الكشح لايختصّ بمن كان على ايمنك فطويت ايسرك عنه كما قال (حد) بل يجيئ للعكس أيضاً بل قوله: فطويت ايسرك عنه غير صحيح. فمن كان على ايمنك تطوى ايمنك اولا عنه اذا اعرضت عنه، وبطىّ الايمن يحصل طىّ الايسر.

ثم انه عليه السلام اعرض عن الخلافة، وسدل دونها ثوبا، وطوى عنها كشحا لانّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم اخبره بكيفيّة معاملة الناس معه عليه السلام بعده فقال له «انّ الامّة ستغدر بك بعدى».

و روى انّ الاشعث بن قيس قال له: مامنعك يا ابن ابى طالب حين بويع اخوبنى تيم، واخوبنى عدى، واخوبنى امية ان تقاتل وتضرب بسيفك، و انت لم تخطبنا خطبة مذكنت قدمت العراق الّا قلت فيها قبل ان تنزل عن المنبر «والله انّى لأولى الناس، ومازلت مظلوماً مذ قبض رسول الله» فما يمنعك

ان تضرب بسيفك دون مظلمتك ؟

قال : يا ابن قيس اسمع الجواب لم يمنعنى من ذلك الجبن ، ولا كراهة للقاء ربّى ، ولكن منعنى من ذلك أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعهده الىّ اخبرنى بما الامّة صانعة بعده . فلم اك بما صنعوا حين عاينته بأعلم به ، ولا أرشد استيقاناً منّى به قبل ذلك . فقلت : يا رسول الله ، فما تعهد الىّ اذا كان ذلك قال : ان وجدت أعواناً فانبذ اليهم وجاهدهم ، وان لم تجد اعوانا . فكفّ يدك ، واحقن دمك حتى تجد على اقامة الدين ، وكتاب الله ، وسنّتى اعواناً ، واخبرنى انّ الامة ستخذلنى وتبايع غيرى ، واخبرنى إنّى منه بمنزلة هرون من موسى ، وانّ الامّة سيصيرون بعده بمنزلة هرون ، ومن تبعه ، والعجل ومن تبعه اذ قال لموسى يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلّوا الّا تتبعن افعصيت امرى قال : يا ابن ام لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انّى خشيت ان تقول فرّقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى ـ الخبر

ولم يحضر عليه السلام السقيفة كما حضروا لأمرين :

أحدهما : انه كان مشتغلاً بدفن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا يقولون له عليه السلام بعد سماع احتجاجه عليهم « لو سمعت الأنصار كلامك قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلفت عليك » فكان عليه السلام يقول « افكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بيته لم ادفنه و اخرج انازع الناس بسلطانه » .

والثانى انّ الامام بمنزلة الكعبة يجب على الناس أن يأتوها لا أن تأتيهم هى .

« وطفقت » : طفق من أفعال الشروع قال تعالى « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة »(١) .

« بين أن اصول » من الصولة بمعنى الحملة .

« بيد جذّاء » : أى مقطوعة قال تعالى « فجعلهم جذاذاً إلّا كبيراً لهم »

---

(١) الاعراف ٢٢ .

وقال ـ جل وعلا ـ «عطاء غير مجذوذ» .

ويحتمل ان يكون (بيد جداء) بالمهملة أيضاً بذاك المعنى كقولهم ـ «ارض جداء» أى لا ماء بها «وشاة جداء» لا لبن لها ، وكقول الشاعر :

ابى حبّى سليمى ان يبيدا × وامسى حبلها خلِقا جديدا

واما كونه (بيد حذاء) بالحاء كما احتمله (حد) وجعله بذاك المعنى فلا وجه له . فانّه بمعنى السريع الخفيف يقال (سيف احذّ) : أى سريع القطع «وناقة حذّاء» : سريعة السير «وقطاة حذاء» : سريعة الطيران «وحاجة حذّاء» سريعة النفاذ والنجح «و عزيمة حذاء» : ماضية لا يلوى صاحبها على شئ قال الراعى :

وطوى الفؤاد على قضاء عزيمة × حذّاء واتّخذ الزماع خليلا

(وامر احذّ) ينفلت من كلّ احد لا يقدر على تداركه . قال الطرمّاح :

يفرى الامور الحذّ ذا اربة × فى ليّها شزرا و امرارها

(ورجل احذّ) : أى خفيف اليد . قال الفرزدق :

اوليت العراق ورافديه × فزاريا احذّ يد القميص

(وقلب احذّ) : سريع الادراك . قال طرفة :

واروع نبّاض احذّ ململم × كمرداة صخر فى صفيح منضّد

وفى كلامه عليه السلام (انّ الدنيا ولّت حذّاء) : أى سريعة خفيفة ، وحينئذٍ فلو جعل هنا قوله عليه السلام (بيد حذّاء) بالحاء يصير المعنى عكس المراد كما لا يخفى .

قال ابن قتيبة فى خلفائه : خرج على ـ كرّم الله وجهه ـ يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابّة ليلاً فى مجالس الانصار تسالهم النصرة . فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو انّ زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابى بكر ما عدلنا به فقالت فاطمة ما صنع ابو الحسن إلّا ما كان ينبغى

له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم .

وفي خطبته عليه السلام الطالوتية اما والله لوكان لي عدّة أصحاب طالوت أو عدّة أهل بدر لضربتكم بالسيف حتّى تولّوا إلى الحق وتنيبوا للصدق ـ الى ان قال ـ والله لوانّ لي رجالاً ينصحون لله ولرسوله بعدد هذه الشياة ـ و أشار إلى ثلاثين شاة ـ لازلت ابن آكلة الذبّان عن ملكه ـ الخبر ـ

للطخية « اواصبر على طخية عمياء » قال أبو أحمد العسكري في تفسير الخطبه : موضعان : احدهما الظلمة والاخر الغم والحزن ، وهو ههنا يجمع الظلمة والغم والحزن .

قلت : الظاهر انّه إنّما قال ههنا يجمعهما لوصفها بعمياء فكانه قال طخية بجميع معانيها .

قال (حد) انّ في الكلام تقديماً وتأخيراً وتقديره ولا يرقى الى الطير فطفقت ارتاى بين كذا وكذا فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وصبرت وفي العين قذى ، لانه لا يجوز أن يسدل دونها ثوباً ويطوى عنها كشحاً ثم يطفق يرتاى بين ان ينابذهم اويصبر ـ والتقديم والتأخير طريق لاحب في لغة العرب قال تعالى (الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيما) أى انزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجا .

قلت : بل لا تقديم ولا تأخير ، وانما الكلام من باب الاجمال والتفصيل فاجمل عليه السلام اولا اعراضه بقوله (فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً) و فصّل ثانياً بقوله (وطفقت ارتاى بين ان اصول بيد جذاء اواصبر على طخية عمياء) .

فشرع عليه السلام يفكّر فرأى امره دائراً بين محذورين صولة غير منتجة وغمضة مولمة والمحذور الثانى اقرب الى العقل فاختاره .

ولولاه لما كان لاعراضه وجه ولذا لم يعرض عليه السلام بعد عثمان وقام و قاتل وقال في قتاله مع مخالفيه « لم يسعنى الّا القتال أو الكفر بما نزل على محمّد » صلى الله عليه وآله وسلم .

والتقديم والتاخير فى لغة العرب وان كان كثيراً حتّى عقد له الثعالبى فى (سرّ عربيّته) بابين لكنّه طريق آخر ليس مثل ماقال فى كلامه عليه السلام، ولا اختصاص له بلغة العرب بل سايرفى جميع اللغات، واما مالفّقه فى بيان ترتيب كلامه عليه السلام فهوخارج عن طريق المحاورة عند الكل

«يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير» قال (حد) يمكن أن يكون من باب الحقائق يعنى به طول ولاية المتقدمين عليه، و من باب المجازات يعنى به صعوبة تلك الايام حتّى ان الكبير يكاد يهرم والصغير يشيب من اهوالها.

قلت: قوله عليه السلام (يهرم) ـ الخ ـ صفة لقوله عليه السلام «طخية عمياء» وحينئذٍ فالمراد شرح حاله عليه السلام فى اول الأمر يوم تصدى أبى بكر للأمر. فيتعيّن ان كلامه عليه السلام من باب الاستعارة.

قال عليه السلام ذلك لان ابابكر فعل افعالاً شنيعة حتى ان بعضها لم يرضها عمر منها قتل خالد بن الوليد واليه لمالك بن نويرة بتهمة الارتداد، وزناه مع امرأته ليلة قتله. فترك ابوبكر الحدّ والقود عليه ـ قال الجزرى فى كامله: لمّا قدم خالد البطاح بعث السرايا وامرهم بداعية الاسلام، وان يأتوه بكل من لم يجب وان امتنع ان يقتلوه ـ إلى أن قال بعد ذكر قتله مالكاً ووطيه امراته، وبلوغ خبره الى المدينة ـ قال عمر لابى بكر: انّ سيف خالد فيه رهق واكثر عليه فى ذلك فقال: ياعمر تأوّل خالد فاخطا. فارفع لسانك عنه. فانّى لا اشيم سيفاً سلّه اللّه على الكافرين، و ودى مالكاً، وكتب الى خالد ان يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء، وقد غرز فى عمامته سهماً. فقام اليه عمر. فنزعها وحطمها وقال له «قتلت امرء مسلماً ثم نزوت على امراته، واللّه لارجمنّك باحجارك» وخالد لا يكلّمه يظن انّ راى ابى بكر مثله، ودخل على ابى بكر. فاخبره الخبر، واعتذر اليه فعذره وتجاوز عنه، و عنّفه فى التزويج الّذى كانت عليه العرب من كراهة ايام الحرب. فخرج خالد و عمر جالس. فقال له خالد «هلمّ الىّ يا ابن ام شملة»

فعرف عمران ابابكر رضى عنه . فلم يكلّمه ، وقيل : ان المسلمين لمّا غشوا مالكاً واصحابه ليلاً اخذوا السلاح . فقالوا : نحن المسلمون . فقال اصحاب مالك : و نحن المسلمون قالوا لهم : ضعوا السلاح . فوضعوه ثم صلّوا . وكان خالد يعتذر فى قتله لمالك انه قال : ما اخال صاحبكم الا قال كذا وكذا فقال له : او ما تعدّه لك صاحباً ثم ضرب عنقه ، وقدم اخوه متمم بن نويرة على ابى بكر يطلب بدم اخيه ، ويسأله ان يردّ عليه سبيهم . فامر ابوبكر بردّ السبى ، وودى مالكاً من بيت المال .

وقال الجزرى أيضاً فى كامله كان اول كتاب كتبه عمر لمّا ولى بتولية أبى عبيدة جند خالد وبعزل خالد لانه كان ساخطاً عليه فى خلافة أبى بكر كلها لوقعته ـ بمالك بن نويرة ، وماكان يعمل فى حربه ، واول ما تكلّم به عزل خالد ، وقال : لا يلى لى عملاً ابداً ـ وكتب الى ابى عبيدة ان اكذب خالد نفسه فهو الامير على ما كان عليه ، وان لم يكذب نفسه . فانت الامير على ما هو عليه ـ وانزع عمامته عن راسه وقاسمه ماله فذكر ابو عبيدة ذلك لخالد ، فاستشار خالد اخته ، وكانت عند الحرث بن هشام . فقالت : والله لا يحبّك عمر ابدا ومايريد إلّا ان تُكذب نفسك ثم ينزعك . فقبّل راسها ، وقال : صدقت . فابى ان يكذب نفسه . فامر ابو عبيدة بنزع عمامة خالد ـ الخ .

و روى انّ عمر قال يوماً فى خلافته لخالد : انت الّذى قتلت مالكاً . فقال ان كنت قتلت خالداً لهنات كانت بينى وبينه . فقد قتلت لكم سعد بن عبادة لهنات كانت بينكم وبينه .

وفى كامل المبرد لمّا صلّى ابوبكر قام متمّم بن نويرة اخو مالك الّذى قتله خالد بحذاء ابى بكر ، واتّكأ على سية قوسه ، واومئ الى ابى بكر ، وقال :

ادعوته بالله ثم غررته × لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال ابوبكر : والله ما دعوته ولا غررته ـ واقول : لعمر الله صدق متمم ،

وكذب ابوبكر. فهل فعل عامله الّا فعله مع رضائه به وامضائه له، ولوكان صدق لتبرء من فعل خالد ولاقاد متمّما من خالد. نعم هنا لم يكن عمر شريكه حيث انكره غاية الانكار الّذى سمعته - الى ان قال - ثم بكى متمّم وانحطّ على سية قوسه، و كان اعور. فمازال يبكى حتى دمعت عينه العوراء. فقام اليه عمر. فقال: لوددت انّى رثيت اخى زيدا بمثل مارثيت به اخاك مالكا.

واقول لابى بكر فى قوله لعمر «لم اكن لاشيم سيفا سلّه الله على الكافرين» بل لم تكن لتشيم سيفا سللته على المسلمين لتتظاهر بذلك على اميرالمؤمنين - عليه السلام.

ويالله لاخواننا فى تبجحهم بهذا الرجل بكونه صاحب الغار، ويقتل عامله برضاه جمعاً من المسلمين غدراً، ويقطع هو وجنده رؤوسهم، ويجعلونها اثافىّ قدورهم.

قال الطبرى: كان مالك بن نويرة اكثر الناس شَعرا، وانّ اهل العسكر اثفوا برؤسهم القدور. فما منهم راس إلّا وصلت النار الى بشرته ماخلا مالكا. فان القدر نضجت وما نضجت راسه من كثرة شعره.

فهل ينبغى ان يقال له فى عمله ذاك إلّا صاحب العار مع انّ كونه صاحب الغار أيضاً كان عاراً حيث صار سبباً لاضطراب النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى انزل الله سكينته على رسوله وابقاه فى عواره، وسمّوه الصديق، وهل ذاك العمل عمل صدّيق ام زنديق.

ومن الغريب انّ من مسلّماتهم كون خالد سيف الله، ولعمر الله ان كان الّا سيف ابى بكر. فان كان ابوبكر الههم فهو سيف الههم لا سيف الله.

ومن المضحك انّهم وضعوا له انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم وصفه بذلك الّا أنّ الله تعالى الذى يخزى الكاذب فضحهم بان قالوا لقّبه النبى بذلك لمّا كان بموته وجعلوا الراوى لذلك اباقتادة. فقال الطبرى: قال ابوقتادة: بعث النبى

صلى الله عليه وآله جيش الامراء . فقال : عليكم زيد بن حارثة . فان اصيب فجعفر ، فان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة . فوثب جعفر . فقال : ما كنت اذهب ان تستعمل زيد اً علىّ قال : امض فانك لا تدرى اىّ ذلك خير . فانطلقوا ـ الى أن قال ـ

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اخبركم عن جيشكم ـ الى ان قال بعد ذكر الاخبار عن شهادة عبد الله بن رواحة ـ قال النبى : ثم اخذ اللواء خالد بن الوليد ، ولم يكن من الامراء هو امّر نفسه . ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم انه سيف من سيوفك فانت تنصره » فمنذ يومئذ سمّى خالد سيف الله) .

مع انّ خالداً لمّا رجع من موته مع الجيش جعل الناس يحثون التراب على خالد وجيشه ، ويقولون « يا فرّار فى سبيل الله » فهل يقولون لسيف الله فرّار فى سبيل الله .

وانّ اباقتادة كان من منكرى خالد ، وعاهد الله تعالى ان لا يشهد معه حرباً فكيف يمكن ان يكون سمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم سمّاه سيف الله كما وضعوا على لسانه ويعاهد الله تعالى ألا يشهد مع خالد حربا .

اما انّ خالداً وجيشه لمّا رجعوا كان الناس يقولون لهم : يا فرّار . فقال الطبرى قال عروة بن الزبير : لمّا انصرف خالد بن الوليد بالناس قافلا ، ودنوا من دخول المدينة تلقّاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون ، وجعل الناس يحثون على الجيش ـ التراب ، ويقولون : يا فرّار فى سبيل الله ـ وقالت ام سلمة لامرئة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالى لا أرى سلمة يحضر الصلوة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم قالت : والله ما يستطيع ان يخرج كلّما خرج صاح الناس افررتم فى سبيل الله .

وأما أنّ أباقتادة عاهد الله تعالى ان لا يشهد حرباً مع خالد . ففى الطبرى « انّ اباقتادة ممّن شهد لمالك بن نويرة بالاسلام ، وخاصم خالداً وتركه ، وجاء الى المدينة ، واخبر الناس بغدر خالد بمالك ، وعاهد الله تعالى أن لا يشهد

مع خالد حربا » .

لكن تلقيب صدّيقهم له بسيف اللّه محقّق . فقد عرفت انه قال لعمر « لم أكن لا شيم سيفاً سلّه اللّه على الكافرين » الّا انّ فاروقهم حكم بضدّه ، وقال لخالد « سيف فيه رهق ، وسيف اللّه لا يمكن ان يكون فيه رهق » .

ومن الغريب انهم تارة يقولون ان النبى جعل خالداً سيف اللّه ، واُخرى لما اراد وا ان يضعوا لعبد الرحمن بن عوف وامثاله فضائل يروون ما يدلّ على ان النبى ﷺ لم يكن يحسب خالداً من المسلمين حيث لم يجعله من اصحابه ، و كل اصحابه مسلمون — فروى الطبرى — فى قصّة غدر خالد فى زمن النبى ﷺ ببنى جذيمة الّذين قتلوا عمّه فى الجاهلية كما قتلوا عوفاً والد عبد الرحمن بن عوف — عن ابن ابى سلمة قال : كان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام فى ذلك فقال له عبد الرحمن : عملت بامر الجاهلية فى الاسلام . فقال : خالد انما ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلت قاتل ابى ، ولكنك انما ثأرت بعمك ، الفاكه حتى كان بينهما شئ . فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : مهلاً يا خالد دع عنك اصحابى فواللّه لو كان لك احد ذهباً ثم انفقته فى سبيل اللّه ما ادركت غدوة رجل من اصحابى ولا روحته .

ثمّ من العجب انّهم لم يعنونوا مالكا فى كتبهم فى الصحابة مع انّهم يعنونون المنافقين فلم يذكره ابن مندة فى كتابه ، ولا ابو نعيم فى كتابه ، ولا ابو عمر فى استيعابه ولا غيرهم ممّن كتب فى الصحابة .

وقد تعجب ابن الاثير الذى جمع اقوال اولئك الثلاثة فى كتابه اسد الغابة مع شدّة نصبه من ذلك . فعنونه من نفسه ، ونقل ترجمته من تاريخ الطبرى ، و قال « هذا يدلّ على انّ مالكاً لم يرتدّ ، وقد ذكروا فى الصحابة ابعد من هذا — فتركهم هذا عجب ، و عمر يقول لخالد « قتلت امرء مسلماً » .

وأبو قتادة يشهد أنّهم اذنوا وصلوا ، وابو بكر يرد السبى

ويعطى دية مالك من بيت المال . فهذا جميعه يدلّ على انّه مسلم ، ووصف متمّم اخا مالكاً . فقال «كان يركب الفرس الحرون ، ويقود الجمل الثقال و هو بين المزادتين النضوحتين فى الليلة القرّ ، وعليه شملة فلوت معتقلاً رمحاً خطّيا . فيسرى ليلته ثم يصبح وجهه ضاحكاً كانه فلقة قمر» .

وأقول للجزرى : لا تلم اصحابك فى ذلك . فانهم ارادوا اخفاء عار صاحب غارهم وهل كان جوابه لاخيه فى قوله «ادعوته بالله ثم غررته» «والله ما دعوته ولا غررته» جواباً هل قال له : انت بشخصك . فعلت كذا حتى يجيبه بما اجاب وهل جوابه إلّا جواب مكابر .

كما انهم وضعوا له انّ النبى صلى الله عليه وآله سمّاه مصدّقاً لكونه صدّق خبر اسرائه الى بيت المقدس . فان كان كذلك . فالمسلمون كلّهم صدّقوا ذلك . فيلزم ان يكونوا كلهم صدّيقين .

ثم لازم ذلك عدم تصديق فاروقهم ، وذى نوريهم لا سوائه الى بيت المقدس وكان اسرائه قبل هجرته بسنة ، وقد نطق باسرائه القرآن فيلزم ان يكونا كافرين مع ان فى خبرهم ان النبى صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل عليه السلام : انّ قومى لا يصدّقوننى فقال جبرئيل «يصدّقك ابوبكر وهو الصدّيق» ولا ربط للجواب . فانّ مراد النبى صلى الله عليه وآله بقومه قريش الكفّار فاىّ فائدة لتصديق ابى بكر له ، وهو احد اصحابه .

والدليل على ان المراد بقومه قريش الكفار قوله تعالى «وقال الرسول يا ربّ انّ قومى اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً»(١) وقوله تعالى «وكذّب به قومك و هو الحق»(٢) وقوله تعالى «ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدّون»(٣) .

(١) الفرقان ٣٠ .
(٢) الانعام ٦٦ .
(٣) الزخرف ٥٧ .

فان كانت الالقاب جزافاً كالقاب العبّاسيّة المتوكل على اللّه ، والمعتصم باللّه ، وغيرذلك . فلامشاحّة ، فكم اسم ليس تحته مسمّى بل كم اسم مسماه بالضدّ كما قيل بالفارسية :

برعكس نهند نام زنگى كافور

وان كانت عن حقيقة . فلابدان يعاين فى الملقّب علائم المعنى كما قال الذى نجا من صاحبى يوسف عليه السلام له لمّا كان شاهد فى السجن صدقه فى اعماله واقواله «يوسف ايّها الصديق افتنا فى سبع بقرات» ـ الاية[1] ـ والرجل لم يكن صادقاً فضلاً عن كونه صدّيقاً . فللصادق اوصاف ذكرها اللّه تعالى فى قوله «ولكنّ البرّ من آمن باللّه واليوم الآخر والملئكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبّه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا»[2] .

اثبتوا وجود واحد من هذه الاوصاف فيه بالبرهان لا بما بذل معاوية الاموال فى الوضع والجعل له ، ولصاحبه تضعيفاً لامر حجّة اللّه .

وكيف وفقد انه لكثير منها بالعيان . فلم يصبر فى الباساء والضراء اذ كان فى الغار حتى نهاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الجزع ، وبقى مضطرباً لتخصيص اللّه تعالى انزال السكينة بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

ولم يصبر حين الباس . فاخذ هو كصاحبه الرايه فى خيبر ورجع منهزماً يجبّن اصحابه و يجبنّه اصحابه حتّى قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم «لاعطينّ الرايه غداً رجلا يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله» فاعطاه امير المؤمنين عليه السلام .

وفى كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا اشارة ـ لمن القى السمع وهو شهيد ـ انّ الرجل

---

(۱) يوسف ۴۶ .

(۲) البقره ۱۷۷ .

وصاحبه كانا لا يحبّان اللّه ورسوله ، ولا يحبّهما اللّه ورسوله .

ويوم حنين قال «اليوم لن نغلب عن قلّة» ثم انهزم فى من انهزم . فانزل تعالى فيه «ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل اللّه سكينته على رسوله وعلى المؤمنين و — انزل جنودا لم تروها»[1] .

واخرجه تعالى هنا ايضاً كاية الغار ممّن انزل عليه السكينة حيث غيّر — الخطاب ، وقال «وعلى المؤمنين» ولم يقل (وعليكم) فيفهم اخراجه عن المؤمنين أيضاً .

ومن العجب انهم لم يصفوا امير المؤمنين عليه السلام بالصدّيق مع كونه اوّل من صدّق النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالعيان قال الاسكافى فى نقض سفيانية الجاحظ : قال النبى صلى اللّه عليه وآله : لقد صلّت الملئكة علىّ وعلى على سبع سنين ، وذلك انه لم يصلّ معى رجل فيها غيره .

وقال عباد بن عبد اللّه الاسدى أيضاً : سمعت علياً عليه السلام يقول : أنا عبد اللّه واخو رسوله ، وانا الصدّيق الاكبر لا يقولها غيرى الّا كذّاب ، وقد صلّيت قبل الناس سبع سنين .

وفى الطبرى عن امير المؤمنين قال : لمّا نزلت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم «وانذر عشيرتك الاقربين» دعانى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ان اللّه تعالى امرنى ان انذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت انّى متى اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمتّ عليه حتى جائنى جبرئيل وقال «ان لا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربك» فاصنع يا على لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عسّا من لبن . ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتّى اكلّمهم وابلّغهم ما امرت به ، ففعلت ما امرنى به ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ اربعون رجلاً يزيدون رجلا وينقصونه فيهم اعمامه

(١) التوبة ٢٥ و ٢٦ .

أبوطالب ، وحمزة والعباس وأبولهب ، فلمّا اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الّذى صنعت لهم . فجئت به . فلمّا وضعته تناول النبى ﷺ حذية من اللحم فشقّها بأسنانه . ثم ألقاها فى نواحى الصفحة . ثم قال : خذوا بسم الله . فاكل القوم حتّى ما لهم بشئ حاجة ، وما أرى إلّا موضع أيديهم ، وأيم الله الّذى نفس علىّ بيده وان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ماقدّمت لجميعهم ـ ثم قال : اسق القوم فجئتهم بذلك العسّ . فشربوا حتّى رووا منه جميعاً ، وايم الله ان كان الرجل ـ الواحد منهم ليشرب مثله . فلمّا أراد النبى ﷺ ان يكلّم بدره أبولهب الى الكلام فقال «لقد ما سحركم صاحبكم» فتفرّق القوم . ولم يكلّمهم النبى ﷺ فقال فى الغد ياعلى انّ هذا الرجل سبقنى إلى ماقد سمعت من القول . فتفرّق القوم قبل ان اكلّمهم . فعد لنا من الطعام بمثل ماصنعت . ثم أجمعهم إلىّ . ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام ، فقرّبته لهم . ففعل كما فعل بالأمس ، فاكلوا حتّى ما لهم بشئ حاجة . ثم قال : اسقهم . فجئتهم بذلك العسّ . فشربوا حتّى رووا جميعاً ثم تكلّم النبى ﷺ . فقال : يابنى عبد المطلب انّى والله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومه بافضل مماقد جئتكم به . انّى قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة ، وقد أمرنى الله تعالى ان ادعوكم اليه . فأيّكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم . فاحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت : وأنا لاحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً . أنا يانبى الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتى ثم قال : انّ هذا أخى ووصيى ، وخليفتى فيكم . فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب ، قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع » و روى خبراً آخر بمضمونه .

ومن العجب انّهم ينقلون استخلاف النبىّ ﷺ له فى أول أمره فضلاً عن باقى أيامه ثم ينكرونه . فهل كان النبى ﷺ مثل الأمراء الدنيويه يعدون من يوازرهم مقاماً فاذا استقرّ أمرهم لم يفوا لهم .

ولولم يكن نصّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم على اميرالمؤمنين عليه السلام إلّا هذا الكفاه بعد صراحته فقد عرفت أنّ القوم قاموا يستهزؤن من ابى طالب بأنّه ابن أخيك ـ أوجب عليك طاعة ابنك.

مع أنّ النصوص عليه عليه السلام لا تحصى. فان لم يثبت استخلافه بها كما زعمه إخواننا لم يثبت شئ فى العالم.

كما أنّهم نقلوا أنّ بعض من قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم: أوازرك على أمرك على أن أكون خليفتك بعدك أنكر عليهم ذلك. وقال لهم: انّ هذا أمر بيد الله لا بيدى. فكيف جعلوا استخلاف أبى بكر بيد الناس. ففى تفسير الثعلبى فى قوله تعالى «له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله»[1] انّ عامر بن الطفيل جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: مالى ان اسلمت. قال: (لك ما للمسلمين، وعليك ماعليهم) فقال: (بل تجعل لى الأمر من بعدك). فقال «ليس ذلك إلىّ إنّما ذلك إلى الله ـ عزّوجلّ ـ يجعله حيث يشاء».

وفى الطبرى لمّا كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل جاء إلى بنى كلاب. فقالوا: نبايعك على أن يكون لنا الأمر بعدك. فقال «الأمر لله فإن شاء كان فيكم أو فى غيركم» فمضوا، ولم يبايعوه، وقالوا: لا نضرب لحربك بأسيافنا ثم تحكّم علينا غيرنا.

وفى الطبرى أيضاً قال الزهرى أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله تعالى فقال رجل منهم يقال له: بيحرة بن فراس: والله لو أنّى اخذت هذا الفتى لاكلت به العرب. فقال له «أرأيت ان نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك» قال «الأمر لله يضعه حيث يشاء» فقال «افنهدف نحورنا للعرب دونك فاذا ظهرت كان الأمر لغيرنا».

---

(١) الرعد ١١.

وقد قال تعالى «وربّك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة» و خليفة النبى لا بدّ أن يكون من سنخ النبى للفرق بين النبوّة والملك، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

«ويكدح» :أى يكدّ فيها مؤمن .

«حتى يلقى ربّه» عرف عليه السلام (الصغير) و (الكبير) ونكّر (مؤمن) امّا لارادة التكثير بالصغير والكبير، والتقليل بالمؤمن. فان المؤمن انما كان هو عليه السلام وأصحابه، والمستفاد من الاخبار انّ أصحابه عليه السلام بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم انما كانوا ثلاثة سلمان وابوذر والمقداد. ثم صاروا الى حين وفاة الصدّيقة سبعة، و لم يبلغوا الى يوم صفّين أربعين، واما الانّ المراد بالصغير والكبير الجنس، وبمؤمن الشخص: أى نفسه عليه السلام .

«فرأيت أنّ الصبر على هاتا» :أى هذه الأخيرة وهى الصبر على طخية عمياء يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه.

«احجى» :أى اجدر واخلق بالعقل، والشرع من الاولى، وهى الصولة بيد جداء لانه القاء للنفس إلى التهلكة باليد، وقد نهى الله تعالى عنه ولانه يؤدى الى رجوع الناس الى الكفر. فروى الكلبى وقد نقله (حد) فى العنوان (٢١) انه عليه السلام لمّا أراد المسير الى البصرة خطب. فقال: انّ الله تعالى لما قبض نبيّه استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافّة فرأيت انّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين. وسفك دمائهم، — والناس حديث عهد بالاسلام، والدين يمخض مخض الوطب يفسده أدنى و هن ويعكسه أقلّ خلق.

«فصبرت وفى العين قذى» :والقذى مايقع فى العين من الأذى.

روى سنن ابى داود عن حذيفة قال: قلت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : هل بعد هذا الخير شر. قال: فتنة وشر. قلت: هل بعد هذا الشرّ خير. قال «ياحذيفة تعلّم

كتاب الله واتّبع مافيه» ـ ثلاث مرار ـ قلت: هل بعد هذا الشرخير؟ قال: هدنة على دخن، وجماعة على اقذاء فيها. قلت: ما الهدنة على الدخن؟ قال: لا ترجع قلوب أقوام على الّذى كانت عليه ـ الخبر ـ

وبمضمون قوله «وفى العين قذى» قول الشاعر:

يكلّفنى اغضاء عينى على القذى × زمان غبىّ جائر الحكم جابره

وقال الهذلى فى بنيه:

فالعين بعدهم كأنّ حداقها × كحلت، بشوك فهى عورى تدمع

وقال أيضاً:

«كأنّ عينى فيها الصاب مدبوج» ـ والصاب عصاره شجر مر

وقال آخر:

وكان العين خالطها قذاها × بعوّار فلم تقض كراها

وقالت أدباء المتأخّرين فى الكناية عن الثقيل «هو بين الجفن والعين قذاة، وبين الأخمص والنعل حصاة».

«وفى الحلق شجى»: الشجى ماينشب فى الحلق من عظم وغيره قال:

ويرانى كالشجى فى حلقه × عسرا مخرجه ما ينتزع

صبر عليه السلام ايام أبى بكر صبر من فى عينه قذى وفى حلقه شجى لما يرى من أمر اختلاط امور الشريعة غير غصب خلافته. فكان من بدعه أخذه الناس بحمل زكواتهم إليه، وترك فقراءهم محتاجين، وتسمية من خالفه فى ذلك مرتداً. مع أنّ النبى صلى الله عليه وآله أمر بصرف زكوة كلّ موضع إلى محتاجيه. وقد عمل بذلك عمر بن عبد العزيز، فقالوا. فى سيرته «كتب إلى عدى بن أرطاة إنّى كنت كتبت إلى عمرو بن عبد الله ان يقسم ماوجد بعمان من عشور التمر، والحبّ فى فقراء أهلها، ومن سقط إليها من أهل البادية، ومن اضافته إليها الحاجة والمسكنة، وانقطاع السبيل. فكتب الىّ أنّه سال عاملك قبله عن ذلك الطعام

والتمر. فذكر أنّه باعه، وحمل إليك ثمنه. فارد د إلى عمروماكان حمل اليك عاملك على عمان ليضعه في تلك المواضع».

ونقل (حد) في موضع آخر عن شيخه أبي جعفر النقيب انّ أبا بكر كان يقضي بقضاء. فينقضه عليه أصاغر الصحابة كبلال وصهيب ونحوهما ـ ثم روى في ذلك عدّة قضايا.

و روى محمد بن يعقوب الكليني في كافيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقد قضى اميرالمؤمنين عليه السلام بقضية ماقضى بها أحد قبله، وكان أوّل قضية قضى بها بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأفضى الأمر إلى أبي بكر أتى برجل قد شرب الخمر، فقال له: أشربت الخمر؟ قال: نعم. قال: ولم وهي محرّمة؟ قال: انّي أسلمت بين ظهراني قوم يستحلّون الخمر، ولو علمت أنّها حرام لاجتنبتها فالتفت أبوبكر الى عمر. فقال له: ما تقول في أمره؟ قال: عمر معضلة وابو الحسن لها. فقال أبوبكر: ياغلام ادع لنا علياً. فقال عمر: يؤتى الحكم في منزله فأتوه. و عنده سلمان الفارسي. فأخبروه بقصّة الرجل. فقال عليه السلام لابي بكر «ابعث معه من يدو ربه على مجالس المهاجرين والانصار. فمن كان تلا عليه آية التحريم. فليشهد عليه. فان لم تكن تليت عليه. فلا شئ عليه» ففعل ابوبكر ـ بالرجل ماقال عليه السلام. فلم يشهد عليه أحد. فخلّى سبيله. فقال سلمان له عليه السلام: لقد ارشدتهم. فقال عليه السلام: إنما أردت أن أجدّد تأكيد هذه الآيه فيّ وفيهم «أفمن يهدي الى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون»[1].

و روى محمد بن الحسن الطوسي في تهذيبه، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر أنّ رجلاً توفّي على عهد أبي بكر، وترك جدّتين: أمّ امه، وامّ أبيه فورّث ابوبكر امّ امّه، وترك الاخرى، فاعترض عليه أنصاري. فورّثها.

---

(۱) يونس ۴۵.

و روى فيه عن قبيصة بن ذؤيب قال : جاءت الجدة إلى أبى بكر . فقالت : انّ ابن ابنى مات . فاعطنى حقّى . فقال : ما أعلم لك فى كتاب اللّه شيئاً ، واسأل الناس . فشهد لها المغيرة بن شعبة . فقال : انّ النبى ﷺ أعطاها السدس . فشهد لها المغيرة بن شعبة . فقال : ان النبى ﷺ اعطاها السدس . فقال : من سمع معك . قال : محمد بن مسلمة . فأعطاها السدس . قال : وجاءت ام الام إليه . فقالت : إنّ ابن بنتى مات . فاعطنى حقّى . فقال : ما أنت الّتى شهد لها انّ النبى ﷺ أعطاها السدس . فان اقتسمتموه بينكما . فأنتم أعلم .

وقال محمد بن محمد بن النعمان المفيد فى ارشاده رووا انّ أبا بكر سئل عن قوله تعالى (وفاكهة وأبّا)[1] فلم يعرف معنى الابّ من القرآن . فقال : اىّ سماء تظلّنى أم أىّ أرض تقلّنى أم كيف أصنع ان قلت فى كتاب اللّه بما لا أعلم . أما الفاكهة فنعرفها ، واما الأبّ فاللّه اعلم به ، فبلغ امير المؤمنين عليه السلام مقاله فى ذلك فقال عليه السلام : اما علم أنّ الابّ هو الكلاء والمرعى فقال تعالى بعده (متاعا لكم ولأنعامكم »[2] .

وسئل ابوبكر عن الكلالة . فقال : أقول فيها برايى . فإن أصبت فمن اللّه وان اخطأت فمن نفسى ومن الشيطان . فبلغ ذلك امير المؤمنين عليه السلام . فقال : ما أغناه عن الرأى فى هذا المكان اما علم انّ الكلالة هم الاخوة والأخوات من قبل الأب والام ، ومن قبل الأب على الانفراد ، ومن قبل الام على حدّتها قال تعالى « يستفتونك قل اللّه يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك »[3] وقال تعالى « وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكلّ واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث »[4] .

وقال : وجائت الرواية انّ بعض أحبار اليهود جاء إلى ابى بكر فقال : انت

(١و٢) عبس ٣١ و ٣٢ .
(٣) النساء ١٧٦ .
(٤) النساء ١٢ .

خليفة نبيّ هذه الأمّة؟ قال: نعم. قال: فانّا نجد فى التوراة أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أممهم. فاخبرنى عن الله أين هو أفى السماء أم فى الأرض. فقال أبوبكر: هو فى السماء على العرش. فقال اليهودى: فارى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول فى مكان دون مكان. فقال له أبوبكر: هذا كلام الزنادقة اعزب عنّى والّا قتلتك. فولّى الحبر متعجباً يستهزئ بالاسلام. فاستقبله اميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا يهودى عرفت ما سألت عنه، وما اجبت به انا نقول: انّ الله — عزّوجلّ — ايّن الأين. فلا أين له، وجلّ عن ان يحويه مكان، وهو فى كلّ مكان بغير مماسّة ولا مجاورة. يحيط علماً بما فيها، ولا يخلو شئ منها من تدبيره، وانّى مخبرك بما جاء فى كتاب من كتبكم يصدّق ما ذكرته لك. فان عرفته اتؤمن؟ قال: نعم. قال — عليه السلام: ألستم تجدون فى بعض كتبكم انّ موسى بن عمران عليه السلام كان ذات يوم جالساً إذ جائه ملك من المشرق. فقال له موسى عليه السلام: من أين أقبلت. قال: من عند الله — عزّوجلّ — ثم جاءه ملك من المغرب. فقال له من أين جئت فقال: من عند الله — عزّوجلّ. ثم جائه ملك. فقال له: جئتك من السماء السابعة من عند الله — عزّ وجلّ —، وجاءه ملك آخر. فقال له: قد جئتك من الأرض السفلى السابعة من عند الله — عزّوجلّ — فقال موسى عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكان، ولا يكون له الى مكان اقرب من مكان

فقال اليهودى: اشهد انّ هذا هو الحقّ، وانّك احقّ بمقام نبيّك ممّن استولى عليه.

هذا، وفى ألفاظ كتابيّة الهمدانى «يقال فى التصبّر والاحتمال تجرّع فلان الغصّة وغصّ بالجرعة، وشرق بالريق، وأطرق على المضض، وأغضى على القذا، وأساغ الشجى.

هذا وقالوا: يقال لحصين بن يزيد الحارثى الّذى رأس مائة سنة بنى الحارث بن كعب: ذو الغصّة لأنّه كان فى حلقه شبه الحوصلة. لا يبين بها الكلام

ومن قِبَله صارت الغصّة فى ولد يحيى بن سعيد بن العاص.

«ارى تراثى»: أى ميراثى من النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

«نهباً»: بين تيم وعدى واميّة.

قال المغيرة بن شعبة لمّا مات النبى صلى الله عليه وآله وسلم لابى بكر وعمر وسّعوها فى قريش تتّسع ـ وفى سنن أبى داود عن جبير بن مطعم قال: انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يقسم لبنى عبد شمس، ولا لبنى نوفل من الخمس شيئاً كما قسّم لبنى هاشم وبنى المطلب وكان أبو بكر يقسّم الخمس نحو قسم النبى صلى الله عليه وآله وسلم غير انّه لم يكن يعطى قربى النبى صلى الله عليه وآله كما كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعطيهم.

وعن الزهرى انّ نجدة الحرورى لمّا حجّ فى فتنة ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذى القربى، ويقول لمن تراه قال ابن عباس لقربى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قسمه لهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقّنا فرددناه عليه وأبينا أن نقبله.

وقال الكميت مشيراً إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته كما فى شعراء ابن قتيبة.

يقولون لم يورث ولولا تراثه × لما شاركت فيه بكيل وارحب

ولا انتشلت عضوين منها يحابر × وكان لعبد القيس عضو مورب

ومرقول الحميرى فى قصيدته للمهدى:

منعوا تراث محمد أعمامه × وبنيه وابنته عديلة مريما

وفى طبقات كاتب الواقدى انّ الحسين عليه السلام جاء يوماً إلى عمرو هو يخطب على منبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: انزل عن منبر ابى. فاقعده الى جنبه، وقال: وهل أُنبت الشعر على رؤوسنا إلّا أُبوك.

ورواه الخطيب هكذا قال له: انزل عن منبر ابى، واذهب الى منبر ابيك. فقال: لم يكن لابى منبر، ولمّا نزل قال له: من علّمك. قال: ما علّمنى أحد.

وفى الطبقات ايضاً قال على بن الحسين عليه السلام: اصبحنا فى قومنا بمنزلة

بنی اسرائیل فی آل فرعون یذبّحون أبنائنا ،ویلعنون سیّدنا وشیخنا علی المنابر ویمنعونا حقّنا ۰

وقال الباقر علیه السلام ـ کما رواه (حد) فی عنوان اختلاف الخبر انّ النبی صلی اللّه علیه وآله قبض ، وقد أخبرانّا أولی الناس بالناس ۰ فمالات علینا قریش حتّی أخرجت الأمر عن معدنه ،واحتجّت علی الأنصار بحقّنا وحجّتنا ثم تداولتها قریش واحد بعد واحد ۰

و روی الطبری و غیره عن ربیعة بن :اجد أنّ رجلاً قال لعلی علیه السلام : بم ورثت ابن عمك دون عمك ۰ فقال علیه السلام هاؤم ـ ثلاث مرات ـ حتّی اشرأبّ الناس ، ونشروا آذانهم فقال علیه السلام :دعا النبی صلی اللّه علیه وآله بنی عبد المطلب رهطه کلّهم یأکل الجذعة ،ویشرب الفرق ۰ فصنع لهم مدّاً من طعام ۰ فاکلوا حتّی شبعوا وبقی الطعام کما هو کانّه لم یمسّ ۰ ثم دعا بغمر ۰ فشربوا حتّی رووا ،وبقی الشراب کانّه لم یمسّ ۰ ثم قال «یا بنی عبد المطلب إنّی بعثت إلیکم خاصّة ،والی الناس عامّة ،وقد رأیتم من هذا الأمر ماقد رأیتم ۰ فأیکم یبایعنی علی أن یکون أخی و صاحبی ووارثی» فلم یقم الیه أحد ۰ فقمت إلیه ۰ فقال :اجلس ۰ ثم قال ماقال أولاً ثلاث مرات کلّ ذلك أقوم ۰ فیقول لی :اجلس حتّی کان فی الثالثة ۰ فضرب بیده علی یدی ۰ فبذلك ورثت أنا ابن عمّی دون عمّی ۰

وسأل السلطان سنجر بن ملکشاه ،سنائی الشاعر عن مذهبه ۰ فقال قصیدة بالفارسیة فی جوابه ومن أبیاتها :

از پی سلطان ملکشاه چون نمیداری روا
تاج وتخت پادشاهی جز که سنجر داشتن
از پی سلطان دین چون همیداری روا
جز علی و عترتش محراب ومنبر داشتن

هذا ،وفی الاستیعاب لابن عبد البر قدم الحتات بن یزید التمیمی

على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وفد بنى تميم فاسلموا ، وآخى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بين حتات ومعاوية ولما صار معاوية خليفة قدم عليه الحتات وجارية بن قدامة ، والأحنف بن قيس ، وهما أيضاً من تميم ، وهما من أصحاب على عليه السلام ، وكان حتات عثمانياً ـ فاعطاهما معاوية اكثر مما اعطى الحتات . فرجع اليه ، وقال : فضلتهما علىّ . قال : اشتريت ، منهما دينهما ، ووكلتك إلى هواك فى عثمان . قال : وأنا ايضاً اشترمنى دينى فاتمها له ، والحقه بهما . فلم يأت عليه اسبوع حتى مات عنده . فاخذ معاوية اله بتلك الاخوة ، فقال الفرزدق ـ قلت وكان ايضاً من تميم :

أبوك وعمى يا معوى اورثا × تراثا فيختار التراث اقاربه

فما بال ميراث الحتات اكلته × وميراث صخر جامد لك ذائبه

قلت : وكان المناسب ان يقول معاوية لحتات فى قوله « وأنا اشتر منى ايضا دينى » بان الشراء منك دينك اما تحصيل للحاصل واما شراء معدوم ، وكلاهما محال لكنه سامحه لقلة شعوره .

هذا ، ومما يناسب قوله عليه السلام « أرى تراثى نهباً » قول نهيك بن اساف ـ الانصارى :

تقسّم جيرانى حَلوبى كانّما × تقسّمها ذوبان زور و منور

و (زور) و (منور) جبلان ذوا ذوبان شديدة لاحيّان من اعداء نهيك كما توهمه اللسان فى (حلب) .

« حتى مضى الأوّل لسبيله » : قال ابن قتيبة : اختلفوا فى مرض أبى بكر الذى مات فيه ، وفى اليوم الذى مات فيه . قال ابو اليقظان عن سلام بن أبى مطيع : انه سمّ فمات يوم الاثنين فى آخره ، وقال غيره أنه كان سبب موته انه اعتلّ فى يوم بارد فحمّ ومرض خمسة عشر يوماً ، وقال ابن اسحق : توفى يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة . فكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وتسع ليال ، وأوصى ان تغسله أسماء بنت

عميس امرأته .

وفي المستدرك كان يقول في احتضاره : ليتني كنت لبنة أو تبنة .

وفي خلفاء ابن قتيبة قال أبو بكر في مرض موته : ليتني تركت بيت علي وإن كان اعلن على الحرب .

«فادلى بها» : أي دفع الخلافة ، وأرسلها من «أدلى دلوه» أرسلها .

«إلى فلان بعده» هكذا في المصرية ، ويصدقها (ثم) الذي نسخته كانت بخط المصنف ونقله (حد) (الى ابن الخطاب بعده) ورواية المعاني بدلت الفقرة بقوله (عقدها لأخي عدي بعده) .

أما (فلان) كما في (ثم) ففي تفاسير الامامية في قوله تعالى «ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى لم اتخذ فلاناً خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا»[1] ماكنى الله في كتابه إلا في قوله (فلانا) و(الظالم) الأول و(فلاناً) الثاني .

وعن الاستدراك قيل للمتوكل : انا أبا الحسن - يعني الهادي عليه السلام - يفسر قوله تعالى «ويوم يعض الظالم» إلى آخر الآية في الأول والثاني . قال : فكيف الوجه في أمره؟ قالوا : تجمع له الناس وتسأله بحضرتهم . فان فسرها بهذا كفاك الحاضرون أمره ، وان فسرها بخلاف ذلك افتضح عند أصحابه . فوجه إلى القضاة وبني هاشم وأوليائه ، وسئل عليه السلام فقال : هذان رجلان كنى الله عنهما ، ومن بالستر عليهما فيحب الخليفة كشف ما ستره الله قال : لا .

وفي الأغاني قال ابرهيم بن المهدي : رأيت علياً في النوم . فقلت له : ان الناس قد أكثروا فيك ، وفي أبي بكر وعمر . فما عندك في ذلك . فقال لي : اخساً - ولم يزدني على ذلك .

وفي المروج ان ابرهيم بن المهدي كان قال :

---

(١) الفرقان ٢٧ - ٢٩ .

فصلّ على النبى وصاحبيه × وزيريه وجاريه برمسه

فى قبال قول المأمون :

فجدّد عنده ذكرى على × وصلّ على النبى وآل بيته

و روى ابن المغازلى فى قوله تعالى «واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة» انّ النّبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : من ظلم عليّاً مقعدى هذا بعد وفاتى ، فكأنّما جحد نبوّتى ونبوّة الأنبياء قبلى .

و روى ابو الفرج فى أغانيه عن محمّد بن سهل صاحب الكميت قال : دخلت مع الكميت على أبى عبد الله جعفر بن محمد . فقال له : جعلت فداك ألا أنشدك قال : انها ايام عظام . قال : انها فيكم قال : هات ، وبعث إلى بعض أهله فقرب فأنشده فكثر البكاء بهذا البيت :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم × فيا آخراً أسدى له الغىّ اول

فرفع يديه ، وقال : اللهم اغفر للكميت ماقدّم وما اخّر ، وما اعلن وما اسرّ .

وفى خلفاء ابن قتيبة فى عنوان «كيفية بيعة على» تفقد أبوبكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند على . فبعث اليهم عمر . فجاء فناداهم ، وهم فى دار على . فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب ، وقال : والّذى نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها . فقيل له : انّ فيها فاطمة . قال : وان ، فخرجوا فبايعوا إلا علياً . فإنّه زعم أنّه قال «حلفت أن لا أخرج ، ولا أضع ثوبى على عاتقى حتّى أجمع القرآن» . فوقفت فاطمة على بابها . فقالت : لا عهد لى بقوم حضروا أسوء محضرمنكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ، ولم تردّ والنا حقّاً . فأتى عمر أبا بكر فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة . فقال ابوبكر لقنفذ ـ مولى له ـ ادع لى علياً . فذهب إليه ، وقال : يدعوك خليفة رسول الله . فقال : لسريع ماكذبتم على رسول الله . فرجع . فابلغ الرسالة . فبكى أبوبكر طويلاً فقال عمر الثانية : لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة . فقال أبوبكر لقنفذ :

عد اليه فقل له اميرالمؤمنين يدعوك لتبايع فجاءه فنفذ . فادّى ما امربه . فرفع على صوته . فقال : سبحان الله لقد ادّعى ماليس له . فرجع فنفذ فابلغ الرسالة فبكى أبوبكر طويلاً . ثم قام عمر . فمشى معه جماعة حتّى أتوا بيت فاطمة . فدقوا الباب . فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها يا أبه يا رسول الله ماذا القينا بعدك من ابن الخطاب ، وابن ابى قحافة ، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تتصدّع واكبادهم تتفطر ـ وبقى عمر ومعه قوم . فاخرجوا علياً . فمضوا به إلى أبى بكر . فقالوا له : بايع فقال : إن أنا لم أفعل فمه ـ قالوا : اذن والله الّذى لا إله إلّا هو نضرب عنقك ـ قال : اذن تقتلون عبد الله واخا رسوله ـ قال عمر : اما عبد الله فنعم ، واما أخو رسول الله فلا ـ وابوبكر ساكت لا يتكلّم ـ فقال له عمر : ألا تأمر فيه بامرك . فقال : لا اكرهه على شئ ماكانت فاطمة إلى جنبه . فلحق على بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصيح ، وينادى « يا ابن ام انّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى » .

فقال عمر لأبى بكر : انطلق بنا الى فاطمة . فانّا قد اغضبناها . فانطلقا ـ جميعا . فاستأذنا على فاطمة . فلم تأذن لهما . فاتيا عليا . فكلّماه . فادخلهما . فلمّا قعدا عند ها حوّلت وجهها إلى الحايط . فسلّما عليها . فلم تردّ عليهما السلام فتكلّم ابوبكر . فقال : ياحبيبة رسول الله والله انّ قرابة رسول الله احبّ إلىّ من قرابتى افترانى اعرفك . واعرف فضلك وامنعك حقّك وميراثك من رسول الله إلّا انّى سمعت أباك يقول : لا نورّث ماتركنا فهو صدقة . فقالت : ارايتكما ان حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفانه تقولان به قالا : نعم . فقالت : نشدتكما بالله ألم تسمعا رسول الله يقول « رضى فاطمة من رضاى ، وسخط فاطمة من سخطى فمن أرضى فاطمة ابنتى فقد ارضانى ، ومن أسخط فاطمة فقد اسخطنى » فقالا : نعم سمعناه من رسول الله ـ فقالت « فانّى اشهد الله وملئكته انّكما اسخطتمانى وما ارضيتمانى ، ولئن لقيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم لاشكونكما اليه » ـ فقال ابوبكر « أنا

عائذ باللّه تعالى من سخطه ، وسخطك يا فاطمة» ثم انتحب يبكى حتّى كادت نفسه أن تزهق ، وهى تقول : واللّه لا دعونّ اللّه عليك فى كلّ صلوة أُصلّيها .

وقال النظام ـ كما فى ملل الشهرستانى ـ وهو أحد شيوخ المعتزلة ، واستاد الجاحظ ـ انّ النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم نصّ على على ـ كرم اللّه وجهه ـ فى مواضع ، وأظهره إظهارا لم يشتبه على الجماعة الّا أنّ عمر كتم ذلك ـ وهو الّذى تولّى بيعة أبى بكر يوم السقيفة ـ وهو الّذى ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت المحسن من بطنها ـ وكان يصيح «احرقوها بمن كان فيها» وما كان فى الدار غير على وفاطمة والحسن والحسين .

وقال (حد) وعمر هو الّذى شيّد بيعة أبى بكر ، ووقم المخالفين فيها ، فكسر سيف الزبير لمّا جرّده ، ودفع فى صدر المقداد ووطئ فى السقيفة سعد بن عبادة ، وقال : اقتلوه قتله اللّه ، وحطم أنف الحباب بن المنذر الّذى قال فى السقيفة : أنا جذيلها المحلك وعذيقها المرجّب ، وتوعّد من لجأ الى دار فاطمة من الهاشميين ، واخرجهم منها ، ولولاه لم يثبت لأبى بكر أمر ، ولا قامت له قائمة

وقال : و روى أبو مخنف عن الكلبى وأبى صالح ، وعن رجاله عن زائدة بن قدامة قال : كان جماعة من الأعراب قد دخلوا المدينة ليتمار وا منها . فشغل الناس عنهم بموت النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم فانفذ إليهم عمر ، وقال لهم : خذوا بالحظ من المعونة على بيعة خليفة رسول اللّه ، واخرجوا إلى الناس ، واحشروهم ليبايعوا فمن امتنع فاضربوا رأسه ، وجنبيه . فواللّه لقد رأيت الاعراب قد تحزّموا بالازر الصنعانية ، واخذوا بأيديهم الخشب ، وخرجوا حتّى خبطوا الناس خبطاً ، و جاؤا بهم مكرهين إلى البيعة .

وقال البراء بن عازب ، ورواه (حد) فى موضع آخر ، لم أزل لبنى هاشم محبّاً ، فلمّا قبض النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم خفت أن تتمالا قريش على إخراج هذا الأمر عنهم فأخذنى ما يأخذ الوالهة العجول مع ما فى نفسى من الحزن لوفاة النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم فكنت أتردّد إلى بنى هاشم و هم

عند النبى ﷺ فى الحجرة ، وافقد وجوه قريش . فانّى كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وإذ اقائل يقول القوم فى سقيفة بنى ساعدة ، وإذ اقائل آخر يقول : قد بويع أبوبكر فلم البث ، واذ أنا بأبى بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة ، وجماعة من أصحاب السقيفة ، وهم محتجزون بالازر الصنعائية . لا يمرّون بأحد إلّا خبطوه وقدّموه ، و مدّوا يده . فمسحوها على يد أبى بكر يبايعه شاء ذلك او ابى . فانكرت عقلى و خرجت اشتدّ حتى انتهيت الى بنى هاشم ، والباب مغلق فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً ، وقلت : قد بايع الناس لابى بكر بن ابى قحافة .

فقال العباس : تربت ايديهم الى آخر الدهر فمكثت اكابد ما فى نفسى ورايت فى الليل المقداد وسلمان وابا ذر ، وعبادة بن الصامت ، وأبا الهيثم بن تيهان ، وحذيفة وعماراً ، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين ، وبلغ ذلك إلى أبى بكر وعمر ، فأرسلا الى أبى عبيدة ، والمغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرأى . فقال المغيرة : الرأى أن تلقوا العباس ، فتجعلوا له ولولده فى هذا الامر نصيباً لتقطعوا بذلك ناحية على بن ابى طالب . فانطلقوا حتّى دخلوا على العباس وذلك فى الليلة الثانية من وفاة النبى ﷺ ـ إلى أن قال ـ

فقال أبوبكر للعباس : قد خلّى النبى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متّفقين غير مختلفين . فاختارونى عليهم والياً ـ إلى أن قال ـ

قال ابوبكر : وما انفكّ يبلغنى عن طاعن يقول بخلاف قول عامّة المسلمين يتّخذكم لجا . فتكونوا حصنه المنيع . فامّا دخلتم فى ما دخل فيه الناس أو صرفتموهم عمّا مالوا إليه . فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك فى هذا الأمر نصيباً ، ولمن بعدك من عقبك إذ كنت عم النبى ، وان كان المسلمون قد رأوا مكانك منه ، ومكان أهلك ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم ، وعلى رسلكم بنى هاشم . فان النبى منّا ومنكم ـ فاعترض كلامه عمر وقال : أى والله ، واخرى انّا لم ناتكم حاجة إليكم ، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فى ما اجتمع عليه المسلمون ، منكم فيتقاقم الخطب بكم وبهم .

فانظروا لأنفسكم ولعامّتهم ـ إلى أن قال ـ

فقال العباس لأبى بكر: فإن كنت برسول الله ﷺ طلبت فحقّنا أخذت وان كنت أخذت بالمؤمنين فنحن منهم ما تقدّمنا فى أمركم فرطاً، ولا حللنا وسطا، ولا نزحنا شحطاً. فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنّا كارهين وما أبعد قولك انّهم طعنوا عليك. من قولك انّهم مالوا اليك، وأما ما بذلت لنا. فان يكن حقك اعطيتناه فامسكه عليك، وان يكن حقّ المؤمنين. فليس لك أن تحكم فيه، وان يكن حقّنا لم نرض منك ببعض دون بعض، وما اقول هذا اروم صرفك عمّا دخلت فيه، ولكن للحجّة نصيبها من البيان، وأما قولك ياعمر: انّك تخاف الناس علينا. فهذا الّذى قدّمتموه أول ذلك ـ الخ.

وقلنا: ان (حد) نقل كلامه عليه السلام «فادلى بها الى ابن الخطاب» وفى السير انّ عمر لمّا بعث محمّد بن مسلمة إلى عمرو بن العاص بمصر لتشطير ماله لمّا كان واليه عليها قال عمرو بن العاص: لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر والله لقد رأيته واباه على كلّ واحد منهما عباءة قطوانيّة لا يجاوز مابض ركبتيه، وعلى عنقه حزمة حطب، وأبى العاص بن وائل فى مزرّات الديباج.

وقال (حد) قدم عمرو بن العاص على عمر من مصر. فقال له: فى كم سرت قال: فى عشرين قال عمر: لقد سرت سير عاشق. فقال عمرو: انّى والله ما تابطتنى الاماء، ولا حملتنى النساء فى غبرات المآلى ـ أراد خرق الحيض قال (حد) وسألت النقيب عن الخبر. فقال: فخر عمرو على عمر لانّ ام الخطاب كانت زنجيّة تعرف ببا طحلى تسمّى بصهاك.

وقال (حد) ايضاً ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام فى غريب حديثه أنّ رجلاً أتى عمر يسأله ـ الى أن قال ـ ثم أنشأ عمر يحدّث عن نفسه. فقال: لقد رأيتنى واختالى نرعى على أبوينا ناضحاً لنا. قد البستنا امّنا نقبتها فنخرج بناضحنا فاذا طلعت الشمس القيت النقبة إلى اختى، وخرجت اسعى عرياناً فنرجع إلى امّنا

وقد جعلت لنا الفتية مع الهبيد فياخصباه (الهبيد) : حبّ الحنظل ، و(اللفتية) ضرب من البطيخ كالحساء .

قال : وحجّ عمر . فلمّا كان بضجنان قال : اذكروانا ارعى ابل الخطاب بهذا الوادى فى مدرعة صوف ، وكان فظّاً يتعبنى إذا عملت ، ويضربنى اذا قصّرت .

وفى الطرائف قال مؤلّف كتاب نهاية الطلب الحنبلى كان عمر قبل الاسلام نخّاس الحمير ـ وقال هشام الكلبى فى مثالبه : كانت صهاك امة حبشية لها شم بن عبد مناف . فوقع نضلة بن هاشم عليها . ثم وقع عليها عبد العزّى بن رباح فجائت بنفيل جد عمر .

وكان ابوسفيان يكنّى عمراً باحجر لبخله كما كان يكنّى أبا بكر أبا فصيل . فقال لعثمان لمّا ولى « بأبى أنت انفق ولا تكن كابى حجر » . (١)

و روى القمى فى تفسير قوله تعالى « لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » (١) انّ صفيّة بنت عبد المطّلب مات ابن لها فاقبلت . فقال لها عمر : غطّى قرطك . فانّ قرابتك من النبى لا تنفعك شيئاً . فقالت : وهل رأيت لى قرطاً يا ابن اللخناء . ثم دخلت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرته بذلك ، وبكت فخرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ونادى الصلوة جامعة . فاجتمع الناس . فقال : لا يسألنى اليوم أحد من أبوه إلّا أخبرته . فقام رجل فقال من ابى . فقال : غير الّذى تدعى اليه أبوك فلان بن فلان . فقام آخر فقال . من أبى ؟ قال : الّذى تدعى إليه . ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم . ما بال الّذى يزعم أنّ قرابتى لا تنفع لا يسألنى عن أبيه . فقام إليه عمر وقال : اعوذ بالله من غضب رسوله اعف عنّى الخبر

وقال (حد) فى موضع آخر روى هذا الخبر (خبر قول عمر على المنبر ايّاكم و ذكر العيوب والبحث عن الاصول فلو قلت لا يخرج اليوم من هذه الأبواب من لا وصمة فيه لم يخرج منكم أحد » المدائنى فى كتاب (امهات الخلفاء) وقال : انّ ذاك الخبر روى عند جعفر بن محمّد بالمدينة . فقال : لا تلمه يا ابن أخى

(١) المائدة ١٠١ .

اشفق ان يحدج بقصّة نفيل بن عبد العزى ، وصهاك امة الزبير بن عبد المطلب .

قلت : والأصل فى قول المدائنى ما رواه الكلينى فى روضته أنّ رجلاً من ولد عمر تعرّض لجارية رجل من ولد عقيل . فقالت الجارية لمولاها : انّ هذا العمرى قد آذانى . فقال لها : عديه وادخليه الدهليز . فادخلته . فشدّ مولاها عليه . فقتله . وألقاه فى الطريق . فاجتمع البكريون والعمريون والعثمانيون وقالوا : ما لصاحبنا كفو يقتل به إلّا جعفر بن محمّد ، وما قتل صاحبنا غيره ، وكان عليه السلام قد مضى نحو قبا . فلقيه سماعة بما اجتمعوا عليه . فقال : دعهم فلمّا جاء وثبوا عليه ، و قالوا ما قتل صاحبنا أحد غيرك ، وما نقتل به غيرك . فقال : ليكلّمنى منكم جماعة . فاعتزل قوم منهم . فأخذ بأيديهم ، وأدخلهم المسجد . فخرجوا وهم يقولون : شيخنا ابو عبد الله جعفر بن محمّد معاذ الله أن يكون مثله يفعل هذا أو يأمر به فانصرفوا .

فقال له سماعة : جعلت فداك ما أقرب رضاهم من سخطهم . قال : قلت لهم : امسكوا والّا اخرجت الصحيفة إنّ أمّ الخطاب كانت امة للزبير بن عبد المطّلب . ـ فشطر بها نفيل . فاحبلها . فطلبها الزبير . فخرج هاربا إلى الطائف . فخرج الزبير خلفه . فبصرت به ثقيف . فقالوا : ما تفعل ههنا . قال : جاريتى شطر بها نفيلكم . فهرب منها إلى الشام ، وخرج الزبير فى تجارة الى الشام . فدخل على ملك الروم فقال له : الملك لى إليك حاجة قال وما هى قال : رجل من أهلك أخذت ولده . فاحبّ ان تردّه عليه . قال : ليظهر لى لاعرفه . فلما كان الغد دخل على الملك . فلمّا رآه الملك ضحك ، وقال له : ما اظنّ هذا الرجل ولدته عربية . فلمّا رآك قد ـ دخلت لم يملك استه . فقال للملك : إذا دخلت مكّة قضيت حاجتك . فلمّا قدم تحمّل عليه نفيل ببطون قريش كلها أن يدفع إليه ابنه فابى ـ الى أن قال :

فقال لهم الزبير : انّ الشيطان له دولة ، وانّ ابن هذا ابن الشيطان ، ولست آمن من أن يترأس علينا ، ولكن ادخلوا من باب المسجد على أن احمى له حديدة واخطّ فى وجهه خطوطاً ، واكتب عليه و على ابنه الّا يتصدّر فى مجلس ، ولا يتامّر

فى اولادنا ، ولا يضرب هنا بسهم . ففعلوا وخطّ وجهه بالحديدة ، وكتب عليه الكتاب ، وذلك الكتاب عندنا ، فقلت لهم ان امسكتم ، والّا أخرجت الكتاب و فيه فضيحتكم ـ الخبر .

هذا و ذكر أنساب قريش مصعب الزبيرى ، والعقد الفريد ، واستيعاب ابى عمر نسب الخطاب «ابن عبد العزى بن رباح بن عبد اللّه بن قرظ بن رزاح بن عدى» وذكره ابن قتيبة والمسعودى «ابن عبد العزى بن قرظ بن رباح بن عبد اللّه بن رزاح بن عدى» .

وام عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم ، و قال المسعودى وابن قتيبة بنت هشام بن المغيرة ، وهو خطأ فقالوا أمّه كانت بنت عم ابى جهل بن هشام و على قولهما تصير اخته .

ولعلهما رأيا أنّهم قالوا : انّ عمر قتل ببدر خاله العاص بن هشام أخا أبى جهل الّذى عدّوه فى الحمقى ، وكان ابولهب اتّخذه عبداً . ففى عيون ابن قتيبة «من حمقى قريش العاص بن هشام اخو ابى جهل ، وكان أبولهب قامره فقمره ماله ثم داره وقليله وكثيره ، وأهله ونفسه . فاتّخذه عبداً فلمّا كان يوم بدر بعث به عن نفسه . فقتل ببدر كافراً قتله عمر وكان خاله» .

الّا انّ التعبير بكونه خاله على قاعدة العرب من التعبير عن رجل كان من قبيلة أنه أخوهم ، وعن مرئة كانت من قبيلة انّها اختهم ، ولذا قالوا : ان بنى زهرة ـ أخوال النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم لكون امه منهم ، وسمّى شمر بنى اميرالمؤمنين عليه السلام من أم البنين بنى اُخته ، وانّما كانت من قبيلته لا اُخته .

هذا وقال ابن عبد البر هاشم ابو حنتمة هوذ والرمحين وتبعه القاموس ، وهو أيضاً وهم ، فصرّح الزبيرى فى أنسابه انّ ذا الرمحين هو أبو ربيعة جدّ عمر بن ابى ربيعة ، وهو عمر بن بحير بن أبى ربيعة اشتهر بالنسبة إلى جدّه ، وقال مدح ابن الزبعرى اباه بحيرا . فقال :

بحير بن ذى الرمحين قرّب مجلسى × يروح علينا فضله غير غاتم

وقال : قاتل ذو الرمحين (يوم شرب) برمحين فسمّى ذا الرمحين واسمه عمرو .

مع انّ القاموس ناقض . فقال فى (حتم) ذو الرمحين أبو أُم عمر بن الخطاب وقال فى (رمح) (ذو الرمحين عمرو بن المغيرة سمّى لطول رجليه) وقد عرفت أنّ وجه تسمية عمرو والد عمر بن أبى ربيعة به هو قتاله برمحين .

كما انّه أراد استقصاء المسمّيات بحنتمة ، ولم يستقص . فقال «حنتمة اسم أُم عمر بن الخطاب ، واسم بنت عبد الرحمن بن الحارث ، مع انّ منهنّ حنتمة بنت شيطان أُم عمارة بن الوليد بن المغيرة الّذى بعثته قريش مع عمرو بن العاص الى النجاشى لردّ جعفر بن أبى طالب .

وأما كونه (أخا عدى) كما فى رواية معانى الأخبار للخطبة . ففى عين العبرة حضّ أبو بكر الناس على الجهاد . فتثاقلوا . فقال عمر «لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتّبعوك» فقال له خالد بن سعيد بن العاص : يا ابن أُم عمر لنا تضرب امثال المنافقين لقد أسلمت والله ، وان لبنى عدى صنماً اذا جاعوا أكلوه ، واذا شبعوا استأنفوه .

وفى ديوان حسّان بن ثابت «وقال يهجو بنى عدى بن كعب» .

قوم لئام اقلّ الله خيرهم × كما تناثر خلف الراكب البعر

كانّ ريحهم فى الناس إذ خرجوا × ريح الحشاش إذا ما بلّها المطر

وفى نسب قريش مصعب الزبيرى كان آل عبد مناف قد كثروا ، وآل عبد الدار بن قصى قد قلّوا . فاراد آل عبد مناف انتزاع الحجابة من بنى عبد الدار . فاختلفت فى ذلك قريش . فكانت طائفة مع هؤلاء ، واُخرى مع اُولئك . فاخرجت أُم حكيم بنت عبد المطلب توامة أبى النبى صلى الله عليه وآله وسلم جفنة فيها طيب . فوضعتها فى الحجر ، و قالت من كان منّا فليد خل يده فى هذا الطيب . فادخلت بنو عبد مناف ، وبنو اسد بن

عبد العزى، وبنوزهرة، وبنوتيم، وبنوالحارث بن فهر أيديهم فيها فسمّوا المطيبين فعمدت بنوسهم بن عمرو فنحرت جزوراً وقالوا: من كان منّا فليدخل يده في هذه الجزور. فادخلت عبد الدار، وسهم، وجمح، ومخزوم، وعدى أيديهم فيها فسمّوا الأحلاف ـ ثم قام الأسود بن حارثة العدوى. فادخلت يده في الدم ثم لعقها. فلعقت بنو عدى كلّها بأيديها فسمّوا لعقة الدم.

وعن ربيع الأبرار الزمخشري انزل تعالى في الخمر «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير»[1] ـ إلى آخر الآية ـ فكان المسلمون بين شارب وتارك إلى أن شربها رجل، ودخل في صلاته فهجر فنزل «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى»[2] فشربها من شربها من المسلمين حتّى شربها عمر. فأخذ لحى بعير. فشجّ رأس عبد الرحمن بن عوف. ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر:

وكاين بالقليب قليب بدر × من القينات والشرب الكرام
أيوعدنا ابن كبشة إن سخيى × وكيف حيوة أصداء وهام
أيعجزأن يرد الموت عنّى × وينشرنى إذا بليت عظامى
الا من مبلغ الرحمن عنّى × بأنّى تارك شهر الصيام
فقل للّه يمنعنى شرابى × وقل للّه يمنعنى طعامى

فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فخرج معضباً يجرّ رداءه. فرفع شيئاً كان في يده ليضربه. فقال: أعوذ باللّه من غضب اللّه وغضب رسوله. فانزل اللّه تعالى «انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر» ـ الى آخر الآية[3].

هذا وقال (حد) ان قوله عليه السلام «فادلى بها الى ابن الخطاب» من قوله

(۱) البقرة ۲۱۹.
(۲) النساء ۴۳.
(۳) المائدة ۹۱.

تعالى «وتدلوا بها الى الحكام»(١) أى تدفعوها اليهم رشوة . فإن قلت: انّ ابابكر انما دفعها الى عمر حين الموت ، ولا معنى للرشوة عند الموت؟ قلت: لمّا كان عليه السلام يرى ان العدول بها عنه الى غيره اخراج لها الى غير جهة الاستحقاق شبّه ذلك بادلاء المال الى الحكّام . فانه اخراج للمال على غير وجهه فكان ذلك من باب الاستعارة .

قلت: كلامه كله خبط وخلط فانّ الادلاء انما هو بمعنى مطلق الدفع ، و انما صار المراد (بتدلوا) فى الآية الرشوة . بالقرينة وهى اضافة (إلى الحكّام) ومعلوم انّ من يدفع ماله الى الحكام يدفعها رشوة ، وقبله «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» وبعده «لتأكلوا فريقاً من اموال الناس بالإثم» فهذه تجعل الكلام صريحاً فى إرادة الرشوة .

كما انّ مجرد الاخراج الى غير جهة الاستحقاق لا يصحّح الاستعارة كما لا يخفى ، وكيف يصحّ ان يقال : انّ ابابكر رشا عمر بالخلافة ، وانما عمر رشا أبابكر بالخلافة : أى بتمهيدها له بشرح مرّ ليردّها عليه بعده . ففى خلفاء ابن قتيبة ـ بعد ذكر احتجاج امير المؤمنين عليه السلام عليهم لمّا جاؤا به للبيعة ـ «قال على فانصفونا ان كنتم تؤمنون وإلّا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون» فقال له عمر انّك لست متروكاً حتّى تبايع . فقال له على «احلب حلباً لك شطره ، وشدّ له اليوم يرده عليك غداً» .

وفى الخلفاء أيضاً «ولمّا كتب أبوبكر عهده قال لعمر : خذ هذا الكتاب ، و اخرج به الى الناس ، وأخبرهم انه عهدى ، وسلهم عن سمعهم وطاعتهم فخرج عمر بالكتاب ، واعلمهم فقالوا سمعاً ، وطاعة . فقال لرجل : ما فى الكتاب يا أبا حفص . قال : لا أدرى ولكنّى اول من سمع واطاع . قال : لكنّى أدرى واللّه ما فيه امّرته عام اول وأمّرك العام

(١) البقرة ١٨٨ .

وانما رشاعثمان عمربان كتب فى غشوة ابى بكراسم عمرفى عهده ليردّه اليه بعده . فقال (حد) احضرابوبكرعثمان — وهويجود بنفسه . فامره أن يكتب عهداً وقال : اكتب هذا ماعهد به عبد اللّه بن عثمان إلى المسلمين أما بعد ، ثم أغمى عليه وكتب عثمان قد استخلفت عليكم عمربن الخطاب ، وأفاق ابوبكرفقال : اقرأ فقرئه فكبّر أبوبكروسرّ ، وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ فى غشيتى ، قال : نعم ، قال : جزاك اللّه خيراً عن الاسلام .

واقول : لوكان ابوبكرقال لعثمان (جزاك عمرعن عملك بتوليتك وان كان فيه هدم الاسلام) حيث انّ سلطانه سلطان بنى امية أعداء الاسلام كان قال مطلبا حقّا .

ولقد جزاه عمربتد بيرالشورى ، وجعل عبد الرحمن حكما ، ولما بايع عبد الرحمن عثمان قال اميرالمؤمنين عليه السلام لعبد الرحمن : واللّه ما امّلت منه الا ما امّل صاحبك من صاحبه دقّ اللّه بينكما عطرمنشم .

«ثم تمثّل بقول الأعشى» : والاعشى هذا هوميمون بن قيس من قيس بن ثعلبة ، ويكنّى أبا بصير ، وكان يقال لابيه (قتيل الجوع) لانه دخل غاراً يستظل فيه من الحرّ . فوقعت صخرة عظيمة من الجبل . فسدّت فم الغار فمات فيه جوعا .

وقال يونس النحوى : أشعرالناس امرؤالقيس اذا غضب ، والنابغة إذا رهب ، وزهيراذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

وفي الأغانى اراد الاعشى الوفود على النبىّ صلى اللّه عليه وآله وسلم وقال قصيدة فى مدحه ومنها :

نبى يرى ما لا ترون و ذكره × اغار لعمرى فى البلاد وانجدا

فرصدته قريش على طريقه ، وقالوا : هذا صنّاجة العرب . فقالوا له : اين اردت؟ قال : صاحبكم هذا الاسلم . قالوا : انه ينهاك عن خلال كلها لك موافق قال : وماهنّ؟ قال ابوسفيان : الزنا قال الأعشى : لقد تركنى الزنا وما تركته . ثم ماذا؟ قال : القمار . قال لعلى إن لقيته أن اصيب منه عوضاً من القمار . ثم ماذا ؟

قالوا . الربا . قال : ما دنت ، ولا دنت . ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : اوّه ارجع الى صبابة قد بقيت لى فى المهراس فاشربها . فقال له ابوسفيان : هل لك فى خير مما هممت به ؟ قال : وما هو . قال : نحن وهو الآن فى هدنة . فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع الى بلدك سنتك هذه ، وتنظر ما يصير اليه أمرنا . فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفا ، وان ظهر علينا اتيته . فقال : ما اكره ذلك . فقال أبوسفيان : يا معشر قريش هذا الأعشى والله لئن اتى محمّداً واتّبعه ليضرمنّ عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الابل . ففعلوا . فاخذها وانطلق الى بلده . فلمّا كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله :

هذا وفى الصحاح الاعشى : من يبصر بالنهار ، ولا يبصر بالليل .

هذا وكان غير هذا جمعاً آخر عدّهم القاموس . فقال اعشى باهلة عامر ، و اعشى بنى نهشل اسود بن يعفر ، واعشى همدان عبد الرحمن ، وبنى ابى ربيعة وطرود ، وبنى الحرماز ، وبنى اسد ، وعكل كهمس ، وابن معروف خيثمة ، وبنى عقيل وبنى مالك ، وبنى عوف ضابئ ، وبنى صورة عبد الله ، وبنى جلّان سلمة ، والأعشى التغلبى شعراء .

« شتان ما يومى على كورها × ويوم حيان أخى جابر »

قال (حد) قاله الأعشى فى معاقرة علقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل و اوّلها :

علقم ما أنت إلى عامر × الناقض الأوتار والواتر

وقبل البيت :

وقد اسلّى الهمّ اذ يعترى × بجسرة دوسرة عاقر

زيّافة بالوحل خطّارة × تلوى بشرخى ميسة فاتر

و بعد البيت :

أرمى بها البيداء اذ هجّرت × و انت بين القرو والعاصر

فى مجدل شيّد بنيانه × يزلّ عنه ظفر الطائر

وكان حيّان صاحب شراب ومعاقرخمر، وكان نديم الأعشى، وكان أخوه جابراً أصغر سناً منه. فيقال: انّ حيان قال للأعشى: نسبتنى إلى أخى. وهو اصغر سنّاً منّى. فقال: ان الروىّ اضطرّنى الى ذلك. فقال: والله لانازعنك كاسا ابدا ماعشت، و(حيان) ابن السمين الحنفى.

قلت: وروى الاغانى وديوان المعانى معاقرتهما مفصّلة وقال الاول قال الاعشى:

علقم ما أنت إلى عامر × الناقض الأوتار والواتر
ان تسد الحوص ولم تعدهم × فعامر ساد بنى عامر
عهدى بها فى الحى قد درعت × صفراء مثل المهرة الضامر
قد حجم الثدى على نحرها × فى مشرق ذى بهجة ناضر
لو اسندت ميتا الى نحرها × عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما راوا × ياعجباً للميت الناصر

و روى انّ النبى ﷺ ربّما حدّث اصحابه، وربما تركهم يتحدّثون، ويصغى اليهم، ويتبسم. فبينا هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وايّام العرب اذ سمع حسّان بن ثابت ينشد هجاء اعشى قيس لعلقمة، ومدحه عامر بن الطفيل:

علقم ما انت الى عامر × الناقض الاوتار والواتر
ان تسد الحوص ولم تعدهم × فعامر ساد بنى عامر
ساد والفى قومه سادة × وكابراً سادوك عن كابر

فقال النبى ﷺ كفّ عن ذكره ياحسّان. فانّ أباسفيان لمّا شعث منى عند هرقل ردّ عليه علقمة. فقال حسّان: من نالتك يده، وجب علينا شكره.

ومثله فى كنايات الثعالبى الّا انّه قال: انشد حسّان النبى ﷺ من هجا حسّان لعلقمة:

كلا ابويكم كان فرع دعامة × ولكنّهم زادوا واصبحت ناقصا
تبيتون فى المشتى ملاءً بطونكم × وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وقال الثانى قال الاعشى :

حكمتموه فقضى بينكم × ابلج مثل القمر الزاهر
لا ياخذ الرشوة فى حكمه × ولا يبالى غبن الخاسر
علقم ما أنت إلى عامر × الناقض الأوتار والواتر
واللامس الخيل بخيل اذا × ثار عجاج الكبة الثائر
ساد والفى رهطه سادة × وكابراً سادوك عن كابر

وممّا نسب اليه فى تلك القصيدة :

ما يجعل الجد الظنون الّذى × جنّب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتى اذا ما طما × يقذف بالبوصى والماهر

ومن القصيدة :

قد قلت شعرى فمضى فيكما × واعترف المنفور للنافر

قالوا : ونذر علقمة دمه . فخرج الأعشى يريد وجهاً فاخطابه الدليل فاخذوه وأتوه به . فقال الاعشى :

علقم قد صيّرتنى اليك الأمور × وما أنت لى منقص
فهب لى ذنبى فدتك النفوس × ولا تزال تنمو ولا تنقص

فعفا عنه . فقال الاعشى :

علقم يا خير بنى عامر × للضيف والصاحب والزائر
والضاحك السنّ على همّه × والغافر العثرة للعاثر

قال (ثم) فى قوله (ويوم حيان) كان حيّان صاحب الحصن باليمامة وكان سيداً مطاعاً يصله كسرى كل سنة ، وكان فى نعمة ورفاهية مصوناعن وعثاء السفر .

قلت: وفي أمثال العسكري من أمثالهم (انعم من حيّان) كان حيّان رجلاً منعماً، وفيه قال الأعشى (شتان يومي) ـ البيت.

واما قوله (أخي جابر) ففي فتوح البلادري. قال أبو مسعود: حمام أعين في الكوفة نسب إلى اعيَن مولى سعد بن أبي وقاص، وسمعت انّ الحمام قبله كان لرجل من العباد يقال له: جابر أخو حيان الّذي ذكره الأعشى، وهو صاحب مسنا جابر بالحيرة.

هذا وقالوا في قول الأعشى:

فلا تلومانى والوما جابرا × فجابر كلّفنى الهواجرا

ان المراد بجابر فيه الخبز. قال ابن السكّيت: يقال للخبز (جابر بن حبّة) وكنّوه أيضاً (اباجابر).

قال (حد) يقال (شتان ماهما) و(شتّان هما) ولا يجوز (شتّان ما بينهما)

قلت: الأصل في كلامه قول الاصمعي، ففي الصحاح قال الاصمعي: لا يقال شتّان ما بينهما، وقول الشاعر:

لشتّان ما بين اليزيدين في الندى × يزيد سليم والاغر ابن حاتم

ـ يعني يزيد بن اسيد السلمي، ويزيد بن حاتم المهلبي ـ ليس بحجّة انما هو مولّد، والحجّة قول الاعشى (شتان ما يومي) البيت.

الا انّ قول الاصمعي هنا غلط ككثير من أقواله في مواضع اخر، ومنها انكاره (ارعد وابرق) كما ياتي عند قوله عليه السلام في اصحاب الجمل (وقد ارعدوا وابرقوا).

ففي الاغاني قيل لأبي زيد النحوي انّ الاصمعي قال: لا يقال (شتّان ما بينهما) وانّما يقال (شتّان ما هما) كقول الأعشى. فقال: كذب الاصمعي، يقال (شتّان ما هما) و(شتّان ما بينهما) وانشد لربيعة الرقي، واحتجّ به (لشتّان ما بين اليزيدين) ـ البيت.

وأقول: الاشعار والكلام المنثور ممّن قوله حجّة في العربية كثيرة، ومنها قول

ابى الاسود فى جاريةٍ وذيه على ما فى الاغانى :

وشتّان ما بينى وبينك انّنى × على كلّ حال استقيم وتضتلع

ومنها قول ابن عباس لما بلغه وفاة اخيه قثم بسمرقند على ما فى فتوح البلادرى (شتان ما بين مولده ومقبره) .

وفى خطبة ابى حمزة الخارجى الّذى خرج بالمدينة سنة (١٣١) (فشتّان لعمر الله ما بين الغى والرشد) ، وقال البعيث وهو الّذى يهاجى جريراً :

لشتان ما بينى وبين ابن خالد × امّيّة فى الرزق الّذي الله قاسم

وفى ١٢١ من الباب الاخير من النهج (شتان بين عملين عمل تذهب لذته ، وتبقى تبعته ، وعمل تذهب مؤنته ، ويبقى أجره .

وفى دعاء الصباح المروى فى المصباح عن الهادى عليه السلام (انّك أنت الرب الجليل وانا العبد الذليل ، وشتّان ما بيننا يا حنّان يا منّان .

وفى السير انّ الحجّاج اتّخذ ابن جعدة الشيبانى ـ وكان يرى رأى الخوارج سميراً لا دبه . فكتب إليه قطرى ايّام حربه مع المهلّب .

لشتّان ما بين ابن جعد وبيننا × اذا نحن رحنا فى الحديد المظاهر

نجاهد فرسان المهلّب كلّنا × صبور على وقع السيوف البواتر

و راح يجرّ الخزّ عند أميره × أمير بتقوى الله غير آمر

فلمّا قرء الكتاب لحق بقطرى ، وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه .

وفى وزراء الجهشيارى صحب المختم الراسبى الشاعر محمد بن منصور الّذى كان الرشيد لقّبه فتى العسكر وكان كريماً فافاد معه مأة ألف درهم . فمات محمّد بن منصور . فاتّصل بمحمّد بن يحيى البرمكى ، وكان بخيلاً فانفقها معه . فقال :

شتّان بين محمّد و محمّد × حيّ أماته ومّيت احيانى

فصحبت حيّاً فى عطايا ميّت × وبقيت مشتملاً على الخسران

وبالجملة بيت الأعشى غاية ما يدلّ عليه عدم لزوم الاتيان بكلمة بين واما

لزوم تركها فلا [illegible] فيهم من موارد استعمال (شتان) جواز استعماله مع [illegible] بدون (بين) كبيت الاعشى المتقدم وكما فى بيت نصر بن قدامة التميمى [illegible] صفوان مع ابنيه الى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وأبى قومه ، وبنو اخيه أن يهاجروا .

تحمل صفوان فاصبح غاديـاً × بابنائه عمداً وخلّى المواليا

طلاب الذى يبقى وآثرت غيـره × فشتّان ما يفنى وما كان باقيا

وكقول شاعر :

شتّان ما قبلة التلاق × وقبلة ساعة الفراق

ومع (بين) كبيت أبى الأسود ، وبيت قطرى ، وبيت البعيث ، و بيت ربيعة الرقى ، وكلام ابن عباس ، وكلام ابى حمزة الخارجى ، وفقرة دعا الصباح وقد تقدّم كلها ، وبدون (ما) مع (بين) كما فى كلامه عليه السلام فى القصار ، وكما فى كلام المختم الراسبى ، وبدون (ما) و (بين) كما فى قول لقيط بن زرارة يوم شعب جبلة

شتّان هذا والعناق والنـوم × والمضجع البارد فى ظلّ الدوم

وقول كعب بن مالك فى قتلى بدر واحد من المسلمين والمشركين .

شتّان من هو فى جهنّم ثاو ابدا × ومن هـو فى الجنان مخلّد

وقول شاعر آخر ذكره أساس الزمخشرى :

شتّان خلو نائم × وهَوٍ على نهر مكبّ

وقول شاعر لما عزل يزيد بن المهلّب عن خراسان وكان لابيه المهلب بن أبى صفرة سوابق وآثار فى حروبه مع الخوارج ووليها قتيبة بن مسلم — وكان ابو قتيبة مسلم بن عمرو الباهلى نديماً ليزيد بن معاوية يشرب معه ويغنّيه — كما فى أنساب البلادرى :

شتان من بالصنج ادرك والّذى × بالسيف أدرك والحروب تسعّر

هذا ، ولبعض المتأخّرين فى طبيب غير حاذق مسمى بعيسى :

شتان ما بين عيسى وعيسى المسيح × فذاك محيى موات وذا مميت صحيح

هذا وقد عرفت انّ الصدوق في كتابيه لم ينقل التمثل بالبيت، واتّفق غيره على نقله الّا انّ المفيد والشيخ، والطبرسي نقلوه بعد قوله عليه السلام (لشدّ ما نشطرا ـ ضرعيها) وسبط ابن الجوزي بعد قوله عليه السلام «ولسقيت آخرها بكأس اولها» والظاهر اصحيه نقل الشيخين له، وهو المفهوم من المرتضى حيث قال في بيان مراده عليه السلام من التمثيل كما نقل (ثم) عنه انّ القوم لمّا فازوا بمقاصدهم، وظفروا بمطالبهم، وهو عليه السلام في أثناء ذلك كلّه مكدّ في نصيبه كما أشار إليه بقوله (وفي العين قذى وفي الحلق شجى) كان بين حاله وحالهم بعد بعيد، وافتراق شديد

وأمّا على نقل المصنّف البيت هنا، فلا بدّ أن يكون المراد بأنّه عليه السلام قال: شتان بين يومي مع النبيّ صلى الله عليه وآله، ويومي مع الرجلين ـ وقد عرفت انّ معاوية كتب في جواب محمد بن ابي بكر «فقد كنّا، وابوك فينا. نعرف فضل ابن ابي طالب، وحقّه لازماً لنا. فلما قبضه الله اليه كان ـ ابوك، وفاروقه اول من ابتزّه حقه وخالفه» على ذلك اتّفقا واتسقا.

وفي المثل (العيوق بعد النوق) يضرب للشدة بعد السعة.

ولمّا ملك الذر مملوك شهاب الدين الغوري غزنة في سنة (٦٠٢) بعد سيده شهاب الدين الزم وزيره مؤيد الملك أن يكون وزيره. فاجابه على كره فهنّاه صديق له. فقال له: بماذا تهنئني بركوب الحمار بعد الجواد بينا ياتي الذر الف مرة على بابي حتى آذن له في الدخول اصبح على بابه.

قال (حد) وقريب من تمثّله عليه السلام تمثّل الفضل بن الربيع بابيات البعيث في حرب الامين والمأمون، ورخاوة الاول وشدّة الثاني.

لشتّان ما بيني وبين ابن خالد × امية في الرزق الذي الله يقسم
يقارع اتراك ابن خاقان ليلة × الى ان يرى الاصباح لا يتلعثم
واخذها حمراء كالمسك ريحها × لها ارج من دنّها يتنسّم
فيصبح من طول الطراد وجسمه × نحيل واضحى في النعيم يصمّم

قلت: البيت الثالث لاربط له بما قبله وما بعده، وقد نقل الطبرى الابيات ولم ينقله فيها.

وتمثّل الرشيد بقول ربيعة الرقى (شتان ما بين اليزيدين فى الندى) البيت المتقدّم لمّا حجّ ولقيه قبل دخول مكة رجلان من قريش فتكلم احدهما فاحسن، و تكلم الاخر فلم يات بشئ.

وعرض نخّاس جاريتين على ابن يزيد سليم الّذى هجى أبوه بالبيت. فقال له: ايهما احسن. فقال له: بينهما كما قال الشاعر، وانشد البيت. فامر بجرّ رجله واخراجه معهما.

«فياعجبا بينا هو يستقيلها فى حيوته اذ عقدها لاخر بعد وفاته» اما استقاله ابى بكر بعد تصدّيه. فتواترعنه انه قال (اقيلونى ولست بخيركم).

ومعنى كلامه عليه السلام ان ابا بكر راى عدم صلاحية نفسه للخلافة. فكيف عقدها لعمر بعده. ثم كيف خالف النبى صلى الله عليه وآله وسلم في زعمه تركه الناس بلا تعيين خليفة.

وقال سبط ابن الجوزى فى تذكرته: قال صاحب بيت العلوم، و صاحب عقلاء المجانين. قال ابو الهذيل العلاف: سافرت مع المأمون إلى الرقّة. فبينا أنا أسير فى الفرات إذ مررنا بدير فوصف لى مجنون يتكلّم بالحكمة. فدخلت الدير واذا برجل وسيم نظيف فصيح. وهو مقيّد. فسلّمت عليه. فردّ السلام. ثم قال: قلبى يحدّثنى أنك لست من أهل هذه المدينة القليل عقول أهلها ـ يعنى الرقّة ـ قلت: نعم انا من اهل العراق. فقال: انى اسألك فافهم ما اقول فقلت: سل، فقال اخبرنى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هل أوصى قلت: لا. قال: فكيف ولى ابو بكر مجلسه من غير وصّية. فقلت: اختاره المهاجرون والأنصار ورضى به الناس. فقال: كيف أجازه المهاجرون، وقد قال الزبير بن العوام: لا ابايع الا على بن ابى طالب، وكذا العباس وكيف اختاره الانصار، وقد قالت: منّا امير ومنكم امير، وولوا سعد بن عبادة يوم السقيفة. وقال: عمر اقتلوا سعدا قتله الله، وكيف تقول: رضى به الناس

وقد قال سلمان الفارسى «كرديد نكرديد» أى فعلتموها · فوجئت عنقه · و قال أبوسفيان بن حرب لعلى : «مدّ يدك لا بايعك وان شئت ملأتها خيلاً و رجلا» ثم قعد بنوها شم عن بيعة أبى بكر ستّة أشهر · ثم لما ولى أبوبكر الخلافة قال «وليتكم ولست بخيركم» وكيف يتقدم المفضول على الفاضل ولمّا ولى عمر قال «وددت انّى شعرة فى صدر أبى بكر» ثم قال بعد ذلك «كانت بيعة ابى بكر فلتة وقى اللّه الامّة شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه» ثم انّ عمر ردّ السبى الّذى سباه خالد بن الوليد فى ايام ابى بكر · فانّ خالداً تزوّج امرئة مالك بن نويرة فردّها عمر بعد ما ولدت منه · ثم ولّى عمر صهيباً على اصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم و هو عبد لبنى نمر بن قاسط وكلّ هذا تناقض ·

واخبرنى عن عبد الرحمن بن عوف حين ولى عثمان الخلافة واختاره هل ولّاه إلّا وهو يعرفه قلت: نعم · قال : فقد قال عبد الرحمن بعد ذلك ما كنت احبّ أن أعيش حتّى يقول لى عثمان : يا منافق، · فمعرفة عثمان حين نسبه إلى النفاق كمعرفة عثمان اياه إذ ولّاه الخلافة ·

واخبرنى عن عايشة لمّا كانت تحرّض الناس على عثمان يوم الدار و تقول «اقتلوا نعثلاً قتله اللّه فقد كفر» فلمّا ولى على عليه السلام الخلافة قالت: وددت أن هذه سقطت على هذه ـ تعنى السماء على الأرض ثم خرجت من بيتها تقاتل عليّاً عليه السلام مع طلحة والزبير على دم عثمان واللّه تعالى يقول «وقرن فى بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الاولى»[1] وهذه مخالفة للّه تعالى ولمّا قتل عثمان جاء المسلمون والصحابة ارسالاً الى على عليه السلام ليبايعوه · فلم يفعل حتّى قالوا له : واللّه لئن لم تفعل لنلحقنّك بعثمان ، فاخبرنى ايّما آكد من ضرب سعدا ووجأ عنق سلمان كمن جاء الناس يكرهونه على البيعة ـ قال ابو الهذيل فلم احر جواباً وسقط فى يدى ·

(١) الاحزاب : ٣٣ .

ثم قال : فى كم يجب القطع فى السرقة . قلت : فى ربع دينار . فقال : كم اعطاك الذى جئت معه إلى ههنا ـ يعنى المأمون ـ قلت : خمسمائة دينار فقال : يجب أن تقطع أعضائك بحساب ما أخذت قلت : ولم قال : لانك سرقت مال المسلمين . فقلت : الخليفة اعطانى من ماله فقال : واين ماله المال لله تعالى ولعامة المسلمين ، ووالله انك لاحق بهذا السعوط الذى به كل يوم اسعط واحق بالقيد منى ـ قال : ابو الهذيل فخرجت من عنده ، وأنا خجل . فحدثت المأمون حديثه فاستطرفه وبقى زماناً يستعيده منى .

ومن تناقضاته كاستقالته لنفسه وعقده لغيره انه قال للعباس : ان الناس اختاروني عليهم والياً وما انفك يبلغنى عن طاعن يقول : الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجاً . فقال : له العباس : ما ابعد قولك انهم طعنوا عليك من قولك انهم اختاروك ، ومالوا اليك ، وما أبعد تسميتك خليفة رسوله تعالى من قولك خلى رسوله على الناس أمورهم ليختاروا فاختاروك .

ويا عجباً بينا هو وصاحبه يطعنان على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى تأميره أسامة عليهما ويتخلفان عن جيشه مع حث النبى صلى الله عليه وآله وسلم على تجهيزه ، ولعنه المتخلف عنه ينفذه من قبله باسم اجراء امر النبى . قال الجزرى : بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى محرم سنة (۱۱) بعثاً إلى الشام ، وامرهم أسامة بن زيد مولاه ، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين . فتكلم المنافقون فى امارته ، وقالوا : امر غلاماً على جلة المهاجرين والانصار . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ان تطعنوا فى امارته . فقد طعنتم فى امارة أبيه من قبل ، وانه لخليق للأمارة ، وكان ابوه خليقاً لها ، واوعب مع اسامة المهاجرون الاولون منهم ابوبكر وعمر فبينما الناس على ذلك ابتدء بالنبى صلى الله عليه وآله مرضه ـ الخ .

وهو وان اجمل الطاعن الا ان المراد معلوم . فالمنافقون لم يكن لهم اعتقاد بالله ورسوله . فكيف يكون لهم اعتقاد بالمهاجرين والانصار ، وان الرجلين إذ ا

كانا فى مقام التسليم لله ورسوله كيف يغضب لهما غيرهما .

وقال الجرزى أيضاً ـ بعد ذكر بيعة أبى بكر وارتداد جمع، وارادته انفاذ جيش أسامة قال الناس لأبى بكر: ان هؤلاء: أى جيش أسامة جند المسلمين ، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك ، فلا ينبغى ان تفرّق جماعة المسلمين عنك . فقال: والّذى نفسى بيده لوظننت أنّ السباع تخطفنى لانفذت جيش أسامة كما امر النبى . فخاطب الناس وأمرهم بالتجهز للغزو ، وأن يخرج كلّ من هو من جيش اسامة إلى معسكره بالجرف . فخرجوا كما أمرهم ، وحبس أبوبكر من بقى من تلك القبائل الّتى كانت لهم الهجرة فى ديارهم . فصاروا مسالح حول قبائلهم وهم قليل . فلمّا خرج الجيش الى معسكرهم بالجرف، وتكاملوا ارسل أسامة عمر، وكان معه فى جيشه إلى أبى بكر يستأذنه أن يرجع بالناس ، وقال: انّ معى وجوه الناس وجلّتهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله وحرمه والمسلمين أن يتخطفهم المشركون ـ وقال: من مع اسامة من الانصار لعمر ابلغ الخليفة عنّا واطلب اليه ان يولّى امرنا اقدم سنّاً من اسامة . فخرج عمر بامر اسامة الى أبى بكر . فاخبره بما قال أسامة . فقال: لوخطفتنى الكلاب والذئاب لانفذته كما أمر به النبىّ ، ولا اردّ قضاء قضى به النبى ، ولولم يبق فى القرى غيرى . فقال عمر: ان الأنصار تطلب رجلاً اقدم سنّاً من اسامة . فوثب أبوبكر ، وكان جالساً واخذ بلحية عمر ، وقال: ثكلتك امك يا ابن الخطاب استعمله النبى ، وتأمرنى أن اعزله . ثم خرج أبوبكر حتّى اتاهم و اشخصهم ، وشيّعهم . وهو ماش واسامة راكب ـ الى أن قال ـ فلمّا أراد ان ـ يرجع قال لاسامة: أرايت ان تعيننى بعمر . فاذن له ـ الخ .

ولعمر الله هل هذه إلّا صفات أهل النفاق ، وأين كان هذا التصلّب منه فى اجراء حكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وقت حكمه صلى الله عليه وآله وسلم فانه صلى الله عليه وآله وسلم انما حكم بتجهيز جيش أسامة فى حيوته ، وهو وصاحبه كانا من جيشه ، والانسان قد يأمر بشئ لغرض فى وقت ، وبعد ذاك الوقت لا يريده لعدم حصول غرض منه ، ومن أين انّ النبى

صلى الله عليه وآله لم يكن غرضه من بعث اسامة فى شدّة مرضه ، وحثّه عليه كلّما افاق ، ولعنه من تخلّف عنه خروج الرجل وخروج صاحبه حين وفاته حتى لا يبقى حين وفاته فى المدينة مخالف لاميرالمؤمنين عليه السلام .

ومن العجب انّ (حد) قال : وتزعم الشيعة انّ النبى صلى الله عليه وآله كان يعلم موته وانه سيّرابابكر وعمر فى بعث اسامة لتخلوا راالهجرة منهما . فيصفوا الأمر لعلى ـ عليه السلام ويبايعه من تخلّف من المسلمين بالمدينة على سكون وطمانينة . فاذا جاءهما الخبر بموت النبى صلى الله عليه وآله وبيعة الناس لعلى بعده كانا عن المنازعة والخلاف ابعد لانّ العرب كانت تلتزم باتمام تلك البيعة ، وتحتاج فى نقضها الى حروب شديدة . فلم يتمّ للنبى صلى الله عليه وآله ماقدّر وتثاقل اُسامة بالجيش ايّاما مع شدّة حثّ النبى صلى الله عليه وآله على نفوذه وخروجه بالجيش حتى مات النبى صلى الله عليه وآله وهما بالمدينة فسبقا عليا عليه السلام الى البيعة وجرى ماجرى .

قال (حد) وهذا عندى غيرمنقدح لانّه إن كان النبى صلى الله عليه وآله يعلم موته فهو أيضا يعلم انّ ابابكر سيلى الخلافة ، ومايعلمه لا يحترس منه ، وانما يتمّ هذا ويصحّ اذا فرضنا ان النبى صلى الله عليه وآله كان يظنّ موته ، ولا يعلمه حقيقة ، ويظنّ انّ ابابكر وعمر يتمالئان على ابن عمه ، ويخاف وقوع ذلك منهما ولا يعلمه حقيقة ، فيجوز ان كانت الحال هكذا ان ينقدح هذا التوهم ، ويتطرق هذا الظن .

فانّ جوابه ممّا يضحك الثكلى . فان النبى صلى الله عليه وآله فعل ماكان عليه لا تمام الحجّة من الأمر بخروجهما كما انّه فعل ماكان واجبا عليه من الأمر بابتيانه بقلم و صحيفة ليكتب لهم كتاب وصية لئلّا يضلّوا بعده . فان منعه الثانى عن الكتابه و تخلف هو وصاحبه عن الخروج فى جيش اسامة اى شئ يرد على النبى صلى الله عليه وآله .

ثم لو اراد ابوبكر انفاذ امر النبى صلى الله عليه وآله بعده لم يخرج بنفسه ، وكان فى جملتهم كما صرّح به ابن سعد كاتب الواقدى مع نصبه وجهده فى سترما يرد به عار على صدّيقه حتى انه اقتصر فى ذكر بعث النبى صلى الله عليه وآله له للحج ولم يذكر بعثه

لتبليغ (براءة) ليخفى عزله عن الله تعالى .

وكان من اهمية المطلب ان النبى ﷺ مع مرضه عقد اللواء بيده كما صرّح به ابن سعد أيضاً ، ولم لم يخلّ عمر ، وكان مأموراً من النبى ﷺ بالحركة فى ذاك الجيش بالاتفاق لا من اسامة ، واذا كان بيد اسامة حيث طلب منه ترك عمر له فاسامة أراد ترك ذاك الامر كله فلم انكر عليه .

وانما اراد ابوبكر بانفاذ جيش اسامة امرين التباس الامر على العامة بكلماته التى لفّقها من قوله «لو ظننت ان السباع تخطفنى لانفذت جيش اسامة كما امر النبى» والثانى ان يتجلد للعرب ـ قال الجزرى : وكان انفاذ جيش اسامة اعظم الأمور نفعاً . فان العرب قالوا : لو لم تكن لهم قوة لما ارسلوا هذا الجيش . فكفّوا عن كثير مما يريدون ان يفعلوه .

ثم لم يستخلف ابوبكر اسامة وقد امّره النبى ﷺ وانما خدعه هو وصاحبه بان كانا يخاطبانه بايها الأمير ما دام حيوتهما .

ثم واعجباً من ابن قتيبة فى خلفائه يقول فى عنوان «كيف كانت بيعة على (قام عمر مع جماعة فمشوا حتى اتوا بيت فاطمة فدقّوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت باعلى صوتها : يا ابه يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابى قحافة ـ الى ان قال ـ فلحق على بقبر النبى ﷺ يصيح ويبكى وينادى «يا ابن ام انّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى»

وهل معنى ذلك إلّا جعل امير المؤمنين عليه السلام لابى بكر و عمر كالعجل ـ والسامرى ، ومبايعى ابى بكر كعابدى العجل ، وان الرجلين واتباعهما اراد واقتل امير المؤمنين عليه السلام لانكاره امرهم وبيعتهم لابى بكر ـ ثم يقول ابن قتيبة فى آخر كلامه « فلمّا تمّت البيعة لابى بكر اقام ثلاثة ايام يقبل الناس و يستقيلهم يقول قد اقلتكم فى بيعتى هل من كاره هل من مبغض فيقوم على فى اول الناس فيقول والله لا نقيلك ولا نستقيلك ابداً قدّمك رسول الله لتوحيد ديننا من ذا الّذى يؤخرك

لتوجیه دنیانا» .

فهل کان امیرالمؤمنین علیه السلام شطّاراً یقول الامس ما مرویقول الیوم ماقال انا استحیی لهذا الرجل من هذا التناقض اولا واخیراً ، وانما مانسبه الیه علیه السلام هو کلام عمر لابی بکر . فلمّا اراد عقد البیعة لهقال له «قدّمك النبی لدیننا ـ یعنی فی صلوته بالناس ـ أفلانرضاك لدنیانا ـ یعنی خلافة النبی» .

ومن العجب انّ (حد) قال : ومن الناس من انکر استقالة ابی بکر ، و قال انما قال ابوبکر «ولّیتکم ولست بخیرکم» هب جحدوا وانکروا النص علی امیرالمؤمنین علیه السلام کیف یجحدون ماقاله صدّیقهم فی الملاء ، وعلی رؤوس الاشهاد . فیالله لهؤلاء تارة ینکرون أصل ماتواترعن أولهم وأخری یضعون أنّ أمیرالمؤمنین علیه السلام لم یقبل منه استقالته

وکیف یقول (حد) ماقال وقد روی ابن قتیبة مع نصبه استقالة ابی بکر مرّتین ثانیتهما ـ بعد ذکرعیادته مع صاحبه عمرلسیدة نساء العالمین وذکر اخذها علیها السلام اقرارهما بقول النبی صلی الله علیه وآله وسلم فیها «سخط فاطمة من سخطی وسخطی سخط الله» وذکرقولها علیها السلام لابی بکر «لادعونّ الله علیك فی کل صلوة اصلیها ـ قال فخرج ابوبکرباکیاً وقال لا حاجة لی فی بیعتکم اقیلونی بیعتی» .

لشدّ ماتشطراضرعیها» الضرع للحیوان کالثدی للمرئة ، والشطرالنصف قال فضالة بن شریك فی اعورمن بنی شطیر :

لنصف امرئ من نصف حیّ یسبّنی × لعمری لقد لاقیت خطبا من الخطب

جعله نصف امرئ لکونه اعور ، ومن نصف حیّ لکونه من بنی شطیر . و یقال «ولد فلان شطره» : أی نصف ذکورونصف اناث ، ویقال «شعرشطران» : أی نصفه اسود ونصفه ابیض ـ ومعنی کلامه علیه السلام ان کلا من الاول والثانی اخذ بالشدّة ضرعاً من ضرعی الخلافة .

ثم الظاهران (ما) فی (شدّما) للتعجب فیکون (شدّما) فی معنی (ما

اشد) ـ وقال (حد) (شدّما) أى صار شديداً كما انّ (حبّذا) معناه صار حبيبا)

وهو كما ترى فانّ معنى (شدّما) ان الشئ كان فى غاية الشدّة يشهد له موارد استعماله من كلامه عليه السلام وكلام آخرين . فقالوا فى قصّة بهرام جور و جاريته التى اقترحت عليها شياء صعبة انها اخذها وضرب بها الارض وقال لها « لشدّ ما اشتطّت علىّ لاظهارعجزى » .

وفى الاغانى اعطى عبد اللّه بن الحشرج لمّا كان أمير خراسان الناس كلّ شئ له حتّى منشفة عليه وفراشه ولحافه فقالت له امرأته لشدّ ما يتلاعب بك الشيطان

وفى الطبرى بعث المنصور باقياد لتقييد بنى الحسن ، وفيها قيد ثقيل كلّما قرب من واحد منهم استعفى . فقال على بن الحسن المثنى « لشدّ ما جزعتم » ومدّ رجليه فقيد به

وفى انساب البلاذرى كان مسلم بن عمرو الباهلى ابو قتيبة بن مسلم ندماً ليزيد بن معاوية يشرب معه ويغنّيه . فلمّا عزل يزيد بن المهلب وكان ابوه ذا سابقة فى الحروب مع الخوارج ـ عن خراسان وولّيها قتيبة قال شاعر :

شتان من بالصبح ادرك والّذى ادرك بالسيف والحروب تسعّر

ولما اوفد سعد بن ابى وقاص عمرو بن معد يكرب بعد فتح القادسية الى عمر ، واثنى عليه فى كتابه . فسأله عمر عن سعد ، فاثنى عمرو عليه فقال له عمر لشدّ ما تقارضتما الثناء .

وقال الأشعث بن قيس لشريح القاضى فى كلام دار بينهما لشدّ ما ارتفعت .

ولمّا قرء يزيد كتاباً للحسين عليه السلام فى معنى حجر و عمرو بن الحمق الى معاوية قال لابيه : لشدّ ما فخر عليك الحسين . وقال شاعر :

لشدّ ما نال منّى الدهر واعتلقت × يد الزمان واوهت من قوى مررى

وقال اعرابى :

فلمّا كتمت الحبّ قالت لشدّ ما × صبرت وما هذا بفعل شجى القلب

وقال الفضل بن سهل لطاهر بن الحسين لشدّ ما سموت :

هذا وقريب من قوله عليه السلام «لشدّ ما تشطرا ضرعيها» قول رجل من ولد ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس لمروان الحمار :

مريت يا مروان اطباءها × حتى استمرّت بدم حائل

وقول السلولى :

وذمّوا لنا الدين اوهم يرضعونها × أفاويق حتّى ما يدرّ لها ثعل

والثعل بالضم خِلف زائد لا يدرّ ، وانما ذكره مبالغة والخِلف حلمة الضرع

روى المفيد فى امالیه عن الربيع بن المنذر قال : سمعت الحسن بن على عليه السلام يقول انّ ابا بكر و عمر عمدا الى هذا الامر و هو لنا كلّه فاخذاه دوننا ، و جعلا لنا فيه سهماً كسهم الجدّة اما و اللّه لتهمنّهما انفسهما يوم يطلب الناس فيه شفاعتنا .

والظاهر ان المراد بقوله عليه السلام (كسهم الجدّة) انهما جعلا لهم من الخلافة وباقى حقوقهم مجرّد طعمه كالجدّة مع الوالدين .

«فصيّرها فى حوزة خشنا» قال الزبير بن بكار : كان عمر اذا غضب على بعض اهله لم يسكن غضبه حتى يعضّ يده عضّاً شديداً ويدميها .

وقالوا : كان سوط عمر أهيب من سيف الحجاج ، وكان الحجاج يتشبه بزياد ، وكان زياد يتشبه بعمر .

ولما اراد عمر منع زياد عن اقامة الشهادة على المغيرة ، وراه أقبل صاح به صيحة حكاها المشاهد للراوى ـ كما رواه ابو الفرج الاصبهانى ـ فكاد أن يغشى عليه .

وجعله ابو بكر قاضياً فى خلافته . فمكث سنة لم يخاصم اليه أحد .

وجائت إليه سريّة لابنه عبيد اللّه . فقالت له : ألا تعذرنى من أبى عيسى قال : ومن أبو عيسى . قال : ابنك عبيد اللّه ، وقال : ويحك وتكنّى بابى عيسى ، و

دعاه . فقال : ويحك اكتنيت بابى عيسى . فحذ روفزع . فاخذ يده . فعضها حتى صاح ثم ضربه ، وقال : ويلك هل لعيسى اب ماتدرى ماكنى به العرب ابوسلمة ابوحنظلة ابوعرفطة ابومرة .

وفى الخلفاء قال عمربن ميمون : شهدت عمربن الخطاب يوم طعن فما منعنى ان اكون فى الصف الاول إلا هيبته . فكنت فى الصف الذى يليه ـ وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه . فان راى رجلاً متقدماً من الصف او متأخراً ضربه بالدرة . فذلك الذى منعنى من التقدم . فاقبل لصلوة الصبح وكان يغلس بها . فعرض له ابولؤلؤة غلام المغيرة فطعنه ـ الخ .

وعد معارف ابن قتيبة فى « عنوان من كان على دين قبل مبعث النبى ـ صلى الله عليه وآله » زيد بن عمروبن نفيل . قال : كان زيد رغب عن عبادة الاوثان وطلب الدين . فاولع به عمر ـ وكان ابن عمه ، وسلط عليه سفهاء مكة . فآذوه ـ فخرج الى الشام . فقتله النصارى هناك .

وفى سيرة ابن هشام ـ فى حديث ام عبد الله عن اسلام عمر ـ قال لها زوجها اطمعت فى اسلام عمر . قالت : نعم قال : فلا يسلم الذى رايت حتى يسلم حمار الخطاب ـ قالت : قال ذلك ياساَمنه عن الاسلام لما كان يرى من غلظته وقسوته .

وفى اسد الغابة روى مجاهد عن ابن عباس قال سألت عمر عن اسلامه . فقال : خرجت بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام فإذا فلان المخزومى ، وكان قد اسلم . فقلت : تركت دين آبائك واتبعت دين محمد . فقال : ان فعلت فقد فعله من هو اعظم عليك حقاً منى . قلت : من هو ؟ قال : اختك وختنك : أى سعيد بن زيد قال : فانطلقت . فوجدت الباب مغلقاً ، وسمعت همهمة . ففتح الباب . فدخلت فقلت : ماهذا الذى اسمع ؟ قالت : ماسمعت شيئاً . فما زال الكلام بيننا حتى اخذت برأس ختنى فضربته فادميته ـ الخ .

وفى سيرة ابن هشام مرّ ابوبكر بجارية بنى مؤمل ـ حىّ من بنى عدى بن كعب ـ وكانت مسلمة ، وعمر يعذّبها لتترك الاسلام ، وهو يومئذٍ مشرك يضربها حتّى اذا ملّ قال انى اعتذر اليك انى لم اتركك إلّا ملالة فتقول كذلك فعل اللّه بك .

وفيه مسندا عن عمر قال : مررت بهشام بن حكيم بن حزام ، وهو يقرء سورة الفرقان فى حيوة النبى ﷺ فاذا هو يقرء على حروف لم يقرئنيها النبى ، فكدت اساوره فى الصلوة . فنظرت حتّى سلّم . فلبّبته بردائه . فقلت : من اقرأك هذه السورة . قال ، النبى ﷺ : فقلت له ، كذبت انّه أقرأنى هذه السورة . فانطلقت أقوده إلى النبىّ . فقلت : انّى سمعت هذا يقرء السورة على حروف لم تقرئنيها فقال النبى : ارسله ياعمر اقرء ياهشام . فقرء . فقال النبى : هكذا انزلت ـ الخ .

وفى الاستيعاب لمّا مات سعد بن معاذ جعلت امّه تبكى . فقال لها عمر : انظرى ما تقولين . فقال النبى ﷺ : دعها ياعمر كل باكية مكذوبة إلّا امّ سعد ما قالت من خير فلن تكذب .

وفى العقد الفريد مرّ النبى ﷺ بنسوة من الأنصار يبكين ميّتا فزجرهن عمر فقال له النبى ﷺ : دعهن ياعمر فان النفس مصابة والعين دامعة ، والعهد قريب .

و رووا أيضاً انّ عمر سمع صوت بكاء فى بيت فدخل وبيده الدرّة . فمال عليهم ضرباً حتّى بلغ النائحة فضربها حتّى سقط خمارها . ثم قال لغلامه اضرب النائحة ويلك اضربها . فانها نائحة لا حرمة لها انها لا تبكى لشجوكم انها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم أنّها تؤذى أمواتكم فى قبوركم ، واحياكم فى دورهم انها تنهى عن الصبر ، وقد امر اللّه به ، وتامر بالجزع ، وقد نهى اللّه عنه .

قلت : لم ينته الرجل بنهى النبى ﷺ فآذى المصابات المرحومات ، و قوله « تؤذى أمواتكم » خلاف قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى »[1] وكيف

(۱) فاطر : ۱۸ .

وقد أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء على عمّه حمزة ، وبكى النبى صلى الله عليه وآله وسلم نفسه على ابرهيم ابنه وقال «يحرق القلب ، وتدمع العين ، ولا نقول ما يسخط الرب» وكسب النائحة اذا لم يكن من النوح بالباطل حلال .

وقال ابو عبد الله عليه السلام لما مات عبد الله بن ابىّ بن سلول حضر النبى صلى الله عليه وآله جنازته فقال له عمر : ألم ينهك الله ان تقوم على قبره . فسكت النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فقال عمر ثانية : ألم ينهك الله ان تقوم على قبره . فقال له النبى صلى الله عليه وآله : ويلك ، ومايدريك ما قلت انّى قلت «اللهم احش جوفه ناراً و املأ قبره ناراً» فابدى عمر من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ماكان يكره ابداءه .

قلت : ومن الغريب انّ العامّة نقلوا هذه القصّة هكذا «انّ عبد الله بن ابىّ لمّا توفّى جاء ابنه واهله الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وسألوه ان يصلّى عليه . فقام بين يدى الصفّ يريد ذلك فجاء عمر . فجذب به من خلفه ، وقال له : الم ينهك الله ان تصلّى على المنافقين . فقال : انّى خيّرت فاخترت فقيل لى «استغفر لهم اولا تستغفر ان تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم» ولو اعلم انى اذا زدت على السبعين غفر له لزدت ثم صلّى عليه ومشى معه ، وقام على قبره . فعجب الناس من جرأة عمر على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلم يلبث الناس ان نزل قوله تعالى «ولا تصلّ على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره»[1] فلم يصلّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أحد من المنافقين .

فاراد وا تبديل قدحه بمدح إلّا انّهم لم يتفطنوا لتناقض صدر كلامهم وذيله فيقولون اولا : انّ عمر جذب النبى من خلفه فى صلوته على الرجل ، وقال له : الم ينهك الله عن ذلك فى قوله «ولا تصلّ على أحد منهم» ويقولون اخيراً : انه نزل قوله «ولا تصلّ على احد منهم» تصديقاً لعمر .

ونظيره ما رووا له انه لمّا اسر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بدر سبعين من المشركين ـ استشار جمعاً من اصحابه فيهم ابوبكر و عمر فى امرهم . فقال ابوبكر : هؤلاء بنو العم

(١) التوبه : ٨٧ .

والعشيرة والاخوان أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على المشركين ، وعسى الله أن يهديهم بعد اليوم . فيكونوا لنا عضداً . فقال النبى لعمر ما تقول أنت؟ قال : أرى ان تمكننى من فلان ـ قريب لعمر ـ فاضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل . فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من اخيه العباس . فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين اقتلهم فانهم صناديد هم وقادتهم فلم يهوا لنبى ما قاله عمر وهوى ما قاله ابوبكر . فاخذ منهم الفدية ، وخلى سبيلهم فانزل عليه ما انزل قال عمر : فجئت الى النبى . فوجدته قاعداً وابوبكر يبكيان . فقلت : ما يبكيكما حدثانى . فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت . فقال النبى : ابكى لاخذ الفداء لقد عرض علىّ عذابكم ادنى من هذه الشجرة ـ لشجرة قريبة قال ابن عمر : قال النبى : كدنا ان يصيبنا شر فى مخالفة عمر .

فإنه إذا كان عمر هو الذى يوافق مراده مراد الله ، والنبى ﷺ خالفه كان عمر أولى بالنبوة ، ولم يكن قوله تعالى « الله اعلم حيث يجعل رسالته »(١) بحق ، وايضاً لم يقول النبى ﷺ لعمر عرض علىّ عذابكم وكان الواجب عليه أن يقول له عذابى وعذاب أمتى غيرك .

وكذا ما رووا أن أبا هريرة قال : كنا قعوداً حول النبى فقام من بين أظهرنا . فابطأ علينا . فخشينا ان يقتطع دوننا ففزعنا ، وكنت اول من فزع فخرجت ابتغيه حتى اتيت حايطاً لقوم من بنى النجار فلم أجد للحايط باباً الا ربيعاً أى جدولا ، فدخلت فى جوف الحايط بعد ان احتفرته . فاذا النبى . فقال : ما شأنك قلت : كنت بين أظهرنا . فقمت وابطأت فخشينا ان تقتطع دوننا ففزعنا ، وكنت اول من فزع فاتيت هذا الحايط . فاحتفرت كما يحتفر الثعلب ، والناس ورائى فقال : اذهب بنعلىّ هاتين فمن لقيته وراء هذا الحايط يشهد ان لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشّره بالجنة ـ إلى أن قال ـ قال ابوهريرة فضرب عمر فى

(١) الانعام : ١٢٤ .

صدري فخررت لاستي ، وقال : ارجع الى النبي . فاجهشت بالبكاء راجعا ـ الى أن قال ـ فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذ أعمر ، فقال : ما حملك يا عمر على ما فعلت ؟ فقال عمر : انت بعثت اباهريرة بكذا قال : نعم . قال : فلا تفعل فاني أخشى ان يتكل الناس عليها فيتركوا العمل خلهم يعملون . فقال النبي : خلهم يعملون .

فلم يتفطنوا أنّ ما وضعوه للرجل يكذب الله تعالى في قوله ـ جلّ وعلا ـ « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى »[1] ويستلزم ان يكون عمر اعرف بمصالح الناس ومفاسدهم من الله تعالى ورسوله .

هب ذلك كله لم ضرب اباهريرة ضرباً خرلاسته واجهش بالبكاء هل فعل ابوهريرة ما فعل إلّا بامر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على نقلهم ، ولم لم يطلب منه الكف بلا اذية حتى يراجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وكذا روى الغزالي انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً وعنده جواريتغنين ويلعبن فجاء عمر فاستأذن . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسكتن فسكتن فدخل عمر فقضى حاجته ثم خرج فقال لهنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدن إلى الغناء . فقلن : يا رسول الله من هذا الذي لما جاء قلت : اسكتن ، ولمّا خرج قلت : عدن إلى الغناء قال : هذا رجل لا يوثر سماع الباطل .

فيا لله من هذه الاحاديث الخبيثة التي غرستها الشجرة الملعونة في القرآن الاموية في قلوب هؤلاء . فيجعلون عمر أورع وأعرف ، وأفضل من رسول رب العالمين .

ثم الغريب انهم تارة يروون كونه أفضل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم واخرى يروون كفره وارتداده . فقالوا لما كتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديبية كتاب الصلح بينه وبين سهيل بن عمرو على ان من خرج من المسلمين الى قريش لا يرد ومن خرج من المشركين الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يردّ اليهم غضب عمر ، وقال لأبي بكر : ما هذا ايرد

(١) النجم : ٣ .

المسلمون الى المشركين ثم جاء الى النبى ﷺ فجلس بين يديه ، وقال : الست رسول الله حقا ؟ قال : نعم . قال : ونحن المسلمون حقا ؟ قال : نعم . قال : و هم الكافرون ؟ قال : نعم . قال : فعلى م نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال النبى : أنا رسول الله أفعل ما يأمرنى الله به ، ولن يضيعنى . فقام عمر مغضباً ، وقال : والله لو أجد أعواناً ما اعطيت الدنية أبدا ، وجاء الى ابى بكر . فقال له : أو ما وعدنا انه سيدخل مكة . فاين ما وعدنا به . فقال له ابو بكر : أقال لك : انه العام يدخلها : قال : لا . قال : فسيدخلها . قال : فما هذه الصحيفة التى كتبت ، وكيف نعطى الدنية من انفسنا . فقال ابو بكر : يا هذا الزم غرزه . فوالله انه لرسول الله ان الله لا يضيعه . فلما كان يوم الفتح ، واخذ النبى ﷺ مفاتيح الكعبة . قال : ادعوا لى عمر . فجاء . فقال : هذا الذى كنت وعدتكم .

إلّا أنّ الاولى روايات مفتعلة يكذ بها العقل ، والاخيرة روايات صحيحة يشهد لها الدراية ، ولذا قال النظام كما نقله ملل الشهرستانى : ان قول عمر ذاك شك فى الدين ، ووجدان خرج فى النفس مما قضى وحكم . بل هو نفسه اقرّ بشكه فى ذاك اليوم كما رووا .

وفى الطبرى خطب عمر أم أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته ، وقالت : يغلق بابه ، ويمنع خيره . يدخل عابساً ويخرج عابساً .

وفيه خطب عمر الى عايشة أم كلثوم بنت أبى بكر . فقالت أم كلثوم : لا حاجة لى فيه . فارسلت عايشة الى عمرو بن العاص فاخبرته . فقال : أنا اكفيك . فاتى عمر . فقال : بلغنى خبر اعيذك بالله منه . قال : وما هو ؟ قال : خطبت أم كلثوم بنت أبى بكر . قال : نعم افرغبت بى عنها أم رغبت بها عنّى ؟ قال : لا واحد قولكنها حدثة نشأت تحت كنف عايشة فى لين ورفق ، وفيك غلظة ، ونحن نهابك ، و ما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك . فكيف بها ان خالفتك فى شئ فسطوت بها كنت قد خلّفت ابا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك ـ الخ .

وفى صحيح البخارى فى (باب خروج النساء الى البراز) عن عايشة قالت: انّ أزواج النبى كنّ يخرجن بالليل اذا تبرزن إلى المناصع ـ وهو صعيد أفيح ـ فكان عمر يقول للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : احجب نسائك . فلم يكن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يفعل . فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبى ليلة ، وكانت امرئة طويلة . فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب .

قلت: على ما اصلحوا له الخبر بكون عمله ذاك حرصاً على نزول الحجاب كان عمر أعلم بالحكم من اللّه تعالى فضلاً عن رسوله .

وفى خلفاء ابن قتيبة دخل المهاجرون والأنصار على أبى بكر حين بلغهم انه استخلف عمر . فقالوا : نراك استخلفت علينا عمر ، وقد عرفته ، وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا . فكيف إذا ولّيت عنّا وأنت ملاق اللّه ـ عزّوجلّ ـ و فسائلك . فما أنت قائل . فقال ابوبكر: لئن سألنى اللّه لاقولن له استخلفت عليهم خيرهم فى نفسى .

قلت: جواب ابى بكر للمهاجرين والانصار كجواب معاوية لعايشة لمّا قالت له : ما تقول اللّه اذا سألك عن قتل حجر بن عدى مع مقامه فى العبادة قال لها دعينى وحجراً حتى نلقى ربنا انّى رأيت قتله صلاحاً للامة .

وفى عيونه تقدمت امرئة إلى عمر . فقالت « يا اباعمر حفص اللّه لك » أراد أن تقول « يا اباحفص عمرك اللّه » فقال عمر : مالك أعقرت ؛ أى دهشت قالت « صلعت فرقتك » أراد ت أن تقول « فرقت صلعتك » .

وفى الطبرى لمّا اتى كتاب أبى بكر الى خالد بن الوليد بالحيرة ان يمدّ اهل الشام قال : هذا عمل الاعيسر ابن ام شملة ـ يعنى عمر ـ حسد نى أن يكون فتح العراق على يدى .

وفى الطبرى قال الفضل بن العباس : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مرضه : أيها الناس من خشى من نفسه شيئاً فليقم ادع له . فقام رجل فقال : ان من شئ إلّا

وقد جئته . فقام عمر . فقال : ايّها الرجل فضحت نفسك . فقال النبى ﷺ : يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة اللهم صيّر أمره إلى خير .

وفى أدب كاتب الصولى اقطع ابوبكر طلحة ارضاً وكتب له كتاباً واشهد له ناساً فيهم عمر . فأتى طلحة عمر بالكتاب ليختمه . فقال : هذا كلّه لك دون الناس لا أختم هذا فرجع طلحة مغضباً إلى أبى بكر . فقال : أنت الخليفة أم عمر .

وفيه ، واقطع ابوبكر لعيينة بن حصن الفزارى قطيعه ، وكتب له بها كتاباً فاتى عيينة عمر . فاعطاه الكتاب فبصق فيه ومحاه .

« يغلظ كلمها » قال الجوهرى الكلم الجراحة ، وقرأ بعضهم « دابة من الأرض تكلمهم » بالتخفيف : أى تجرحهم .

ولابى سعيد الخوارزمى فى وصف رجل (جعل لسانه سنانه ، واشفار عينيه الصلبة شفاره . فاذا تكلّم كلم بلسانه أكثر مما يكلم بسنانه ، واذا لمح ببصره جرح القلوب بلحظه أشدّ ممّا جرح الآذان بلفظه يظهر للناس فى زى مظلوم وانّه لظالم ويشكو اليهم وجع السليم وهو سالم .

وفى لسان العرب فى (كمم) يروى انّ عمر رأى جارية متكمكمة . فسأل عنها فقالوا : امة آل فلان . فضربها بالدّرة . وقال : يا لكعاء أتشبّهين بالحرائر) قال : اراد وا بمتكمكمة متكمّمة . فضاعفوا ، واصله من الكمة ، وهى القلنسوة . فشبّه عمر قناعها بها .

وفى كامل الجزرى ارتد ابوشجرة السلمى ، وهو ابن الخنساء فى من ارتدّ من سليم وقال ابياتاً منها .

فرويّت رمحى من كتيبة خالد × وإنّى لأجوبعدها أن أعمّرا

ثم انه اسلم . فلمّا كان زمن عمر قدم المدينة فرآه يقسم فى المساكين . فقال : اعطنى فانّى ذو حاجة . فقال : ومن أنت؟ قال : انا ابوشجرة . قال : أى عدو الله لا والله الست القائل « فرويت رمحى » ـ البيت . وجعل يعلو رأسه بالدرة فسبقه

عدواً إلى ناقته . فركبها ولحق بقومه ، وقال :

ضنّ علينا أبو حفص بنـائله × وكلّ مختبط يوماً له ورق

وفى استيعاب ابى عمر كان سواد بن قارب يتكهّن فى الجاهلية . فقال له عمر يوماً : مافعلت كهانتك يا سواد . فغضب سواد ، وقال : ماكنّا عليه نحن وأنت يا عمر من جهلنا وكفرنا شرّ من الكهانة . فما لك تعيّرنى بشئ تبت منه .

وفى الطبرى فى غزوة هوازن «ولمّا سمع بهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث إليهم عبد الله بن ابى حدرد الأسلمى وأمره أن يدخل حتّى يأتيه بخبر منهم فانطلق فاقام حتّى علم ما أجمعوا له من حرب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاتاه فاخبره . فدعا النبى صلّى الله عليه وآله عمر ، وأخبره خبر ابن أبى حدرد . فقال عمر : كذب . فقال ابن أبى حدرد لعمر : ان تكذّبنى . فطال : ماكذّبت بالحق يا عمر .

«ويخشن مسّها» فى عيون ابن قتيبة عن عمّ الأصمعى قال : كلّم النـاس عبد الرحمن بن عوف أن يكلّم عمر فى أن يلين لهم . فانّه قد أخافهم حتّى انّه قد أخاف الابكار فى خدورهن . فقال عمر : انّى لا أجد لهم إلّا ذلك انّهم لو يعلمون ما لهم عندى لاخذوا ثوبى عن عاتقى .

«وفى خلفائه خطب عثمان . فقال : ونقمتم علىّ أموراً قد أقررتم لابن الخطاب مثلها ولكنّه دفعكم وقمعكم ، ولم يجترئ أحد يملأ بصره منه ولا يسرّ ـ بطرفه اليه» .

«ويكثر العثار فيها» قال النظام ـ وهو أحد شيوخ المعتزلة ـ إبداع عمر التراويح ونهيه عن متعة الحج ، ومصادرته العمّال ، وتغريبه نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة كلّ ذلك احداث .

وفى حلية ابى نعيم قدم سلمان الفارسى من سفر فتلقاه عمر . فقال له : ارضاك الله عبداً . قال : فبرّ حاجتى . فسكت عنه . فقال له سلمان : اترضانى لله عبداً ، ولا ترضانى لنفسك .

وفی استیعاب ابی عمر أنّ النبی صلی الله علیه وآله وسلم اشتری سلمان من قوم یهود بکذا وکذا درهماً، وعلی أن یغرس لهم کذا وکذا من النخل یعمل فیها سلمان حتّی تدرك. فغرس النبی صلی الله علیه وآله وسلم النخل کلّه إلّا نخلة واحدة غرسها عمر. فاطعم النخل کلّه إلّا تلك النخلة. فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: من غرسها. فقالوا: عمر. فقلعها النبی صلی الله علیه وآله وغرسها. فاطعمت من عامها.

و روی العیاشی عن أبی بکر بن حزم أنّ رجلاً توضأ. فمسح علی خفّیه. ـ فصلّی. فجاء علی علیه السلام فوطأ علی رقبته. فقال: ویلك تصلّی علی غیر وضوء فقال أمرنی عمر. فأخذ بیده فانتهی إلیه به. وقال: انظر ما یروی هذا علیك ـ و رفع صوته ـ فقال: نعم أنا أمرته أنّ النبیّ مسح قال: قبل المائدة أو بعدها؟ قال: لا ادری. قال: فلم تفتی، وأنت لا تدری سبق الکتاب الخفین.

و روی الخطیب فی تاریخ بغداد أنّ عمر خطب الناس بالجابیة فقال «إنّ الله یضلّ من یشاء ویهدی من یشاء» فقال قسّ من تلك القسوس: ما یقول أمیرکم هذا. فقالوا: یقول «ان الله یضلّ من یشاء ویهدی من یشاء» فقال القسّ برقست الله أعدل من أن یضلّ أحداً. فبلغ ذلك عمر. فبعث الیه. فقال: بل الله اضلّك ولولا عهدك لضربت عنقك.

قلت: اللفظ وان ورد فی القرآن إلّا انّه من الآیات المتشابهة الّتی لا یجوز الأخذ بظاهرها، ویجب تأویلها بدلالة العقل، وقد دلّ الله تعالی علی المراد بعده بقوله «وما یضلّ به إلّا الفاسقین» الّذین ینقضون عهد الله من بعد میثاقه ویقطعون ما أمر الله به أن یوصل ویفسدون فی الأرض أولئك هم الخاسرون»[1].

وفی اخبار حکماء القفطی کان یحیی النحوی دخل علی عمرو بن العاص لمّا فتح مصر والاسکندریة، وسمع منه عمرو کلامه فی ابطال التثلیث الّذی یعتقده یعقوبیة النصاری اعجبه فلازمه. فقال له یحیی یوماً: انك احطت بحواصل ـ

(۱) البقرة: ۲۷.

الاسكندرية . فما كان لك به انتفاع لا اعارضك ، وأما ما لا نفع لكم به فنحن أولى به . فقال له عمرو : وما الذى تحتاج إليه قال : كتب الحكمة فى الخزائن الملوكية ـ ثم ذكر له قصّة جمعها ـ فعجب منه عمرو ، وقال له : لا يمكننى أن آمر فيها بأمر إلّا بعد استيذان عمر . فكتب إلى عمر ، وعرفه قول يحيى . فكتب إليه عمر « أما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب اللّه . ففى كتاب اللّه عنه غنى ، وان كان فيها ما يخالفه فلا حاجة إليها فتقدم باعدامها » فشرع عمرو فى تفرقها على حمامات الاسكندرية واحراقها فى مواقدها ، وذكروا انها استنفدت فى مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب .

قلت : كتب الطب ، وكثير من الفنون ليست مخالفة القرآن ولا موافقته لاختلاف موضوعها إلّا أنّ الرجل لم يكن له علم بكتاب اللّه ولا بكتاب آخر .

و روى الخطيب فى عنوان (الهياج) عن الخدرى . قال خطبنا عمر . فقال انّى لعلّى أنهاكم عن أشياء تصلح لكم ، وآمركم بأشياء لا تصلح لكم ، وانّ من آخر القرآن نزولا آية الربوا ما ت النبى صلى اللّه عليه وآله ولم يبيّنها لنا ـ قلت : قوله هذا يكذّب قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم »[1] .

وفى أذكياء ابن الجوزى قال عمر : لا تزيدوا فى مهر النساء على أربعين أوقية وان كانت بنت ذى الغصة ـ يعنى يزيد بن الحصين الذى رأس بنى الحارث مائة سنة ـ فمن زاد القيت الزيادة فى بيت المال . فقالت امرئة من صفّ النساء ـ طويلة فى أنفها فطس : ماذا لك ؟ قال : ولم قالت لانّ اللّه ـ عزّوجلّ ـ قال : « وآتيتم إحديهنّ قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا »[2] فقال عمر : امرئه اصابت ، ورجل اخطأ

و رواه (حد) وفى روايته . فقال عمر : كل الناس أفقه من عمر حتّى ربّات

---

(١) المائدة : ٣ .

(٢) النساء : ٢٠ .

الحجول ألا تعجبون من إمام أخطأ، وامرئة أصابت ناضلت إمامكم فنضلته.

وقال (حد) مرّ عمر يوماً بشابّ من فتيان الأنصار، وهو ظمآن فاستسقاه فحدج لماء بعسل فلم يشربه، وقال: انّ اللّه تعالى يقول «اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا»[1] فقال الفتى، انها واللّه ليست لك اقرء ما قبلها «ويوم يعرض الّذين كفروا على النار اذهبتم طيّباتكم في حيوتكم الدنيا»[2] افنحن منهم. فشرب و قال، كلّ الناس أفقه من عمر.

وقال (حد) أيضاً وقيل: انّ عمر كان يعسّ بالليل. فسمع صوت رجل وامرئة في بيت فارتاب فتسوّر الحايط. فوجد رجلاً وامرئة، وعندهما زق خمر. فقال: يا عدو اللّه اكنت ترى انّ اللّه يسترك، وأنت على معصيته. فقال: ان كنت اخطأت في واحدة. فقد اخطأت في ثلاث: قال تعالى «ولا تجسّسوا»[3] وقد تجسّست وقال «واتوا البيوت من أبوابها»[4] وقد تسوّرت، وقال «فاذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أهلها»[5] وما سلّمت.

وقال (حد) أيضاً كان الناس بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم يأتون الشجرة الّتى كانت بيعة الرضوان تحتها فيصلّون عندها. فقال عمر: أراكم أيّها الناس رجعتم إلى العزّى الا لا اوتى منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلّا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد ثم امر بها فقطعت.

قلت: وعلى ما رأى تكون الصلوة في مقام ابرهيم عليه السلام رجوعاً إلى اللات والمنات

و روى الواحدى في تفسيره الوسيط وابو نعيم في حليته عن أبى عسيب مولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً فدعانى فخرجت إليه. ثم مر بابى بكر فدعاه فخرج اليه. ثم مر بعمر. فدعاه فخرج اليه. ثم انطلق يمشى، ونحن معه حتّى دخل حايطاً لبعض الانصار. فقال لصاحبه: اطعمنا بسراً. فجاء بعذق.

---

(١) الاحقاف: ٢٠. (٢) الحجرات: ١٢.
(٣) البقرة: ١٨٩. (٤) النور: ٦١.

فوضعه . فأكل النبى ﷺ وأصحابه ثم دعا بماء فشرب . ثم قال : إنكم لمسئولون عن هذا يوم القيامة ، فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر نحو وجه النبى ﷺ ثم قال : إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة قال : نعم إلا عن ثلاث خرقة يوارى بها الرجل عورته أو كسرة يسد بها جوعته ، أو جحر يدخل فيه من الحر والبرد .

وعن جمع صحيحى الحميدى فى الخبر ٣٤ من مسند عايشة قالت : اعتم النبى صلى الله عليه وآله بالعشاء حتى ناداه عمر للصلوة . فقال : نام الصبيان والنساء ـ وفى رواية ابن شبيب ـ ان النبى ﷺ قال «وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله»[1] وذلك حين صاح به عمر بن الخطاب .

و روى الخطيب فى محمد بن على السجستانى عن فاطمة بنت قيس الفهرية قالت : طلقنى زوجى ثلاثاً . فلم يجعل النبى ﷺ لى سكنى ولا نفقة فرفع ذلك الى عمر . فقال : لا ندع كتاب الله لقول امرئة لعلها نسيت .

وأقول : الكتاب انما جعل السكنى والنفقة للرجعية تكون عنده لعل الله يحدث بعد ذلك امراً . فيراجعها وترجع إليه لا التى لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، ولكن الرجل لم يكن من أهل فهم الكتاب فلم رد السنة .

وأم مؤمنيهم أيضاً كذبتها كفاروقهم ، وكذب بها مروان تبعاً لهما فاحتجت ـ بالآية . فكانت أفقه من امامهم ومن صديقتهم روى ذلك سنن ابى داود

و روى الكافى أن موضع مقام ابرهيم عليه السلام كان عند جدار البيت ، فحوله أهل الجاهلية إلى المكان الذى هو فيه اليوم . فلما فتح النبى ﷺ مكة رده الى الموضع الذى وضعه فيه ابرهيم عليه السلام فلما ولى عمر رده الى مكان أهل الجاهلية .

وقال ابو موسى كما فى اسد الغابة ـ روى ابن شاهين باسناده ، عن ابن اسحق ، عن ابن شهاب قال : حدثت عن المغيرة . قال : قدمت على عمر . فوجدته لا يورث الجدتين ، ولا يورث الورثة من الدية شيئاً . فقلت له : قد عرفت خصماء اتوا النبى ﷺ يعنى فى الجدة فورثها ، وقلت له : كان حمل بن مالك الهذلى تحته

امرأتان احداهما حبلى ، وانّ امرأته الاُخرى قتلت الحبلى . فرفع أمرهما إلى النبى صلى اللّه عليه وآله فقضى أن يعقل عن القاتلة عصبتها ، وان يرث المقتول ورثتها ـ وذكر الحديث ـ فأقبل رجل من هذيل يقال له شريك بن وائلة الى عمر . فقصّ عليه حديث امراتى حمل .

وفى لسان العرب كان عمر جعل الثلث للاخوة للام ، ولم يجعل للاخوة للأب والام شيئاً . فراجعه الاخوة للاب والام ، وقالوا نه : هب انّ أبانا كان حماراً ـ فاشركنا بقرابة امّنا فاشرك بينهم . فسمّيت الفريضة مشركة .

وفى الطبرى انّ وفد مصر أتوا عثمان . فقالوا له : ادع بالمصحف . فدعا به . فقالوا له : افتح السابعة ـ وكانوا يسمّون سورة يونس السابعة ـ فقرأها إلى « قل أرأيتم ما أنزل اللّه لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل اللّه اذن لكم أم على اللّه تفترون » فقالوا له : قف أرأيت ما حميت من الحمى اللّه إذن لك أم على اللّه تفترى . قال : انّ عمر حمى قبلى لا بل الصدقة . فلمّا وليت زادت ابل الصدقة فزدت فى الحمى لما زادت ابل الصدقة .

قلت : فعل عمر لم يكن حجّة لعثمان ، والآية تتوجّه بعمومها عليهما والزيادة والنقصان لا مدخليّة لهما فى المشروعية وعدمها .

« والاعتذار منها » قال (حد) لمّا مات النبى صلى الله عليه وآله وسلم وشاع بين الناس موته طاف عمر على الناس قائلاً « انّه لم يمت ولكنّه غاب عنّا كما غاب موسى عن قومه ، و ليرجعنّ فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنّه مات » فجعل لا يمرّ باحد يقول انه مات إلّا ويخبطه ، ويتوعّده حتّى جاء أبوبكر . فقال : أيّها الناس من كان يعبد محمداً فانّ محمّداً قد مات ، ومن كان يعبد ربّ محمد . فانه حىّ لم يمت ثم تلا قوله تعالى « أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم »[1] فواللّه لكان الناس ما سمعوا هذه الآية حتّى تلاها أبوبكر وقال عمر لمّا سمعته يتلوها : هويت إلى الأرض

(۱) آل عمران : ۱۴۴ .

وعلمت أنّ النبى ﷺ قد مات.

قلت: ولهم اعتذارات عن هذا كالعذرات منها لعمر نفسه. فروى محمد بن اسحق عن الزهرى عن انس قال: لمّا بويع أبوبكر فى السقيفه، وكان الغد جلس ابوبكر على المنبر. فقام عمر. فتكلّم قبل أبى بكر. فقال: ايّها الناس انّى كنت؟ قلت: لكم مقالة بالأمس ماكانت إلّا عن رأى وماوجدتها فى كتاب اللّه، ولا كانت بعهد من النبى. ولكنّى كنت أرى أنّ الرسول مستدبرامرنا حتى يكون آخرنا موتا — وفى خبر آخر قال عمر لابن عباس انه أوّل آية «وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»[1] على انّ النبى سيبقى بعد امّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها.

قلت: كيف ظنّ ذلك وقد منعه من الوصيّة، وهل الوصية إلّا لبعد الموت.

ومنها للشارح (حد) فقال: لم ينكر عمر ذلك على وجه الاعتقاد بل على — الاستصلاح وللخوف من ثوران الفتنة قبل مجيئ أبى بكر فلمّا جاء أبوبكر قوّى بحاشه، فسكت عن هذه الدعوى لأنّه قد امن بحضوره من خطب بحدث أو فساد، فروى جميع أرباب السير أنّ النبىّ ﷺ لما توفى كان أبوبكر فى منزله بالسنح

قلت: الامر كما قال: الا انه دال على انّ عمله كان عملا نفاقياً وسياسة دنيويه منقطعة عن الدين أراد بذلك إحكام الأمر له ولصاحبه فلم سمّاه استصلاحاً «واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انّما نحن مصلحون»[2] ولم قال للخوف من ثوران الفتنة وعمله كان أوّل الفتن وسبباً لآخرها «الا انّهم فى الفتنة سقطوا».

ومنها لبعضهم انّه غلب على عمر شدّة حال المصيبة فخرج عن حال العلم والمعرفة قلت: ولعلّ لشدّة مصيبة النبى ﷺ عليه بتلك الدرجة أراد إحراق أهل بيته فاطمة والحسنين وعلى عليهم صلوات اللّه.

وقال (حد) قال عمر «متعتان كانتا على عهد النبى ﷺ وأنا محرّمهما

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) البقرة: ١١.

ومعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج» قال: وهذا الكلام وان كان ظاهره منكراً فله عندنا مخرج وتأويل.

قلت: تأويلهم له كتأويل يحيى بن أكثم قوله تعالى «أو يزوّجهم ذكراناً واناثاً»[1] بأنّ المراد تحليل اللواط.

وفى تاريخ بغداد أنّ المأمون أمر فى طريق الشام بتحليل المتعة، وكان يقول مغتاظاً على قول عمر «متعتان كانتا على عهد رسول الله وعلى عهد أبى بكر وأنا أنهى عنهما» «من أنت يا أحول حتّى تنهى عمّا فعله النبى صلى الله عليه وآله وسلم»:

و روى سنن ابى داود انّ المغيرة تكنّى بأبى عيسى. فقال له عمر: أما يكفيك أن تكنّى بأبى عبد الله. فقال: انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كنّانى. فقال عمر: انّ النبى قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وانّا فى جلجتنا: أى ضيق كضيق الحباب على ما فى النهاية.

قلت: أى ربط لقوله. انّ النبىّ قد غفر له إلّا أنّه اخطأ فى فعله وانّ ذلك كان ذنباً منه، وان وعده تعالى بالغفران مع أنّه يعلم كلّ أحد انّ فعل النبى ـ صلى الله عليه وآله حجّة.

و روى أيضاً عن أبى موسى الأشعرى انّه أتى عمر فاستأذن ثلاثاً. فقال: يستأذن أبو موسى يستأذن الأشعرى يستأذن عبد الله بن قيس. فلم يؤذن له. فرجع. فبعث إليه عمر ما ردّك قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: يستأذن أحدكم ثلاثاً فإن أذن له وإلّا فليرجع. قال: ايتنى ببينة على هذا. فذهب ثم رجع. فقال: هذا ابىّ. فقال: ابىّ يا عمر لا تكن عذاباً على أصحاب رسول الله.

و روى فى خبر آخر. فانطلق بأبى سعيد الخدرى فشهد له. فقال عمر: اخفى علىّ هذا من أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الهانى الصفق بالأسواق.

---

(١) الشورى: ٥٠.

و رووا أنّ عمر أوّل من زاد فى الأذان «الصلوة خير من النوم» مع كون العبادات توقيفية.

وقال (حد): وكان فى اخلاق عمر فظاظة، وعنهجة ظاهرة يحسبه السامع لها انّه أراد بها ما لم يكن قد أراد، ويتوهم من كان يحكى له انّه قصد بها ظاهر ما لم يقصده، فمنها الكلمة الّتى قالها فى مرض النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ومعاذ اللّه أن يقصد بها ظاهرها، ولكنّه أرسلها على مقتضى خشونة غزيرية، ولم يتحفظ منها، وكان الأحسن أن يقول مغمور أو مغلوب بالمرض، وحاشاه أن يعنى بها غير ذلك، و لجفاة الأعراب من هذا الفن كثير سمع سليمان بن عبد الملك أعرابياً يقول فى سنة قحط.

ربّ العباد ما لنا ومالكا × قد كنت تسقينا فما بدا لكا

انزل علينا القطر لا أبا لكا

فقال سليمان «اشهد انّه لا اب له ولا صاحبة ولا ولد» فاخرجه أحسن مخرج.

قلت: كان سليمان بن عبد الملك مع كفر بنى أميّة قاطبه الشجرة الملعونة فى القرآن آدب من عمر.

ثم انه وان اوّل قول عمر مشيراً إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم «انّ الرجل ليهجر» تاويلاً هجراً كتوصية الجاحظ لصديق ابى العيناء وتشكره عن توصيته. فما يقول فى منعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الوصيّة، وضلال الامة بسببه، وما يفعل فى اغضابه النبى صلى اللّه عليه وآله حتى أخرجه من عنده. فعقد ابن سعد مع نصبه فى طبقاته باباً لذلك.

و روى فى اسناد عن سعيد بن جبير قال: جعل ابن عباس يبكى، ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس اشتدّ بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وجعه. فقال: ايتونى بدواة و صحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده ابداً فقال بعض من كان عنده: انّ نبىّ اللّه

ليهجر. فقيل له: ألا ناتيك بما طلبت قال (اوبعد ماذا) فلم يدع به.

وفى اسناد آخر قال ابن عباس: يوم الخميس ومايوم الخميس اشتدّ بالنبى صلى الله عليه وآله وجعه فى ذلك اليوم. فقال (ايتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبدا فسارعوا ولا ينبغى عندى تنازع) فقالوا: ما شأنه اهجرا ستفهموه. فذهبوا يعيدون عليه. فقال: دعونى فالّذى أنا فيه خير مما تدعوننى اليه ـ الخبر.

و روى عن جابر الأنصارى قال: لمّا كان فى مرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم الّذى توفّى فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لامّته كتاباً لا يَضلّون ولا يُضلّون. فكان فى البيت لغط وكلام، وتكلّم عمر بن الخطاب فرفضه النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

و عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قال ابن عباس: لما حضر النبى صلّى الله عليه وآله الوفاة وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال النبى صلى الله عليه وآله: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده. فقال عمر: انّ النبى ـ قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت، واختصموا فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من يقول: ما قال عمر. فلمّا كثر اللغط، والاختلاف وغمّوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: قوموا عنّى ـ قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: انّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

و روى عن عمر قال: كنّا عند النبى، وبيننا وبين النساء حجاب. فقال: ايتونى بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبدا. فقال النسوة: ايتوا النبى بحاجته. فقلت: اسكتن. فانكنّ صواحبه إذا مرض عصرتن اعينكن، واذا صحّ ـ اخذتن بعنقه. فقال النبى: هنّ خير منكم.

و روى عن ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مرضه الّذى مات فيه: ايتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر: من لفلانة وفلانة

ـ مدائن الروم ـ انّ النبى ليس بميت حتّى نفتتحها ، ولومات لانتظرناه كما انتظرت بنواسرائيل موسى . فقال زينب زوج النبى : ألا تسمعون النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعهد اليكم . فلغطوا . فقال : قوموا عنّى . فلمّا قاموا قبض مكانه .

و روى الطبرى أنّ عمران بن سودة قال لعمر : عابت امّتك اربعاً . فوضع راس درّته فى ذقنه ، واسفلها على فخذه . ثم قال هات . قال : ذكروا انك حرّمت العمرة فى أشهر الحج ، ولم يفعل ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبوبكر وهى حلال . فقال : لوانّهم اعتمروا فى أشهر الحج راوها مجزية عن حجّهم ، فكانت قائبة قوب عامها فقرع حجهم وهو بهاء من بهاء الله وقد اصبت قال : وذكروا انّك حرّمت متعة النساء ، وقد كانت رخصة من الله يستمتع بقبضة ، ويفارق عن ثلاث قال : انّ النبى احلّها فى زمان ضرورة . ثم رجع الناس إلى سعة . ثم لم اعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها . فالان من شاء نكح بقبضه ، وفارق عن ثلاث ، وقد اصبت قال : واعتقت الامة ان وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيد ها قال : الحقت حرمة بحرمة ، وما أردت إلّا الخير قال : وتشكومنك نهر الرعية وعنف السياق قال : فشرع الدرّة ثم مسحها .

« فصاحبها كراكب الصعبة » : أى فمصاحب تلك الحوزة الخشناء الغليظ كلمها الخشن مسها الكثير العثار فيها والاعتذار منها كراكب دابة صعبة والمصعب جمل لم يركب ولم يمسسه حبل . قال الشاعر :

كأنّ راكبها غصن بمروحة × اذا تدلّت به أو شارب ثمل

ومروحة موضع تخترق فيه الريح .

قال ابن قتيبة فى خلفائه : لمّا قعد عمر فى الخلافة أتاه رجل . فقال : ادنو منك . فانّ لى حاجة قال : لا قال الرجل : اذن اذهب . فيغنينى الله عنك فولّى ذاهباً . فاتبعه عمر ببصره ثم قام فأخذ بثوبه وقال له : ما حاجتك قال : بغضك الناس كرهك الناس . قال : ولم ويحك . فقال : للسانك وعصاك .

وقال ابن قتيبة أيضاً كان أهل الشام قد بلغهم مرض أبى بكر، واستبطأوا الخبر. فقالوا: انّا نخاف أن يكون الخليفة قد مات، وولى بعده عمر فان كان عمر هو الوالى فليس لنا بصاحب، وانّا نرى خلعه. فقال بعضهم: فابعثوا رجلاً ترضون عقله. فانتخبوا لذلك. فقدم على عمر، وكان عمر قد استبطأ خبر الشام. فقال له: كيف الناس. قال: صالحون وهم لولايتك كارهون، ومن شرك مشفقون فارسلونى أحلو أنت أم مر — الخ.

ومن المضحك انّ ابن قتيبة قال: بعد نقل القضيتين انّ عمر دعا لحبّ الناس له فاستجيب له.

قلت: واستجابة دعائه فى ذلك كاستجابة دعائه حين موته بعد تعيينه ستّة الشورى. فقال فى دعائه «اللّهمّ الّفهم ولا تردّهم على اعقابهم وولّ أمر أمّة محمّد خيرهم» فاستجيب دعائه فصار الأمر الى بنى امّية الّذين لا يعتقدون ثواباً ولا عقاباً، وكانوا يلعبون بالدين لعب الاطفال بالكرات.

هذا، وفى تاريخ بغداد قال اسمعيل بن حماد بن أبى حنيفة: كان لنا جار طحّان رافضى وكان له بغلان سمّى أحدهما أبا بكر، والاخر عمر فرمحه أحدهما ذات ليلة فقتله فاخبر أبو حنيفة. فقال: انظروا البغل الّذى رمحه هو الّذى سمّاه عمر. فنظروا فكان كذلك.

قلت: ولا غرو ونظيره نقل عن الحجاج ففى العقد أقبل رجل إلى يزيد بن أبى مسلم — وكان كاتب الحجاج، وولّاه الوليد بعد موته مكانه — فقال له: انى رأيت كنت رأيت الحجاج فى المنام. فقلت: ماصنع اللّه بك؟ فقال «قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة» ثم رأيته بعد حول فقلت: ماصنع اللّه بك؟ فقال يا عاض بظر أمّه أما سألتنى عن هذا عام أوّل. فقال: يزيد اشهد أنّك رأيته حقاً.

«ان اشنق لها خرم» قد عرفت انّ المصنّف فسّره بمعنى إذا شدّد على الصعبة فى جذب الزمام وهى تنازعه رأسها خرم أنفها: أى خرقه، وفى النهاية

يقال «اشنق لها وشنق لها» .

هذا ، وفى المقاتل كان محمد وابرهيم ابناعبد اللّه بن الحسن المثنى عند أبيهما فوردت ابل لمحمّد فيها ناقة شرود لا يردّ رأسها شئ . فجعل ابرهيم يحدّ النظر اليها . فقال له محمد : كانّ نفسك تحدّثك انّك رادّها قال : نعم . قال : فإن فعلت فهى لك . فجعل يتغيّر لها ويتستّر بالابل حتّى إذا أمكنته هايجها ، و اخذ بذنبها . فاحتملته وادبرت تمخض بذَنبها حتّى غاب عن عين أبيه . فاقبل على محمد قال : عرضت أخاك للهلكة . فمكث هويّاً . ثم جاء مشتملاً بازار حتّى وقف عليهما . فقال له محمد : كيف رأيت زعمت أنّك رادّها ، وحابسها ، فالقى ذَنبها وقد انقطع فى يده . فقال : ما اعذر من جاء بهذا .

«وإن أسلس لها تقحم» قد عرفت أنّ المصنّف قال : معناه انّه ان أرخى لها ــ شيئاً مع صعوبتها تقحّمت به : أى ادخلته فى المهالك .

وتقول العرب الجمل النادّ إذا سمّى أبوه يسكن ، والناقة النادّة إذا سمّيت أمها تسكن أنشد ابن الأعرابى :

أقول : والناقة بى تقحم × وأنا منها مكلئزمعصم

ويحك ما اسم امها يا علكم

وممّا قيل فى التشبيه بمركوب سوء قول شاعر :

وصاحب السوء كالداء العياء إذا × ما ارفضّ فى الخوف يجرى متهاونا

كمهر سوء إذا رفعت سرته × رام الجماح وإن خفضته حرنا

وقال عمرو بن سعيد الأشدق فى وصف يزيد بن معاوية (فهو ان عضّ نهش وان سطا فرس) .

لقيت خولة بنت حكيم الّتي نزلت فيها «قد سمع اللّه قول الّتي تجادلك فى زوجها» عمر حين خرج و يده على المعلى بن جارود فقالت كنّا نعرفك مدّة عميرا . ثم صرت من عمير عمر ثم صرت من بعد عمر اميرا المؤمنين . فاتق اللّه يا ابن الخطاب

و انظر فى أمور الناس .

وفى معارف ابن قتيبة قال سماك بن حرب : كان عمر أروح ـ والأروح الذى إذا مشى تتباعد صدور قدميه وتتدانى عقباه ـ وكان خالد بن الوليد يسميه الأعيسر ـ والأعسر الذى يعمل بيساره .

«فمنى الناس» : أى ابتلوا .

«لعمر الله» : قال الجوهرى : إذا جئت باللام مع (عمر) بالفتح رفعت لأنّ التقدير (لعمر الله قسمى) وبدونها نصبت نصب المصادر تقول (عمر الله ما فعلت) ومعناهما أحلف ببقاء الله ودوامه .

قلت : والصواب أن يقال : إنّ الثانى منصوب بنزع الخافض بنزع الخافض لأنّ الأصل فى عمر الله بعمر الله . قال عمر بن أبى ربيعة :

قالت لتربيها بعمركما × هل تطمعان بأن نرى عمرا

نعم إذا قيل (عمرك الله) ينصب بالمصدر قال عمر بن أبى ربيعة .

أيها المنكح الثريا سهيلا × عمرك الله كيف يلتقيان

لأنّه حينئذ للدعاء ، والأصل عمرك الله عمراً .

« بخبط » : يقال (خبط عشواء) للناقة التى فى بصرها ضعف فتضرب بيدها الأرض إذا مشت لا تتوقى شيئاً .

ويقال لمن لا شئ له «ماله خابط ولا ناطح» : أى بعير ولا ثور ، والخبط ضرب الشجر لتناثر ورقه .

والرجل كان مختبطاً فى الجاهلية ، وخابطاً فى الاسلام أما اختباطه فى الجاهلية . ففى نهاية الجزرى قال عمر «لقد رأيتنى بهذا الجبل احتطب مرة ، واختبط أخرى) أى أضرب الشجر لينتثر الخبط منه ،

وأما خبطه فى الاسلام . فقال عبيدة السلمانى على نقل الجاحظ عن النظام عنه : انّى لأحفظ عن عمر مأة قضيّة فى الجدّ كلها ينقض بعضها بعضاً مع

مع أنّه قال : أجراكم على الجد أجرأكم على النار .

وفى خلفاء ابن قتيبة قال عمر لابنه لما قال له الطبيب بعد ضربه لا أراك تمسى : ناولنى الكنف فلو أراد الله أن يمضى ما فيه امضاه فمحاه بيده وكان فيها فريضة الجد .

وقال النظام : وليس يشبه رأى عمر صنيعه حين خالف ابىّ بن كعب وابن مسعود فى الصلوة فى ثوب واحد لأنّه حين بلغه ذلك خرج مغضباً حتّى اسند ظهره إلى حجرة عايشة وقال (اختلف رجلان من أصحاب النبى ممّن يؤخذ عنه لا أسمع أحداً يختلف فى الحكم بعد مقامى هذا إلّا فعلت به وصنعت) ـ أفترى أنّ عمر نسى اختلاف قوله فى الأحكام حتّى أنكر ما أظهر من الاختلاف بين الرجلين كلّا ، ولكنّه كان ينافض ويخبط خبط عشواء .

ومن خبطاته مشاطرته عمّاله ، وعدّها النظّام من احداثه ، وفى تاريخ اليعقوبى شاطر عمر جماعة من عمّاله سعد بن أبى وقاص عامله على الكوفة ، وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وأبا هريرة عامله على البحرين ـ إلى أن قال ـ ويعلى بن أمية عامله على اليمن ، وامتنع أبوبكرة من المشاطرة ، وقال لعمر : والله لئن كان هذا المال لله . فلا يحلّ لك أن تأخذ بعضاً ، وتترك بعضاً ، وان كان لنا فمالك أخذه ـ إلى أن قال ـ ولم يكن يموت لمعاوية عامل إلّا شاطر ورثته ، وكان يكلّم فى ذلك فيقول هذه سنّة سنّها عمر .

ومن خبطه ما قالوا : انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر فى أوّل الوقعة « لا يقتل أحد من بنى هاشم فانّهم أخرجوا كرهاً ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عمى لا يقتله انّما أخرج مكرهاً) فقال أبوحذيفة بن عتبة (أيقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وعشائرنا ، ونترك العباس ، والله لئن لقيته لالحمنه السيف) فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعمر « أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف » فقال عمر « دعنى أضرب عنق أبى حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق » .

مع انّه بعد ختم بدر جاء عمر نفسه إلى النبي ﷺ وقال له «اطعنى فى ما أشير به عليك فانّى لا ألوك نصحاً قدّم عمك العباس فاضرب عنقه بيدك. وقدّم عقيلاً إلى أخيه على يضرب عنقه» فكره النبي ﷺ قوله ـ الخ ـ فنسى قول النبي ﷺ فى أوّل الوقعة. فأراد ضرب عنق أبى حذيفة لأنّه لم يكترث بقول النبي ﷺ «لا تقتلوا عمى فانه كان مكرهاً على الخروج» ثم يقول للنبي ﷺ اضرب عنقه.

و يحلف أنّ أباحذيفة نافق مع انه كان مسلماً، وانما قال ما قال عن العاطفة البشرية بلاقصد، فكان النبي ﷺ قتل أباه وأخاه وعمه فى تلك الغزوة. فقال ما قال: وكان فى عمره يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة ولا أزال خائفاً أبدا.

وكان قول أبى حذيفة ذاك نظير قول سودة زوج النبي ﷺ لمّا رأى أسارى قومها «أعطيتم بأيديكم الا متّم كراماً» فقال لها النبي ﷺ: يا سودة «أعلى الله ورسوله» فقالت: والّذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى حين رأيتهم.

ومن خبطه وخبط صاحبه إنّهما لم يقبلا قول فاطمة عليها السلام انّ النبي ﷺ أعطاها فدك مع شهادة الله تعالى لها بالعصمة فى قوله ـ جلّ وعلا ـ «انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا»[1] وكونها أقرب الخلق إليه تعالى من النساء فى قوله ـ عزّ اسمه ـ «ونسائنا ونساءكم» وشهادة النبي ﷺ بجلالها وكونها سيّدة نساء العالمين، وأنّ رضاها رضاه وسخطها سخطه، وكانا يقبلان قول كل من ادّعى انّ النبي ﷺ وعده وعداً.

ففى فتوح البلادرى أمر المأمون فى سنة (٢١٠) بردّ فدك إلى ولد فاطمة عليها السلام، وكتب إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة «أما بعد فإنّى بمكانى من دين الله، وخلافة رسوله والقرابة به أولى من استنّ سنّته، ونفذ أمره، وسلّم لمن

(١) الاحزاب: ٣٣.

منحه منحة ، وتصدّق عليه بصدقة ، منحته وصدقته ، وباللّه توفيقى وعصمتى ، و إليه فى العمل بما يقرّبنى اليه رغبتى ، وقد كان النبى ﷺ أعطى فاطمة بنته فدك وتصدّق بها عليه ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل الرسول صلّى اللّه عليه وآله فرأيت ان اردّها الى ورثتها واسلّمها إليهم تقرّباً إلى اللّه تعالى باقامة حقّه وعدله والى رسوله ﷺ بتنفيذ أمره وصدقته . فأمرت باثبات ذلك فى دواوينى ، والكتاب به إلى عمّالى فلان كان ينادى فى كلّ موسم بعد ان قبض اللّه نبيّه ﷺ ان يذكر كلّ من كانت له صدقة اوهبة أوعدة ذلك فيقبل قوله وينفذ عدته انّ فاطمة لأولى أن يصدّق قولها فى ما جعل الرسول ﷺ لها ـ وقد كتبت إلى المبارك الطبرى مولاى امرته بردّ فدك على ورثتها ـ الخ .

وأقول للمأمون : لا تعجب من عملهما فى قبول كلّ من ادعى على النبى ـ صدقة أوهبة أوعدة وعدم قبول قول بنته مع ذاك المقام . فأرادا بما عملا مع الناس بأن يقولا نحن ننجز عدات النبى ونقضى ديونه فى مقابل اميرالمؤمنين عليه السلام الّذى كان مأموراً بذلك من النبى ﷺ ، وأرادا بما عملا معها استيصال أهل البيت عليهم السلام كما قال اميرالمؤمنين عليه السلام فى شكايته (بلى كانت فى أيدينافدك ـ إلى قوله ـ ونعم الحكم اللّه .

ومن خبطه أنّه يقول للزبير بعد جعله فى الشورى وذكر عيوبه « أنت يوماً انسان ويوماً شيطان فمن يكون إمام الناس يوم تكون شيطانا » مع انّ أبا بكر الّذى نصبه هو أقرّ بأنّ له شيطاناً يعتريه ، ورأى ذلك منه عياناً فى قصّة مالك بن نويرة وغدر خالد بن الوليد عامله به ، وقتله له مع اسلامه وزناه بامرأته ومداهنة أبى بكر فى ذلك .

ومن خبطه انه يقول لطلحة بعد تعيينه فى الشورى « اما انّى اعرفك منذ اصيبت اصبعك بالباوالّذى احدث لك ، ولقد مات النبى ساخطاً عليك للكلمة الّتى قلتها يوم انزلت آية الحجاب) : : قال الجاحظ : يعنى عمران آية

الحجاب لمّا نزلت قال طلحة «ما الّذي يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غدا فننكحهن» فنقل ذلك عنه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الجاحظ : «لو قال قائل لعمر أنت قلت اولا «انّ النبى مات وهو راض عن هؤلاء طلحة وغيره» وتقول ثانياً «مات النبى ساخطاً على طلحة لتلك الكلمة» لكان رماه بمشاقصه ، ولكن من كان يجسر ان يقول لعمر ما دون هذا فكيف هذا

ومن خبطه عدم تسويته فى العطاء مع كونه خلاف الكتاب والسنة قال الاسكافى فى نقض عثمانيته : قال على عليه السلام لطلحة والزبير : ألا تخبراننى ادفعتكما عن حق وجب لكما ظلمتكما اياه قالا معاذ الله ـ إلى أن قال ـ فقال لهما : فما الّذى كرهتما من أمرى حتّى رأيتما خلافى قالا لخلافك على عمر بن الخطاب فى القَسم انّك جعلت حقّنا فى القَسم كحقّ غيرنا ـ إلى أن قال ـ فقال عليه السلام لهما : واما القَسم والاسوة . فانّ ذلك لم احكم فيه بادء بدء فقد وجدت أنا وأنتما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بذلك ، وكتاب الله ناطق به وهو الكتاب الّذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

ومن خبطه مخالفته النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الصوم فى السفر ، وفى بقائه على حجّ الافراد فى حجّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع أمره الناس بالعدول إلى حجّ التمتع .

ومن خبطه ردّه شهادة المملوكين فقد روى عن الصادق عليه السلام أنّه أوّل من فعل ذلك ، وجمعه الناس على أربع تكبيرات فى صلوة الجنائز ، ففى أوائل العسكرى أنّه أوّل من فعل ذلك .

وفى الطبرى فى غزوة حنين قال ابن اسحق لمّا سمع بهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث إليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى وأمره أن يدخل فى الناس فيقيم فيهم حتّى يأتيه بخبر منهم فانطلق فدخل فيهم ، وأقام حتّى علم ما أجمعوا له من حرب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلم أمر مالك وأمر هوازن ثم أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره . فدعا النبى صلى الله عليه وآله عمر فأخبره خبره . فقال عمر : كذب ابن أبى حدرد ، فقال ابن

ابى حدرد ، ان تكذّبنى فطالما كذبت بالحق يا عمر .

وفى استيعاب أبى عمر (كان ابو خراش الهذلى ممّن يعدو على قدميه . فيسبق الخيل . فأتاه نفر من أهل اليمن قدموا حجّاجاً ، والماء منهم غير بعيد . فقال : يا بنى عم ما أمسى عندنا ماء ولكن هذه برمة وشاة . فردوا الماء وكلوا شاتكم ثم دعوا برمتنا ، وقربتنا على الماء حتّى نأخذها . فقالوا : لا والله ما نحن بسائرين فى ليلتنا هذه . فلمّا رأى ذلك أبو خراش أخذ قربة وسعى نحو الماء تحت الليل حتّى استقى . ثم استقبل صادرا . فنهشته حيّة قبل أن يصل إليهم . فاقبل مسرعاً حتّى أعطاهم الماء ، وقال اطبخوا شاتكم وكلوا ، ولم يعلمهم ما أصابه . فباتوا على شاتهم يأكلون حتّى أصبحوا ، وأصبح أبو خراش فى الموتى . فلم يبرحوا حتّى دفنوه فبلغ خبره عمر . فغضب غضباً شديداً ، وقال : لولا أن تكون سنّة لامرت الّا يضاف يمان أبدا ، ولكتبت بذلك الى الآفاق . ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الّذين نزلوا على أبى خراش الهذلى فيلزمهم ديته ، ويؤذيهم بعد ذلك بعقوبة يمسّهم بها جزاء لفعلهم » فهل ما فعله إلّا خبط خبيط فلم يلزموا الدية ولم يعاقبوا .

وفى الجزرى (قال الواقدى : أوّل من جمع الناس على امام يصلّى بهم التراويح فى شهر رمضان ، وكتب به إلى البلدان وأمرهم به ، عمر) ، وقال اليعقوبى فقيل له أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعله ، وأنّ أبا بكر لم يفعله . فقال : إن تكن بدعة . فما أحسن من بدعه .

« وشماس » من قولهم (بالفرس شماس) قال الجوهرى يقال (شمس الفرس شموساً وشماساً) : أى منع ظهره ، وهو فرس شموس وبه شماس ، وقال ابن دريد وبه سمّى الرجل شمّاساً .

فى الطبرى قال الشعبى : لم يمت عمر حتّى ملّته قريش ، وقد كان حصرهم بالمدينة وامتنع عليهم ، وقال « انّ أخوف ما أخاف على هذه الامّة انتشاركم فى

البلاد» فإن كان الرجل ليستأذنه في الغزو، وهو ممّن حبس بالمدينة من المهاجرين، ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكّة. فيقول: قد كان في غزوك مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يبلغك — الخبر.

وقال الحسن البصري: كان عمر قد حجر على اعلام قريش من المهاجرين — الخروج في البلدان إلّا بإذن وأجل. فشكوه فبلغه. فقام. فقال «الا انّي قد سننت الاسلام سنّ البعير يبدء فيكون جذعاً ثم ثنيّاً ثم رباعياً ثم سدساً ثم بازلاً الا فهل ينتظر بالبازل إلّا النقصان ألا وإنّ الاسلام قد بزل ألا وإنّ قريشاً يريدون ان يتّخذوا مال اللّه دون عباده ألا فأمّا وابن الخطاب حيّ فلا انّى قائم دون شعب الحَرّة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار.

قلت: إنّما منع المهاجرين من الجهاد المفروض في الاسلام في حيوته لئلّا يخلّوا بسلطنته لكنّه جعل الأمر بعده بين ستّة حتّى لا يصفو الأمر لاميرالمؤمنين عليه السلام يوم يصير اليه كما دبّر لتأخيره.

وبشّر قريشاً في قوله «اما وابن الخطاب حي فلا» بمن يستخلفه لهم يفعل لهم ما يريدون من اتخاذهم مال اللّه دون عباده.

وانما شكت قريش منه لانهم انما حوّلوا الأمر عن معدنه إليه والى صاحبه ليكون ذلك وسيلة لهم إلى غرضهم في اتّخاذهم مال اللّه دون عباده فمرّ ان عمر قال لابن عباس «نظرت قريش في اختيارهم لهما فاختاروهما».

وفي تاريخ اليعقوبي قال عبد الرحمن بن عوف لعمر: لم تمنعنا من الجهاد فقال له «لان اسكت عنك فلا اجيبك خير لك من ان اُجيبك» — ثم اندفع يحدّث عن أبي بكر حتّى قال «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى اللّه شرّها فمن عاد لمثلها — فاقتلوه».

ويقال له: الأصل في خلافتك استخلاف أبي بكر لك، والاصل في خلافه ذاك بيعته. فاذا كانت فلتة واستحق من عاد لمثلها القتل. فبأي سبب تصدّيت

للخلافة .

هذا ، ومعنى قول عمر «كانت بيعة أبى بكر فلتة» انّ الدعوة الى انسان بالاتفاق عليه أمر غير ممكن عادة ، وانما حصلت صدفة لابى بكر بعدم حضور بنى هاشم الّذين كانوا صاحبى الأمر باشتغالهم بتجهيز النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا حضر أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذلك ، وادّعى حقّه قال له بشير بن سعد : لو كنت حضرت أولاً ما تخلف عنك أحد من الأنصار .

وبحسد بشير بن سعد لشخص ابن عمه سعد بن عبادة ، وبحسد الأوس ، للخزرج طائفة سعد بن عبادة ، وعدم وجود سابقة لقريش حتّى يمكنهم ادعاء الأمر لأنفسهم ، ولم يكن لهم بدّ إلّا مساعدة أبى بكر حتّى يكون واسطة لهم فى الأمر كما اعترف به عمر فى قوله لابن عباس كما مر ، ووجود جِدّ مثل جِدّ عمر فى قبال من خالف حتّى باعمال ضرب الأعناق والإحراق بالنار حتّى انّ النظام قال : انما نصب أبا بكر عمر فقط .

و روى سنن أبى داود عن عبد اللّٰه بن كعب بن مالك الأنصارى أنّ جيشاً من الأنصار كانوا بأرض فارس مع أميرهم ، وكان عمر يعقب الجيوش فى كلّ عام فشغل عنهم ، فلمّا مرّ الأجل قفل أهل ذلك الثغر . فاشتدّ عليهم عمر ، وتواعدهم ، و هم أصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا عمر انّك غفلت عنّا ، وتركت فينا الّذى امر به رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم من أعقاب بعض الغزية بعضاً .

و روى أيضاً عن عبد الرحمن بن ابزى قال : كنت عند عمر . فجاءه رجل . فقال : انّا نكون بالمكان الشهر والشهرين . فقال عمر : أمّا أنا فلم أكن اصلّى حتّى أجد الماء . فقال له عمار : أما تذكر اذ كنت أنا وأنت فى الابل فأصابتنا جنابة . فأمّا أنا فتمعّكت . فاتينا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له . فقال : انّما يكفيك ـ الخبر و رواه باسناد آخر وفيه «أفلم ترعمر لم يقنع بقول عمار» .

«وتلوّن» فكان فى كل وقت بلون فكان لم يأخذ القصاص من الزبير مع عدم

خوف الكفر عليه ، واقتصّ من جبلة بن الايهم صنائع ملوك الروم مع قرب عهده بالاسلام وانتظار الارتداد منه .

فروى زيد بن أسلم عن أبيه قال : خلا عمر لبعض شأنه ، وقال : امسك علىّ الباب . فطلع الزبير فكرهته حين رأيته . فأراد أن يدخل . فقلت : هو على حاجة ، فلم يلتفت إلىّ ، وأهوى ليدخل . فوضعت يدى فى صدره فضرب أنفى فادماه . ثم رجع فدخل على عمر . فقال : من فعل بك هذا قلت : الزبير فارسل إلى الزبير ، فلمّا دخل جئت ، فقمت لأنظر ما يقول له ، فقال له « ما حملك على ما صنعت ادميتنى للناس » فقال الزبير : يحكيه ويمطط فى كلامه « ادميتنى للناس » احتجب عنّا يا ابن الخطّاب . فوالله ما احتجب عنّى النبى ولا أبوبكر . فقال عمر كالمعتذر « انّى كنت فى بعض شأنى » قال : اسلم . فلمّا سمعته يعتذر اليه يئست من أن يأخذ لى بحقّى منه ، وخرج الزبير . فقال عمر : انه الزبير وآثاره ما تعلم .

قلت : هل كان من له آثار يسقط التكليف عنه ، وله أن يعمل ما شاء ، وانما خاف عمر اذا اقتصّ منه تزلزل سلطنته وخروجه عليه .

وقصّة جبلة فى لطمه رجلاً من السوقة فى المطاف وأمر عمر باقتصاص الرجل منه ، وارتداد جبلة لذلك ولحوقه بملوك الروم ثانياً معروفة مع انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان أعطى من غنائم حنين أبا سفيان ومعاوية وعيينة والأقرع ونظراءهم من المؤلفة مائة بعير ، ولم يعط الأنصار مع سوابقهم فى الاسلام شيئاً ، واعتذر اليهم بأنّى تألّفت بما فعلت أولئك ، ووكلتكم إلى ايمانكم .

ومن تلونه انه ضرب ابنه الحدّ ثانياً حتّى انجرّ الى هلاكه مع اجراء عمرو بن العاص الحدّ عليه وأبطل حدّ الزنا فى المغيرة ، وحدّ شرب الخمر فى قدامة بن مظعون .

اما ضربه ابنه أى عبد الرحمن بن عمر . فرووا انّه شرب فضربه عمرو بن العاص الحد فى بيته . فاتاه كتاب عمر « ويحك تضرب عبد الرحمن بن عمر فى

داخل بيتك، وتحلق رأسه فى داخل بيتك. فاذا جاءك كتابى هذا. فابعث به فى عباءة على قتب حتّى يعرف سوء ماصنع» فكتب إليه عمرو بن العاص «انّى ضربته فى صحن الدار وبالله الّذى لا يحلف بأعظم منه انّه الموضع الّذى أقيم فيه الحدود على المسلمين ـ الى أن قالوا ـ فادخل عليه فى عباءة، وهو لا يقدر على المشى، من مركبه. فقال: ياعبد الرحمن فعلت وفعلت السياط السياط. فكلّمه عبد الرحمن بن عوف، وقال له: قد اقيم عليه الحدّ مرّة فلم يلتفت إليه وزبره فاخذته الصياح أنا مريض، وأنت والله قاتلى فلم يرقّ له حتّى استوفى الحدّ وحبسه ثم مرض شهرا أو مات.

واما تعطيله حدّ الزنا على المغيرة. ففى الاغانى انّ المغيرة كان يخرج من دار الامارة فى البصرة لمّا كان والياً عليها من قبل عمر، وكان أبوبكرة يلقاه، فيقول: أين يذهب الأمير، فيقول: الى حاجة. فيقول له: انّ الأمير ليزار ولا يزور، وكانت المرئة الّتى يأتيها المغيرة جارة لأبى بكرة. فبينا ابوبكرة فى غرفة له مع اخويه نافع وزياد، ورجل آخر يقال له شبل بن معبد، وكانت غرفة تلك المرأة بحذاء غرفة أبى بكرة. فضربت الريح باب غرفة المرئة ففتحته فنظر القوم، فاذا هم بالمغيرة ينكحها، فقال ابوبكرة: هذه بلية ابتليتم بها، فانظروا فنظروا حتّى أثبتوا، فنزل أبو بكرة حتّى خرج عليه المغيرة من بيت المرئة. فقال له: انّه كان من أمرك ماقد علمت. فاعتزلنا ـ إلى أن قال ـ

فجلس عمر ودعا بالمغيرة والشهود. فتقدّم أبوبكرة. فقال له: ارأيته بين فخذيها قال: نعم والله لكأنّى أنظر تشريم جدرى بفخذيها. فقال له المغيرة: لقد الطفت النظر. فقال له: ألمأك قد أثبت مايخزيك الله به. فقال له عمر: حتّى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المرود فى المكحلة. فقال: نعم أشهد على ذلك فقال له: اذهب مغيرة ذهب ربعك. ثم دعا نافعاً. فقال له: على م تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبى بكرة قال: لا حتّى تشهد أنّه يلج فيه ولوج المرود

فى المكحلة . فقال : نعم حتّى بلغ قذذه . فقال : اذهب مغيرة ذهب نصفك . ثم دعا الثالث . فقال : على م تشهد ؟ قال : على مثل شهادة صاحبى . فقال : على عليه السلام اذهب مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك ـ إلى أن قال ـ

فلمّا رأى عمر زياداً مقبلاً قال : إنّى لأرى رجلاً لن يخزى اللّه على لسانه رجلا من المهاجرين ـ إلى أن قال ـ قال عبد الكريم بن رشيد قال أبو عثمان الهندى لما شهد عند عمر : الشاهد الأوّل على المغيرة تغيّر لك لون عمر . ثم جاء آخر . فشهد فانكسر انكساراً شديداً . ثم جاء رجل شاب يخطر بين يديه فرفع عمر رأسه إليه وقال له : ماعندك يا سلح العقاب ـ قال ابن رشيد : وصاح أبو عثمان صيحة تحكى صيحة عمر لقد كدت أن يغشى علىّ ـ وقال آخرون قال المغيرة . فقمت فقلت : يا زياد واللّه لوكنت بين بطنى وبطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منها فبرقت عينا زياد واحمرّ وجهه ، وقال لعمر : اما انّ أحقّ ما حقّ اليوم فليس ذلك عندى ، ولكنّى رأيت مجلساً قبيحاً ، وسمعت أمراً حثيثاً وانبهارا ورأيته متبطنها . فقال له : أرأيته يدخله كالميل فى المكحلة . فقال : لا ـ وقال : غير هؤلاء انّ زياداً قال له : رأيته رافعاً برجليها ، ورأيت خصيتيه تتردان بين فخذيها ، ورأيت خفراً شديداً ، وسمعت نغاساً عاليا . فقال له عمر : أرأيته يدخله ويخرجه كالميل فى المكحلة فقال : لا . فقال عمر « اللّه أكبر قم يا مغيرة إليهم فاضربهم » ـ إلى أن قال ـ فقال أبوبكرة بعد ان ضرب . فانّى أشهد أنّ المغيرة فعل كذا وكذا . فهمّ عمر بضربه . فقال له على عليه السلام ان ضربته رجمت صاحبك ـ إلى أن قال ـ

فلمّا ضربوا الحد قال المغيرة « اللّه أكبر الحمد للّه الّذى أخزاكم » فقال له عمر « اسكت أخزى اللّه مكاناً وأراك » ـ إلى أن قال ـ

ووافقت أم جميل الّتى رمى بها المغيرة عمر بالموسم والمغيرة هناك فقال عمر للمغيرة : أتعرف هذه قال : (نعم هذه ام كلثوم بنت على) فقال له عمر ـ

« اتتجاهل علىّ ، واللّه ما أظنّ أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيتك إلّا خفت ان ارمى بحجارة من السماء » ـ إلى أن قال ـ

قال ابو جعفر : قال علىّ عليه السلام « لئن ينته المغيرة لا تبعنه احجاره » وقال غيره « وقال على عليه السلام لئن أخذت المغيرة لا تبعنه أحجاره » ـ إلى أن قال ـ

ولمّا شخص المغيرة إلى عمر رأى فى طريقه جارية فاعجبته فتزوجها . فلمّا قدم بها على عمر قال له « انّك لفارغ القلب طويل الشبق » .

وانما أبطل عمر حدّ المغيرة لاحتياجه إليه لدهائه ، والّا فغير شهادة الشهود ، وان منع زياداً من تكميل شهادته بتلك الكلمة كان المغيرة نفسه يقرّ فلمّا قال أبو بكر : لكأنّى أنظر الى تشريم جدرى بفخذ تلك المرأة قال له المغيرة « لقد الطفت النظر » كما مر .

وقال لزياد « واللّه لو كنت بين بطنى وبطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منها » فأى إقرار أصرح من هذا ، ومن العجب انّ اقراريه ذينك كانا بمحضر عمر .

ثم ليس مكالمة عمر والمغيرة لما قال له : أتعرف هذه ـ وأشار الى المرئة الّتى زنا بها ـ فقال : نعم هذه ام كلثوم بنت على) الا مكالمة المنافقين فى الاستهزاء بالدين ، ولو كانت امرئة عمر بدوية ما اجترء المغيرة مع اطمينان ـ خاطره من قبل عمر أن يقول له هذه امرأتك إلّا أنّه لمّا كان يعرف معاداته مع امير المؤمنين عليه السلام لم يخف من ذاك القول .

ولقد صرّح بابطال عمر الحدّ عمداً سيّد شباب أهل الجنّة ، ومن شهد له القرآن بعصمته ، وكونه أقرب الخلق إليه ـ جلّ وعلا ـ كباقى خمسة الكساء الحسن بن على عليه السلام فقال للمغيرة فى مجلس معاوية ـ كما رواه الزبير بن بكار فى مفاخراته « لقد درأ عنك عمر حقّاً للّه سائله عنه » .

وقد عرفت قول امير المؤمنين عليه السلام لعمر : ان ضربت أبا بكرة رجمت صاحبك وقوله عليه السلام « لئن لم ينته المغيرة أو لئن أخذت المغيرة لا تبعنه أحجاره

وفى تعبيره عليه السلام عن المغيرة بصاحبك دليل أيضاً على أنّ عمراً بطل الحدّ عنه .

ثم لولم يكن عمر عطّل حدّه عمداً لم يقول له «ما رأيتك إلّا خفت أن أرمى بحجارة من السماء» فانّ الامام إذا لم يثبت عنده حدّ على حدّه ليس عليه فى تركه مؤاخذة عند اللّه تعالى بل المؤاخذة عليه فى اجرائه ولو مع علمه .

ومما يشهد انّه عطّل الحدّ رعاية لجانب المغيرة انّه بعد صدور هذا العمل عنه فى البصرة ، واشتهاره بين أهلها ، وخوضهم فى ذلك غضب عليه فى الظاهر فعزله عنها لكن رفع درجته فى الباطن فجعله اميراً لكوفة . فصار ذلك مثلاً بين الناس . قال ابن قتيبة فى عيونه : قال ابن سيرين كان الرجل يقول غضب اللّه عليك كما غضب الخليفة على المغيرة عزله عن البصرة ، واستعمله على الكوفة .

ويقال لعمر فى قوله للمغيرة «انك لفارغ القلب» فى تزوجه بجاريه فى طريق الاتيان به لاجراء الحدّ عليه انّ فراغ قلبه انّما كان من قبلك وكيف لا وتاسف عمر فى كون مكان زناء مكشوفاً فقال له «اخزى اللّه مكاناً واراك» .

واما تعطيله حدّ الشرب على قدامة بن مظعون ـ وكانت اُخت عمر تحته واُخت قدامة تحت عمر ـ ففى الاستيعاب لأبى عمر استعمل عمر قدامة بن مظعون على البحرين ، فقدم الجارود سيّد عبد القيس على عمر من البحرين ، وقال له : انّ قدامة شرب فسكر ، وانّى رأيت حدّاً من حدود اللّه حقّاً على أن أرفعه إليك فقال عمر : من يشهد معك قال : ابو هريرة . فدعى وقال له : بم تشهد ؟ فقال : لم أره يشرب ، ولكنّى رأيته سكران يقيء . فقال عمر : لقد تنطعت فى الشهادة . ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين . فقدم . فقال الجارود لعمر : اقم على هذا كتاب اللّه . فقال عمر : أخصيم أنت أم شهيد ؟ فقال : شهيد . فقال : قد أدّيت شهادتك . فصمت الجارود . ثم غدا على عمر . فقال : اقم على هذا حدّ اللّه . فقال عمر : ما أراك إلّا خصيماً ، وما شهد معك إلّا رجل واحد . فقال الجارود : انّى انشدك اللّه . قال عمر : لتمسكنّ لسانك أو لاسوءنّك . فقال : ما

عمراً ماوالله ماذلك بالحقّ ان يشرب الخمر ابن عمك ، وتسوءنى . فقال ابوهريرة فان كنت تشكّ فى شهادتنا . فارسل إلى ابنة الوليد فسلها ـ وهى امرئة قدامة ـ فارسل عمر الى هند بنت الوليد ينشدها . فأقامت الشهادة على زوجها . فقال عمر : لقدامة انّى حادّك . فقال : لوشربت كما يقولون ماكان لكم ان تحدّونى فقال عمر : لِم قال قدامة قال تعالى «ليس على الّذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فى ماطعموا» ـ الاية[1] .

والخبر وان تضمن حدّه له احياراً إلّا أنّه اضطرّ إلى حدّه بعد شهادة امرأته ولِم يحدّه اولا بعد شهادة رجلين بشربه . ولم يقل أحد أنّه يشترط فى حدّ الشرب رجلان وامرئة .

قلت : وقول الجارود لعمر اما والله ياعمر ماذلك بالحق أن يشرب الخمر ابن عمك ، وتسوءنى نظير قول المسور بن مخرمة لمّا بلغ يزيد بن معاوية انه قال : انّ يزيد يشرب الخمر . فكتب إلى اميرالمدينة أن يجلده الحدّ فجلده .

أيشربها صرفاً بفكّ ختامها × أبو خالد و يجلد الحدّ مسور

وان شئت قلت قول المسور نظير قول الجارود لأنّه كان قبل والاساس لما بعد .

ثم خبره وان تضمّن انّ عمر قال لقدامة بعد استناده الى الآية فى سقوط الحدّ عنه «لقد أخطأت فى التأويل» إلّا أنّه كان ذلك منه بعد ارشاد امير المؤمنين عليه السلام له . فروى محمّد بن يعقوب فى كافيه انّ قدامة لمّا قال لعمر لا يجب علىّ حدّ بالآية بلغ ذلك امير المؤمنين عليه السلام . فمشى إلى عمر . فقال له : لم تركت الحدّ على قدامة ، وقد شرب . فقال : انّه تلا علىّ هذه الآية . فقال عليه السلام : قدامة ليس من أهل هذه الآية ، ولا من سلك سبيله فى ارتكاب ماحرّم الله انّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلّون حراماً فاردد قدامة واستتبه ممّا قال : فإن تاب فاقم عليه الحدّ ، وان لم يتب فاقتله . فقد خرج عن الملّة . فاستيقظ عمر

(١) المائدة : ٩٢ .

لذلك، وعرف قدامة الخبر، فأظهر التوبة.

ومن تلوّنه انه قال بعد جعله الخلافة شورى «لو كان سالم مولى ابى حذيفة حيّاً ما جعلته شورى» مع أنّه ردّ على الأنصار فى ادّعاءهم الأمر لسعد بن عبادة بأنّ النبى قال «الأئمة من قريش» فكيف أراد أن يجعله فى غير قريش.

ثم يجعله فى مولى لا فى عربى مع انّهم كانوا يعاملون مع الموالى معاملة العبيد قال ابن عبد البر فى استيعابه بعد نقل قول عمر فى سالم كما مر «و هذا عندى على انّ عمر كان يصدر فى الخلافة عن رأيه».

قلت: ومنشأ رأى عمر ودا عيه إلى ذاك الرأى فى سالم انّ سالما وان كان مولى إلّا انّه كان له أثر جليل عنده، وعند صاحبه يوم السقيفة وقبله وبعده.

ومن تلوّنه انه قال لاهل الشورى — كما فى الاستيعاب «لله درهم ان ولّوها الاصلع — يعنى امير المؤمنين عليه السلام — كيف يحملهم على الحقّ» فقال له ابنه عبد اللّه بن عمر: أتعلم ذلك منه ولا تولّيه قال: إن لم استخلف فاتركهم فقد تركهم من هو خير منّى».

قلت: يا للّه للجواب من الرجل فهو الّذى أجبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ترك الوصية، وباللّه لحق أصحابه لكن لاغرو قال تعالى فى فرعون و قومه — فاستخفّ قومه فأطاعوه»[1].

ومن تلوّنه جعله قول الرجل لامرأته «أنت طالق ثلاثاً» كتطليقها ثلاث مرّات خلافاً للكتاب والسنّة: أما الكتاب. فقال تعالى «الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فإن طلّقها فلا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره»[2].

وأما السنة ففى سنن أبى داود مسنداً عن طاووس انّ رجلاً يقال له ابو الصهباء كان كثير السؤال لابن عباس قال: أما علمت أنّ الرجل كان إذا —

(۱) الزخرف ۵۴.

(۲) البقرة: ۲۲۹.

طلّق امرأته قبل أن يدخل بها ثلاثاً جعلوها واحدة على عهد النبى ﷺ و أبى بكر وصدرا من امارة عمر قال ابن عباس : ولما رأى عمر الناس تتايعوا فيها قال اجيزوهنّ عليهم » و روى أيضاً خبراً آخر عنه قريباً منه ، وفيه «وثلاثاً من امارة عمر » .

«واعتراض» : فى النهاية (الاعتراض) الدخول فى الباطل والامتناع من الحق .

و مع ابتلاء الناس به باعتراض أيضاً كما قال عليه السلام كان هو يفتخر بانه يصدّ الناس عن ذلك . فكان يقول «واضرب العروض» : أى من كان كالابل الّذى يأخذ يميناً وشمالاً ، ولا يلزم المحجّة .

روى سنن أبى داود انّ عمر لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتّى شهد عبد الرحمن بن عوف انّ النبى ﷺ أخذ ها من مجوس هجر .

و روى عن سعيد بن المسيب أنّ أخوين من الأنصار كان بينهما ميراث فسأل أحدهما صاحبه القسمة . فقال : ان عدت تسألنى . فكلّ مال لى فى رتاج الكعبة فقال له عمر «انّ الكعبة غنيّة عن مالك . كفّر عن يمينك وكلّم اخاك سمعت النبى ﷺ يقول : لا يمين عليك ، ولا نذر فى معصية الرب وفى قطيعه الرحم وفى ما لا تملك ..

فإذا كان النبى ﷺ قال ما نقل فلم امره بالتكفير ، وقد رووا انّ من حلف على شئ تركه خير منه فتركه كفارته .

وقال محيى الدين فى الحديث ٤٥٥٨ منه روى سعيد بن المسيب أنّ عمر كان يجعل فى الابهام خمس عشرة ، وفى السبابة عشراً . وفى الوسطى عشرا ، و فى البنصر تسعاً ، وفى الخنصر ستّاً حتّى وجد كتاباً عند آل عمرو بن حزم عن النبى ﷺ أنّ الأصابع كلّها سواء . فأخذ به ، وكان يجعل فى ما أقبل من الاسنان خمسة أبعرة ، وفى الأضراس بعيراً بعيراً ـ إلى أن قال ـ وأجمع

أهل العلم على أنّه لا تفضيل فى الأصابع والأسنان عملاً بالحديث.

وفى بلاغات نساء أحمد بن أبى طاهر البغدادى عن عايشة بنت عثمان بعد قتل أبيها «فهلا علنت كلمتكم، وظهرت حسكتكم اذ ابن الخطاب قائم على رؤوسكم. ماثل فى عرصاتكم ـ يرعد، ويبرق بارعابكم، ويقمعكم غيرحذر من تراجعكم الا ما فى بينكم، وهلا نقمتم عليه عوداً وبدءً إذ ملك ـ إلى أن قالت ـ يحكم فى رقابكم وأموالكم. كأنّكم عجائز صلع. واماء قصع. فبدء معلنا لابن أبى قحافة. بارث نبيّكم على بُعد رحمه، وضيق بلده، وقلّة عدده فوقى الله شرها زعم ـ إلى أن قالت ـ أولم يخصم الأنصار بقريش ـ ثم حكم بالطاعة لمولى أبى حذيفة. يتمايل بكم يميناً وشمالاً. قد خطب عقولكم واستمهر وجلكم ممتحناً لكم، ومعترفاً اخطاركم، وهل تسموهممكم إلى منازعته ولولا تيك لكان قسمه ـ خسيسا، وسعيه تعيساً. لكن بدر الرأى. وثنّى بالقضاء، وثلّث بالشورى ثم غدا سايراً. مسلطاً درّته على عاتقه. فتطأطأتم له تطأطأ الحقّة، وولّيتموه إدباركم حتّى علا أكتافكم. فلم يزل ينعق بكم فى كلّ مرتع، ويشدّ منكم على كلّ مخنق لا ينبعث لكم هتاف، ولا يأتلف لكم شهاب. يهجم عليكم بالسراء ـ (والضراء)، ويتورط بالحوباء عرفتم أونكرتم لا تألمون، ولا تستنطقون حتّى إذا عاد الأمر فيكم ـ إلخ.

و فى عيون ابن قتيبة تنازع إثنان أحدهما سلطانى، والآخر سوقى فضربه السلطانى. فصاح واعمراه. ورفع خبره إلى المأمون. فأمر بإدخاله عليه. و قال له: من أين أنت؟ قال: من أهل فامية. قال «إنّ عمر بن الخطاب كان يقول من كان جاره نبطياً. واحتاج إلى ثمنه فليبعه. فإن كنت تطلب سيرة عمر فهذا حكمه فيكم» وأمر له بألف درهم.

وفى عقد ابن عبد ربه كان عمر قاعداً، والدّرة معه، والناس حوله إذ أقبل الجارود العبدى. فقال رجل: هذا سيّد ربيعة. فسمعها عمر ومن حوله. و

سمعها الجارود . فلمّا دنا منه خفقه بالدّرة . فقال : مالى لك؟ قال ويلك سمعتها قال : وسمعتها . فمه ، قال : خشيت أن تخالط القوم ، ويقال : هذا أمير . فاحببت أن اطأطأ منك .

وفيه أيضاً رأى عمر ناساً يتّبعون أُبيّ بن كعب . فرفع عليه الدّرة . فقال له : أُبيّ اتّق اللّه . قال : فما هذه الجموع خلفك .

وفى صحيح مسلم والبخارى انّ عمر لمّا طعن أُغمى عليه فصيح عليه . فلمّا أفاق قال : أما علمتم أنّ النبى قال : إنّ الميّت ليعذّب ببكاء الحىّ .

وفى سنن أبى داود ذكر قول ابن عمر عن أبيه أنّ الميّت ليعذّب ببكاء أهله عليه عند عايشة . فقالت ذهل : انّما مرّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم على قبر يهودى . فقال : إنّ صاحب هذا ليعذّب وأهله يبكون عليه . ثم قرأت عايشة « ولا تزر وازرة وزر اخرى » .

وفى حيوة حيوان الدميرى قال قبيصة بن جابر الأسدى : كنت محرماً فرأيت ظبياً فرميته . فاصبته . فمات . فوقع فى نفسى من ذلك شئ . فأتيت عمر أسأله . فوجدت إلى جنبه رجلاً أبيض . رقيق الوجه . فإذا هو عبد الرحمن بن عوف . فسألت عمر . فالتفت إلى عبد الرحمن . فقال : ترى شاة تكفيه . قال : نعم . فأمرنى أن أذبح شاة . فلمّا قمنا من عنده قال صاحب لى : إنّ الخليفة لم يحسن أن يفتيك حتّى سأل الرجل . فسمع عمر بعض كلامه . فعلاه بالدّرة ضرباً . ثم اقبل علىّ ليضربنى . فقلت له : انّى لم أقل شيئاً إنّما هو قاله فتركنى .

وفى حيوان الجاحظ تقامر رجلان على عهد عمر بديكين . فأمر عمر بالديك أن يقتل . فأتاه رجل من الأنصار . فقال : امرت بقتل امة من الامم تسبّح اللّه تعالى فأمر بتركها .

و رووا أنّ رجلا جاء إلى عمر ، وقال له : إنّ صبيغا التميمى لقينا فجعل يسألنا عن تفسير حروف من القرآن . فقال : اللّهم امكنى منه . فبينا عمر كان يوما

جالساً يغدّى الناس إذ جاءه الضبيع، وعليه ثياب وعمامة. فتقدّم فأكل حتّى إذا فرغ قال لعمر ما معنى قوله تعالى «والذاريات ذروا فالحاملات وقرا» فقال عمر: ويحك أنت هو. فقام إليه فحسر عن ذراعيه. فلم يزل يجلده حتّى سقطت عمامته. فإذا له ضفيرتان. فقال له: والّذى نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك. ثم أمر به فجعل فى بيت. ثم يخرجه كلّ يوم فيضربه مأة. فإذا برئ أخرجه فضربه مأة أخرى. ثم حمله على قتب، وسيّره إلى البصرة، وكتب إلى أبى موسى أن يحرّم على الناس مجالسته، ويقوم فى الناس خطيباً ثم يقول «إنّ ضبيعاً قد ابتغى العلم فاخطأه» فلم يزل وضيعاً فى قومه وعند الناس حتّى هلك، وكان قبل سيّد قومه.

وفى الأغانى قال أبو عمرو الشيبانى: بعث عمر رجلاً من قريش يقال له: أبو سفيان يستقرئ أهل البادية. فمن لم يقرئ شيئاً من القرآن عاقبه. فأقبل حتّى نزل بمحلّة بنى نبهان فاستقرأ ابن عم لزيد الخيل. يقال له: أوس بن خالد. فلم يقرئ شيئاً. فضربه فمات. فأقامت بنته المكنّاة أم أوس ماتماً تندبه، وأقبل حريث بن زيد الخيل. فأخبرته. فأخذ الرمح. فشدّ على أبى سفيان. فطعنه فقتله. وقتل ناساً من أصحابه. ثم هرب إلى الشام، وقال:

الا بكّر الناعى بأوس بن خالد × أخى الشتوة الغبراء فى الزمن المحل
ولا تجزعى يا أم أوس فإنّه × يلاقى المنايا كلّ ذى حاف وناعل
فان تقتلوا أو ساغرى رافانّنى × تركت أبا سفيان ملتزم الرحل
ولولا الاسى ماعشت فى الناس بعده × ولكن إذا ما شئت جاوبنى مثلى
أصبنا به من خيرة القوم سبعة × كراماً ولم نأكل بحشف النخل

ولعمر الله كان فاروقاً بين الحقّ والباطل لكن باختياره الباطل أىّ باطل وتركه الحقّ أىّ حقّ.

«فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة» فى معارف ابن قتيبة كانت

ولاية عمر عشر سنين وستّة أشهر وخمس ليال .

«حتّى إذا مضى لسبيله» فيه أيضاً توفى عمر لأربع بقين من ذى الحجّة سنة ثلاث وعشرين ، وقد كان طعن لسبع بقين منه .

فى فصول المرتضى سئل هشام بن الحكم عما يرويه العامة من قول أمير المؤمنين عليه السلام لما قبض عمر ، وقد دخل عليه مسبحى «لوددت أنّ ألقى اللّه بصحيفة هذا المسبحى» فقال : هذا حديث غير ثابت ولا معروف الاسناد ، وإنّما حصل من جهة القصاص ، وأصحاب الطرقات ، ولو ثبت كان المعنى فيه معروفاً ، وذلك انّ عمر ، واطأ أبا بكر والمغيرة ، وسالما مولى أبى حذيفة ، وأبا عبيدة على كتب صحيفة بينهم يتعاقدون فيها على أنّه إذا مات النبى صلى الله عليه وآله لم يورّثوا أحداً من اهل بيته ، ولم يولوهم مقامه . فكانت الصحيفة لعمر إذ كان عماد القوم ، والصحيفة الّتى ودّ أمير المؤمنين عليه السلام ورجا أن يلقى اللّه بها هى هذه الصحيفة فيخاصمه بها ويحتجّ عليه بمتضمنها ـ والدليل على ذلك ما روته العامّة عن أبىّ بن كعب إنّه كان يقول فى مسجد النبى صلى الله عليه وآله بعد أن أفضى الأمر إلى أبى بكر بصوت يسمعه أهل المسجد « ألا هلك أهل العقدة ، واللّه ما آسى عليهم إنّما آسى على من يضلّون من الناس فقيل له : يا صاحب رسول اللّه من هؤلاء أهل العقدة ، وما عقدتهم . فقال «قوم تعاقدوا بينهم إن مات النبى لم يورثوا أحداً من أهل بيته ، ولا ولّوهم مقامه» أما واللّه لئن عشت إلى يوم الجمعة لأقومن فيهم مقاماً ابيّن به للناس أمرهم» قال فما أتت عليه الجمعة .

«جعلها» انّما الجعل للّه تعالى . فكما أنّ جعل الرسالة منه ـ عزّوجلّ ـ «اللّه أعلم حيث يجعل رسالته» كذلك جعل الامامة والخلافة من نبيه الّتى وظيفتها وظيفة النبوّة فلم يكن للنبى صلى الله عليه وآله أيضاً جعل لها من قبل نفسه فضلاً عن غيره . قال ـ جلّ وعلا ـ «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان اللّه وتعالى عما يشركون»[1] فكيف كان لعمر جعل الامامة ـ وفى أسد الغابة فى

(١) القصص : ٦٨ .

عنوان معاوية روى عبد الرحمن بن ابزى عن عمر أنّه قال : هذا الأمر فى أهل بدر مابقى منهم أحد . ثم فى كذا وكذا ، وليس فيها الطليق ، ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شئ .

مع أنّه وان قال بلسانه «ليس للطلقاء منه شئ» إلّا أنّه بعمله عمل عملاً وهبه بحذافيره للطلقاء وجعلها خالصة لهم .

وفى أنساب البلاذرى عن حارثة بن مضرب قال : حججت مع عمر فسمعت الحادى يقول «إنّ الأمير بعده ابن عفان» .

«فى جماعة» أوّلهم عثمان ، وثانيهم طلحة ، وثالثهم الزبير ، ورابعهم عبد الرحمن بن عوف ، وخامسهم سعد بن أبى وقاص ، وسادسهم هو عليه السلام على ما فى اثبات المسعودى .

«زعم أنّى أحدهم» تعبيره عليه السلام (بزعم) دالّ على أنّه جعله فى أولئك الجماعة ظاهراً وأخرجه منهم باطناً . فقالوا «زعم مطية الكذب» .

وكان حجير مؤذّن مسيلمة يقول فى أذانه : (أشهد أنّ مسيلمة يزعم أنّه رسول) فيقول له مسيلمة (افصح حجير) .

وفى جمل المفيد روى الحرث بن الفضل ، عن أبى عبد الله الاغرّ انّ الزبير قال لابنه يوم الجمل لمّا أراد تركهم ، وقال له ابنه : احسست برايات ابن أبى طالب «ويلك لا تدعنا على حال أنت والله قطعت بيننا وقرفت الفتنة بما بليت به من هذا المسير ـ إلى أن قال ـ فقال له ابنه : أفتدع علياً يستولى على الأمر ، و أنت تعلم أنّه كان أخسّ أهل الشورى عند عمر ، وقد أشار عمر ، وهو مطعون وقال لأصحابه أهل الشورى «ويلكم اطمعوا ابن أبى طالب فيها لا يفتق فى الاسلام فتقاً عظيماً ، ومنّوه حتّى تجمعوا على رجل سواه» .

وفيه أنّ امير المؤمنين عليه السلام أرسل ابن عباس إلى الزبير ليكلّمه إذ الهيكن ابنه بحاضر ـ إلى أن قال ـ فقال ابن الزبير لابن عباس : سئل عبد الرحمن

بن عوف عن أصحاب الشورى فكان صاحبكم اخيبهم عنده ، وما أدخله عمر فى الشورى إلّا وهو يقرفه ، ولكن خاف فتقه فى الاسلام .

قلت : الاسلام الّذى خاف عمر فتقه من اميرالمؤمنين عليه السلام انّما كان خلافته وخلافة صاحبه ، والأساس الّذى أسّساه لمن بعدهما ، وإلّا فاميرالمؤمنين عليه السلام كان اسس الاسلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ، وبسيفه قام الاسلام ، و بتركه التعرض لهم بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لئلّا يرتد الناس جميعاً بقى الاسلام كما صرّح هو عليه السلام واهل بيته كراراً ، وهم كانوا لا يبالون أن يمحى الاسلام إذا بقى لهم سلطانهم ، ومع أنّهم نالوا السلطنة واكلوا الدنيا بواسطة النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتلهفون على عدم قدرتهم على محو اسمه وخمول ذكره كما فعلوه بأهل بيته مدّة إلّا أنّ اللّه تعالى يأبى إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون .

وعن كتاب شورى عوانه ، وكتاب سقيفة الجوهرى . قال الشعبى : حدّثنى من لا أتّهمه من الأنصار . قال : مشيت وراء على بن أبى طالب حيث انصرف من عند عمر والعباس بن عبد المطلب يمشى فى جانبه . فسمعته يقول للعباس : ذهبت منّا واللّه . فقال : كيف علمت . قال : ألا تسمعه يقول كونوا فى الجانب الّذى فيه عبد الرحمن ، وانّه ابن عم سعد وعثمان صهره . فإذا اجتمع هؤلاء . فلو أنّ الرجلين الباقيين كانا معى لم يغنيا عنى شيئاً دع أنّى لست أرجو إلّا لأحدهما ومع ذلك . فقد احبّ عمر أن يعلمنا أنّ لعبد الرحمن عنده فضلاً علينا لا لعمر اللّه ما جعل اللّه ذلك لهم علينا . كما لم يجعل لأ ولاهم على أولانا أما واللّه لئن عمر لم يمت لا ذكرنّه ما أتى إلينا قديماً ، ولا علمنّه سوء رأيه فينا ، وما أتى إلينا حديثاً ، ولئن مات وليموتن ليجمعن هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنّا وليفعلن ليرونى حيث يكرهون ، واللّه ما بى رغبة فى السلطان ولا حبّ الدنيا ولكن لاظهار العدل ، والقيام بالكتاب والسنّة ـ ثم التفت فرآنى وراءه فعرفت أنّه قد ساءه ذلك . فقلت : لا ترع أباحسن لا و اللّه لا يسمع أحد الّذى سمعت

منك ما اصطحبنا في الدنيا . فوالله ما سمعه منّي مخلوق حتّى قبض الله عليّاً إلى رحمته .

قلت: الظاهر أنّ من قال الشعبي حدّثني من لا اتّهمه من الأنصار هو أبو طلحة الأنصاري .

وفي ارشاد محمّد بن محمّد بن النعمان روى يحيى الحماني، عن يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه عن ابي صادق قال: لمّا جعلها عمر شورى في ستّة . فقال: إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد . فكونوا مع الثلاثة الّذين فيهم عبد الرحمن، واقتلوا الثلاثة الّذين ليس فيهم عبد الرحمن . خرج علي عليه السلام من الدار، وهو معتمد على يد عبد الله بن عباس وقال: يا ابن عباس انّ القوم عادوكم بعد نبيّكم كمعاداتهم لنبيّكم في حيوته، والله لا ينيب بهم إلى الحقّ إلّا السيف . فقال له ابن عباس: وكيف ذاك . قال: أما سمعت قول عمر . قال: بلى قال: أولم تعلم أنّ عبد الرحمن ابن عم سعد، وانّ عثمان صهر عبد الرحمن . قال: بلى قال: فإنّ عمر قد علم أنّ سعداً وعبد الرحمن وعثمان لا يختلفون في الرأي، وانّه من بويع منهم كان إثنان معه، وأمر بقتل من خالفهم، ولم يبال أن يقتل طلحة اذا قتلني وقتل الزبير أيضاً والله لئن عاش عمر لا عرفنه سوء رائه فينا قديماً وحديثاً، ولئن مات يجمعني، وإيّاه يوم يكون فيه فصل الخطاب .

وفي العقد الفريد ـ بعد ذكر الشورى ـ فقال علي عليه السلام لقوم معه من بني هاشم: ان اطيع فيكم قومكم . فلن يؤمّروكم أبداً، وتلقّاه العباس . فقال له: عُدلت عنّا . قال: وما أعلمك قال: قرن بي عثمان . ثم قال: إن رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا، فكونوا مع الّذين فيهم عبد الرحمن، فلو كان الآخران معي ما نفعاني

وبالجملة انّما دبّر لعثمان لأنّه كان معهم من يوم أوّل قال (حد) روى كثير من الناس أنّ أبا بكر لمّا نزل به الموت دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: اخبرني عن عمر . فقال: انّه أفضل من رايك إلّا أنّ فيه غلظة . ثم دعا عثمان . فقال: أخبرني

عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال لهما أبوبكر: لا تذكرا مما قلت لكم شيئاً. ولو تركت عمر لما عدوتك يا عثمان.

ومرّ أنّ حداء حادى عمر فى حجّه كان «ان الأمير بعده ابن عفان».

وانّما لم يستخلفه صريحاً كما استخلفه أبوبكر صريحاً لأمرين أحدهما أنّ حماية عثمان عن بنى أمية أعداء النبى صلى الله عليه وآله كانت معلومة من أيام النبى صلى الله عليه وآله فكان يجير منهم من أباح النبى صلى الله عليه وآله دمه، ويلجئه إلى عفوه عنهم فلو كان عيّنه إسماً كان ذلك عاراً عليه.

والثانى أنّه إذا كان عيّنه شخصاً. ثم يقتله الناس بأعماله اضطراراً يصفو الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام بخلاف ما اذا جعل الأمر لستّة فبعد عثمان كان ـ الثلاثة الباقون طلحة والزبير وسعد مزعزعين لأمره عليه السلام، ولا سيما الأوّلان فإنّ الثالث وان لم يكن بايعه إلّا أنّه لم يقاتله، وهما قاتلاه، وسبّبا تضعيف أمره حتّى قام معاوية فى قباله.

ومما يشهد لأنّ عمر كان يعرف أنّ عثمان الّذى دبّر الأمر له يفعل ما يلجئ الناس إلى قتله ما قاله الجاحظ فى سفيانيته ـ بعد ذكر الشورى، واقبال عمر على كلّ من الستة ـ ثم أقبل عمر على عثمان. فقال «كأنّى بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر بحبّها إيّاك فحملت بنى أمية وبنى أبى معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيئ. فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً والله لئن فعلوا لتفعلن ولئن فعلت ليفعلن» ثم أخذ بناصيته. فقال: فاذا كان ذلك فاذكر قولى).

ولعمر الله إنّ سليمان بن عبد الملك مع كفر بنى أمية قاطبة كان أطيب نفساً من فاروقهم، وأقرب إلى طلب الحقّ. فإنّه دبّر لأن يصير الخلافة بعده لعمر بن عبد العزيز لصلاحه من بينهم بجعل يزيد أخيه بعده. ففى الطبرى قال سليمان بن عبد الملك لرجاء بن حيوة: كيف ترى فى عمر بن عبد العزيز.

فقال: اعلمه والله خيراً ، فاضلاً مسلماً ، فقال: هو والله على ذلك، ولكن والله لئن ولّيته ، ولم اوّل أحداً سواه لتكونن فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلى عليهم إلّا أن يجعل أحدهم بعده ، فاجعل يزيد بن عبد الملك بعده ، فانّ ذلك مما يسكّنهم ويرضون به ، فقال له رجاء: رايك ، فكتب «هذا كتاب من سليمان لعمر بن عبد العزيز انّى قد ولّيتك الخلافة من بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له واطيعوا» .

ولعمر الله أنّ عمر بتدبيره الأمر لعثمان ولّى معاوية بن أبى سفيان اللعين ابن اللعين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وباقى بنى امية الشجرة الملعونة فى القرآن الوليد بن يزيد وغيره .

ولم يكره ذاك الفاروق تحمل أوزار أولئك ، وانّما كره ولاية امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ميتاكما كرهها حيّاً كبنت صاحبه الّتى لم تستطع أن تذكر اسمه ، وكان ـ اطباق السماء على الأرض عندها أحب من ولايته عليه السلام .

وفى العقد الفريد ـ بعد ذكر طلب الناس كراراً من عمر استخلافه ، وقوله لو كان أبو عبيدة أو سالم مولى أبى حذيفة حيين استخلفتهما ـ قال عمر: قد كنت أجمعت بعد مقالتى لكم انّ اولّى رجلاً أمركم أرجو أن يحملكم على الحقّ ـ و أشار إلى على ـ ثم رأيت أن لا أتحملها حيّاً وميّتاً .

«فيالله» : بفتح اللام .

«وللشورى» : بكسر اللام وضم الشين قال الجوهرى فى قول الشاعر(يا للرجال ليوم الأربعاء) اللامان جميعاً للجر لكنّهم فتحوا الاولى وكسروا الثانية ليفرّقوا بين المستغاث به والمستغاث له .

روى أبو مخنف ـ ونقله (حد) فى موضع آخر ـ انّ عماراً قال يوم الشورى:

يا ناعى الاسلام قم فانعه × قد مات عرف وأتى منكر

والله لو أنّ لي أعواناً لقاتلتهم .

وقال عما رأيضاً لأميرالمؤمنين عليه السلام لئن قاتلتهم بواحد لاكونن ثانياً فقال عليه السلام والله ما أجد عليهم أعواناً ، ولا أحبّ أن أعرضكم لما لا تطيقون .

وفى العقد الفريد ذكروا أنّ زياداً أوفد ابن حصين على معاوية . فأقام عنده ما أقام . ثم انّ معاوية بعث إليه ليلاً فخلا به . فقال له : يا ابن حصين — بلغنى أنّ عندك ذ هناً وعقلاً . فأخبرنى عن شئ أسألك عنه قال : سلنى عمّا بدا لك قال أخبرنى ما الّذى شتّت أمر المسلمين ، وخالف بينهم قال : قتل الناس عثمان . قال : ماصنعت شيئاً . قال : فمسير طلحة والزبير ، وعايشة ، وقتال على إيّاهم قال : ماصنعت شيئاً . قال : ماعندى غير هذا . قال : فأنا اخبرك به انّه لم يشتّت بين المسلمين ، ولا فرّق أهواءهم إلّا الشورى الّتى جعلها عمر إلى ستّة نفر ، وذلك إذ قدّم النبى أبا بكر للصلوة . فرضوه لأمر دنياهم إذ رضيه لأمر دينهم واستخلف عمر ثم جعلها عمر شورى بين ستّة نفر فلم يكن رجل منهم إلّا رجا ها لنفسه ورجا ها له قومه وتطلعت إلى ذلك نفسه ، ولو أنّ عمر استخلف عليهم كما استخلف أبوبكر ما كان فى ذلك اختلاف .

وأقول : معاوية نفسه ماصنع شيئاً فى ما هو الأصل من فعل من عمر أوجب التشتّت بين المسلمين وتفريق أهواءهم . فإنّما الأصل إنّما هو منعه النبىّ صلّى الله عليه وآله عن كتابة وصية لامته لا يَضلون ولا يُضلّون .

ففى طبقات كاتب الواقدى لمّا كان فى مرض وفاة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمّته كتاباً لا يضلّون ولا يضلّو ن . فكان فى البيت لغط وكلام ، وتكلّم عمر بن الخطاب . فرفضه النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

وفيه وقال عبد اللّه بن العباس قال النبىُ صلى الله عليه وآله وسلم : هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده . فقال عمر : انّه قد غلبه الوجع ، وعندكم القران حسبنا كتاب الله . فاختلف من فى البيت . فمنهم من يقول قرّبوا يكتب لكم ، ومنهم من يقول ما قال عمر . فلمّا كثر اللغط والاختلاف وغمّوه . قال : قوموا عنّى .

وانّما كان معاوية متألّماً من شوراه مع نيله السلطنة بواسطة شوراه بتدبير الأمر لعثمان كما مرّ، وبانهاض طلحة والزبير وللحرب معه، وكتابه إليهما انكما ممّن رضيكما عمر، وأنا أدعو أهل الشام إلى خلافكما ليزلزلا أمر أمير المؤمنين عليه السلام. فيتمكّن ممّا يريد من قيامه في قباله عليه السلام لأنّه أراد استخلاف ابنه يزيد، وسعد بن أبي وقاص أحد ستّة شورى عمر كان حيا، وكان لا يمكنه مع وجوده ذلك. فاضطر إلى قتله كما أنّه لمعاهدته الحسن عليه السلام بردّ الأمر إليه بعده اضطر الى قتله بالسم، وانما انتظر معاوية أن يكون عمر يستخلف عثمان بالشخص كما استخلف أبو بكر بالشخص، وعثمان هو كان يستخلفه بلاريب، وكان يقول عثمان في أيّام قيام الناس عليه أنّ معاوية ولي دمي لكن يقال لمعاوية: إنّ صاحبك لو كان عمر استخلفه بالشخص ما كان يفيدك شيئاً بعد كون سيرته تلك السيرة فكان الناس يقتلونه وتكون أبعد من مرامك، ولم يكن لطلحة والزبير عنوان حتّى تنهضهما في قباله عليه السلام فيضعّفان أمره، وتتمكن أنت ممّا تمكنت. فعمر في دهائه عمل عملين تأخيره عليه السلام عن الخلافة، وتزلزل أمره في خلافته التي تحصل له قهراً من هجوم الناس عليه بعد قتل عثمان.

وفي (حد) في موضع آخر قال جعفرين مكي الحاجب قلت لمحمّد بن سليمان حاجب الحجّاب: ما تقول في هذا الاختلاف الواقع في أمر الإمامة من مبدء الحال؟ فقال: لا أعلم له أصلاً إلّا أمرين: أحدهما أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهمل أمر الأمّة. فلم يصرّح فيه بأحد بعينه، وإنما كان هناك رمز وايماء، وكناية وتعريض ـ إلى أن قال ـ وعادة الملوك إذا تمهّد ملكهم، وأرادوا العقد لولد من أولادهم أو ثقة من ثقاتهم أن يصرّحوا بذكره ويخطبوا باسمه على أعنان المنابر وبين فواصل الخطب، ويكتبوا بذلك إلى الآفاق البعيدة عنهم، ومن كان منهم ذا سرير ضرب اسمه على صفحات الدنانير والدراهم بحيث تزول الشبهة، وليس أمر الخلافة بهيّن ليترك في مظنّة الاشتباه، ولعله كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك عذر

أمّا خشية من ارجاف المنافقين بأنّها ليس بنبوّة ، وانّما هي ملك أوصى بها لسلالته أو لغيره ، ولعلّه لم يعلم أنّه يموت يدلّ عليه انّه لمّا نوزع في احضار الدواة ، — والكتف ليكتب لهم ما لا يضلّون بعده غضب ، وقال : اخرجوا عنّي ، ولم يجمعهم بعد بل أرجى الأمر ارجاء من يرتقب الافاقة . فبتلك الكنايات المحتملة مثل حديث (خاصف النعل) و (منزلة هرون من موسى) و «من كنت مولاه» و (هذا يعسوب الدين) و «لا فتى إلّا علي» و «أحبّ خلقك إليك» وما جرى هذا المجرى ممّا لا يسكت الخصم — إلى أن قال — والسبب الثاني جعل عمر الأمر شورى في الستّة . فبقي في نفس كلّ واحد انّه رشّح للخلافة — إلى أن قال —

ولم يكن رجاء طلحة والزبير بدون رجاء علي عليه السلام بل كان أقوى لأنّ عليّاً عليه السلام دحضه الأولان وأسقطاه وكسرانا موسه بين الناس فصار نسياً منسياً ولم يبق له مما يمتّ به إلّا انّه ابن عم الرسول ، وزوج بنته ، وأبو سبطيه ، ونسي ما وراء ذلك ، واتّفق له من بغض قريش ما لم يتّفق لأحد — إلى أن قال —

وهما : أي طلحة والزبير عند أنفسهما وعند الناس في أواخر أيّام عثمان خليفتان بالقوة لأنّ عمر نصّ عليهما وعمرنا فذا لحكم في حيوته وبعد وفاته . فلمّا فاتتهما فتقاذلك الفتق العظيم من حرب الجمل . ثم كانت الجمل تمهيداً — الصفّين . فإنّه لولا الجمل لم تكن صفّين . فأوهم معاوية أهل الشام أنّ عليّاً فسق بمحاربة أم المؤمنين ، وانّه قتل طلحة والزبير ، وهما من أهل الجنة فهو من أهل النار . ثم نشأ من فساد صفّين ، وضلال معاوية كلّ ما جرى من الفساد ، والقبيح في أيّام بني أمية ، ونشأت فتنة ابن الزبير ، فرعاً من فروع يوم الدار لأنّه كان يقول إنّ عثمان لمّا أيقن بالموت نصّ علي ولي شهود منهم مروان أفلا ترى كيف تسلسلت هذه الأمور فرعاً على أصل ، وغصناً من شجرة ، وجذوة من ضرام هكذا يدور بعضه على بعض وكلّه من الشورى في الستّة .

قلت : ويقال للرجل إذا لم تكن تلك الأمور من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمير المؤمنين

عليه السلام كافية لا سيما قوله «من كنت أولى به من نفسه وماله فعلى أولى به من نفسه وماله» لأنّه ليس بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم للناس «ألست بكم أولى بكم من أنفسكم و أموالكم» معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم بعده «فمن كنت مولاه فعلى مولاه» الا ذلك ، والا لكان قوله صلى الله عليه وآله وسلم اولا بلا ربط مع كلامه آخرا ، ويكون قول ذلك كفراً لأنّه من نسب إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم التكلّم بلا ربط ، وعن هجر يكفر ـ لم تكن أدلّة وجود الصانع كافية لأنّها ممّا لم تسكت الخصم الدهرية والطبيعيه كما لم تسكت تلك الأمور ـ الخصم العامة وأهل السنة .

ويقال له : الملوك أهل الدنيا يهينون أسباب مقاصدهم بأىّ وسيلة ، ولو بقتل نفوس وهتك اعراض ، والأنبياء إنّما يكتفون باتمام الحجّة ليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيى من حىّ عن بيّنة .

وكيف يقول «لم يجمعهم بعد وأرجى الأمر ارجاء من يرتقب الافاقة ، مع انّ فى طبقات ابن سعد انّه قيل له صلى الله عليه وآله وسلم بعد : الا ناتيك بما طلبت قال : أو بعد قول الرجل انّى لا هجر .

مع أنّه لو كان أراد ثانياً لمنعوه . فكان عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة يقول كان ابن عباس يقول «انّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبين كتابة وصيته ، وقال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يذكر ذلك ويبكى ، وكانّى إلى دموعه على خدّه كانها نظام اللؤلؤ .

وأقول : إنّ الرزية كلّ الرزيّة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن متمكّناً فى حيوته من كتابة وصية لأمّته لئلّا يضلّوا ، وعمر كان نافذ الحكم بعد مماته بأن يضربوا عنق أمير المؤمنين عليه السلام لو خالف دستوره فى جعل الأمر لبنى أميّة اللاعبين بالدين ، والمنكرين لوجود رب العالمين .

ولمّا كان تلك الشورى تدبيراً لانتقال الأمر إلى الشجرة الملعونة ، وموجباً قتله لو خالف ، وقيام طلحة والزبير فى قباله فى أيّامه وما ترتب عليها من المفاسد

من حدوث صفّين والنهروان ، وحدوث الخوارج وقتله عليه السلام قال عليه السلام (فيا لله و للشورى) .

ولا يكاد ينقضى العجب من دستور عمر فى ضرب عنق من خالف دستوره أىّ دستور كان كما لا يكاد ينقضى العجب من الناس كيف كانوا حاضرين لاجرائه

و روى الكافى أنّ عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطا ، وناساً من رؤساء المعتزلة دخلوا حدثان قتل الوليد بن يزيد ، واختلاف أهل الشام بينهم على الصادق عليه السلام . فتكلّموا وأكثروا . فقال لهم : قد أكثرتم علىّ فاسندوا أمركم إلى رجل منكم يتكلّم بحججكم . فاسندوا إلى عمرو بن عبيد فتكلّم ، وقال « قد قتل أهل الشام خليفتهم ، وشتّت اللّه أمرهم . فنظرنا رجلا له دين . وعقل و مروّة وموضع للخلافة ، وهو « محمّد بن عبد اللّه بن الحسن » فاردنا أن نبايعه . فمن بايعه فهو منّا ، ومن اعتزلنا كففناعنه ، ومن نصب لنا جاهدناه على بغيه ، وقد أحببنا أن تدخل معنا . فانّه لاغنى بنا عن مثلك لموضعك ، وكثرة شيعتك . فلمّا فرغ قال عليه السلام : أكلّكم على مثل ما قال ؟ قالوا : نعم . فقال عليه السلام له : لو أنّ هذه الامّة قلّدتك أمرها بغير قتال . وقيل لك : ولّها من شئت من كنت توليها قال : اجعلها شورى بين المسلمين قال : بين المسلمين كلّهم ؟ قال : نعم قال عليه السلام : قريش و غيرهم والعرب والعجم ؟ قال : نعم قال له : أخبرنى أتتولى أبا بكر و عمر او تتبرء منهما ؟ قال : بل أتولّاهما قال : فقد خالفتهما قد عمد عمر إلى أبى بكر فبايعه ، ولم يشاور فيه أحداً . ثم ردّها أبو بكر عليه ، ولم يشاور فيه احدا . ثم جعلها عمر شورى بين ستة وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار غير أولئك الستّة من قريش ، وأوصى فيهم شيئاً لا أراك ترضى به أنت و أصحابك إذ جعلتها شورى بين جميع المسلمين قال : وما صنع عمر قال : أمر صهيباً أن يصلّى بالناس ثلاثة أيّام ، وأن يشاور أولئك الستّة ليس معهم أحد إلّا ابن عمر يشاورونه وليس له من الأمر شئ ، وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار ان مضت ثلاثة أيّام قبل أن يفرغوا أو يبايعوا

رجلاً أن يضربوا أعناق أولئك الستّة جميعاً . فإن اجتمع أربعة قبل أن تمضى ثلاثة أيّام وخالف إثنان أن يضربوا أعناق الإثنين أفترضون بهذا أنتم فى ما تجعلون من الشورى فى جماعة المسلمين قالوا : لا ـ الخبر .

وفى مقاتل أبى الفرج الاصبهانى بأسانيد أنّ المأمون وجّه إلى جماعة من آل أبى طالب . فحملهم إليه من المدينة ، وفيهم علىّ بن موسى الرضا . فأخذ بهم على طريق البصرة حتّى جاؤه بهم ، وكان المتولّى لاشخاصهم المعروف بالجلودى من أهل خراسان . فقدّم بهم على المأمون . فأنزلهم داراً ، وأنزل على بن موسى الرضا داراً ، ووجّه إلى الفضل بن سهل . فاعلمه أنّه يريد العقد له بعده ، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك . فاجتمعا بحضرته ، وجعل الحسن يعظّم ذلك عليه ، ويعرّفه ما فى إخراج الأمر من أهل بيته إليه . فقال : انّى عاهدت اللّه أن اخرجها إلى أفضل آل أبى طالب ان ظفرت بالمخلوع ، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل . فاجتمعا معه على ما أراد . فأرسلهما إليه . فعرضا ذلك عليه . فأبى . فلم يزالا به ، وهو يأبى ذلك ، ويمتنع منه إلى أن قال له أحدهما : إن ـ فعلت ، والّا فعلناكذا وكذا ـ وتهدّداه ثم قال له أحدهما : واللّه أمرنى بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد . ثم دعا به المأمون فخاطبه فى ذلك فامتنع . فقال له قولاً شبيهاً بالتهدد ـ ثم قال له : انّ عمر جعل الشورى فى ستّة أحدهم جدّك وقال : من خالف . فاضربوا عنقه ، ولا بدّ من قبول ذلك فأجابه .

هذا ، ولمّا تخلّف ابن الزبير عن بيعة يزيد ، واستجار بالكعبة جعل الأمر شورى بينه ، وبين المسور بن مخرمة ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، وفى أنساب البلاذرى . فأصاب المسور شظية من حجر فى وجنته فتوفى منها يوم جاء نعى يزيد فى آخر النهار ومات مصعب أو قتل فى حصار ابن نمير فلمّا شخص ابن نمير بويع ابن الزبير . قال نافع : كنت تحت منبر ابن الزبير يوم دعا إلى نفسه بعد يزيد وكان قبل يدعو إلى المشورى .

وفيه قال ابووجزة مولى خزاعة مخاطباً لابن الزبير:

اخوانكم ان بلاء حلّ ساحتكم × ولا ترون لنا فى غيره سببا

نعاهد الله عهداً لا نخيس به × لن نقبل الدهر شورى بعد من ذهبا

«متى اعترض الريب فىّ مع الأوّل منهم» فانّ الأول، وهو صدّيقهم انّما كانت منقبته منحصرة فى كونه صاحب الغار، وأنّه أمره النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالصلوة فى مرضه ولو كان له شئ آخر لذكره له الثانى لمّا كان يحرّض الناس على بيعته.

مع أنّ كلاً منهما إلى المثلبة أقرب أما الأولى فتضمن القرآن ايذاء صاحب الغار لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرجه من وصف الايمان حيث خصّ إنزال السكينة بنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم مع أنّه فى آيات أخر شرّك المؤمنين معه صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك، وأمّا الثانية. فانّما كانت من قبل بنته، وخرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع شدّة مرضه متكئاً على نفرين لمنعه.

وأما هو عليه السلام فمقاماته أكثر من أن تحصى، وروى أحمد بن الحسن القطان من رجالهم باسناده عن جعفر بن محمّد، عن آبائه أنّه لمّا كان من أمر أبى بكر ما كان لم يزل أبوبكر يظهر الانبساط لعلى، ويرى منه انقباضاً ـ إلى أن قال ـ فقال له على عليه السلام: أخبرنى عن الّذى يستحق هذا الأمر بما يستحقّه قال: بالنصيحة والوفاء، ورفع المداهنة، والمحاباة، وحسن السيرة، وإظهار العدل والعلم بالكتاب والسنّة، وفصل الخطاب مع الزهد فى الدنيا، وقلّة الرغبة فيها، وانصاف المظلوم من الظالم القريب والبعيد. فقال له على: انشدك الله أفى نفسك تجد هذه الخصال أم فىّ قال: بل فيك ـ قال انشدك بالله انا المجيب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذكر أن المسلمين أم أنت قال بل أنت ـ قال: انشدك بالله إنّ الأذان لأهل الموسم بسورة براءة أنا أم أنت قال: بل أنت ـ قال: فانشدك بالله أنا وقيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنفسى يوم الغار أم أنت قال: بل أنت ـ قال: انشدك بالله إنّ الولاية من الله مع ولاية رسوله فى آية زكوة الخاتم لى أم لك قال: بل

لك. قال: انشدك بالله أنا المولى لكل مسلم بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: انشدك بالله أملي الوزارة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمثل من هرون من موسى أم لك؟ قال: بل لك. قال: فانشدك بالله أبى برز النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأهلى وولدى فى مباهلة المشركين من النصارى أم بك. و بأهلك وولدك؟ قال: بل بكم. قال: فانشدك بالله إلىّ ولأهلى وولدى آية التطهير من الرجس أولك ولأهل بيتك؟ قال: بل لك، ولأهل بيتك. قال: — فانشدك بالله أنا وولدى وأهلى صاحب دعوة الرسول يوم الكساء «اللهم هؤلاء أهلى إليك لا إلى النار» أم أنت؟ قال: بل أنت وأهلك وولدك. قال: فانشدك بالله أنا صاحب الآية «يوفون بالنذر ويخافون يوماً ماكان شرّه مستطيرا» أم أنت قال: بل أنت. قال: فانشدك بالله أنا الفتى الذى نودى من السماء (لاسيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا على» أم أنت قال: بل أنت. قال: فانشدك بالله أنت الذى حباه النبى صلى الله عليه وآله وسلم الراية يوم خيبر، وقال «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله» ففتح له أم أنا قال: بل أنت — قال: فانشدك بالله أنت الذى نفيت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كربته، وعن المسلمين بقتل عمرو بن عبد ود أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: أنشدك بالله أنت الذى طهّره — النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من السفاح من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه بقوله «أنا وأنت من نكاح لا سفاح من آدم إلى عبد المطلب» أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فانشدك بالله أنا الذى اختاره النبى صلى الله عليه وآله وسلم وزوّجه ابنته فاطمة، وقال له «زوّجك الله» أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فانشدك بالله أنا والد الحسن والحسين، ريحانتيه اللذين قال فيهما «هذان سيدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما» أم أنت؟ قال: بل أنت. قال فانشدك بالله أنت الذى خوه المزيّن بجناحين فى الجنّة مع الملئكة أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فانشدك بالله أنا ضمنت دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وناديت فى الموسم بانجاز موعده أم أنت قال: بل أنت.

قال : فانشدك بالله أنا الّذى دعاه النبى ﷺ لطير عنده يريدا كله . فقال «اللهم ايتنى بأحبّ خلقك إليك بعدى» أم أنت ؟ قال : بل أنت ـ قال : فانشدك بالله أنا الّذى بشّره النبىّ ﷺ « بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين على تأويل القرآن» أم أنت ؟ قال : بل أنت . قال : فانشدك بالله أنا الّذى شهد آخر كلام رسوله ص وولى غسله ودفنه أم أنت؟ قال : بل أنت ، قال : فانشدك بالله أنت الّذى سبقت له القرابة من الرسول ص أم أنا ؟ قال : بل أنت : قال : فانشدك بالله أنا الّذى دلّ عليه النبى ﷺ بعلم القضاء بقوله (على أقضاكم) أم انت؟ قال : بل أنت . قال : فانشدك بالله أنت الّذى حباه الله تعالى بدينار عند حاجته ، و باعه جبرئيل ، وأضاف محمّداً ﷺ وولده أم أنت . فبكى أبوبكر؟ وقال : بل أنت ؟ قال فانشدك بالله أنت الّذى حمله النبى ﷺ على كتفه فى طرح صنم الكعبة وكسره حتّى لو شاء أن ينال أفق السماء لنالها أم أنا ؟ قال : بل أنت : قال له : أنشدك بالله . فأنت الّذى أمر النبى ﷺ بفتح بابه فى مسجده حين أمر بسدّ أبواب جميع أصحابه وأهل بيته ، وأحلّ له فيه ما أحلّه الله له أم أنا ؟ قال بل أنا قال : فانشدك بالله أنت الّذى قدّم بين يدى نجواه للرسول ﷺ صدقة فناجاه إذ عاتب أقواماً فقال «اشفقتم أن تقدّموا بين يدى نجواكم صدقات» أم أنا ؟ قال : بل أنت . قال : فانشدك بالله أنت الّذى قال فيه النبى صلى الله عليه وآله لفاطمة «زوجك أول الناس ايماناً ، وأرجحهم اسلاماً» فى كلام له . أم أنا ؟ قال : بل أنت . فلم يزل على عليه السلام يعدّ عليه مناقبه الّتى جعلها الله تعالى دون غيره ، ويقول له أبوبكر «بهذا وشبهه يستحق القيام بأمور أمّة محمّد» ـ إلى أن قال ـ فقال له عمر «دون ما تروم ياعلى خرط القتاد» .

قلت : وما تضمنه هذا الخبر مما عدّه عليه السلام من فضائله دراية لا ريب فيها وليست مثل روايات افتعلوها لاولهم ولباقيهم مزخرفات ، ولما مر للأوّل من كونه صاحب الغار وصاحب الصلوة .

هذی المکارم لاقعبان من لبن × شیبت بماء ثم عادت بعد ابوالا

وکیف یعترض الریب فیه عليه السلام مع أحد ، وهو عليه السلام کنفس النبی صلى الله عليه وآله وسلم — بشهادة آیة (وأنفسنا) ودلالة مستفیضة اتحاد نوریهما .

وعن طبقات حنابلة ابن أبی لیلی فی الصفحة (۱۲۰) من جزئه الثانی قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : ما تقول فی التفضیل . قال : فی الخلافة أبوبکر وعمر وعثمان . فقلت : فعلی . فقال : یا بنی علی بن أبی طالب من أهل بیت لا یقاس بهم أحد .

وعن محاسن البیهقی فی ۳۹/ جزئه الأول قام رجل فی مجلس ابن — عایشة . فقال : یا أباعبد الرحمن من أفضل أصحاب النبی صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : أبوبکر و عمر وعثمان ، وعبد الرحمن ، وطلحة والزبیر . فقال الرجل : فأین علی بن أبوطالب فقال ابن عایشة : انّ الله تعالی یقول «قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءکم ونسائنا ونساءکم وأنفسنا وأنفسکم»[1] فکیف تکون أصحابه مثل نفسه .

ومنکر افضلیته عليه السلام بعد النبی صلى الله عليه وآله وسلم علی جمیع العالمین کمنکر البدیهیات کیف لا ، وقد قال — جلّ وعلا — «هل یستوی الّذین یعلمون والّذین لا — یعلمون»[2] وقال — عزّ من قائل — «یرفع الله الّذین آمنوا والّذین اُوتوا العلم درجات»[3] وقال تعالی «وفضّل الله المجاهدین بأموالهم وأنفسهم علی القاعدین درجة»[4] وکان عليه السلام فی العلم والایمان والجهاد فی الأقصی . أما علمه عليه السلام — فقال النبی صلى الله عليه وآله وسلم فیه «أنا مدینة العلم وعلیّ بابها ، ومن أراد مدینة فلیأتها من بابها» وأما ایمانه . فقال — صلوات علیه وآله — له «الایمان مخالط لحمك ودمك کما خالط لحمی ودمی» وأمّا جهاده عليه السلام . فیکفیه قول جبرئیل عليه السلام

---

(۱) آل عمران : ۶۱ .
(۲) الزمر : ۹ .
(۳) المجادلة : ۱۱ .
(۴) النساء : ۹۵ .

فى أحد للنبىّ ﷺ لمّا فرّ عنه جميع أصحابه ، وأراد المشركون قتله ويكرّ عليهم أمير المؤمنين عليه السلام مرّة بعد مرّة ويفرّقهم «إنّ هذه لهى المواساة» وقول النبىّ صلّى الله عليه وآله «ومايمنعه من مواساتى وهومنّى وأنا منه» وقول جبرئيل «وأنا منكما» وقول جبرئيل ذاك اليوم «لا فتى إلّا علىّ ولا سيف إلّا ذوالفقار» .

«حتّى صرت أقرن إلى هذه النظائر» عثمان وطلحة والزبير ، وسعد ، و عبد الرحمن .

روى ميزان الذهبى فى (عروة بن مروان العرقى) ، عن أبى إسحق قال: سألت ابن عمر ، عن عثمان و على . فقال : تسألنى عن على . فقد رأيت مكانه من رسول الله ﷺ أنّه سدّ أبواب المسجد إلّا باب على .

ورووا عن الشعبى قال : دخل على عليه السلام على عثمان ، وعنده أهل الشورى وقد كان بلغه عنهم هنات ، وقوارض . فقال لهم — فى جملة كلام — «لكنّى أخبركم عن أنفسكم أمّا أنت ياعثمان . ففررت يوم حنين ، وتولّيت يوم التقى الجمعان ، وأمّا أنت ياطلحة . فقلت : إن مات محمّد لنركضن بين خلاخل نسائه كما ركض بين خلاخل نسائنا ، وأما أنت ياعبد الرحمن . فصاحب قراريط ، وأما أنت يا سعد فتدّق أن تذكر» ثم خرج فقال لهم عثمان : أما فيكم أحد يردّ عليه قالوا وما منعك من ذلك وأنت أميرنا .

أراد عمر أقران أمير المؤمنين عليه السلام بعثمان مع كون سوابق عثمان كلوا حقه موادّة من حادّ الله ورسوله . فتارة كان يقول (انّ علياً وعثمان من بنى عبد مناف) — وعلى قياسه يجب أن يكون أبوسفيان مثل النبىّ ﷺ لكون كل منهما من بنى عبد مناف — وأخرى كان يقول «انّ الناس لا يعدلون بهذين الرجلين اللذين كان الرسول نجيّا بينهما وبين جبرئيل يتبلغ عنه ويملى عليهما» .

وعلى قياسه كان عليه أن يزيد عليهما ابن أبى سرح الّذى نزل القرآن بكفره وأهدر النبىّ ﷺ دمه ، وان حماه عثمان فى حيوة النبى ﷺ ، وولّاه بعده فى

أيّام خلافته . فانّه أيضاً كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم واسطة بينه وبين جبرئيل .

ولم لم يزد معاوية الّذى كان يقول انّه كاتب الوحى بلا وساطة النبى . ففى نقض عثمانية الاسكافى «روى الواقدى أنّ معاوية بعد بيعة العراق لمجمع أهل الشام ، وكتب لهم كتاباً وقرأه عليهم «هذا كتاب كتبه معاوية صاحب وحى اللّه الّذى بعث محمّداً نبيّاً ، وكان امّيّا لا يقرء ولا يكتب . فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً أميناً . فكان الوحى ينزل على محمّد ، وأنا أكتبه ، وهو لا يعلم ما أكتب . فلم يكن بينى وبين اللّه أحد من خلقه» .

وإذا كان عمر يقول ذاك لم لا يقول معاوية هذا :

وعن «مفاخرات هاشم وامّيّة» للجاحظ . قالت هاشم لامّيّة : قال شاعركم

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة × ولم نرمهدياً على الجذع يصلب

وقستم بعثمان علياً سفاهة × وعثمان خير من على و أطيب

فقال بعض الصالحين من اهل البيت «اللهم ان كان كاذباً فسلّط عليه كلباً من كلابك» فخرج يوماً فى سفره فعرض له أسد فافترسه وقد ذكر تفصيل ما قاله الجاحظ الحموى فى أدبائه . فقال : جاء رجل إلى عبد اللّه بن جعفر ، وقال له يا ابن عم الرسول هذا حكيم الكلبى ينشد هجاءكم بالكوفة ـ وأنشده البيت ـ فرفع يديه ، وهما ينتقضان رعدة . فقال «اللهم ان كان كاذباً فسلّط عليه كلباً» فخرج حكيم من الكوفة فافترسه الأسد وأكله . فاتى البشير عبد اللّه فبشّره بذلك ، و هو فى مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فخرّ للّه ساجداً ، وقال : الحمد للّه الّذى صدقنا وعده .

وأقول لشاعرهم : هل يستوى الظلمات والنور حتى نقيس علياً به فان كنّا نفعل ذلك كان ذلك سفاهة منّا كما قلت ، وانما قاسه به فاروقكم .

وفى الطبرى قال الرشيد لعبد اللّه بن ثقيف الزهرى : ما تقول فى الذين طعنوا على عثمان؟ فقال : طعن عليه ناس ، وكان معه ناس . فأما الّذين ـ طعنوا عليه فتفرّقوا عنه . فهم أنواع الشيع . وأهل البدع ، وأنواع الخوارج ، و

أما الّذين كانوا معه · فهم أهل الجماعة إلى اليوم · فقال الرشيد : ما احتاج بعد هذا اليوم أن أسأل عنه ـ ثم قال له : فما منزلة أبى بكر و عمر من النبى فقال كانت منزلتهما فى حيوته منه منزلتهما فى مماته · فقال له الرشيد : كفيتنى ما احتاج إليه ·

قلت : أما جوابه عن عثمان · فمغالطة · فالطاعنون عليه جمهور المسلمين عموماً قبل أن يحمل معاوية الناس قهراً على توليه ، وأصحاب اميرالمؤمنين عليه السلام فى الجمل وصفين والنهروان ، وأصحاب الحسين عليه السلام يوم الطف خصوصاً ، وأما الّذين كانوا معه · فالناكثون والقاسطون ، وقتلة عترة رسول رب العالمين ، و سابى بناته أصحاب يزيد بن معاوية ، و عبيد اللّه بن زياد و بنى مروان ·

وأما جوابه عن أبى بكر و عمر · فبرهان من الغرائب فإذا كانت هكذا الدلائل ينحل كثير من المسائل ونحن نقول ـ وشاهدنا الدراية ـ انّه كما أنّ منزلتهما من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مماته كان غصباً وجوراً كان منزلتهما منه فى حيوته كذباً ومينا ·

وفى تاريخ بغداد قال القاسم بن سلام : فعلت بالبصرة فعلتين أرجو بهما الجنّة : اتيت يحيى القطان ، وهو يقول أبوبكر و عمر و على . فقلت معى شاهدان من أهل بدر يشهدان أنّ عثمان أفضل من على قال من ، قلت : أنت حدّثتنا عن شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال : خطبنا عبد اللّه بن مسعود · فقال (أميرنا خير من بقى ولم نال) ـ قال : ومن الآخر قلت « الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة قال : سمعت عبد الرحمن بن عوف يقول « شاورت المهاجرين الأوّلين وأمراء الأجناد ، وأصحاب النبى فلم أر أحداً يعدل بعثمان » قال : فترك قوله ، وقال أبوبكر و عمر و عثمان ·

قلت : انّ الرجل لم يدع للجلافة ، وقلّة الحياء حدّاً · أما ابن مسعود فكيف يقول بما قاله وقد كان عثمان ضربه حتّى كسر ضلعه ، وقد أوصى أن لا يصلّى عليه عثمان ، وكان يقول « ما يزن عثمان عند اللّه جناح ذباب » ·

وكان يقول : ليتنى و عثمان برمل عالج يحثو علىّ واحثو عليه حتّى يموت

الاعجز منّي ومنه.

وأمّا ابن عوف. فانّما ولّاه لكونه صهره ثم ندم ولم يكلّمه حتّى مات وأوصى أن لا يصلّى عليه.

والمشيرون عليه باستخلافه انّما كانوا أعداء اللّه و أعداء رسوله، و أما المهاجرون الأوّلون كالمقداد وأبي ذر وعمار ونظراءهم فانّما أشاروا عليه باستخلاف أمير المؤمنين عليه السلام. ففي سقيفة الجوهري عن معروف بن سويد قال: كنت بالمدينة أيّام بويع عثمان. فرأيت رجلاً في المسجد جالساً، وهو يصفق بإحدى يديه على الاخرى، والناس حوله، ويقول «واعجباً من قريش واستيثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت معدن الفضل ونجوم الأرض ونور البلاد واللّه انّ فيهم لرجلاً ما رأيت بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالحقّ منه، ولا أقضى بالعدل، ولا آمر بالمعروف، ولا أنهى عن المنكر» قال: فسألت عنه. فقيل: هذا المقداد فتقدّمت إليه، وقلت: من الرجل الّذي تذكر. قال: ابن عم نبيّك علي بن أبي طالب. قال: فلبثت ما شاء اللّه. ثم لقيت أباذر فحدّثته بما قال المقداد. قال صدق. قلت: فما يمنعكم أن تجعلوا الأمر فيهم. قال: أبى ذلك قومهم قريش.

وفيه أيضاً «عن الشعبي قال في خبر أهل الشورى» فأقبل المقداد والناس مجتمعون. فقال: اسمعوا ما أقول: أنا المقداد بن عمرو انّكم إن بايعتم علياً سمعنا وأطعنا، وان بايعتم عثمان سمعنا وعصينا. فقام عبد اللّه بن أبي ربيعة المخزومي فنادى أيّها الناس إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا، وان بايعتم علياً سمعنا و عصينا. فقال له المقداد: يا عدوّ اللّه وعدوّ رسوله، وعدوّ كتابه ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون. فقال له عبد اللّه: ومتى كان مثلك يجترئ على الدخول في أمر قريش ـ فقال عبد اللّه بن أبي سرح: أيّها الملأ إن أردتم أن لا يختلف ـ قريش فيما بينها. فبايعوا عثمان. فقال عمار: إن أردتم أن لا يختلف المسلمون في ما بينهم. فبايعوا علياً وقال لابن أبي سرح: يا فاسق ابن الفاسق أنت ممّن

يستنصحه المسلمون أويستشيرونه فى أمورهم ـ الخبر.

ومن المضحك أنّ الخطيب الناصبى تقيد فى تاريخ بغداده بتقديم ذكر من اسمه عثمان على من كان اسمه على، وتقديم ذكر من كان اسم أبيه كذلك. فيقال له: إنّ إمامك أباح دمه المسلمون، ومنعوا دفنه مع المسلمين، وإنّما ـ أجبر معاوية وباقى بنى أمية الناس بالسيف على القول به.

كما انه خلعه من نصبه وهو ابن عوف فعن تاريخ الواقدى قال عثمان بن الشريد: دخلت على عبد الرحمن بن عوف فى شكواه الّذى مات فيه أعوده فذكر عنده عثمان. فقال «عاجلوا طاغيتكم قبل أن يتمادى فى ملكه» قالوا: فأنت ولّيته قال: لا عهد لناقض.

وفى الطبرى قال عفيف بن زهير بن أبى الأخنس ـ وكان قد شهد مقتل الحسين عليه السلام ـ خرج يزيد بن معقل من بنى عميرة بن ربيعة، وحليف بنى سليمة من عبد القيس. فقال: يا بريربن خضير كيف ترى الله صنع بك؟ قال: صنع والله بى خيراً، وصنع بك شرّاً. قال: كذبت وقبل اليوم ماكنت كذّاباً هل تذكر، وأنا اماشيك فى بنى لوذان، وأنت تقول: إنّ عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً وأنّ معاوية ضال مضلّ، وأنّ إمام الهدى والحقّ على بن أبى طالب. فقال له بريز: أشهد أنّ هذا رأيى وقولى. فقال له يزيد «فإنّى أشهد أنّك من الضالّين» فقال له بريز «هل لك اباهلك، وندعو الله أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المبطل ثم أخرج لابارزك» قال: نعم فخرجا فرفعا أيديهما «يدعوان الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المحق المبطل» ثم برز كلّ واحد منهما لصاحبه فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بريراً ضربة خفيفة لم تضرّه شيئاً، وضربه بريرضربة قدّت المغفر، وبلغت ـ الدماغ فخرّ كأنّما هوى من حالق، وأنّ سيف بريرلثابت فى رأسه. فكأنّى أنظر إليه ينضنضه من رأسه.

«لكنّى اسففت إذ اسفوا» من (اسفّ الطائر): إذا طار دانياً من الأرض

حتّى كادت رجلاه تصيبانها ·

«وطرت إذ طاروا» ونظير كلامه عليه السلام قول ابن عباس لكن بالعكس لمّا قيل له «ما منع علياً عليه السلام أن يبعثك مكان أبى موسى» «منعه من ذلك حائل القدر وقصر المدّة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثنى مكانه لاعترضت مدارج نفسه ناقضاً لما أبرم ومبرماً لما نقض اسفّ إذا طاروا طيراً إذ اسفّ ولكن مضى قدر وبقى أسف»

وقريب منه فى المعنى قول ابى تمامه :

اخاصمهم مرة قائماً × واجثوا إذا ما جثوا للركب

اذا منطق قال صاحبى × تعقبت آخر ما معتقب

وقال الرضى ـ رحمه الله ـ فى وصف الدهر ·

اسفّ بمن يطير إلى المعالى × و طار بمن يُسفّ الى الدنايا

«فصغى» بكسر الغين : اى مال

«رجل منهم لضغنه» : أى لحقده ·

قال (حد) يعنى عليه السلام بالرجل طلحة ، وانّما مال طلحة إلى عثمان لأنّه تيمى ابن عم أبى بكر ، وقد كان حصل فى نفوس بنى هاشم من بنى تيم حنق شديد لأجل الخلافة ، وكذلك صار فى صدور بنى تيم على بنى هاشم ، وهذا أمر مركوز فى طبيعة البشر ، وخصوصاً العرب ، وقال الراوندى «يعنى عليه السلام بالرجل سعد بن أبى وقاص لأنّ علياً عليه السلام قتل أباه يوم بدر» وهو خطأ فإنّ أباه مات فى الجاهلية وان صحّت الرواية الّتى تضمنت انّ طلحه لم يكن حاضراً يوم الشورى كما اختاره الطبرى · فذو الضغن سعد لأنّ أمّه حمنة بنت سفيان بن أميّة بن عبد شمس ، والضغنية الّتى عنده على على عليه السلام من قبل أخواله الّذين قتل صناديدهم ، ولم أعرف أنّ علياً عليه السلام قتل أحداً من بنى زهرة لينسب الضغن إليه ·

قلت : والرواية المتضمنة بأنّ طلحه لم يكن حاضراً لم ينحصر اختياره بالطبرى · فقد اختاره الجوهرى فى زيادات سقيفته وعوانه فى كتاب شوراه ،

وابن عبد ربه فى عقده واعثم الكوفى فى تاريخه ، وابن قتيبة فى معارفه .

ثم المراد بالرجل سعد معيّناً ولولم تكن تلك الرواية صحيحة لما مر عن كتاب الشورى والسقيفة عن الشعبى ، وعن كتاب الحمانى عن أبى صادق أنّه ـ عليه السلام قال «انّ سعداً مع ابن عمه ابن عوف وابن عوف مع صهره عثمان فلو فرض كون طلحة والزبير معى مانفعانى» وزاد فى الأخير «ولم يبال أن يقتل طلحة إذا قتلنى وقتل الزبير» .

و فى خبر الطبرى قال على عليه السلام لعمه عدل بالأمر عنّى قال : و ماعلمك قال : قرن بى عثمان ، وقال «كونوا مع الأكثر فإن رضى رجلان رجلاً ورجلان رجلا فكونوا مع الّذين فيهم عبد الرحمن» فسعد لا يخالف ابن عمه ، و عبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان ، فيوليها أحدهما الآخر ، فلو كان الآخران معى لم يغنيا شيئا .

وفى العقد قال المدائنى قال على عليه السلام لسعد : أسألك برحم ابنىّ ـ الحسن والحسين من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وبرحم عمّى حمزة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن ظهيراً علىّ لعثمان .

وبالجملة فكما كون المراد من قوله عليه السلام بعد «ومال الآخر لصهره» ـ عبد الرحمن معيّن كذلك معيّن أنّ المراد بقوله عليه السلام (فصغى رجل منهم) ـ الخ ـ هو سعد لا طلحة ولو فرض كونه حاضراً كالزبير .

ثم طلحة إن كان ذا ضغن ـ وقد كان فمر عن كتابى عوانه والجوهرى عنه عليه السلام مشيراً إلى طلحة والزبير . فلو أنّ الرجلين الباقيين كانا معى لم يغنيا عنّى شيئاً) ثم قال «دع انّى لست أرجو إلّا أحدهما» والمراد الرجاء بالزبير دون طلحة ـ فلأنّه عليه السلام قتل يوم بدر أخويه عثمان ومالكاً وعمه عميرا

مع أنّه قد يكون الضغن لتنافر الروح بدون سبب ظاهر كما قال النبى صلّى الله عليه وآله «الأرواح جنود مجنّده . فما تعارف منها ايتلف ، وما تناكر منها

اختلف» .

مع انه عليه السلام قال : «لا يحبّنى إلّا مؤمن» وأى ايمان لمن عمل تلك الاعمال الشنيعة فى الجمل .

واما قول (حد) فى سبب ضغن طلحة بما مرّ فلا وجه له . فانّ تيماً اخذت حق هاشم فلم يحصل فى نفوسهم حنق شديد . فانّ الحنق للمأخوذ حقه — « دون الآخذ حق غيره ، ولمّا قال عمر لابن عباس فى مكالمة له فى الخلافة » « أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلّا حقداً » قال له ابن عباس «كيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه فى يد غيره» .

ولما قال القاسم بن محمد بن يحيى بن طلحة لاسمعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على عليهم السلام « لم يزل فضلنا واحساننا سابغاً عليكم يا بنى هاشم» قال له اسمعيل «أىّ فضل واحسان اسد يتموه اغضب ابوك يعنى طلحة جدّى يعنى النبى صلى الله عليه وآله بقوله «ليموتن محمد ولنجولنّ بين خلاخل — نسائه كما جال بين خلاخل نسائنا» فانزل تعالى مراغمة لأبيك «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً» ومنع ابن عمك يعنى ابا بكر امى يعنى فاطمة عليها السلام حقها من فدك ، وغيرها من ميراث أبيها ، ونكث ، ابوك بيعة على عليه السلام وشام السيف فى وجهه وأفسد قلوب المسلمين عليه .

كما أنّ قول (حد) «وان لم يكن طلحة حاضراً فذ والضغن سعد لانّ امه كانت من بنى امية ، وكان عليه السلام قتل أخواله ليس بصحيح فالناس ولا سيما العرب انما يتعصبون لبنى آبائهم دون بنى آباء امهاتهم .

وسعد انما كان ميله إلى امير المؤمنين عليه السلام فى نفسه أكثر منه إلى عثمان لكنه تبع هوى ابن عمه عبد الرحمن . ففى العقد الفريد روى المدائنى ان — عبد الرحمن قال لسعد : أنا وأنت كالآلة . فاجعل نصيبك لى فاختار . فقال له سعد «امّا ان اخترت نفسك فنعم ، وامّا ان اخترت عثمان فعلى أحبّ

إلىّ منه» .

كما أنّ سعداً وإن كان ممّن لم يبايع اميرالمؤمنين عليه السلام لكن لم يقاتل معه عليه السلام مثل طلحة ، ولم يساعد في قباله عليه السلام معاوية ، ولمّا كتب معاوية إليه و دعاه إلى نفسه أجابه بجوابات شديدة .

وفي المروج لما حجّ معاوية أجلس سعداً معه على السرير في دار الندوة ثم شرع في سبّ علي عليه السلام . فقال له سعد : والله لأن يكون فيّ خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحبّ إلىّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ـ ثم ذكر كونه عليه السلام صهر النبي صلى الله عليه وآله وله من الولد الحسنان عليهما السلام ، وقول النبي صلى الله عليه وآله فيه يوم خيبر في اعطائه الراية ويوم تبوك من حديث المنزلة.

مع أنّ أصل رواية (لضغنه) كما في المتن غير معلوم صحتها .

فبدّله الصدوق في معانيه بقوله (بضبعه) وقال وفي رواية (بضلعه) بل معلوم عدم صحتها لما مرّ من روايات دالّة على عدم ضغن سعد معه عليه السلام وانّه عليه السلام قال : إنّما سعد يميل إلى ابن عمه عبد الرحمن الّذي هواه في عثمان و حينئذٍ فالاصح رواية (بضلعه) وفي الصحاح في المثل (لا تنقش الشوكة بالشوكة فإنّ ضلعها معها) يضرب للرجل يخاصم آخر فيقول (اجعل بيني وبينك فلاناً) لرجل يهوى هواه .

ويمكن تصحيح (بضبعه) أيضاً ففي الصحاح أيضاً (وكنّا في ضبع فلان بالضم : أي في كنفه وناحيته وقد عرفت أنّ سعداً كان في كنف ابن عمه وفي ناحيته وأبو أحمد العسكري لم يذكر غيرهما وقال : هما قريبان معنى .

« ومال الاخر لصهره » والمراد بالآخر عبد الرحمن بن عوف كما مرّ وبصهره ـ عثمان . فإنّ أخت عثمان لأمه أروى بنت كريز ، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت تحت عبد الرحمن .

نعم سقيفة الجوهري وشورى عوانه قال الشعبي : ادخل أهل الشورى

داراً فاقبلوا يتجادلون عليها وكلهم بها ظنين ، و عليها حريص إمّا للدنيا وإمّا للآخرة . فلمّا طال ذلك قال عبد الرحمن : من رجل منكم يخرج نفسه من هذا الأمر ، ويختار لهذه الأمّة رجلاً فإنّى طيّبة نفسى أن اخرج منها واختار لكم قالوا قد رضينا الاعلى بن أبى طالب عليه السلام فانّه اتّهمه . فاقبل أبو طلحة عليه ، وقال له : ارض برأى عبد الرحمن . فقال على عليه السلام لعبد الرحمن : اعطنى موثقاً من اللّه ـ لتؤثرنّ الحقّ ، ولا تتبع الهوى ولا تمل إلى صهر ولا إلى ذى قرابة ، ولا تعمل إلّا للّه ولا تالو هذه الأمة أن تختار لها خيرها ـ إلى أن قال ـ فخرج عبد الرحمن فمكث ثلاثة أيّام يشاور الناس . ثم رجع واجتمع الناس وكثروا على الباب لا يشكّون انّه يبايع علياً عليه السلام ، وكان هوى قريش كافة ماعدا بنى هاشم فى عثمان ، وهوى طائفة من الأنصار مع على عليه السلام ، وهوى طائفة أخرى هى أقل الطائفتين مع عثمان ، وطائفة لا يبالون أيّهما بويع . فأقبل المقداد والناس مجتمعون . فقال : أيّها الناس اسمعوا ما أقول : أنا المقداد بن عمرو انّكم إن بايعتم عليّاً سمعنا وأطعنا ، وان بايعتم عثمان سمعنا وعصينا ـ إلى أن قال ـ

ثم أقبل عمار على عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح فقال « يا فاسق وابن الفاسق أنت ممّن يستنصحه المسلمون أو يستشيرونه فى أمورهم) وارتفعت الأصوات ، ونادى مناد لا يدرى من هو . فقريش تزعم أنّه رجل من مخزوم ، والأنصار تزعم أنّه رجل طوال آدم مشرف على الناس لا يعرفه أحد .

وأقول : ولا بد انه كان إبليس ، وقد كان أوّل من بايع الأوّل على ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام (يا عبد الرحمن افرغ من أمرك ، وامض على ما فى نفسك . فانّه الصواب » فاقبل عبد الرحمن على على عليه السلام فقال : عليك عهد اللّه وميثاقه إن بايعتك لتعملنّ بكتاب اللّه وسنّة رسوله ، وسيرة أبى بكر وعمر . فقال على عليه السلام « على طاقتى ومبلغ علمى وجهد رأيى » والناس يسمعون فأقبل على عثمان . فقال له : مثل ذلك . فقال عثمان « نعم لا أزول عنه ولا أدع شيئاً منه »

ثم أقبل عبد الرحمن على على عليه السلام ثلاث مرّات. فقال له: ذلك ثلاث مرات، و لعثمان ثلاث مرّات فى كلّ ذلك يجيب على عليه السلام مثل ماكان أجاب به، و يجيب عثمان بمثل ماكان أجاب به. فقال «ابسط يدك ياعثمان» فبسط يده فبايعه، وقام القوم فخرجوا، وقد بايعوا إلّا علياً عليه السلام فإنّه لم يبايع. فخرج عثمان على الناس، ووجهه يتهلّل وخرج علىّ عليه السلام، وهو كاسف البال مظلم، و هو يقول: يا ابن عوف «ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم علينا من دفعنا عن حقّنا والاستيثار علينا وطريقة تركتموها»

وفى أنساب البلاذرى لما بايع عبد الرحمن عثمان، وبايعه أصحاب الشورى كان على عليه السلام قائماً فقعد. فقال له عبد الرحمن «بايع وإلّا ضربت عنقك» ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره. فيقال: إنّ علياً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى و قالوا: بايع وإلّا جاهدناك. فأقبل معهم يمشى حتّى بايعه.

وفى خلفاء ابن قتيبة أخذ عبد الرحمن بيد عثمان، وقال له «لئن بايعتك لتقيمنّ لنا كتاب اللّه وسنّة رسوله، وسنّة صاحبيك، وشرط عمر ألا تجعل أحداً من بنى اميّة على رقاب الناس» فقال عثمان (نعم) ثم أخذ بيد على عليه السلام ـ فقال له: أبايعك على شرط عمر أن لا تحمل أحداً من بنى هاشم على رقاب الناس» فقال «مالك ولهذا. فإنّ علىّ الاجتهاد لامّة محمّد صلى الله عليه وآله حيث علمت القوّة والأمانة» قال عبد الرحمن: لا واللّه حتّى تعطينى هذا الشرط قال عليه السلام «لا واللّه لا اعطيكه أبداً» فتركه ـ إلى أن قال ـ قال عبد الرحمن «لا تجعل يا على على نفسك سبيلاً فإنّه السيف لا غير».

وقال (حد) ـ بعد ذكر بيعة عبد الرحمن لعثمان لمّا قبل الحمل بسيرة الشيخين ـ فقال على عليه السلام «ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل واللّه المستعان على ما تصفون، واللّه ما ولّيته الأمر ألا ليردّه إليك، واللّه كلّ يوم هو فى شأن» فقال عبد الرحمن «لا تجعلنّ يا على على نفسك سبيلاً ـ

يعنى أمر عمراً باطلحة أن يضرب عنق المخالف ـ فقام على عليه السلام فخرج وقال «سيبلغ الكتاب أجله» فقال عمار «ياعبد الرحمن اما والله لقد تركته، وانه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون» وقال المقداد «تالله ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم، واعجباً لقريش لقد تركت رجلاً ما أقول، ولا أعلم أن أحداً أقضى بالعدل، ولا أعلم، ولا أتقى منه اما لو اجدا عوانا فقال عبد الرحمن: اتق الله يامقداد. فانى خائف عليك الفتنه وقال على عليه السلام: انى لاعلم مافى انفسهم ان الناس ينظرون الى قريش، وقريش تنظر فى صلاح شأنها فتقول: إن ولى الأمر بنوها شم لم يخرج منهم أبدا، وماكان فى غيرهم فهو متداول فى بطون قريش» وقدم طلحة فى اليوم الذى بويع فيه عثمان فتلكأ ساعة ثم بايع.

وقال (حد) أيضاً قال أبو هلال العسكرى فى كتاب الأوائل: استجيبت دعوة على عليه السلام فى عثمان وعبد الرحمن فماماتا الا متهاجرين متعاديين.

قلت: ودعائه عليه السلام فيهما أنه قال لهما «دق الله بينكما عطر منشم» فروى عوانه عن الشعبى أتى ابن عوف بعد بيعة عثمان علياً عليه السلام واعتذر إليه. فقال: إن عثمان أعطانا يده و يمينه، ولم تفعل أنت. فاحببت أن اتوثق للمسلمين. فقال عليه السلام «ايهاعنك انما آثرته بها لتنالها بعده دق الله بينكما عطر منشم.

و روى أيضاً عنه قال: لما بنى عثمان قصره طمار والزوراء وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبد الرحمن. فقال: يا ابن عفان لقد صدقنا عليك ماكنا نكذب فيك وانى استعيذ بالله من بيعتك. فغضب عثمان وقال اخرجه عنى ياغلام. فاخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه.

وفى المعجم الزوراء دار عثمان بالمدينة.

وفى تاريخ اليعقوبى روى أن عثمان اعتل علة اشتدت به. فدعا حمران بن أبان، وكتب عهداً لمن بعده، وترك موضع الاسم. ثم كتب بيده (عبد الرحمن بن عوف) وربطه وبعث به إلى ام حبيبة بنت أبى سفيان. فقرأه حمران فى

الطريق ، فأتى عبد الرحمن فأخبره . فقال عبد الرحمن ـ وغضب غضباً شديداً ـ استعمله علانية ، ويستعملنى سرّاً ونمى الخبر ، وانتشر بذلك فى المدينة ، وغضب بنو أميّة ، وكان ذلك سبب العداوة بين عثمان وعبد الرحمن .

وعن تاريخ الثقفى قال ابو اسحق : صلّى الناس يوماً الفجر فى خلافة عثمان فإذا بعبد الرحمن حوّل وجهه إليهم ، واستدبر القبلة . ثم خلع قميصه من جيبه فقال « يا معشر أصحاب محمّد ويا معشر المسلمين أشهد الله واشهدكم انّى خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالى هذا » فأجابه مجيب من الصفّ الأوّل « الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » فنظروا من الرجل فإذا هو على بن أبى طالب .

ومن الغريب أنّ عمر قال (سأستخلف الّذين توفى النبى ، وهو عنهم راض) ـ ثم ذكر عيب كلّ منهم ، وقال لعبد الرحمن ـ كما فى خلفاء ابن قتيبة ـ « وأما أنت فما يمنعنى منك إلّا أنّك فرعون هذه الامّة » .

قلت : وقد كان قارونها أيضاً فقال ابن قتيبة : قسّم ميراثه على ستّة عشر سهماً . فبلغ نصيب كلّ امرئة له ثمانين ألف درهم .

وقال المسعودى فى مروجه : أتى عثمان بتركة عبد الرحمن . فنضّت البدر حتّى حالت بين عثمان و بين الرجل القائم .

و روى الواحدى فى أسباب نزوله أنّ فيه وفى جمع معه نزل قوله تعالى « ألم تر إلى الّذين قيل لهم كفّوا أيديكم » ـ الآية [1] .

هذا ، وفى معارف ابن قتيبة كان عبد الرحمن أبرص ، وروى الصدوق فى فقيهه انّ عبد الرحمن كان قمّلاً فرخّص له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لبس الحرير .

« مع هر ، وهن » الأصل فى معنى (هن) الكناية عن العورة من الرجل والمرئة . قال شاعر :

---

(١) النساء : ٧٧

ألا ليت شعرى هل ابيتنّ ليلة × و هنّى جاذ بين لهزمتى هنّ

وزنت جارية فناداها أبوها · فقالت انّى غضبى قال : لم قالت إنّى حبلى فقال لها (إن كنت غضبى فعلى هنك فاغضبى) فصار مثلاً، وقال شاعر :

رحت و فى رجليك ما فيهما × وقد بداهنك من المئزر

ويكنّى بها عن الخصال القبيحة كقول امرئ القيس ·

و قد را بنى قولها ياهناه × ويحك الحقت شرّاً بشرّ

و قال لبيد :

أكرمت عرضى أن ينال بنجوة × ان البرئ من الهنات سعيد

ثم الظاهر أنّ مراده عليه السلام من قوله «مع هن وهن» انّ الرجلين سعد و عبد الرحمن لم ينحصر صرف الأمر عنه عليه السلام بما مر من صغى الأول إلى الثانى لكونه ابن عمه ، وميل الثانى الى ابن عفان لكونه صهره بل اجتمع ذلك مع خصال قبيحة اخر من أهل هواهم كقول ابن أبى سرح أيّها الملا ان أردتم أن لا يختلف قريش فى ما بينها فبايعوا عثمان) وقول ابن أبى ربيعة «إن بايعتم علياً قالوا سمعنا و عصينا» واتفاق الباقين معهما · قال الشعبى «واجتمع أهل الشورى على أن تكون كلمتهم واحدة على من لم يبايع عثمان · فقاموا إلى على عليه السلام فقالوا: قم فبايع قال : فإن لم أفعل فمه قالوا : نجاهدك · فمشى إلى عثمان فبايعه ، وهو يقول: صدق الله ورسوله) ـ أى فى غدرهم به أولاً وأخيراً فى قوله ـ صلى الله عليه وآله (انّ الامّة ستغدر بك بعدى) ·

هذا والارشاد للمفيد نقل فقرة (مع هن وهن) هنا كالنهج ، ونقلها الصدوق بعد قوله عليه السلام «فمنى الناس بخبط وشماس وتلوّن واعتراض» و قال قال أبو أحمد العسكرى : يعنى بالفقرة الادنياء من الناس تقول العرب ـ « فلان هنى» و (هنى) تصغير (هن) أى دون من الناس يريدون بذلك تصغير أمره ·

وأقول : لوكانت الفقرة هنا كما نقله المتن كان لتفسيرها بالادنياء وجه وأما ثمة فلا ، وانّما المناسب ثمة ان تفسّر بأنّ المعنى (مع خصلة سوء أخرى وخصلة سوء أخرى) كما لا يخفى .

هذا . وأكثر أهل اللغة قالوا : أصل (هن) هنو ، وقال الفيومى (أصلها فى لغة هنو وفى أخرى هنه ، وفى أخرى هنّ) قلت: الأصح الأول فقال الشاعر

أرى ابن نزار قد جفانى و ملّنى × على هنوات شأنها متتابع

وأما قول الشاعر «وهنّى حاذ» بتشديد النون فمن ضرورة الشعر ولعله مستند الأخير والتشديد فيه كالتسكين فى قول آخر (هنك من الميزر) ، واما قولهم (هنيهه) ولعله مستند الثانى . فقال الجوهرى أصلها (هنيّة) أبدل من الياء الثاني هاء .

هذا ، وفى مروج المسعودى لمّا بلغ علياً عليه السلام لمّا أراد الجمل أنّ أبا موسى الأشعرى ينفرّ عنه أهل الكوفة كتب إليه «اعتزل عملنا يا ابن الحائك ، مذموماً مدحوراً فما هذا أوّل يومنا منك ، وانّ فيها لهنات و هنيات» .

قلت: وأشار عليه السلام فى قوله «وانّ لك فيها لهنات وهنيات» إلى أنّ أهل العراق يجعلونه بعد فى صفين حكما ويجورويخون ويحكم بخلعه عليه السلام .

«إلى أن قام ثالث القوم» عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية .

وممّا يدلّ على بطلان أمر الثلاثة الأوّل والثانى والثالث ما رواه أبونعيم ـ وهو من حفّاظهم ـ فى حليته عن أبىّ بن كعب قال فى قوله تعالى « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أومن تحت أرجلكم أويلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم باس بعض»(١) (هن أربع وكلّهنّ عذاب ، وكلّهنّ واقع لا محالة . فمضت اثنتان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بخمس وعشرين سنة فالبسوا شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض وبقى ثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم) .

---

(١) الانعام : ٦٥ .

ومراده بالخسف تفسيرتوله تعالى «أومن تحت أرجلكم»[1] وبالرجم تفسير قوله ـ جلّ وعلا ـ «عذاباً من فوقكم»[2] وانقضاء أمر الثلاثة كان بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه وآله بخمس وعشرين سنة الّتى هى خمس وثلاثون من هجرتـــه صلّى اللّه عليه وآله . فدلّت الآية على أنّ قيامهم فى تلك المدة كان عذابـــاً يلبسهم شيعاً ، وذوق يعضهم بأس بعض.

وفى قوله عليه السلام (ثالث القوم) ايماء إلى أنّه كان معيّناً من قبل حسب معاهدتهم ، وفى الطبرى كان عثمان يدعى فى أمارة عمر ردّيفاً ، والرديف فى لسان العرب الّذى بعد الرجل تقول العرب ذلك للرجل الّذى يرجونه بعد رئيسهـــم) .

و مرّ أنّ جمّال عمر فى حجّه يحدو به (إنّ الأمير بعده عثمان) .

و أمّا أبوه عفّان ففى أنساب أشراف البلادرى قال المدائنى : لم يكن لعفان نباهة .

فقال الشاعر :

عفان أوّل حائك لثيابكم × قدما وقد يدعى أخا الأشرار

ولكن جاء الاسلام فشرّف عفّان بعثمان .

قلت : شرّف عفّان فى الاسلام بابنه عثمان لكن بدفاعه عن أعداء الاسلام و تفويضه سلطنة الاسلام إلى من كانوا يقولون :

لعبت هاشم بالملك فـلا × خـبر جاء ولا وحـى نزل

وفيه أيضاً قال المدائنى قال المطرف وهو عبد اللّه بن عمرو بن عثمان « أنا ابن ابى العاص » . فقال له محمد بن المنذر بن الزبير « دون ذلك مايرقّ عنقك يعنى عفان كان موضّعاً » .

و فى طرائف على بن طاووس قال هشام الكلبى فى مثالبه وممّن يلعب بـه

(۱و۲) الانعام : ۶۵ .

ويتخنث عبيد الله أبوطلحة ، وعفان أبو عثمان ـ وكان عفّان يضرب بالدفّ ـ أيضاً. فقال عبد الرحمن بن حنبل فى ذلك :

زعم ابن عفّان وليس بهازل × انّ الفرات وماحواه المشرق
خرج له من شاء اعطى فضله × ذهباً وتلك مقالة لا تصدق
انّى لعفّان أبيك سبيكة × صفراء فاطعم العتاق الأزرق
وورثته دفا وعود يراعة × جرعاً يكاد بلبسها يتنطق
و نودّ ما لو كنت تأتى مثله × فيكون دفّ فتاتكم لا يعبق

وفى لطائف معارف الثعالبى «من عرف بالابنة من قريش أبوجهل بن هشام · عقبة بن أبى معيط · شيبة بن ربيعة · الحكم بن أبى العاص · عفان بن أبى العاص · ـ إلى أن قال ـ ولكلّ من هؤلاء قصّة ذكرها أبوعبيدة فى ذكر المثالب ·

هذا ، وذكر القاموس (عفان) فى (عفّ) وفى (عفن) لكن الظاهر عدم صحّة الأوّل فلم نقف على استعمال عفان فى معنى العفيف ·

وكيف كان فقال فى كلّ منهما (ويصرف) وظاهره جواز الصرف وعدمه فى كلّ منهما مع أنّه لا وجه له فانّه إن كان من (عفّ) فلا وجه لصرفه لاجتماع العلمية والألف والنون الزائدتين فيه وإن كان من (عفن) فلا وجه لعدم صرفه لعدم وجود غير العلمية فيه · قال الصحاح فى (حسّان) و (شيطان) إن كانا من الحسن والشطن فمنصرفان ، وإن كانا من الحسّ والشيط فغير منصرفين ·

وأما جدّه أبو العاص ، وفيه يجتمع مع مروان بن الحكم فرووا ـ وقد نقل خبره (حد) عند كلامه عليه السلام لأبى ذر ـ إنّ أباذر قال لعثمان بعد تسيير معاوية له من الشام إليه «أشهد لقد سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول » «إذا بلغ بنو ابى العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً» فقال عثمان لمن حضر ـ أسمعتموه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : لا · فقال لهم أبوذر : أما تدرون إنّى قد صدقت

فقالوا : لا . فقال عثمان : ادعوا لى علياً . فلمّا جاء قال لأبى ذر : اقصص حديثك فى بنى أبى العاص . فأعاده . فقال عثمان لعلى عليه السلام : أسمعت هذا من النبىّ قال : لا . وصدق أبوذر . فقال : وكيف . قال : لأنّى سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر» فقال من حضر امّا هذا . فسمعناه كلّنا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فقال أبوذر : أحدّثكم انّى سمعت هذا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فتتّهمونى ما كنت أظنّ أنّى أعيش حتّى أسمع هذا من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد اعترف بالحديث معاوية إلّا أنّه غيّره ، وذكر بدل أبى العاص جدّ عثمان لئلّا يشمله الخبر لكون قيامه من قبله ابنه الحكم أبا مروان لكون غرضه خصام مروان ففى نسب قريش مصعب الزبيرى «اشتكى عمرو بن عثمان ، وكانت تحته رملة بنت معاوية ، وكان له منها إبنان عثمان وخالد . فكان العوّاد يدخلون عليه — فيخرجون ، ويتخلّف عنده مروان . فأنكرت ذلك رملة فخرقت كوّة . فاستمعت على مروان . فإذا هو يقول لعمرو بن عثمان «ما اخذ هؤلاء يعنى بنى حرب الخلافة إلّا باسم أبيك . فما يمنعك أن تنهض بحقّك . فلنحن أكثر منهم رجالاً — وعدّد فضول رجال أبى العاص على رجال بنى حرب — ولمّا برئ عمرو بن عثمان تجهّز للحجّ فلمّا خرج خرجت رملة إلى أبيها بالشام . فأخبرته ، وقالت له «ما زال مروان يعدّد فضل رجال أبى العاص على بنى حرب حتّى عدّ ابنىّ فتمنّيت أنّهما ماتا» فكتب معاوية إلى مروان «اشهد يا مروان انّى سمعت رسول الله يقول «إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً ، ودين الله دخلاً وعباد الله خولاً» فكتب اليه مروان «أمّا بعد يا معاوية فإنّى أبو عشرة ، وأخو عشرة وعم عشرة» .

ولمّا كان قيام الثالث بتدبير ثانيهم كما عرفت فى جعل ابن عوف زوج أخته حكماً قال الفرزدق :

صلّى صهيب ثلاثاً ثم أسلمها × إلى ابن عفان ملكاً غير مقصور

ولاية من أبى حفص لثالثهم × كانوا أخلاء مهدى و محبور

و روى السدى فى تفسيره أنّه لما توفى أبوسلمة وخنيس بن حذافة ، وتزوج النبىّ صلى الله عليه وآله بإمرأتيهما أم سلمة وحفصة . قال عثمان وطلحة : أينكح محمّد نسائنا إذا متنا . ولا ننكح نسائه إذا مات ، والله لو قد مات لقد أجلنا على نسائه بالسهام وكان طلحة يريد عايشة ، وكان عثمان يريد أم سلمة . فأنزل الله تعالى « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا »(١) وأنزل تعالى « إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإنّ الله كان بكلّ شئ عليما »(٢) وأنزل ـ عزّوجل ـ « إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة و أعدّ لهم عذاباً مهينا »(٣).

و روى السدى أيضاً أنّه لمّا أصيب أصحاب النبى صلى الله عليه وآله باحد قال عثمان « لالحقنّ بالشام فإنّ لى به صديقاً من اليهود يقال له دهلك فلآخذن منه أماناً . فانّى أخاف أن يدال علينا اليهود » وقال طلحة « لالحقنّ بالشام فإنّ لى به صديقاً من النصارى . فانّى أخاف أن يدال علينا النصارى » فأراد أحدهما أن يتهوّد . والآخر أن يتنصّر فانزل تعالى « لا تتخذوا اليهود ـ والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض و من يتولّهم منكم فانه منهم والله لا القوم الظالمين »(٤).

و روى أيضاً أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله لمّا فتح بنى النضير ، فقسّم أموالهم . قال عثمان لعلى عليه السلام « ايت النبى صلى الله عليه وآله فأسأله أرض كذا وكذا . فإن أعطاكها فانا شريكك فيها وآتيه أنا . فأسأله . فإن أعطانيها فأنت شريكى فيها » فسأله عثمان فأعطاه . فقال له على عليه السلام : فاشركنى . فأبى . فقال : بينى وبينك النبىّ صلّى الله عليه وآله . فأبى أن يخاصمه إلى النبى صلى الله عليه وآله فقيل له : ولم فقال : هو ابن عمه أخاف أن يقضى له فنزل « وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم

(١) الاحزاب : ٥٣ . (٢) الاحزاب : ٥٤ .
(٣) الاحزاب : ٥٧ . (٤) المائدة : ٥٣

اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون»[1].

وفي الطبري كان الناس انهزموا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في احد حتى انتهى بعضهم إلى المنقى وفرّ عثمان. ورجلان حتى بلغوا الجلعب ـ جبل بناحية المدينة ـ فأقاموا به ثلاثاً فزعموا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم لقد ذهبتم فيها عريضة.

و في عقد ابن ربه مسنداً عن أم سلمة. قالت: لمّا بنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسجده بالمدينة أمر باللبن يضرب، وما يحتاج إليه ثم قام فوضع رداءه. فلمّا رأى ذلك المهاجرون والأنصار. وضعوا أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون.

لئن قعدنا والنبي يعمل × ذاك إذن لعمل مضلّل

وكان عثمان متنظفاً فكان يحمل اللبنة ويجافي بها عن ثوبه. فإذا وضعها نفض كفّيه، ونظر إلى ثوبه. فإذا أصابه شئ من التراب نفضه فنظر إليه على عليه السلام فأنشد.

لا يستوي من يعمر المساجدا × يداب فيها راكعاً و ساجدا

و قائماً طوراً و طوراً قاعدا × و من يرى عن التراب حائدا

فسمعها عمار فجعل يرجز بها، وهو لا يدري من يعني بها فسمعها ـ عثمان. فقال: يا ابن سمية بمن تعرض و معه جريدة. فقال لعمار «لتكفن أو لأعترضن بها وجهك» فسمعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس في ظل حايط فقال «عمار جلدة ما بين عيني وأنفي فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ منّي» وأشار بيده. فوضعها بين عينيه. فكفّ الناس عن ذلك، وقالوا لعمار انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم غضب فيك، و نخاف أن ينزل فينا قرآن.

و رواه الكشي في سند هكذا «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم و على عليه السلام و عمار يعملون مسجداً فمرّ عثمان في بزّة له يخطر فقال عمار:

---

(۱) النور: ۴۸.

لا يستوى من يعمر المساجدا × يظل فيها راكعاً وساجدا
ومن تراه عاندا معانـدا × عن الغبار لا يزال حائداً

فأتى عثمان النبيّ وقال له ما أسلمنا لتشتم أعراضنا فنزلت «يمنّون عليك أن أسلموا» إلى آخر الآية، ونزلت «إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله» إلخ[1]

و روى ابراهيم الثقفى فى غاراته عن غير واحد من العلماء إنّ علياً عليه السلام قال على المنبر «انفروا الى من يقاتل على دم حمّال الخطايا» فوالّذى فلق الحبّة وبرء النسمة أنّه يحمل خطاياهم إلى يوم القيمة.

و روى نصر بن مزاحم فى صفّينه إنّ عمرو بن العاص قال لعمار: ما ترى فى قتل عثمان. قال: فتح لكم باب كلّ سوء. قال عمرو: فعلى قتله. قال عمار: بل اللّه ربّ على قتله وعلى معه. قال عمرو: أكنت فى من قتله. قال: كنت مع من قتله، وأنا اليوم أقاتل معهم. قال عمرو: لم قتلتموه قال عمار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو «ألا تسمعون قد اعترف بقتل عثمان قال عمار، وقد قال قبلك فرعون لقومه «ألا تسمعون».

و روى أبو مخنف عن ابن أبى ليلى. قال سمعت عمّاراً يقول لمّا جاء إلى الكوفة لنفر الناس إلى البصرة «ما تركت فى نفسى حزّة أهمّ إلىّ من أن لا تكون نبشنا عثمان ثم أحرقناه».

و روى الشافى من طرق مختلفة انّ عمّاراً كان يقول ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر، وأنا الرابع، وأنا شرّ الأربعة.

و روى أيضاً من طرق مختلفة أنّ زيد بن أرقم قيل له: بأىّ شئ أكفرتم عثمان. فقال بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين والأنصار من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة من حارب اللّه ورسوله، وعمله بغير كتاب اللّه.

---

(١) النساء: ١٣٦.

و روى عن حذيفة أنّه قال مافى عثمان بحمد اللّه شكّ لكنّى أشكّ فى قاتله لا أدرى أكافرقتل كافراً أم مؤمن أفضل أهل الإيمان إيماناً .

قلت: قال حذيفة ذلك لأنّه كان فى قتلته طلحة والزبير كما كان عمار و محمّد بن أبى بكر، و عمرو بن الحمق ونظرائهم .

و روى الثقفى فى تاريخه عن القسم بن مصعب العبدى قال: قام عثمان ذات يوم خطيباً . ثم قال أى معرّضاً بعايشة «نسوة يكتبن فى الآفاق لتنكث بيعتى ويهراق دمى واللّه لوشئت أن أملأ عليهن حجراتهن رجالاً سودا وبيضا لفعلت ألست ختن النبى على ابنتيه ألست جهّزت جيش العسرة ألم أك رسول النبى إلى أهل مكة» إذ تكلّمت امرئة من وراء الحجاب . فقالت «كنت ختنه على ابنتيه فكان منك فيهما ماعلمت ، وجهّزت جيش العسرة . وقد قال تعالى «فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة» وكنت رسوله إلى أهل مكّة قد غيّبك عن بيعة الرضوان لأنّك لم تكن لها أهلا» فانتهرها عثمان فقالت «أمّا أنا فاشهد أنّ النبى قال «لكلّ امة فرعون وانك فرعون هذه الأمّة» .

وفى انساب البلادرى كان معاوية بن المغيرة بن أبى العاص الّذى جدع أنف حمزة ، ومثّل به فى من مثّل قد انهزم يوم أحد . فمضى على وجهه . فبات قريباً من المدينة . فلمّا أصبح دخل المدينة . فأتى منزل عثمان ـ إلى أن قال ـ قال لعثمان «جئتك لتجيرنى» فادخله عثمان داره ، وصيّره فى ناحية منها . ثم خرج إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليأخذ له منه أماناً . فسمع عثمان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول « إنّ معاوية بالمدينة وقد أصبح بها فاطلبوه» فقال بعضهم: ماكان ليعد و منزل عثمان . فاطلبوه فيه . فدخلوا منزل عثمان . فأشارت أم كلثوم إلى الموضع الّذى صيّره عثمان فيه . فاستخرجوه من تحت حمّارة لهم . فانطلقوا به إلى النبى صلّى اللّه عليه وآله . فقال عثمان حين رآه «ماجئت إلّا لأطلب له الأمان منك فهبه لى» فوهبه له وأجّله ثلاثاً ، واقسم «لئن وجد بعدها بشئ من أرض المدينة

وماحولها ليقتلن» فخرج عثمان فجهزه واشترى له بعيراً ثم قال له (ارتحل) وصار النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد، وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليتعرف أخبار النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ويأتى بها قريشاً. فلمّا كان فى اليوم الرابع قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم «انّ معاوية أصبح قريباً لم ينفذ فاطلبوه واقتلوه» ـ إلى أن قال ـ ويقال قتله على عليه السلام.

وفى أنساب البلادرى أيضاً نزل قوله تعالى «ولكن من شرح بالكفر صدراً» فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح، وكان أخا عثمان من الرضاع أسلم ويكتب بين يدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيملى عليه (الكافرين) فيجعلها (الظالمين) ويملى عليه (عزيز حكيم) فيجعلها (عليم حكيم) واشباه ذا ويقول «أنا أقول كما يقول محمد وآتى بمثل ما يأتى به محمد» فانزل تعالى فيه «ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله[1]» وهرب إلى مكّة مرتدّاً. فأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقتله. فطلب عثمان فيه أشدّ طلب حتّى كفّ عنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقال «اما كان فيكم من يقوم إلى هذا الكلب قبل أن أؤمّنه فيقتله» فقيل (لو اومات) فقال (انّى ما اقتل باشارة فالأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين).

قال البلادرى: وولّاه عثمان فى خلافته مصر.

هذا، وكون بطلان اللازم دليلاً على بطلان الملزوم قاعدة عقلية لكن ـ اخواننا تركوها لمذهبهم المتناقض. ففى نسب قريش مصعب الزبيرى قال عبد الله بن الزبير: لقينى ناس ممّن كان يطعن على عثمان. فراجعونى فى رأيهم وحاجّونى بالقرآن. فوالله ما قمت معهم، ولا قعدت. فرجعت إلى الزبير منكسراً فذكرت ذلك له. فقال: انّ القرآن قد تأوّله كلّ قوم على رأيهم، وحملوه عليه ومن طعنوا عليه من الناس فانّهم لا يطعنون فى ابى بكر وعمر. فخذهم بسنّتهما

(١) الانعام: ٢١.

وسيرتهما» قال: فكأنّما ايقظنى بذلك . فلقيتهم فحاججتهم بسنن أبى بكر. فلمّا اخذتهم بذلك قهرتهم، وضعفوا كأنّهم صبيان يمغثون .

فبطلان ثالث القوم ببداهة العقل والدين ومحكم الكتاب ومقطوع السنة يزيد بطلان الأوّل والثانى وضوحاً .

كما أنّ عمل معاوية ومن بعده من بنى اُمية يزيد بطلان الثلاثة الّذين كانوا هم سبباً لسلطانهم وضوحاً . فانّها ملزومات ولوازم كما اعترف به معاوية فى كتابه إلى محمّد بن أبى بكر.

«نافجًا» النفج الرفع والتوسعة قيل فى قولهم «هنيئاً لك النافجة» أى البنت لأنّ أباها يأخذ مهرها فينفج ماله: أى يوسّعه.

«حضنيه» الحضن ما دون الابط إلى الكشح، ونفج حضنيه كناية عن صرف جميع قواه. فيقال: حضنا الشئ لكلّه قال شاعر:

قطعت إليك الليل حضنيه انّنى × لذاك إذا هاب الجبان فعول

وقال آخر:

و حضنين من ظلماء ليل طعنته × بناجية قد ضمّها السير محنق

«بين نثيله»: أى روثه.

«ومعتلفه» أى موضع علفه: أى كان الثالث بعد قيامه همّه مصروفاً بين تملّيه من الطعام وتخلّيه، قال شاعر:

قريب المراث من المرتع × فنصف النهار لكرياسه × ونصف لماكله اجمع ـ والكرياس الكنيف.

قال (حد) وكلامه عليه السلام من ممضّ الذمّ، وأشدّ من قول الحطيئة.

دع المكارم لا ترحل لبغيتها، واقعد فانّك أنت الطاعم الكاسى الّذى

قيل: إنّه أهجى بيت للعرب.

قلت: قول الحطيئة لم يقل أحد أنه أهجى بيت، وانّما لمّا شكا الزبرقان ـ

الّذى هجاه الحطيئة بالبيت إلى عمر. فقال عمر: لا أراه هجواً. فكلّ من الناس طاعم كاس قيل بل انه هجو شديد، واهجى من قول الحطيئة قول الطرماح:

تميم بطرق اللوم أهدى من القطا × ولو سلكت سبل المكارم ضلّت.

وأهجى من قول الطرماح قول الأخطل:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم × قالوا لأمّهم بولى على النار

وكلامه عليه السلام أذم من الجميع فإنّما مفاد البيت الأوّل إن همّ الرجل الأكل واللبس دون تحصيل مكرمة، ومفاد الثانى أنّهم مجبولون على اللؤم، ومفاد الثالث كونهم بالغين الغاية فى اللئامة. فقالوا فيه: جعلهم بخلاء بالقرى، وجعل أمّهم خادمتهم يأمرونها بكشف فرجها، وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النّار، وأنّ نارهم من قلّتها كانت تطفأ ببولها.

وانّما كان كلامه عليه السلام اذم حيث إنّ الأبيات الثلاثة فى إنسان مذموم وهو عليه السلام جعله حيواناً همّه أكل العلف وطرح الروث.

وكما لم يتفطّن فاروقهم لكون بيت الحطيئة فى الزبرقان هجواً كذلك لم يتفطن لكون بيت النجاشى فى بنى العجلان.

وما سمّى العجلان إلّا لقيلهم × خذ القعب واحلب أيّها العبد واعجل

هجوا حتّى بعث إلى حسّان فسأله هل هجاهم فقال: ما هجاهم ولكن سلح عليهم.

هذا، وكان الأمين أوقاته مصروفة بين الخلوة بالخصيان وشرب الخمر. فقال بعضهم:

لهم من عمره شطر، وشطر × يعاقر فيه شرب الخندريس

«وقام معه بنو أبيه»: روى عوانه فى شوراه، والجوهرى فى سقيفته بعد ذكر بيعة ابن عوف لعثمان «انّ عثمان لمّا دخل رحله دخل إليه بنو امية حتّى امتلأت بهم الدار. ثم اغلقوها عليهم. فقال أبو سفيان بن حرب: أعندكم احد

من غيركم قالوا : لا قال : يا بنى أمية تلقفوها تلقف الكره . فوالذى يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة ـ إلى أن قال ـ

فدخل عبد الرحمن على عثمان . فقال له «ما صنعت فوالله ما وفقت حيث تدخل رحلك قبل أن تصعد المنبر فتحمد الله وتأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر وتعد الناس خيرا » قال : فخرج فصعد المنبر . فحمد الله ثم قال : «هذا مقام لم نكن نقومه ، ولم نعدّ له من الكلام الذى يقام به فى مثله .

«يخضمون» : الخضم الأكل بأقصى الأضراس ، وقالوا : سمّى العنبر بن عمرو بن تميم (خضم) لكثرة أكله ، وفى مجالس ثعلب اخضموا وانّا نقضم» : أى كلوا الرطب وانّا نأكل اليابس .

«مال الله» : هكذا فى المصرية بدون زيادة ، والصواب زيادة (تعالى) كما فى (حد ، وثم ، والخطية) .

«خضمة الإبل» : هكذا فى المصرية ، والصواب (خضم الابل) كما فى (حد ، وثم) .

«نبته الربيع» : ونظيره فى التشبيه قول البصروى فى القاضى التنوخى :

يقضم ما يجتبى إليه × قضم البراذين للشعير

وقول الضحاك الديلمى فى ابن الزبير :

وأنت إذا مانلت شيئاً قضمته × كما قضمت نار الغضى حطب السدر

وابن عوف الذى فوّض الأمر إلى عثمان وجعله خليفة رأى رؤياه انّه يأكل مال الله أكل الإبل نبت الربيع . ففى العقد الفريد قال سعد بن أبى وقاص ـ لعبد الرحمن بن عوف : ان اخترت نفسك . فنعم . فقال له : انّى خلعت نفسى على ان اختارانّى رأيت فى المنام كأنّى فى روضة خضراء كثيرة العشب ـ إلى أن

قال ـ ثم دخل بعير راتع فرتع فى الروضة ، ولا أكون والله البعير الراتع.

قلت: يقال له أىّ فرق بين أن تكون بنفسك البعير الراتع أو سبباً للبعير الراتع ، وانّما صرت بما فعلت من خسر الدنيا والآخرة . فتدخل النار لغيرك.

وكذلك عمر الّذى دبّر الأمر لعثمان رأى رؤياه ففى الطبرى . قال عمر وقت ـ وفاته « كنت أجمعت انّ اولّى أمركم رجلاً هواحراكم أن يحملكم على الحقّ ـ و أشار إلى على عليه السلام ـ فرهقنى غشية « فرأيت رجلاً يدخل جنّة فجعل يقطف كلّ عضّة ويانعه فيضعها ويصيرها تحته » فخفت أن أتحملها حيّاً وميّتاً ، وعلمت أنّ الله غالب على أمره » .

قلت: كيف لم يتحملها ميّتاً ، وقد دبّر الأمر لعثمان وانّما كان قوله صدقاً لو كان أبطل أمر الشورى ، وقال : ما أراد الناس أن يفعلوا فعلوا .

وقوله « والله غالب على أمره » مغالطة منه . فانّما يقال فى ما أراد الناس أمراً ولم يرده الله كاخوة يوسف عليه السلام أرادوا استيصاله ولم يرده تعالى قال ـ جلّ وعلا ـ « وكذلك مكّنّا ليوسف ـ إلى ـ والله غالب على أمره[1] » لا لمن أراد عمل باطل ، ووكله الله إلى سوء اختياره ، ولو صح اعتذاره لكان قتلة الأنبياء معذورين

وفى المروج ولّى عثمان سعيد بن العاص الكوفة بعد الوليد بن عقبة . فقال فى بعض الأيّام ـ وكتب به إلى عثمان ـ « انّما هذا السواد فطير لقريش » فقال له الاشتر : أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ، ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك .

و روى الثقفى ـ كما فى أمالى المفيد ـ مسنداً عن أبى يحيى مولى معاذ الأنصارى أنّ عثمان بعث إلى الأرقم بن عبد الله ـ وكان خازن بيت المال إن أسلفنى مأة ألف ألف درهم . فقال له الأرقم : أكتب عليك بها صكّاً للمسلمين قال : وما أنت وذاك لا أمّ لك انّما أنت خازن لنا . فخرج الأرقم مبادراً ، وقال : أيّها

(١) يوسف : ٢١ .

الناس عليكم بمالكم. فانّى ظننت أنّى خازنكم، ولا أعلم انّى خازن عثمان بن عفان حتّى اليوم، ومضى فدخل بيته. فبلغ ذلك إلى عثمان. فخرج إلى الناس حتّى أتى المسجد. ثم رقى المنبر وقال «أيّها الناس إنّ أبا بكر يؤثربنى تيم على الناس، وانّ عمر كان يؤثربنى عدى على الناس، وانّى والله أوثر بنى أُميّة على من سواهم، ولوكنت جالساً بباب الجنّة ثم استطعت أن أدخل بني اميّة جميعاً إلى الجنّة لفعلت، وانّ هذا المال لنا. فإن احتجنا إليه أخذناه، وإن رغم أُنف أقوام».

فقال عمار «معاشر المسلمين اشهدوا أنّ ذلك مرغم لى» فقال عثمان «و أنت ههنا» ثم نزل من المنبر ثم توطأه برجله حتّى غشى عليه، واحتمل وهو لا يعقل إلى بيت أُم سلمة، فأعظم الناس ذلك، وبقى عمّار مغمى عليه لم يصلّ يومئذ الظهر والعصر والمغرب. فلمّا أفاق قال «الحمد لله فقد أُوذيت فى الله، و أنا احتسب ما أصابنى فى جنب الله، وبينى وبين عثمان العدل الكريم يوم القيمة» و بلغ عثمان أنّ عمّاراً عند أُمّ سلمة. فارسل إليها. فقال: فما هذه الجماعة فى بيتك مع هذا الفاجر اخرجيهم من عندك. فقالت: والله ما عندنا مع عمار إلّا بنتاه. فاجتنبنا ياعثمان، واجعل سطوتك حيث شئت، و هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجود بنفسه من فعالك.

قال: ثم انّ عمّاراً صلح فخرج إلى المسجد فبينا هو كذلك إذ دخل ناعى أبى ذر على عثمان فقال «إنّ أباذر مات بالربذة وحيداً، ودفنه قوم سفر» فاسترجع، وقال: رحمه الله. فقال عمار «رحم الله أباذر من كل أنفسنا» فقال له عثمان «وانّك لهناك بعد أترانى ندمت على تسييرى إيّاه» قال عمار «لا والله ما أظنّ ذلك» فقال له عثمان: وأنت أحق بالمكان الّذى كان فيه أبوذر. فلا تبرحه ما حيينا قال عمار «افعل فوالله لمجاورة السباع أحبّ إلىّ من مجاورتك» فتهيأ عمار للخروج، وجائت بنومخزوم إلى علىّ عليه السلام. فسألوه أن يقوم معهم

إلى عثمان يستنزله عن ذلك .

وفى أنساب البلاذرى لما بنى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه وقال ما انفقت فى دارى هذه درهماً من مال المسلمين . فقال له المسور : لو اكلت طعامك ، وسكتّ لكان خيراً لك لقد غزوت معنا إفريقية ، وانّك لأقلّنا مالاً ورقيقاً فاعطاك ابن عفان خمس افريقية ، و عملت على الصدقات فاخذت أموال المسلمين

و روى عن ام بكر قال : قدمت إبل الصدقة على عثمان . فوهبها للحارث بن الحكم بن أبى العاص .

وفى تاريخ اليعقوبى ، عن عبد الرحمن بن يسار قال : رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى اتاها عثمان ، وقال له : ادفعها إلى ـ الحكم بن أبى العاص ـ إلى أن قال ـ وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال : أيّها الناس زعم عثمان انّى خازن له ، ولأهل بيته هذه مفاتيح بيت مالكم ـ ورمى بها ـ فأخذها عثمان ودفعها إلى زيد بن ثابت .

وقال (حد) وصحّت فى عثمان فراسة عمر . فانّه أوطئ بنى أمية رقاب الناس ، وولّاهم الولايات ، واقطعهم القطائع ، وافتتحت ارمينية فى أيّامه . فوهب خمسها لمروان . فقال : عبد الرحمن الجمحى « واعطيت مروان خمس البلاد » وطلب اليه عبد اللّه بن خالد بن اسيد صلة . فأعطاه أربعمأة ألف درهم . و أعاد الحكم بن أبى العاص بعد أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد سيّره ، وأعطاه مأة ألف درهم ، وتصدّق النبى صلى الله عليه وآله وسلم بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين فاقطعها عثمان الحرث بن الحكم أخا مروان ، واقطع فدك مروان ، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها . فدفعت عنها ، وحمى المراعى حول المدينة كلّها عن مواشى المسلمين إلّا عن بنى أمّية ، واعطى عبد اللّه بن أبى سرح جميع ما أفاء اللّه عليه من فتح افريقية بالمغرب ، وهى من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين ، وأعطى أبا سفيان مأتى ألف فى اليوم الذى امر

فيه لمروان بمأة ألف من بيت المال ، وقد كان زوّجه ابنته أم أبان . فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح ، ووضعها بين يديه وبكى . فقال له عثمان : أتبكي ان وصلت رحمي ـ إلى أن قال ـ

فقال عثمان الق المفاتيح يا ابن أرقم فانّا سنجد غيرك ، وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة . فقسّمها كلّها في بني أميّة ، وانكح الحرث بن الحكم ابنته عايشة ، واعطاه مأة ألف من بيت المال .

قلت : لم قال صحّت فيه فراسة عمر . فإنّ كون عثمان بذاك الصفة من أركابه بني أمية رقاب الناس كان أمراً واضحاً يعرفه كلّ ذي شعور من أعماله في حيوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حمايته عن أقاربه أعداء الله و أعداء رسوله كمعاوية بن المغيرة بن الحكم ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح كما عرفت ، وكان عليه أن يقول انكشف بتدبيره لعثمان سوء سريرته ، وخبث نيّته بإرادته اضمحلال الاسلام ، واستيصال أهل بيت نبيه ، وحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بني أبي العاص ، ورأسهم عثمان (إذا بلغوا ثلاثين اتخذوا مال الله دولاً) من اعلام نبوته فقد عرفت اتخاذهم ذلك بتمكين عثمان لهم وبيده .

ثم ان بني أبيه كما قاموا معه « يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع » لعبوا بدين الله لعب الصبيان بالكره كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « اتخذوا دين الله دخلا » فمرّ أبو سفيان أيّام عثمان بقبر حمزة وضربه برجله ، وقال « يا أبا عمارة إنّ الأمر الّذي اجتلدنا عليه بالسيف امس في يد غلماننا اليوم يتلعبون به » .

و في مروج المسعودي ، وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان في دار عثمان عقيب الوقت الّذي بويع فيه ، ودخل داره ومعه بنو أمية (يا بني امية تلقفوها تلقف الكره . فوالّذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة ـ الخ .

وفي استيعاب أبي عمر قال الحسن البصري : دخل أبو سفيان على عثمان

حين صارت الخلافة إليه . فقال : قد صارت إليك بعد تيم وعدى فادرها كالكره ، واجعل أوتادها بنى أميّة . فانّما هو الملك ، ولا أدرى ماجنة ولا نار .

ولعمر الله كان ذلك عقيدة عثمان نفسه أيضاً يشهد له تقريره له ، ويشهد له أعماله بل وعقيدة من أسّس لعثمان ذلك مع عرفانه له كما قالوا فى فراسته وقد قال الفرزدق فى قصيدته فى هجو ابن الأشعث ، ومدح عبد الملك «لال أبى العاصى تراث مشورة» .

وفى مروج المسعودى كان من عمّال عثمان على الكوفة الوليد بن عقبة ، وهو ممّن أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّه من أهل النار ، وكان شرب مع ندمائه ومغنّيه من أول الليل إلى الصباح . فلمّا آذنه المؤذّنون بالصلوة خرج منفصلاً فى غلائله فتقدّم إلى المحراب فى صلوة الصبح . فصلّى بهم أربعاً ، وقال : تريدون أن أزيدكم ، وقيل : قال فى سجوده «اشرب واسقني» فقال له بعض من كان خلفه فى الصفّ الأوّل : ماتريد لازادك الله مزيد الخير . والله لا أعجب إلّا ممّن بعثك إلينا والياً وقال الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه × إنّ الوليد أحق بالغدر
نادى وقد تمّت صلوتهم × أزيدكم ثملاً وما يدرى
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا × لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك فى الصلوة ولو × خلّوا عنانك لم تزل تجرى

وأشاعوا بالكوفة فعله ، وظهر فسقه ومداومته الخمر . فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب الأزدى ، وأبو جندب الأزدى . فوجدوه سكران مضطجعاً على سريره لا يعقل . فايقظوه من رقدته . فلم يستيقظ . ثم تقايا عليهم ما شرب من الخمر . فانتزعوا خاتمه من يده ، وخرجوا من فورهم إلى المدينة . فاتوا عثمان . فشهدوا عنده على الوليد انّه شرب الخمر . فقال عثمان : وما يدريكما انّه شرب خمراً . قال : هى الخمر الّتى كنّا نشربها فى الجاهلية ، واخرجا خاتمه فدفعاه

إليه . فدفع فى صدورهما ، وقال تنحيّا عنّى . فخرجا واتيا علياً عليه السلام وأخبراه بالقصّة . فأتى عثمان وهو يقول « دفعت الشهود وأبطلت الحدود » — إلى أن قال —

فلمّا نظر على عليه السلام إلى امتناع الجماعة من إقامة الحدّ عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه أخذ على عليه السلام السوط . فأقبل الوليد يروغ منه . فاجتذبه ، و ضرب به الأرض وعلاه بالسوط . فقال له عثمان : ليس لك أن تفعل به هذا قال : بلى ، و شرّ من هذا إذا فسق ، ومنع حقّ اللّه تعالى أن يؤخذ منه . هذا ، وكما قال عليه السلام هيهنا فى عثمان « وقام معه بنو أبيه يخضمون مال اللّه خضم الابل نبتة الربيع قال له لمّا كان قال عثمان له عليه السلام « لست بدون عتيق وابن الخطاب » « لست كواحد منهما أنّهما ظلفا أنفسهما وأهلهما عنه ، و — عمت فيه أنت وقومك عوم السابح فى اللجة » .

« إلى أن انتكث » : أى انتقض .

« فتله » : هكذا فى المصرية ، والصواب (عليه فتله) كما فى (حد ، وثم والخطية) ومعنى فتله حبله المفتول .

وفى الطبرى عن عامر بن سعد كان أوّل من اجترئ على عثمان بالمنطق السيّئ جبلة بن عمر الساعدى مرّ به عثمان ، وهو جالس فى ندىّ قومه ، و فى يد جبلة جامعة . فلما مرّ عثمان سلّم فردّ القوم . فقال جبلة : لم تردّون على رجل فعل كذا وكذا . ثم أقبل على عثمان ، فقال : واللّه لاطرحنّ هذه الجامعة فى عنقك اولتتركن بطانتك هذه قال عثمان : أىّ بطانة . فواللّه إنّى لا تخيّر من الناس . فقال : جبلة مروان تخيّرته ، ومعاوية تخيّرته ، وعبد اللّه بن عامر بن كريز تخيّرته ، وعبد اللّه بن سعد تخيّرته منهم من نزل القرآن بكفره ، وأباح النبى دمه فانصرف عثمان . فما زال الناس مجترئين عليه .

وفى كتاب أصل موسى بن بكر الواسطى عن الباقر عليه السلام أنّ فلاناً وفلاناً

ظلمانا حقّنا ،وقسّماه بينهم فرضوا بذلك منهما ،وأنّ عثمان لمّا منعهم واستأثر عليهم غضبوا لأنفسهم .

«وأجهز عليه عمله» :قال الأصمعى (أجهزت على الجريح أسرعت قتله وتمّمت عليه) .

فى الطبرى قال عبد الرحمن بن يسار لمّا رأى الناس ماصنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى من بالآفاق منهم ، وكانوا تفرّقوا فى الثغور «انكم انّما خرجتم أن تجاهدوا فى سبيله تعالى تطلبون دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وان دين محمد قد افسد من خلفكم، وترك فهلمّوا . فاقيموا دين محمّد صلّى الله عليه وآله . فاقبلوا من كلّ أفق حتّى قتلوه ـ وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح عامله على مصر حين تراجع عنه الناس وزعم انّه تائب بكتاب فى الذين شخصوا من مصر ،وكانوا أشدّ أهل الأمصار عليه أما بعد فانظر فلاناً و فلاناً فاضرب أعناقهم إذا قدموا عليك ،وانظر فلاناً و فلاناً فعاقبهم بكذا وكذا ـ منهم نفر من الصحابة ، ومنهم قوم من التابعين ـ ، وكان رسوله فى ذلك أبو الأعور السلمى حمله عثمان على جمل له . ثم أمره أن يعجل حتّى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم . فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق . فسألوه أين تريد قال : أريد مصر . ومعه رجل من أهل الشام من خولان . فلمّا راوه على جمل عثمان قالوا : هل معك كتاب قال : لا قالوا : ففيم أرسلت قال : لا علم لى . قالوا: ليس معك كتاب . ولا علم لك بما أرسلت انّ أمرك لمريب ففتّشوه فوجدوا معه كتاباً فى اداوة يابسة . فنظروا فى الكتاب فاذا فيه قتل بعضهم وعقوبة بعضهم فى أنفسهم وأموالهم . فلمّا رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة ،فبلغ الناس رجوعهم والّذى كان من أمرهم . فتراجعوا من الآفاق كلّها . وثار أهل المدينة ،وأرسل المصريون إلى عثمان ألم نفارقك على أنّك زعمت أنّك تائب من أحداثك ، و راجع عمّا كرهنا منك ،واعطيتنا على ذلك عهد الله ، وميثاقه قال : بلى أنا على

ذلك. قالوا: فما هذا الكتاب الّذى وجدناه مع رسولك، وكتبت به إلى عاملك قال: ما فعلت، ولا علم لى بما تقولون. قالوا: بريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه خاتمك. قال: أما الجمل فمسروق وقد يشبه الخط الخط، وأما الخاتم فانتقش عليه. قالوا: فانّا لا نعجل عليك، وان كنّا قد اتّهمناك. اعزل عنّا عمّالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يتّهم على دمائنا وأموالنا وارد د علينا مظالمنا قال عثمان: ما أرانى اذن فى شئ إن كنت استعمل من هويتم، واعزل من كرهتم الأمر اذن أمركم. قالوا: واللّه لتفعلنّ أولتعزلنّ اولتقتلن. فانظر لنفسك او دع فأبى عليهم، وقال: لم أكن لاخلع سربالا سربلنيه اللّه. فحصروه أربعين ليلة».

قلت: لو كان قال «لم أكن لأخلع سربالاً سر بلينه فاروقكم» كان أصدق.

هذا. وفى الطبرى دخل على عثمان رجل يقال له «الموت الاسود» فخنقه ثم خنقه. ثم خرج فقال: واللّه ما رأيت شيئاً قطّ ألين من حلقه، واللّه لقد خنقته حتّى رأيت نفسه تتردد فى جسده كنفس الجان.

هذا، وفى المعجم هدم غمدان فى أيّام عثمان. فقيل له: إنّ كهان اليمن تزعم أنّ الّذى يهدمه يقتل فأمر باعادة بنائه. فقيل له: لو انفقت عليه خرج الأرض ما أعدته كما كان فتركه، وقيل: وجد على خشبة لمّا خرب وهدم مكتوب برصاص مصبوب «أسلم غمدان هادمك مقتول» فهدمه عثمان فقتل.

«وكبت»: من الكبوة: أى القته على وجهه.

«به بطنته»: أى كظّته وامتلائه من الطعام شديداً.

روى الطبرى أنّ محمد بن أبى بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم، و معه كنانة بن بشر بن عتاب، وسودان بن حمران، وعمرو بن الحمق. فأخذ بلحية عثمان. وقال: أخزاك اللّه يا نعثل. ثم طعن جنبيه بمشقص فى يده، و رفع كنانة مشاقص كانت فى يده فوجأ بها فى أصل اذن عثمان. فمضت حتّى دخلت فى حلقه. ثم علاه بالسيف حتّى قتله.

و روى فى خبر ضرب كنانة جبينه ومقدّم رأسه بعمود حديد فخرّ لجبينه ـ فضربه سودان بعد ما خرّ فقتله .

و روى فى آخر وثب عمرو بن الحمق فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات وقال : فأمّا ثلاث . فانّى طعنتهن إيّاه لله واما ستّ . فانّى طعنتهن إيّاه لما كان فى صدرى عليه .

و فى الطبرى أنّ معاوية بن حديج لمّا أراد قتل محمّد بن أبى بكر قال له : إنّما أقتلك بعثمان فقال له : وما أنت وعثمان إنّ عثمان عمل بالجور ، ونبذ حكم القرآن ، وقد قال تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فاولئك هم الفاسقون » فنقمنا ذلك عليه فقتلناه ، وحسّنت له أنت ونظراءك ذلك ، فقد برّأنا اللّه إن شاء اللّه من ذنبه ، و أنت شريكه فى عظم ذنبه ، فغضب معاوية فقدّمه ثم قتله ثم ألقاه فى جيفة حمار ثمّ أحرقه .

وفى صفّين نصر بن مزاحم قام عمار . فقال : امضوا عباد اللّه إلى قوم يطلبون فى ما يزعمون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد اللّه بغير ما فى كتاب اللّه انّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالاحسان . فقال : هؤلاء الّذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه فقلنا لاحداثه . فقالوا : انّه ما أحدث شيئاً ، وذلك لانه مكّنهم من الدنيا فهم ياكلونها ويرعونها ، ولا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال ، واللّه ما أظنّهم يطلبون دمه انّهم ليعلمون انّه لظالم ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا . فاستحبوها واستمرؤها ، وعلموا أنّ الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها ، ولم يكن للقوم سابقة فى الاسلام ـ يستحقّون بها الطاعة فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قتل امامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة ، وملوكاً ، وتلك مكيدة .

وفيه أيضاً قال أبو امامة الباهلى ، وأبو الدرداء لمعاوية : على م تقاتل هذا الرجل ؟ قال : على دم عثمان وايوائه قتلته فقولا له فليقدنا من قتلته . فأنا أوّل من بايعه من أهل الشام . فانطلقوا إلى على عليه السلام . فأخبروه بقول معاوية . فقال :

هم الّذين ترون فخرج عشرون ألفاً أو أكثر مسربلين في الحديد لا يرى منهم إلّا الحدق. فقالوا: كلّنا قتله.

وبالجملة المسلمون كلّهم الشيعة، والسنّة غير الأموية كانوا متّفقين على فسق عثمان، واباحة قتله، وانّما الاموية حملوا الناس بالسيف على القول بامامته

وفي العقد الفريد قال عطاء بن سائب: كنت جالساً مع ابي البختري وهو كان الحجاج يخطب فقال «انّ مثل عثمان كمثل عيسى الّذي قال اللّه تعالى فيه «انّي متوفّيك ورافعك إليّ ومطهّرك من الّذين كفروا وجاعل الّذين اتّبعوك فوق الّذين كفروا إلى يوم القيمة» فقال أبو البختري كفرورب الكعبة».

وكان المسلمون سمّوه نعثلا باسم يهودي شبّهوه به قال محمّد بن أبي سبرة القرشي:

نحن قتلنا نعثلاً بالسيرة × إذ صدّ عن أعلامنا المنيرة

يحكم بالجور على العشيرة × نحن قتلنا قبله المغيرة

المراد بالمغيرة ابن عمه المتقدم الذي اهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه واجاره عثمان فقتله المسلمون.

وفي أراجيز أهل العراق في صفّين.

كيف نردّ نعثلاً وقد قحل × نحن ضربنا رأسه حتّى انجفل

لمّا حكم حكم الطواغيت الاول × وجار في الحكم وجار في العمل

وفي جمل المفيد كانت عايشة ترفع قميص النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتقول: هذا قميص النبيّ لم يبل وقد أبلى عثمان أحكامه، ولمّا جاء الناعي إلى مكّة فنعاه بكى لقتله قوم. فامرت عايشة منادياً ينادي ما بكاؤكم على نعثل أراد أن يطفئ نور اللّه فاطفأه، وأراد أن يضيع سنّة رسوله فقتله.

وفي تذكرة سبط ابن الجوزي ـ بعد نقل قول الحسين عليه السلام لمروان «يا ابن طريد الرسول» وبعد نقل قصّة الحكم، وطرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم له، وبعد نقل ـ

طلب عثمان بعد النبى ﷺ من أبى بكر و عمر ردّ هو إباءهما عن ذلك ـ « قال فلمّا مات عمر وولى عثمان ردّه فى اليوم الّذى تولّى فيه ، وقرّبه وادناه ، ودفع له مالا عظيمـــا ، ورفع منزلته . فقام المسلمون على عثمان ، وانكروا عليه ذلك ، و هو اوّل ما انكروا عليه ، وقالوا له : رددت عدوّ الله ورسوله ، وخالفت اللّه ورسوله . فقال : إنّ النبى وعدنى بردّه . فامتنع جماعة من الصحابة من الصلوة خلف عثمان لذلك ثم توفى المحكم فى خلافته . فصلّى عليه ، ومشى خلفه . فشقّ ذلك على المسلمين وقالوا : ماكفاك مافعلت حتّى تصلّى على منافق ملعون لعنه النبى ﷺ ونفاه فخلعوه وقتلوه ـ وبهذا السبب قالت عايشة « اقتلوا نعثلاً فقد كفر » .

وفى أنساب البلادرى كان الحكم مؤذياً للنبى ﷺ يشتمه ويسمعه ، وكان النبى ﷺ يمشى ذات يوم وهو خلفه يخلج بأنفه وفمه . فالتفت النبىّ ﷺ فرآه فقال له : كن كذلك . فبقى على ذلك ، وأظهر الاسلام يوم فتح مكّة ، واطلع يوماً على النبى ﷺ وهو فى حجر بعض نسائه . فخرج اليه بعنزه وقال : من عذيرى من هذه الوزغة لو ادركته لفقأت عينه ، ولعنه وما ولد و غرّبه عن المدينة . فلم يزل خارجاً حتّى استخلف عثمان فردّه وولده ومات فى خلافته فضرب على قبره ـ فسطاطـاً .

وفى الطبرى عن أبى كرب عامل عثمان على بيت ماله انّ عثمان دفن بين المغرب والعتمة ، ولم يشهد جنازته إلّا مروان وثلاثة من مواليه ، وابنته الخامسة فناحت ابنته ، ورفعت صوتها تندبه ، وأخذ الناس الحجارة ، وقالوا : نعثل نعثل وكادت ترجم .

وفيه عن أبى بشر العابدى قال : نبذ عثمان ثلاثة أيّام لا يدفن . ثـم انّ حكيم بن حزام وجبير بن مطعم كلّما علياً عليه السلام فى دفنه ، وطلبا إليه أن يأذن ـ لأهله فى ذلك . ففعل فلمّا سمع الناس بذلك تعدوا له فى الطريق بالحجارة ، وخرج به ناس يسير من أهله ، وهم يريدون به حايطاً بالمدينة يقال له : حشّ

كوكب كانت اليهود تدفن موتاهم فيه . فلمّا خرج على الناس رجموا سريره ، وهمّوا بطرحه . فارسل إليهم على عليه السلام يعزم عليهم ليكفّن عنه . فلمّا ظهر معاوية أمر بهدم ذلك الحايط حتّى أفضى به إلى البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتّى اتّصل بمقابر المسلمين .

وفى الطبرى أيضاً أرادوا قطع رأسه فوقعت عليه نائله وأم البنين ، ولم يغسّل وأرادوا أن يصلّوا عليه فى موضع الجنائز فأبت الأنصار ، وأقبل عمير بن ضابئ وعثمان موضوع على باب فنزا عليه . فكسر ضلعاً من إضلاعه ، وقال له : سجنت ضائباً حتّى مات فى السجن ، وقتل معه عبدان له يقال لهما : نجيح ومنجح . فجرّبأ رجلهما فرمى بهما على البلاط . فاكلتهما الكلاب .

وفى استيعاب أبى عمر لمّا قتل عثمان ألقى على المزبلة ثلاثة أيام . فلمّا كان من الليل أتاه اثنى عشر رجلاً فيهم حويطب بن عبد العزى ، وحكيم بن حزام وعبد اللّه بن الزبير فاحتملوه ، فلمّا صاروا به إلى المقبرة ليدفنوه نادا هم قوم من بنى مازن ، واللّه لئن دفنتموه هنا لنخبرن الناس غداً . فاحتملوه وكان على باب وان رأسه على الباب ليقول طق طق حتّى صاروا به إلى حشّ كوكب . فاحتفروا له فلمّا اخرجوه صاحت ابنته عايشة . فقال لها ابن الزبير ، واللّه لئن لم تسكنى لاضربن الّذى فيه عيناك . فسكتت وكان حكيم وزوجته يدلونه فى القبر وغيّبوا قبره .

وفى بلاغات نساء البغدادى قال معاوية لام الخير البارقية : ما تقولين فى عثمان قالت : وماعسى أن أقول فيه استخلفه الناس وهم له كارهون ، وقتلوه وهم راضون .

وفى كامل الجزرى قال معاوية لعبد الرحمن بن حسان الّذى كان من أصحاب حجر بن عدى : ما تقول فى على قال « أشهد أنه كان من الذاكرين اللّه كثيراً ، ومن الآمرين بالحقّ ، والقائمين بالقسط ، والعافين عن الناس قال : فما قولك فى عثمان؟ قال : « هو أوّل من فتح أبواب الظلم ، واغلق أبواب الحق »

فردّه معاوية إلى زياد فدفنه زياد حيّاً .

وفى عقد ابن عبد ربه قال الزهرى : قلت لسعيد بن المسيب : هل أنت مخبرى كيف كان قتل عثمان ، وماكان شان الناس وشانه ، ولم خذله أصحاب محمد ﷺ ؟ فقال : انّ عثمان لمّا ولى كره ولايته نفر من أصحاب النبى ﷺ لأنّ عثمان كان يحبّ قومه . فولى الناس اثنتى عشرة سنة ، وكان كثيراً ما يولّى بنى أميّة ممّن لم يكن له صحبة من النبى ﷺ ، وكان يجئ من أمرائه ما يكره أصحاب محمّد ﷺ فكان يستعتب فيهم . فلا يعزلهم . فلمّا كان فى الحجيج الآخرة استأثر بنى عمه فخرجوا وولّاهم ، وولّى عبد اللّه بن أبى سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ، ويتظلمون منه ـ ومن قبل ذلك كانت هنات من عثمان إلى عبد اللّه بن مسعود وأبى ذر وعمار . فكانت هذيل وبنو زهرة فى قلوبهم ما فيها لابن مسعود ، وكانت بنو غفار ، وأحلافها ، ومن غضب لأبى ذر فى قلوبهم ما فيها ، وكانت بنو مخزوم قد حنقت عثمان لحال عمار ، وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبى سرح فكتب إليه عثمان ينهاه . فأبى أن يقبل ، وضرب رجلاً ممّن أتى فقتله . فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل إلى المدينة . فنزلوا المسجد ، وشكوا إلى أصحاب النبى صلى اللّه عليه وآله فى مواقيت الصلوة ما صنع ابن أبى سرح . فقام طلحة . فكلّم عثمان بكلام شديد ، وأرسلت إليه عايشة « قد تقدّمت إليك أصحاب النبى ، و سألوك عزل هذا الرجل . فابيت . فهذا قد قتل رجلاً منهم . فانصفهم من عاملك » ودخل عليه على عليه السلام وكان متكلّم القوم فقال « انّما سألوك رجلاً مكان رجل وقد ادّعوا قبله دماً فاعزله عنهم ، واقض بينهم ، وان وجب عليه حقّ فانصفهم منه . فقال لهم « اختاروا رجلاً مكانه اوله عليكم » فأشاروا الناس عليهم بمحمّد بن أبى بكر فقالوا « استعمله علينا » فكتب عهده ، وولّاه ، وأخرج معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فى ما بين أهل مصر ، وابن أبى سرح ، فخرج محمد بن أبى بكر ومن معه ، فلمّا كان على مسيرة ثلاثة أيّام من المدينة إذا هم بغلام أسود على

بعير يخبط الأرض خبطا كأنّه رجل يطلب أو يُطلب. فقال له أصحاب محمد ما قصّتك، وما شأنك كأنّك هارب أو طالب. فقال: أنا غلام عثمان، وجّهني إلى عامل مصر. فقالوا: هذا عامل مصر معنا. قال: ليس هذا اريد، واخبر محمّد بن أبي بكر بأمره. فبعث في طلبه فأتي به. فقال: غلام من انت؟ فأقبل مرّة يقول غلام عثمان، ومرة يقول: غلام مروان حتّى عرفه رجل منهم أنّه لعثمان. فقال له: إلى من أرسلت قال: إلى عامل مصر قال: بماذا؟ قال: برسالة قال: معك كتاب قال: لا. ففتّشوه فلم يوجد معه شئ إلّا أداوة قد يبست فيها شئ يتقلقل فحرّكوه ليخرج. فلم يخرج فشقّوا الأداوة. فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح. فجمع محمّد بن أبي بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار، وغيرهم ثم فكّ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه «إذا جاءك محمّد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم. وأبطل كتابهم، وقرّ على عملك حتّى يأتيك رأيي، واحتبس من جاء يتظلم منك ليأتيك في ذلك رأيي» فلمّا قرأوا الكتاب. فزعوا، وعزموا على الرجوع إلى المدينة، وختم محمّد بن أبي بكر الكتاب بخواتم القوم الّذين ارسلوا معه، و دفعوا الكتاب إلى رجل منهم، وقدموا المدينة. فجمعوا علياً عليه السلام وطلحة والزبير وسعدا، ومن كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ثم فكّوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصّة الغلام، واقراؤهم الكتاب. فلم يبق أحد في المدينة إلّا حنق على عثمان وازداد من كان منهم غاضباً لابن مسعود، وأبي ذر وعمار غضباً وحنقاً، وقام أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلحقوا منازلهم ما منهم أحد إلّا وهو مغتمّ بما قرأوا في الكتاب و حاصر الناس عثمان، واجلب عليه محمّد بن أبي بكر بني تيم و غيرهم، وأعانه طلحة على ذلك، وكانت عايشة تغرضه كثيراً. فلمّا رأى ذلك علي عليه السلام بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار، ونفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلّهم بدري. ثم دخل على عثمان، ومعه الكتاب، والغلام والبعير، وقال له علي عليه السلام: هذا الغلام غلامك قال: نعم، قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم قال: والخاتم خاتمك؟ قال نعم، قال

فانت كتبت الكتاب؟ قال: لا وحلف «ماكتبت، ولا امرت، ولا وجّهت الغلام» وأما الخط فعرفوا أنّه خطّ مروان، وشكّوا فى أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان وكان عنده فى الدار. فأبى فخرجوا من عنده غضاباً ـ إلى أن قال ـ

فتسوّر محمّد بن أبى بكر وصاحباه من دار رجل من الأنصار. فدخلوا عليه، وليس معه إلّا امرأته نائلة بنت الفرافصه، والمصحف فى حجره، ولا يعلم أحد ممّن كان معه لأنّهم كانوا على البيوت. فتقدّم إليه محمّد بن أبى بكر، وأخذ بلحيته فقال له عثمان: أرسل لحيتى يا ابن أخى. فلو راك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده من لحيته، وغمز الرجلين. فوجئاه بمشاقص معهما حتّى قتلاه، وخرجوا ـ هاربين من حيث دخلوا.

وفى العقد أيضاً قال الأصمعى: كان القواد الّذين ساروا إلى المدينة فى أمر عثمان أربعة عبد الرحمن بن عديس التنوخى، وحكيم بن جبلة العبدى، والأشتر النخعى، وعبد اللّه بن بديل الخزاعى، فقدموا المدينة فحاصروه و ـ حاصره معهم قوم من المهاجرين والأنصار حتّى دخلوا عليه، فقتلوه والمصحف بين يديه ثمّ تقدّم، وهو يقرأ يوم الجمعة صبيحة يوم النحر ـ الخ.

قلت: وكون نسخة من المصحف بين يديه أو قرائته منه اى شىء يفيده وقد كان بدّل أحكامه مع أنّه كان حرّق مصحف ابن مسعود، وولّى الوليد بن عقبة أخاه لامّه الّذى نزل القرآن بفسقه، فشرب وصلّى الصبح بالناس أربعاً، وولّى عبد اللّه بن أبى سرح أخاه للرضاعة الّذى كان يحرّف القرآن، ونزل فيه «ومن قال سأنزل مثل ما أنزل اللّه»[1].

كما أنّ ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الّذى جعل ـ المصحف هدفاً ورماه بالسهم حتّى مزّقه لمّا كان فتح المصحف، ورأى قوله تعالى «واستفتحوا وخاب كلّ جبار عنيد»[2] وقال:

(١) الانعام: ٩٣. (٢) ابراهيم: ١٥.

أتوعدنى بانّك جبّار عنيد × فهاأنا ذا جبّار عنيد

إذا ماجئت ربّك يوم حشر × فقل يارب مزّقنى الوليد

لماحاصروه واحاطوا به لقتله أخذ المصحف أيضاً وقال: اقتل كماقتل ابن عمى عثمان.

وفى العقد اقبل أهل مصر عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى، وأقبل أهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدى، وأقبل أهل الكوفة عليهم الأشتر فى أمر عثمان — الخ.

قال (حد) والّذى نقول إنّ أحداث عثمان لم تبلغ المبلغ الّذى يستباح به دمه، وقد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافة حيث لم يستصلحوه ولا يعجلوا بقتله.

قلت: فى كلامه اولا أنّه من كان عمله مثل عمل عثمان من ضرب الناس وقتلهم واخراجهم عن أوطانهم بلاحق، وحمل الظالمين على رقابهم ونهب أموالهم وحقوقهم يقتل قهراً لا سيما عمله الأخير فى عامل مصره ابن أبى سرح العنيد يكتب تبديله للناس، ويكتب إليه أن يقتل بعضهم، ويحبس بعضهم ويبطل كتابه للعامل فى بدله ويكون باقياً فى محلّه، ولكون مثل ذاك العمل سبباً لقتل صاحبه قهراً قال عليه السلام «إلى أن نتكث فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته».

كما أنّ الوليد بن يزيد قتله عمله فان باقى الامويّة وإن كانوا فى غاية الظالمية والجبارية لكن أمرهم كان على نظام بخلاف عثمان والوليد لأنّهما كانا مفسدى الدين والدنيا للبرّ والفاجر.

وصاحبا عثمان الأوّل والثانى إنّما ظلما أهل البيت عليهم السلام دون باقى الناس ومرّ قول الباقر عليه السلام «انّ فلاناً وفلاناً ظلمانا حقّنا وقسّماه بين الناس فرضوا عنهما وعثمان استأثر على الناس فغضبوا لأنفسهم» وكان عمله مع الناس بالاطّراح كلا

حتّى مع ابن عوف الّذى ولّاه فهجره . ففى العقد «لمّا أنكر الناس على عثمان ما أنكروا من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلّة الأكابر من أصحاب محمّد صلى اللّه عليه وآله قالوا لابن عوف «هذا عملك واختيارك لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قال : لم أظنّ هذا به ودخل عليه . فقال له «اتّقاقدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر وقد خالفتهما» فقال «عمر كان يقطع قرابته فى اللّه وأنا أصل قرابتى فى اللّه» فقال «للّه علىّ أن لا أكلّمك أبدا» فمات عبد الرحمن وهو لا يكلّم عثمان

وقول عثمان «عمر يقطع قرابته فى اللّه وأنا أصلهم فى اللّه» كلام غلط بلا معنى . فقطع القرابة من الحقّ كما فعل عمر مع ابنه الّذى ضربه الحد منكر وصلتها بغير الحقّ كأفعال عثمان منكر .

و ثانيا هل (حد) أعلم فى استباحة دم عثمان أم أمير المؤمنين عليه السلام . . فلمّا بعث معاوية كما فى صفّين نصر بن مزاحم حبيب الفهرى ، وشرحبيل بن السمط ومعن السلمى إليه عليه السلام برسالة ، وحاجّهم عليه السلام قال له شرحبيل ومعن أتشهد أنّ عثمان قتل مظلوما . فقال لهما . انّى لا أقول ذلك . قالا «فمن لم يشهد أنّ عثمان قتل مظلوما فنحن برئاء منه» ثم قاما وانصرفا . فقال على عليه السلام «انّك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين ، وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم أن تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» .

ثم من قتلة عثمان عمار المجمع على جلاله حتّى من مثل شبث بن ربعى ، فلمّا قال معاوية لشبث لمّا جائه برسالة من أمير المؤمنين عليه السلام «ألستم تعلمون أنّ قتلة صاحبنا أصحاب صاحبكم فليدفعهم إلينا فنقتلهم ونحن نجيبكم إلى الطاعة» فقال له شبث «أيسرّك باللّه يا معاوية إنّك إن أمكنت من عمار فقتلته» .

ومعاوية وان قال لشبث «واللّه لو أمكننى صاحبكم من ابن سمية ما قتلته بعثمان بل بمولى عثمان إلّا أنّ معاوية لو كان أمكن من قتل نفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم لكان يقتله لأنّ أصل ثاره كان عنده من يوم بدر .

وقد عرفت أنّ عماراً يكفّره، وكذلك حذيفة وجلاله مجمع عليه وكذلك زيد بن أرقم، وقد عرفت أنّ عمّاراً تأسّف على عدم نبشه وإحراقه.

ولمّا قال سعد الّذى رذالته معلومة لخذلانه الحقّ باعترافه فى مقاماته أمير المؤمنين عليه السلام لعمار «لقد كنت عندنا من أفاضل أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله حتّى لم يبق من عمرك إلّا ظمأ الحمار فعلت وفعلت ـ يعرّض له بقتل عثمان ـ قال له عمار: أىّ شئ أحبّ إليك مودّة على دخل أو هجر جميل قال: هجر جميل قال له عمار «للّه علىّ ألا أكلّمك» وبالجملة لو كان عثمان حقّاً كان معاوية أيضاً حقّاً وكان أمير المؤمنين عليه السلام باطلاً. فإن التزم إخواننا بذلك. فلا غرو منهم بل لا بدّ لمن قال بامامة عثمان ومن تقدّم عليه ذلك، وكفاهم بذلك خزيا.

وقول عمار ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر وأنا الرابع وأنا شرهم» لا بدّ بقوله «ثلاثة هو شرهم» امير المؤمنين عليه السلام وأبوذر والمقداد.

فإن أنكروا تبرى أمير المؤمنين عليه السلام من شيخيهم فتبريه عليه السلام من عثمان شئ لا يمكن انكاره كاختلاف معاوية مع أمير المؤمنين عليه السلام. فما هذا التضاد الّذى التزموا به من الجمع بين على وعثمان فى الإمامة.

ولما قال نافع بن هلال من أصحاب الحسين عليه السلام يوم الطف «أنا على دين على» قال له مزاحم بن حريث من أصحاب ابن سعد «أنا على دين عثمان» فقال له نافع «أنت على دين شيطان».

ثم إذا كان الواجب على الناس خلعه دون قتله كما قال (حد) فلم قال بامامة من كان واجب الخلع.

ولمّا رجع الناس إلى عثمان لمّا وجد واكتاباً مع غلامه على جمله بقتل محمّد بن أبى بكر ومن معه وقال «أنا ما كتبته خرج غلامى بغير اذنى وأخذ جملى بغير علمى» قال الناس له «ما أنت إلّا صادق أو كاذب فإن: كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقّها، وان كنت صادقاً فقد استحققت،

إن تخلع لضعفك ، وخبث بطانتك ، ولا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه ، وغفلته .

وقال ابو القاسم الوزير المغربي في الثلاثة .

من عاجز ضرع ومن ذي غلظة جاف × ومن ذي لوثة خوّار

« فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليّ » هكذا في المصرية ، والصواب « فما راعني إلّا والناس اليّ كعرف الضبع » كما في (حد ، وثم ، والخطية) وكذلك باقي من روى الخطبة كما عرفت ، وعرف يقال له بالفارسية : يال .

هذا ونظير كلامه عليه السلام في عثمان إلى هنا في هذه الخطبة كلامه عليه السلام في أخرى ليست في النهج وهو « ثم استخلفوا ثالثاً لم يكن يملك من أمر نفسه شيئاً غلب عليه أهله ، فقادوه إلى أهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم ، فلم يزل الأمر بينه وبين الناس يبعد تارة ، ويقرب أخرى حتى نزوا عليه ، فقتلوه ، ثم جاءوني مذبّ الدبّا يريدون بيعتي »

وفي كتاب مروان إلى معاوية في شرح إقبال الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان « فسفكوا دمه وانقشعوا عنه انقشاع سحابة قد افرغت ماءها منكفئين قبل ابن أبي طالب انكفاء الجراد ابصر المرعى » .

ونظير تشبيهه عليه السلام بعرف الحيوان قول شاعر :

خضّم ترى الأمواج فيه كأنّها × إذا التطمت أعراف خيل جوامح

ولعلّ الأصل في التشبيه بالعرف القرآن فقيل في قوله تعالى « والمرسلات عرفاً »[1] انه مستعار من عرف الفرس : أي يتتابعون كعرف الفرس .

ثم إنّ أبا أحمد العسكري قال (الأصل في العرف الشعر الذي يكون على عنق الفرس وقوله عليه السلام كعرف الضبع استعارة) لكن يمكن أن يقال حيث إنّ المشاهد للناس عرف الفرس دون الضبع . فالاطلاق ينصرف إليه دون أن يكون

---

(١) المرسلات : ١ .

مختصاً به حتّى يكون في الضبع استعارة مكاقال: كيف ويقولون للضبع (عرفاء) ـ لكثرة شعرها.

هذا، وفي رواية السبط والناس إرسالاً إلّى كعرف الفرس» والصواب ما هنا بشهادة غيره.

قال (ثم) الفاعل لقوله عليه السلام (فما راعني) أمّا جملة (الّا والناس إلّى كعرف الضبع) أو ما دلّت عليه من المصدر أي إقبال الناس إلّى.

قلت: قال ابن هشام: اختلفوا في أنّ الفاعل ونائبه هل يكونان جملة أم لا فالمشهور المنع مطلقا، واجازه هشام وثعلب مطلقا، وفصّل الفراء ونسب إلى سيبويه بأنّه إن كان الفعل قلبياً، ووجد معلّق عن العمل نحو (ظهر لي اقام زيد) جاز ومنه (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجنّنه حتّى حين) وإلّا فلا واحتجّ الأولان بقول الشاعر:

فما راعني إلّا يسير بشرطة × وعهدي بها قين يفشّ بكير

وأقول: الصواب اختاص الجواز بكلمة راعني ومستقبله منفيين بشهادة استعمالاتهما بل لا يجوز في فاعلهما غير الجملة فورد كذلك في موضعين آخرين من كلامه عليه السلام ففي ۶۲ من باب كتب النهج «فما راعني إلّا انثيال الناس على فلان يبايعونه» وقال الكراجكي: كتب عليه السلام إلى معاوية «فما راعني إلّا والأنصار قد اجتمعت».

وورد كذلك في أخبار وأشعار أما الأخبار فعن فضائل أحمد بن حنبل عن أبي ذر قال: قال النبي صلى الله عليه وآله «لينتهين بنو وليعة أولاً بعثن إليهم رجلاً كنفسي يمضي فيهم أمري يقتل المقاتلة، ويسبي الذرّية» قال أبو ذر: فما راعني إلّا برد كفّ عمر من خلفي. فقال: من تراه يعني. فقلت: ما يعنيك وانما يعني خاصف النعل يعني علياً عليه السلام.

وفي خبر عبد الرحمن بن جابر عن أبيه في غزوة حنين «فوالله ما راعنا و نحن

منحطّون إلّا الكتائب قد شدّت علينا شدّة رجل واحد» .

وفي خبر الاحنف بعد ذكر أنّها استأمر طلحة والزبير في من يبايع ان قتل عثمان واشارتهما بأمير المؤمنين عليه السلام ، «فما راعنا إلّا قدوم عايشة طلحة والزبير قد نزلوا جناب الخريبة .

وفي خبر ابن عباس كما في نهاية الجزري (فما راعني إلّا رجل أخذ بمنكبي) وفي خبر عقد ابن عبد ربه (فما راعني إلّا سوابق عبرتي تقنعت منها) .

وفي الطبري في أحوال المهدي العباسي (عن أبي حفص مولى مزينة . قال : كان هشام الكلبي صديقاً لي . فكنّا نتلاقى ونتحدّث ونتناشد . فكنت أراه في حال رثة وفي أخلاق على بغلة هزيل والضرّ فيه بيّن وعلى بغلته «فما راعني إلّا وقد لقيني على بغلة شقراء من بغال الخلافة وسرج ولجام من سروج الخلافة» .

وفي العقد قال بكر بن حماد الباهلي لمّا انتهى إليّ خبر (عنان) وأنّها ذكرت لهرون وقيل له : إنّها أشعر الناس خرجت معتر ضاً لها (فما راعني إلّا — الناطفي مولاها قد ضرب على عضدي » .

وأمّا الأشعار فمنها ما مرّ (فما راعني) — البيت — ومنها قول القطامي في عجوز من محارب لم تقره :

فما راعها الا بغام مطيتي × تريح بمحصور من الصدر لاغب

ومنها قول عمر بن أبي ربيعة في أبيات متعددة ، وقول الراجز :

فما راعني إلّا مناد برحلة × وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلم يرعها وقد نضّت مجاسدها × الا سواد وراء البيت يستتر

لم يرعها الا الفتاة وإلّا × دمعها في الرداء سحّا سنينا

ما راعني الا حياك شابطا × على البيوت قوطة العلابطا

(حياك) اسم راع ومعنى (قوطة العلابط) قطيعة الغنم .

ولا استبعاد في اختصاص كلمات من لغة العرب باحكام فقد عثرنا على عدّة

كلمات كذلك منها هذه ومنها (لشدّما) كما مرّ فى هذه الخطبة أيضاً ولم يتفطن لها اللغويون.

ولا وجه لتأويل الجميع بالارجاع إلى المصدر مع سلاسة المعنى مع بقاء الجملة على حالها

وأما الاية فلا باس بتأويلهم بجعل الفاعل ضمير المصدر.

«ينثالون علىّ» لم أقف على من ذكر الأصل فى (ينثالون) من الشرّاح و إنّما نقله الصدوق فى كتابيه المتقدمين بلفظ (قد انثالوا علىّ) ونقل فى تفسيره عن شيخه أبى أحمد العسكرى قال إنّ معناه انصبّوا وكثروا يقال (انثلت ما فى كنانتى من السهام) إذا صببته.

ولازم كلامه كون (انثال) على انفعل ومثله القاموس حيث قال فى (ثيل) (انثال) اى انصب) واما الصحاح فلم يذكر فى ثيل انثال بل قال فى (نثل) (تناثل الناس اليه) : أى انصبوا وكذلك لسان العرب لم يذكر فى (ثيل) (انثال)، وكذلك الجمهرة لم يذكر فى ثيل انثال لكن الصواب ما قاله العسكرى والقاموس من كون (ينثالون) أو (انثالوا) من الانثيال ويشهد له قوله عليه السلام أيضاً فى ۶۲ من عناوين الكتب «فما راعنى إلّا انثيال الناس على فلان»

وأما قول الصحاح فى (نثل) (تناثل الناس إليه) أى انصبوا فبلا شاهد وان تبعه القاموس أيضاً، وأما قول الجزرى فى نهايته، وفى حديث طلحة (انّه كان ينثل درعه إذ جائه سهم فوقع فى نحره) : أى يصبّها عليه فبلا شاهد فمن أين أنّه ليس بمعنى ينزعه. فقال قبله «فى الحديث (أيحب أحدكم ان تؤتى مشربته فينتثل ما فيها» أى يستخرج ويؤخذ، ومنه حديث الشعبى «أما ترى حفرتك تنثل» : أى يستخرج ترابها يريد القبر، ومنه حديث صهيب «و انتثل ما فى كنانته» : أى استخرج ما فيها من السهام وفى الحديث أبى هريرة «ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم تنتثلونها» يعنى الأموال، وما فتح عليهم من زهرة الدنيا)

ففى الكل بمعنى الاستخراج . فكيف صار فى هذا بمعنى الصبّ مع أنّ فى الأساس (ومن المجاز (نثل عليه درعه) إذا اصبّها و(نثلها عنه) نزعها كما يقال (خلع عليه الثوب وخلعه عنه) ، وليس فى خبره حرف جرّ حتّى يعلم المعنى مع أنّ ما ذكره الأساس من المجاز لم يعلم صحّة أصله لعدم كونه من كلام العرب .

ثم أنّ العسكرى وإن أصاب فى تفسيره ينثالون كما فى النهج وانثالوا كما فى روايته ورواية الشيخين ورواية السبط كما مرّ بالانصباب لكن اخطأ فى ما استند إليه من قوله «يقال (انثلت ما فى كنانتى من السهام» اذا اصببته) فانّه لا يقال ـ انثلت) من الثيل بل (انتثل) على (افتعل) من النثل كما عرفته من حديث ، صهيب من النهاية ، وفى الجمهرة (نثلت كنانتى نثلا) إذا استخرجت ما فيها من النبل وكذلك (نثلت البئر) إذا استخرجت ترابها .

كما أنّ معناه أيضاً ليس الصب كما قال : بل الاستخراج كما عرفته من الجمهرة والنهاية وان وهم الأساس أيضاً فقال (نثل كنانته) نثرها .

ثم يشهد لما قلنا من كون ينثالون انفعالاً من الثيل رواية السبط للخطبة فمرّ أنّه نقل الفقرة (وانثالوا علىّ انثيالاً) .

«من كلّ جانب» هكذا فى المصرية ، وهو الصواب لتصديق «ثم» الّذى نسخته بخطّ مصنّفه له ، ورواية الصدوق له كما مرّ دون ما فى (حد) من تبديله بقوله (من كلّ وجه) .

«حتّى لقد وطئ الحسنان» قال (حد) الحسنان الحسن والحسين ـ عليهما السلام ، وقال الراوندى الحسنان ابهاما الرجلين وهذا لا أعرفه .

قلت : نقل التفسير عن غلام ثعلب ففى (ثم) (حكم المرتضى أنّه روى فى قوله عليه السلام (وطئ الحسنان) أى الابهامان ، وانشد للشنفرى «مهضومة الكشحين خرماء الحسن» روى أنّه عليه السلام كان يومئذ محتبياً ، والاحتباء جمع الركبتين والذيل فلمّا اجتمعوا لبيعته زاحموه حتّى وطأوا إبهامه ، وشقّوا ذيله

ولم يعن الحسنين عليهما السلام ، وهما رجلان كسايرالناس ، ونقل ذلك السروى أيضاً

قلت : لوسلّم تفسيرغلام ثعلب ، فقال عبيد اللّه بن أبى الفتح «لوطارطائر فى الجولقال غلام ثعلب حدّثنا ثعلب عن ابن الأعرابى ، ويذكرفى معنى ذلك شيئاً ، وقال الخواجِ الجوع ، ولم يذكرذلك فى لغة» لماصح إرادة الإبهامين فإنّه عليه السلام لوكان أراد هما لقال (وطئ حسناى) كماقال (وشقّ عطفاى) ، والا فقيل إنّ الحسنين يطلق على بطنين من طى أيضاً وعلى جبلين قتل بسطام الشيبانى عند هما قال شاعر :

ويوم شقيقة الحسنين لاقت × بنو شيبان آجالاً قصارا

وقوله «ولم يعن الحسنين عليهما السلام لأنّهما رجلان كسايرالناس غلط فانّهما عليهما السلام كانا جالسين عنده عليه السلام ، ولم يمهلوهما للنهوض فوطأ وهما كما شقوا عطفيه عليه السلام فقال عليه السلام فى موضع آخرفى وصف هجومهم عليه عليه السلام للبيعة «حتّى ظننت أنّهم قاتلى أوبعضهم قاتل بعض لدىّ» .

«وشقّ عطفاى» قال (حد) (أى خدش جانباى لشدّة الاصطكاك منهم والزحام» قلت : بل المعنى شقّ جانبالباسى ، وهوتعبيرعرفى ، ولا وجه لارادة خدش البدن من شقّه .

قال (حد) « ويروى عطافى أى ردائى وهوأشبه بالحال» قلت : هورواية الصدوق كمامرّ ، والمعنى واحد كماعرفت .

و رووا أنّ عبد اللّه بن خفاف الطائى . قال لمعاوية فى وصف إقبال الناس لبيعته عليه السلام بعد قتل عثمان «ثم تهافت الناس علىّ علىّ بالبيعة كتهافت الفراش حتّى ضلّت النعل وسقط الرداء ووطئ الشيخ» .

ومراده أنّ الازدحام فى بيعته عليه السلام كان بحيث ضلّت به نعال الناس وسقطت اردیتهم ، ووطئت شيوخهم .

«مجتمعين حولى كربيضة الغنم» فى جمهرة ابن دريد (الربيض الجماعة

من الغنم الضان والمعزفيه واحد (وهذا ربيض فلان) أى جماعة غنمهم).

وقد عبّر عليه السلام عن كيفيّة بيعة الناس له وابتهاجهم بها بتعبيرات مختلفة منها قوله عليه السلام هنا، ومنها قوله عليه السلام فى الخطبة ٥٣ «فتداكوا علىّ تداكّ الابل الهيم يوم ورد هاقد أرسلها راعيها، وخلعت مثانيها حتّى ظننت أنّهم قاتلى، وبعضهم قاتل بعض لدىّ» ومنها فى العنوان ١٣٣/ ١/ أيضاً «فاقبلتم إلىّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون: البيعة البيعة. قبضت يدى — فبسطتموها، ونازعتكم يدى فجذبتموها».

و روى رسائل الكلينى الأُول وزاد «وبلغ من سرورالناس ببيعتهم إن حمل إليها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل إليها العليل، وحسرت لها الكعاب».

«فلما نهضت»: أى قمت.

«بالأمر»: أى حكومة الناس.

«نكثت»: أى نقضت بيعتها.

«طائفة»: وهم الناكثون اهل جمل عايشة الزبير وطلحة.

وفى الارشاد لما نزل أمير المؤمنين عليه السلام فى خروجه إلى الجمل بذى قار أخذ البيعة على من حضرثم قال بعد إكثار الحمد والثناء والصلوة «قد جرت أمور صبرنا عليها، وفى أعيننا القذى تسليماً لأمرالله فى ما امتحننا به ورجاء الثواب على ذلك، وكان الصبرعليها امثل من ان يتفرق المسلمون، وتسفك دماءهم نحن أهل بيت النبوّة، وعترة الرسول، وأحقّ الخلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة الّتى ابتدء الله بها هذه الأمّة، وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل بيت النبوّة، ولا من ذريّة الرسول حين رايا انّ الله قد ردّ علينا حقّنا بعد اعصرلم يصبرا حولا واحداً، ولا شهراً كاملاً حتّى وثبا علىّ دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقّى، و يفرّقا جماعة المسلمين عنّى.

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى كان أحمد بن حنبل يقول «والله ما زانت الخلافة علياً عليه السلام ولكن هوزانها · فأوّل من بايعه طلحة ، وكان أشلّ فلمّا نظر إليه على عليه السلام تطيّر منه ، وقال «يد شلاء امرلا يتمّ ما اخلقه أن ينكث بيعته» ـ إلى أن قال ـ

فلم يلبثوا إلّا يسيراً حتّى دخل عليه طلحة والزبير فقالا: إنّ عيالنا كثير ـ إلى أن قال ـ

فقالا له عليه السلام ايذن لنا فى العمرة · فقال : والله ما تريد أنّ العمرة ، وإنّما تريدان الغدرة · فقالا : كلّا والله · فقال: قد أذنت لكما فافعلا ما شئتما ·

وقال (حد) وقد كان عليه السلام يتلووقت مبايعتهم له «ومن نكث فانّما ينكث على نفسه» ·

و روى ميزان الذهبى عن عثمان مؤذّن بنى افصى قال : سمعت علياً يقول « والله ماقوتل أهل هذه الآية بعد ما نزلت «وان نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر أنّهم لا ايمان لهم لعلّهم ينتهون» ·

وفى الطبرى عن قتادة سار على عليه السلام من الزاوية يريد طلحة والزبير وعايشة وساروا من الفرضة يريدون علياً ع · فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد فى النصف من جمادى الاخرة سنة ۳۶ يوم الخميس خرج الزبير على فرس عليه سلاح · فقيل لعلى عليه السلام هذا الزبير : قال « اما انه أحرى الرجلين إن ذكر بالله ان يذكر » وخرج طلحة فخرج إليهما على عليه السلام فدنا منهما حتّى اختلفت أعناق دوابهم فقال لهما على عليه السلام « لعمرى لقد اعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتّقيا الله سبحانه ، ولا تكونا كالّتى نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثا أ لم أكن أخاكما فى دينكما تحرّمان دمى ، واحرّم دماءكما فهل من حدث احلّ لكما دمى » قال طلحة « البيت الناس على عثمان قال على عليه السلام « يومئذ يوفّيهم الله دينهم الحقّ ، ويعلمون أنّ الله هو الحقّ المبين يا طلحة تطلب

بدم عثمان فلعن اللّه قتلة عثمان أتذكر يا زبير يوم مررت مع النبى ﷺ فى بنى غنم فنظر إلىّ فضحك ، وضحكت إليه ، فقلت «لا يدع ابن أبى طالب زهوه » فقال : لك النبى ﷺ صه إنّه ليس به زهو ، ولتقاتلنّه وأنت له ظالم » فقال « اللهم نعم ، ولو ذكرت ما سرت مسيرى هذا ، واللّه لا أقاتلك أبدًا فانصرف على عليه السلام إلى أصحابه فقال «أما الزبير فقد أعطى اللّه عهدًا أن لا يقاتلكم » و رجع الزبير إلى عايشة فقال لها « ما كنت فى موطن منذ عقلت إلّا وأنا أعرف فيه امرى غير موطنى هذا » قالت : فما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن ادعهم واذهب» فقال له ابنه عبد اللّه «جمعت بين هذين الغارين حتّى إذا حدّد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب أحسست رايات ابن أبى طالب و علمت أنّها تحملها فتية انجاد » قال : انّى قد حلفت أن لا أقاتله ـ واحفظه ما قال له . فقال : له كفّر عن يمينك ، وقاتله . فدعا بغلام يقال له مكحول فاعتقه . فقال عبد الرحمن التميمى :

لم أر كاليوم أخا إخوان × أعجب من مكفّر الايمان

بالعتق فى معصية الرحمن

وقال رجل من شعرائهم :

يعتق مكحولاً لصون دينه × كفّارة للّه عن يمينه

والنكث قد لاح على جبينه

و رواه سبط ابن الجوزى ، وقال «وفى رواية فقال الزبير لمّا ذكّره على عليه السلام قول النبى ﷺ فما الّذى اصنع ، ورجوعى عار علىّ . فقال عليه السلام « ارجع بالعار ولا ترجع بالعار و النار فرجع وهو يقول :

نادى على بأمر لست أجهله × عار لعمرك فى الدنيا وفى الدين

فقلت حسبك من لوم أباحسن × فبعض هذا الّذى قد قلت يكفينى

« ومرقت أخرى » وهم المارقون : أى الخوارج الّذين أخبر بهم النبى ﷺ

ففى كامل المبرد أنّ علياً عليه السلام وجّه إلى النبى صلى الله عليه وآله بذهبة من اليمن فقسّمها أرباعاً فاعطى ربعاً للاقرع بن حابس المجاشعى ، وربعاً لزيد الخيل — الطائى ، وربعاً لعيينة بن حصن الفزارى ، وربعاً لعلقمة بن علاثة الكلابى . فقام رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة إليه صلى الله عليه وآله . فقال «رأيت قسمة ما اُريد بها وجه الله» فغضب النبى صلى الله عليه وآله حتّى تورّد خدّاه ثم قال «يأ منني الله على أهل الأرض ولا تأمنونى» فقام إليه عمر . فقال : ألا أقتله . فقال النبى صلّى الله عليه وآله «انّه سيكون من ضئضئى هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرُّمية تنظر فى النصل فلا ترى شيئاً ، وتنظر فى الرصاف فلا ترى شيئاً وتتمارى فى الفوق — الخبر .

وفى تاريخ بغداد عن نبيط بن شريط . قال : لمّا فرغ على عليه السلام من قتال أهل النهروان . قفل أبو قتادة الأنصارى ، ومعه ستّون أو سبعون من الأنصار فبدء بعايشة — إلى أن قال — فقالت عايشة مايمنعنى ما بينى وبين على أن أقول الحق سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول «تفترق اُمّتى على فرقتين تمرق بينهما فرقه محلّقة رؤسهم محفون شواربهم . أزرهم إلى انصاف سوقهم . يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم . يقتلهم أحبّهم إلىّ وأحبّهم إلى الله تعالى» قال أبو قتادة : فقلت لها : فأنت تعلمين هذا فلم كان الّذى منك قالت : يا أباقتادة ، وكان أمر الله قدراً مقدورا .

«وقسط» هكذا فى المصرية ، والصواب (وفسق) كما فى (حد وثم والخطية) وفى رواية علل الصدوق (وفسقت اُخرى) ولكن فى ارشاد المفيد (وقسط) و بالجملة كلامه عليه السلام نقل مختلفاً لكن النهج بلفظ (وفسق) .

«آخرون» وهم القاسطون معاوية وأصحابه .

قال (حد) قول النبى صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام «ستقاتل بعدى — الناكثين والقاسطين والمارقين» من دلائل نبوته صلى الله عليه وآله .

قلت: وكان عليه أن يزيد على قوله (دلائل نبوته صلى الله عليه وآله وسلم) (وشواهد امامته عليه السلام) فقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم «يا أيها النبى جاهد الكفّار والمنافقين» ولم يجاهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم غير الكفّار وانما جاهد المنافقين وهم أصحاب الجمل، و صفين والنهروان أميرالمؤمنين عليه السلام فدلّت الآية على كونه عليه السلام بمنزلة نفس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلتزاماً كما دلّت آية (وأنفسنا) على كونه عليه السلام بمنزلة نفسه صلى الله عليه وآله وسلم مطابقة.

وروى أحمد بن حنبل فى فضائله كما نقل عنه سبط ابن الجوزى عن أنس بن مالك قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: لينتهين بنو وليعة أو لابعثن إليهم رجلاً كنفسى يمضى فيهم أمرى يقتل المقاتلة، ويسبى الذرّية ـ إلى أن قال ـ فالتفت إلى على عليه السلام فأخذ بيده، وقال: هذا هو هذا هو.

و روى الترمذى أيضاً ـ كما فيه ـ عن ربعى بن حراش قال خطبنا على عليه السلام بالرحبة. فقال: لمّا كان يوم الحديبية خرج إلينا سهيل بن عمرو فى جماعة من رؤساء الكفار. فقال: يا محمد خرج اليك ناس من أبنائنا وإخواننا و أرقّائنا وليس لهم فقه فى الدين، وانّما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا. فارددهم إلينا. فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: سنفقّههم فى الدين إن لم يكن لهم فقه. ثم قال: يامعاشر قريش لتنتهنّ أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين. فقالوا: ومن ذلك. فقال: من امتحن الله قلبه للايمان وهو خاصف النعل. قال: وكنت جالساً أخصف نعله صلى الله عليه وآله وسلم.

و روى أيضاً عن أبى سعيد الخدرى. قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ياعلى لايحلّ لأحد أن يجنب فى هذا المسجد غيرى و غيرك.

و روى أيضاً عن عمران بن الحصين قال: بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً، و استعمل عليهم علياً عليه السلام. فمشى فى السرية. فأصاب جارية من السبى فتعاقد أربعة منهم إذا قدموا على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبروه. فلمّا قدموا قام الأوّل. فقال للنبىّ

صلّى الله عليه وآله «ألا ترى إلى على مافعل» فاعرض عنه. ثم قام الثانى فقال: كذلك. فاعرض عنه، وقام الثالث والرابع. فقالا كذلك. فاعرض عنهما ثم أقبل عليهم، والغضب يعرف فى وجهه، وقال لهم «ماتريدون من على ـ قالها ثلاثاً ـ علىّ منّى وأنا منه، ولا يؤدى عنّى إلّا علىّ».

قال سبط ابن الجوزى، ومعنى قوله صلى الله عليه وآله ولا يؤدى عنّى إلّا علىّ» انّه بعث أبا بكر سنة تسع، وقال له: انّ المشركين يحضرون الموسم ويطوفون بالبيت عراة، ولا أحبّ أحجّ حتّى لا يكون ذلك، واعطاه أربعين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم. فلمّا سار دعا علياً عليه السلام. فقال له: ادرك أبا بكر فخذ منه الآيات، وأقرأها على الناس بالموسم، ودفع إليه ناقته العضباء. فادرك أبا بكر بذى الحليفة. فأخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلى النبى صلى الله عليه وآله. فقال: هل نزل فىّ شئ. فقال: لا، ولكن لا يبلغ عنّى غيرى أو رجل منّى، وفى فضائل أحمد بن حنبل قال له النبى صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل جاءنى. فقال: ابعث علياً.

و روى النسائى فى خصائصه عن أبى سعيد الخدرى. قال: كنّا جلوساً منتظر النبى صلى الله عليه وآله. فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله. فرمى بها إلى على عليه السلام وقال: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. قال أبو بكر أنا قال: لا. فقال عمر: أنا قال: لا، ولكن خاصف النعلة.

و روى خبر الناكثين والقاسطين والمارقين قبل الوقوع جمع. ففى صفّين نصر بن مزاحم إنّ عمرو بن العاص. قال لعمار: على م تقاتلنا أو لسنا نعبد إلهاً واحداً، ونصلّى إلى قبلتكم، وندعو دعوتكم، ونقرء كتابكم، ونؤمن برسولكم قال عمار «الحمد لله الّذى أخرجها من فيك انّها لى، ولأصحابى القبلة، والدين، و ـ عبادة الرحمن، والنبى والكتاب دونك، ودون أصحابك الحمد لله الّذى قرّرك لنا بذلك، وجعلك ضالّاً مضلّاً، وجعلك أعمى، وساخبرك على ماقاتلتك عليه وأصحابك. أمرنى النبى صلى الله عليه وآله أن اقاتل الناكثين. وقد فعلت، وأمرنى أن اقاتل

القاسطين . فأنتم هم وأصحابك ، وأما المارقين فما أدرى أدركهم أم لا أيها الأبتر ألست تعلم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى عليه السلام « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » وأنا مولى الله ورسوله ، وعلى بعده ، وليس لك مولى » فقال له عمرو بن العاص : لم تشتمنى يا أبا اليقظان ، ولست اشتمك؟ قال عمار : وبم تشتمنى تستطيع أن تقول إنى عصيت الله ورسوله يوماً قط » .

و روى الكشى عن محمّد بن سليمان قال : قدم علينا أبو أيوب الأنصارى فنزل ضيعتنا يعلف خيلاً له . فقلنا : قاتلت المشركين . ثم جئت تقاتل المسلمين فقال : إنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمرنى بقتال القاسطين . والمارقين ، والناكثين . فقد قاتلت الناكثين ، والقاسطين ، وانا نقاتل ان شاء الله بالنهروانات ، وما أدرى انى هى .

وفى تاريخ بغداد كان أبو أيوب على مقدّمة على يوم النهروان ـ الخبر

و روى ابن طلحة الشافعى عن ابن مسعود أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم أتى منزل أمّ سلمة . فجاء على عليه السلام فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدى .

هذا والناكثون طلحة والزبير هم القاتلون لعثمان تصدّياً واغراءً ، و لمّا آيس طلحة والزبير من الخلافة ، وكانا يرجوانها بقتل عثمان لمّا جعلهما عمر من ستّة الشورى ، وآيست عايشة ، وكانت ترجوها بقتل عثمان لابن عم أبيها طلحة رموا أمير المؤمنين عليه السلام بقتله مع كونها مثلهما ممّن له أثر عظيم فى قتله .

كما أنّ القاسطين معاوية و عمرو بن العاص و أتباعهما أيضاً كذلك خذل معاوية عثمان مع استغاثته به ، ومطاوعة أهل الشام الّذين قاتل بهم أهل العراق والحجاز جميعاً له ليقتل وبصير قتله سبباً لادّعائه الأمر .

و عمرو كان يحرّض الناس على قتل عثمان تارة يأتى الزبير فى ذلك ، وأخرى طلحة ، ويعترض الحاجّ فيخبرهم بما أحدث عثمان لمّا عزله . فطلّق أخت عثمان

لأمّه الّتى كانت تحته ، وخرج إلى السبع من فلسطين لمّا حوصر عثمان الحصر الأوّل فلمّا أخبر بقتله قال «أنا أبو عبد اللّه إذا حككت قرحة نكأتها إن كنت لاحرّض عليه حتّى الراعى فى غنمه على رأس الجبل» أيضاً قاتلوه بدم عثمان .

وأمّا المارقون فاجبروه على التحكيم حتّى أرادوا قتله عليه السلام لولم يقبل ثم كفّروه به ، وقاتلوه عليه . فهل مظلومية فى الدنيا اعظم من مظلوميته عليه السلام ، وهل ظالمية فى العالم فوق ظالمية مخالفيه ، وكاذبية فى الدهر فوق كاذبية مخاصميه بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى شهادته ، وهل باطلية أوضح من باطليتهم .

هذا ، وحكم جميع فرق الاسلام بكفر المارقين ، وأما الناكثون والقاسطون وان لم يحكموا بكفرهم ظاهراً لكنّهم كافرون باطناً محقّقاً بشهادة القرآن .

روى نصر بن مزاخم فى صفّينه مسنداً عن الاصبغ . قال : جاء رجل إلى على عليه السلام . فقال : هؤلاء القوم الّذين نقاتلهم الدعوة واحدة ، والرسول واحد والصلاة واحدة والحج واحد . فبم نسميّهم قال : بما سمّاهم اللّه تعالى به فى كتابه . فقال الرجل : ماكلّ مافى الكتاب أعلمه . فقال عليه السلام : أما سمعت اللّه تعالى يقول «تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ـ إلى ـ ولوشاء اللّه ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر»(١) فلمّا وقع الاختلاف كنّا أولى باللّه وبالكتاب ، وبالحق وبالنبى صلى الله عليه وآله وسلم . فنحن الّذين آمنوا وهم الّذين كفروا) .

ومورد السؤال وإن كان فى القاسطين إلّا أنّ الجواب يعمّ الناكثين كما يشمل يوم السقيفة ، ويوم الشورى كيف لا والأصل فى مورد الآية يوم السقيفة الّذى هو الأصل لجميع مابعده .

«كأنّهم لم يسمعوا كلام اللّه حيث يقول» هكذا فى المصرية ، والصواب مافى (حد ، وتم) «كأنّهم لم يسمعوا اللّه سبحانه يقول» لأصحّية نسختيهما لا سيما

(١) البقرة : ٢٥٣ .

الثانى الّذى نسخته بخط مصنّفه .

مع أنّ ما فى المصرية ليس بصحيح معنى فكلام اللّه لا يقول : بل اللّه تعالى يقول .

«تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين» هى الآية الثالثة والثمانون من سورة القصص.

وكان الصادق عليه السلام يتلو هذه الآية ويبكى ويقول «ذهبت الأمانى واللّه عند هذه الآية» .

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى عن جرموز المرادى قال : رأيت علياً عليه السلام يخرج من قصر الكوفة ، وعليه إزار إلى انصاف ساقيه ورداؤه مشمّر قريباً منه ، ومعه الدّرّة يمشى بها فى الأسواق ، ويقول «ياقوم اتّقوا اللّه» ويأمر بحسن البيع ويقول «أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم» ويرشد الضالّة ويعين الحمال على الحمولة ، ويقرء «تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين»(١) ويقول (هذه الآية نزلت فى الولاة وذوى القدرة من الناس» .

وفى حلية أبى نعيم قال سفيان الثورى : ما رأيت الزهد فى شئ أقلّ منه فى الرياسة ترى الرجل يزهد فى المطعم والمشرب والمال والثياب . فاذا نوزع فى الرياسة حامى عليها وعادى .

«بلى واللّه لقد سمعوها ووعوها» : أى دخل فى وعاء اذنهم .

«ولكنّهم حليت الدنيا فى اعينهم» : فى جمهرة ابن دريد «الحلاوة ـ بالذوق وبالنظر إلّا أنّهم فصّلوا فقالوا (حلا الشئ يحلو فى فمى) و (حلى يحلى بعينى) (حلاوة وهو حلو) فى كلا المعنين ، وقال قوم ليس (حلى) من (حلا) فى شئ هذه لغة على حدتها كأنّها مشتقّة من الحلى الملبوس لأنّه حسن فى عينك

(١) القصص : ٨٣ .

كحسن الحلى) قلت: وعلى ماقال فقول الشاعر «فلم يحل فى العينين بعدك منظر» بفتح اللام من (حلى) بكسرها لنسبته إلى العين كما فى قول آخر (تحلى بها العين إذا ما تجهر) ، وان كان مقلوباً والأصل (يحلى بالعين) : أى فيها «وراقهم زبرجها» قال العسكرى : أى أعجبهم حسنها وأصل (الزبرج) النقش وهو ههنا زهرة الدنيا .

قال الطبرى فى وقايع السنة (٤٣) «ولمّا أراد المغيرة بن شعبة أن يعيّن رئيساً لحرب الخوارج . قام صعصعة بن صوحان . فقال «أيّها الأمير ابعثنى إليهم . فأناوالله لدمائهم مستحلّ وبحملها مستقل» فقال «اجلس فإنّما أنت خطيب» فاحفظه ذلك ، وانّما قال المغيرة ذلك لأنّه بلغه أنّ صعصعة يعيب عثمان ، ويكثر ذكر على عليه السلام ويفضّله ، وقد كان دعاه ، وقال له «إيّاك أن يبلغنى عنك أنّك تعيب عثمان عند أحد من الناس ، وإيّاك أن يبلغنى عنك أنّك تظهر من فضل علىّ شيئاً علانية فإنّك لست بذاكر من فضل علىّ شيئاً ـ أجهله بل أنا أعلم بذلك ، ولكن هذا السلطان قد أخذنا باظهار عيبه للناس . فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به ، ونذكر الشئ الّذى لا نجد بدّاً منه ندفع به هؤلاء ـ القوم عن أنفسنا تقيّة ، فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفى منازلكم سرّاً ، وأمّا علانية فى المسجد ، فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا فيه» فكان صعصعة يقول له «نعم أفعل» ثم يبلغه أنّه عاد إلى مانهاه عنه .

وفى خلفاء ابن قتيبة ذكروا أنّ رجلاً من هَمْدان يقال له : برد قدم على معاوية فسمع عمرو بن العاص يقع فى على عليه السلام . فقال له : يا عمرو إنّ أشياخنا سمعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول «من كنت مولاه فعلى مولاه» فحقّ ذلك أم باطل . فقال عمرو «حق وأنا أزيدك ليس أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم له مناقب مثل مناقب على» ففزع الفتى . فقال عمرو «إنّه أفسدها بأمره فى عثمان» ـ إلى أن قال ـ فرجع الفتى إلى قومه . فقال : انّا أتينا قوماً اخذنا الحجّة عليهم من أفواههم

«على على الحق فاتّبعوه» .

وفى خلفائه أيضاً وذكروا أنّ عبد اللّه بن أبى محجن الثقفى قدم إلى معاوية فقال له «إنّى أتيتك من عند العِيى الجبان البخيل ابن أبى طالب» فقال له معاويه «للّه أنت تدرى ماقلت أماقولك «إنّه العِيى» فواللّه لوأنّ ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان على ، وأماقولك (إنّه جبان) فثكلتك أمك هل رأيت أحداً قط بارزه إلّا قتله ، وأماقولك (انه بخيل) فواللّه لو كان له بيتان أحدهما من تبر والآخر من تبن لأنفد تبره قبل تبنه) . فقال له فعلى م تقاتله إذن . قال «على دم عثمان ، وعلى هذا الخاتم الّذى من جعله فى يده جازت طينته ، وأطعم عياله ، وادّخر لأهله» فضحك الثقفى . ثم لحق بعلى عليه السلام ، وقال له «هب لى ياأميرالمؤمنين جرمى لا دنيا اصبت ولا آخرة غنمت فضحك على عليه السلام .

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى ـ بعد ذكر دعوة معاوية عمرو بن العاص إلى معاونته فى حرب أمير المؤمنين عليه السلام ـ «فكتب إليه عمرو بن العاص أمّا ما دعوتنى إليه من خلع ربقة الاسلام من عنقى والتهوّن معك فى الضلالة ، وأعانتى إياك على الباطل واختراط السيف فى وجه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وهو أخو رسوله ووليّه ووارثه وقاضى دينه ، ومنجز وعده ، وصهره على ابنته سيّدة نساء العالمين ، وأبى السبطين الحسن والحسين سيّدى شباب اهل الجنّة ويحك يامعاوية أماعلمت أنّ أبا الحسن بذل نفسه للّه تعالى ، وبات على فراش رسوله وقال الرسول فيه «من كنت مولاه فعلى مولاه» ـ إلى أن قال ـ

فقال عتبة لمعاوية لمّا وصل كتاب عمرو إليه «لا تيأس منه ، واكتب إليه ، ورغّبه فى الولاية ، وشرّكه معك فى سلطانك» ـ إلى أن قال ـ

إنّ عمرو بن العاص كتب إلى معاوية ثانية «يامعاوية لا اعطيك دينى ولم انل به منك دنيا فانظر كيف تصنع» ـ إلى أن قال بعد ذكر قبول معاوية

ماقترح ـ

وبات عمرووطول ليله متفكراً فدعاغلاماًله يقال له:وردان وهوالّذى ينسب إليه فى مصرسوق وردان. فقال له: ماترى ياوردان. فقال« إنّ معلى آخرة ولا دنيا ،وانّمع معاويةدنيا ولا آخرة ،والّتى معلى تبقى والّتى مع معاويةتفنى" فلمّا أصبح ركب فرسهومعهابنه عبد اللّهوهويقول له: لا تذهب إلى معاويةلا تبع آخرتك»

وفى المروج لمّاندب معاوية رجلين من لخم لقتل العباس بن ربيعة الهاشمى . فقتلهما أميرالمؤمنين عليه السلام لأنّه كان لبس لباس العباس «قال معاوية: قبّح اللّه اللجاج ماركبته قطّ إلّا خذلت. فقال له عمروبن العاص ـ « المخذول واللّه اللخميان لا أنت» فقال له معاوية «ذلك أخسر لصفقتك » قال «قدعلمت ذلك ولولا مصرلركبت المنجاة منها. فإنّى أعلم أنّ على بن أبى طالب على الحقّ وأناعلى الضدّ » فقال له معاوية «مصرهى أعمتك ولولا هى ، لا لفيت بصيرا» .

وفيه ايضاً طلب معاوية إلى عمروبن العاص أن يسوّى صفوف أهل الشام. فقال له عمرو على أنّ لى حكمى ان قتل ابن أبى طالب ، واستوسقت لك البلاد فقال: أليس حكمك فى مصر. فقال: وهل مصرتكون عوضاً عن الجنّة ،وقتل ابن أبى طالب يكون ثمناً لعذاب النارالّذى لا يفترّعنهم وهم فيه مبلسون.

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى لمّاعسكرعلى عليه السلام بالنخيلة ،وبعث الاصبغ بن نباته بكتابه إلى معاوية. قال الاصبغ : فدخلت عليه ،وعمروبن العاص عن يمينه ،وذوالكلاع وحوشب عن يساره ،والى جانبه أخوه عتبة وابن عامروالوليد بن عقبة ،وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ،وشرحبيل بن السمط ،وأبوهريرة بين يديه ـ إلى أن قال ـ

فقلت: ياأباهريرة أنت صاحب رسول اللّه اقسم عليك باللّهالّذى لا إله إلّا هوهل سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غديرخم فى حقّ اميرالمؤمنين" «من

كنت مولاه فعلى مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقال: أى والله لقد سمعته يقول ذلك. فقلت «فاذن أنت يا أبا هريرة واليت عدوّه، وعاديت وليّه» فتنفّس أبو هريرة وقال: إنّا للّه وإنّا اليه راجعون» فتغيّر وجه معاوية، وقال: يا هذا كفّ عن كلامك. فلا تستطيع أن تخدع أهل الشام عن الطلب بدم عثمان.

وفى مروج المسعودى لام النعمان بن جبلة التنوخى من صاحب رايات معاوية معاوية، وقال له: لقد نصحتك على نفسى، وآثرت ملكك على دمى، و تركت لهواك الرشد وأنا أعرفه، وحُدت عن الحقّ وأنا أبصره، وما وفّقت لرشد، حين أُقاتل عن ملكك ابن عمّ رسول اللّه، وأوّل مؤمن به ومهاجر معه، ولو اعطيناه ما اعطيناك لكان أرأف بالرعيّة، وأجزل فى العطيّة، ولكن قد بذلنا لك الأمر، و لا بد من اتمامه غيّاً كان أو رشداً، وحاشا أن يكون رشداً، وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها اذ حرمنا اثمار الجنة وأنهارها.

وفيه أيضاً قال الشرقى انّ معاوية قال لعمرو بن العاص بعد صفّين «هل غششتنى منذ نصحتنى؟ قال، لا قال: بلى واللّه يوم اشرت علىّ بمبارزة على و أنت تعلم منه وقال «دعاك إلى المبارزة. فكنت من مبارزته على احد الحسنين امّا أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الأقران وتزداد شرفاً إلى شرفك، وأمّا ان يقتلك. فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً» فقال له معاوية «جوابك هذا أشدّ علىّ من اشارتك قال: لم قال: لأنّى إن قتلته كنت من أهل النار، وإن تقتلنى كنت من أهل النار.

و روى موفقيات الزبير بن بكار عن المدائنى عن تحذم مولى آل أبى بكرة، وكاتب يوسف بن عمر فى خبر هشام مع خالد بن عبد اللّه القسرى عامله على العراق لمّا أراد أن يوقع به لمّا بلغه عنه أشياء فى كتابه إليه «ولقد حشد جدّك يزيد بن أسد مع معاوية يوم صفّين، وعرض دينه، ودمه فى ما اصطنع إليه، ولا ولّاه ما اصطنعت اليك ـ الخ.

وفى الطبرى جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما فى المسجد — أى مسجد البصرة — فقال : نشدتكما بالله فى مسيركما أعهد إليكما فيه النبى ﷺ شيئاً . فقام طلحة . ولم يجبه فناشد الزبير . فقال : لا ، ولكن بلغنا إنّ عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها .

وفيه وفى المروج لمّا بايع أهل البصرة طلحة والزبير — إلى أن قال — فقال الزبير انّ هذه لهى الفتنة الّتى كنّا نحدّث عنها . فقال له : مولاه تسمّيها فتنة وتقاتل فيها فقال « ويحك والله انّا لنبصر ثم لا نصر . فاسترجع المولى ثم خرج فى الليل فاراً إلى علىّ عليه السلام — وإلى أن قال — ولو ظفرا لافتتنا ما خلّى الزبير بين طلحة والأمر ، ولا خلّى طلحة بين الزبير والأمر .

وفى الطبرى أقبل غلام من جهينة من أصحاب الجمل على محمّد بن طلحة فقال : اخبرنى عن قتلة عثمان . فقال : نعم دم عثمان ثلث على صاحبة الهودج يعنى عايشة ، وثلث على صاحب الجمل الأحمر يعنى طلحة أباه ، وثلث على على فضحك الغلام ، وقال : أرانى على ضلال ولحق بعلى عليه السلام ، وقال :

سألت ابن طلحة عن هالك × بجوف المدينة لم يقبر
فقال ثلاثة رهط هم × اماتوا ابن عفان و استعبر
فثلث على تلك فى خدرها × و ثلث على راكب الأحمر
وثلث على ابن أبى طالب × و نحن بدوية قرقر
فقلت صدقت على الأوّلين × و اخطات فى الثالث الأزهر

و رواه ابن قتيبة وزاد « وبلغ طلحة قول ابنه محمّد فقال له تزعم أنّى قاتل عثمان كذلك تشهد على أبيك كن كعبد الله بن الزبير فما أنت بخير منه ، ولا أبوك ، بدون أبيه كفّ عن قولك ، والّا فارجع فانّ نصرتك نصرة رجل واحد ، و فسادك فساد عامّة . فقال : ما قلت إلّا حقّاً ، ولا أعود .

وفى نقض الاسكافى عن على بن الحسين عليه السلام قال : قال لى مروان : ما

كان فى القوم ادفع عن صاحبنا من صاحبكم قلت: فما بالكم تسبّونه على المنابر قال: انّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك.

و فيه أيضاً عن ابن أبى سيف خطب مروان والحسن عليه السلام قائم فنال من على عليه السلام. فقال الحسن: ويلك يا مروان أهذا الّذى تشتم شرّ الناس قال: لا ولكنّه خير الناس.

وفيه أيضاً قال عمر بن عبد العزيز: كان أبى يخطب. فلا يزال مستمراً فى خطبته حتّى إذا سار إلى ذكر على عليه السلام وسبّه انقطع لسانه، واصفرّ وجهه، و تغيّرت حاله. فقلت له فى ذلك. فقال: اوقد فطنت لذلك. إنّ هؤلاء لو يعلمون من على ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل.

وفى خلفاء ابن قتيبة كتب سعد إلى معاوية، وكان على احقّنا كلّنا بالخلافة ولكن مقادير اللّه الّتى صرفتها عنه حيث شاء بعلمه وقدره، وقد علمنا أنّه أحقّ بها منّا.

وفى المروج لمّا حجّ معاوية طاف بالبيت، ومعه سعد فلمّا فرغ انصرف إلى دار الندوة فاجلسه معه على سريره، ووقع معاوية فى على عليه السلام فزحف سعد. ثم قال: اجلستنى معك على سريرك. ثم شرعت فى سبّ على، واللّه لأن يكون فىّ خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحبّ إلىّ من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس، واللّه لأن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لى: ما قال له فى غزوة تبوك «ألا ترضى أن تكون منّى بمنزلة هرون من موسى إلّا أنّه لا نبى بعدى» واللّه لأن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لى ما قاله يوم خيبر لعلى «لاعطين الراية غداً رجلاً يحبّه اللّه ورسوله، ويحبّ اللّه ورسوله ليس بفرّار يفتح اللّه على يديه» احبّ إلىّ من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس، وأيم اللّه لا دخلت لك داراً ما بقيت ونهض.

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى ذكر ابو حامد الغزالى فى كتاب سر العالمين وكشف ما فى الدارين قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام يوم غدير خم «من كنت مولاه

فعلى مولاه» فقال عمر بن الخطاب «بخٍّ بخٍّ يا أبا الحسن أصبحت مولاى ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة» ـ وهذا تسليم ورضا وتحكيم . ثم بعد هذا غلب الهوى حبّاً للرياسة وعقد البنود وخفقان الرايات، وازدحام الخيول، وفتح الأمصار، و أمر الخلافة ونهيها . فحملهم على الخلاف، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون .

وفى سيرة ابن هشام عن رافع بن أبى رافع الطائى قال : كنت امرءً نصرانياً . فلمّا أسلمت خرجت فى الغزوة الّتى بعث فيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل . فقلت: والله لاختارنّ لنفسى . فصحبت أبا بكر . فكنت معه فى رحله ، وكانت عليه عباءة له فدكيّة فكان إذا نزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها . ثم شكّها عليه بخلال له و ذلك الّذى يقول له أهل نجد حين ـ ارتدّوا «أنحن نبايع ذا العباءة» فلمّا دنونا من المدينة قلت يا أبا بكر إنّما صحبتك لينفعنى الله بك . فانصحنى وعلّمنى قال «آمرك أن توحّد الله ـ إلى أن قال ـ ولا تتأمّر على رجل من المسلمين ابداً قلت: يا أبا بكر أمّا أنا فوالله إنّى لأرجو أن لا أشرك بالله أحداً ـ إلى أن قال ـ

وأما الأمارة فإنّى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرّفون عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعند الناس إلّا بها فلم تنهانى عنها قال «إنّك إنّما استجهدتنى لاجهدلك أنّ الله تعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الدين فجاهد عليه حتّى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً . فلمّا دخلوا فيه كانوا عوّاذ الله وجيرانه وفى ذمته . فاياك لا تخفر الله فى جيرانه فيتبعك الله خفرته» قال : ففارقته على ذلك . فلمّا قبض النبى صلى الله عليه وآله وأمّر أبو بكر قدمت عليه . فقلت له : ألم تك نهيتنى على أن أتامّر على رجلين قال : بلى . فقلت: فما حملك على أن تلى أمر الناس قال: خشيت على أمّة محمّد الفرقة .

فلت: هل الفرقة فى الأمّة من ذاك اليوم إلى الأبد إلّا من تأمّره . فلو كان

ترك من أمّره الله ، ورسوله يلى لسلّم جميع الأمّة ومرّ فى أوّل الخطبة شعر الحطيئة ومرّ فى هذه القصّة قول أهل نجد (نحن نبايع ذا العباءة) ولو كان ترك من أمّره الله كيف يصل الأمر إلى بنى أُميّة الّذى يقول رئيسهم يوم ولى أوّلهم جهرة « يابنى أُميّة تلقفوها تلقف الكره فوالّذى يحلف به أبوسفيان ما من عذاب و لا حساب ، ولا جنّة ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة » « ألا فى الفتنة سقطوا وأنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين » .

و روى عاصم بن عامر البجلى عن يحيى بن عروة قال : كان أبى إذا ذكر علياً عليه السلام نال منه ، وقال مرّة « يابنى والله ما أحجم الناس عنه إلّا طلباً للدنيا لقد بعث إليه أُسامة بن زيد « ان ابعث إلىّ بعطائى . فوالله إنّك لو كنت فى فم أسد لدخلت معك » فكتب إليه « إنّ هذا المال لمن جاهد عليه ، ولكنّ لى ما لاً بالمدينة فاصب منه ما شئت » قال يحيى : فكنت أعجب من وصف أبى ايّاه بما وصفه وانحرافه عنه .

و روى حلية أبى نعيم عن أبى المنهال قال : لمّا اخرج ابن زياد ، و ثب مروان بالشام وابن الزبير بمكّة ، والّذين يدعون القرآء بالبصرة غمّ أبى غمّاً شديداً فانطلق إلى أبى برزة ، وأنشأ يستطعمه الحديث . فكان أوّل شئ تكلّم به أبوبرزة إن قال « إنّى احتسب عند الله ـ عزّوجلّ ـ إنّى أصبحت ساخطاً على إحياء قريش ، وإنّكم معشر العرب كنتم على الحال الّذى قد علمتم ، وأنّ الله تعالى قد نعشكم بالاسلام وبمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم خير الأنام حتّى بلغ بكم ما ترون ، وأنّ هذه الدنيا هى الّتى أفسدت بينكم ـ إلى أن قال ـ فلمّا لم يدع أحداً قال له أبى : بم تأمرنى ؟ قال : لا أرى خير الناس اليوم إلّا عصابة ملبّدة خماص البطون من أموال الناس خفاف الظهور من دمائهم .

قلت : ومراد أبى برزة الاسلمى صاحب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من احتسابه عند الله تعالى بكونه ساخطاً على إحياء قريش تبعها وعديها كاُميّتها لتسببهم ذاك ـ

الاختلاف وفساد الدين كما أنّ مراده بعصابة هم خير الناس أهل بيت نبيّه صلّى الله عليه وآله.

و روى أبو جعفر الإسكافي وابن عقدة الحافظ أنّ علياً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته ـ إلى أن قال في خطبته ـ وإنّي حاملكم على منهج نبيّكم صلى الله عليه وآله ومنفذ فيكم ما امرت به إن استقمتم لي وبالله المستعان ألا وإنّ ـ موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته كموضعي منه أيّام حيوته فامضوا لما تؤمرون. وقفوا عند ما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتّى نبيّنه لكم. فانّ لنا عن كلّ أمر تنكرونه عذراً ـ إلى أن قال ـ

ثم التفت يميناً وشمالاً فقال «ألا لا يقولنّ رجال منكم قد غمرتهم الدنيا فاتّخذوا العقار، وفجّروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتّخذوا الوصائف ـ الرّوقه. فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، و اصرتهم إلى حقوقهم الّتي يعلمون. فينقمون ذلك، ويستنكرون، ويقولون حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا ألا وايما رجل من المهاجرين، والأنصار من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله يرى أنّ له الفضل على من سواه بصحبته. فانّ الفضل النيّر غداً عند الله. وثوابه وأجره على الله. فايما رجل استجاب لله ولرسوله صلى الله عليه وآله فصدّق ملّتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا. فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد

قال الاسكافي: وكان هذا أوّل ما أنكروا من كلامه عليه السلام وكرهوا اعطائه بالسوية

قال (حد) قرئ كتاب الاستيعاب على عبد الوهاب بن سكينة المحدث وأنا حاضر. فلمّا انتهى القارئ إلى خبر شهاده النبي صلى الله عليه وآله لدافني أبي ذر بالايمان قال: استاذي عمر بن عبد الله الدبّاس، وكان يحضر معه سماع الحديث «التقل السبعة بعد هذا ما شاءت فما قال المرتضى والمفيد إلا بعض ما

كان حجروا لا شتروكانا من دافنى أبى ذر يعتقد انه فى عثمان ومن تقدّمه» فأشار إليه عبد الوهاب إليه بالسكوت فسكت.

وفى منهاج كرامة العلامة الحلى أنّ ذكر الخلفاء فى الخطب لم يكن فى زمن النبو صلى الله عليه وآله وسلم، ولا فى زمن أحد من الصحابة والتابعين، فى صدر ولاية العباسيين، وإنّما هو شئ أحدثه المنصور لما وقع بينه وبين العلوية. فقال: واللعار غمن أنفى وانوفهم، وارفعن عليهم بنى تيم وعدى.

وفيه قد رأيت بعض ائمّة الحنابلة يقول: إنّى على مذهب الإمامية فقلت له: لم تدرس على مذهب الحنابلة، فقال: ليس فى مذهبكم البغلات والمشاهرات

وفيه وكان أكبر مدرّس الشافعية فى زماننا حيث توفى أوصى بأن يتولى أمره فى تغسيله وتحهيزه بعض المؤمنين، وأن يدفن فى مشهد الكاظم عليه السلام

«أما والذى فلق الحبّة» حبّة الشعير والحنطة.

«وبرء النسمة» فى النهاية وكلّ دابة فيها روح فهى نسمة، ومنه حديث على عليه السلام «و برء النسمة»: أى خلق ذات الروح، وكثيراً ما كان عليه السلام يقولها إذا اجتهد فى يمينه.

«لولا حضور الحاضر وقيام الحجّه بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ألّا يقارّوا على كظّة ظالم» يقال (كظّة الشبع) إذا امتلا حتّى ما يطيق النفس.

«ولا سغب مظلوم»: أى شدّة جوعه قال تعالى «فى يوم ذى مسغبة»[1]

روى الثقفى مسنداً عنه عليه السلام قال فى خطبة له «ثم كان من أمر القوم بعد بيعتهم لى ما كان ثم لم أجد إلّا قتالهم أو الكفر بالله.

و روى الاستيعاب عن عبد الواحد الدمشقى قال: نادى حوشب الحميرى علياً عليه السلام يوم صفّين. فقال: انصرف عنّا يا ابن أبى طالب. فانّا ننشدك الله فى دمائنا ودمك، ونخلى بينك وبين عراقك وتخلى بيننا وبين شامنا وتحقن دماء المسلمين. فقال على عليه السلام: هيهات يا ابن ام ظليم والله لو علمت أنّ المداهنة

تسعنى فى دين اللّه لفعلت ، ولكان أهون علىّ فى المؤنه ، ولكنّ اللّه لم يرض من أهل القرآن بالسكوت والادهان إذ اكان اللّه — عزّوجلّ — يعصى وهم يطيقون الدفاع والجهاد حتّى يظهر أمر اللّه .

«لالقيت حبلها على غاربها» فى الصحاح (الغارب) مابين السنام والعنق ومنه قولهم «حبلك على غاربك» : أى اذهبى حيث شئت ، وأصله أنّ الناقة إذا رعت وعليها الخطام لم يهنها شئ .

«ولسقيت آخرها بكأس أوّلها» : أى جعلهم محرومين من فيوضاته ذاك الوقت كما جعلهم محرومين منها أيّام تصدى الثلاثة فالامام كالكعبة يجب على الناس التوجّه إليها فلمّا تركوه تركهم .

وسقاية الاخر بكأس الأوّل كناية عن ذلك ، وقال المنصور لأبى مسلم لمّا قتله:

اشرب بكأس كنت تسقى بها × امرّ فى الحلق من العلقم

وفى خلفاء ابن قتيبة قال على عليه السلام بعد السقيفة «واللّه يا معشر المهاجرين والأنصار لنحن أحق الناس برسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لانا أهل البيت ، و نحن أحقّ بهذا الأمر منكم ماكان فينا القارى لكتاب اللّه الفقيه فى دين اللّه العالم بسنن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم المتطلع لأمر الرعيّة الدافع عنهم الأمور السيّئة القاسم بينهم بالسوية واللّه انّه لفينا فلاتتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل اللّه فتزدادوا من الحق بعداً» فقال بشير بن سعد الأنصارى — وهو أوّل من بايع أبابكر حسداً لابن عمّه سعد بن عبادة — لوكان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا على قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلف عليك . فقال عليه السلام «أفكنت ادع رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله لم أدفنه واخرج أنازع الناس بسلطانه .

وإخراجه عليه السلام لسيّدة النساء عليها السلام إنّما كان لإتمام الحجّة . ففى الخلفاء أيضاً «وخرج علىّ — كرّم اللّه وجهه — يحمل فاطمة على دابة ليلاً فى مجالس الأنصار تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون : يابنت رسول اللّه قد مضت بيعتنا

لهذا الرجل ، ولو أنّ زوجك ، وابن عمك سبق إلينا قبل أبى بكر ما عدنا به فتقول « ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغى له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم » .

ولما قال يوم الشورى له عليه السلام ابن عوف أبايعك على أن تعمل بسنّة أبى بكر وعمر لم يقبل ، ورضى بترك الخلافة وهو أوضح دليل على بطلان خلافة الرجلين حيث إنّه تواتر عن النبى صلى الله عليه وآله قال « إنّ علياً على الحقّ والحقّ معه يدور » فرضى بترك الخلافة حتّى يفهم الناس أنّ سنّتهما باطلة ، وخلافتهما غير صحيحة .

كما أنّه عليه السلام دفن سيّدة نساء العالمين سرّاً حتّى يعلموا عدم رضاه منهما قال ابن قريعة :

يا من بسائل دائماً عن كلّ معضلة سخيفة
لا تكشفنّ مغطّى فلربّما كشفت عن جيفة
و لربّ مستور بدا كالطبل من تحت القطيفة
إنّ الجواب لحاضر لكننى أخاف خيفة
لولا اعتداء رعية ألقى سياستها الخليفة
و سيوف أعدائى بها هاماتنا أبداً نقيفه
لنشرت من أسرار آل محمّد جملاً لطيفة
تغنيك عمّا رواه مالك و أبو حنيفه
و أريتكم انّ الحسين أصيب يوم السقيفة
ولأىّ حال لحّدت بالليل فاطمة الشريفة
ولماحمت شيخيكم عن وطأ حجرتها الشريفة
اوه لبنت محمّد ماتت بغصّتها أسيفة

وكذلك صرّح ببطلان سنّتهما لمّا بايعه أصحابه ثانية بعد مروق المارقة ففى الخبرى ، ولمّا خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً عليه السلام أصحابه وشيعته

فبايعوه ، وقالوا « نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت » فشرط لهم فيه سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فجائه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي ، وكان شهد معه الجمل وصفّين ومعه راية خثعم . فقال عليه السلام له « بايع على كتاب الله وسنّة رسوله » فقال ربيعة (على سنّة أبي بكر وعمر) فقال له علي عليه السلام « ويلك لو أنّ أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسوله لم يكونا على شئ من الحقّ » ونظر إليه ، وقال له « أما والله لكأنّي بك ، وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت ، وكأنّي بك وقد وطأتك الخيل بحوافرها » فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة .

و رواه خلفاء ابن قتيبة ، وزاد قال قبيصة فرأيته يوم النهر قتيلاً وقد وطأت الخيل وجهه ، وشدخت رأسه ، ومثّلت به . فذكرت قول علي عليه السلام وقلت « لله درّ أبي الحسن ما حرّك شفتيه قطّ بشئ إلّا كان كذلك .

و لمّا اكرهوه على جعل أبي موسى حكماً ، وعلم أنّه يخلعه لم يعبأ عليه السلام بذلك . فلمّا قال الأحنف له « لا أرانا إلّا بعثنا رجلاً لا ينكر خلعك » قال عليه السلام له : يا أحنف إنّ الله غالب على أمره .

وبالجملة لولا قيام الحجّة بحضور جمع معدود لنصرته عليه السلام لسقى آخرهم من مرّ كاس ولاية الظالمين عليهم ، وحرمهم من ذوق حلاوة قيامه عليه السلام عليهم كما حرم أوّليهم الّذين كانوا في أيّام الثلاثة .

وعن عيون أخبار بني هاشم الطبري الّذي صنّفه للوزير علي بن عيسى بن جراح ، وفي أمالي محمّد بن محمّد بن النعمان « انّ معاوية قال لابن عباس انّكم تريدون أن تحرزوا الامامة كما اختصصتم بالنبوّة والله لا تجتمعان أبداً إنّ حجّتكم في الخلافة مشتبهة « انّكم تقولون نحن أهل بيت النبي فما بال خلافته في غيرنا » وهذه شبهة انّ الخلافة تتقلب في احياء قريش برضى العامة ، و شورى الخاصّة ، ولسنا نجد الناس يقولون : ليت بني هاشم ولونا ، ولو ولّونا كان خيرا لنا ووالله لو ملكتمونا يا بني هاشم لما كانت ريح عاد ، و صاعقة ثمود بأهلك الناس

منكم » .

فقال له ابن عباس « أما قولك إنا نحتج بالنبوّة فى استحقاق الخلافة . فهو والله كذلك . فإن لم تستحق الخلافة بالنبوّة فبم تستحق » وأما قولك « إن الخلافة والنبوّة لا تجتمعان » فأين قوله تعالى « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً »[1] فالكتاب هو النبوّة والحكمة هى السنّة ، والملك هو الخلافة . فنحن آل إبرهيم ، والملك جار فينا إلى يوم القيمة ، وأما دعواك على حجّتنا أنها مشتبهة فليس كذلك ، وحجّتنا أضوء من الشمس ، وأنور من القمر كتاب الله معنا ، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فينا ، وانك لتعلم ذلك ، ولكن شئ عطفك قتلنا أخاك وجدّك وخالك وعمّك . فلا تبك على أعظم حائلة ، وأرواح فى النار هالكة ، وأما قولك « انا لو ملكنا كان ملكنا أهلك للناس من ريح عاد ، وصاعقة ثمود . فقول الله تعالى « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »[2] يكذّبك . فنحن أهل بيته الادنون ، ورحمة الله بنا لخلفه كرحمته بنبيّه لخلقه ، وأما ترك تقديم الناس لنا فى ماخلا ، وعدو لهم عن الإجماع علينا . فما حرمونا أعظم مما حرمنا منهم ـ الخبر .

وأقول ابن عباس اتّقى معاوية والّا لكان يقول أما قولك (نحن أهلك من ريح عاد ، وصاعقة ثمود) فنحن كذلك على أمثالك من المنافقين وأما على المؤمنين فأرأف ، وأعطف من الأب والأم على الولد كما قال تعالى « أشدّاء على الكفار رحماء بينهم »[3] .

وفى أسد الغابة قال المدائنى : لمّا دخل على عليه السلام الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال له « والله لقد زنت الخلافة ، وما زانتك ، ورفعتها ، وما رفعتك ، وهى كانت أحوج إليك منك إليها » .

---

(١) النساء : ٥٤ . (٢) الانبياء : ١٠٧ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

و روى اسد الغابة أيضاً عنه عليه السلام قال : قال لى النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتى . فإن أتاك هؤلاء القوم فسلّموها إليك فاقبل منهم ، وان لم يأتوك فلا تأتهم حتّى يأتوك .

وفى خطبته عليه السلام الطالوتية الّتى رواها محمّد بن يعقوب الكلينى فى روضته مسنداً ، عن ابن التيّهان قال عليه السلام « ايّها الامّة الّتى خدعت فانخدعت ، و عرفت خديعة من خدعها . فاصرّت على ما عرفت ، فاتّبعت أهواءها ، وضربت فى عشواء غوايتها ، وقد استبان لها الحقّ فصدّت عنه ، والطريق الواضح فتنكّبته . أما والّذى فلق الحبّة ، وبرء النسمة لو اقتبستم العلم من معدنه ، وشربتم الماء بعذوبته وادّخرتم الخير من موضعه ، واخذتم الطريق من واضحه ، وسلكتم من الحقّ نهجه لتنهجت بكم السبل ، وبدت لكم الأعلام ، وأضاء لكم الاسلام . فاكلتم رغدا و ما عال فيكم عائل ، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد ، ولكن سلكتم سبيل الظلام فاظلمت عليكم دنياكم برحبها وسدّت عليكم أبواب العلم . فقلتم بأهوائكم ، واختلفتم فى دينكم . فافتيتم فى دين الله بغير علم ، واتّبعتم الغواة . فاغوتكم ، وتركتم الأئمة فتركوكم ـ إلى أن قال ـ

رويدا عمّا قليل تحصدون ما زرعتم ، وتجدون وخيم ما اجترمتم ، والّذى فلق الحبّة ، وبرء النسمة لقد علمتم أنّى صاحبكم ، والّذى به امرتم ، وانّى عالمكم والّذى بعلمه نجاتكم ، ووصى نبيكم وخيرة ربكم ، والعالم بما يصلحكم . فعن قليل رويدا نزل بكم ما وعدتم ، وما نزل بالامم من قبلكم سيسالكم الله ـ عزّوجلّ ـ عن ائمّتكم معهم تحشرون ، وإلى الله ـ عزّوجلّ ـ غدا تصيرون ـ أما والله لو كان لى عدّة أصحاب طالوت أو عدّة أهل بدر لضربتكم بالسيف حتّى تؤلوا إلى الحق ، وتنيبوا للصدق . فكان أرتق للفتق وآخذ بالرفق اللهمّ فاحكم بيننا بالحقّ وأنت خير الفاتحين .

ـ قال ثم خرج عليه السلام من المسجد فمرّ بصبرة فيها نحو من ثلاثين شاة .

فقال «والله لوأنّ لى رجالاً ينصحون لله ولرسوله بعد دهذه الشياة لازلت ابن آكلة الذبان عن ملكه» .

«ولا لفيتم» : أى وجدتم .

«دنياكم هذه ازهد من عفطه عنز» قال (حد) أكثرما يستعمل العفطة فى النعجة . فأمّا العنز . فالمستعمل الأشهر فيها النفطة ويقولون (ماله عافط ولا نافط) أى نعجة وعنز .

قلت : انما قال (حد) ماقال لأنّ الصحاح لم يذكر العفطة إلّا للضأن ، و مثله القاموس لكنّهما وهما والصواب كون العفطة للمعز ، والنفطة للضأن عكس ما قاله (حد) ففى جمهرة ابن دريد (العافطة) العنز و (النافطة) الضأن ، و من أمثالهم (أهون علىّ من عفطة عنز) وبه قال العسكرى والزمخشرى أيضاً ومن أمثالهم (لأنت أهون علىّ من عفطة عتود) وعتود ولد المعز إذا رعى .

ثم كلامهم (ماله عافطة ولا نافطة) لا (عافط ونافط) كما قال (حد) وإنّما العافط الراعى .

قال (حد) العفطة ماتنثره من الأنف ، ويجوز أن يراد بالعفطة هنا الحبقة : أى الضرطة لكنّ الأليق بكلامه عليه السلام التفسير الأوّل . فإنّ جلالته تقتضى أن يكون أراد ذاك . فإن صحّ أنّه لا يقال فى العطسة عفطة إلّا للنعجة قلنا إنّه عليه السلام استعمله فى العنز مجازاً .

قلت : قد عرفت عدم صحة قوله أخيراً (فإن صح) ـ الخ ـ بما مرّ ونزيد أنّ فى اللسان قال غير الأصمعى من الأعراب العافطة الماعزة إذا عطست .

وأما قوله اولا «ويجوز أن يراد بالعفطة هنا الحبقة» فأخذه من الصحاح ، أيضاً فقال «العفط والعفيط نثير الضأن تنثر بأنوفها كما ينثر الحمار وعفطت العنز حبقت» لكنه كما ترى نسب العفط بمعنى الحبق إلى العنز وظاهره أنّ عفط العنز حبقها لا غير ، وهو حيث يرى كلام الصحاح كالوحى المنزل لم غيّر و قال

ما قال .

مع أنّ المفهوم من العسكرى نقل كلامه عليه السلام بلفظ (من حبقة عنز) بدل من عفطة عنز وقال فى تفسيره الحبقة : مايخرج من دبر العنز من الريح والعفطة ما يخرج من أنفها .

و قول (حد) جلاله عليه السلام يقتضى أن يكون أراد المعنى الأوّل » خطأ فإنّ المثل كلّما كان أشدّ انطباقاً للممثل له كان امثل ، ولا جلال فوق جلاله تعالى وقد قال « إنّ اللّه لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها »(١) قال تعالى ذلك لأنّ بعض الجهّال أنكر ضربه تعالى لبعض الأمثال ، وحيث إنّ غرضه عليه السلام كون الدنيا عنده فى شدّة الهون . فالحبقة أقرب إلى الغرض من العفطة إذا كان معناها غير معناها . فقال عليه السلام فى موضع آخر فى بيان شدّة نفرته من الدنيا « دنياكم عندى أهون من عرق خنزير فى يد مجذوم » .

و رأى عارف من يسير فى موكب جليل فسال من هو فقالوا : هو يضحك الملك بحبقاته . فقال : ما اشترى أحد الدنيا بثمنها إلّا هذا .

هذا ، وقال ابن جرموز لما قتل الزبير :

فسيّان عندى قتل الزبير × و ضرطة عنز بذى الجحفة

وفى العقد الفريد فرّ عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث من الأزارقة ، و كان فى عشرة آلاف ، وكان المهلّب بعث إليه « خندق على نفسك يا ابن أخى فإنّى عالم بأمر الخوارج » فبعث إليه « أنا أعلم بهم منك ، وهم أهون علىّ من ضرطة الجمل » فبيّته قطرى صاحب الأزارقة . فقتل من أصحابه خمسمائة ، وفرّ هو لا يلوى على أحد . فقيل فيه :

تركت ولدانا تدمى نحورهم × وجئت منهزماً يا ظرطة الجمل

هذا وفى احتجاج الطبرسى روى اسحق بن موسى بن جعفر عن آبائه

(١) سورة البقرة الاية : ٢٦ .

عليه السلام أنّ اميرالمؤمنين عليه السلام خطب بالكوفة خطبة فقال فى آخر كلامه « وانّى لاولى الناس بالناس، ومازلت مظلوماً منذ قبض الرسول » ـ فقام إليه الأشعث بن قيس .

فقال : لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلّا وقد قلت « وأنا أولى الناس بالناس ومازلت مظلوماً منذ قبض النبى) فهلّا ضربت بسيفك دون ظلامتك لمّا ولى تيم وعدى فقال عليه السلام « يا ابن الخمّارة قد قلت فاسمع، واللّه ما منعنى الجبن ولا كراهية الموت ما منعنى من ذلك إلّا عهد أخى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم خبّرنى فقال لى « يا أبا الحسن أنّ الامّة ستغدر بك بعدى وتنقض عهدك ، وأنّك منّى بمنزلة هرون من موسى» فقلت له : فما تعهد إلىّ إذا كان كذلك قال « إن وجدت أعواناً فباد إليهم ، وإن لم تجد فكفّ يدك ، واحقن دمك حتّى تلحق بى مظلوماً» فلمّا توفى اشتغلت بدفنه ثم آليت يميناً أن لا ارتدى إلّا للصلوة حتّى أجمع القرآن ففعلت ثم أخذت بيد فاطمة ، وابنىّ الحسن والحسين . ثم درت على أهل بدر ، وأهل السابقة . فانشدتهم حقى ، ودعوتهم إلى نصرتى . فما أجابنى منهم إلّا أربعة رهط سلمان وعمار والمقداد وأبوذر ، وذهب من كنت اعتضد بهم على دين اللّه من أهل بيتى ، وبقيت بين خفيرين قريبى العهد بالجاهلية عقيل والعباس » .

ـ فقال له الأشعث كذلك كان عثمان لمّا لم يجد أعواناً كفّ يده حتّى قتل مظلوماً » . فقال عليه السلام له : يا ابن الخمّارة ليس كما قلت أنّ عثمان لمّا جلس فى غير مجلسه ، وارتدى بغير ردائه صارع الحقّ فصرعه الحقّ ، والّذى بعث محمّداً ـ صلى اللّه عليه وآله بالحق لو وجدت يوم بويع أخوتيم أربعين رهط لجاهدتهم فى اللّه إلى أن أبلى عذرى ـ ثم قال عليه السلام : أيّها الناس إنّ الأشعث لا يزن عند اللّه تعالى جناح بعوضة ، وأنّه أقلّ فى دين اللّه من عفطة عنز .

« قالوا » : وقام اليه رجل من اهل السواد » : أى أهل القرى والمراد قرى الكوفة لكونه عليه السلام بها .

وعن الأصمعى سواد الكوفة كسكر إلى الزاب، وحلوان إلى القادسية، وسواد البصرة دستميسان، والأهواز وفارس.

«عند بلوغه عليه السلام إلى هذا الموضع من خطبته»: أى قوله عليه السلام «ولا لفيتم دنياكم هذه أزهد من عفطة عنز.

«فناوله»: أى أعطاه.

«كتابا فأقبل ينظر فيه»: يرى ما كتب.

«قال (ثم) قال أبو الحسن الكيدرى: وجدت فى الكتب القديمة أنّ الكتاب الّذى دفعه الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام كان فيه عدة مسائل الاُولى «ما الحيوان الّذى خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب» فأجاب عليه السلام «انه يونس بن متى خرج من بطن الحوت».

الثانية: «ما الشئ الّذى قليله مباح وكثيره حرام» فقال عليه السلام «هو نهر طالوت لقوله تعالى «إلّا من اغترف غرفة بيده»[1].

الثالثة: «ما العبادة الّتى إن فعلها استحق العقوبة، وإن لم يفعلها استحق ايضا العقوبة» فأجاب عليه السلام «بأنّها صلوة السكارى».

الرابعة: «ما الطائر الّذى لا فرع له ولا أصل» فقال عليه السلام «هو طائر عيسى عليه السلام فى قوله تعالى «وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيه فيكون طيراً باذنى».

الخامسة: «رجل عليه من الدين ألف درهم، وله فى كيسه ألف درهم فضمنه ضامن بألف درهم فحال عليها الحول فالزكوة على أىّ المالين تجب» فقال «ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين فلا تكون عليه، وإن ضمنه من غير إذنه، فالزكوة مفروضة فى ماله.

السادسة: حجّ جماعة ونزلوا فى دار من دور مكّة، واغلق واحد منهم باب

(١) سورة البقره الاية ٢٤٩

الدار، وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم إلى الدار. فالجزاء على انّهم يجب. فقال عليه السلام «على الّذى اغلق الباب، ولم يخرجهن ولم يضع لهن ماء».

السابعة: «شهد أربعة على محصن بالزنا فأمرهم الإمام برجمه فرجمه واحد منهم، ووافقه قوم أجانب فى الرجم. فرجع من رجمه عن شهادته، والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع الآخرون عن شهادتهم بعد موته. فعلى من تجب ديته. فقال: على من رجمه من الشهود، ومن وافقه.

الثامنة: شهد شاهدان من اليهود على يهودى انّه أسلم هل تقبل شهادتهما. فقال: لا لأنّهما يجوّزان تغيير كلام اللّه وشهادة الزور.

التاسعة: (شهد شاهدان من النصارى على نصرانى اويهودى أو مجوسى أنّه أسلم. فقال تقبل شهادتهما لقوله سبحانه «ولتجدنّ اقربهم مودّة للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى» ـ الآية ـ ومن لا يستكبر عن عبادته لا يشهد الزور.

العاشرة: قطع انسان يد آخر فحضر أربعة شهود عند الإمام، وشهدوا على من قطع يده انّه زنا وهو محصن فأراد الإمام أن يرجمه. فمات قبل الرجم فقال عليه السلام «على من قطع يده دية يده حسب، ولو شهدوا أنّه سرق نصاباً لم يجب دية يده على قاطعها.

قلت: الخامسة لا تخلو من تصحيف كما لا يخفى كما أنّ قوله فى السابعة (ثم مات فرجع الآخرون) الخ ـ محمول على أنّ الشاهد، والاجانب لم يقلعوا عن الرجم بعد رجوع الشاهد مع سقوط الرجم حينئذٍ فيكونوا قاتليه، ولو كان مات، من أثر رميهم قبل الرجوع. فالدية على الشهود كما لا يخفى.

«قال له ابن عباس رضى اللّه عنهما» هكذا فى المصرية، وفيه سقط وتحريف والأصل ما فى (حد، وثم، والخطية) «فلمّا فرغ من قرائته قال له ابن عباس رحمه اللّه».

«يا امير المومنين لواطّردت» : أى تتابعت من (اطّرد الشئ) تبع بعضه بعضاً .

«خطبتك» هكذا فى المصرية ، والصواب «مقالتك» كما فى (حد ، و ثم والخطية) .

«من حيث أفضيت» : أى أصحرت وخرجت إلى الفضا .

«فقال هيهات يا ابن عباس» : أى اطراد مقالتى مشكل وبعيد من حيث التقية من أصحابه الّذين كان أكثرهم غير بصيرين .

«تلك» : المقالة .

«شقشقة» : فى جمهرة ابن دريد ، الشقشقة ما يخرجها البعير من فيه إذا هاج ، وهى شبيهة بالجلدة الرقيقة . تحدث عند نفخ البعير إذا هاج يكون فى العراب ولا يكون فى البخت ، ولا يعرف موضعها منه فى غير تلك الحال قال الأغلب العجلى .

وهو إذا جرجر بعد الهبّ × جرجر فى شقشقة كالحبّ

وفى النهاية بعد نقل مثله عن الهروى «ومنه حديث على عليه السلام فى خطبة له «تلك شقشقة هدرت ثم قرّت» و يروى له شعر فيه :

لساناً كشقشقة الأرحبى × أو كالحسام اليمانى الذكر

«هدرت» : أى غلت .

«ثم قرّت» : أى سكنت ، وفى المثل «لا بد للمصدور أن ينفث» وقال شاعر :

شكوت وما الشكوى لمثلى عادة × ولكن تفيض الناس عند امتلاءها

ونظير كلامه عليه السلام هذا كلام سيّدة النساء ـ صلوات اللّه عليها ـ فى فدك ففى بلاغات نساء أحمد بن أبى طاهر البغدادى «لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبى بكر على منعها فدك لاثت خمارها ـ إلى أن قال ـ

ولمّا فرغت من كلام أبى بكر والمهاجرين عدلت إلى مجلس الأنصار ، فقالت :

معشر البقية، وأعضاء الملّة، وحصون الاسلام ما هذه الغميزة فى حقى، والسِنة عن ظلامتى أما قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم «المرء يحفظ فى ولده» سرعان ما أجدبتم فاكديتم، وعجلان ذا إهالة تقولون: مات رسول اللّه. فخطب جليل استوسع وهيه واستهترفتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وأكتأبت خيرة اللّه لمصيبته، و خشعت الجبال، واكدت الآمال، وأضيع الحريم، وازيلت الحرمة عند مماته «و ما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر اللّه شيئاً وسيجزى الشاكرين» ايهن بنى قيلة ااهضم تراث أبى، وأنتم بمرأى ومسمع وفيكم العدد والعدّة، ولكم الدار، وعندكم الجنن ـ إلى أن قال ـ

فإنّى حرتم بعد البيان ونكصتم بعد الاقدام واسررتم بعد الايمان لقوم نكثوا ايمانهم أتخشونهم فاللّه أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين. الا قد ارى إن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة فعجتم عن الدين، ومججتم الّذى وعيتم ود سعتم الّذى سوّغتم. فإن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً. فإنّ اللّه لغنىّ حميد. الا وقد قلت الّذى قلته على معرفة منّى بالخذلان الّذى خامر صدوركم، واستشعرته قلوبكم، ولكن قلته فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وبثّة الصدر ومعذرة الحجّة فدونكموها. فاحتقبوها مدبرة الظهر ناكبة الحق باقية العار موسومة بشنار الأبد موصولة بنار اللّه الموقدة الّتى تطّلع على الأفئدة فبعين اللّه ما تفعلون، و سيعلم الّذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون».

«قال ابن عباس فواللّه ما اسفت على كلام قط كاسفى على هذا الكلام»

هكذا فى المصرية والصواب (على ذاك الكلام) كما فى (حد، وتم، والخطية)

«أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد» من بيان ضلالهم عن الحقّ، واتّباعهم الغىّ وهلاكهم بتركه عليه السلام.

قال (حد) (حدّثنى شيخى أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطى فى

سنة (۶۰۳) قال : قرأت هذه الخطبة على أبى محمّد عبد اللّه بن أحمد المعروف بابن الخشاب . فلمّا انتهيت إلى هذا الموضع قال لى (لو سمعت ابن عباس يقول هذا القلت له وهل بقى فى نفس ابن عمك أمر لم يبلغه فى هذه الخطبة ـ لتتأسف الا يكون بلغ من كلامه ما أراد ، واللّه ما رجع عن الأولين ولا عن الآخرين ، ولا بقى فى نفسه أحد لم يذكره إلّا النبى صلى الله عليه وآله وسلم) ـ قال مصدّق : وكان ابن الخشاب صاحب دعابة وهزل . فقلت له : أتقول إنّها منحولة . فقال : لا واللّه ، و إنّى لأعلم أنّه كلامه كما أعلم أنّك مصدّق » فقلت له : (إنّ كثيراً من الناس يقولون انّها من كلام الرضى) فقال « أنّى للرضى ولغير الرضىّ هذا النفس ، وهذا السلوب قد وقفنا على رسائل الرضى ، وعرفنا طريقته وفنّه فى الكلام المنثور ، ولا يقع مع هذا الكلام فى خلّ ولا خمر ، واللّه لقد وقفت على هذه الخطبة فى كتب صنّفت قبل أن يخلق الرضىّ بمأتى سنة ، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هم من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد ـ الرضى » .

وقال (حد) أيضا وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة فى تصانيف أبى ـ القاسم البلخى إمام البغداديين من المعتزلة ، وكان فى دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضى بمدّة طويلة ، ووجدت أيضاً كثيراً منها فى كتاب أبى جعفر بن قبة أحد متكلّم الإمامية ، وهو الكتاب المشهور بكتاب الانصاف ، وكان ابن قبة من تلامذة أبى القاسم البلخى ، ومات فى ذلك العصر قبل أن يكون الرضى موجوداً .

و قال (ثم) وجدت الخطبة فى نسخة عليها خط الوزير على بن الفرات وزير المقتدر ومات قبل مولد الرضى بنيف وستّين سنة و الّذى يغلب على ظنّى كتابة تلك النسخة قبل وجود ابن الفرات بمدّة .

قلت : وممّن ذكر الخطبة قبل مولد الرضى أبو عمر الزاهد غلام ثعلب . فقد عرفت أنّ المرتضى نقل عنه أنّه قال (مراده عليه السلام بقوله (حتّى لقد وطىء

الحسنان) الابهامان ، وكان مولد الرضى سنة (٣٥٩) وكانت وفاة أبى عمر ذاك سنة (٣٤٥) .

وقد وقع هنا أوهام لنهج الحق وشرحه الاحقاق وللبحار .

أما الأوّل . فلمّا كان الصدوق قال فى كتاب معانى أخباره بعد نقل الخطبة باسناده المتقدم « سألت الحسن بن عبد اللّه بن سعيد العسكرى عن تفسير هذه الخبر ففسّره لى » أشار إلى ذلك على بن طاووس فى كتاب طرائفه . فقال « ورأيت خطبة له عليه السلام فى كتاب اسمه (معانى الأخبار) فسّرها الحسن بن عبد اللّه بن سعيد العسكرى صاحب كتاب المواعظ والزواجر ، وهو من روساء مخالفى اهل البيت ، والخطبة فى كتاب اسمه معانى الأخبار تاريخ الفراغ من نسخه سنة إحدى وثلاثين وثلاثمأة » و صاحب نهج الحق كان تلميذ على بن طاووس يأخذ فى كتابه المذكور أغلب ماكان فى كتاب استاده الطرائف ، فراجعه فتوهم من كلامه أنّ المعانى للعسكرى مع أنّه للصدوق كما عرفت فقال : « ونقل الحسن بن عبد اللّه بن سعيد العسكرى من أهل السنة فى كتاب معانى الأخبار ـ الخ .

كما أنّ المجلسى توهّم من كلام الطرائف أنّ العسكرى ذكر الخطبة فى كتاب المواعظ مع أنّه إنّما قال « إنّ العسكرى الّذى صاحب كتاب المواعظ فسّر الخبر الّذى ذكره الصدوق فى معانى أخباره .

وأمّا الثانى فقال « ذكر هذه الخطبة قبل تولد الرضى بل تولد أبيه جماعة من ثقات علماء الجمهور منهم من ذكره المصنّف وهو ابن عبد ربه فى الجزء الرابع من كتاب العقد ومنهم أبو هلال العسكرى فى كتاب الأوائل ومنهم أبو على الجبائى فى كتابه وابن الخشاب فى درسه » .

فما نسبه الى مصنّفه من أنّه قال : انّ ابن عبد ربه ذكر هذه الخطبة فى الجزء الرابع من عقده وهم ، وانّما نسب مصنّفه خطبة « عفا اللّه عما سلف سبق الرجلان

وقام الثالث كالغراب همّه بطنه) إليه ، وأما هذه فنسبها إلى العسكرى كما عرفت كلامه مع توهمه انّ العسكرى فسّره فى معانيه مع أنّ العسكرى فسّره للصدوق فى معانيه .

مع انّ ابن عبد ربه أدرك الرضى عصره . فقد عرفت أنّ مولد الرضى ـ كان سنة ٣٥٩ وفى عقد ابن ربه (خلع المطيع نفسه سنة ٣٦٣) .

وأما قول ابن خلكان مات ابن عبد ربه سنة (٣٢٨) وقول الحموى مات سنة (٣٤٨) فوهم بعد ما عرفت من النقل من كتابه .

كما أنّ عدّه أبا هلال العسكرى فى من مات قبل تولد الرضى غلط فأبو هلال كان من معاصرى الرضى ، وقد نقل أبو هلال فى ديوان معانيه أشعاراً عن الرضى . فقال فى «فصل معاتباته» «و لبعض بنى هاشم وهو الرضى .

ولربّ مولى لا يفضّ جماحه × طول العتاب ولا عناء العذّل

يطغى عليك وأنت تلئم شعبه × والسيف يأخذ من بنان المقّل

وكانت حيوته إلى سنة (٣٩٥) معلومة فقال الحموى : لم يبلغنى فى وفاته شئ غير أنّى وجدت فى آخر كتاب الأوائل له انّه فرغ منه فى شعبان سنة (٣٩٥) .

مع أنّ أصل نسبته إلى أبى هلال العسكرى ذكر الخطبة غير معلوم ، وانّما المعلوم تفسير أستاد أبى هلال العسكرى ، وهو أبو أحمد العسكرى لها ، وكلّ منهما وأن يقال له الحسن بن عبد اللّه العسكرى إلّا أنّهما يتميزان بجدهما ككنيتهما فجدّ أبى هلال سهل وجدّ أبى أحمد سعيد ، وهذا أوائل أبى هلال نشر ليس فيه هذه الخطبة . فكتابه عشرة أبواب والمناسب لنقل الخطبة إنما هو بابه الرابع الّذى هو فى «ما روى عن الصحابة والتابعين» وليس فيه الا خطبه «عفا اللّه عما سلف ذكره فى عنوان «اول من بايعه من أهل مصر» والرضى أدرك ابا أحمد أيضاً فقالوا : مات سنة ٣٨٢ / او ٣٨٣ / .

كما أنّ عدّه ابن الخشاب ممّن مات قبل الرضى أوضح وهما فإنّه كان أستاد مصدق الّذى أستاد (حد) وقال مصدّق له يقولون هو من كلام الرضى . فقال: أنّى للرضى مثل هذا الكلام) .

و أما الثالث . فقال بعد ذكر من أنكر الخطبة «وكفى للمنصف وجودها فى تصانيف الصدوق ، وكانت وفاته ٣٢٩/ قبل مولد الرضى .

و مراده بالصدوق محمّد بن على بن بابويه . فقد عرفت أنّه ذكر الخطبة فى كتابى علله ومعانيه لكن ذاك التاريخ تاريخ فوت أبيه ، وأما هو فمات سنة (٣٨١) فالرضى كان وقت فوت الصدوق ابن اثنتين و عشرين أو ثلاث وعشرين نعم لو كان قال إنّ الصدوق ذكرها فى معانيه وفراغه منه كان فى سنة (٣٣١) قبل تولد الرضى كان وجها .

كما أنّه لو قيل ذكر الخطبة المفيد فى كتبه وهو أستاد الرضى ، وذكرها الصدوق فى كتبه ، وهو أستاد أستاده ، ولا يعقل أخذ الأستاد ، والأستاد الأستاد عن التلميذ و تلميذ التلميذ .

و قيل كانت الخطبة من الشهرة بحيث لم يستطع القاضى عبد الجبّار المتعصّب الناصبى ، وله التقدّم زمانا أيضا على الرضى إنكارها . فتصدّى للجواب عن فقراتها ، ولذا قال المفيد «وهى أشهر من أن يدلّ عليها لشهرتها» كما مر كان وجها أيضا .

وكما نسب بعض جهّالهم هذه الخطبة إلى الرضى مع أنّها وجدت بخطّ قبل تولد الرضى بمأتى سنة كما عرفته من ابن الخشاب كذلك نسب بعض جهّالهم خطبة سيّدة نساء العالمين ـ صلوات اللّه عليها ـ فى الشكاية عنهم فى الخلافة و فدك إلى أبى العينا . فقال أحمد بن أبى طاهر البغدادى لزيد بن على ـ العلوى : انّ جمعا يزعمون ذلك : فقال : رأيت مشايخ آل أبى طالب يروونه عن آبائهم ، ويعلّمونه أبناءهم ، وقد حدثنيه أبى عن جدّى يبلغ به فاطمة عليها السلام

و رواه مشايخ الشيعة قبل أن يولد جدّ أبي العيناء .

و نظير هذه الخطبة في شكايته عليه السلام من الثلاثة ، ومن أهل الشورى ، ومن الناكثه ، والقاسطة والمارقة خطبته عليه السلام بعد فتح معاوية لمصر رواها جمع منهم ومنّا كإبرهيم الثقفي عن رجاله ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه نقل ذلك عنه (حد) عند قوله في ۱/۶۷ (ومن كلام له عليه السلام لما قلّد محمّد بن أبي بكر مصر) وكالكليني في رسائله ، وكابن قتيبة في خلفائه ، وننقلها بلفظ ابن قتيبة فقال « دخل جمع على علي عليه السلام وقالوا له « بيّن لنا قولك في أبي بكر و عمر و عثمان » فقال — كرّم الله وجهه — « أوقد تفرّغتم لهذا ، وهذه مصر قد افتتحت ، و شيعتي فيها قد قتلت انّي مخرج إليكم كتاباً انبّئكم فيه عمّا سألتموني عنه . فأخرج إليهم كتاباً فيه « أمّا بعد فإنّ الله تعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم — إلى أن قال —

فلمّا مضى تنازع المسلمون الأمر بعده . فوالله ما كان يلقى في روعي ، ر و لا يخطر ببالي أنّ العرب تعدل هذا الأمر عنّي . فما راعني إلّا إقبال الناس على أبي بكر ، واجفالهم عليه فامسكت يدي ، ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في الناس ممّن تولّى الأمور عليّ . فلبثت بذلك ما شاء الله حتّى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام . يدعون إلى محو دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم . وملّة إبرهيم عليه السلام . فخشيت إن لم أنصر الاسلام و أهله أن أرى في الاسلام ثلماً وهدماً تكون المصيبة عليّ به أعظم من فوت ولاية أمركم التّي إنّما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب — إلى أن قال —

فلمّا احتضر عمر قلت : في نفسي ليس يصرف هذا الأمر عنّي . فجعلها شورى وجعلني سادس ستّة . فما كانوا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولايتي لأنّهم كانوا يسمعونني وأنا أحاجّ أبا بكر . فأقول : يا معشر قريش « انا أحق بهذا الأمر منكم ما كان منّا من يقرء القرآن ويعرف السنّة » فخشوا إن وليت عليهم أن لا يكون لهم في

هذا الأمرنصيب . فبايعوا إجماع رجل واحد حتّى صرفوا الأمرعنّى لعثمان ، فأخرجونى منها رجاءأن يتداولوها حين يأسوا أن ينالوها . ثم قالوا لى: هلمّ فبايع عثمان ، وإلّا جاهدناك . فبايعت مستكرهاً ، وصبرت محتسباً ، وقال قائلهم إنّك يا ابن أبى طالب على هذا الأمرلحريص . فقلت لهم : أنتم أحرص أما أنا فطلبت ميراث ابن أبى ، وأنتم دخلتم بينى وبينه وتصرفون وجهى دونه اللهمّ إنّى أستعين بك على قريش . فإنّهم قطعوا رحمى ، وصغّروا عظيم منزلتى وفضلى واجتمعوا على منازعتى حقّاً كنت أولى به منهم . ثم قالوا : فاصبر كمدا أوعش متأسفا فنظرت . فإذا ليس معى رافد ولا مساعد إلّا أهل بيتى . فضننت بهم عن الهلاك فاغضيت على القذى وتجرّعت ريقى على الشجى ، وصبرت من كظم الغيظ على امرّ من العلقم طعماً ، وآلم للقلب من حرّ الحديد . حتّى إذا نقمتم على عثمان اتيتموه فقتلتموه . ثم جئتمونى تبايعونى فأبيت عليكم فنازعتمونى ، ولم أمدّ يدى تمنّعاً عنكم . ثم ازدحمتم علىّ حتّى ظننت أنّ بعضكم قاتل بعضاً وأنّكم قاتلى وقلتم « لا نجد غيرك ، ولا نرضى إلّا بك . بايعنا لا نفترق ، ولا نختلف » فبايعتكم ، ودعوت الناس إلى بيعتى . فمن بايع طائعاً قبلت منه ، ومن أبى تركته . فأوّل من بايعنى طلحة والزبير ولو بيا ما اكرهتهما كما لم أكره غيرهما . فما لبثنا إلّا يسيراً حتّى قيل لى قد خرجا متوجّهين إلى البصرة فى جيش ما منهم رجل إلّا وقد أعطانى الطاعة ـ الخبر .

واتّقى عليه السلام على أن يخطب بها بنفسه . فكتبها . ففى طريق الكلينى انّه عليه السلام لمّا سألوه عن الثلاثة قال « وأنا كاتب لكم كتاباً فيه تصريح ما سالتم » فدعا كاتبه عبيد اللّه بن أبى رافع . فقال له : ادخل علىّ عشرة من ثقاتى . فقال : سمّهم لى فقال عليه السلام : ادخل اصبغ بن نباته ، وأبا الطفيل عامر بن واثلة الكنانى وزرّ بن حبيش الأسدى ، وجويرية بن مسهر العبدى ، وجندب بن زهير الأسدى وحارثة بن مضرب الهمدانى ، والحارث بن عبد اللّه الأعور ، ومصابيح النخع ، و

علقمة بن قيس و كميل بن زياد ، و عمير بن زرارة . فدخلوا عليه . فقال لهم : خذوا هذا الكتاب ، وليقرأه عبيد الله بن أبي رافع . فإن شغب شاغب عليكم فانصفوه بكتاب الله بينكم وبينه .

ومنه يظهر أن قول ابن الخشاب « لو سمعت ابن عباس يقول ما قال لقلت له وهل بقي في نفس ابن عمك شئ » في غير محله وأنه بقي في نفسه عليه السلام أشياء وأشياء اتقى إظهارها علانية .

وقد رووا أنه عليه السلام اتقى أبا طلحة يوم الشورى لما سمع كلامه عليه السلام فقال له لا ترع يا أبا الحسن ، وهذه الخطبة تكلم بها على الملا للعامة ، ولقد قال عليه السلام في الخلا لخواصه أمورا أخرروها شيعته .

وكذلك أهل بيته عليه السلام كانوا يتقون العامة أن يظهروا ما في أنفسهم في المتقدمين عليهم واتباعهم . ففي المقاتل وغيره (كتب الحسن عليه السلام إلى معاوية « وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أن قال ـ فكتب إليه معاوية « رأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين ، وحواري الرسول ، وصلحاء المهاجرين . فكرهت ذلك لك . لأنك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين ، ولا المسيئ ولا المليم ، وأنا أحب لك القول السديد وذكر الجميل ـ الخ . فترى هدده بالعامة .

وكيف ينكرون شكايتهم عليهم السلام منهم ، ولما كتب معاوية كما في العقد وغيره إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذكر الثلاثة « فكلهم حسدت ، وعلى كلهم ـ بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر وتنفسك الصعداء ، وأبطاؤك على الخلفاء وأنت في كل ذلك يقاد كما يقاد البعير المخشوش حتى تبايع وأنت كاره » ـ إلى أن قال ـ فكتب عليه السلام إليه ، وذكر ابطاءه عن الخلفاء وحسدهم إياهم والبغي عليهم . فأما البغي فمعاذ الله أن يكون ، وأما الكراهة لهم . فوالله ما اعتذر ـ للناس من ذلك) .

و ممّا روى من شكايته عم ما رواه الثقفى عن المسعودى ، عن الحسن بن حماد ، عن أبيه ، عن رزين بيّاع الانماط ، عن زيد بن على بن الحسين ، عن أبيه عن جدّه قال : قال علىّ عليه السلام فى خطبته : واللّه لقد بايع الناس أبا بكر وأنا أولى الناس بهم منّى بقميصى هذا فكظمت غيظى ، وانتظرت أمر ربى ، والصقت كلكلى بالأرض . ثم إنّه هلك واستخلف عمر ، وقد علم واللّه إنّى أولى الناس بهم منّى بقميصى هذا . فكظمت غيظى ، وانتظرت أمر ربى . ثم انه هلك ، وقد جعلها شورى فجعلنى سادس ستّة كسهم الجدّة ، وقال : اقتلوا الاقلّ ، وما أراد غيرى فكظمت غيظى ، وانتظرت أمر ربى ، والصقت كلكلى بالأرض ثم كان من أمر القوم بعد بيعتهم لى ما كان ، ثم لم أجد إلّا قتالهم أو الكفر باللّه .

و ممّا روى من شكايته عليه السلام عنهم ما رواه جمل المفيد بإسناده ، عن أبى مخنف ، عن العدوى ، عن أبى هاشم ، عن البريد ، عن عبد اللّه بن المخارق ، عن هاشم بن مساحق القرشى . قال : قال أبى : لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معى طائفه من قريش فيهم مروان بن الحكم فقال : بعضهم لبعض واللّه لقد ظلمنا هذا الرجل ونكثنا بيعته من غير حدث ، واللّه لقد ظهر علينا . فما رأينا قطّ أكرم سيرة منه ، ولا أحسن عفواً منه بعد الرسول تعالوا حتّى ندخل عليه ، و نعتذر إليه ممّا صنعناه ، فصرنا إلى بابه . فاستاذنّاه . فاذن لنا . فلمّا مثلنا بين يديه جعل متكلّمنا يتكلّم . فقال عليه السلام (انصتوا أكفكم إنّما أنا بشر مثلكم . فإن قلت حقّاً فصدّقونى ، وإن قلت : باطلاً . فردّوا علىّ انشدكم اللّه أتعلمون أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله قبض وأنا أولى الناس به وبالناس من بعده قلنا : اللهم نعم . قال : فعدلتم عنّى ، وبايعتم أبا بكر فامسكت ، ولم أحبّ أن أشقّ عصا المسلمين ، وافرّق بين جماعتهم . ثم إنّ أبا بكر جعلها لعمر . فكففت ، ولم اهيّج الناس وقد علمتم أنّى كنت أولى الناس باللّه ورسوله ، وبمقامه فصبرت حتّى قتل ، وجعلنى سادس ستة . فكففت ، ولم أحبّ أن افرّق بين المسلمين ثم بايعتم عثمان ـ الخبر

ومن شكايته عليه السلام عنهم ما رواه المدائنى ، عن عبد الله بن جنادة قال : قدمت من الحجاز أريد العراق فى أول امارة على عليه السلام . فمررت بمكة . فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ نودى الصلوة جامعة . فاجتمع الناس ، وخرج على عليه السلام متقلداً سيفه . فشخصت الأبصار نحوه . فحمد الله وصلّى على رسوله . ثم قال : أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا نحن أهله وورثته ، وعترته وأوليائه . دون الناس لا ينازعنا سلطانه أحد ، ولا يطمع فى حقنا طامع . إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم . فصارت الإمرة لغيرنا ، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ، ويتعزز علينا الذليل فبكت الأعين منّا لذاك ، وخشنت الصدور ، وجزعت النفوس ، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر ويبور الدين لكنّا على غير ما كنّا لهم ـ الخبر ـ ونقله (حد) فى موضع آخر .

و روى الثقفى ـ كما فى الشافى ـ مسنداً عن مسيب بن نجية قال بينما على عليه السلام يخطب و أعرابى يقول : وامظلمتاه . فقال على عليه السلام : ادن فدنا فقال (لقد ظلمت عدد المدر والوبر) .

و روى أبو نعيم أنّ علياً عليه السلام لم يقم مرة على المنبر إلّا قال فى آخر كلامه قبل أن ينزل « ما زلت مظلوماً منذ قبض الله نبيه » .

و فى الشافى أيضاً وروى من طرق كثيرة أنّه عليه السلام كان يقول : أنا أول من يجثو للخصومة بين يدى الله يوم القيمة .

هذا وكما أسف ابن عباس شديداً على عدم بلوغ أمير المؤمنين عليه السلام أقصى مراده فى تلك الخطبة كذلك كان يأسف دائماً شديداً على منع النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الوصية ، ففى الطبرى قال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يقول « يوم الخميس وما يوم الخميس ثم يبكى حتّى تبلّ دموعه الحصباء ، فقلنا له ، وما يوم الخميس ؟ قال : يوم اشتدّ بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وجعه . فقال : آتونى باللوح والدواة « أو بالكتف والدواة » اكتب

لكم لا تضلّون بعدى . فتنازعوا . فقال : اخرجوا ولا ينبغى عند نبى أن يتنازع . قالوا : ما شأنه اهجرا ستفهموه . فذهبوا يعيدون عليه . فقال : دعونى . فما أنا فيه خير مما تدعونى إليه .

وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : لمّا اشتدّ بالنبى ﷺ مرضه الّذى مات فيه قال : ايتونى بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعدى فقال عمر «إنّ النبى قد غلبه الوجع حسبنا كتاب اللّه» وكثر اللغط . فقال النبى ﷺ « قوموا عنّى لا ينبغى عندى التنازع» قال ابن عباس «الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول اللّه ﷺ » .

قول المصنّف «قوله عليه السلام كراكب الصعبة» هكذا فى المصرية والصواب «قوله عليه السلام فى هذه الخطبة كراكب الصعبة» كما فى (حد) والخطية .

«ان اشنق لها خرم وأن اسلس لها تقحم يريد أنّه إذا شدّد عليها فى جذب الزمام» فى تاريخ اليعقوبى كان معد بن عدنان أول من وضع رحلاً على جمل وناقة ، وأول من زمّهما بالنساع .

«وهى تنازعه رأسها» : جملة حالية .

«خرم» : أى شقّ الراكب .

«أنفها» : وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحّمت به فلم يملكها» : أى أصل التقحم للصعبة ، ونسب إلى الراكب باسلاسه لها يقال : اشنق الناقة اذا جذب رأسها بالزمام فرفعه وشنقها أيضاً .

«ذكر ذلك» : أى جواز (شنق الناقة واشنقها) بمعنى واحد وهو رفع رأسها بالزمام .

«ابن السكيت» : وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت .

«فى إصلاح المنطق» : قال المبرد كما فى تاريخ بغداد ما رايت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب ابن السكّيت .

وقال ابن خلكان : قال بعض العلماء ماعبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل إصلاح المنطق .

قلت : مانقله المصنّف عن إصلاح المنطق هو في الصفحة ۴۷۳ / من مطبوعه . ففيه (يقال) (أشنقت راحلتي وشنقتها) إذا رفعت رأسها بالزمام ، وأنشد طلحة قصيدة فما زال شانقاً راحلته حتّى كتبت له) .

قلت : ويشهد لقول ابن السكيت ماقاله ابن دريد في جمهرته في (باب ما اتّفق عليه أبوزيد و أبو عبيدة مما تكلّمت به العرب من فعلت وافعلت » و شنقت القربة وأشنقتها إذا شددت رأسها ثم رفعتها .

«وانّما قال عليه السلام (أشنق لها) ولم يقل (أشنقها » لأنّه جعله في مقابلة (أسلس لها) فكأنّه عليه السلام قال إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها يعني إذا كان أشنقت متعدّياً كان (أشنقها) أيضاً صحيحاً لكن قال عليه السلام (أشنق لها للمقابلة بينه وبين (أسلس لها) كما يقال في (الموزور) (المازوى) اذا ذكر في مقابل الماجور) وكما قالوا (الرجس النجس) بجعل الثاني على وزن الأول لكن الصحاح جعل (شنق) متعدّياً لاغير ، وجعل (أشنق متعدّياً ولازماً . فقال ويقال ـ (أشنق البعير) أيضاً مثل (اشنقته) .

ثم الغريب انّ (ثم) لم ينقل كلام المصنّف رأساً و (حد) زاد على ما في نسخنا فقال (وقال الرضي : وممّا يشهد على أنّ أشنق بمعنى شنق قول عدي بن زيد :

ساءها مالها تبين في الأيدي × وإشناقها إلى الأعناق

ثم قال (حد) زارت بنية صغيرة لعدي أباها وهو في حبس النعمان ويداه مغلولتان إلى عنقه فأنكرت ذلك وقالت ما هذا الّذي في يدك وعنقك يا أبه وبكت فقال عدي هذا البيت ، وقبله .

ولقد غمّني زيارة ذي تربى صغير × لقربنا مشتاق

لكن نقل الزيادة الّتى قلنا فى شرح (ان اشنق) ولم ينقله عند نقل كلام الرضى كما أنّ الراوندى زاد بعد قول المصنّف «فكأنّه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بالزمام يعنى امسكه عليها» (وفى الحديث أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس وهو على ناقة قد شنق لها وهى تقصع بجرتها. ومن الشاهد على أنّ أشنق بمعنى شنق قول عدى بن زيد العبادى:

ساء هاما بنا تبين فى الأيدى × وأشنا قها إلى الأعناق

قلت: وهذا الاختلاف فى النقل غريب.

والحمد للّه أوّلاً وآخيرا

إلى هنا تمّ هذا الجزء ويليه جزء الخامس أوّله ـ العنوان ٣١ ـ ومن كلام له عليه السلام عند دفن سيّدة النساء فاطمة عليها السلام

فهرست مافي هذا الجزء من **المطالب والعناوين**

رقم الصحيفة	العنـــوان
٢	الفصل الثامن فى الامامة الخاصة .
٢	العنوان ــ ١ ــ من عهده إلى محمّد بن أبى بكر .
٥	مناشدته عليه السلام بحديث الغـــدير .
٧	الاشارة إلى الفتن الّتي ظهرت بعد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم
٨	العنـوان ــ ٢ ــ من خطبته عند خروجه لقتال أهل البصرة
١١	خطبة فاطمة عليها السلام حين منعت من حقّها .
١٣	المواطن الّتى امتحن الله فيها أوصيائه .
١٩	أسماء الّذى تولّى عليه السلام قتلهم .
٢٥	الإشارة إلى غزوة الأحزاب .
٢٩	الإشارة إلى غزوة واد النمل .
٣٠	شرح غزوة حديبيّة .
٣٢	مقاتلته عليه السلام مع مرحب الخيبري .
٣٥	دخول أبى سفيان المدينة لتجديد العهد .
٣٦	الإشارة إلى فتح مكّـة .
٤٠	غزوة تبوك واستخلاف علىّ عليه السلام على المدينة .
٤٤	الإشارة إلى مناقبـه عليه السلام .
٤٩	المناقب الّتى توحد بهـا عليه السلام
٥٣	العنوان ــ ٣ ــ من الفصل الثامن
٥٤	إثبات إمامتـه عليه السلام

رقم الصحيفة	العنوان
٦١	قصّة شكّ عمر .
٦٩	كلامه عليه السلام يوم الشورى .
٧٢	العنوان ـ ٤ ـ من الفصل الثامن من كلامه عليه السلام ينبّه فيه على فضيلته لقبول قوله وأمره ونهيه .
٧٧	ما نقل صاحب الطرائف عن عمر .
٧٨	الإشارة إلى من ردّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم
٨٣	دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام حين موته .
٨٤	قول عايشة في من كان أحبّ الناس عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم
٨٨	توليته عليه السلام دفن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم
٩٣	انّه عليه السلام أحقّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيّاً وميّتاً .
١٠٠	كلام واصل بن عطا في عدم قبول شهادة أصحاب الجمل و الصفّين ، وردّه
١٠٢	العنوان ـ ٥ ـ من الفصل الثامن من كلامه عليه السلام الّذى يبيّن فيه عن صفته بأنّه عليه السلام لا يخدع .
١٠٥	كلام عمّار يوم الشورى .
١٠٦	العنوان ـ ٦ ـ من الفصل الثامن من الخطبة القاصعة .
١٠٩	الإشارة بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يلى أكثر تربيته عليه السلام
١١٢	سؤال سعيد بن جبير عن أنس بن مالك عن قول عمر عن الستّة الّذى مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض .
١١٨	في أنّه عليه السلام أوّل الناس إسلاماً .
١٢١	مناظرة مأمون مع إسحاق في أوّل من أسلم .

رقم الصحيفة	العنوان
١٢٦	كلام أمّ سلمة لرجل سبّ عليّاً
١٣٤	كلام اصبغ بن نباته بأنّ قوله تعالى «وعباد الرحمن» الخ نزل فيه عليه السلام
١٣٥	العنوان ـ ٧ـ من الفصل الثامن من كلام له عليه السلام لبعض أصحابه
١٣٧	ماسأله إبن أبى الحديد عن النقيب البصري.
١٥٧	سؤال ابن فضّال عن الرضا عليه السلام : كيف مال الناس عن أميرالمؤمنين عليه السلام
١٦١	سؤال عبد الرحمن عن علىّ عليه السلام فى علّة تأخّره.
١٦٤	سؤال رجلين يهوديين عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم
١٦٥	سؤال مأمون عن الرضا عليه السلام عن فضيلة علىّ عليه السلام
١٦٩	كلام الطبري في الخارجة.
١٧٥	كلام ابن أبي الحديد في مكاتباته عليه السلام مع معاوية
١٧٦	علّة قتل النسائي.
١٧٨	قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ذمّ معاوية.
١٨٣	مناظرة علىّ عليه السلام مع رأس اليهود.
١٩٩	خطبته عليه السلام في المدينة.
٢٠٠	العنوان ـ ٨ـ من الفصل الثامن من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً.
٢٠٤	الفرق بين بنى هاشم وبنى أُميّة.
٢٠٧	كلامه عليه السلام لمعاوية : ماأسلم مسلمكم إلّا كرهاً

رقم الصحيفة	العنوان
٢١١	الإشارة إلى فتح مكّة وإطلاق الأسارى .
٢١٥	مناظرة عدي بن حاتم مع معاوية .
٢١٩	الموارد الّتي لعن فيها عثمان .
٢٢٢	العنوان ـ ٩ ـ من الفصل الثامن من كتاب له عليه السلام إلى معاوية .
٢٢٨	كتاب محمّد بن أبى بكر إلى معاوية ، وجواب معاوية عنه.
٢٤٠	العنوان ـ ١٠ ـ من الفصل الثامن من كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة .
٢٤٢	كلام أبي المقدام مع أبي جعفر عليه السلام
٢٤٥	كلام الشهرستاني في ماوقع من الاختلافات بعد النبىّ .
٢٥١	كلام مقداد حين بايع عبد الرحمن بن عوف .
٢٥٣	الإشارة إلى ثروة بعض الولاة في أيّام عثمان .
٢٦٥	سؤال المنصور من عبد اللّه بن مروان عن قصّته مع ملك النوبة .
٢٦١	العنوان ـ ١١ ـ من الفصل الثامن من خطبته التي بيّن فيها صفات الحقّ .
٢٦٢	الاستدلال بحديث الثقلين .
٢٦٥	العنوان ـ ١٢ ـ من الفصل الثامن من كلامه الّذى يذكر فيه فضله .
٢٦٨	العنوان ـ ١٣ ـ من الفصل الثامن من كتاب له إلى معاوية
٢٧٤	تخلّف النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام في مكّة لمّا أراد أن يهاجر.

رقم الصحيفة	العنوان
٢٧٩	الموارد التي أشار بأنه عليه السلام أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
٢٨١	جواب معاوية عن كتاب محمد بن أبى بكر .
٢٨٢	العنوان ـ ١٤ ـ من الفصل الثامن من كلامه فى معنى الأنصار .
٢٨٣	مانقل ابن أبى الحديد عن موفقيات الزبيري من أخبار السقيفة .
٢٨٨	امتناع سعد بن عبسادة عن البيعة .
٢٩١	مناظرة عمرو بن العاص مع عجلان .
٢٩٣	كتاب الحسن عليه السلام إلى معاوية .
٢٩٤	ملاقات منهال ابن عمر مع السجاد عليه السلام في دمشق .
٢٩٥	مايتمنى أبوبكر حين موته .
٢٩٨	ذكر أشعار الكميت في الغدير .
٣٠١	العنوان ـ ١٥ ـ من الفصل الثامن من كتابه إلى أهل مصر .
٣٠٣	خطبته عليه السلام بعد قتل محمد بن أبى بكر .
٣٠٧	أشعار خزيمة في صرف الأمر عنه عليه السلام
٣١٠	الإشارة إلى ماجرى في سقيفة .
٣١٧	العنوان ـ ١٦ ـ من الفصل الثامن من كتابه إلى معاوية
٣٢٢	الإشارة إلى من أراد أن يذم فمدح .
٣٢٥	العنوان ـ ١٧ ـ من الفصل الثامن من حكمه .
٣٢٧	مناظرة ابن أبي ليلى مع علي عليه السلام

رقم الصحيفه	العنوان
٣٢٨	العنوان ـ ١٧ ـ من الفصل الثامن من خطبته التى ألقاها لمّا قبض النبىّ صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وأبوسفيان أن يبايعاه بالخلافة .
٣٣١	مخالفة أبي سفيان مع أبى بكر في الخلافة .
٣٣٥	مناظرة المفيد مع رجل عباسى بمحضر أجلّة العباسيّة .
٣٤٩	خطبة سلمان ـ رحمه الله ـ
٣٥١	العنوان ـ ١٨ ـ من الفصل الثامن من خطبته التى يصف فيها العرب قبل البيعة له .
٣٥٨	صبره عليه السلام فى الحوادث الواقعة
٣٧٥	تعبيرهم عنه عليه السلام بأبى تراب تحقيراً .
٣٧٧	مناظرة المقداد مع عبد الرحمن .
٣٨٦	مناظرة ابن عالية مع إسماعيل بن علىّ
٣٨٩	كلام ابن ابى الحديد فى تظلماته عليه السلام
٣٩٢	كتاب الحسن عليه السلام إلى معاوية .
٣٩٨	العنوان ـ ١٩ ـ من الفصل الثامن كلامه لبعض اليهود .
٤٠١	كلام النبىّ صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام حين موته .
٤٠٤	العنوان ـ ٢٠ ـ من الفصل الثامن من كلامه وقت الشورى
٤٠٥	مناشدته عليه السلام يوم الشورى .
٤١٥	شأن نزول آية الإنذار .
٤١٧	خطبة معاوية في مكّة .
٤١٩	العنوان ـ ٢١ ـ من الفصل الثامن كلامه لما عزموا على بيعة

رقم الصحيفة	العنوان
	عثمان .
۴۲۳	العنوان ـ ۲۲ ـ من الفصل الثامن من كلامه لما بويع بالمدينة .
۴۳۰	الإشارة إلى البليات عند قيام كلّ إمام .
۴۳۵	أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبر علياً عليه السلام بكلّ ما يجري عليه .
۴۳۸	الإشارة إلى آثار المعصية .
۴۴۲	ما قال أهل الصناعات في الكلام حسب صناعتهم .
۴۴۷	إثبات العصمة في الإمام عليه السلام
۴۵۱	العنوان ـ ۲۳ ـ من الفصل الثامن من خطبته التي ألقاها في الرسول الأعظم .
۴۵۷	العنوان ـ ۲۴ ـ من الفصل الثامن من خطبته التي رواها نوف البكالي .
۴۵۸	ما رواه ابن المغازلي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ لكل نبيّ وصي
۴۶۲	العنوان ـ ۲۵ ـ من الفصل الثامن من خطبته التي خطبها بعد بيعه الناس له
۴۶۴	العنوان ـ ۲۶ ـ من الفصل الثامن من خطبته التي ألقاها في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
۴۷۰	العنوان ـ ۲۷ ـ من الفصل الثامن من خطبته التي يذكر فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام
۴۷۲	العنوان ـ ۲۸ ـ من الفصل الثامن ما قال لأنس بن مالك حين بعثه إلى طلحة والزبير .

رقم الصحيفة	العنوان
٤٧٥	دعائه عليه السلام على أنس بالبرص .
٤٧٦	الإشارة إلى من رواحديث الغدير .
٤٧٩	نزول العذاب على من أنكر الغدير .
٤٧١	استدلال المأمون بحديث الغدير لفضيلته عليه السلام
٤٨٣	الإشارة إلى ما أنشد في الغدير .
٤٨٧	دعائه على بسر بن أرطاة .
٤٨٨	العنوان ـ٢٩ـ من الفصل الثامن قوله : «أنا يعسوب الدين» .
٤٨٩	العنوان ـ٣٠ـ من الفصل الثامن الخطبة الشقشقية .
٤٩٣	الإشارة إلى أسانيد الخطبة .
٤٩٧	ذكر أسامي الخطبة .
٤٩٩	ترجمة أبي قحافة .
٥٠٤	سؤال سعيد بن المسيّب عن سعد بن أبي وقاص .
٥٠٧	مناظرة نفر من الشيعة مع زيد بن علي .
٥٠٩	مناظرة ابن عبّاس مع عمر في الخلافة .
٥١٩	كلام أشعث بن قيس مع علي عليه السلام .
٥٢٢	الإشارة إلى ما فعل أبوبكر من أفعال الشنيعة .
٥٣٦	سؤال أحبار اليهود عن أبي بكر وعمر .
٥٣٩	سؤال سلطان سنجر عن سنائي الشاعر عن مذهبه .
٥٤٠	كلام ابن قتيبة عن كيفية بيعة علي عليه السلام
٥٤١	قضيّة نفيل بن عبد العزّى ، وصهاك .

رقم الصحيفة	العنوان
٥٤٩	ترجمة خطاب أبي عمر .
٥٥٣	الإشارة إلى عهد أبي بكر لعمر .
٥٥٥	ترجمة الأعشى .
٥٦٧	مناظرة مجنون مع المأمون في الخلافة .
٥٦٩	كلام حسن بن على عليه السلام فى غصب الخلافة .
٥٧١	مناظرة عمرمع هشا م بن حكيم فى القرائة .
٥٧٢	مشاورة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع عمرواُبى بكرفي اُسارى بدر .
٥٧٧	شكاية طلحة من عمرإلى أبي بكر .
٥٧٩	اشتراء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سلمان من اليهود .
٥٨٣	كلام عمربعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه لم يمت .
٥٨٦	كلام ابن عبّاس في يوم مات فيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم
٥٩١	كلام سماك بن حرب في عمر .
٥٩٣	أمرالمأمون فى سنة (٢١٠) بردّ الفدك إلى ولد فاطمة
٥٩٦	الإشارة إلى موارد التي خبط فيهاعمر .
٦١١	كلام ابن الزبير مع أبيه يوم الجمل .
٦٢٢	مناشدة علي عليه السلام مع أبي بكر .
٦٢٧	كتاب معاوية لأهل الشام بعد بيعة العراق .
٦٢٩	كلام مقداد فى المسجد لمّا بويع عثمان .
٦٣٦	قوله عليه السلام بعد بيعة عبد الرحمن لعثمان .
٦٤٠	ماروا ه أبونعيم من بطلان امرالثلاثة .
٦٤٣	مناظرة ابي ذر ه عثمان في بنى أبى العاص .

رقم الصحيفة	العنوان
٦٤٧	كلام حذيفة في قاتل عثمان .
٦٥٠	تقسيم عثمان بيت المال على بنى أُميّة .
٦٥٥	امتناع الناس عن إقامة الحدّ على وليد بن عقبة .
٦٥٧	تظاهر الناس على عثمان من كثرة أحداثه .
٦٦٢	الإشارة إلى كيفية قتل عثمان .
٦٦٩	تأسّف عمّار على عدم نبش قبر عثمان ، وإحراقه .
٦٧٧	كلام ابن حنبل في خلافة على عليه السلام
٦٨٢	المراد بالناكثين والمارقين والقاسطين .
٦٩٦	الدليل على بطلان سنّة الشيخين .
٧٠٢	خطبته عليه السلام التي ألقاها في الكوفة ، وفى آخره : وإنّى أولى الناس بالناس ، ومازلت مظلوماً منذ قبض الرسول .
٧٠٣	ماوجد ابو الحسن الكيدرى ممّا دفع إلى على عليه السلام من المسائل .
٧٠٦	الإشارة إلى رواة الخطبة الشقشقية .
٧١٤	ماروى من شكايته عليه السلام عنهم .
٧١٩	فهرست المطالب .

تمت الفهرست

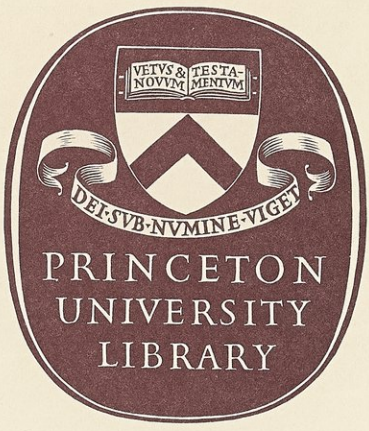
VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 047142912